التهذيب في التفسير

تصنيف

الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي

توفي سنة ٤٩٤ هجرية

رحمه الله تعالى

تحقيق

عبد الرحمن بن سليمان السالمي

دار الكتاب المصري

القاهرة

دار الكتاب اللبناني

بيروت

التهذيب في التفسير

التهذيب في التفسير

تصنيف

الإمام الحاكم أبي سعد المحسن بن محمد بن كرامة البيهقي الجشمي
توفي سنة ٤٩٤ هجرية
رحمه الله تعالى

تحقيق

عبد الرحمن بن سليمان السالمي

الجزء التاسع

سورة فصلت - سورة الصف

دار الكتاب المصري
القاهرة

دار الكتاب اللبناني
بيروت

سورة (حم السجدة) مكية، وهي اثنتان[1] وخمسون آية.

وعن النبي ﷺ: «من قرأ حم السجدة أعطي من الأجر بعدد كل حرف منها عشر حسنات».

ولما ختم (حم المؤمن) بذكر المنكرين[2] لآيات الله، وذكر الدلائل افتتح هذه السورة بِمِثْلِ ذلك، فَذَكَر الآيات وإعراضهم.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٢﴾ كِتَٰبٌ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوۡمٍ
يَعۡلَمُونَ ﴿٣﴾ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ﴿٤﴾ وَقَالُواْ قُلُوبُنَا فِيٓ
أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدۡعُونَآ إِلَيۡهِ وَفِيٓ ءَاذَانِنَا وَقۡرٌ وَمِنۢ بَيۡنِنَا وَبَيۡنِكَ حِجَابٌ فَٱعۡمَلۡ إِنَّنَا
عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثۡلُكُمۡ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ
وَٱسۡتَغۡفِرُوهُۗ وَوَيۡلٌ لِّلۡمُشۡرِكِينَ ﴿٦﴾ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلۡأٓخِرَةِ هُمۡ
كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمۡ أَجۡرٌ غَيۡرُ مَمۡنُونٖ ﴿٨﴾﴾.

---

(١) اثنتان: اثنان، ك.

(٢) المنكرين: المتذكرين، ت.

۞ اللغة

التنزيل: مصدر نَزَّلَهُ تنزيلاً، فالقرآن مُنَزَّلٌ[1]، أي: ينزله؛ لأن جبريل قرأه من اللوح[2]، وأنزله على النبي ﷺ.

والتفصيل: التبيين، فَصَّلْتُ الشيء تفصيلاً، أي: بَيَّنْتُهُ شيئًا فشيئًا.

والكِنُّ: الغطاء، كَنَنْتُ الشيء في كِنِّهِ إذا صُنْتُهُ، وأكننته: أي[3] أخفيته، ومنه: الكنانة.

والوَقْرُ: الثقل في الأذن، وقِرَتْ أُذُنُهُ تَوْقَرُ وَقْرًا، وَوُقِرَتْ تُوقَرُ، فهي موقورة، قاله الكسائي، وأصل الباب: الثقل، ومنه: الوقر الحمل، ونخلة[4] مُوقِرٌ ومُوقِرَةٌ إذا كانت ذات حمل كبير يثقل عليها[5]، ومنه: الوقار، ورجل ذو قِرَةٍ إذا كان وقورًا، وَقَرَ الرجل وقارًا، ويقال: وَقَرْتُ أَقِرُ وَقْرًا، جَلَسْت، قال الأحمر: ومنه: ﴿وَقَرْنَ﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وليس من الوقار، وقال أبو عبيد: هو من الوقار.

والاستقامة: الاستمرار على طريقة واحدة على ما تدعو إليه الحكمة، استقام استقامة.

والمَنُّ: القطع، يقال: [مأخوذ] من مننت الحبل إذا قطعته[6]، رجل مَنِينٌ مقطوع.

۞ الإعراب

نصب «قُرْآنًا» قيل: على التفسير؛ لأنه ميّزه[7] من بين[8] سائر الكتب، وقيل:

(١) منزّل: ينزله، ت، د، ك.
(٢) اللوح: الوح، ت.
(٣) أي: -، ت، ك.
(٤) ونخلة: وحمله، ت، ك.
(٥) عليها: -، ت، ك.
(٦) من مننت الحبل إذا قطعته: منه السيف الجب قطعه، ت، د، ك.
(٧) ميزه: منزه، ت، ك.
(٨) بين: +، ت، ك.

نصب على المدح، وقيل: نصب على الحال، عن الزجاج، وقيل: نصب بإضمارِ فِعْلٍ، أي: أنزلنا، وقيل: بإعادة الفعل، تقديره: فصلنا، وقيل: نصب على القطع.

ونصب ﴿عَرَبِيًّا﴾؛ لأنه نعت للقرآن. ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ صفتان للقرآن، وقيل: نصب على المدح، وقيل: على التمييز، وقيل: على الحال، وقيل: عطفًا على ما تقدم.

و(ما) في قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ﴾ ما الكافة، تقطع عمل (إن)، فيصير ما بعده ابتداء وخبرًا.

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في أبي جهل وعتبة وشيبة ومشركي مكة لما أعرضوا عن القرآن.

وقيل: نزل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ في المرضى والزَّمْنَى والهَرْمَى إذا عجزوا عن الطاعة يكتب لهم الأجر كأصحِّ ما كانوا يعملون فيه.

۞ المعنى

﴿حمٓ﴾ قد تقدم القول فيه في (حم المؤمن)، وَبيَّنَّا من قبل أن أحسن ما قيل فيه قول الحسن: إنه اسم السورة، وقول ابن عباس: إنه افتتاح أسماء الله تعالى، وقول أبي مسلم: إنه إشارة إلى أن هذا القرآن من هذه الحروف، وأنتم[1] تتكلمون بها، ولا تقدرون على مثل القرآن، فاعلموا أنه معجزة، وأنه كلام رب العزة «**تَنزِيلٌ**» يعني هذه السورة تنزيل «**مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**».

ثم فسره، فقال: «**كِتَابٌ**» إلى المكلفين، وسمي كتابًا؛ لأنه يُكْتَبُ «**فُصِّلَتْ آيَاتُهُ**» أي: بُيِّنَتْ آياته بيانًا تامًا، ففصل بالأمر والنهي، والوعد والوعيد، والحلال والحرام، والمواعظ والأمثال، وقيل: المفصل المنظوم على أحسن النظام، وأوضح البيان، فقيل: فصل بعضها من بعض، حتى يستدل بكل واحد منها على ما يدل عليه من معالم دينه، عن أبي علي. «**عَرَبِيًا**» أي: بلغة العرب «**لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ. بَشِيرًا وَنَذِيرًا**» أي: يبشر المؤمن بما فيه من الوعد، وينذر الكافر بما فيه من الوعيد، والله ـ تعالى ـ يبشر بما في

(١) في ت: وإنهم.

القرآن، ولكن لما كان البشارة فيه أضافه إليه توسعًا «**فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ**» عن القرآن، فلم يفهموه، ولم ينتفعوا به، «**فَهُمْ لاَ يَسْمَعُونَ. وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ**» أي: في أغطية، عن مجاهد، والسدي. «**مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ**» فلا نفقه ما تقول «**وَفِي آذَانِنَا وَقْرٌ**» أي: صمم، فلا تسمع ما تقول، وإنما قالوه لِيُؤَيْسُوهُ عن قبول ما أتى به «**وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ**» أي: خلاف في الدين، فجعل[1] خلافهم ذلك ساترًا وحاجزًا لا يرى بعضهم بعضًا لأجله، وقيل: ليس بيننا مقاربة بوجه، بمنزلة مَنْ بينهما حجاب «**فَاعْمَلْ إِنَّنَا عَامِلُونَ**» قيل: اعمل بما يقتضيه دينك، «**إِنَّنَا عَامِلُونَ**» أي: إنا نعمل بما يقتضيه ديننا، وقيل: اعبد إلهك، فإنا عابدون آلهتنا، عن مقاتل، وقيل: أراد أنا لا نفهم ما تقول، فاعمل ما شئت، فإنا نعمل ما نحن عليه، وهذا غاية العناد والتعصب، وقيل: اعمل في إساءتنا ما تقدر عليه، فإنا لا نجيبك؛ بل نعمل ما نحن عليه، فاقطع الطمع في إجابتنا «**قُلْ**» يا محمد «**إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ**» قيل: أراد بذلك استعطافهم بأنه من جنسهم لا يدعي درجة لا يستحقها إلا أنه يوحى إليه، قال الحسن: علمه الله تعالى التواضع، فقاله تواضعًا، وقيل: أراد أنه وإن كان بشرًا[2] فهو رسول يوحى إليه، فالكفر به كُفْرٌ بالله، وقيل: هو جواب لقولهم: اعمل؛ أي: ليس ذلك إليّ، فإنما أنا بشر، وقيل: أراد أنه لم يخالفهم في البشرية، وإنما خالفهم في الدين لأنه أوحى إليه، وقيل: أخبر أنه بشر مثلهم يؤمر كما يؤمرون، ويُنْهَى كما ينهون، وقيل: أراد أن كفرهم لو كان به وحده لكان يخف ويسهل لأنه بشر مثلهم لا يقدر على تعذيبهم؛ لكن كفرهم به كُفْرُ بالله الذي هو خالقهم، ويقدر على عقابهم، عن أبي مسلم. «**يُوحَى إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَاسْتَقِيمُوا إِلَيْهِ**» قيل: اعدلوا عن عبادة غيره، واجعلوا قصدكم إليه، كقولك: استقم على الطريق، ولا تذهب يمينًا وشمالاً، وقيل: (إليه) بمعنى (له) أي: استقيموا له في المستقبل، يعني على طاعته، وقيل: استقيموا على[3] ما سَنَّهُ لكم «**وَاسْتَغْفِرُوهُ**» بأن اطلبوا منه[4] المغفرة من ذنوبكم؛

(١) فجعلنا: د، ك: .
(٢) بشرا: بشيرًا، ت.
(٣) على: إلى؛ د، ت، ك.
(٤) منه: -، ت، ك.

لأن الاستقامة في المستقبل إنما تنفع متى أقبل على التوبة مما تقدم «وَوَيْلٌ لِلْمُشْرِكِينَ» (وَيْلٌ) كلمة وعيد «الَّذِينَ لاَ يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ» قيل[١]: لا يشهدون أن لا إله إلا الله، وهي زكاة الأنفس، عن أبي علي، وقيل: لا يؤتون الزكاة، ولا يدينون بها، عن الحسن، وقتادة، وقيل: لا يأتون ما يكونون به أزكياء من الدخول في دين الله، وقيل: لا ينفقون في الطاعة، ولا يتصدقون، عن الضحاك، ومقاتل، وكان يقال: الزكاة قنطرة[٢] الإسلام من قطعها [نجا]، ومن تخلف عنها هلك، ولذلك قاتل أبو بكر أهل الردة بمنعهم[٣] الزكاة، وقيل: لا يزكون أعمالهم، عن مجاهد، والربيع، قال الفراء: هو[٤] أن قريشًا كانت تطعم الحاج، فَحَرَّمُوا ذلك على من آمن بمحمد صلى الله عليه وآله، وقيل: جمع بين الاستقامة والزكاة؛ لأن الزكاة عبادة مالية، والاستقامة عبادة بدنية، فجمع بينهما وبين كل العبادات «وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ».

ثم عقبه بوعد المؤمنين، فقال سبحانه: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ» قيل: ثواب غير مقطوع، عن ابن عباس، وقيل: غير منقوص، عن مقاتل، وقيل: لا يلحقهم تنغيص ومَنّ[٥]، عن الحسن[٦]، وأبي علي، وأبي مسلم.

۞ الأحكام

تدل أول[٧] الآيات على حدوث القرآن من حيث وصفه بأنه فصلت بالآيات[٨]، وبالقرآن بأنه عربي، وأنه بشير ونذير، وكل ذلك دلالة على حدوثه.

وتدل على أنه ليس في القرآن غير لغة العرب، خلاف قول الحشوية.

(١) قيل: وقيل؛ ت، د، ك.
(٢) قنطرة: فطرة، د.
(٣) بمنعهم: لمنعهم، ت.
(٤) هو: -، ت.
(٥) ومن: -، ت. وفي ك: ومن الحر.
(٦) الحسن: -، ت، ك.
(٧) بالآيات: وبالآيات؛ ت، د، ك.
(٨) أول: +، ت، ك.

وتدل على أن العَالِمَ باللغة محجوج به، ولو كان للظاهر باطن[1] لا يدل عليه الظاهر لم يكن كذلك، فيبطل قول الباطنية.

ويدل قوله: «**لقوم يعلمون**» أن التفسير لمن عرف اللغة جائز، ولا يحتاج إلى سماع معناه من غيره، بخلاف من يقول: لا بد فيه من سماع، وذكر نحوه[2] شيخنا أبو حامد رحمه الله.

وتدل على أنه يستقل بنفسه في باب الدلالة.

وتدل على وجوب التفكر فيه، وذم المعرض عنه.

ويدل قوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ﴾ على شدة إعراضهم عن القرآن، وأنه لا منع على ما تقوله المجبرة؛ لذلك ذمهم ووبَّخهم على هذا القول.

وتدل على كون القرآن حجة، ووجوب العلم والعمل به.

ويدل قوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ﴾[3] أن الرسول يجري على طريقة التواضع دائمًا.

﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا ۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

---

(١) باطن: باطنا، ت، ك.

(٢) في د: ونحوه ذكر. وفي ك كتب فوق لفظة: (وذكر). لفظة: (ونحوه). وما أثبتناه عن ت.

(٣) مثلكم: +، ك.

القراءة

قرأ أبو جعفر: «سَوَاءٌ» بالرفع، وقرأ يعقوب «سَوَاءٍ» بالكسر، وهي قراءة الحسن، وقرأ القراء السبعة بالنصب.

فأما النصب، فقيل: على المصدر، أي: اسْتَوَتْ استواء، وقيل: على الحال.

وأما[1] الكسر فعلى[2] صفة الأيام.

وأما الرفع فعلى الاستئناف والابتداء، أي: هي سواء.

اللغة

النِّدُّ: المثل، وهو النَّدِيدُ، وجمعه: أنداد، وهي الأمثال.

والرواسي: الجبال الثوابت، رسا يرسو: إذا ثبت، ومنه: أرست السفينة.

والاستواء إلى الشيء: القصد إليه، وكل من فرغ من أمر وقصد غيره، فقد استوى له، وحكي الفراء[3] عن العرب: استوى إليّ يخاصمني، أي: أَقْبَلَ عليَّ، وأصل الاستواء: الاستقامة، والقصد: التدبير المستقيم.

والأقوات: جمع قوت[4].

والقضاء: الفراغ من الشيء على التمام، ومنه: قضى القاضي، قال الشاعر:

وعليهما مَسْرُودتان قَضَاهما ... داوُد أَوْ صَنَعُ السَّوَابِغِ[5] تُبَّعُ

والمصابيح: جمع مصباح.

(١) وأما: فأما؛ ت، ك.
(٢) في ت، ك: على.
(٣) في ت: القراء.
(٤) قوت: -، ت، ك.
(٥) في ت: الصوابغ، البيت قائله أبو ذؤيب الهذلي. أنظر: لسان العرب (قضى)، الصحاح (قضى)، القاموس المحيط (قضى).

۞ الإعراب

«أئنكم» ألف استفهام دخلت على الاسم، ومحله الفعل، وتقديره: إنكم لتكفرون.

«وحفظاً» قيل: نصب على تقدير: جعلناها زينة وحفظًا، وقيل: على المصدر، أي: حفظها حفظًا، وقيل: الواو محذوف، أي: زينها بالنجوم حفظًا، وقيل: قال: «طائعين» على كناية ما يعقل؛ لأنه لما أضاف القول إليهما أجراه مجرى مَنْ[1] يعقل ووكل[2] على لفظ الجمع بعد قوله: «قالتا» على تقدير: أتينا نحن طائعين، فقيل: قالتا، ثم قال: «طائعين»، فمرة للتثنية لأن صنف السماء والأرض ثنيان، ومرة للفظ الجمع.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى أدلة التوحيد، فقال سبحانه: «**قُلْ**» يا محمد لهؤلاء الكفار «**أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ**» وهذا تعجب[3]، أي: كيف تستجيزون أن تكفروا بمن هو خالق كل شيء ورب كل حي، «**بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ**» يعني في مقدار يومين «**وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا**» أمثالاً وأشباهًا تعبدونهم، لا يقدرون على شيء «**ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ**» يعني الذي خلق الأرض هو خالق العالمين دون الأنداد «**وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا**» أي: الجبال الثوابت فوق الأرض «**وَبَارَكَ فِيهَا**» أي: في الأرض، قيل: بما خلق فيها من المنافع، التي لا تحصى، وقيل: أنبت أشجارها، عن السدي. «**وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا**» قيل: أرزاقها، عن الحسن، والسدي، وابن زيد، وقيل: قدر فيها أقواتها ما فيه صلاحها، فخلق البر، والبحر، والأنهار، والأشجار، والدواب، وسائر النعم، وقيل: هو المطر، عن مجاهد، وقيل: قدر لكل ناحية ما يكفي أهلها، عن أبي علي، وقيل:

---

(١) من: ما؛ ت، د، ك.
(٢) ووكل: +، ت، ك.
(٣) تعجب: تعجيب؛ ت.

قدر في كل بلدة منها ما لم[1] يجعله في غيرها؛ ليعيشوا بالتجارات، عن عكرمة، والضحاك، وقيل: الحنطة لأهل قُطْرٍ، والشعير لأهل قطر، والتمر لأهل قطر، والسمك لأهل قطر، والذُّرة لأهل قطر، عن الكلبي. «**فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ**» مع اليومين اللذين[2] تقدم ذكرهما، كما يقال: من بغداد إلى الكوفة ثلاثون فرسخًا، وإلى القادسية خمسة وثلاثون فرسخًا، ويراد مع الأولى «**سَوَاءً لِلسَّائِلِينَ**» قيل: مستوية كاملة، ليس فيها نقصان، وقيل: على سواء من الوقت، (خلق الأرض) يعني خلق الأرض في يومين، وخلق الأقوات في يومين «**سواء**» فكل واحد منهما في يومين[3] للسائلين قيل: وكل ذلك بيانًا لما خلق للسائلين، عن الحسن، وقتادة، والسدي، وعن[4] أبي علي، وقيل: للسائلين الله فيها قضاء[5] حوائجهم، أي: لمن يسأل الرزق من السائلين، وقيل: سواء للسائلين وغير السائلين، فإنه خلق الأرض وما فيها لمن سأل، ولمن لم يسأل، وقيل: قَدَّرَ ذلك على قدر مسائلهم؛ لأنه لم يَنْوِ سائلهم إلا وهو عالم به قبل كونه، عن ابن زيد. «**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ**» أي: قصد إلى خلق السماء «**وَهِيَ دُخَانٌ**» قيل: بخار الماء، وقيل: كان بخار الأرض، عن ابن عباس، وقيل: استوى أمره إلى السماء، عن الحسن. «**فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**» أراد به أنه كونهما كما أراد، فكان من غير تعذر وامتناع، ولم يكن هناك خطاب منه لهما، ولا جواب منهما؛ لأنهما كانا معدومين أو جمادين، ومثل ذلك كثير في كلام العرب، كقول الحكيم: سَلْ الأرض مَنْ شق أنهارك، وغرس أشجارك، وأينع ثمارك؟ فإن لم تجبك حوارًا[6] أجابتك اعتبارًا، ولم يرد حقيقة السؤال، وقال الشاعر:

---

(١) ما لم: لما لم، د.
(٢) اللذين: الذين؛ ت، د، ك.
(٣) سواء فكل واحد منهما في يومين: +، ت، ك.
(٤) عن: +، ت، ك.
(٥) +، ت: قضاء: +، ت.
(٦) حوارًا: جوابًا، ت؛ جوازًا؛ د، ك.

امْتَلأَ الحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي   مهلًا[1] رُوَيْدًا قَدْ مَلأْتَ بَطْنِي [2]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]، وقال الشاعر:

فقالت له العينانِ سَمْعًا وطاعةً   وحَدَّرَتَا كالدُّرِّ لمَّا يُثَقَّبِ[3]

وقال آخر:

شَكَا إليَّ جَمَلِي طُولَ السُّرَى   صَبْرٌ جميلٌ فَكِلاَنَا مُبْتَلَى[4]

وقال آخر:

أَلاَ انعِمْ صباحًا أيها الرسمُ وانطِقِ   وحَدِّثْ حديثَ الحيِّ إنْ شئتَ واصْدُقِ[5]

وقال آخر:

سَلِ الرَّبْع أَنَّى[6] يَمَّمَتْ أُمُّ سَالِمٍ[7]   وهَلْ عادةٌ للرَّبْعِ أن يَتَكَلَّمَا[8]

وأمثال تلك كثيرة في أمثال العرب، وإنما قيل ذلك[9]؛ لأنه أبلغ في الإفهام

---

(١) في ت، ك: سبيلاً.

(٢) البيت لم ينسب وفي رواية: سَلاً رويدًا قد ملأت بطني.
انظر تاج العروس (قطط، قول)، لسان العرب (قول).

(٣) انظر تاج العروس (قول)، لسان العرب (قول).

(٤) البيت للملبد بن حرملة؛ أنظر لسان العرب (شكا) وفي رواية اللسان: صبرا جُميلي فكلانا مُبتلى
وفي ت، د، ك: صبرًا جميلاً.

(٥) كلمة ناقصة من البيت، ت، د، ك: واصدق.
البيت قائله أمرؤ القيس وورد في عدة روايات:
ألا أنعم صباحا أيها الربع وانطق   وحدّث حديث الركب إن شئت وأصدق
أنظر ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت ٢٠١٠.

(٦) أنى: أنا، ت، ك.

(٧) في تفسير القرطبي ٥/ ٢١٥: أم طارق.

(٨) البيت قائله حميد بن ثور الهلالي العامري.
انظر ديوان حميد بن نور الهلالي، تحقيق محمد شفيق البيطار، أبو ظبي، ٢٠١٠.

(٩) في ت، ك: ذلك.

والتعظيم، وأفصح في اللفظ، وأحسن في النظم، «**فَقَضَاهُنَّ**» أي: تممهن «**سَبْعَ سَمَوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ**» وفي خبر مرفوع: «إن الله تعالى خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، وخلق الجبال يوم الثلاثاء، وخلق يوم الأربعاء الشجر والماء والعمران والخراب» قيل: أربعة أيام: «خلق يوم الخميس السماء، وخلق يوم الجمعة النجوم والشمس والقمر والملائكة والجن» وقيل: إنما سميت الجمعة لاجتماع خلق السماء والأرض وما فيهما في ذلك الوقت، عن السدي.

ومتى قيل: إذا قدر أن يخلقها [في] طرفة عين، فَلِمَ خلقها[1] في هذه المدة؟

قلنا: ليعتبر بها الملائكة، فإنه أبلغ في الدلالة، وقيل: بل لاعتبار العباد في الإخبار بذلك، وقيل: أراد أن يعلم الملائكة كيفية الترتيب والجمع والتفريق، وقيل: ليعلم عباده أن الأَنَاةَ خير من العجلة.

ومتى قيل: فما معنى إتيانهم؟

قيل: أتت السماء بما فيها من النجوم، وأتت الأرض بما فيها من الأشجار والأنهار والثمار، عن ابن عباس.

«**وَأَوْحَى فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا**» قيل: إلى أهل كل سماء من الملائكة، «**أمرها**»[2]: ما تعبدهم به من أمره ونهيه، وقيل: خلق في السماء الشمس والقمر والنجوم والملائكة، عن قتادة، والسدي، وكان الوحي تكوين هذه الأشياء «**وَزَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصَابِيحَ**» قيل: بالنجوم «**وَحِفْظًا**» لها من استراق السمع من الشياطين «**ذَلِكَ**» أي: ما تقدم ذكره «**تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ**» أي[3] القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، فيفعل ما يشاء «**الْعَلِيمِ**» بجميع الأشياء يخلق بحسب المصلحة، وعلى أحسن نظام وترتيب.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ﴾ أنه تعالى لم يخلق فيهم الكفر؛ إذ لو خلقه لم

---

(١) خلقها: خلقهما، ت.

(٢) كل سماء من الملائكة أمرها: كل سماء أمرها من الملائكة، ت، د، ك.

(٣) أي: +، ت، ك.

يكن للتعجب[(١)] معنًى، ولقالوا: أنت الذي خلقت فينا الكفر، ومنعتنا عن الإيمان، ولولا ذلك لكنا مؤمنين.

وتدل على أنه تعالى إنما يُعْرَفُ بأفعاله، وأن هذه الأفعال دالة عليه، وعلى صفاته، إما بنفسه ككونه[(٢)] قادرًا عالمًا، أو بواسطة، ككونه حيًّا سميعًا بصيرًا.

وتدل على أن العبادة تستحق بهذه النعم؛ لذلك ذم مَنْ عَبَدَ شيئًا لا يقدر على شيء منها.

ويدل قوله: ﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ﴾ أن[(٣)]: خالق هذه الأشياء خالق العالمين.

ومتى قيل: لِم أشار بقوله: «ذلك»، وهم ينكرونه؟

قلنا: كانوا يقرون بالخالق، وقيل: ظهور هذه النعم والدلائل شاهدة على أنه المدبر، وقيل: هو على تقدير الحجة، تقديره: ذلكم الذي خلق هذه هو رب العالمين.

ويدل قوله: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ أن البركات في الأرض، وهي أنواع الثمار والأشجار، وأنواع الجواهر المودعة فيها، وأنواع النعم مما لا يحصى كثرة.

وتدل أنه قدر أقوات العباد حثًّا على الرضى، وتقليل الحرص؛ لأن الحرص لا يزيده إلا كدًّا وتعبًا.

وتدل أنه خلق السماء والنجوم من دخان، فتدل على عظيم قدرته وعلمه.

وتدل أن في كل سماء جماعة من المكلفين، وذلك يدل على ما نقوله أن الجماد لا يخلو من مكلف[(٤)].

وتدل أن السماء الدنيا مختصة بالنجوم دون الأفلاك، خلاف ما يقوله المنجمون.

---

(١) للتعجب: للتعجيب، د.
(٢) في ت: لكونه.
(٣) أن: أي، ت، د، ك.
(٤) وتدل أن في كل.... مكلف: +، ت، ك.

ويدل قوله: «وحفظًا» أنه يحفظ السماء من الشياطين إذا أرادوا استراق السمع؛ لأنه أَبْعَدُ عن إلقاء الشُّبَهِ، وذلك يبطل قول المجبرة: إنه[1] هو الملقي للشُّبَه.

وتدل على أنه عند الخلق للملائكة[2] خَلَق الجن، وأن خلق الآدمي تأخر.

وتدل أن السماء سبع مرات[3]، قال الحسن: الأرضون سبع، بين كل أرض مسيرة خمسمائة عام.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي: «نَحِسَاتٍ» بكسر الحاء، وقرأ الباقون ساكنة الحاء، وهما لغتان، يقال: يوم نَحِس ونَحْس بكسر الحاء وسكونها.

قراءة العامة: «ثَمُود» بالرفع غير محرك[4]، وقرأ الأعمش ويحيى بن وثاب: «ثَمُودٌ» بالرفع والتنوين كل القرآن إلا قوله: ﴿وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ﴾ [الإسراء: ٥٩]، فإنما

(١) في د: وأنه.
(٢) فالخلق للملائكة: خلق الملائكة، ت، ك.
(٣) مرات: +، ك.
(٤) في د: مجرى.

لا يحركانه[(١)]؛ لأنه مكتوب في المصحف بغير ألف، وقرأ ابن أبي إسحاق: «**ثمود**» منصوبًا غير منون؛ لأنه أخف الحركات.

اللغة

الإنذار: التخويف.

الصاعقة: الوقع الشديد من الرعد، وكذلك الصُّعَاقُ، وقيل: هو صوت الرعد الذي يصعق منه الإنسان، والصاعقة: العذاب على أي حال كان، وأصله: الصوت مع النار، يقال: صاعقة وصَعْقَةٌ، قال الفراء: وتميم تقول: صعقة في معنى صاعقة، ويقال: صعقتهم الصاعقة، وأصعقتهم: إذا أصابتهم، والصاعقة مصدر جاء على فاعلة، كالرَّاغِيَة: للإبل[(٢)]، والثَّاغِيَة: للشاء[(٣)]، والصَّاهِلَةِ[(٤)]: للخيل[(٥)].

والصرصر: الشديد الصوت، من الصرير، وريح صرصر: شديد الهبوب، ونظيره في التكرير صل اللجام، فإذا كرر قيل: صلصل، وسمي نهر صرصر بصوت الماء الجاري فيه.

والنَّحْسُ: سبب الشر، كما أن السعد سبب الخير، قال الراجز:

يـومـيـن غَـيْـمَـيْـن ويَـوْمًـا شَـمْـسَـا
نـجـمـيـن بـالـسـعـد ونَـجْـمًـا نَـحْـسَـا

والخزي: الهوان التي يستحيا من مثلها بفضيحة أهلها، خَزِيَ يَخْزَى خِزْيًا، وأخزاه الله إخزاءً، وهو مَخْزِيٌّ.

والهون: الهوان.

---

(١) في د: لا يجريانه.
(٢) للإبل: الإبل؛ د، ت، ك.
(٣) للشاء: الشاء؛ د، ت، ك.
(٤) في د: وربما هله وفي ت: والماهله. وما أثبتناه من تاج العروس ١/ ٦٤٢.
(٥) في ت: الخيل.

۞ الإعراب

ترك إجراء «ثمود»؛ لأنه اسم قبيلة معرفة، ورفع لأجل (أما).

۞ النزول

عن جابر بن عبدالله قال: قال الملأ من قريش: قد التبس علينا أمر محمد، فإن التمستم رجلًا عالمًا بالشعر والسحر والكهانة، فأتاه وكلمه، [ثم أتانا][1] ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيعة: لقد عَلِمْتُ ذلك وما يخفى عليّ شيء، فأتاه فقال: يا محمد لِمَ تشتم آلهتنا، وتضلل آباءنا؟ فإن كان ذلك لرئاسة عقدنا لك، فكنت رأسًا لنا ما بقيت، وإن كان لامرأة زوجناك، وإن كان لمال جمعنا لك ما تستغني به، ورسول الله ﷺ ساكت، فلما فرغ قال: «اسمع»، وتلا هذه السورة، فلما بلغ إلى قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ﴾ الآية، أمسك عتبة على فيه، وناشده بالرحم، ورجع إلى قومه وأهله، ولم يخرج إلى قريش، فقال أبو جهل: قد صبأ عتبة، فقال: لا، ولكن سمعت كلامًا ليس هو بشعر، ولا كهانة، ولا سحر، فقرأ السورة إلى قوله: ﴿صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ﴾، فأمسكت على فيه، وناشدته الرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمدًا إذا قال شيئًا لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب.

۞ المعنى

ثم عقب دلائل التوحيد بذكر الوعد والوعيد، فقال سبحانه: «**فَإِنْ أَعْرَضُوا**» يعني أعرض هؤلاء عنك وعما جئت به، ولم يؤمنوا «**فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ**» خوفتكم[2] «**لصَاعِقَةً**» أي: عقوبة[3] «**مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ**».

ومتى قيل: كيف خوفهم به، ولم ينزل في أمته؟

قلنا: الإنذار بشرط الإصرار، ولم يصروا.

---

(١) +، الثعلبي، الكشف والبيان، ١٢/٩، الألوسي، روح المعاني، ١٨/١٧٦.

(٢) خوفتكم: -، ت.

(٣) أي عقوبة؛ في ت: خوفتكم عقوبة.

وقيل: الصاعقة أمر يعظم محله يحل بهم، وقد نزل بهم يوم بدر.

وقيل: التخويف بما لا يقع يجوز.

«**إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ**» يعني عادًا وثمود[1] «**مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ**» قيل: من قَبْلِهِمْ ومن بعدهم، ونقلت أخبارهم إليكم، وقيل: إمام بلدهم[2] في أمة، ومن خلفهم في أمة أخرى، أخبر عن إحاطة الرسل بهم، وعلى هذا الهاء والميم في (قبل) و(خلف) كناية عن القوم. وقيل: قبل زمانهم وبَلَغَهُمْ خبره، وبعد زمانهم في سائر الأزمنة، وقيل: الهاء والميم في (أيديهم) كناية عن القوم، ومن خلفهم كناية عن الرسل، تقديره: جاءت الرسل من بين أيدي القوم، وهو ما بعث في أيامهم، ومن خلف الرسل أرسلنا رسلاً أُخر «**أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ الله قَالُوا**» يعني الكفار للرسل «**لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لأَنزَلَ مَلاَئِكَةً**» رسلاً إلينا، فأما أنتم فلستم برسل؛ ولكن بشر مثلنا «**فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ**» «**فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**» أي: ترفعوا عن قبول الحق، وأنفوا عن اتباع الرسل، وذلك لوجوه:

أحدها: ترك النظر.

وثانيها: اتباع الآباء.

وثالثها: الإلف والعادة.

ورابعها[3]: حب الرئاسة.

والخامس: إلقاء شبه المبتدعين.

«**وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً**» يعني نحن أقوى الخلق، فنغالب الرسل، وكانوا ذوي أجسام طوال وقوة عظيمة، فقال سبحانه: «**أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ الله الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً**» يأخذهم متى شاء؛ لأنهم قادرون بقدرة متناهية على مقدورات متناهية في

---

(١) ثمود: ثمودًا، د.

(٢) إمام بلدهم: أما بلدهم، د؛ من بين أيديهم؛ ت، ك.

(٣) ورابعها: والرابع، ك.

كل وقت، وهو تعالى قادر على ما يشاء، وعلى ما لا يتناهى من الأعداد، وسائر الأجناس لذاته «**وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**» أي: يكذبون[1] «**فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا**» أي: باردة شديدة الهبوب والصوت، عن السدي. وقيل: باردة، عن قتادة. وقيل: شديدة السموم، عن مجاهد. «**فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ**» قيل: مشؤومات[2]، عن مجاهد، وقتادة، والسدي، وأبي علي. وقيل: نحسات باردات، عن أبي مسلم. وقيل: نحسات ذات غبار وتراب، حتى لا يكاد يبصر الناس أحدًا، عن أبي علي. قيل: وأمسك الله تعالى عنهم المطر ثلاث سنين، ودامت الرياح من غير مطر، عن الضحاك. «**لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**» أي: عذاب الفضيحة[3] والذل «**وَلَعَذَابُ الآخِرَةِ أَخْزَى**» أشد في الفضيحة «**وَهُمْ لاَ يُنْصَرُونَ**» أي: لا يلحقهم غوث[4] ونصرة من أحد «**وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ**» أي: دللناهم وَبيَّنَّا لهم الحق، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والسدي. «**فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى**» يعني اختاروا الكفر على الإيمان «**فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ**» مهلكة «**الْعَذَابِ الْهُونِ**» أي: ذي الهوان، يعني نُمِيتُهُمْ بذلك «**بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ**» أي: لم نَبْتَدِئْهُمْ بالعذاب؛ بل فعل بهم ذلك بعد الاستحقاق.

ومتى قيل: إذا عم المكلفين بالهدى، فما معنى تخصيص ثمود؟

قلنا: قيل: خصهم لأجل الناقة التي أتتهم على الوجه الذي التمسوه.

«**وَنَجَّيْنَا**» خلصنا من العذاب «**الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ**».

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا﴾ على وجوب النظر في الأدلة، فلذلك ذمهم على الإعراض.

(١) أي يكذبون: +، ت.
(٢) مشؤومات: مسمومات، ت.
(٣) في ت، ك: القيامة.
(٤) في ت: عون.

ويدل قوله: ﴿ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ﴾ أن الهدى هو الدلالة والبيان.

وتدل على أن المعارف مكتسبة؛ لذلك قال: ﴿فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى﴾.

وتدل على أن العبد يفعل لولا ذلك لَمَا صح أن يختار شيئًا على شيء.

وتدل على أنه يقدر على الضدين؛ لذلك صح وصفه بأنه مختار فِعْلٍ على فعل.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ (١٩) حَتَّى إِذَا مَا جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٢٠) وَقَالُوا لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا أَنْطَقَنَا اللَّهُ الَّذِي أَنْطَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ (٢١) وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَا أَبْصَارُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ (٢٢) وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا فَمَا هُمْ مِنَ الْمُعْتَبِينَ (٢٤)﴾.

القراءة

قرأ نافع ويعقوب: «نَحْشُرُ» بالنون «أَعْدَاءَ» بالنصب، أضاف الحشر إلى نفسه، وقرأ الباقون: «يُحْشَرُ» بالياء وضمها، «أَعْداءُ» بالرفع على ما لم يسم فاعله؛ لأن ذلك أفخم.

وقراءة العامة: «يَسْتَعْتِبوا» بفتح الياء والتاء الأولى، وكسر التاء الثانية، أي: يطلبوا العتبى، ويسترضوا «فما هم من المُعْتَبِينَ» بفتح التاء، وقرأ عمرو بن عبيد: «وإن يُسْتَعْتَبُوا» بضم الياء وفتح التاء الأولى والثانية على ما لم يسم فاعله[(١)] «فماهم من المُعْتِبين» بكسر التاء، يعني إن سئلوا أن يعملوا ما يرضون به ربهم[(٢)] فماهم من المُعْتِبين أي: من القادرين على إرضائه؛ لأنهم فارقوا دار التكليف.

(١) في د: فاعله ما يرضون به ربهم.

(٢) ما يرضون به ربهم: +، ت، ك.

اللغة

الحشر: الجمع، ومنه: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧].

والإيزاع: المنع عن التفرق إلى جهة اليمين والشمال، وأصل الباب: المنع، وَزَعَ يَزَعُ، وعن الحسن: لا بد للناس من وَزَعَةٍ، وهم الذين يزعون الناس بعضهم من بعض، والواحد[1]: وازع، ومنه: «ما يزع السلطان أكثر مما يزع القرآن».

والجلد[2]: غشاء البدن الذي جعل يحجز منه لتقوية البدن، وأصله: التقوية، ومنه: فلان يتجلد على الضرب، وهو جَلَدٌ على أمره.

والاستتار: الاختفاء، وأصله من الستر، سترت الشيء سَتْرًا، والسترة: ما استترت به، وكذلك الستارة، فإذا أسقطت الهاء فهو الستار.

والردى: الهلاك له[3]، أَرْدَاهُ: أهلكه، ورَدِيَ يَرْدَى رَدًى إذا هلك، قال الأعشى:

أَفِي الطَّوْفِ خِفْتِ عَلَيَّ الرَّدَى ... وكَمْ مِنْ رَدٍ أهلَهُ لَمْ يَرِمِ[4]

الاستعتاب: طلب الرضا، عتب عليه: سخط، وأعتب: أرضى، واستعتب: استرضى، وأصل العتاب عند العرب: استصلاح الجلد بإعادته في الدباغ، ثم استعمل فيما يستعطف به بعضهم[5] بعضًا، ويعيدون ما كان من الألفة[6]، وعاتب إليه: شكا إليه.

---

(١) في ت: والواعد.
(٢) في ت، د: جلدًا.
(٣) له: +، ت، ك.
(٤) أنظر ديوان الأعشى في قصيدة مطلعها:
أتهجر غانية أم تلم ... أم الحبل واهٍ بها منجرم
والبيت في رواية أخرى: وكم من هالك أهله لم يحرم.
(٥) بعضهم: البعض؛ ت، د، ك.
(٦) في ت: الأنفة.

الإعراب

﴿أَن يَشْهَدَ﴾ قيل: موضعه نصب بإسقاط (من)، أي: ما كنتم تستترون من أن تشهد عليكم.

والواو في «ويوم عطف» على ما تقدم من العذاب في الدنيا، تقديره: فتلك حالهم فيما عذبناهم في الدنيا، ويوم يحشرون نفعل بهم كذا.

النزول

عن ابن مسعود: إني لمستتر بأستار الكعبة إذ جاء ثلاثة نفر، وتحدثوا، فقال أحدهم: أترون الله يسمع ما نقول، فقال الآخر: إذا رفعنا أصواتنا يسمع، وإذا خفضنا[١] لم يسمع، فقال الآخر: إن كان يسمع إذا رفعنا يسمع إذا خفضنا[٢]، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فنزلت الآية.

المعنى

ثم بَيَّنَ حال الكفار يوم القيامة، فقال سبحانه: «وَيَوْمَ يُحْشَرُ» أي: يجمع من قبورهم ومن سائر البقاع «أَعْدَاءُ الله» وهم الكفار والعصاة «إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ» قيل: يحبسون أولهم على آخرهم، أي: يتلاحقون، عن قتادة، والسدي، وقيل: يسحبون من ورائهم، ويجمعون من بين أيديهم، ويمنعون من التفرق، عن أبي علي، وقيل: يطردون، ويساقون معجلاً بهم إلى النار، عن أبي مسلم، وقيل: ملائكة تسوقهم سوقًا عنيفًا، وملائكة أخرى يحبسونهم في موضع الحساب، فإذا جاءوا عرصة القيامة وموضع الحساب استشهدوا عليهم جَوارحَهُمْ، قال الله تعالى: «حَتَّى إِذَا مَا[٣] جَاءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَارُهُمْ» بما سمع ورأى، فتنطق جلودهم، قيل: أراد الفروج فَكَنَّى، وقيل: أراد الجلود المعروفة تشهد بما باشرت.

---

(١) خفضنا: خففنا، ت، ك. .
(٢) خفضنا: خففنا، ت، ك.
(٣) ما: -، ت، ك.

ومتى قيل: كيف تشهد الجوارح؟

قلنا: يجوز فيه وجهان:

أحدهما: أن تبنى بنية الحيوان، وتعطى آلة النطق، وتلجأ إلى الشهادة.

والثاني: أن يخلق فيها الشهادة، وتضاف إليها مجازًا، والأول أقرب.

ومتى قيل: وما الفائدة في شهادة الجوارح؟

قلنا: زيادة في فضيحتهم، وقيل: إظهارًا للعدل، وقيل: لقرب جوارحه إليه فتكون أعظم، كشهادة القريب على قريبه.

«**وَقَالُوا**» يعني الكفار «**لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدْتُمْ عَلَيْنَا قَالُوا**» يعني الجوارح، وأجرى الكناية مجرى كناية من[1] يعقل؛ لأجل النطق «**أَنطَقَنَا اللهُ الَّذِي أَنطَقَ كُلَّ شَيْءٍ**» أي: أعطانا آلة النطق والقدرة على النطق «**وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ**» أي: كما قدر على خلق جميع الأشياء قدر على إنطاق الجوارح «**وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ**» قيل: إلى حكمه وجزائه بعدما شهدوا عليه، وقيل: معناه هذا أوان رجوعكم إليه «**وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ**» قيل: تستحيون، عن السدي، وجماعة، وقيل: ما كنتم تسترون معاصيكم عن أنفسكم، كما كنتم تستترون عن الخلق، لأن الإنسان لا يمكنه أن يستر عن نفسه كما يستر عن غيره، وقيل: تستترون: تتقون، عن مجاهد، وقيل: تظنون، عن قتادة. «**أَنْ يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلاَ أَبْصَارُكُمْ وَلاَ جُلُودُكُمْ وَلَكِنْ ظَنَنْتُمْ أَنَّ اللهَ لاَ يَعْلَمُ كَثِيرًا مِمَّا تَعْمَلُونَ**»[2] أي: بجهلكم[3] بالتوحيد ظننتم أن أعمالكم تخفى على الله «**وَذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ**» أي: هذا الظن منكم بالله «**أَرْدَاكُمْ**» أي: أهلككم «**فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**» بذلك يوم القيامة، وقيل: ظنكم[4] أن القيامة لا

(١) +، من: ما، د؛ مالا، ت، ك..

(٢) مما تعملون: مما كنتم تعملون، ت.

(٣) بجهلكم: لجهلكم، ت.

(٤) ظنكم: ظنهم، ت، د، ك.

تقوم، وأن الجوارح لا تشهد عليكم «فَإِنْ يَصْبِرُوا فَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ» يعني إن أمسكوا عن الاستغاثة لفرج ينتظرونه فلا يلحقهم ذلك، ويكون في النار مقامهم، عن أبي مسلم، وقيل: فيه محذوف، يعني إن يصبروا أو لا يصبروا فالنار مثوى لهم «وَإِنْ يَسْتَعْتِبُوا» أي: يطلبوا أن يرضى الله عنهم «فَمَا هُمْ» بمرضيٍّ عنهم، والمعتب الذي قُبِلَ عتابه، وأجيب إلى ما سأل.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أن الجوارح تشهد وتنطق، ولا معنى للعدول[1] عن الظاهر، مع أنه لا مانع منه.

وتدل[2] على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم، لتصح الشهادة عليهم.

وتدل[3] أن القوم كانوا جاهلين بالله وصفاته، لولا ذلك لما ظنوا به هذا الظن، فتدل على أن المعارف مكتسبة.

وتدل[4] على أن الظن مذموم في باب التوحيد وأصول الدين.

ومتى قيل: أليس روي في حسن الظن بالله؟

قلنا: ذلك يبتني على العلم، فإن من علمه رحيمًا كريمًا ظن لعلمه أنه يرحمه[5].

وقيل: أراد بالظن العلم[6] بما يقتضي حسن الظن، كما روي عن الحسن أن قومًا ألهتهم أماني المغفرة حتى خرجوا من الدنيا، وليست لهم حسنة، يقول أحدهم: أُحْسِنُ الظن بالله. كَذَبَ، لو أحسن الظن به لأَحْسَنَ العمل.

---

(١) للعدول: لعدول، ت.
(٢) وتدل: ويدل، ت.
(٣) وتدل: ويدل، ت.
(٤) وتدل: ويدل، ت.
(٥) لعلمه أنه يرحمه: لعله يرحمه، ت، ك.
(٦) العلم: -، ت.

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ ۖ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

القراءة

قراءة العامة: «**والْغَوْا**» بفتح الغين من لَغَى يَلْغَى، نحو: طَغَى يَطْغَى، وقرأ عيسى بن عمر بضم الغين، لغا يلغو مثل: دعا يدعو.

قراءة العامة: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ ۖ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ﴾ وعن ابن عباس: «جزاء أعداء الله النار دار الخلد» ترجم بالدار عن النار، وهو تقدير الآية، وهذا محمول على أنه قدر الآية به، لا أنه قراءة.

قرأ ابن كثير وابن عامر وأبو بكر عن عاصم: «**أَرْنَا**» بسكون الراء، الباقون بكسرها، إلا أن أبا عمرو يختلس[1] ولا يشبع.

اللغة

القَيْضُ: أصله البدل، قايضت كذا بكذا، أي: بادلته وعاوضته، ومنه: المقايضة في البيع شبه المبادلة، ومنه: هذا قَيْضٌ لكذا[2]، وقِيَاضٌ، أي: مساو،

(١) يختلس: يخس، ت، ل؛ يخلس، د.

(٢) قيض لكذا: يقيض بكذا، ت.

و﴿نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا﴾ [الزخرف: ٣٦] أي: جعلناه مساويًا له[1] بالتخلية، ومنه: القيض التمثيل.

واللغو: ما لا معنى تحته من الكلام. واللغو: الطرح.

والغلبة: العلو على الخصم وقهره، غَلَبَهُ يَغْلِبُهُ غلبًا.

۞ الإعراب

(جَزَاءً) نصب[2] على المصدر، أي: جزاهم الله بذلك جزاء.

و(النار) رفع بمحذوف، أي: هو النار، وقيل: هو بدل من الجزاء الأول، وهو مرفوع.

۞ النزول

قيل: كان بعض المشركين يوصي بعضهم فيقول: إذا رأيتم محمدًا يقرأ فعارضوه بالرجز والأشعار، فنزلت الآية، عن ابن عباس.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ حالهم، فقال سبحانه: «وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَاءَ» بالتخلية والتمكين، يعني لما كفروا، واستبدلوا بالأنبياء والمؤمنين شياطين الإنس والجن صاروا[3] قرناء لهم، وأضافه إلى نفسه؛ لأنه كان عند تخليته، وهذا كمن ترك العلم واشتغل بالسرقة مع اللصوص، فيصير[4] اللصوص بدلاً من العلماء له قرناء، وتقديره: خلينا بينهم وبين قرناء السوء امتحانًا فتبعوهم، قال الحسن: خلينا بينهم وبين الشياطين بما استوجبوا من الخذلان، وقيل: التقييض: إحواج البعض إلى[5] البعض ليصير بعضهم قرين

---

(١) مساويًا له: متناولاً له، ت.
(٢) جزاء: وجب نصب جزاء، د.
(٣) صاروا: وصاروا، ت، د، ك.
(٤) فيصير: فيصر، ت.
(٥) إلى: من، ت، د، ك.

بعض، كما أحوج الغني إلى الفقير في أعماله، والفقير إلى الغني في ماله ونحو ذلك، فأحوج كل واحد إلى غيره ليتعاونوا على طاعته، فتركوا أمره، وتعاونوا على معصيته «قُرَنَاء» نظراء «**فَزَيَّنُوا لَهُمْ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ**»، قيل: «**ما بين أيديهم**» من أمر الدنيا زينوه لهم حتى آثروه وعملوا لها «**وَمَا خَلْفَهُمْ**» من أمر الآخرة دعوهم إلى التكذيب به وإنكار البعث، عن الحسن، والسدي، وقيل: رغبوهم في الدنيا وزهدوهم في الآخرة، وقيل: زينوا لهم، وقيل أهل[1] الفساد الذي في زمانهم، وفعل من كان قبلهم، وقيل: ما بين أيديهم: ما عملوا، «**وما خلفهم**»: ما عرفوا أن يعملوه، وقيل: زينوا لهم ما ارتكبوا من المعاصي، وما خلفهم من أمر المعاد فكذبوا، عن أبي مسلم. وقيل: زينوا لهم إنكار البعث في الآخرة، وإنكار النبوة في الدنيا، وقيل: ما قدموا من أفعالهم السيئة حتى ارتكبوها، وما أسسوه[2] لغيرهم من بعدهم، وقيل: أرادوا[3] النعيم، أي: لم يدعوا وجهًا من المعاصي إلا صيرها[4] إليهم «**وَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ**» أي: وجب عليهم وعيده بالعذاب الذي أخبر أنه يعذب به من عصاه، وقيل: «**حق**» بمعنى المستحق للوعيد، عن أبي مسلم، كما حق على أمم مضوا، وقيل: «**في أُمَم**» مع أمم، وقيل: صاروا في أمم أمثالهم كذبوا كتكذيبهم «**قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم**»[5] أي: مضوا قبل هؤلاء، وانقرضوا «**مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ**» خسروا الجنة ونعيمها، واستحقوا العقاب «**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا**» هذا عطف على ما تقدم من ذكر الكفار، يعني أولئك قالوا ما تقدم، وهؤلاء قالوا هذا القول «**لاَ تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ**» لما عجزوا عن معارضته عدلوا إلى التواصي بترك استماعه، والإلغاء فيه عند قراءته «**وَالْغَوْا فِيهِ**» قيل: التخليط في القول، والمُكَاء والصفير، عن مجاهد، وقيل: الرجز والشعر، عن ابن عباس، وقيل: الضجيج والصياح، وقيل: أكثروا الكلام؛ لتخلطوا عليه ما يقرأ، عن الضحاك، وقيل: صيحوا في وجهه، عن السدي، وقيل: ارفعوا

(١) +، وقيل أهل: ت، ك.
(٢) وما أسسوه: وما نسبوه، ك.
(٣) أرادوا: أراد، ت، د، ك.
(٤) إلا صيرها: إلا جبوها، ت، ك.
(٥) وقيل في أمم... قبلهم: +، ت، ك.

أصواتكم بالشعر والكلام؛ حتى تلبسوا عليهم ليسكتوا[1]، عن مقاتل، وقيل: عيبوه والغوا فيه، عن أبي العالية. «**لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**» قيل: لتغلبوا محمدًا على قراءته، وقيل: لا تُعلم[2] قراءته فتكونوا أنتم الغالبين عليه «**فَلَنُذِيقَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ**» أي: لنكافئنهم «**أَسْوَأَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ**» قيل: نجازيهم على أعمالهم السيئة، وهي المعاصي، عن أبي علي، وقيل: نجازيهم بأسوأ من ذلك، وسماه أسوأ على المقابلة، كقوله: ﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ﴾ [الشورى: ٤٠] وقيل: لأنه يسوء صاحبه «**ذَلِكَ** يعني العقاب المتقدم ذكره «**جَزَاءُ أَعْدَاءِ اللهِ**» وهم العصاة «**النَّارُ**» يعني ذلك الجزاء «**لَهُمْ فِيهَا**[3] **دَارُ الْخُلْدِ**» أي: في النار يدوم ذلك عليهم «**جَزَاءً بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ**».

«**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا رَبَّنَا أَرِنَا الَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ**» يعني إذا أخذهم العذاب وعلم الأتباع أن البلاء حل بهم بسبب المتبوعين[4] الذين أضلوهم، فقالوا هذا القول، وتمنوا أن يريهم، وقيل: «**الذين أضلانا**»، قيل: أراد إبليس من الجن، وقابيل الذي قتل أخاه من الإنس؛ لأنهما أساس الفساد، وقيل: أراد الدعاة إلى الضلال وأئمة الكفر والبدع «**نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا**» في النار «**لِيَكُونَا مِنَ الأَسْفَلِينَ**» أي: في الدرك الأسفل فيكون عذابهما أشد.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**فزينوا**» أن القرناء زينوا المعاصي لهم، وذلك يبطل قول المجبرة: إن الله هو الذي زين.

وتدل على التحذير من قرناء السوء.

ويدل قوله: ﴿تَسۡمَعُواْ﴾ أن النبي ﷺ كان يحتج عليهم بالقرآن، ويتحداهم به؛ لذلك منعوا من استماعه.

---

(١) ليسكتوا: فيسكتوا، ت، ك.
(٢) –، لا تُعلم: يعلم به، د، ك؛ يعلم، ت.
(٣) –، لهم فيها: لهم فيها النار، د، ك.
(٤) بسبب المتبوعين: بسببه، ت.

وتدل على قبح مقابلة الحجة بالسفه، واللهو صنيع المجبرة والمشبهة مع أهل العدل.

وتدل على أن الجن يموتون كالإنس؛ لذلك قال: «خلت».

ويدل قوله: ﴿ذَٰلِكَ جَزَآءُ﴾ أن العقاب يَسْتَحَقُّ على الأعمال.

ويدل قوله: ﴿رَبَّنَآ﴾ أن الإضلال من الإنس والجن، خلاف ما تقوله المجبرة.

وتدل على[1] أنه تعالى لم يخلق فيهم الكفر والضلال؛ إذ لو كان[2] خلق ذلك لما كان لإضلالهم تأثير.

وتدل على وجوب اتباع الدليل دون الرؤساء.

وتدل آخر الآية أن عذاب أهل النار يتفاضل على قدر الاستحقاق.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا
تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا
وَفِى ٱلْأَخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا
مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ
إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا
ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا
يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

اللغة

الاستقامة: الاستمرار على الطريقة المستقيمة، يقال: أقام واستقام، كما يقال: أجاب واستجاب.

---

(١) على: -، ت.

(٢) كان: -، ت، ك.

والولي: القريب النصرة لغيره، ومنه: ولي المرأة.

والحميم: القريب الذي يحمي صاحبه، حمى يحمي، وحِمَى الله مَحَارِمُهُ.

والنُّزُل: الرَّيْعُ والنيل، والنزل: ما يقيمه لضيفه إكرامًا له، والنزل: الذي يتقرب إليه[1] به من الطعام، يقال: أقمت للقوم نُزُلَهُمْ، أي: هيأت ما يصلح[2] أن ينزلوا عليه من القِرَى.

تَدَّعُون: «افتعال» من دعوت «ادَّعَى»، يَدَّعِي ادِّعَاءً، وأصله ادتعاء، قلبت التاء دالاً فصار ادْدِعاء[3]، ثم أدغم أحد الدالين في[4] الأخرى فصار ادَّعى.

وفي تكرير (لا) في قوله: ﴿وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ﴾ قولان:

أحدهما: صلة وتأكيد، كقول الشاعر:

مَا كَانَ يُرْضِي رَسُولُ الله فِعْلَهُمُ ... والطَّيِّبانِ أَبُو بَكْرَ ولا عُمَرُ[5]

الثاني: لتحقيق عدم المساواة، كأنه قيل: لا يساوي ذلك هذا ولا ذاك[6]، فهو ينفي المساواة.

والتلقي: أخذ الحديث من غيره، تلقيت الحديث منه: أخذته، قال المؤرج[7]: تلقى: قَبِلَ.

الإعراب

«نزلاً» نصب على المصدر، وقيل: على تقدير: جعل ذلك نزلاً[8]، وقيل: أنزلكم ربكم فيما تشتهون نزلاً.

---

(١) إليه: +، ت.
(٢) ما يصلح: ما يصلحوا، ت.
(٣) اددعا: أدعى، ت، ك.
(٤) في: مع، ت، ك.
(٥) البيت قائله جرير، انظر الديوان.
(٦) ولا ذاك: -، ت.
(٧) المؤرج: المزوج، د؛ المروح، ك؛ المورخ، ت.
(٨) نزلا: نزولاً، ك.

والهاء في قوله: ﴿وَمَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ كناية عن الخصلة، أي: ما يلقى الخصلة المذكورة، أو السيرة المتقدمة، وقيل: كناية عن الأعمال الصالحة.

۞ النزول

روى ثابت عن أنس أن النبي ﷺ قال لما نزل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ﴾ الآية: «هم[١] أمتي[٢] ورب الكعبة».

وعن مقاتل أن قوله: ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ﴾ نزلت في أبي سفيان بن حرب كان يؤذي رسول الله، ثم صار له وليًّا وصهرًا، تزوج بابنته رملة[٣] أم حبيبة، وليس في الظاهر ما يدل عليه، وأبو سفيان لم يكن وليًا قط، وقد قال يوم عثمان: إني لأرجو أن يعود ديننا كما عاد الملك إلينا، وقال يوم السقيفة لعلي ما قال، يحثه على محاربة أبي بكر حتى زجره علي، وعلم غشه له وللإسلام[٤].

۞ المعنى

لما تقدم وعيد الكفار عقبه بوعد المؤمنين على عادته في الجمع بين الوعد والوعيد، فقال سبحانه: «**إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا الله ثُمَّ اسْتَقَامُوا**» اختلف المفسرون فيه على أقوال، قيل: استمروا على أنه دينهم، أي: على الدين، وثبتوا على اعتقاد التوحيد والعدل، وعلى طاعته، واجتناب معصيته، عن الحسن، وقتادة، وابن زيد، وأبي علي، وقيل: استقاموا على ما توجبه الربوبية من عبادته، عن أبي مسلم، وعن عمر قال في خطبته: استقاموا على الطريقة والله بطاعته، ثم لم يروغوا روغان الثعلب، وقيل: لم يشركوا به، عن أبي بكر الصديق. ومعنى هذا أن يستقيم على الدين ولا ينقص أصله بفرع، فإذا قالوا: لا شبه له، لم يثبتوا له مكانًا ولا[٥] جهة،

(١) هم: +، تفسير القرطبي ١٥/ ٣١١.
(٢) في د، ك: امس. وفي ت: أنس. وما أثبتناه من تفسير القرطبي ١٥/ ٣١١.
(٣) رملة: ويله، ت، د.
(٤) وللإسلام: +، ت، ك.
(٥) ولا: +، ت.

ولم يصفوه[(١)] بالأعضاء الخمسة، وإذا قالوا: إنه واحد، لم يثبتوا معه قديمًا آخر، وإذا قالوا: إنه عدل حكيم، لا يضيفوا[(٢)] إليه القبائح، وإذا قال: إنه صادق، لا يجوز عليه الخلف في الوعد والوعيد، وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «لعن الله اليهود قالوا: ربنا الله، ثم لم يستقيموا، قالوا: عزير ابن الله، ولعن الله النصارى، قالوا: ربنا الله، ثم لم يستقيموا، قالوا: المسيح ابن الله، ولعن الله المشركين قالوا: ربنا الله، ثم لم يستقيموا، قالوا: الملائكة بنات الله، ورحم الله أمتى، قالوا: ربنا الله، ثم استقاموا ولم يشركوا به» وقيل: استقاموا على أداء فريضته، عن ابن عباس، [وعن عثمان: اخلصوا العمل لله][(٣)] وعن[(٤)] سفيان تولوا على وفاق ما قالوا، وقيل: استقاموا على شهادة أن لا[(٥)] إله إلا الله حتى لحقوا بالله، عن مجاهد، وعكرمة. وقيل: أعرضوا عما سوى الله، عن الربيع، وقيل: استقاموا فعلاً كما استقاموا قولاً، وقيل: استقاموا إسرارًا كما استقاموا إقرارًا.

وروي أن النبي ﷺ قرأ القرآن وبكى، فقيل له: أتخاف ممن بعثك؟ فقال: «نعم، إني قد بعثت على طريق مثل حد السيف، إن استقمت نجوت، وإن زِغْتُ هلكت».

«**تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ**» عند الموت، عن مجاهد، والسدي، وقيل: إذا خرجوا من قبورهم تستقبلهم الملائكة بهذا القول، عن الحسن، وقتادة، وقيل: في القيامة، عن أبي علي و[(٦)] أبي مسلم، وقيل: البشرى تكون في ثلاثة مواطن: عند الموت، وفي القبر، وعند البعث، عن وكيع بن الجراح. «**أَلَّا**[(٧)] **تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا**» قيل: الخوف يتناول المستقبل، والحزن يتناول الماضي، وهذا نهاية المطلوب، ألا[(٨)]

---

(١) ولم يصفوه: ولا يصفوه؛ ت، د، ك.
(٢) يضيفوا: يضيف، ت، د، ك.
(٣) أثبتناه من روح المعاني ٢٤/ ١٢٠، القرطبي ١٥/ ٣١١، وفي ت، د، ك؛ وعثمان.
(٤) وعن: عن، ت، د، ك.
(٥) أن لا: في د، ك: ألا.
(٦) أبي علي و: +، ت، ك.
(٧) ألا: أن لا، ت، ك.
(٨) ألا: أن لا، ت، ك.

تحزنوا على ما مضى، ولا تخافوا فيما يستقبل، وقيل: لا تخافوا على ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، ولا تحزنوا على ما خلفتم[1] في دنياكم من أهل وولد، فإنا نخلفكم في ذلك، عن مجاهد. وقيل: لا تخافوا ولا تحزنوا على ذنوبكم فإني أغفرها لكم، عن عطاء بن أبي رباح، وقيل: لا تخافوا فسعيكم مشكور، ولا تحزنوا فذنبكم مغفور «**وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ**» على ألسنة الرسل وفي الكتب، وهذه[2] البشرى تتضمن غاية الأماني «**نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ**» أي: وتقول الملائكة لهم، قيل: هم الحفظة، عن السدي، وقيل: ملائكة البشارة «**نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ**» قيل: كنا معكم في الدنيا، ولا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة، عن مجاهد، وقيل: كنا نتولى حفظكم في الدنيا بأنواع المعونة، وفي الآخرة بأنواع الإكرام «**وَلَكُمْ فِيهَا**» في الجنة «**مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ**» من أنواع النعم «**وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ**» تسألون وتريدون، وقيل: معناه: ما تَدَّعُون أنه لكم فهو لكم بحكم ربكم «**نُزُلاً**» أي: رزقًا «**مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ**» من الله الذي يغفر الذنوب، ويرحم بإدخال الجنة، وقيل: رحيم يقبل توبتكم ويترك معاصيكم، قال الحسن: أرادوا أن ذلك من الله ليس منا. «**وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلاً مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللهِ**» أي: لا قول أحسن من قول من دعا إلى الله، إلى توحيد الله وعدله ببيان الأدلة وحل الشُّبَهِ، وقيل: إلى طاعته، وقيل: هذا الداعي هو النبي ﷺ، عن ابن زيد، والسدي، وقيل: جميع الأئمة والدعاة إلى الحق، عن مقاتل، وجماعة من المفسرين، وقيل: هم المؤذنون، عن عائشة، وعكرمة. والصحيح أنه على العموم، وإنما كان أحسن الأقوال؛ لما فيه من منفعة المدعو.

ومتى قيل: فَلِمَ لَمْ يشترط قبول المدعو؟

قلنا: لأن قبوله فعله، فإذا لم يقبل فالداعي قد فعل ما عليه.

«**وَعَمِلَ صَالِحًا**» صلى ركعتين بين الأذان والإقامة، عن أبي أمامة الباهلي، والأول الوجه؛ لأنه عام «**وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ**» قيل: من المنقادين يقول: أنا على دين محمد، وملة إبراهيم فيما أدعوكم إليه، ولست ممن يأمرون الناس بالبر وينسون

(١) ما خلفتم: ما خلفكم، ت.

(٢) وهذه: وهذى، ت؛ وهذا، ك.

أنفسهم، وقيل: ذلك إخبار عما مضى، وقيل: بل إخبار عن الحال، «**وَلاَ تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلاَ السَّيِّئَةُ**» قيل: التأنيث مصروف إلى المعنى، يعني لا تستوي الملة الحسنة التي هي الإسلام، والملة السيئة التي هي الكفر، وقيل: لا يستوي قول الداعي إلى الحق، وقول الداعي إلى الضلال، وقيل: لا تستوي الأعمال الحسنة ولا القبيحة، وقيل: أراد الدعاء على أحسن الوجوه، فإنه أقرب إلى القبول.

ثم بَيَّنَ ما يلزم الداعي في[١] الدعاء من الرفق بالمدعو، فقال ـ سبحانه ـ: «**ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ**[٢]» يعني ادفع بحسن القول كيدهم وأذاهم، وقيل: الحسنة: المداراة، والسيئة: الغلظة، يعني لا تقابلهم بمثل فعلهم، فإذا فعلت ذلك «**فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ**» يعني بعدما كانوا أعداءك يصيرون أولياءك، «**ولي**» صديق، «**حميم**» قريب، وقيل: ولي من أقاربك، أو قريب من أقربائك، وقيل: كأنه ولي في الدين حميم في النسب «**وَمَا يُلَقَّاهَا**» أي: ما يُرَاها ويعطاها، وقيل: لا يوفق لاحتمال الأذى من المخالفين إلا مَنْ له الصبر، وقيل: لا يوفق لهذه الخصلة إلا من له الصبر في الدين «**وَمَا**[٣] **يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**» قيل: حظ عظيم أي: نصيب من الثواب، وقيل: ذو حظ عظيم في الحزم والرأي، وقيل: في العلم وحسن الخلق، وقيل: متين على أذى الأعداء وطاعة الله فيما أمر من دفع السيئة بالحسنة، فالأول تكليف بالصبر، والثاني مدح وتعظيم.

۞ الأحكام

يدل أول الآية أن المؤمن لا بد له من الاستقامة ليصل إلى الثواب[٤]، وأن مجرد القول لا يكفي.

وتدل على أن المؤمن مبشر بكل نعمة، وأنه لا يخاف، ولا يحزن في القيامة، خلاف ما يقوله بعضهم.

---

(١) في: منه، ت، ك.

(٢) هي أحسن: أحسن السيئة، ت.

(٣) وما: ولا، د، ك.

(٤) ليصل إلى الثواب: ليصله الثواب، ت، ك.

وتدل على عظم حال الملائكة حتى كان لهم محل الشفاعة.

وتدل أنهم يحفظون أعمالنا.

ويدل قوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا﴾ أن الدعاء إلى الدين من أعظم الطاعات. وتدل على وجوبه.

وتدل على أن الداعي يجب أن يكون عاملاً، فيكون الناس إلى القبول منه أقرب.

وتدل على أن القول لا ينفع ما لم يقترن به العمل على ما نَقُولَهُ.

وتدل على أن اسم الإسلام يتضمن المدح والتعظيم.

وتدل على أنه يجوز أن يقول: أنا مسلم، من غير استثناء.

وتدل على وجوب دفع السيئة بالحسنة، وأنه من أعظم الخصال، فينبغي للداعي إلى الحق أن يدعو بالرفق وطريق التواضع ولطف القول.

قوله تعالى:

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنْ
ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟
لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ﴿٣٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ
خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ
شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم
مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾.

اللغة

النزغ والهمز: الوسوسة، وقيل: النزغ: الإغراء، وقيل: الإفساد، يقال: نزغ بيننا أي: أفسد، نَزَغَ يَنْزِغُ نزغًا فهو نازغ.

والاستعاذة: طلب الاستعصام من الشر. والسَّأَمُ والسآمة: المَلَلُ[١].

والخشوع: السكون والتذلل، ونظيره: الخضوع.

والرَّبْوُ[٢]: المكان المرتفع، وأصله من الزيادة، ربا يَرْبُو: إذا زاد على غيره.

۞ الإعراب

«خلقهن» إنما ذكر بالتأنيث؛ لأنه أجري على طريق التكسير، ولم يَجْرِ على طريق التغليب[٣] للمذكر على المؤنث؛ لأنه فيما لا يعقل، وقيل: الهاء تنصرف إلى الآيات، عن الزجاج.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ﴾ في أبي جهل بن هشام.

وقوله: ﴿أَم مَّن يَأۡتِيٓ ءَامِنٗا﴾[٤] في عثمان بن عفان، عن مقاتل، وقيل: في عمار.

﴿أَفَمَن يُلۡقَىٰ فِي ٱلنَّارِ﴾ نزل في أبي جهل.

۞ المعنى

لما تقدم الأمر بحسن الدعاء، عقبه بالاستعاذة من وسوسة الشيطان في خلافه، فقال سبحانه: «**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيطَانِ نَزْغٌ**» أي: وسوسة وقول فاسد يبعثك[٥] على الغضب وسوء الاحتمال عند سماع أذاهم وسوء مقالتهم «**فَاسْتَعِذْ بِالله**» أي: اعتصم به؛ ليكفيك كيده ومكره ووسوسته، قيل: الخطاب له [و] واجب عليه الاستعاذة مع جلالته[٦] فمن[٧] دونه أولى بغيره من مفهوم الآية. وقيل: الخطاب للكافة وإن كان

---

(١) الملل: المذلل، ت، ك.
(٢) في ك: والريب.
(٣) التغليب: -، ت.
(٤) ءامنا: أمن، ت، د،ك.
(٥) يبعثك: ليعينك، ت.
(٦) جلالته: دلالته، د.
(٧) فمن: فهو، ت، د، ك.

الظاهر أنه[١] له صلى الله عليه وسلم «**إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ**» بوسوسته واستعاذتك «**الْعَلِيمُ**» بما في ضمير كل واحد «**وَمِنْ آيَاتِهِ**» أي: حججه الدالة على وحدانيته وربوبيته «**اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ**» أصلهما ومقدارهما[٢]، والزيادة والنقصان فيهما «**وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ**» إعادتهما وحركاتهما وسيرهما، وزيادة القمر ونقصانه، وأنها تكون مرة صاعدة، ومرة هابطة، ومرة طالعة، ومرة غاربة، وجميع ذلك من الدلالة على حدثها، وأن لها محدثًا مدبرًا «**لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِله الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**»[٣] قيل[٤]: كان قوم من العرب يسجدون لهما فنهو عن ذلك، وقيل: هم المجوس والصابئون «**لاَ تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلاَ لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِله الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ**» قيل: إن كنتم تتقربون إلى الله بالسجود للشمس[٥] والقمر، فلا تسجدوا لهما، واسجدوا لمن خلقهما، وقيل: أراد إن كنتم تريدون عبادة من يستحق العبادة[٦]، فهو تنبيه على صرف العبادة إلى الله تعالى، كأنه قيل: إن كنتم تطلبون المعبود، وقيل: العبادة شكر المنعم، فيجب أن تكون للمنعم دون من لا يملك ضرًا ولا نفعًا، وقيل: إن كنتم تقرون به، وترغبون في عبادته، عن أبي علي. «**فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا**» يعني تكبروا وأنفوا عن قبول الحق والسجود له تعالى «**فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ**» يعني الملائكة، والمراد بقوله: «**عِنْدَ رَبِّكَ**» بالكرامة والمنزلة، يعني أنهم مع عظم حالهم لا يستكبرون عن عبادته، فهؤلاء لماذا تكبروا لولا[٧] جهلهم؟ «**يُسَبِّحُونَ لَهُ**» أي: ينزهونه عما لا يليق به «**بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**» يعني على الدوام، ولا يَدَعُونَ عبادته[٨]، «**وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ**» منها «**وَمِنْ آيَاتِهِ أَنَّكَ تَرَى الأَرْضَ خَاشِعَةً**» قيل: أراد أنها يابسة

(١) أنه: هو، ت، د، ك.
(٢) أصلها، ومقدارهما: أصلها ومقدارها، ك.
(٣) واسجدوا لله. . . . تعبدون: -، ت، ك.
(٤) قيل: قال، د، ك.
(٥) بالسجود للشمس: بسجود الشمس، د، ك.
(٦) العبادة: عبادة، ت.
(٧) لولا: -، ت، ك.
(٨) عبادته: عادته، ك.

متهشمة[١] لا نبات فيها، عن قتادة، والسدي، وقيل: شبه الأرض بخلوها[٢] عن النبات بالرجل العاري لفقره يكون ذليلاً خاشعًا، ثم يحييها بالمطر، ويزيل خشوعها بالنبات، وهذا من فصيح الكنايات «**فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ**» يعني بالماء المطر، «**اهتزت**» أي: تحركت الأرض بالنبات، وقيل: فيه تقديم وتأخير في ربت واهتزت، «**وربت**» قيل: انتفخت، عن السدي، وأبي علي، إن الطين إذا أصابه الماء حصل فيه انتفاخ، وقيل: زادت يعني[٣] أخرجت[٤] النبات، ونمت واهتزت، والاهتزاز: التحرك للنشاط «**إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى**» يعني مَنْ قَدَرَ على إحياء الأرض بإخراج النبات قدر على إحياء الموات وإعادة الخلق «**إِنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**» يعني قادر، إلا أن في قدير مبالغة؛ لأنه قادر، أراد أنه لا يجوز عليه العجز «**إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا**» أي: يميلون عن الحق في حججنا، وفيه قولان:

الأول: آيات القرآن، ثم اختلفوا في الإلحاد[٥] فيه، فقيل: تبديل الكلام من موضعه في غير موضع، عن ابن عباس.

وقيل: بالمكاء، واللغو، والتصدية، عن مجاهد.

وقيل: بالتكذيب، عن قتادة، وابن زيد، والسدي.

وقيل: ترك محكمها، والتعلق بمتشابهها، وتأويلها بخلاف الحق.

والثاني: المراد آيات التوحيد والعدل انحرفوا عنها، ولا يستدلون بها.

وقيل: الإلحاد فيها: الميل عنها إلى القول بالطبائع وقدم العالم ونحوها.

«**لاَ يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا**» يعني نعلمهم ونعلم أحوالهم فنجازيهم «**أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ**» هذا تهديد، أي: بينا الحق فَمَنْ عَمِلَ بالخير نجا، ومن عمل بالشر هلك «**إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**» عالم، فيجازيكم بما تستحقون.

---

(١) متهشمة: منهمشة، ت.
(٢) بخلوها: لخلوها، ت، ك.
(٣) يعني: ت.
(٤) أخرجت: خرجت، د.
(٥) الإلحاد: بالإلحاد، ت، ك.

۞ الأحكام

الآية تدل على أن الشيطان يوسوس ويضل، وأن الواجب على العبد الاستعاذة بالله من شره.

وتدل على أن للشيطان فعلًا، وللعبد فعلًا، وأنه يستعيذ بالله تعالى، ولو كان الجميع خلقًا له تعالى لما كان للكلام معنى.

وتدل[1] الآيات على توحيد الله، وأنه الصانع المدبر، وأن العالم محدث.

وتدل[2] على صحة الحجاج في الدين.

وتدل[3] على أن الملائكة مكلفون.

وتدل[4] على أن المؤمن يكون آمنًا يوم القيامة، خلاف ما يقوله بعضهم.

ويدل قوله: «اعملوا» على زجر عظيم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ﴿٤١﴾ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ
يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدۡ قِيلَ لِلرُّسُلِ
مِن قَبۡلِكَۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغۡفِرَةٖ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَانًا أَعۡجَمِيّٗا لَّقَالُواْ
لَوۡلَا فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥٓۖ ءَا۬عۡجَمِيّٞ وَعَرَبِيّٞۗ قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ وَٱلَّذِينَ لَا
يُؤۡمِنُونَ فِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٞ وَهُوَ عَلَيۡهِمۡ عَمًىۚ أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوۡنَ مِن مَّكَانِۭ
بَعِيدٖ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ فَٱخۡتُلِفَ فِيهِۗ وَلَوۡلَا كَلِمَةٞ سَبَقَتۡ مِن رَّبِّكَ
لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۚ وَإِنَّهُمۡ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُ مُرِيبٖ ﴿٤٥﴾﴾.

---

(١) وتدل: ويدل، ت.

(٢) وتدل: ويدل، ت.

(٣) وتدل: ويدل، ت.

(٤) وتدل: ويدل، ت.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «أَأَعْجَمِيٌّ» بهمزتين على الاستفهام، وقرأ الباقون بهمزة واحدة على أصلهم في أمثاله، كقوله: ﴿ءَأَنذَرْتَهُمْ﴾ [البقرة: ٦] وأمثالها[١] على الاستفهام، وعن الحسن بهمزة واحدة على الخبر، وروي نحوه عن ابن عامر، ووجه ذلك: أنهم زعموا هَلَّا[٢] أنزل القرآن عربيًّا وعجميًّا، والوجه[٣] الأول أنه على الاستفهام.

وقراءة العامة: «عَمًى[٤]» بفتح العين والميم على المصدر، وعن ابن عباس بكسر الميم، فعلى الأول محله رفع؛ لأنه خبر، وعلى الثاني هو نعت لاسم محذوف[٥]، أي: عليهم شيءٌ عَمٍ.

اللغة

الذكر: يكون بالقلب، ويكون باللسان، وسمي الكتاب ذكرًا؛ لأنه يذكر فيه الدلائل والأحكام والمواعظ.

والأعجمي: الذي لا يفصح، يقال: رجل أعجمي وإن كان عربيًّا في النسب، ورجل عجمي[٦]، إذا كان عجمي[٧] النسبة، وإن كان فصيحًا بالعربية.

والوَقْرُ: الثقل في الأذن.

الإعراب

يقال: أين جواب قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؟

(١) وأمثالها: ونحوها، ت، ك.
(٢) هلا: أن لا، ت.
(٣) والوجه: والواجب، د.
(٤) عمى: عجمي، ت.
(٥) محذوف: المحذوف، ت.
(٦) عجمي: أعجم، ت، د، ك؛ لسان العرب (١٢/ ٣٨٥)، تاج العروس (١/ ٨١٠)، جمهرة اللغة (١/ ٢٤١).
(٧) عجمي: أعجمي، ت، د، ك.

قيل: محذوف، وتقديره: لما جاءهم كفروا.

ويحكى أن عيسى بن عمر سأل عمرو بن عبيد «**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا**» أين خبره؟ فقال[١]: معناه: في التفسير لما جاءهم كفروا به، فقال: أصبت يا أبا عثمان.

وقيل: مذكور، وهو قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانِۭ بَعِيدٖ﴾.

وقيل: جوابه في قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ﴾ تقديره[٢]: إن الذي[٣] جاءهم كتاب عزيز.

وقيل: تقديره خابوا[٤] وهلكوا، فحذف.

النزول

قيل: إن المشركين قالوا: إنما يعلمه لسان أبو فُكَيْهَةَ[٥]، غلام ابن الحضرمي، وكان يهوديًّا أعجميًّا، فمر به ابن الحضرمي، وقال: إنك تعلم محمدًا؟ فقال: بل هو يعلمني، فأنزل الله تعالى: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا﴾، عن مقاتل.

وقيل: قال المشركون: هلاَّ أنزل القرآن بعضه عربيًّا، وبعضه عجميًّا، فنزلت[٦] الآية، عن سعيد بن جبير.

المعنى

ثم رد عليهم إلحادهم في آيات الله تعالى، فقال سبحانه: «**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ**» قيل: بالقرآن أشار إلى أنه نعمة عليهم؛ لما فيه من معالم دينهم ثم كفروا به «**لَمَّا جَاءَهُمْ**» أي: حين جاءهم «**وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ**» قيل: كريم على الله، عن

(١) فقال: قال، ت، ك.
(٢) تقديره: يقدر به، ت.
(٣) الذي: الذين؛ ت، د، ك.
(٤) خابوا: خاضوا، ك.
(٥) أبو فكيهة: أبو فيكهة، ت.
(٦) فنزلت: ونزلت، ت، د، ك.

ابن عباس. «عَزِيزٌ» بإعزاز الله من إكرامه وحفظه من النقص، وقيل: «عزيز» أي: منيع[1] لا يقدر أحد من العباد أن يأتي بمثله، وهو حجة لا يبلغه أحد «**لاَ يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِهِ**» قيل: الباطل الشيطان أي لا يقدر الشيطان[2] أن ينقص منه حقًّا، أو يزيد فيه باطلاً، عن قتادة، والسدي، وقيل: لا يأتي بشيء يوجب بطلانه بما وجد قبله أو معه، ولا يوجد بعده كتاب يبطله بنسخه[3]، عن الكلبي، وقيل: ليس فيه باطل من أول تنزيله إلى آخره، عن الحسن، وقيل: لا باطل في إخباره عما تقدم ولا عما تأخر، وقيل: لا يأتيه الباطل من جهة من الجهات، فلا نقص في آياته، ولا كذب في أخباره، ولا تنسخ أحكامه[4]، ولا تبطل ولا تعارض، ولا يزاد فيه، ولا يغير؛ بل هو محفوظ ثابت، حجة[5] إلى يوم القيامة «تَنزِيلٌ» أي: إنما كان كذلك؛ لأنه تنزيل، أي: حجة منزل «مِنْ» جهة «حَكِيمٍ» محكم أفعاله، فلا[6] يكون فيها عبث وباطل، وهو «حَمِيدٍ» في جميع أفعاله، وقيل: حميد بإنزاله، والحميد المحمود. «**مَا يُقَالُ لَكَ إِلاَّ مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِنْ قَبْلِكَ**» قيل: ما يقال لك فيما يوحى إليك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك من الدعاء إلى الحق، وعبادة الله تعالى، ولزوم طاعته، فَلِمَ تعجبون؟ وقيل: ما يقال لك في هذا القرآن من التوحيد إلا ما قد قيل للرسل من قبلك في كتبهم، وقيل: معناه ما حكى من بعده[7] «**إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ**» فيكون على جهة الوعد والوعيد، وقيل: هو تعزية وتسلية للنبي صلى الله عليه، أي: ما يقول هؤلاء الكفار لك إلا كما قد قيل للأنبياء قبلك، عن السدي، وقتادة، وأبي علي، وقيل: لا يشتغلون بالحجج وإنما يشتغلون بالشُّبَهِ[8] والتكذيب مثل الأمم الماضية،

(١) أي منيع: أي ممتنع، ت.
(٢) أي لا يقدر الشيطان: +، ت، ك.
(٣) بنسخه: ينصحه، ت.
(٤) أحكامه: الحكاية، ت، ك.
(٥) حجة: به حجة، ت، د، ك.
(٦) فلا: ولا، ك.
(٧) من: +، ت، د، ك.
(٨) بالشبه: والسيئة، ت.

وقيل: ما يقال لك ساحر أو مفتري إلا وقد قيل للأنبياء قبلك «**إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ**» لمن أطاعه وأناب إليه «**وَذُو عِقَابٍ**» لمن عصاه، وقيل: ذو مغفرة لك ولمن تبعك، وذو عقاب لمن لم يتبعك «**وَلَوْ جَعَلْنَاهُ**» أي: جعلنا[١] القرآن «**أَعْجَمِيًّا**» يعني بلغة العجم «**لَقَالُوا لَوْلاَ فُصِّلَتْ**» أي: هلا بينت «**آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ**» وقيل: معناه أنه ادعى بأنه مبعوث إلى العرب والعجم، قالوا: هلا كان القرآن مشتملاً على العربي والعجمي؛ ليكون حجة على الفريقين، هذا إذا لم يكن استفهامًا ولكن حكاية من جهتهم. وأما إذا حمل على الاستفهام اختلفوا في معناه، فقيل: القرآن أعجمي ومحمد عربي، عن سعيد بن جبير، وقيل: لقالوا قرآن عجمي ونحن عرب هلا كان بلغتنا لنفهمه، فيكون حجة لهم، عن السدي، وأبي علي، وقيل: تم الكلام عند قوله: «**آياته**» ثم استأنف فقال: «**أعجمي وعربي**» أي: كيف [يكون] الرجل عربيًّا والقرآن أعجميًّا، وفيه تعجب، أي: لو كان أعجميًّا لكان لهم الحجة، وقيل: إنا أنزلنا القرآن عربيًّا معجزًا ليكون حجة له[٢]، ولو كان عجميًّا لاعتلوا بأنا لا نعرفه، فقطع هذا العذر «**قُلْ**» يا محمد «**هُوَ**» أي: القرآن «**لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى**» دلالة على الحق وطريق الجنة والنجاة، يهتدون بها «**وَشِفَاءٌ**» من كل شك وريب وشبهة تزول به «**وَالَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى**» الوقر الثقل، أي: يثقل عليهم سماعه، ولا ينظرون فيه، ولا يسمعونه، فهو بمنزلة من به صمم[٣] وعمى، وإنما أضاف الصمم[٤] والعمى إلى القرآن، وإن كان لا يوجب القرآن ذلك؛ لأنه وقع عنده، كقوله: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦]، «**أُوْلَئِكَ يُنَادَوْنَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ**» أي: كالذين ينادون من مكان بعيد يسمع صوتًا، ولا يفهم معنى ما يخاطبون به، عن أبي علي، وقيل: ينادى الرجل بأشنع أسمائه[٥]، عن الضحاك. فيكون في القيامة جزاء لهم

---

(١) جعلنا: جعلناه، ت.

(٢) له: -، ت.

(٣) صمم: صم، ت.

(٤) الصمم: الصم، ت.

(٥) أسمائه: اسمه، ت، د، ك.

«**وَلَقَدْ آتَيْنَا**» أعطينا «**مُوسَى الْكِتَابَ**» يعني التوراة «**فَاخْتُلِفَ**[1] **فِيهِ**» أي: كما صنع قومك من التكذيب كذلك فعل قوم موسى «**وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**» أي: لولا وعد الله سبقهم[2] إلى أجل مضروب لأهلكهم، وقيل: لولا كلمة سبقت في تأخير العذاب لفرغ من عذابهم وهلاكهم، وقيل: لولا ما أوجب الله على نفسه من الرحمة بإمهالهم ليتوبوا لأهلكهم، وقيل: الكلمة السابقة قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ﴾ [القمر: ٤٦] أي: لولا أنه وعد تأخير جزائهم إلى يوم القيامة لعجل لهم العذاب «**وَإِنَّهُمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ**» أي: هم في شك وتهمة، والريب شك مع تهمة.

۞ الأحكام

تدل الآيات على حَدَثِ القرآن لقوله: ﴿تَنزِيلٌ﴾ ولقوله: ﴿جَعَلۡنَٰهُ قُرۡءَٰنًا﴾ وكلاهما لا يليق بصفة القديم.

ويدل قوله: ﴿حَكِيمٍ﴾ أنه لا يفعل القبيح، ولا يخلق الكفر والقبائح.

وتدل على أن القرآن كله عربي ليس فيه غير لغة العرب، خلاف ما يقوله بعضهم.

ويدل قوله: ﴿هُدٗى﴾ أنه يعرف به الأحكام.

وتدل أنه إنما جعل القرآن عربيًا لقطع عذرهم إنما يتخذ [فيقولوا بأننا عرب][3] فلا نعرف لغة العجم، فإذا كان الله تعالى قطع هذا العذر فكيف يخلق فيهم الكفر، ويمنعهم من الإيمان؟

وتدل على[4] أن القرآن حجة.

ويدل قوله: ﴿لَفِي شَكٍّ﴾ أن المعارف مكتسبة.

---

(١) فاختلف: واختلف، ك.
(٢) سبقهم: لسبقهم، د، ك.
(٣) +، من فتح القدير ٦/ ٣٦٠.
(٤) على: -، ت، ك.

قوله تعالى:

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۗ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ إِلَيْهِ يُرَدُّ
عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ
وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا
كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ
وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ
لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ
فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر، ونافع وحفص عن عاصم: «مِنْ ثَمرَاتٍ» بالألف على الجمع، وقرأ الباقون: «مِنْ ثَمَرَةٍ» بغير ألف على واحده.

قراءة العامة: ﴿مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ﴾، وعن ابن مسعود: «**من دعاء بالخير**».

اللغة

الظَّلّام: الفاعل لأفحش الظلم، والظالم: الفاعل للظلم، وفي «ظلّام» مبالغة.

والأكمام: جمع كُمَّةٍ، وهو الطوق(١) المحيط بالشيء المغطي له، وكل شجرة تخرج ثمرًا مكمًا فهي ذات أكمام، وأكمام النخلة ما غطى جُمَّارَها من السعف والليف(٢)، وكُمُّ الطَّلْع: مُسترها ومنه: كم القميص؛ لأنه يغطي اليد، ومنه قيل للقلنسوة: كمة؛ لأنها تغطي الرأس، فكل ما وارى شيئًا فهم كُمٌّ، وكمَامٌ وبدله [كمّه

(١) في د، ك: الظرف.
(٢) والليف: واليد؛ ت، د، ك.

مفرد جمعه أكمة وهو ما يوضع على الفم][1]، وتكمكم[2] الرجل في ثوبه: إذا تلفف به.

والأذان: الإعلام.

والمَحِيصُ: المعدل والمنجى، حاص حَيْصًا وحياصًا: إذا مال ملجأ[3]، وحاص عنه: تنحى.

وسَئِمَ يَسْأَمُ سَأْمًا وسآمة: إذا مَلَّ.

الإعراب

«من ثمرة» قيل: (من) صِلَةٌ.

النزول

قيل: إن المشركين قالوا لرسول الله صلى الله عليه: إن كنت نبيًّا فأخبرنا عن الساعة؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المعنى

ثم أكد الحجة، فقال سبحانه: «**مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا**» »يعني النفع والضر فيما يفعله كل واحد لا يعود إلى غيره؛ بل يكون جزاؤه له، فإن أجبتم فنفعه يعود عليكم، وإن[4] أبيتم فضره كذلك، وهذا كلام لمن يقبل وعظه، ووعيد لمن لا يقبل «**وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**» لا يبخس المحسن من ثوابه، ولا يزيد المسيء على ما استحق[5].

ومتى قيل: لِم قال «**ظلّام**» على المبالغة، وهو لا يظلم مثقال ذرة؟

(١) انظر الصحاح ٥/ ٢٠٢٤.
(٢) وتكمكم: وبكم، ت.
(٣) ملجئا: ملجيا؛ ت، د، ك.
(٤) وإن: وإذ، ك.
(٥) استحق: المستحق، ت.

قلنا: فيه أقوال:

أولها: أنه لو فعل الظلم وإن قل[١] وهو غني عنه عالم به وبغناه، لكان ظلّامًا.

وثانيها: أنه على طريق الجواب لمن زعم أنه يفعل كل ظلم، فقال: ما هو بهذه الصفة التي يتوهمها الجهال، فيأخذ أحدًا بذنب غيره.

ثم بَيَّنَ أن وقت القيامة الذي هو يوم الجزاء هو العالم بها القادر عليها، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ**» يعني لا يعلمها غيره، فعلمه مردود عليه، والساعة: القيامة[٢] التي يقع فيها الجزاء، وكذلك علم الثمار «**وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا**» من أوعيتها «**وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلاَ تَضَعُ إِلاَّ بِعِلْمِهِ**» يعني يعلم قدر الثمار وكيفيتها، وأجزائها[٣] وطعومها، وروائحها، وكيف يخرجها، ويعلم الحبالى وما في بطنها، وكيفية انتقالها حتى يصير بشرًا سويًّا «**وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ**» قيل: يناديهم الله تعالى ذمًّا وتوبيخًا، وقيل: يناديهم مناد «**أَيْنَ شُرَكَائِي**» الذين كنتم تعبدونها، وتدعون أنها آلهة[٤]، لا ينفعونكم اليوم «**قَالُوا آذَنَّاكَ**» أي: أعلمناك، عن ابن عباس، ولا يجوز أعلمناك على أنهم أعلموا[٥] الله تعالى؛ لأنهم يضطرون أنه[٦] تعالى عالم لذاته، وبكل[٧] معلوم، فالمراد به الذلة والخضوع، أي: تعلم أنا تبرَّأنا منه، وقيل: أسمعناك، وقيل: أقررنا لك، عن أبي علي. «**مَا مِنَّا مِنْ شَهِيدٍ**» يشهد أن لك شريكًا، وقيل: هذا قول الأصنام يحييهم الله، فيقولون ذلك ردًّا عليهم[٨]، بأنا لا نقول ما قال أولئك فينا، وقيل: هو قول المشركين على وجه الذلة والاعتراف على أنفسهم، والبراءة من شركهم، أي: ما منا من شهيد يشهد بأنها آلهة، عن أبي علي، وقيل:

(١) والظلم وإن قل و: -، ت؛ والنقل: ك.
(٢) القيامة: القايمة، ت.
(٣) وأجزائها: ولجزاها، ت.
(٤) آلهة: الله، د.
(٥) اعلموا: علموا، ت، ك.
(٦) +، أنه: أنه في ت، ك.
(٧) وبكل: بكل، د.
(٨) في ردًا عليهم: على عابديهم، ت، ك.

يجوز أن يقول ذلك العابد والمعبود «وَضَلَّ عَنْهُمْ» بطل[1] عنهم، قيل: بطل ما أملوه من أصنامهم، وقيل: هلك وذهب عنهم ذلك «وَظَنُّوا» أيقنوا، عن السدي وجماعة. «مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ» أي: مهرب وملجأ، وقيل: غلب على ظنهم من كثرة الأمارات، وليس ذلك بصحيح؛ لأنهم يضطرون إلى معرفة ذلك.

ثم بَيَّنَ طريقتهم في الدنيا، فقال ـ سبحانه ـ: «لاَ يَسْأَمُ الإِنْسَانُ» أي: لا يَمَلُّ، عن ابن زيد، يعني بحرصه يداوم على دعاء الخير وما يليه، ولا يشبع «مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ» أي: من دعائه بالخير، وهو المال وصحة الجسم وملاذ الدنيا «وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ» نالته شدائد الدنيا «فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ» يعني يقل صبره، ويستشعر اليأس والقنوط، ذلك لجهلهم، ولو علموا المصالح وأنه تعالى يفعل الأصلح، لما كانت عادتهم هذه، والقنوط أبلغ من[2] اليأس «وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ رَحْمَةً مِنَّا» أي: نعمة وعافية «مِنْ بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُ» أي: بعد شدة نالته في ماله أو نفسه وأولاده، وهو[3] قنط من ذلك، فإذا أتاه النعمة جهل فَضْلَ الله، ولم يشكر نعمه؛ بل يعتقد أنه مِنْ عِلْمِهِ وتدبيره، فيقول: «هَذَا لِي» أنا أحق به؛ لأنه بفضل علمي حصل «وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً» على ما وعدها الأنبياء «وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَى رَبِّي» بناه على التقدير لا على التحقيق، يعني لا تقوم الساعة، ولئن قامت ورجعت إلى الله على ما تزعمون فـ«إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَى» قيل: بشفاعة الأصنام، وقيل: لأنه أعطانا النعم في الدنيا، وذلك لمنزلة لنا عنده، فيعطينا كذلك في الآخرة، وهذا غاية جهلهم، فإن نعم الدنيا قسمة استصلاح وعطاء وفضل، وثواب الآخرة يحصل باستحقاق، وقيل: بل يقولونها هوى وتكذيبًا، وعن الحسن بن محمد ابن الحنفية: الكافر بين أمنيتين: أما في الدنيا فيقول: ﴿وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّيٓ إِنَّ لِي عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ﴾، وفي الآخرة يقول: ﴿يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَٰبَۢا﴾ [النبأ: ٤٠]،» «فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» قيل: نخبرهم بأن نجازيهم عليها «وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ» قيل: شديد، وقيل: دائم، وقيل: متراكم أنواع العذاب.

---

(١) بطل: وبطل، د.

(٢) من: +، ت، ك.

(٣) وهو: وقد، ت، ك.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ أن للمكلف فعلًا، وأنه مختار يقدر على الشر والخير.

ويدل قوله: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾» أنه لا يعذب أحدًا بذنب غيره، ولا يخلق الكفر، ولا يمنع من الإيمان؛ إذ لا ظلم أعظم من أن يخلق الكفر فيه، ويمنعه من الإيمان ولا يعطيه قدرة للإيمان[1] ثم يعذبه على ذلك أبدًا.

وتدل الآية أن وقت القيامة من معلومه.

ويدل قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً﴾ على بطلان قول أصحاب الإلهام[2] والمعارف.

وتدل على أن اليأس والقنوط عادة الكفار والجاهل بالله تعالى.

وتدل الآية على[3] أن الواجب على العبد عند النعمة الشكر وإضافتها إلى[4] الله تعالى، وعند المحنة انتظار الفرج، وفيه تحذير من القنوط، وفي الخبر عن النبي: «انتظار الفرج عبادة».

ويدل قوله: ﴿وَمَآ أَظُنُّ﴾ أن الجاهل في الدين لا يُعْذَرُ[5].

وتدل على أن أحوال النعم في الدنيا والمحن لا يعتبر به أحوال الآخرة، فكم من ملك ذي نعم يومئذ معذب، وكم من مُمْتَحَنٍ وفقير يومئذ مثاب مُنَعَّمٍ.

---

(١) للإيمان: الإيمان، ت، ك.
(٢) الإلهام: الإيهام، ت، ك.
(٣) على: -، ت.
(٤) وإضافتها إلى: ورضا فيها، ت، ك.
(٥) لا يعذر: لا يقدر، ت، ك.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

اللغة

الإعراض والتولي والإدبار نظائر، أعرض عنه إعراضًا.

والنَّأْيُ بالجانب: التباعد على طريق الاستكبار عما يُدْعَى إليه ويؤمر به، وأصل النأي: البعد، ونأى ينأى نأيًا: إذا تباعد.

والشقاق: هو الميل إلى شق العداوة، ومفارقة أهل الحق، وأصله: المباعدة، ومنه: بيني وبينه شقة نازحة، قال بشر:

وَإِلاَّ فَـاعْـلَـمُـوا أَنَّـا وَأَنْـتُـمْ مُـعَـاوِيَ مَـا حَـيِـيـنَـا فـي شِـقَـاقِ(١)

أي: مباعدة عداوة، ومنه: ﴿بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ [التوبة: ٤٢].

المعنى

ثم عطف عادات الإنسان على ما تقدم منها، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الإِنْسَانِ أَعْرَضَ**» عن شكره «**وَنَأَى بِجَانِبِهِ**» تباعد عن الحق كبرًا، وقيل: نأى بجانبه: أعرض عن شكره والقيام بحقه «**وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ**» أي: إذا نالتهم

---

(١) معاوي: معاو، ت، د، ك.

البيت قائله بشر بن أبي خازم الأسدي في قصيدة مطلعها:

أهـمـت مـنـك سـلـمـى بـانـطـلاق وليـس وصـال غـانـيـة بـبـاقـي

أنظر ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، تحقيق عزة حسن. ص١٧٧ ـ ١٨١، دار الشرق العربي.

مصيبة ضجروا، وإذا نالتهم نعمة بطروا، والدعاء العريض: الكبير، عن السدي، وذكر العَرْضَ فيه[1] مبالغة؛ لأن العَرْضَ يدل على الطول، والطول لا يدل على العرض؛ إذ يصح طول بغير عرض ولا يصح عرض لا طول له «قُلْ» يا محمد لهؤلاء «أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ» هذا القرآن «مِنْ عِنْدِ الله»، وقيل: إن كان هذا الإنعام من عند الله، وقيل: أنما توعدون من البعث والجزاء[2] من قوله[3] ووعده «ثُمَّ كَفَرْتُمْ بِهِ» وكذبتم، وهذا احتجاج عليهم في شكهم فيما في القرآن من الوعد والوعيد، وبنعمه عليهم[4]، ولم يقوموا بحقه «مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ» أي: عصيان ومفارقة عن الحق، أي: من أضل منكم، ومن أشد معصية «سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ» البلايا والأمراض، عن ابن عباس، وقيل: ﴿فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ الفتوح لمحمد صلى الله عليه وأمته ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ فتح مكة، عن السدي، وقيل: ﴿فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ وقائع الله في الأمم، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ يوم بدر، عن قتادة، وقيل: ﴿فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ أقطار الأرض والسماء من الشمس والقمر، والنجوم، والنبات، والأشجار، والأنهار، والبحار، والجبال، وما فيها من الأمطار ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ من لطيف الصنعة، وبديع الحكمة، وتركيب آلات الغذاء، والأعضاء، والجوارح، ومجاري الدم، والحواس، وآلات النطق[5]، عن عطاء، وابن زيد، وقيل: ﴿ فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ ما يظهر من أنواع العبر، وتغيير الأحوال، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ تغير الأحوال من لدن كونه نطفة إلى أن يصير شيخًا، وقيل: ﴿فِي ٱلۡأٓفَاقِ﴾ ما كان النبي يخبرهم به[6] من الحوادث، فيرون مصداق ذلك، ﴿وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ﴾ ما كان بمكة من انشقاق القمر. «حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ» أي: يظهر لهم أنه الحق، قيل: التوحيد حق، وقيل: إخبارك حق، وقيل: الإسلام حق، وقيل: محمد حق، وقيل: القرآن حق «أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ» قيل: هو وعد

(١) فيه: +، ت.
(٢) والجزاء: من الجزاء، ت، ك.
(٣) من قوله: يقوله، ت.
(٤) عليهم: عليكم، ت.
(٥) وآلات النطق: والآلات والنطق، د.
(٦) به: +، ت.

للمؤمنين، ووعيد للكافرين، يعني ألم[1] يكف شهادة الله أعمالهم فيجازي كل أحد بعمله، وينتصف للمظلوم من ظالمه، وقيل: هو وعيد للمؤمنين بالنصر، وقيل: أولم يَكْفِ بربك شاهدًا أن هذا القرآن هو الذي أنزله، وأنه حق، وقيل: أولم يكف بربك مجازيًا لهؤلاء «**أَلَاَ إِنَّهُمْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ**» قيل: في شك من لقاء جزائه وثوابه وعقابه، فذكر نفسه وأراد الجزاء تفخيمًا، كما جعل مجيء أحوال القيامة مجيئًا له، وقيل: في شك من لقاء ربهم إياهم، وما يعملون، ولا يجوز حمل اللقاء على الرؤية؛ لأن اللقاء عبارة عن استقبالك الشيء، وهذا لا يجوز على الله تعالى «**أَلَاَ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطٌ**» عالم بها قادر عليها، وقيل: عالم[2] بأعمالهم، قادر على جزائهم.

الأحكام

يدل أول الآيات على أن لله تعالى على الكفار نعمة يجب شكرها، خلاف قول المجبرة.

وتدل على وجوب شكر النعمة والعمل بمقتضاها.

وتدل على أن الإعراض والدعاء فِعْلُ العبد؛ لذلك أضافه إليه، ووبخه عليه.

ويدل قوله: ﴿سَنُرِيهِمْ﴾ على وجوب التفكر في آيات الله، وأنه طريق معرفته ومعرفة صفاته وأفعاله.

(١) ألم: إذا لم، ت.
(٢) عالم: قادر، د.

سُورَةُ الشُّورَىٰ

سورة (حم عسق)، وتسمى سورة (الشورى) أيضًا، وهي مكية، وآياتها ثلاث وخمسون.

وروي عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (حم عسق) كان ممن تصلي عليه الملائكة ويستغفرون له ويسترحمون».

ولما ختم (حم السجدة) بذكر القرآن، وأنه وحي من الله وتنزيله، وذكر إعراضهم عنه؛ افتتح هذه السورة بذكر القرآن، وذكر أنه كما أوحى إليه أوحى إلى مَنْ قبله، فلا وجه لإعراضهم.

ويقال: لِم خصت هذه السورة بـ «عسق» من بين سائر الحواميم؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: لأن جميعها استفتح بالكتاب صريحًا إلا[1] هذه، فإنه دل عليه تضمينًا بذكر الوحي، فدل على الكتاب بهذه الصفة.

الثاني: لأن فيه ذكر الوحي إلى الأنبياء، فخصت بهذه التسمية.

ويقال: لِم فصل بين (حم عسق)، ولم يفصل[في] (كهيعص)؟

---

(١) إلا: إلى، ت.

قلنا: قيل: لكونها سورة بين سور أوائلها (حم)، فجرت مجرى نظائرها، فـ(حم) ابتداء، و(عسق) خبره، عن علي بن عيسى.

وقيل: لاتفاق المفسرين أن (كهيعص) حروف، واختلافهم في (حم)، فجعلها بعضهم فعلاً معناه (حُمَّ) أي: قُضِي فُفِصل[1].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤ تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرۡنَ مِن فَوۡقِهِنَّۚ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِمَن فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥﴾

القراءة

قرأ ابن كثير: «**كذلك يُوحَى**» بفتح الحاء[2]، وهي رواية عياش عن أبي عمرو على ما لم يسم فاعله، فيكون على هذه «الله[3]» ابتداء، وكذلك على ما روي عن بعضهم «**نُوحِي**» بالنون، وقيل: بل هو على البيان تقديره: يوحَى إليك، [فكأنه] قيل: مَنْ الذي يوحي؟ قال: الله، وقرأ الباقون بكسر الحاء، بتقدير: يوحي إليك الله.

وقرأ أبو عمرو وعاصم في رواية أبي بكر: «**تكاد**» بالتاء، «**ينفطرن**» بالياء والنون، وقرأ أبو جعفر وابن كثير وابن عامر وحفص عن عاصم وحمزة: «**تكاد**» بالتاء «**يتفطرن**» بالياء والتاء، وقرأ نافع والكسائي: «**يكاد**» بالياء «**يتفطرن**» بياء وتاء[4]. [5]

(١) ففصل: مفصل، ت، ك.
(٢) حجة القراءات ٦٣٩.
(٣) الله: الدلالة، ت، ك.
(٤) بياء وتاء: بتاء وياء، ت، ك.
(٥) حجة القراءات ٦٤٠.

۞ اللغة

الوحي: إلقاء المعنى إلى النفس على سبيل الخفية، ومنه سمي الإلهام وحيًا في قوله: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨] أَوْحَى إيحاءً.

والفَطْرُ: الشق، ومنه: فَطَرَ ناب البعير.

تكاد: كلمة تقارب ولا تحقق، كاد يفعل كذا، أي: قرب[١] أن يفعل[٢] ولم[٣] يفعل.

۞ الإعراب

«كذلك» الكاف للتشبيه، فشبه ما أوحى إليه من القرآن بالكتب التي أوحى بها إلى الأنبياء، وقيل: كما أوحى إلى الأنبياء أوحي إليك هذه السورة، وأوحى[٤] سائر القرآن.

۞ المعنى

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾ قيل: اسم للسورة[٥]، عن الحسن، وقتادة، وأبي علي، وقيل: إشارة إلى أن القرآن مؤلف من هذه الحروف، ثم عجزتم عن الإتيان بمثلها، فاعلموا أنه كلام الله تعالى، وأنه معجز لنبيه ﷺ، عن أبي مسلم، وقيل: إشارة إلى أن القرآن مؤلف من هذه الحروف فيكون مُحْدَثًا، عن أبي بكر الزبيري، وقيل: قَسَمٌ، أقسم الله تعالى بهذه الأسماء، وقيل: أقسم الله بها لا يعذب من دعا إليه بلا إله إلا الله، وقيل: (ح) من الرحمن، (ميم) من مجيد، (ع) من عالم، (سين) من قدوس، (ق) من قاهر، عن سعيد بن جبير، وجعفر بن محمد، وقيل: (ع) من العزيز، (سين) من السلام، (القاف) من القادر، عن السدي. «**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ**»

---

(١) أي قرب: وأقرب، ت، ك.

(٢) يفعل: يقل، ت، ك.

(٣) ولم: -، ت.

(٤) وأوحى: أوحي، ت، ك.

(٥) سورة: السورة، ت، ك.

قيل: كما أوحى إليك أوحى إلى مَنْ قبلك، وقيل: ما من نبي صاحب كتاب إلا وقد أوحي إليه (حم عسق)؛ فلذلك قال: «**كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ**»، عن ابن عباس، وقيل: كل وحي نزل على نبي فإنما أنزل من جهة الله الذي يحق له العبادة «**الْعَزِيزُ**» القادر «**الْحَكِيمُ**» العالم المحكم لأفعاله «**لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**» خلقًا وملكًا «**وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ**» العلي في صفاته لا يشاركه فيها أحد «**العظيم**» في أفعاله، فلا قبيح في فعله «**تَكَادُ**» تقرب «**السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ**» يتشققن، وقيل: كادت القيامة تقوم، وتَتَفطَّر السموات، اختلفوا من أي شيء؟ قيل: من عظمة الله وجلاله، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وقيل: استعظامًا للكفر بالله والعصيان له مع حقوقه على عباده، وقيل: من عظيم[(١)] قول المشركين: ﴿ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا﴾ [الكهف: ٤]،عن ابن عباس، والحسن، وهذا على طريق التمثيل، أي: لو كانت السموات يتفطرن لشيء[(٢)] لانفطرن لهذا، «**مِنْ فَوْقِهِنَّ**» قيل: السمواتيتفطر بعضها فوق بعض، وكل واحد فوق الذي يليه، عن ابن عباس، وقيل: فوق الأرضين، وقيل: «**من فوقهن**»، أي: من حيث هن[(٣)]؛ لأن[(٤)] مكانهن أعلى من مكان الأرض، «**وَالْمَلاَئِكَةُ يُسَبِّحُونَ**» أي: هم مع جلالتهم ينزهون الله عن وصفه بما لا يليق به، وقيل: الملائكة الذين اتخذهم الكفار آلهة ينزهون الله عن مقالتهم، ويتبرأون من[(٥)] شركهم، وقيل: هم ينزهونه عما يلزمكم تنزيهه عنه، وتسبيحهم «**بِحَمْدِ رَبِّهِمْ**» أي: بإضافة النعم إليه، والثناء الحسن، ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِۗ﴾ من المؤمنين الذين يطابقونهم على تنزيهه، وقيل: للتائبين[(٦)]، كقوله: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ﴾ ثم قال: ﴿لِلَّذِينَ تَابُواْ﴾ [غافر:٧] وقيل: يسألون تأخير العذاب عن الكافرين لعلهم يتوبون[(٧)] «**أَلاَ إِنَّ اللهَ هُوَ الْغَفُورُ**» لذنوبهم بالتوبة «**الرَّحِيمُ**» لا يعاجلهم بالعقوبة.

---

(١) عظيم: عظم، ت.
(٢) لشيء: بشيء، ت، ك.
(٣) حيث هن: جهتهن، ت.
(٤) لأن: لئن، د.
(٥) من: عن، د.
(٦) للتائبين: التائبين، ت، ك.
(٧) يتوبون: يتوبوا، ت، ك.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**تكاد**» على عظم[1] معاصيه، وفيه حث على طاعته.

ويدل قوله: «**والملائكة**» على أنهم مكلفون، وعلى وجوب تنزيهه عن كل ما لا يليق به.

«**ويستغفرون**» يدل على عظم محل الملائكة حتى استغفروا، وذلك يحل محل[2] الشفاعة.

قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾
وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ
فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن
يُدْخِلُ مَن يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ ۚ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِن
دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ۖ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ
فِيهِ مِن شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ۚ ذَٰلِكُمُ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾.

۞ اللغة

الولي: القريب النصرة عند الحاجة، ونقيضه: العدو، ومنه: الولي: العَمُّ، والولي: الناصر، والولي: الأخ والصاحب، قال أبو مسلم: ووَلِيُّ[3] الشيء: مالِكُهُ وصاحبه.

والحفيظ[4]: الحافظ، وهو المانع من هلاك الشيء.

والإنذار: الإعلام بموضع المخافة.

والإنابة: الرجوع، أناب إنابة.

---

(١) عظم: عظيم، د، ك.

(٢) وذلك يحل محل: في د: وكل ذلك محل. وفي ك: فحل ذلك محل.

(٣) وولي: ولي، ت، د.

(٤) والحفيظ: والحفظ، ك.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى من رحمته إمهالهم بعد الإنذار، وتأخير الجزاء إلى يوم القيامة، فقال ـ سبحانه ـ: «وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ» أي: اتخذوا الأوثان آلهة لتتولى أمورهم، وتحوطهم، وتدفع عنهم «اللهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ» أي: يحفظ أعمالهم ليجازيهم بها «وَمَا أَنْتَ» يا محمد «عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ» أي: تحفظ[1] أعمالهم لتمنعهم منها، إنما عليك البلاغ، وفيه تسلية له، وقيل: لَسْتَ بمطالب بجناياتهم «وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا» أي: كما أوحينا إلى الرسل أوحينا «إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا» أي: بلغة العرب «لِتُنْذِرَ» لتخوف «أُمَّ الْقُرَى» يعني مكة، وسميت بذلك، قيل[2]: لأنها أفضل القرى؛ لأن فيها البيت وهي حَرَمٌ، وكل قرية دونها، عن أبي مسلم، وقيل: لأنها أول[3] بيت وضع، وأُمُّ كل شيء: أصله، فكانت مكة أمًا لجميع القرى «وَمَنْ حَوْلَهَا» أي: لتنذر من حول مكة، قيل: المراد به العرب؛ ليكونوا أنصارًا له على سائر الأمم، عن أبي مسلم، وقيل: المراد به سائر الناس، عن أبي علي. «وَتُنْذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ» أي: بيوم يجمع فيه الخلائق، وهو يوم القيامة، ولم يبين ما خوف به؛ ليذهب قلب المكلف إلى كل مذهب من أنواع الخوف، وقيل: الإنذار بيوم الجمع إنذار بالفضيحة التي تظهر «لَا رَيْبَ فِيهِ» أي: لا شك «فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ» وهو النار، ففي الجنة الأنبياء والمؤمنون، وفي النار الكفار والفاسقون، وهذه أحوال المكلفين، لا يخلو مكلف من أحد هذين، وأحدهما غاية الأمنية؛ لأنها نعيم دائم يستحق على سبيل التعظيم، لا يشوبها ما ينغصها، وثانيهما غاية الهموم؛ لأنها آلام عظيمة تستحق[4] على سبيل الاستحقاق والإهانة، لا يشوبها رَوْحٌ «وَلَوْ شَاءَ اللهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً» قيل: لو شاء أن يحملهم على دين واحد ـ وهو الإسلام؛ بأن يلجئهم إليه ـ لَفَعَلَ، وإنما لم يفعل؛ لأنه يزيل التكليف، وإنما يثبت التكليف والثواب والعقاب مع الاختيار، ولو فعل ذلك لبطل الغرض، عن أبي علي، وقيل: لو شاء أن يجعل

---

(١) في ت، ك: بحفيظ.
(٢) قيل: +، ت، ك.
(٣) أول: أفضل، ت.
(٤) تستحق: -، ت، ك.

الفريقين فرقة واحدة ـ بأن يخلقهم في الجنة ـ لفعل، ولكن اختار لهم أعلى الدرجتين، وهو استحقاق الثواب، وقيل: لو شاء أن يدخل الجميع الجنة لا يمتنع عليه «**وَلَكِنْ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ**» وهم المؤمنون «**وَالظَّالِمُونَ**» وهم[١] العصاة «**مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ**» يتولى حفظهم، ولا ناصر ينصرهم، حتى ينجوا من عذاب الله، عن أبي مسلم، وقيل: لم يلجئهم[٢] إلى الدين؛ لكن كلفهم ليطيعوا، فيستحقوا الثواب، فإدخالهم في رحمته إدخال في التكليف الذي [يؤدي] إلى الدين؛ لكن كلفهم ليطيعوه، وهو سبب الرحمة، «**والظالمون**» من المكلفين ليس لهم من ولي «**وَلَا نَصِيرٍ**»، عن أبي علي. «**أَمِ اتَّخَذُوا**» تعجيب من الله لعباده في اتخاذهم غيره إلهًا مع أنه الولي، فقال ـ سبحانه ـ: «**هُوَ الْوَلِيُّ**» قيل: يتولى منافع العباد ودفع المضار عنهم، وقيل: نصير: قريب منهم نُصرتُه[٣].

ومتى قيل: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ يقتضي بناءه على ما[٤] تقدم؟

قلنا: بلى، وتقديره: قد أعلمناهم أنهم إن اتخذوا من دونه آلهة، أولياء لم يملك أحد دفع العذاب عنهم، فهل صدقوا في هذا أم اتخذوا من دونه آلهة[٥]؟ وقد فعلوه والله تعالى مالك الأولياء، عن أبي مسلم.

وقيل: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا﴾ استفهام، والمراد الإنكار أي: لا تتخذوا من دونه أولياء، والله هو الولي، عن أبي علي.

وقيل: تقديره: أفيؤمن هؤلاء بالقرآن وبما جئت أم اتخذوا من دونه آلهة؟ فإن اتخذوا من دونه أولياء، فاتخذ الله أنت يا محمد وليًا، فإنه الولي الذي يملك النفع والضر، كما يملك إحياء الموتى «**وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**».

«**وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ**» من أمر الدين والكتاب والرسول، فصدق بعضكم

(١) هم: -، ت.
(٢) يلجئهم: يحلهم، ت.
(٣) نصير قريب منهم نصرته: -، د، ت.
(٤) ما: أمر، ت، ك.
(٥) أولياء لم يملك... آلهة: +، ت، ك.

وكذب بعضكم، فالخطاب للأمة، وقيل: الخطاب للنبي صلى الله عليه، أي: إذا وقع بينكم وبين الكفار خلاف «فَحُكْمُهُ إِلَى الله» قيل: بيان الصواب إليه، بنصب الأدلة، وقيل: يحكم للمحق بالثواب والمدح، وللمبطل بالعقاب والذم، وقيل: يحكم يوم القيامة، ويجازي كل أحد بما يستحقه، وقيل: أراد ما يستحق على ذلك من ثواب وعقاب «ذَلِكُمُ الله رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ» يعني الذي ينفذ حكمه هو الله، وقيل: حاكِمْهُمْ إلى الله أي: إلى[1] حُكْمِهِ، وقيل: هو ربي عليه توكلت، قيل: هذا وعيد لهم، يعني متى كذبوك فحاكمهم إلى الله، فإنه ينصف[2] لك منهم «وَإِلَيْهِ أُنِيبُ» إلى حكمه المرجع، والإنابة: الرجوع.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ على أن جميع القرآن بلغة العرب، خلاف ما قاله بعض الحشوية[3].

وتدل على حدوثه؛ لأن[4] ما كان عربيًّا لا يكون قديمًا.

ويدل قوله: ﴿لِّتُنذِرَ﴾ أن الغرض بالقرآن الإنذار.

وتدل على وجوب التدبر فيه.

وتدل على أنه يمكن معرفة المراد بظاهره أو بقرينة؛ ليصح أن يقع به الإنذار.

ويدل قوله: ﴿فَرِيقٌ﴾ على أن المكلفين على فريقين لا ثالث لهما.

ويدل قوله: ﴿وَٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [على أنه] لا يكون لهم ناصر.

وتدل أنه لا شفاعة لهم، وأنهم لا يدخلون الجنة، خلاف ما يقوله بعضهم.

ويدل قوله: ﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ﴾ أن الاختلاف في الديانات يصح، فيوجب كون المعارف مكتسبة.

---

(١) إلى الله أي إلى: بالله إلى، د.

(٢) ينصف: يدعوهم، د، ك.

(٣) بعض الحشوية: الحشوية، ت.

(٤) لأن: لأنه، ت، ك.

وتدل على أنه عند الاختلاف يطلب التمييز بين الحق والباطل من جهته تعالى، وذلك يبطل التقليد، ويوجب الاعتماد على الأدلة الصادرة من جهته عقلاً وسمعًا.

وتدل على أن حال الاختلاف مفارق لحال الاجتماع[1]، فتدل على أن للإجماع حجة[2].

وتدل أن الاختلاف فعلهم، فيصحح قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

اللغة

الفَطْرُ: أصله[3] الشق، فاطر السموات: مبتدئ خلقها.

الذَّرْء: إظهار الخلق بإيجاده، وذرأ الله الشيء أي: خلق، وذرأ أصله الظهور، ومنه: الذرية لظهورها ممن تأتي منه.

---

(١) الاجتماع: الإجماع، د.

(٢) فتدل على أن للإجماع حجّة: -، ت، ك.

(٣) أصله: -، ت.

والشِّرْعَةُ والشريعة سواء، وهو: الظاهرالمستقيم من المذاهب، يقال: شرع الله هذا، أي: جعله مذهبًا ظاهرًا، وشرع فلان في كذا: أَخَذَ فيه، وشَرَعَ: بيّن وأظهر، ومنه: المَشْرَعَةُ والشريعة؛ لأنهما في مكان معلوم ظاهر من البحار والأنهار.

والاجتباء والاصطفاء والاختيار نظائر.

الإعراب

الكاف في قوله: «كمثله» قيل: زائدة، أي: ليس مثله شيء، وقيل: بل (مثل) زائد للتأكيد، قال أوس بن حجر:

وقَتْلَى(١) كَمِثْلِ جُذُوعِ النَّخِيلِ تَغْشَاهُم مُسْبِلٌ(٢) مُنْهَمِر(٣)

وقال آخر:

سعد بن زيد إذا أَبْصَرتَ فَعْلَهُم ما إن كمثلهم في الناس من أحد(٤)

وقال آخر:

ليس كمثل الفتى زهير خلق يوازنه في الفضائل(٥)

و﴿أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ﴾ يجوز في موضعه ثلاثة أوجه:

الأول: النصب على البدل من (ما) في قوله: «ما وصى».

الثاني: الجر على البدل من الهاء في قوله: «به»(٦).

---

(١) وقتلى: ومثلي، ت، د، ك.
(٢) مسبل: سيل، ت، د، ك.
(٣) انظر ديوان أوس بن حجر، تحقيق محمد يوسف نجم، دار صادر بيروت، ١٩٧٩.
(٤) ورد البيت برواية: سعد بن زيد إذا أبصرت فضلهم.
(٥) البيت ينسب إلى أوس بن حجر انظر ديوان أوس بن حجر.
(٦) به: في، ك، ظ.

الثالث: الرفع على[1] الاستئناف.

«فاطر» رفع على تقدير: هو فاطر.

﴿وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟﴾ تم الكلام، ثم استأنف فقال: «كَبُرَ» إلا أن «كَبُرَ» فعل ماضٍ، فهو لا يرتفع.

«بغيًا» نصب على الحال، أي: في حال بغيهم[2]؛ لأن[3] البغي مصدر، وقد يوضع المصدر موضع الحال، كقولهم: جاءني فلان مشيًا، فالمشي مصدر، وهو حال.

المعنى

ثم وصف نفسه بما يوجب ألاّ يُعْبَدَ غيره، فقال ـ سبحانه ـ: «فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أي: خالقهما ومبتدؤهما «جَعَلَ لَكُمْ» أي: خلق لكم «مِنْ أَنْفُسِكُمْ» قيل: من جنسكم «أَزْوَاجًا» أي: حلائل، فلكل أحد زوج من جنسه، وقيل: المراد حواء خلقت[4] من ضلع آدم «وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا» ذكر[5] وأنثى «يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ» أي: يخلقكم فيه، قيل: في الرحم، وقيل: في البطن، وقيل: في هذا الوجه من الخلقة والصورة، وقيل: تقديره: يذرؤكم[6] في الشيء الذي ذكر، وهو الأزواج[7]، والعرب تقول ذلك، قال ذو الرمة:

وَمَيَّةُ[8] أَحْسَنُ الثَّقَلَيْنِ خَدًّا[9] ... وَسَالِفَةً[10] وَأَحْسَنُهُ قَذَالاَ[11]

(١) الرفع على: على الرفع على، ت.
(٢) بغيهم: نعتهم، ت.
(٣) لأن: لئن، د.
(٤) خلقت: خلق، ت، د، ك.
(٥) ذكر: كذكر، ت.
(٦) يذرؤكم: لله اوكم، ت.
(٧) الأزواج: الانعراج، د.
(٨) ومية: وفيه، ت.
(٩) خدا: جيدًا.
(١٠) سالفة: قبالة، ت؛ فسالة، ك.
(١١) اللسان (ثقل)، أنظر ديوان ذو الرمة، دار صادر.

أي: أحسن من ذكرت، يعني الثقلين، عن أبي مسلم، وقيل: (في) بمعنى الباء، أي: يذرؤكم به، قال ابن كيسان: يكسوكم، وقيل: (فيه) أي: في الزوج؛ لأن الذكر والأنثى إذا (اجتمعا)[1] وقع الخبر بلفظ التذكير، وقيل: يخلقكم فيما خلق الله لكم[2] من الأرض.

«لَيسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ» أي: ليس مثله شيء، فأدخل الكاف والمثل تأكيدًا لنفي التشبيه على التحقيق والتقدير «وَهُوَ السَّمِيعُ» لجميع[3] المسموعات «البَصِيرُ» لجميع[4] المبصَرات.

ومتى قيل: كيف يتصل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ بما قبله؟

قلنا: لما نفى كون مِثْلٍ له؛ بَيَّنَ أنه مع ذلك سميع بصير؛ لئلا يتوهم نفي هذه الصفة له على الحقيقة.

«لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» قيل: خزائنهما، عن السدي، واحدها: إقليد، وقيل: مفاتحهما، عن مجاهد، وإنما هو مفاتيح الرزق وأسبابها، فتمطر السماء بأمره، وتنبت الأرض بإذنه «يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ» أي: يوسع على من يشاء «إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» يفعل ذلك بحسب المصالح[5] «شَرَعَ لَكُمْ» قيل: فرض «مِنَ الدِّينِ»، عن الحسن، وقيل: بَيَّنَ لكم ونهج، عن أبي علي. «مَا وَصَّى بِهِ» أي: أَمَرَ الأنبياء به، وقيل: شرع لعباده من الدين ما تَعَبَّدَ به أنبياءه، واختلفوا في المراد بالدين، قيل: التوحيد والعدل، فإن ذلك لا يختلف بالشرائع، وقيل: أراد به الشرائع، وأن شرائع الأنبياء مع اختلافها سواء في كونها مصلحة، والأول أوجه، وقيل: أراد تحريم الحلال[6] وتحليل الحرام[7]، عن قتادة، وقيل: تحريم الأمهات والأخوات والبنات،

(١) اجتمعا: اجتمع، ت، د، ك.
(٢) لكم: -، ك.
(٣) لجميع: بجميع، د، ك.
(٤) لجميع: بجميع، ت، ك.
(٥) المصالح: المصلحة، ت.
(٦) الحلال: الحرام، ت، ك.
(٧) الحرام: الحلال، ت، ك.

وقيل: هو الإقرار بالله، والطاعة له، والقيام بعبادته وشكره على نعمه، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: هو قوله: ﴿أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِۚ﴾، فبعث الأنبياء بإقامة الدين، والتمسك بالجماعة، وترك المفارقة والمخالفة ﴿مَا وَصَّىٰ﴾ أي: بالغ في الوصية في حفظه والتمسك به «نُوحًا» عليه السلام «وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ» قيل: تقديره شرع لكم من الدين ما وصى به نوحًا، وشرع ما أوحينا إليك، وقيل: تقديره: ما وصى به نوحًا وبالذي أوحينا إليك، ثم فسر ذلك فقال: «أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ» وإقامته: اعتقاده والعمل به «وَلاَ تَتَفَرَّقُوا فِيهِ» قيل[(١)]: لا يُكَفِّر بعضكم بعضًا ولا يضلل، ولكن عليكم بالألفة والجماعة، والتمسك بالأدلة المؤدية إلى الحق.

ومتى قيل: كيف يجتمعون على الحق، ولا[(٢)] يجري بينهم التكفير والتضليل؟

قلنا: بالنظر في الأدلة، وترك التقليد والهوى واتباع الشُّبَهِ.

وقيل: لا تتفرقوا في الدين فتعتقد[(٣)] كل طائفة شيئًا، فإن الحق في واحد.

«كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ» أي: عظم عليهم ما دعوتهم إليه من توحيد الله، وخلع الأنداد، وقيل: شق عليهم مفارقة الكفر؛ لإلفهم دين آبائهم، وقيل: عظم عليهم ذلك؛ لما فيه من زوال رئاستهم، وقيل: شق عليهم اتباعك فيما تأمرهم به من الدين، وهذا هو الوجه. «اللهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ» أي: ليس إليهم[(٤)] الاختيار؛ لأن الله يجتبي لرسالته من يشاء، فاجتباك كما اجتبى موسى ومَنْ قبله ومن[(٥)] بعده من الأنبياء، وقيل: إلى[(٦)] بمعنى اللام، أي: يجتبي لرسالته من يشاء، وقيل: يتقبل ممن يشاء، عن أبي مسلم. «وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ» قيل: يلطف به، وقيل: يرفع درجته في الدنيا بالرسالة ويهديه، وقيل[(٧)]: يهدي إلى دينه وطريق الحق، وهم المكلفون،

(١) قيل: قل، ت.
(٢) ولا: لا، د.
(٣) فتعتقد: تعتقد، ت، د، ك.
(٤) إليهم: لهم، ت.
(٥) من: +، ت.
(٦) إلى: الباء، ت، د، ك.
(٧) وقيل: قيل، ت.

وقيل: يهديه إلى طريق الجنة والثواب، و«ينيب» قيل[١]: يرجع إلى ربه في إخلاص دينه «**وَمَا تَفَرَّقُوا**» في الدين، قيل: أهل الأديان المختلفة، وقيل: أراد أهل الكتاب، عن ابن عباس. «**إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ**» قيل: العلم ببعثة محمد وصفته، فعلموا وعاندوا، والمراد به العلماء، ويجوز على مثلهم العناد، عن أبي علي، وقيل: أراد بالعلم طريق العلم لا نفس العلم، يعني ما تفرقوا إلا من[٢] بعد قيام الحجة، وأُتُوا في كفرهم من قبل أنفسهم، والأول أقرب إلى الحقيقة، والثاني أقرب إلى اللفظ للعموم. «**بَغْيًا**» أي: طلبًا للدنيا، واتباعًا للهوى والحسد والعداوة «**وَلَوْلاَ كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى**» أي: لولا وعد الله وإخباره بتبقيتهم إلى وقت معلوم، وتأخير العذاب عنهم في الحال، وقيل: لولا وعد الله بتأخيرهم إلى يوم القيامة، وهو الأجل المسمى «**لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**» بهلاك المبطل، وإثابة المحق «**وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ**» يعني اليهود والنصارى الذين أورثهم الله الكتب من الأنبياء، التوراة والإنجيل وغيرهما، عن السدي. «**مِنْ بَعْدِهِمْ**» أي: من بعد الأمم الخالية، وقيل: من بعد اليهود والنصارى، وهم مشركو مكة والعرب، أورثهم القرآن من بعد الكتب الماضية «**لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ**» يعني كفرهم بجهالتهم لا للعناد[٣] كعلماء اليهود والنصارى، وقيل: هم في شك من نبوتك، وقيل: في نفس الكتاب الذي أورثوه[٤] «**فَلِذَلِكَ فَادْعُ**» قيل: اللام للتعليل[٥]، أي: لأجل الشك والذي هم فيه أُدْعُهُمْ إلى الحق؛ حتى تزيل الشك، وقيل: اللام بمعنى إلى؛ أي: إلى[٦] الذي شرعه الله ورضي به فادْعُ، عن أبي مسلم، وقيل: فَلِتَفَرُّقِ الأمم قبلك وبغيهم بعد العلم سلك قومك مذاهبهم شاكين في القرآن، ثم ابتدأ فقال سبحانه[٧] «**فَادْعُ**» إلى سبيل ربك «**وَاسْتَقِمْ**» قيل[٨]: بما آتاك

---

(١) قيل: +، ت.
(٢) من: +، ت.
(٣) للعناد: للعباد، ت، د، ك.
(٤) أورثوه: ورثوه، ك.
(٥) للتعليل: للتقليل، ت، د، ك.
(٦) إلى أي إلى: الباء أي، ت؛ الباء أي إلى، ك.
(٧) سبحانه: +، ت.
(٨) قيل: وقيل، ت،د، ك.

من النبوة والكتاب ادع إلى الإسلام ودُمْ عليه، عن أبي علي، وقيل: استقم في الرسالة وإبلاغها، أي: دم عليه وامض فيها، وفيه تقوية لقلبه صلى الله عليه وسلم «**وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ**» يعني أهواء المشركين؛ بل اتبع الوحي «**وَقُلْ آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ الله مِنْ كِتَابٍ**» أي: بكل كتاب منزل «**وَأُمِرْتُ لأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ**» أي: كي أعدل بينكم، وقيل: أسوي بينكم في الدين والدعاء إلى الحق ولا أحابي أحدًا، فيكون القريب والبعيد فيه سواء، وقيل: لأسوي بيني وبينكم، فآمركم بما أفعله وأعتقده، وقيل: لأعدل بينكم في جميع الأشياء، فلا أحيف لأحد على أحد، وقيل: «ثلاث مَنْ كُنَّ فيه فقد[1] فاز: العدل في الرضا والغضب، والقصد في الغنى والفقر، والخشية في السر والعلانية، وثلاث من كن فيه هلك: شح مطاع، وهوى متبع، وإعجاب[2] المرء بنفسه. وأربع من أعطيهن فقد أعطي خير الدنيا والآخرة: لسان ذاكر، وقلب شاكر، وبدن صابر، وزوجة مرضية». «**الله رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ**» قيل: قل: الله ربنا وربكم، أي: خالق الجميع والمنعم عليهم، وكان أهل الكتاب والمشركون يعترفون بذلك «**لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ**» أي: جزاء أعمالنا [لنا]، وجزاء أعمالكم لكم.

«**لاَ حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ**» قيل: لا خصومة، عن مجاهد، وابن زيد، أي: قد ظهر الحق فسقط الجدال، فالحجة لنا عليكم لظهورها، وليس بيننا اشتباه والتباس، وقيل: قد اعترفتم بالله، فلا نحتاج إلى إقامة الحجة مع ارتفاع المنازعة، فينبغي أن تعملوا[3] بحسب اعترافكم، وقيل: إن أبيتم إلا العناد فلا حجة بيننا وبينكم؛ لظهور أمركم على سبيل البغي والعناد وإقامة الحجة عليكم[4]، عن أبي علي. ﴿وَقُلْ ءَامَنتُ﴾ بجميع الكتب ﴿وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ﴾ ولا حجة بعدها، إنما كانت الحجة لكم لو كان ما أدعوكم إليه من التوحيد والعدل مخالفًا لما في الكتب المنزلة على الأنبياء أو أفعل[5] ما لا يجوز، فأما إذا دعوتكم إلى حكم الكتب التي آمنتم بها فلا موضع للمحاجة،

(١) فقد: -، ت، ك.
(٢) إعجاب: وعجب، ت، ك.
(٣) تعملوا: تعلموا، ت، د، ك.
(٤) عليكم: +، ت، ك.
(٥) أو أفعل: وأفعل، د.

عن أبي مسلم، وقيل: قد ظهرت الحجة، فإذا لم تقبلوا فلا سبيل إلى المحاكمة إلى الله تعالى. «الله يَجْمَعُ بَيْنَنَا» يوم القيامة لفصل القضاء «وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ» إلى حكمه المرجع، وقيل: إلى الموضع الذي لا حكم فيه إلا له.

الأحكام

تدل الآيات الأولى أنه فاطر السمواتوالأرض، فيبطل قول المفوضة.

وتدل على أنه لا مثل له، فيبطل قول المشبهة والمجسمة، ومن يُثْبِتُ له جهة ومكانًا.

ويدل قوله: ﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ أنه المنعم بالأرزاق وجميع النعم، وأنه قادر على جميع الأشياء..

ويدل قوله: «شرع» على أن الأنبياء كلهم بعثوا للدعاء إلى الدين؛ لأن قوله: «أَقِيمُواْ الدِّينَ» كالتفسير له، وهذا لا يليق إلا بالتوحيد والعدل دون الشرائع التي تختلف.

واستدل بعضهم بالآية على أنه ﷺ كان مُتَعَبَّدًا بشرائع مَنْ تقدم، وهو[1] بعيد؛ لأنه إذا حمل الآية على ما قدمنا فلا حجة لهم فيه، وأيضًا فقول[2] فَقْد الشرائع لا يدل على[3] ما قالوا؛ لأن كل واحد إنما يجيء بوحي محدد، فهو شرع مبتدأ فلا يكون بعضهم تبعًا لبعض.

ويدل قوله: ﴿ٱللَّهُ يَجْتَبِيٓ﴾ أن الرسالة ليست بمستحقة و[لا] جزاء، وإنما يبعث مَنْ يصلح.

ويدل قوله: ﴿وَيَهْدِيٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ﴾ أنه يثيب المؤمنين دون غيرهم، وقد

---

(١) وهو: وهذا، ت، ك.
(٢) فقول: فمول، ت، د، ك.
(٣) على: لا، ك.

استدل بعضهم بقوله: ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلۡعِلۡمُ﴾ أن المعارف ضرورية، وقد بينا ما قيل فيه؛ فلا تعلق للقوم بها.

ويدل قوله: ﴿لَفِي شَكٍّ﴾ أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: ﴿فَلِذَٰلِكَ فَٱدۡعُۖ﴾ أن الغرض بالبعثة الدعاء.

وتدل على عظيم محل[1] الدعاء إلى الدين.

وتدل[2] على[3] أن الدعاء فعله.

ويدل قوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعۡ أَهۡوَآءَهُمۡۖ﴾ على تحريم التقليد؛ لأنه اتباع الهوى.

ويدل قوله: ﴿وَقُلۡ ءَامَنتُ﴾ على وجوب الإيمان بسائر الكتب المنزلة.

وتدل على وجوب إظهار الإيمان لذلك قال: ﴿وَقُلۡ[4] ءَامَنتُ﴾.

ويدل قوله: ﴿لِأَعۡدِلَ بَيۡنَكُمُۖ﴾ أنه كما أوتي النبوة أوتي الحكم وفصل الخصومات، وكان كثير من الأنبياء بخلافه.

ويدل[5]: قوله: ﴿لَا حُجَّةَ بَيۡنَنَا﴾ أن الحجة متى ظهرت[6] وعاند المبطل فالواجب المحاكمة إلى الله تعالى، وقد قال بعضهم: نسختها آية السيف، وليس بشيء، وقد بيَّنَّا معناه.

---

(١) محل: حال، د.

(٢) +، ويدل قوله فلذلك فادع أن الغرض البعثة، ت.

(٣) على: +، ت، ك.

(٤) وقل: فقل، ك.

(٥) ويدل: وقيل، د، ك.

(٦) ظهرت: ظاهرت، ت، د، ك.

قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ فِى ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مَا ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٱللَّهُ لَطِيفٌۢ بِعِبَادِهِۦ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْقَوِىُّ ٱلْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْءَاخِرَةِ نَزِدْ لَهُۥ فِى حَرْثِهِۦ ۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلدُّنْيَا نُؤْتِهِۦ مِنْهَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾﴾.

اللغة

المُحَاجَّةُ: مُفاعَلَةٌ من الحُجَّةِ، ومعناها المجادلة التي تكون بين الخصمين.

والدَّحْضُ[(١)]: الزَّلَقُ، يقال[(٢)]: مكان[(٣)] دَحْضٌ زَلَقٌ[(٤)]، ومنه: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾.

والشَّفَقُ: الخوف، ومنه: ﴿وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا﴾ [الأحزاب: ٧٢].

والمماراة والمراء واحد، وهي: الجدال والمخاصمة، ويجوز أن يكون المراء من المرية، وهي الشك، وبناؤه من الفعل فِعَالٌ الذي هو في معنى المفاعلة، كأن بعضهم يشكك بعضًا.

والميزان: آلة العدل، والموازنة والمعارضة والمقابلة والمقايسة نظائر في اللغة.

---

(١) في ت، ك: الدحض.
(٢) يقال: -، ت، ك.
(٣) مكان: +، ت، ك.
(٤) زلق: مزلة، ت.

۞ الإعراب

قوله: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ﴾ ولم يقل: قريبة؛ لأن تأنيثها غير حقيقي[1]، فجاز فيه التذكير[2] والتأنيث، وقيل: تقديره: إتيانها قريب، عن الكسائي.

وقيل: القربة على ضربين، قربة قرابة، وقربة مسافة[3]، فقربة القرابة تؤنث، وقربة المسافة[4] يجوز تذكيرها وتأنيثها، قال الشاعر:

عَشِيَّةَ لاَ عَفْرَاءُ[5] مِنْكَ قَرِيبَةٌ فَتَدْنُو ولا عَفْرَاءُ[6] مِنْكَ بَعِيدُ[7]

فجمع بين اللغتين.

ونصب (الميزان) عطفًا على الكتاب، أي: وأنزل الميزان.

«حجتهم» ابتداء، و«داحضة» خبره، وقد تم الكلام عند قوله: ﴿ٱسْتُجِيبَ لَهُۥ﴾.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُحَآجُّونَ﴾ في اليهود والنصارى، قالوا: كتابنا قبل كتابكم، ونبينا قبل نبيكم، ونحن خير منكم، وأولى بالحق، عن مجاهد.

وقيل: نزلت في المشركين، وقيل: إنهم قالوا: إن مات هو رجع هؤلاء عن دينهم، فنزلت الآية.

---

(١) حقيقي: حقيقة؛ ت، د، ك.
(٢) التذكير: للتذكير، ت.
(٣) مسافة: مشافة، ت، ك.
(٤) المسافة: مشافة، ت، ك.
(٥) ولا عفرا: ولا عفوا، ت، ك.
(٦) ولا عفرا: ولا عفوا، ت، ك.
(٧) البيت قائله عروة لن حزام؛ انظر ديوان عروة بن حزام:
وورد البيت برواية أخرى:
عشية لا عفراء مني قريبة

المعنى

لما تقدم ظهور الحجة وانقطاع المحاجة، عقبه بذكر من يحاج بالباطل، فقال ـ سبحانه ـ: «وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ» أي: يجادلون ويخاصمون «فِي الله» قيل: في دينه، وقيل: في توحيده «مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ» قيل: من بعد ما استجاب له الناس، ودخلوا في دينه؛ لظهور المعجزة، وقيام الحجة؛ لأنهم بعد ذلك في حكم المعاند، عن الحسن، وقيل: من بعد ما استجيب دعاؤه، لمحمد ﷺ في إظهار المعجزات التي أجاب الله دعاءه في إظهارها، ووجوب الانقياد له، وقيل: أراد بالاستجابة ظهور الحجة عليه من طريق الدلالة، فإن الخلق كلهم مستجيبون له طوعًا أو كرهًا، فمن عرف الحق أجاب طوعًا، ومن عاند أو جهل كانت نفسه كالمجيب إلى أنه عَبْدٌ مربوب، فإذا جحد فهو كالمكذب نفسه، عن أبي مسلم، وقيل: من بعد ما رأى الكفار إجابة الله دعاءه ودعاء المستضعفين، فنجوا من أذى المشركين، عن أبي علي، وقيل: المراد اليهود والنصارى، كفروا بمحمد بعد أن كانوا مؤمنين، فلما بعث جحدوا. «حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ» قيل: باطلة زائلة «عِنْدَ رَبِّهِمْ» وإنما سماها حجة وهي في الحقيقة شبهة؛ لاعتقادهم أنها حجة، ولما قال: ﴿حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ﴾ أزال الشبهة أنها ليست بحجة «وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ» يعني إرادة عذاب من الله «وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ. الله الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ» يعني القرآن «بِالْحَقِّ» قيل: ما فيه حق لا خلف فيه ولا كذب، وقيل: أراد بإنزاله بالحق، وهو العمل بما فيه، والاعتقاد لصحته، ولم يرد الباطل به، عن أبي علي، وقيل: أنزله للحق؛ لأن يقام به الحق، وقيل: أنزله بالإخبار عما كان ويكون بالحق والصدق «وَالْمِيزَانَ» قيل: هو ما أمر به من العدل، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبي مسلم، وجماعة، وقيل: أنزل نفس الميزان الذي يوزن به، عن أبي علي، وجماعة؛ ليتوصل الناس إلى الإيفاء والاستيفاء بالحق، ثم اختلفوا فقيل: أنزله من السماء، عن أبي علي، وقيل: إنزاله: خَلْقُهُ، كقوله: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ﴾ [الحديد: ٢٥]» وقيل: الواو للصفة تقديره: وأنزلنا الكتاب الميزان، وقيل: الميزان محمد ﷺ يقضي بينهم بالكتاب، عن علقمة، وهذا تشبيه وتوسع، وقيل:

هو جميع أحكام الشرع، «وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ»[١] أي: لست تدري متى تقوم الساعة، فإذا أنت لا تعلمه مع الوحي والكتاب فكيف يعلمه غيرك «يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِهَا» يعني من لا يؤمن بها يستعجل إنكارًا وتكذيبًا «وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا» أي: يخافون قيامها، وهم غير متأهبين لها «وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ» أي: مجيئها وكونها «أَلاَ إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ» قيل: يخاصمون فيها، وقيل: يوقع بعضهم بعضًا في التهمة «لَفِي ضَلاَلٍ بَعِيدٍ» عن طريق الحق؛ وذلك لأن في إهمال المكلفين وترك الجزاء سفها وعبثا[٢]، فمن أنكر القيامة والجزاء فقد أضاف السفه إليه تعالى، وهو كفر، ولأنه ينكر قدرة الله تعالى على إعادة الخلق والإحياء بعد الإماتة، ولا ضلال أعظم من ذلك «اللهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ» قيل: بارٌّ بهم حَفِيٌّ، عن ابن عباس، وعكرمة، وقيل: رفيق، عن السدي، وقيل: لطيف بالبر والفاجر في الإنعام، عن مقاتل، وقيل: لطيف بهم في العرض والمحاسبة[٣]، عن القرظي، وقيل: اللطيف فاعل اللطف، وهو إيصال المنافع إلى العباد على وجه يدق على[٤] كل فاعل إدراكه، وقيل: الفاعل اللطف بهم كي يصلحوا، وقيل: لطيف: مريد الإحسان إلى خلقه لمنافع الدنيا والدين[٥]، وقيل: بصير بهم وبسرائرهم، وقيل: لطيف بهم في الرزق من وجهين:

أحدهما: أنه جعل رزقهم من الطيبات.

والثاني: أنه لم يدفعه إليهم مرة واحدة، عن الصادق.

وقيل: لطيف بهم بإنزال القرآن عليهم وبتيسيره[٦] لهم، وقيل: اللطيف الذي يقبل القليل ويعطي الجزيل. «وَهُوَ الْقَوِيُّ» أي: القادر «الْعَزِيزُ» لا يمتنع عليه شيء

(١) قريب: قرب، ت.
(٢) سفها وعبثا: سفه وعبثه، ت، د، ك.
(٣) والمحاسبة: والمجالسة، د.
(٤) على: عن، د.
(٥) الدنيا والدين: الدين والدنيا، ت، ك.
(٦) وبتيسيره: وتيسيره، ت.

«مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ» يعني من أراد بعمله الدار الآخرة ووجه الله، وقيل: من أراد عذاب الدنيا وثواب الآخرة بعمله[1]، وقيل: أراد بجهاده رضى الله عز وجل، عن أبي علي. «نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ» قيل: في جزائه كقوله: ﴿فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] وقوله: ﴿وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٦] وقيل: نزد له في عمله بالتوفيق واللطف؛ ليثبت عليه، ويزيد العمل، ويستوجب الحظ الأوفى، وأراد بالحرث العمل، وذكر الحرث توسعًا، فشبه الأعمال بالبذر، والجزاء بالزرع، فكما لا يحصل الزرع إلا بعد إلقاء البذر، كذلك لا يحصل الثواب إلا بعد الأعمال الصالحة، وكما يتضاعف الزرع كذلك يتضاعف الأجر «وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا» أي: من يريد بعمله الدنيا نعطه رزقه[2] [الذي] قسم له، وقيل: من جاهد مع المؤمنين وطلب الغنائم، يعطى من الغنائم، ولا نَصِيبَ له في الثواب، عن أبي علي، وقيل: أراد بذلك المنافقين الذين كانوا مع رسول الله ﷺ وكان مرادهم الغنائم، ولم يكن لهم رغبة في الآخرة، عن أبي علي، وقيل: أراد الجهاد وسائر العبادات، وقيل: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْآخِرَةِ﴾ أي: عمل الآخرة نال الدنيا والآخرة، ومن عمل للدنيا فلا نصيب له في الآخرة؛ لأن الأعلى لا يجعل تبعًا للأدون، عن الحسن. «وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ» أي: لا حظ لهم في ثواب الآخرة ونعيمها.

۞ الأحكام

الآية تدل على أنه تعالى أنزل الكتاب، فتدل على حدوثه.

وتدل[3] أن الغرض بإنزاله القيام بالحق؛ ليعملوا به[4]، خلاف قول المجبرة القدرية.

ويدل قوله: ﴿وَٱلْمِيزَانَ﴾ أنه أراد العدل في الدين والدنيا، فأنزل الكتاب للذين سلكوا طريقة الحق، وأنزل الميزان آلة العدل في الدنيا.

---

(١) بعمله: لعلمه، د.
(٢) رزقه: رزقًا، ت.
(٣) وتدل: ويدل، ت.
(٤) به: ليعلموا أنه، ت.

ويدل قوله: ﴿يَسْتَعْجِلُ﴾ أن المعارف مكتسبة؛ لذلك خص المؤمنين بأنهم يعلمون أنها الحق، ووصف غيرهم بالشك.

ويدل قوله: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ﴾ على أنه يلطف للمؤمنين[1].

وتدل أن هذه[2] التي جرت في الدنيا من الحرث وغيره ألطاف في التكليف؛ ليتدبر العبد فيه لعمل الآخرة، ويعلم أنه إذا لم تحصل منافع الدنيا مع قلتها وانقطاعها إلا بعد العمل والجهد؛ فَلأَنْ يعمل للجنة مع عظم نعيمها ودوامها بالجهد أولى.

قوله تعالى:

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُا۟ شَرَعُوا۟ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنۢ بِهِ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةُ ٱلْفَصْلِ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُوا۟ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «**ويعلم ما تفعلون**» بالتاء على الخطاب، الباقون بالياء، والكناية ترجع إلى قوله: «**عباده**»[3].

---

(١) في ت: للمؤمن.

(٢) هذه: +، ت.

(٣) حجة القراءات ٦٤١.

اللغة

(أم) كلمة يعطف بها آخر الكلام على أوله، وأكثر ما تكون[1] في جواب الاستفهام عن أمرين لا شك في [ثبوت] أحدهما، كقولك: أزيد في الدار أم عمرو، وقد علم كون أحدهما فيها، ولا[2] يدري أيهما هو.

الإشفاق: الخوف من جهة الرقة على المخوف عليه من وقوع مكروه، وأصله الرقة، ومنه: ثوب شَفَقٌ أي: رداء رقيق.

والأذان: الإعلام.

والروضة: الموضع الخضر الحسن النبات.

قال الشاعر:

مَا رَوْضَةٌ[3] مِنْ رِيَاضِ الحَزْنِ[4] مُعْشِبَةٌ   خَضْرَاءُ جَادَ عليها مُسْبِلٌ هَطِلُ[5]

وكلهم يسمون الروضات ما أنبتت الريحان والبقل والعشب[6].

والجنة: الأرض تَجُنُّها الأشجار، وأصله من الستر، ومنه: الجِنَّة والجنون

والاقتراف: اكتساب الدنيا، فَقَرَفَ واقترف بمعنى.

[و] يمحُ الله: المحو: إذهاب الأثر.

الإعراب

«يمح» رفع إلا أنه حذف منه الواو في المصحف، كما حذف من ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨]» على اللفظ في ذهابها لالتقاء الساكنين، وليس بعطف على ﴿يَخْتِمْ﴾، ولأنه واقع، ويوضحه: ﴿وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ﴾.

---

(١) تكون: يكون؛ د، ت.

(٢) ولا: فلا، ت، ك.

(٣) ما روضة: ما موضع، ت.

(٤) الحزن: الحز، ت، ك.

(٥) البيت قائله الأعشى في معلقته ومطلعها:

ودع هريرة إن الركب مرتحل   وهل تطيق وداعًا أيها الرجل

انظر ديوان الأعشى، دار صادر بيروت، ١٩٦٦.

(٦) والعشب: والعنب، د.

والاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ﴾ قيل: منقطع، وقيل: [أجدى] المودة [في القربى]، كأنه أجر[1] فكان الاستثناء حقيقة.

۞ النزول

قيل: لما قدم النبي ﷺ المدينة، فكان ينوبه نوائب، وليس في يده سعة، فأتت الأنصار إليه بمال جمعوه[2]، وقالوا: إنك ابن أخينا، وقد هدانا الله تعالى على يديك، وتنوبك[3] نوائب، وقد أتيناك بمال تستعين به[4] على نوائبك، فنزلت الآية، عن ابن عباس.

وقيل: اجتمع المشركون، وقالوا: أترون محمدًا سأل على ما يتعاطاه أجرًا؟ فنزلت الآية، عن قتادة. وقيل: هذا أشبه؛ لأن السورة مكية.

وقيل: تفاخرت الأنصار، وقالوا: فعلنا وفعلنا، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فأتاهم، وقال: «ألم تكونوا أذلة فأعزكم الله بي»؟ قالوا: بلى، قال: «أفلم تكونوا ضلالاً فهداكم الله بي»؟ قالوا: بلى، ثم قال: «أولا تجيبوني»؟ قالوا: ما نقول يا رسول الله؟ قال: «قولوا: ألم يخرجك قومك فآويناك، وكذبوك فصدقناك، وخذلوك فنصرناك»، فما زال يقول حتى [جثوا على الركب و] قالوا: ما لنا [وما في أيدينا] لله ورسوله، فنزلت الآية: ﴿قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ عن ابن عباس.

وقيل: لما نزلت ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾، قال قوم: يخشى على مودة أقاربه من بعده، فنزل جبريل بالآية، وقال: اتهموك، فقالوا: نشهد إنك لرسول الله، فنزل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾.

---

(١) أجر: أخبر، ت، ك.

(٢) جمعوه: جمعوها، د، ك.

(٣) وتنوبك: وينوبك، ت، ك.

(٤) به: بها، د، ك.

۞ النظم

يقال: بم يتصل قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم﴾؟

قلنا: فيه وجوه:

قيل: لما تقدم أنه شرع له ولأمته الدين، وهو التوحيد والعدل، عقبه بتوبيخهم[1] على ما هم عليه، فقال: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ﴾ يعني هل لهؤلاء آلهة شرعوا لهم دينًا مخالفًا لهذا الدين الذي شرعه الله لكم.

وقيل: تقديره: هل يقبلون منك ما شرع[2] الله لك أم لهم شركاء يشرعون لهم.

وقيل: لما تقدم: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ ٱلْأَخِرَةِ﴾ الآية، قال: إذا كان هذا هكذا وهو دينك المشروع، أفهكذا[3] عندهم أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين غير هذا؟ عن أبي مسلم.

۞ المعنى

﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَٰٓؤُاْ﴾[4] أي: هل[5] لهم آلهة، يعني الأصنام، وقيل: أراد علماء السوء، أي: هم شركاء لله في الحكم، وقيل: هو استفهام والمراد به[6] الإنكار[7]، يعني لم يشرعوا دينًا، فكيف تخالفون ما شرع الله تعالى لكم «**شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ**» بينوا ونهجوا وأظهروا «**مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ الله**» قيل: لم يَعْلَمْهُ الله، يعني أنه مجهول لا دلالة عليه؛ إذ لو كان لَعَلِمَهُ تعالى، وقيل: لم يأمر الله به[8] «**وَلَوْلاَ كَلِمَةُ الْفَصْلِ**» قيل: لولا وَعْدُ الله القضاء بتبقيتهم إلى مدة «**لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ**» بعذاب يعاجلهم، استحقوه بكفرهم،

(١) بتوبيخهم: -، ت، ك.
(٢) ما شرع: ما شرعه، ت.
(٣) أفهكذا: فهكذا، ت.
(٤) أم: -، ت، ك.
(٥) هل: +، ت، ك.
(٦) به: -، ك.
(٧) الإنكار: إنكار، ك.
(٨) يأمر الله به: يأمر به الله، ت.

وينجي المؤمنين، وقيل: لولا أنه أخبر أنه لا يعذب هذه الأمة بالاستئصال، ويؤخرهم إلى يوم القيامة، لسلك بهم سبيل الأمم الماضية، وتلك الكلمة قوله: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦]، «وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» مؤلم موجع «تَرَى الظَّالِمِينَ» قيل: أراد الكفار، وقيل: أراد كل ظالم باعتقاد أو معصية «مُشْفِقِينَ» خائفين «مِمَّا كَسَبُوا» أي: من سوء صنيعهم، يخافون جزاءه، وذلك الخوف لا يغنيهم «وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ» يعني ما استحقوا من العذاب نازل بهم يوم القيامة لا محالة، وإنما عظم خوفهم لعلمهم بعظم ما أتوا وعظم جزائه «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ» يعني وترى هؤلاء «فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ» قيل: في الجنان ما يكون أبهى منظرًا، وأحسن وأطيب، وقيل: الجنة اسم الجميع، والرياض اسم لمواضع مخصوصة، وقيل: هو صفة لجميعها «لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ» يعني لا يحتاجون إلى كَدٍّ[1] وتعب، فما[2] يشاءون مُعَدٌّ لهم عند الله لا يحتاجون إلى غيره، وإنما أضاف إلى مشيئتهم؛ لأنهم لا يشاءون إلا الحَسَنَ، وقيل: المؤمن يترك بعض شهواته لله، فيعطيه الله جميع شهواته و«ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ» قيل: ذلك الثواب فضل عظيم من الله على المؤمن؛ لأنه[3] عرضه لذلك وكلّفه[4]، وأعطى على قليل الطاعة كثير الجزاء والثواب، وقيل: ذلك فضل عظيم بين الكافر والمؤمن؛ لأن أحدهما في الجنة والآخر في النار، و«ذَلِكَ» يعني ما ذكرت من نعيم الجنة، وقيل: الفضل الكبير «الَّذِي يُبَشِّرُ اللهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ»، فإنهم المستحقون له[5]، فيبشرون[6] به، «قُلْ» يا محمد «لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ» أي: على ما أدعوكم إليه، وأُبَلِّغُ من الرسالة، وأُبَيِّنُ من الشرائع «أَجْرًا» أي: جزاء «إِلاَّ الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى» قيل[7]: إلا أن تودوا لله، وتتقربوا إليه بطاعته، روى

(١) كد: كل، ت.
(٢) فما: فيما، ت.
(٣) لأنه: ولأنه، ت.
(٤) وكلفه: وأكلفه، د.
(٥) له: لهم، ت.
(٦) فيبشرون: فبشرون، ت.
(٧) قيل: وقيل، ت، د، ك.

ابن عباس عن النبي ﷺ» وهو قول الحسن، وأبي علي، وأبي مسلم، قالوا: هو التقرب إلى الله، والتودد إليه بالطاعة والعمل الصالح، ومعنى الكلام: لا تتقربوا إليّ بالأجرة؛ لكن تقربوا إلى الله بالطاعة[1] والعمل[2] الصالح، فعلى هذا الخطاب للمؤمنين، وقيل: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ إلا أن تودوني لقرابتي منكم، وصلة الرحم، وكل قريش كان بينه وبين رسول الله صلى الله عليه قرابة، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والسدي، والضحاك، وابن زيد، وعطاء بن دينار، وأبي مالك، وعلى هذا الخطاب للكفار، يعني إن لم تودوني للرسالة فلا تتركوا مودتي لحق القرابة التي بيني وبينكم. وقيل: إلا أن تودوا قرابتي وعترتي، وتحفظوني، عن علي بن الحسين، وسعيد بن جبير، وعمرو بن شعيب، وجماعة. ثم اختلف هؤلاء في هذه القرابة، فروى ابن عباس: لما نزلت هذه الآية قالوا: يا رسول الله مَنْ قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم؟ قال: «علي وفاطمة وابناها»، وقد روي ما[3] يؤكد هذا، فروى أبو هريرة أن النبي ﷺ نظر إلى علي وفاطمة والحسن والحسين، فقال: «أنا حرب لمن حاربتم، سلم لمن سالمتم». وعن زيد بن علي عن آبائه عن علي عليهم السلام[4]: شكوت إلى النبي ﷺ حسد الناس لي، فقال: «أما ترضى أن تكون رابع أربعة: أول من يدخل الجنة أنا وأنت، والحسن والحسين، أزواجنا عن أيماننا وشمائلنا، وذرياتنا[5] خلف أزواجنا، وشيعتنا من ورائنا». وقيل: هم ولد عبدالمطلب، وقيل: هم الذين تحرم عليهم الصدقة، ويقسم بينهم الخمس.

ثم اختلفوا فيمن تحرم عليهم الصدقة، قيل: بنو هاشم وبنو عبد المطلب، الذين لم يفارقوه في جاهلية ولا إسلام، وهو مذهب الشافعي. وقيل: هم خمس بطون: آل عباس، وآل علي، وآل جعفر، وآل عقيل، وولد الحارث بن عبد المطلب، عن

(١) بالطاعة: -، ت، ك.
(٢) والعمل: بالعمل، ت، ك.
(٣) ما: لما، ت، د، ك.
(٤) عليهم السلام: +، ت.
(٥) وذرياتنا: وذرارينا، ت.

الهادي عليه السلام[1]، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه، وهم ولد عبد المطلب إلا أولاد أبي لهب، وهم من ذكرنا، وقيل: إن هذا كان بمكة، أمرهم بمودته، فلما هاجروا[2]، وقوي أمرهم، قال: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ فنسخ ذلك بهذه الآية، عن الضحاك، وهذا لا يصح؛ لأن شيئًا مما تقدم لا يجوز نسخه، وقيل: يجوز أن يكون الله أطلع نبيه على أنهم يقتلون أولاده، فقال: لا أسألكم على الرسالة أجرًا، ولكن صِلُوا رحمي، واحفظوني في أولادي.

ومتى قيل: أي الأقوال أصح؟

قلنا: قول الحسن، وأبي علي لوجوه:

منها: أن الخطاب للكفار؛ لأن المؤمنين كانوا يعلمون أنه لا يسألهم أجرًا، فكأنه وصاهم بطاعته لئلا يسيئوا[3] إليه.

ومنها: أنه قال عقيبه: «**وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا**» وأن المراد بالقربى الأمور المقربة إلى الله سبحانه[4].

ومنها: أن من كان من قراباته[5] مؤمنًا فولايته واجبة كسائر المؤمنين، ومن كان كافرًا أو فاسقًا فمعاداته واجبة، ولذلك نزلت: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ﴾[6] [المسد: ١] في عمه، فلا معنى لتخصيصهم بذلك.

ومنها: أن مودتهم لا تجوز أن تُجْعَلَ[7] أجرًا له.

ومنها: أنه قال في موضع آخر: ﴿لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾ [الشورى: ٢٣]» كما حكى عن سائر الأنبياء، ذكر ذلك جميعه[8] أبو مسلم، وَطَوَّلَ الكلام فيه.

---

(١) عليه السلام: +، ت.
(٢) هاجروا: هاجر، د.
(٣) لئلا يسيئوا: ليأنسوا، ت، ك.
(٤) سبحانه: -، ت، ك.
(٥) قراباته: أقربائه، ك.
(٦) وتب: -، ت، ك.
(٧) تجعل: يحصل، ت.
(٨) ذكر ذلك جميعه: ذكر جميع ذلك، ت، ك.

ويجوز أن يقال: إن الأوْلى أن المراد به قرابة الرسول إذا كانوا مؤمنين، وذلك أن في الجملة قد وجب[1] لهم حق وحرمة، بما أسدى إلينا رسول الله ﷺ من نعمة[2]، ولأهل بيته ضرب من التعظيم ليس لغيرهم، فخصهم بالذكر، وقد ورد أخبار جمة في فضل أهل البيت عليهم السلام[3] يذهب جميع فوائدها على ما يفسره أبو مسلم.

«وَمَنْ يَقْتَرِفْ حَسَنَةً» أي: يعمل طاعة «نَزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا» قيل: يثيبه[4]، ويزيده من فضله ﴿إِنَّ [ٱللَّهَ] غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ للذنوب لمن تاب[5] ﴿شَكُورٌ﴾ لمن أطاعه، يقبل القليل، ويثيب[6] عليه بالجزيل، وقيل: صفته بأنه شكور مجاز وتوسع؛ لأن الشكر يقابل النعم، ويتعالى الله عن ذلك، إلا أنه لما أعطى الثواب على الطاعات وصف بأنه شكور. «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَى» قيل: أيؤمن هؤلاء الكفار بما أخبرهم[7]، أم يكفرون ويقولون: «افْتَرَى» محمد «عَلَى اللهِ كَذِبًا» فيما يقول أنه أرسله وأوحى إليه «فَإِنْ يَشَأ اللهُ يَخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ» قيل: فيه محذوف وتقديره: أم يقولون افترى، فإن أراد أن يفتري ختم على قلبه، واختلفوا في معناه، قيل: يربط على قلبك حتى لا يشق عليك أذاهم، عن مجاهد، وابن الأنباري، وعلى هذا لا يحتاج إلى إضمار محذوف[8]، وقيل: يطبع على قلبك فينسيك القرآن، عن قتادة، يعني لو افترى على الله كذبًا لفعل ذلك، وقيل: إن حدثت نفسك أن تفتري على الله[9] كذبًا لطبعت على قلبك بشيء، وقيل: نجعل على قلبك سمة الأعداء[10]، وهو زجر للنبي ﷺ، وبيان للكفار أنه لم يفعل ما

(١) وجب: وجبت، ت، ك.
(٢) نعمه: أنعمه، د.
(٣) عليهم السلام: +، ت.
(٤) يثيبه: نثيبه، ت، د، ك.
(٥) لمن تاب: +، ت.
(٦) ويثيب: ويجازي، ت.
(٧) أخبرهم: أخبرتهم، ك.
(٨) محذوف: ومحذوف، ت، ك.
(٩) الله: -، ت، ك.
(١٠) الأعداء: للأعداء، د؛ الاعتداء: ، ت.

يقولونه، عن أبي علي، وقيل: «يَخْتِمْ[1] عَلَى قَلْبِكَ» أي: يمسك، عن أبي مسلم. «وَيَمْحُ اللهُ الْبَاطِلَ» قال الكسائي: وتقديره: والله يمحو الباطل، ولا حاجة إلى التقديم والتأخير، ومعنى يمحو: يزيله ويبطله «وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ» أي: يحققه ويبينه ويقويه، وكلماته: جميع ما أمر به في الكتب، وقيل: لو كذب على الله لبعث نبيًا آخر؛ ليبين الباطل، ويحق الحق على يده «إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» مِنْ حَقٍّ أو باطل «وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ» لما تقدم الوعيد عقبه بذكر التوبة المزيلة للقنوط، ومعناه: أنه يقبل التوبة من كل أحد من كل ذنب، «وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ» المعاصي إذا تاب «وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ» من الطاعات والمعاصي، فيجزي[2] بها.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿تَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ الآية أن عذاب الظلمة واقع لا محالة، وأن عقابهم لا يزول بالعفو والشفاعة، فيبطل قول المرجئة.

ويدل قوله[3]: ﴿رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ﴾ أن بقاع الجنان مختلف.

ويدل قوله: ﴿يُبَشِّرُ﴾ أن البشارة لا تقع إلا بمجموع أمرين: الإيمان، والعمل الصالح، وذلك يدل على ما نقوله في الوعيد.

ويدل قوله: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ أنه منزه عن طلب منفعة على أداء الرسالة، وإنما سألهم أن يودوه مودة[4] للذي بينهم من القرابة.

ويدل قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ﴾ أن دعوة النبي لو كانت باطلة [لما بعثه[5]] الله تعالى ولبيّنه، ولما ظهر هذا الظهور، ولا يقال: إن كثيرًا من الأشياء[6] لم يتبين

(١) يختم: أيختم، د.
(٢) فيجزي: فيجازي، ت، د، ك.
(٣) قوله: +، ت.
(٤) مودة: +، ت، ك.
(٥) لما بعثه: لبعثه، ت، د، ك.
(٦) من الأشياء: من ينسى، ت، ك.

بطلانها[١]؛ لأنه تعالى نصب الأدلة على ذلك، وللمكلف طريق إلى إبطال[٢] أمره، والعلم بالفرق بين المعجز والشعبذة على ما بين في الكتب.

ويدل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ على أشياء:

منها: الترغيب في التوبة، والتحذير من الإصرار.

ومنها: أنه لا يعفو عن الـمُصِرِّ، وإنما العفو للتائب.

ومنها: أن التوبة من جميع الذنوب تصح، فيبطل قول من يقول: لا توبة للقاتل.

ويدل قوله: ﴿وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ أن السيئات والتوبة[٣] فعل العبد؛ ليصحّ الأمر والنهي، والذم والمدح[٤].

قوله تعالى:

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُواْ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «**ما أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم**»[٥]،

(١) بطلانها: بطلانه، ت، د، ك.
(٢) إبطال: بطلان، ت، ك.
(٣) والتوبة: أن التوبة، ت، ك.
(٤) والذم والمدح: والمدح والذم، ت.
(٥) حجة القراءات٦٤١.

وكذلك هي في مصاحف الشام والمدينة، والباقون بالفاء، وكذلك في مصاحفهم.

وتقدير الأول: والذي أصابكم من مصيبة بما كسبت أيديكم، والثاني جزاء.

اللغة

الاستجابة: موافقة[١] عمل العامل[٢] فيما يدعو إليه الداعي من أجل دعائه، يقال: استجاب وأجاب[٣] بمعنى، وفي الحديث: أن رجلاً قال: يا رسول الله، أيُّ الليل أَجْوَبُ دعوةً؟ قال: «جوف الليل الغابر أجوب» أي: أسرع إجابة، وأصل الباب: القطع، ومنه: جُبْتُ الفلاة أَجُوبُها: إذا قطعتها، ومنه: جاب الصَّخْرَ، فكأن المدعو يقطع الأمر الذي دُعِيَ إليه، وأصله: جاب يجوب، مثل: طاع يَطُوعُ.

والبغي: طلب الزيادة، وأصله من الطلب.

والقنوط: اليأس، قنط يقنط بفتح النون وكسرها في الماضي والمضارع، يقول: قَنِط يَقْنَطُ، نحو: علم يعلم، وقنَط يَقْنِطُ مثل: ضَرِب يضرِبُ.

والنَّشْرُ: ضد الطي، وجاء القوم نَشَرًا: متفرقين، و﴿يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم﴾ [الكهف:١٦]» أي: ينشر رزقكم، وفي حديث عائشة تصف أباها: فَرَدَّ نَشَرَ الإسلام على غَرِّهِ[٤]؛ أي: على طَيِّهِ وكَسْرِهِ أي: رد ما انتشر منه إلى حالته[٥] التي كان عليها على عهد رسول الله صلى الله عليه يعني أيام[٦] الردة، وكفاية أبي بكر إياه.

الإعراب

«الذين آمنوا» محله رفع على أنه فاعل تقديره: ويجيب المؤمنون الله فيما دعاهم إليه، وقيل: محله نصب، و(الله) مضمر فيه، تقديره: ويستجيب الله

(١) موافقة: موافقته، ت.
(٢) العامل: العامي، ت..
(٣) استجاب وأجاب: استجاب واستجاب، ت.
(٤) غره: غيرة، ت.
(٥) حالته: حاله، د، ك.
(٦) أيام: أمر، ت، ك.

للمؤمنين[١]، وقيل: هذا أولى؛ لأن الخبر فيما قبل وبعد عنه، يقبل التوبة، ويعفو عن السيئات، ويزيدهم من فضله.

﴿وَٱلْكَٰفِرُونَ﴾ ابتداء. و﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ خبره.

﴿خَبِيرٌۢ﴾ رفع؛ لأنه خبر (إن)، واسمها[٢] الهاء في ﴿إِنَّهُۥ﴾.

﴿خَلْقُ﴾ رفع لأنه خبر لصفة تقديره: خلق السموات من آياته.

«وما بَثَّ» محله رفع، تقديره: وبث الدواب من آياته.

النزول

قيل: قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾ الآية نزلت في قوم من أهل الصُّفَّةِ، تمنوا الغنى وسعة الدنيا.

وعن خباب بن الأرت: نزلت فينا[٣] هذه الآية، وذلك أنا نظرنا في أموال قريظة والنضير وبني قينقاع، فتمنيناها، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

المعنى

لما تقدم وعيد أهل العصيان عقبه بوعد المؤمنين على عادته تعالى بالجمع بين الوعد والوعيد ترغيبًا وترهيبًا، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَيَسْتَجِيبُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ**» فيه قولان:

أولهما: أن الفعل لله تعالى، ثم اختلف هؤلاء، فقيل: معناه يجيب الله دعاء المؤمنين، ويزيدهم من فضله، ولا يجيب دعاء الكافرين؛ لأن[٤] إجابة الدعاء ثواب، عن أبي علي. وقال أبو بكر: يجوز أن يجيب دعاءه استصلاحًا، وقيل: يجيب الله الذين آمنوا في دعاء بعضهم لبعض، عن معاذ بن جبل، وقيل: يستجيب أي: يقبل الله

(١) للمؤمنين: المؤمنين، ت.
(٢) واسمها: واسمه، ت، ك.
(٣) نزلت فينا: فينا نزلت، ت، ك.
(٤) لأن: لئن، د.

طاعتهم، ويعطيهم ما يستحقون في الآخرة «وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ» قيل[١]: يشفعهم في إخوانهم، عن ابن عباس.

والثاني: أن الفعل للذين آمنوا، ثم اختلفوا، فقيل[٢]: ويجيب المؤمنون ربهم فيما دعاهم إليه، وقيل: يطيعونه فيما أمرهم به، عن ابن عباس، فالاستجابة الطاعة «وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ» أي: دائم عظيم.

ولما بَيَّنَ أنه يجيب دعاءهم بيّن أنه إنما يجيب إذا كان لمصلحة، فقال ـ سبحانه ـ: «وَلَوْ بَسَطَ اللهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ» قيل: لو وسع عليهم بَرِّهِم وفاجرهم، وقيل: لو بسط بحسب ما يطلبونه ويتمنونه، «لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ» أي: يرتفع كل أحد من درجته فيبغي بعضهم على بعض بفضل سعته وقوته؛ ولكنه يعلم الصلاح وينزل بقدر الصلاح، وقيل: لعصوا الله، وقيل[٣]: بَغْيُهُمْ: طلبهم منزلة بعد منزلة، ودابة بعد دابة، ومركبًا بعد مركب، وملبسًا بعد ملبس، عن ابن عباس، وقيل: لو رزق العباد من غير كسب، وتفرغوا عن الكسب والمعاش لطغوا، وسعوا في الأرض فسادًا، ولكن شغلهم بالكسب رحمة منه وإنعامًا، عن شقيق. «وَلَكِنْ يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَا يَشَاءُ» قيل: بقدر منهم، عن قتادة، يقال: خير الرزق ما لا يطغيك[٤] ولا يلهيك[٥]، بقدر كفايتهم، قيل: بقدر صلاحهم، وقيل: يجعل واحدًا غنيًّا وواحدًا فقيرًا، بحسب المصلحة.

ومتى قيل: كيف تكون المصلحة في الحرمان؟

قلنا: إذا علم من حالة الفقير أنه إذا استغنى بطر وكفر، فصلاحه في التضييق، وكانت العرب إذا أخصبوا شنوا المغازي[٦] وقاتلوا؛ ولهذا ترى الظلم من الأغنياء والملوك أكثر منه في الفقراء. وقد روى أنس عن النبي ﷺ عن جبريل عن الله في حديث طويل: «إن من عبادي من لا يصلحه إلا السقم، ولو صححته لأفسده، وإن

(١) قيل: وقيل، ك.
(٢) فقيل: وقيل، ت، ك.
(٣) قيل: -، ت.
(٤) ما لا يطغيك: يطغيك، ت، ك.
(٥) ولا يلهيك: يلهيك، ت، ك.
(٦) المغازي: الغازي، ت، ك.

من عبادي من لا يصلحه إلا الصحة ولو أسقمته لأفسده، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده، وإن من عبادي من لا يصلحه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده، ذلك أني أدبر عبادي بعلمي بقلوبهم[1]».

ومتى قيل: فنحن نرى موسعًا عليه يشكر، ومضيقًا عليه يكفر؟

قلنا: لعل المضيق عليه يستوي حاله، أو كان يزيد كفره لو أغناه الله[2]، والله أعلم بتفاصيل ذلك، وإنما نعلم أنه يُغْنِي ويفقر بحسب المصلحة على ما يقتضي[3] علمه.

ويقال: من المراد بقوله: «لعباده[4]»؟

قلنا: المكلفون؛ لأن البغي منهم يصح، وفيهم يصح اللطف.

ومتى قيل: أليس كثيرًا[5] ممن وسع عليه بغى؟

قلنا: لعل حالهم يستوي في البغي، وسع أو لم يوسع، أو كان لو لم يوسع كانوا أسوأ حالاً فلذلك وسع، وقيل: هو[6] قدر من السعة لا كل السعة، فلا أحد إلا ويعلم ـ سبحانه ـ حاله، ويدبر أمره بحسب مصالحه[7]، وقيل: أراد قدرًا من السعة لو فعل بجميعهم لبغوا في الأرض؛ لأنه تعالى أضاف إلى جميعهم.

ومتى قيل: فما وجه الفساد في سعة المال؟

قلنا: الله أعلم بتفاصيل ذلك، وقد يغلب على ظننا أنه عند البسطة وفراغ القلب وسعة الحال يبطر ويظلم، وقد ينفق في المعاصي، وقد يحرص على الزيادة كما روي: «لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى إليهما ثالثًا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب».

---

(١) بعلمي بقلوبهم: لعلمي بعواقبهم، ت.
(٢) الله: +، ت.
(٣) يقتضي: يقضي، ت،د، ك.
(٤) لعباده: بعباده، ت، ك.
(٥) كثيرًا: كثير، د.
(٦) هو: وهو، ت.
(٧) مصالحة: المصلحة، ت.

ومتى قيل: أليس وسع على سليمان وكثير من الأنبياء، ولم يوجد منهم بغي؟

قلنا: علم من حالهم أن البسط أصلح لهم، وفي الآية لو فعل بجميعهم لبغوا، وليس فيه ذكر آحادهم، فالله أعلم بحال آحادهم؛ بل يرزقهم بحسب مصالحهم[1]، وقد روي أن سليمان كان يعيش من نسج الزِّنْبِيل مع عظم محله.

ومتى قيل: فأهل الآخرة يجب أن يكونوا كذلك؟

قلنا: هم ملجؤون[2] إلى ترك القبيح، ولأنهم أَعْطُوا جميع ما تمنوا، وما مُنِعُوا لا يتمنونه[3]، فلا يوجد منهم بغي.

«إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ» أي: عالم بأحوالهم، ويعطيهم بحسب مصالحهم.

ثم بيّن أن المنع ليس لِبُخْلٍ، وذلك لحسن نظره لهم، فقال ـ سبحانه ـ: «وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا» أي: ينزل المطر بعد يأسهم «وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُ» أي: يبسطها لجميع خلقه، وهو بسط الرزق عليهم أجمع «وَهُوَ الْوَلِيُّ» قيل: الذي يتولى تدبير عباده، وتقدير أمورهم، وما يصلحهم، وقيل: الولي المالك للعباد، وقيل: الولي الناصر، أي: ناصر المؤمنين «الْحَمِيدُ» المحمود في جميع أفعاله؛ لأن[4] جميع ذلك حسن [وهو] لا يفعل القبيح. «وَمِنْ آيَاتِهِ» أي: حججه الدالة على توحيده «خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» إحداثهما مقدرًا كما شاء[5] «وَمَا بَثَّ» فرق «فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ» وهو ما يدب من الحيوانات «وَهُوَ عَلَى جَمْعِهِمْ» يوم الحشر متى شاء[6] قدير، وقيل: قال: «جمعهم»[7] ولم يقل: جمعها؛ لأنه أراد العقلاء، وقيل: غلب لفظ الذكور على لفظ الإناث عند الاجتماع «وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ» من الإجرام،

(١) مصالحهم: المصلحة، ت.
(٢) ملجؤون: ملجأون: ت، د، ك.
(٣) لا يتمنونه: -، ت.
(٤) لأن: أن؛ ت، د، ك.
(٥) شاء: يشاء، ت.
(٦) شاء: يشاء، ت.
(٧) جمعهم: جميعهم، ت.

واختلفوا في هذه المصائب، فقيل[١]: القحط والمرض وما أشبهه، وقيل: ما يصيب[٢] الكفار من الحروب من المسلمين، وقيل: العقوبات، وقيل[٣]: الحروب، عن الحسن، وقيل: هو عام في كل المصائب، عن قتادة، وشريح، وابن سيرين، قالوا: ما يصيب من مصيبة إلا بذنب، وعن عكرمة: ما من نكبة أصابت عبدًا إلا بذنب لم يكن الله ليغفر له إلا بها، ودرجة لم يكن ليبلغها إلا بها، وهذا على ما ذكرنا أنها[٤] كفارات. وقيل: المصائب يجوز أن تكون عقوبة الدنيا كالحدود، وقيل: بل هي محنة؛ ولذلك امتحن الأنبياء بالمصائب ولم تكن عقوبة.

ومتى قيل: فلماذا علقها بفعل العبد؟

قلنا: يجوز أن يكون تأديبًا وامتحانًا للأنبياء بالمصائب، ولم تكن عقوبة كإخراج آدم من الجنة، وكقوله: ﴿فَبِظُلْمٍ مِّنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ﴾ [النساء: ١٦٠]، ويجوز أن تكون المصلحة[٥] في فعله عقيب إجرامهم.

ومتى قيل: أليس روي عن النبي ﷺ أنه قال: «لا يصيب ابن آدم خدش[٦] عود [ولا اختلاق عرقٍ، ولا نكبة حجرٍ ولا عثرة قدم] ولا غير ذلك إلا بذنب»؟

قلنا: إن صح الخبر فالمراد به يمتحنه عند ذلك، ويكون تكفيرًا لا أنه عقوبة.

ومتى قيل: فما الفائدة في هذه المصائب؟

قلنا: فيه لطف من وجوه:

منها: التنبيه[٧] على العقوبة؛ لأنه إذا عجز عن تحمل هذه المشقة فكيف يتحمل عقوبتها.

ومنها: أنه يدعو إلى التوبة والإنابة.

---

(١) فقيل: قيل، ت، ك.
(٢) ما نصب: ما نصيب، ت، ك.
(٣) وقيل: قيل، ت.
(٤) أنها: أنه، ت، ك.
(٥) المصلحة: -، ت، ك.
(٦) خدش: خرش، ت.
(٧) التنبيه: التنبه، ت.

ومنها: ما يتذكر من أحوال القيامة والآلام التي تحل بأهل النار.

ومنها: ما يحصل له على الصبر عليه من الثواب.

ومنها: ما فيه من العوض الموفي على ذلك[١] الضرر.

ومنها: تذكر الصحة والعافية والدعاء إلى الشكر.

ومنها: ما يتصور من[٢] حال أهل الجنة في الأمن من المصائب، فتدعو إلى العمل لها.

وإنما ذكر اليد تأكيدًا للإضافة إليهم على عادة العرب في مخاطباتهم، فيقولون: هذا مما جنت يداك.

«**وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**» أي: لا يؤاخذهم بكثير من أفعالهم؛ بل يعفو عنها، وقيل: لولا العفو لهلك العالم؛ لأن الذنب موجبه، ولكن الله تعالى[٣] يعفو إما بالتوبة، أو بطاعات أعظم منها، وقيل: يعفو عن كثير، أي: يسهل على كثير منهم إذا كان ذلك أصلح «**وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ**» أي: ليس العفو[٤] والغفران[٥] لأنكم أعجزتم الله أو هو توبة[٦] لعلمكم[٧] من يتولى نصركم؛ بل فضل منه ورحمة، وقيل: معجزين هربًا «**وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ**» يتولى أمركم «**وَلاَ نَصِيرٍ**» ناصر ينجيكم من عذابه، وفائدة ذلك: إذا لم يكن للنجاة وجه إلا من جهته، فالواجب التمسك بطاعته، والتجنب من عصيانه.

۞ الأحكام

يدل قوله ـ سبحانه ـ: «**ويستجيب**» على أحد التأويلين أنه تعالى يجيب دعاء عباده[٨] المؤمنين دون غيرهم، لولا ذلك لما خص المؤمن، ولأن إجابة الدعاء تجري

(١) ذلك: -، ت، ك.
(٢) من: +، ت، ك.
(٣) تعالى: +، ت.
(٤) العفو: للغفران، د.
(٥) والغفران: بالعفو، ت، ك.
(٦) أو هو توبة: أو تقولونه، ت؛ أو تفوتونه؛ ك.
(٧) في ت، ك: لعلكم.
(٨) عباده: -، ت، ك.

مجرى الثواب؛ ولذلك يقال: فلان مستجاب الدعوة، فيمدح به، هذا قول أبي علي، وقال أبو بكر أحمد بن علي: يجوز إجابة دعاء غير المؤمنين[١] استصلاحًا.

ومتى قيل: فكثير من المؤمنين لا يجاب دعاؤهم؟

قلنا: قد يتأخر لمصلحة، وقد يكون مفسدة فلا يجاب، وإنما يجاب بشرط المصلحة؛ ولذلك يجب أن يسأل بشرط المصلحة.

ومتى قيل: إذا كانت مصلحة، فلا بد أن يفعلها[٢]، فما معنى الدعاء؟

قلنا: قد يكون فعله مصلحة عقيب الدعاء، ولولا الدعاء لكانت مفسدة.

ويدل قوله: ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ﴾ الآية على قولنا في اللطف والمخلوق والاستطاعة والإرادة.

أما[٣] دلالته على اللطف فظاهر[٤]؛ لأنه لم يُعْطِ لكيلا يبغوا، ولو بسط لبغوا، وإنما رزقهم قدرًا[٥] مخصوصًا ليكونوا أقرب إلى الاستقامة؛ ولذلك عقبه بقوله: ﴿إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾. منها أنه يفعل من ذلك ما هو أصلح في التكليف، ونبه أن المنع ليس لعجز أو بخل؛ لكن لما يعود إلى نفع العبيد وصلاحهم.

وأما دلالته على أن أفعال العباد حادثة من جهتهم أنه تعالى وسع وضيق لطفًا؛ كي يكونوا أقرب إلى الطاعة، وأبعد من المعصية، فلو كان الجميع خلقًا له ـ تعالى ـ لم يكن لهذا الكلام معنى؛ لأنه سواء وسَّع أو ضيَّق، إنما يؤخذ فيه بما يخلقه فيه.

فأما دلالته على الاستطاعة فمن وجهين:

أحدهما: أن القدرة لو[٦] كانت موجبة لوقف وجود البغي وعدمه عليها، لا على سعة الرزق وضيقه، فتبطل فائدة الكلام.

---

(١) المؤمنين: المؤمن، ت.
(٢) يفعلها: يفعله، ت.
(٣) في ت: وأما.
(٤) فظاهر: -، ت، ك.
(٥) رزقهم قدرا مخصوصا: رزقهم قدرًا، وأما دلالته على اللطف قدر مخصوصًا، ت، ك.
(٦) لو: +، ت، ك.

وثانيهما: أن اللطف إنما يصح إذا قدر العبد على الفعلين، فأما إذا لم يقدر إلا على شيء بعينه، فما معنى اللطف وسعة الرزق وضيقه[١]؟.

وأما دلالته على الإرادة، فيدل أنه لم يُرِدْ البغي ممن المعلوم منه البغي؛ إذ لو أراد ذلك ـ كقول المجبرة ـ لما جاز أن يقول: لم أبسط الرزق لكيلا يفعل البغي.

وتدل على أنه لا يفعل البغي؛ لأنه تنزه على فعل ما يقع عنده البغي، فَلأَنْ ينزهه عن فعل البغي أولى.

وتدل[٢] على أن بسط الرزق[٣] يكون مفسدة.

ويدل قوله: ﴿وَيَنشُرُ رَحۡمَتَهُۥۚ﴾ على عموم رحمته وكمال قدرته؛ حيث هيأ لكل أحد[٤] ما يصلحه في[٥] كل بلد، وذلك من لطيف تدبيره الذي لا يقدر عليه سواه.

ويدل قوله: ﴿وَمِنۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾ على توحيده وصفاته، وقد بَيَّنَّا ما يدل[٦] من السموات من خلقها، ثم تزيينها، ثم تسكينها[٧]، ثم إمساكها على غير عرش، وفي الأرض من خلقها والجبال والنبات والثمار والأنهار وغير ذلك، ومنها: أن فعله[٨] يدل على صفاته إما بنفسه ككونه قادرًا، أو بواسطة ككونه حيًّا سميعًا بصيرًا.

ويدل قوله: ﴿إِذَا يَشَآءُ﴾ على حدوث المشيئة لدخول علامة الاستقبال، فيبطل قول من قال: إنها صفة ذات، والمشيئة ترجع إلى الجميع، فتدل أنه المختص بالقدرة على الإعادة.

ويدل قوله: ﴿وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٖۚ﴾ أن في السماء دواب، فإما أن يحمل على أصل اللغة على ما يدب، أو على ما يعرف، ولامانع منه أيضًا.

---

(١) وضيقه: +، ت.
(٢) ما يدل: ويدل، ت.
(٣) بسط الرزق: -، ت، ك.
(٤) أحد: واحد، ت.
(٥) وفي: ت، ك.
(٦) ما يدل: ما نزل، ت.
(٧) تسكنها: سكنها، ت.
(٨) فعله: أفعاله، ت.

ويدل قوله: ﴿وَمَآ[1] أَصَٰبَكُم﴾ أن العبد قد يصيبه بسبب ذنبه مصائب؛ إلا أن أبا علي يقول: إن الأمراض في العصاة تكون[2] عقابًا، وأما أبو هاشم فيقول: إن الأمراض وأكثر المصائب محنة له، والحدود يجوز أن تكون عقوبة، وقد بيَّنَّا الوجه فيه.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو: «**الجواري**»[3] بياء في[4] الوصل دون الوقف، وقرأ ابن كثير بياء[5] في الوصل والوقف، وقرأ الباقون بحذف الياء في الوصل والوقف، أما إثباته فعلى[6] الأصل، وحذفه للتخفيف ودلالة الكلام عليه.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «**ويعلم**» بالرفع على الاستئناف[7]، كقوله في (براءة): ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾ [التوبة: ١٥]» وقرأ الباقون بالنصب على الصرف، كقوله: ﴿وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٤٢] صرف من حال الجزم إلى النصب، كراهة لتوالي الجزم، قال الشاعر:

---

(١) وما: ما؛ ت، د، ك.
(٢) تكون: -، ت.
(٣) حجة القراءات ٦٤٢.
(٤) في: -، ت، ك.
(٥) في ت، ك، بالياء.
(٦) في ت، ك، على.
(٧) حجة القراءات ٦٤٣.

لاَ تَـنْـهَ عَـنْ خُـلُـقٍ وتَـأْتِـيَ مِـثْـلَـهُ   عَـارٌ عَـلَـيْـكَ إِذَا فَـعَـلْـتَ عَـظِـيـمُ[1]

فنصب (تأتي)؛ لأنه مصروف عن لا تَأْتِ[2]، وقيل: نصب بإضمار أَنْ الخفيفة[3]، وهو معطوف على معنى الكلام بتقدير[4]: وأَنْ يعلم.

اللغة

الأعلام: الجبال، واحدها: عَلَمٌ، قالت الخنساء:

كَـأَنَّـهُ عَـلَـمٌ فِـي رَأْسِـهِ نَـارُ[5]

والراكد: الدائم السكون الذي لا يجري، يقال: رَكَدَ الماء ركودًا، وركدت الريح: سكنتْ، وركد الميزان: استوى، والرواكد جمع راكدة.

وَبَقَ الرجل يَبِقُ: هلك نحو: ضرب يضرب، ووَبِقَ يَوْبَقُ، مثل: علم يعلم، وأوبقه الله: أهلكه، والموبق: المهلك.

والمَحِيصُ: المَعْدِل[6] والملجأ[7]، حاص يحيص حَيصًا[8] وحِيَاصًا: إذا مال ملتجئًا، ومنه: ﴿وَلَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحِيصًا﴾ [النساء: ١٢١] أي: مهربًا، ومنه حديث مطرف: هو الموت: نُحايِصُهُ ولا بد منه.

والإمتاع: الانتفاع بما يتعجل سروره، والمتاع على وجهين:

أحدهما: الإمتاع، والثاني: ما يُتَمَتَّعُ به، وأصل الباب: المتعة.

---

(١) البيت قائله أبو الأسود الدؤلي. انظر الديوان، صنعه أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق محمد حسن آل ياسين.

(٢) تأت: الآيات، ت.

(٣) الخفيفة: الحقيقة، ت.

(٤) بتقدير: شديد، ت.

(٥) البيت قائله الخنسأ في رثاء أخيها صخر وتكملة البيت:

وإن صـخـرًا لـتـأتـم الـهـداة بـه   كـأنـه عـلـم فـي رأسـه نـارُ.

(٦) المعدل: العدل، ت.

(٧) والملجأ: +، ت.

(٨) حيصًا: حيصة، ت.

الإعراب

«يظللن» جزم إلا أن نون جماعة النساء مفتوحة أبدًا؛ ولذلك قال: «ويَعْفُ» فجزم، وعلامة الجزم ذهاب الواو.

المعنى

ثم بَيَّنَ أدلة أخرى، فقال ـ سبحانه ـ: «وَمِنْ آيَاتِهِ» أي: حججه الدالة على كمال قدرته وتوحيده، «الْجَوَارِي فِي الْبَحْرِ» يعني السفن، عن مجاهد، والسدي وغيرهما، ووجه الحجة فيها جَعْلُ الماء بحيث تجري فيه السفن، وجعل الريح على وجه تجريه، وجعل السفينة بحيث تجري ولا ترسب، وكل ذلك لا يقدر عليه غيره «كَالأَعْلَام» قيل: كالجبال، يجريها بالرياح، عن مجاهد، والسدي. «إِنْ يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ»[1] قيل: فيه حذف، وتقديره: إن يشأ يسكن الريح يسكن[2] الريح، وقيل: إن يشأ أن يسكن الريح سكنت، عن أبي علي. «فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ» يعني السفن وقوفًا، عن ابن عباس. «عَلَى ظَهْرِهِ» قيل: أراد في البحر، وذكر الظهر توسعًا، فيؤدي إلى هلاكهم، وقيل: على ظهر الماء «إِنَّ فِي ذَلِكَ» مما[3] ذكر من أمر البحر والسفينة «لآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ» والصبار: كثير الصبر، والشكور: كثير الشكر، وقيل: يصبر على ركوبها، ويشكر الله على جريها، والنجاة من البحر، وقيل: صبار على طاعة الله وعن معاصيه، شكور لله على نعمه، وقيل: الصبار: من كان عادته الصبر، والشكور: من كان عادته الشكر، عن أبي مسلم. «أَوْ يُوبِقْهُنَّ» يهلكهن يعني السفن بالغرق، عن ابن عباس، ومجاهد، والسدي، يعني إما أن يحبس الريح فلا[4] تجري السفن وتبقى وقوفًا، أو[5] يهلكها بالغرق «بِمَا كَسَبُوا» أي: بما عملوا من المعاصي فيهلكهم عقوبة لهم «وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ» من معاصيهم فلا يهلكهم إمهالاً ورحمة.

---

(١) الريح: -، ت.
(٢) يسكن: لتسكين، ت.
(٣) مما: فيما، ت، ك.
(٤) فلا: +، ت، ك.
(٥) أو: أي، ت، ك.

ومتى قيل: فالغرق محنة لغيرهم قلنا: [حذف المضاف أو من نسبة ما للحال للمحل أو ما للمسبب للسبب لأن إهلاكها أي إغراقها سبب لإغراقهم على المجاز العقلي، أو سمى أهلها باسمها وهو هُنَّ على المجاز المرسل][1] «وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا» أي: ولأن يعلم الذين يخاصمون بالباطل في رد آيات الله «مَا لَهُمْ مِنْ مَحِيصٍ» أي: ملجأ؛ لأن البر والبحر كلها ملك لله، فينبغي أن يعتصم به، وقيل: إنما يفعل الإهلاك والعفو لكي يعلم من يجادل أنبياءه أنه[2] لا مهرب من الله، فيتوكل عليه ويؤمن به، وقيل: إذا سكن الريح وركدت السفن علم المجادل أنه لا محيص، عن أبي مسلم، قيل: يعلم الله أن لا محيص[3] للمجادل عن عذاب الله، أي: يظهر المعلوم، والأول: الوجه؛ لأنه الظاهر ويستقيم المعنى، فلا وجه لهذا التكلف.

«فَمَا[4] أُوتِيتُمْ» أعطيتم «مِنْ شَيْءٍ» من نعم الدنيا، تنتفعون بها عاجلًا «فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أي: منافع الدنيا يمتع به أيامًا ولا يبقى؛ بل ينقطع «وَمَا عِنْدَ الله» يعني ثوابه، وما أعد للمؤمنين جزاءً على طاعته «خَيْرٌ وَأَبْقَى» من ملاذ الدنيا؛ لأنها باقية، وهذه فانية، وقيل: فاعملوا لله فهو عنده محفوظ لهم يجازيهم بها، وهو خير لهم ممن يُعْمل للدنيا، وما أوتي الكفار من نعم الدنيا «لِلَّذِينَ آمَنُوا» بالله ورسوله «وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ» يفوضون أمرهم[5] إليه، معتقدين أنها تجري من جهته إلى آخر الدهر.

۞ الأحكام

تدل الآية على كمال قدرته وتوحيده.

ويدل قوله: ﴿إِن يَشَأْ يُسْكِنِ الرِّيحَ﴾ أنه قد يفعل بالسبب على ما يقوله أبو هاشم،

(١) كأن هناك سقطًا من النص وتم إتمامه من تيسير التفنين، القطب أطفيش ١٣/ ٤٩.
(٢) أنه: لأنه؛ ت، د، ك.
(٣) لا محيص: لا مخلص، د.
(٤) فما: وما، ت، ك.
(٥) أمرهم: أمورهم، ت.

خلاف قول أبي علي؛ لأنه باعتمادات الريح تجري السفن، ولا يقال: إن السبب يؤذن بالحاجة؛ لأن الحاجة للفعل لا للفاعل، فهو كالمحل للأعراض، ولأنه يقدر أن يفعل بغير سبب أمثال ما يفعله بسبب، وإنما يفعل بسبب[1] لضرب من المصلحة.

ويدل آخر الآيات على الترغيب في الآخرة، والتزهيد[2] في الدنيا.

قوله تعالى:

﴿وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا ۖ فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ۚ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ (٤٠) وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ ۚ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (٤٢) وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ (٤٣)﴾.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «كَبِيَر الإثم» بغير ألف وكسر الباء على واحد[3]، وحملوه على الشرك، وفي سورة (النجم) مثله، وقرأ الباقون: «كبائر» بالألف والهمز والمد على الجمع في السورتين، حملوا على جميع الكبائر، وقيل في الأول: إن المراد به الجنس.

اللغة

الاجتناب عن الشيء: التباعد منه، ومنه: الجنابة.

والباغي: المتطاول على غيره بالظلم، ومنه: البغاة، وأصل البغي: الطلب، ومنه قول علي: (إخواننا بغوا علينا).

---

(١) بسبب: لسبب، د، ك.

(٢) والتزهيد: والترهيب، د، ك.

(٣) حجة القراءات ٦٤٣.

والعزم: ما[1] عقد قلبك من أمر أنك فاعله، يقال: عزمت عليك، أي: أمرتك أمرًا جدًّا، والعزائم: الفرائض، ومنه حديث ابن مسعود: «إن الله يحب أن تُؤْتَى رُخَصُهُ، كما يحب أن تؤتى عزائمه» يعني فرائضه، والعزم من جنس الإرادة، وليس بجنس على حدة، إلا أن الإرادة إنما تسمى[2] عزمًا متى تقدمت المراد ووقعت[3] على وجه، ولهذا لا يجوز على الله تعالى.

والشورى: رد الرأي مع غيره «فُعْلَى» من شُرْتُ الدَّابَةَ أَشُورُها، إذا رددتُها للعرض على البيع[4]، وقيل: من شَوْرِ العسل.

الإعراب

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ جواب القسم الذي دل عليه ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ كما قال تعالى: ﴿لَئِنْ أُخْرِجُوا۟ لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ﴾ [الحشر: ١٢] وقيل: بل هي في موضع الخبر؛ لأنه قيل: إن ذلك منه لَمِنْ عزم الأمور، وحسن ذلك مع طول الكلام.

﴿سَيِّئَةٌ﴾ رفع؛ لأنه خبر: ﴿وَجَزَٰٓؤُا۟ سَيِّئَةٍ﴾.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟﴾ وما بعده في أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ حين لاموه على إنفاق كُلِّ مَالِهِ، وشُتِمَ فَحَلَمَ.

وعن علي عليه السلام: (اجتمع لأبي بكر مال فتصدق[5] بجميعه[6]، فلامه المسلمون، وخطأه الكافرون، فأنزل الله تعالى: ﴿فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾[7] إلى قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[8].

---

(١) ما: بما، ت، د، ك.
(٢) تسمى: سمي، ت.
(٣) ووقعت: وقع، د، ك.
(٤) للعرض على البيع: للغرض، د.
(٥) فتصدق: فصدق، ك.
(٦) بجميعه: بجميعها، ت.
(٧) في ت، ك: وما.
(٨) وخطأه الكافرون. . . ينفقون: +، ت، ك.

المعنى

لما تقدم ذكر المؤمنين وما أعد لهم، عقبه بذكر صفاتهم، فقال تعالى: «وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ» أي: يتباعدون ولا يفعلون[1] «كَبَائِرَ الإِثْمِ» أي: عظائم الذنوب، وقيل: هو كل ما فيه وعيد، وليس بصحيح؛ لأن الوعيد يتناول الصغير والكبير، وبعض الكبائر معلومة دون كلها[2]، فأما بعضها وكل[3] الصغائر، فلا[4] تعلم بعينها، وإنما يعلم أن ذنوب الأنبياء صغائر بعد[5] وجودها، وقد بيَّنَّا من قبل ما قيل في الصغائر والكبائر، وأن الذي يقوله شيوخنا: أن كل ذنب كان عقابه أقل من ثواب فاعله فهو صغير، وكلما كان عقابه أكثر من ثواب فاعله فهو كبير؛ ولهذا قلنا: يجوز أن يكون ذنبًا[6] صغيرًا من واحد، كبيرًا من غيره، وإنما نقطع في ذنوب الأنبياء أنها صغائر لما دل الدليل أن الكبائر لا تجوز عليهم.

ومن مشايخنا من يقول: الصغير ما وقع سهوًا ونسيانًا.

ومتى قيل: لِم أضاف الكبائر إلى الإثم؟

قلنا: لوجهين:

أحدهما: لأن[7] في الإثم صغيرًا وكبيرًا[8]، عن أبي علي.

وثانيهما[9]: ما يكون الإثم كله[10] كبائر، فيكون بمنزلة إضافة الصفة إلى

(١) أي يتباعدون ولا يفعلون: +، ت، ك.
(٢) دون كلها: +، ت.
(٣) بعضها وكل: -، ت.
(٤) فلا: -، ت.
(٥) بعد: عند، ت.
(٦) ذنبًا: ذنب، د.
(٧) لأن: لئن، د.
(٨) صغيرًا وكبيرًا: صغير وكبير، ت.
(٩) وثانيهما: وثانيها، ت، ك.
(١٠) الإثم كله: الأثام كلها، ت، د، ك.

الموصوف، «وَالفَوَاحِش» قيل[1]: كل قبيح، وقيل: هو الزنا، عن السدي. وقيل: موجبات الحدود، عن مقاتل. والأول أوجه؛ لأن ما قالا يدخل فيه.

«وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ» أي: يتجاوزون، وهذا فيما كان للعباد بعضهم على بعض، يسقط بإسقاطه، فأما في[2] حقوق الله تعالى فليس للإمام، ولا لأحد أن يعفو عنه «وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ» أي: أجابوا فيما دعاهم إليه من الدين «وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ» أقاموها في أوقاتها بشرائطها «وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ» أي: لا يعملون إلا بمشاورة أهل الدين «وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ» مما أعطيناهم في وجوه البر «وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ» الظلم لا يستسلمون؛ بل يتناصرون، ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر، وقيل: «ينتصرون» أي: ممن بغى عليهم من غير أن يعتدوا، عن السدي، وقيل: يتناصرون، معنى بحق يختصمون ويتخاصمون[3]، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: أليس وصفوا في الآية الأولى بأنهم يغفرون؟

قلنا: قيل: ذلك في حقوق لا قصاص فيهما[4]، وهذا فيما فيه قصاص، قال مقاتل: هذا في الجروح يقتص، وقيل: ذلك في حقوق نفسه؛ كالأموال والحقوق، وهذا في حقوق الله تعالى، يفعله على سبيل الأمر بالمعروف، والكف على يد الظالم، وقيل: إذا غضب لدينه انتصر، وإذا غضب لدنياه وفي حقوق نفسه غفر «وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا» ذكر في الآية الأولى ما يجب على الكافة من التناصر في دفع الظلم وإزالته، وذكر في هذه الآية ما هو حق المُسَاء إليه من المقاصد، والسيئة الأولى: الفعل القبيح، والظلم الذي يسوء غيره، والثاني: جزاؤه، وسمي[5] الجزاء على الشيء، باسم الشيء، وإن كان الثاني حسنًا كقول الشاعر:

(١) قيل: +، ت، ك.
(٢) في: +، ت.
(٣) يختصمون ويتخاصمون: يتخاصمون ويختصمون، ت.
(٤) فيهما: +، ت، ك.
(٥) وسمي: سمي، د، ك.

أَلاَ لاَ يَـجْـهَـلَـنْ أَحَـدٌ عَـلَـيْـنَـا فَـنَـجْـهَـلَ فَـوْقَ جَـهْـلِ الْـجَـاهِـلِـيـنَـا[١]

أي: نجازيه على جهله، وقيل: هو أن يقابل قوله غير مُتْعَدٍ، فإذا قيل له[٢]: أخزاه الله يقول: أخزاه الله، عن السدي، وابن أبي[٣] نجيح، وقيل: هو ما فيه المقاصة واللعن والبراءة، عن أبي علي. «**فَمَنْ عَفَا**» ولم ينتقم ولم يقتص، قال ابن عباس: عفا[٤] ترك القصاص «**وَأَصْلَحَ**» قيل: هو العفو؛ لأنه من الأعمال الصالحة، عن مقاتل، وقيل: أصلح بين العشيرتين بالعفو «**فَأَجْرُهُ**» أي: ثوابه وجزاؤه «**عَلَى اللهِ**» وهو ضامن لله و(على) كلمة لزوم[٥] «**إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الظَّالِمِينَ**» أي: لا يريد إعزاز من يبتدئ الناس بالظلم، عن ابن عباس، وكما رغب في العفو زجر عن الخيانة «**وَلَمَنِ انتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ**» أي: انتقم من ظالمه بعد أن ظلمه، فأضاف الظلم إلى المظلوم والانتقام بالقصاص، عن قتادة، وأبي علي. «**فَأُوْلَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ**» أي: إثم، وقيل: مكروه في الدنيا والآخرة، وقيل: لم يروا حجة، عن أبي مسلم. «**إِنَّمَا السَّبِيلُ**» أي: الإثم والعقاب «**عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ**» ابتداء «**وَيَبْغُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ**» أي: يظلمون بغير حق.

ومتى قيل: لِم قرن البغي[٦] بغير الحق، والبغي لا يكون بِحَقٍّ أبدًا؟

قلنا: البغي أصله الطلب، فكأنه[٧] قيل: يطلبون ما ليس لهم بحق.

ومتى قيل: أليس الباغي ظالمًا، فلم كرر[٨]؟

قلنا: لأن البغي أعم.

---

(١) لسان العرب: (خدع)، و(رشد) والبيت قائله عمرو بن كلثوم في معلقته.
(٢) له: -، د.
(٣) أبي: +، ت.
(٤) عفا: عفا حق، ت.
(٥) وعلى كلمة لزوم: +، ت، ك.
(٦) البغي: بالبغي، ت، ك.
(٧) فكأنه: وكأنه، ت، ك.
(٨) كرر: يجوز، ت، ك.

«أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ» موجع «وَلَمَنْ صَبَرَ» أي: تحمل المشقة في رضا الله «وَغَفَرَ» لأخيه فـ«إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الأُمُورِ» أي: من ثابت الأمور التي أمر الله تعالى[١] بها، ولم تنسخ، وقيل: أخذ بالحزم، أي: بأعلى درجات الفضل.

۞ الأحكام

يدل أول الآية أن في الذنوب صغيرًا وكبيرًا[٢].

وتدل على أن الثواب إنما يستحقه من[٣] اجتنب الكبائر، فيبطل قول المرجئة.

ويدل ﴿مَا غَضِبُوا﴾ أن العفو في الجنايات تمدح به. والعفو على ضروب:

أحدها: حق له، فإسقاطه إليه كالأموال وغيرها.

وثانيها: استيفاؤها إلى الإمام وطلبه[٤] شرط، فعفوه[٥] بألاَّ يُطْلَبَ كحد القذف.

وثالثها: ما ليس إليه شيء من استيفاء، أو إسقاط، أو طلب، فليس إليه ذلك.

ويدل قوله: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ﴾ أن المشاورة في الأمور مما يمدح به.

وتدل أن التمسك في الأمور بالجماعة واجب والتفرق مذموم.

ويدل قوله: ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾[٦] أن الحرام لا يكون رزقًا.

ويدل قوله: ﴿يَنتَصِرُونَ﴾ على وجوب دفع المضار إذا أمكن، والأولى بالمرء ألاّ يحتمل الذلة مع التمكن من العزة.

ويدل ﴿فَمَنْ عَفَا﴾ على حسن العفو؛ لأنه ينقل حقه من عوض الجناية إلى الثواب المستحق.

ومتى قيل: هل يحسن العفو على كل حال؟

قلنا: في التائب نعم بالاتفاق، وفي المُصِرِّ يحسن عند مشايخنا؛ لأنه إسقاط حقه.

وقال أبو القاسم: لا يحسن؛ لأنه إغراء، ولو كان حسنًا لكان الله تعالى أولى به.

---

(١) تعالى: +، ت.

(٢) صغيرًا وكبيرًا: صغير وكبير، ت، ك.

(٣) يستحقه من: يستحق لمن، ت.

(٤) وطلبه: فصلبه، ت.

(٥) فعفوه: بعفوه، ت، ك.

(٦) ينفقون: +، ت.

قلنا: مع قيام الوعيد لا يكون إغراء، وتجويز[1] الإسقاط بالعفو كتجويزه[2] بالتوبة، ويجوز أن يعفو الله تعالى عن المُصِرّ، وإنما منعنا منه سمعًا.

ويدل قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ أنه لا يريد الظلم، خلاف قول المجبرة.

ويدل على ورود الوعيد في أهل القبلة.

ويدل قوله: ﴿وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ﴾ أن له استيفاء مثل حقه مِنْ ظالمه، كما له أن يعفو، وإنما الممنوع منه التعدي وطلب الزيادة[3].

ويدل قوله: ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ﴾ على حسن الصبر والعفو، وما فيهما من المشقة، وما يستحق عليهما من الثواب.

وتدل الآيات على أن أفعال العباد حادثة[4] من جهتهم لا من جهته؛ لأنه أضاف ذلك إليهم، والأمر والنهي والوعد والوعيد فيه، كقوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ﴾ [النجم: ٣٢] ﴿وَإِذَا مَا غَضِبُوا۟﴾، واستجابوا ـ وأقاموا ـ ويبغون ـ وينتصرون ـ وعفا وأصلح، ولا يحب الظالمين ـ ولمن انتصر[5] ـ ويظلمون ـ ويبغون ـ وصبر ـ وغفر، كل ذلك يدل على قولنا في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾.

---

(١) وتجويزًا: ويجوز، د.
(٢) كتجويزه: لتجويزه، ت.
(٣) ويدل قوله ولمن انتصر... الزيادة: +، ت، ك.
(٤) أفعال العاد حادثه: فعل العبيد حادث: د.
(٥) ولمن انتصر: وانتصر: د، ك.

۞ اللغة

الذُّلُّ: نقيض العز، ونظيره: الهوان، ذَلَّ فهو ذليل.

والملجأ: ما يُلْتَجَأُ إليه.

۞ الإعراب

«**خاشعين**» نصب على الحال، أي: في حال الخشوع.

«**أهليهم**» نصب بـ ﴿خَسِرُوٓاْ﴾، إلا أن هذه الياء لا يدخلها الفتح.

﴿مِن طَرۡفٍ﴾ قيل: (مِنْ) بمعنى الباء أي: بطرف خفي، عن يونس، وقال الأخفش: الطرف: العين، أي: من عين.

﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ﴾ الذين[1] في موضع رفع، على تقدير: هم الذين خسروا، وقيل: خبر (إن).

۞ المعنى

لما تقدم ذكر العذاب بَيَّنَ أنه لا ملجأ منه يومئذ، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَمَنْ يُضْلِلِ اللهُ**» قيل: يعذبه ويهلكه يوم القيامة لاستحقاقه ذلك، وقيل: يضله عن رحمته وجنته، عن أبي علي. «**فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ**» ناصر يمنع العذاب منه «**مِنْ بَعْدِهِ**» أي: سوى الله «**وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ**» أي: هل إلى رجعة إلى الدنيا طريق؛ لنتلافى ما فرطنا بالأعمال الصالحة «**وَتَرَاهُمْ**» يا محمد، وقيل: أيها السامع، أو أيها الإنسان «**يُعْرَضُونَ**» يعني الظالمين[2] يعرضون[3] «**عَلَيْهَا**» أي: على النار «**خَاشِعِينَ**» أي: خاضعين متواضعين نادمين «**مِنَ الذُّلِّ**» والهوان «**يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ**[4]» من عين «**خَفِيٍّ**» قيل: ذليل، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: يسارقون النظر، عن الحسن، وقتادة، والسدي، والقرظي، وقيل: من عين لا تُفْتَحُ كلها،

---

(١) الذين: +، ت، ك.

(٢) يعني الظالمين: +، ت، ك.

(٣) يعرضون: +، ك.

(٤) من طرف خفي: طرف خفي، ت.

وإنما ينظر ببعضها إلى النار لعظم[١] ما فيها من العذاب والأهوال، وقيل: ينظرون إلى النار بقلوبهم؛ لأنهم يحشرون عميًا، والنظر بالقلب خفي، وقيل: إذا برزت النار غضوا أبصارهم خوفًا منها «وَقَالَ الَّذِينَ آمَنُوا» لما رأوا عظيم ما نزل بالظالمين «إِنَّ الْخَاسِرِينَ» في الحقيقة؛ لأن رأس المال هو النفس، فإذا أوبقها فلا خسران أعظم منه «الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ» بأن فوتوها الانتفاع ونعيم الجنة، وأهلكوها بالعذاب، «وَأَهْلِيهِمْ» قيل: أزواجه، وأولاده، وأقاربه، لا ينتفع بهم، وقيل: أهله من الحور العين، وقيل: أهليهم من الجنة لو آمنوا لكان[٢] ذلك لهم «أَلاَ إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ» دائم، وقيل: هذا تمام كلام المؤمنين، وقيل: بل هو خبر مبتدأ من الله تعالى في عذاب الظلمة، «وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يَنصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ الله» أي: لا ولي لهم، ولا ناصر يتولى تخليصهم من العذاب «وَمَنْ يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ» قيل: هذا جواب قولهم: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾ يعني من أهلكه الله فما له من طريق إلى النجاة، وقيل: من أبعده الله من الجنة ما يرشده أحد إليها، وقيل: ما له من سبيل، أي: انسدت عليه طريق الخير.

ولما آيسهم من طرق النجاة في الآخرة بَيَّنَ أن[٣] لهم طريقًا إلى النجاة ليسلكوها[٤]، فقال سبحانة: «اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ» أي: أجيبوا فيما يدعوكم إليه من الإيمان «مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ» يعني بادروا إلى الطاعة قبل فوت سبب الخلاص، وقيل: هو يوم القيامة، عن أبي علي، وأبي مسلم، وقيل: يوم الموت يجيء لا يرد ولا يؤخر عن وقته، عن أبي مسلم، «لاَ مَرَدَّ لَهُ مِنَ الله» أي: لا يقدر أحد على رده، عن أبي علي، وقيل: لا يرجع فيه بعد ما حكم به، عن الحسن. «مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ» قيل: معقل يعصمهم من العذاب، وقيل: لا يجد من يخلصه «وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ» قيل: من ناصر ينكر[٥] ما يحل بكم، وقيل: من مخلِّص لما نزل بهم.

(١) لعظم: لعظيم، ت، ك.
(٢) لكان: كان، د، ك.
(٣) أن: -، ت.
(٤) ليسلكوها: ليسلكونها، ت.
(٥) ينكر: +، ت، ك.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ﴾[1] أنهم يتمنون الرجوع إلى الدنيا وقت معاينة العذاب؛ ليطيعوا، ولو كانت[2] أفعال العباد خلق الله تعالى لما صح هذا التمني، وكذلك لو لم يقدروا عليه، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة.

ويدل قوله: ﴿أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ﴾ أن الظالم لا يخرج من النار، وأن الرسول ﷺ لا يشفع لهم، فيبطل قول المرجئة، ولا يقال: إن المراد به الكفار؛ لأنه خلاف الظاهر، وكذلك يدل قوله: ﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم﴾ وأي نصرة أعظم من الشفاعة المؤدية إلى النجاة.

ويدل قوله: «استجيبوا» على وجوب الإجابة، وأنها الطريق إلى النجاة[3]، وأن[4] الإجابة فعلهم.

وتدل أن سبب الخلاص إنما هو في الدنيا دون الآخرة.

قوله تعالى:
﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِىَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِىٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾.

---

(١) سبيل: -، ت، ك.
(٢) كانت: كان، ت، ك.
(٣) ويدل قوله استجيبوا. . . . النجاة: +، ت، ك.
(٤) وأن: -، ت، ك.

القراءة

قرأ نافع: «**أو يُرسلُ رسولا**» برفع اللام[1]، و«**فَيُوحِيْ**»[2] بسكون الياء، ومحله رفع على تقدير: وهو يرسل ويوحي، وقيل: محله نصب على تقدير: أو موحيًا أو مرسلا، وقرأ الباقون بالنصب على تأويل المصدر، كأنه قيل: إلا أن يوحي أو يرسل، فيعطفه على محل الوحي، وعلى القراءتين صح عطف «**أو يرسل**» على «**يوحي**»؛ لأن قوله: «**أو يرسل**» فعل، وقوله: «**إلا وحيا**» اسم، وعطف الفعل على الاسم ممتنع، وقد قيل فيه وجهان: قيل: تقديره: أو إرسالا[3]، فيرسل على تأويل المصدر على ما بيَّنَّا، وقيل: تقديره: إلا أن يوحي[4] في تقدير الفعل.

اللغة

الإعراض: التولي عن الشيء والانصراف عنه، أعرض إعراضًا.

والبلاغ: إيصال المعنى إلى النفس بالذكر الذي هو البيان، وأصله الوصول.

والعُقْمُ: بضم العين وسكون القاف، والعَقِيمُ بفتحها في النساء التي لا تلد، ومنه: ﴿عَجُوزٌ عَقِيمٌ﴾ [الذاريات: ٢٩]، ومنه: «سوداء وَلُودٌ خير من حسناء عقيم» لا تلد له، وريح عقيم، لا تأتي بسحاب ولا مطر، ويقال: عَقِمَتْ المرأة، وعُقِمَتْ بفتح العين وضمها فهي معقومة، فإذا كان سيئ الخلق قيل: عَقُمَ بضم القاف، فهي عَقَامٌ، وعقيم، وأصل الباب: المنع، فكأن العقيم عَقِمَ فرجها عن الولادة، أي: مُنِع، ومنه قيل: للحاجز بين التبن والحب إذا ذري الطعام مُعْقِم.

والوحي: إعلام في إخفاء، وكل أمر سريع فهو وحي، ومنه: الوَحَى الوَحَى، ويسمى الرسالة والكتاب والإشارة وحيًا، وأَوْحَى ووَحَى لغتان، والإلهام يسمى وحيًا.

---

(١) حجة القراءات ٦٤١.

(٢) وفيوحي: فيوحي، ت، ك.

(٣) إرسالا: -، د.

(٤) يوحي: يوحي يوحي، ت، ك.

۞ الإعراب

«أو» في قوله: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا﴾ قيل: بمعنى العطف، فيكون إرسال الرسول أحد أقسام الكلام، تقديره: إلا وحيًا، أو إرساله، وقيل: (أو) بمعنى (إلا)، كقولك: لَأَلْزَمَنَّكَ أو تُعْطِيَني[1] حقي، فلا يكون الإرسال في هذا الوجه من أقسامه، وحيًا: تقديره: إلا أن يوحي وحيًا، وقيل: ما كان يكلمه إلا في حال الإيحاء.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ﴾ جر؛ لأنه بدل من قوله: ﴿إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ﴾ كقولك: مررت برجل عبد الله.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ» في الأنبياء «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا» لوط[2]، لم يولد له ذَكَرٌ «وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ» إبراهيم، لم يولد له ابنة «أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا» النبي ﷺ ولد له بنون وبنات «وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا» يحيى وعيسى عليهما السلام، وقيل: بل هو عام، وهو أوجه.

وقيل: نزل قوله[3] «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ...» الآية في اليهود قالوا للنبي ﷺ: ألا تكلم الله تنظر إليه[4] إن كنت نبيًا، كما كلم موسى ونظر إليه، فإنا لن نؤمن لك حتى تفعل ذلك، فقال ﷺ: «لم ينظر موسى إلى الله» فنزلت.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَّ من أعرض عن طريق النجاة، فقال ـ سبحانه ـ: «فَإِنْ أَعْرَضُوا» عما دعوتهم إليه «فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا» قيل: يحفظهم عن اعتقاد خلاف الحق، وقيل: حفيظًا إلى الخير كرهًا «إِنْ عَلَيْكَ إِلاَّ الْبَلاَغُ» يعني إبلاغ الرسالة ليس عليك غير

---

(١) أو تعطني: +، ت، ك.
(٢) لوطا: ولوط، ت.
(٣) نزل قوله: +، ت، ك.
(٤) إليه: إليك، ت.

ذلك «وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً» أي: نعمة، وسماها ذوقًا؛ لأنه قليل بالإضافة إلى مقدورات الله تعالى «فَرِحَ بِهَا» عجبًا وبطرًا[(١)]، ولم يشكر المنعم، «وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ» أي: ما يسوؤهم من مرض أو فقر «فَإِنَّ الإِنْسَانَ كَفُورٌ» بعد المصيبة، ويجحد النعمة، فحاله بخلاف حال المؤمن إذا أصابته نعمة شكر، أو محنة صبر وعلم أن جميع[(٢)] ذلك من مصالحه.

ثم بَيَّنَ تعالى أن النعم كلها منه، فقال تعالى: «لِله مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ» أي: القادر على إحداثهما وإمساكهما، وتسكينهما «يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ» من أنواع الجواهر والأعراض والجنين في الأرحام والبيض «يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا» فلا يولد له ذكر، «وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ» البنين، «أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا» أي: يولد[له] الابن والابنة، وقيل: يجعل[(٣)] حمل المرأة مرة ابنًا ومرة ابنة، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك، والسدي، وقيل: يجتمع في الرحم الذكر والأنثى، فيكونان توأمين، عن محمد بن الحنفية، وقيل: مقترنين زوجين. «وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ» من الرجال والنساء «عَقِيمًا» لا يلد ولا يولد له «إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ» قيل: عليم بما في الأرحام، قادر على جعله فيها كما يشاء، وقيل: عليم بالمصالح يهب لكل أحد ما هو أصلح له، وهو قادر على ذلك، وقيل: عالم بالأشياء قبل كونها وبعد كونها، قادر على تكوينها وإفنائها كما شاء.

ثم بَيَّنَ أن من أنواع ذلك: الوحي، فقال ـ سبحانه ـ: «وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ الله إِلاَّ وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولاً فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ» فكلام الله تعالى لعباده على ثلاثة أوجه:

الأول: الوحي، وإن كان جميعًا وحيًا، وقيل: أراد بالوحي الإلهام، وقيل: هو إلقاء الخواطر وإقامة الأدلة، وشرع الاستدلال، كما فعل إبراهيم في قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأنعام: ٧٥]، عن أبي مسلم، وقيل: الإلهام من

(١) عجبًا وبطرًا: عجب وبطر، ت، ك.
(٢) جميع: -، ت، ك.
(٣) يجعل: عمل، ت، ك؛ يحمل: د.

جنس الاعتقادات لا من جنس الكلام فيبعد[1] أن يكون الإلهام وحيًا، وقيل: الخاطر وما يراه في المنام، عن أبي علي.

الثاني: من وراء حجاب قيل: يكلمه بكلام يسمعه ولا يرى المتكلم بمنزلة ما يسمع من وراء الحجاب؛ لأنه تعالى لا يجوز عليه الحجاب، ولا يكون كلامه ككلام من يُرَى ويدرك، عن أبي مسلم، وقيل: يحجب ذلك الكلام عن جميع خلقه، إلا ممن يريد أن يكلمه به نحو كلامه لموسى عليه السلام في المرة الأولى، بخلاف كلامه في المرة الثانية؛ لأنه سمع ذلك معه السبعون، عن أبي علي، وقيل: يحصل الكلام من وراء حجاب أي: مكانه الذي خلق فيه، فالحجاب راجع إلى مكان الكلام، ولا يقال: إن المتكلم من وراء حجاب؛ لما بَيَّنَّا أن الحجاب لا يجوز عليه؛ لأنه من صفة الأجسام، وما يسمعه[2] الملَك من هذا القبيل؛ لأنه يسمع الكلام من غير رؤية محله والمتكلم به، ويعلم أن كلامه بمعجزة، أو ما يجري مجرى المعجزة.

في الحجاب ثلاثة أوجه:

الأول: حجاب عن إدراك الكلام إلا المُكَلَّم به.

والثاني: حجاب لمحل الكلام.

والثالث: بمنزلة ما يُسْمَعُ من رواء حجاب.

والثالث: أو يرسل رسولاً من الملائكة[3]، فيأتي به إلى النبي صلى الله عليه وسلم فيسمعه منه فيؤديه إلى الخلق.

«بإذنه» قيل: بعلمه، وقيل: بأمره، وهو الوجه **«ما يشاء»** يعني يوحي كما يشاء الله بحسب ما يعلم من مصالح الخلق **«إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ»** في فعل الأصلح، **«وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ»** أي: كما أوحينا إلى سائر الأنبياء أوحينا إليك **«رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا»** قيل: نبوة، وقيل: وحيًا، عن السدي، وقيل: كتابًا، عن الكلبي، وقيل: جبريل، عن الربيع،

---

(١) فيبعد: -، د.

(٢) -، وما يسمعه: وما سمعه، ت، ك.

(٣) الملائكة: الملك، د، ك.

وقيل: هذا القرآن، عن مالك بن دينار، وأبي علي، وأبي مسلم، وسمي روحًا؛ لأن به حياة الدين، كما أن النفس تحيا بالروح، عن أبي علي، وقيل: لأنه كلام، والكلام تأليف الحروف من الأصوات، وهي تقطيع الهواء وحركته، وحركة الهواء هي الروح، والريح والروح سواء، عن أبي مسلم، والأول أولى؛ لأنه لو كان كما قال لما اختص به القرآن «من أمرنا» قيل: معناه أَمَرْناه أن يكون فكان، وهو[1] تَوَسُّعٌ؛ يعني كوّناه كما شئنا، وقيل: مِنْ فعلنا، وقيل: الوحي إليك كان بأمرنا «**مَا كُنْتَ تَدْرِي**» يا محمد «**مَا الْكِتَابُ وَلاَ الإِيمَانُ**» قيل: ما كنت تعلم أن الكتاب يأتيك، وما كنت تعلم الإيمان بالكتاب، فَعَدَّ نِعَمَهُ عليه، وقيل: ما كنت تدري[2] [ما الكتاب] قبل البعثة، ولا الإيمان قبل البلوغ، قيل: ولا تجد الإيمان يعني شرائع الإيمان ومعالمه، وقيل: الدعوة إلى الإيمان، عن أبي العالية، وقيل: أهل الإيمان من يؤمن ومن لايؤمن، وقيل: أراد بالإيمان الصلاة، كقوله: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]، «**وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا**» قيل: جعلنا القرآن نورًا، عن السدي؛ لأن فيه معالم الدين، وقيل: جعلنا الإيمان، عن ابن عباس؛ لأنه طريق النجاة، «**نورًا**»: سمي الكتاب والإيمان نورًا توسعًا؛ لأن الإنسان به يصل إلى الخيرات، كما يصل بالأنوار إلى أموره «**نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا**» قيل: نرشده إلى الجنة بأن آمن[3] به، وقيل: نهدي به من نشاء، وهم المكلفون[4]؛ لأن من ليس بمكلف لا يهتدي «**وَإِنَّكَ لَتَهْدِي**» أي: لترشد فتدعو «**إِلَى صِرَاطٍ**» طريق «**مُسْتَقِيم**» قيل: هو القرآن، وقيل: الإسلام، والمستقيم الذي تستمر صحته ولا يتناقض «**صِرَاطِ اللَّهِ**» قيل: دين الله، وقيل: طريق ثوابه وجنته «**الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**» يعني الذي يجوز أن يَأْمُرَ ويكلف من له ما في السمواتوالأرض «**أَلاَ إِلَى اللهِ تَصِيرُ الأُمُورُ**» أي[5] إلى حكمه، فيقدر فيها كما يشاء.

---

(١) في ت: هو.

(٢) تدري: -، ت.

(٣) آمن: أمر، د، ك.

(٤) المكلفون: المكلف، ك.

(٥) أي: +، ت، ك.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿فَإِنۡ أَعۡرَضُواْ﴾ الآية أن المعرض جانٍ على نفسه، وأُتِيَ من قِبَلِهِ لا من قِبَلِ الله ورسوله، فيبطل قول المجبرة.

ويدل قوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ﴾ أن كلامه مع عباده لا يخلو من هذه الأوجه الثلاثة.

وتدل على حدث كلامه؛ لأنه قرن به أمارة الاستقبال، فقال: ﴿أَوۡ يُرۡسِلَ رَسُولٗا فَيُوحِيَ﴾.

وتدل أنه لا يُرى في الجنة؛ إذ لو رئِيَ[1] وكلمهم [2] لخرج[3] من الوجوه الثلاثة إلى المشافهة.

ويدل قوله: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ﴾ أن الهداية: الدلالة والبيان، وأن الرسول يهدي، خلاف قول المجبرة في الوجهين.

ويدل قوله: ﴿أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ﴾ على زجر ووعيد، وحث على الطاعة، وأن الجزاء عنده.

---

(١) رئي: رأى، ت، د.

(٢) وكلمهم: لكلمهم، ت؛ كلمهم، ك.

(٣) لخرج: فخرج، ت.

سورة الزخرف

سورة (حم[1] الزخرف)، تسع وثمانون آية، قال القاضي: وهي مكية فيما روي عن الحسن وغيره.

وروى أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة (حم الزخرف)[2] كان ممن يقال له يوم القيامة: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون، ادخلوا الجنة بغير حساب».

ولما ختم سورة (حم عسق) بذكر القرآن والوحي؛ افتتح هذه السورة بذلك أيضًا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣
وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن
كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِىٍّ
إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨ وَلَئِن
سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ۝٩ ٱلَّذِى جَعَلَ
لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٠﴾.

---

(١) حم: +، ت، ك.

(٢) الزخرف: زخرف، ت، د، ك.

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وحمزة والكسائي: «إِنْ كنتم» بكسر الألف على الاستقبال، تقديره: إن كنتم قومًا مسرفين لا نضرب[1] عنكم الذكر صفحًا، وقيل: (إن) بمعنى (إذ) كقوله: ﴿مَا بَقِيَ مِنَ ٱلرِّبَوٰٓاْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٢٧٨] وقرأ الباقون بفتح الألف على التعليل، أي لِأَنْ كنتم مسرفين.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: «مَهْدًا» بغير ألف وفتح الميم. الباقون بالألف وكسر الميم، وهما لغتان يقال للأرض[2]: مَهْدٌ ومِهَادٌ أي: بساط، يقال: مَهَدْتُ لنفسي، ومَهَّدْتُ بالتشديد والتخفيف، جعلت مكانًا وطيئًا سهلاً.

۞ اللغة

البيان: هو الدلالة التي[3] يظهر بها المعنى للنفس، وأصله من القطع، يقال: بان: فارق، وأبان: فصل بين الشيء وغيره، وبان لك الشيء وأبان واستبان، وبَيَّنَ وتبيَّن[4] بمعنى، واختلفوا في البيان، قيل: هو الدلالة التي بها يتبين[5] الحق، عن أبي علي، وأبي هاشم، وقيل: هو العِلْمُ الحادث، عن أبي عبدالله، والأول الوجه، وقيل: هو ما يخرج الشيء عن حد الإشكال إلى حد التجلي.

والصفح: الإعراض، صفحت عنه: أعرضت، والأصل فيه أن من أعرض عن صاحبه ولاه صفحة عنقه، وصرف عنه وجهه، يقال: صفح عني بوجهه، والصَّفُوحُ[6] من أسماء الله تعالى: العفو عن الذنب، كأنه أعرض عن مجازاته تفضلاً، والصَّفُوحُ من نعت النساء التي تريك أحد[7] جانبي وجهها، صدًا وإعراضًا.

والإسراف: مجاوزة الحد في العصيان، والسَّرَفُ: ضد القصد.

---

(١) نضرب: نصرف، ت، د، ك.
(٢) في ت، الأرض.
(٣) التي: +، ت، ك.
(٤) وتبين: وبين، ت.
(٥) يتبين: بين،د.
(٦) والصفوح: وبالصفوح، د.
(٧) أحد: إحدى، ت،د، ك. وكتب في د كلمة: صوابه أحد.

والبطش: الأخذ بشدة.

الإعراب

«والكتابِ» أي: وربِّ الكتاب، فكسر لأجل الإضافة، وقيل: للقسم، والواو فيه واو القسم.

«كم» كلمة تكثير، و«صفحا» مصدر أقيم مقام الفاعل، ونصب على الحال تقديره: أفنضرب عنكم بذكر آبائكم صافحين.

«جعلناه» الكناية ترجع إلى الكتاب، ومحله نصب بـ(جعلنا)[1]، وكذلك «قُرْءَانًا عَرَبِيًّا».

ويقال: أين جواب القسم في قوله: «والكتاب»؟

قلنا[2]: قيل: قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾[3]، عن الأخفش، وقيل: بل هو كلام مبتدأ، والجواب مضمر.

المعنى

﴿حمٓ﴾ قيل: قسم أقسم الله بالقرآن، وقيل: اسم للسورة[4]، عن الحسن، وأبي علي، وقيل: إشارة إلى أنه مؤلف من هذه الحروف، فيكون محدثًا، عن أبي بكر الزبيري، وقيل: الحاء من حليم، والميم من ملك «وَالْكِتَابِ» يعني القرآن، سمي به؛ لأنه يُكْتَبُ، «الْمُبِينِ» قيل: مبينُ الحقَّ من الباطل، أي: فاصل بينهما مُظْهِر، وقيل: ما بان خيرُه وبركتُه، أي: ظهر، وقيل: أبان طريق الهدى والضلالة، وأبان كل ما يُحتاج إليه من أمور الدين «إِنَّا جَعَلْنَاهُ» أي: أحدثناه[5] وأنزلناه «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» أي: بلغة العرب، وقيل: سميناه ووصفناه بأنه عربي، والأول الوجه؛ لأنه

---

(١) جعلنا: جعلت، ت، ك.

(٢) قلنا: +، ت.

(٣) ويقال أين جواب.... عربيا: +، ت، ك.

(٤) للسورة: السورة، ت.

(٥) أحدثناه: أحدثنا، د.

حقيقة، وهذا تَوَسُّعٌ ومجاز، ولأنه لو لم يسمه عربيًا لما خرج من كونه عربيًّا «**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**» أي: لتعلموا ذلك، وقيل: يتلوه النبي ﷺ رجاء استماع وقبول منكم، عن أبي مسلم «**وَإِنَّهُ**» يعني القرآن «**فِي أُمِّ الْكِتَابِ**» في اللوح المحفوظ، وإنما سمي أُمًّا؛ لأن سائر الكتب تنسخ منه، وقيل: لأنه أصل الكتاب وجملته، عن قتادة، وقيل: أم الكتاب: الآيات المحكمة، والمراد به [1] نفس الكتاب، إنه محكم منزل بالحكمة، عن أبي مسلم، وقيل: الكتاب: الإيجاب، يعني حين أوجب إنزال الكتب على الأنبياء أوجب أن يكون هذا الكتاب عليًا، عن أبي مسلم. «**لَدَيْنَا**» عندنا، يحتمل أن يريد اللوح المحفوظ، ويحتمل القرآن، والإضافة[2] للتشريف والتخصيص «**لَعَلِيٌّ**» يعني القرآن علا، قيل: يعلو كُلَّ كتاب؛ بما خصه من كونه معجزًا، وآخر الكتب، ووجوب إدامة العمل به، وما فيه من أنواع الفوائد، وقيل: عَلِيٌّ، أي: عظيم الشأن، رفيع الدرجة، تعظِّمه الملائكة والمؤمنون «**حَكِيمٌ**» دلالة على كل حق وصواب، فهو بمنزلة الحكيم الذي لا ينطق إلا بالحق، والصفتان في القرآن[3] توسع؛ لأن حقيقة العلي القاهر الغالب، وحقيقة الحكيم العالم، وكلاهما من صفة الحي «**أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا**» اختلفوا في معناه، قيل: معناه أنعرض[4] عنكم، ولا ندعوكم؛ لإسرافكم وترككم القبول، فَلَفْظُهُ للاستفهام[5] والمراد به الخبر، أي: لم يكن إسرافكم موجبًا أن نضرب عن تذكيركم صفحًا، ولا ننزل القرآن ونترككم من أجل كفركم؛ بل لرحمته يتابع الحجج، فيتابع البيان، ولا يخليهم عن الإنذار حجة عليهم، عن قتادة، وابن زيد، وأبي مسلم، وقيل: هو وعيد، يعني إسرافكم لا يمنع من مؤاخذتكم إذا أعرضتم عن الذكر الذي هو القرآن، وتقديره: أنعرض عنكم ونترككم، فلا نعاقبكم؟ فالألف استفهام، والمراد الإنكار، عن مجاهد، والسدي، قال

---

(١) به: +، ت، ك.
(٢) الإضافة: +، ت، ك.
(٣) في القرآن +، ت، ك.
(٤) أنعرض: العرض، ت، ك.
(٥) للاستفهام: الاستفهام، ت، ك.

ابن عباس: معناه: أفحسبتم أن نصفح عنكم، ولم تفعلوا ما أمرتم؟ وقيل: أنترككم ما نأمركم ولا ننهاكم؟ عن الكلبي، وقيل: أنطوي عنكم الذكر طيًّا، فلا تدعون، ولا توعظون؟ عن الكسائي. وهذا من فصيح الكلام، ولم يفصلوا.

قال شيخنا أبو علي رحمه الله: هذا الكلام يحتمل معنيين:

الأول: الرحمة، يعني: لا نترككم وسوءَ اختياركم، ولا نقابل بالإعراض[١] إعراضًا؛ بل نذكِّركم ونعظكم، وندعوكم، لا ننظر إلى إسرافكم؛ لكن رحمة منا فعلنا ذلك.

والثاني: المبالغة في التغليظ، يعني: أتظنون إن[٢] كنتم سادة ورؤساء تُتْركون وما تفعلون؟ كلا، بل نلزمكم العمل، وندعوكم إلى الدين، ونؤاخذكم متى أخللتم بالواجب، أو أقدمتم[٣] على القبيح.

«**أَنْ كُنتُمْ قَوْمًا مُسْرِفِينَ**» قيل: مجاوزين الحد[٤] في المعصية، وقيل: مشركين، والأول أوجه؛ لعموم اللفظ.

ثم أكد الوعيد، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيٍّ فِي الأَوَّلِينَ**» يعني الأمم الماضية، «**وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلاَّ كَانُوا بِهِ**» برسولهم «**يَسْتَهْزِئُون**» استهزاءَ قَوْمِكَ بك، وقيل: لما استهزؤوا أُخذوا بعذاب الاستئصال، كذلك أنتم تؤخذون إن فعلتم مثل ذلك، وقيل: مع استهزائهم لم نضرب عنهم صفحًا؛ بل كررنا الوعظ، وأعدنا الرسل، «**فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا**» قيل: أشد قوة من قومك، عن الحسن، يعني أهلكنا مِنْ أولئك الأمم بأنواع العذاب مَنْ كان أشد من هؤلاء قوة ومنعة «**وَمَضَى مَثَلُ الأَوَّلِينَ**» قيل: صفتهم، وقيل: خبرهم، وقيل: أنفسهم وما نالهم من العذاب صار مثلاً لمن بعدهم، وتقدير الكلام ـ وهو مثل لهؤلاء الباقين ـ إن لم[٥] يؤمنوا لكان

(١) بالإعراض: الإعراض، ت، د، ك.
(٢) إن: وإن، ت، د، ك.
(٣) في د: وأقدمتم.
(٤) في ت: للحد.
(٥) في ك: إن لو لم.

حالهم كحال من تقدم «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ» يا محمد «مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ» أي: ابتدأها، وأنشأها، والكناية إلى من ترجع؟ اختلفوا فيه، قيل: لئن سألت الأنبياء الماضين أو لقيتهم، أو سألت من يدين بدينهم، أو تمسك بطريقتهم، أو سألت عن كتبهم، وقيل: لو سألت كفار قريش، عن ابن عباس؛ لأنهم كانوا يقرون بالله، وأنه خالق السموات والأرض، وعبدوا مع ذلك الأوثان متوسطة بينهم وبينه، «لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ» القادر على كل مقدور، «الْعَلِيمُ» بكل معلوم، يعني إذا أقروا بهذا لزمهم ألا يعبدوا سواه «الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الأَرْضَ مَهْدًا»[١] أي: فراشًا تستقرون عليها «وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا» في الأرض «سُبُلًا» أي: طرقًا إلى مقاصدكم «لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ» قيل: لتهتدوا في أسفاركم إلى مقاصدكم، وقيل: لتهتدوا إلى الحق في الدين بالاعتبار الذي جعل لكم.

❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ على أشياء:

منها: أن القرآن محدث؛ ليصح وصفه بالجَعْلِ.

ومنها: أن كلامه دليل على مراده، ولا يُحتاج فيه إلى الإمام[٢].

ومنها: أن المعارف مكتسبة.

ومنها: أنه شاء أن يُتفكر فيه.

ومنها: أن مراده به[٣] أن يعقل معانيه[٤]، خلاف قول المجبرة: إن مراده من بعضهم ألا[٥] يُفْعل[٦] ويكفر[٧] به.

---

(١) في د: مهادا.
(٢) في ت: إمام.
(٣) به: +، ت، ك.
(٤) أن يعقل معانيه: أن لا يفصل معاصيه، ك؛ أن يفعل ما فيه، د.
(٥) ألا: أن لا؛ د، ت، ك.
(٦) يفعل: يؤمن، ت.
(٧) يكفر: يكفره، ت، ك.

ويدل قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ أن القرآن مؤلف في اللوح، وأنه أنزله حالاً بعد حال، على حسب المصلحة.

ويدل قوله: ﴿وَكَمْ أَرْسَلْنَا﴾ أن أكثر الأمم سلكوا مع أنبيائهم طريقة الاستهزاء والتكذيب[1]، وفيه تسلية للنبي ﷺ، ووعيد للكفار.

ويدل قوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم﴾ أن القوم كانوا مُقِرِّين بالخالق، ثم عدَّ[2] نعمه، وما يدل على توحيده؛ حثًّا على عبادته.

ويدل قوله: ﴿لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ أنه أراد من الجميع الاهتداء.

ويدل أن الاهتداء فعلهم، فيصح قولنا في المخلوق والإرادة.

قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا۟ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾﴾.

❁ القراءة

قرأ أبو جعفر: «بلدة مَيِّتة» بالتشديد كل القرآن[3]. قرأ نافع وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾ [يونس: ٣١] وكذلك «إلى بلد ميِّت»[4] ونظائرها مشددة في (آل عمران)، و(الأنعام) و(الأعراف)،

---

(١) في ت، ك: التكذيب والاستهزاء.
(٢) ثم عد: في د، ك: فعد. وما أثبتناه من ت ومن هامش ك ظ.
(٣) السبعة في القراءات ٢٠٣.
(٤) إلى بلد ميت: من بلد ميت، ت، د، ك.

و(يونس)، و(الروم)، و(فاطر)، وزاد نافع: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا﴾ [الأنعام: ١٢٢] و﴿لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا﴾ [الحجرات: ١٢]، و﴿الْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَاهَا﴾ [يس: ٣٣] فشددها كلها.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وأبو بكر، وعاصم[١] كل ذلك بالتخفيف، وهما[٢] لغتان، وقرأ أبو جعفر: «جُزًّا» مشددة بغير همز كلَّ القرآن، وقرأ عاصم[٣] في رواية أبي بكر: «جُزُءا» بضم الزاي مهموزًا كلَّ القرآن، والباقون ساكنة الزاي مهموزًا كل القرآن، وكلها لغات صحيحة.

۞ اللغة

النشر: ضد الطي، ومنه: نشر الله الموتى، أي: أحياهم بعد إماتتهم، كأنه كان مطويًّا بالموت من النماء والتصرف، وأنشر الموتى فنشروا[٤] أحياهم فحيوا.

استوى: اعتدل، واستوى إليه: قصد وأقبل، واستوى: استقر، واستوى: استولى وقدر.

والمُقْرِنُ للشيء: المطيق له، أَقْرَنَ يُقْرِنُ إقرانًا إذا أطاق وقوي عليه، ومنه: فلان قِرْنُ فلان: إذا كان له من القوة مثل ما له، وقد قيل: في قوله[٥] ﷺ: «الشمس تطلع من قرني الشيطان» أي: تطلع من قوة الشيطان، أي حين[٦] يتحرك ويتسلط، منهي عن الصلاة في ذلك الوقت، لما يلحقه من الوسوسة والأذى.

۞ الإعراب

«ظهوره» أضاف الظهور إلى الواحد؛ لأنه في معنى الجمع لا الجنس، والرهط، ونحوها من أسماء الجنس، وقيل: أراد الإبل؛ إذ لا يقال للسفينة ظهر، وقيل: الآية[٧] كناية عن بعض الأنعام؛ لأن كلها لا تركب، وقيل: تقديره: لتستووا على

---

(١) عن عاصم: +، د، ك،

(٢) وهما: وهم: ت، د، ك.

(٣) وعاصم كل ذلك... عاصم: +، ت، ك.

(٤) أحياهم بعد... فنشروا: -، ت.

(٥) قوله: قول، ت.

(٦) حين: حتى، د، ك.

(٧) الآية: لأنه، ت، ك.

ظهور[١] ما[٢] ذكرنا، وقيل: كناية عن المركوب، أي: استووا على المركوب، وقيل: لأنه ذكر الظهور بلفظ الجمع، فاكتفى به عن جمع الآخر.

ويقال: لِم قال: «**ظهوره**» فَذَكَّرَ، والأنعام[٣] جمع[٤]؟

قلنا: على بعض ما ذكرنا لا سؤال، وإن حمل على الأنعام، فإنه يُذَكَّر ويؤنث، وقيل: ردها إلى (ما) في قوله: ﴿مَا تَرۡكَبُونَ﴾.

«**تذكروا**» نصب؛ لأن المعنى لتستووا[٥] ثم لتذكروا، وعلامة النصب ذهاب النون.

«**وتقولوا**» معناه: ولتقولوا: سبحان.

المعنى

ثم بَيَّنَ أدلة أخرى مؤكدة لما تقدم، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ**» قيل: من جهة السماء، وإنما هو من السحاب، وقيل: كل ما علاك فهو سماء، وأصله من السمو، قالوا: [كل ما] أنزل من السحاب فهو من السماء، وقيل: من السماء نفسه ينزله إلى الغيم، ثم إلى الأرض، ولا مانع من هذا، وهو الظاهر، فلا معنى لقطع الكلام عن حقيقته «**ماء**» يعني المطر «**بقدر**» يعني مقدار ما يحتاج إليه حتى لو نقص لأخل، ولو زاد لأفسد، فتجري الأنهار على هذا التدبير؛ ليعلم أنه من مدبر حكيم «**فَأَنشَرۡنَا بِهِ**» أي: أحيينا بالمطر، وإخراج النبات «**بَلۡدَةً مَيۡتًا**» يابسة لم يكن عليها النبات.

ثم بَيَّنَ وجه الدلالة على الإعادة، فقال: «**كَذَلِكَ**[٦] **تُخۡرَجُونَ**» يعني كما أحيا البلدة الميتة بإخراج النبات يحييكم، ويخرجكم من قبوركم؛ لأن كل واحد منهما متعذر إلا على قادر للذات لا يمتنع عليه شيء؛ لأن الإعادة إنما تجوز على أفعاله

---

(١) ظهور: ظهوره، ك.

(٢) ما: -، ت، ك.

(٣) فذكر والأنعام: فذكروا الأنعام، ت.

(٤) يعنى أن جمع غير العاقل يعود الضمير عليه مؤنثا، مثل: الأشجار غرستها.

(٥) لتستوّوا: استووا، ت، ك.

(٦) وكذلك: كذلك، د.

الباقية دون أفعال غيره، كما أنه يقدر على إخراج النبات، وهي جواهر وأعراض لا يقدر عليها غيره «**وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا**» يعني أزواج الحيوان ذكرًا وأنثى، وقيل: الأصناف من الحيوانات. وقيل: الأزواج: الشتاء والصيف، والحر والبرد، والليل والنهار، والشمس والقمر، والسماء والأرض، والجنة والنار، عن الحسن، وقيل: أراد الأشياء المتشاكلة، «**وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ**» أي: السفن «**وَالْأَنْعَامِ**» الإبل «**مَا تَرْكَبُونَ**» فجعل الفلك مركبًا في البحر، والأنعام مركبًا في البر.

ثم بين الغرض فيه، فقال ـ سبحانه ـ: «**لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ**» أي: لتركبوها، والاستواء إشارة إلى أنه خلق ذلك وذَلَّلَه؛ ليستوي الراكب على ظهره، وينتفع بها في البر والبحر، «**ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ**» عليكم في خلقه وغير ذلك «**إِذَا اسْتَوَيْتُمْ**» استقررتم «**وَتَقُولُوا**» شاكرين لنعمه «**سُبْحَانَ**» منزه عن شبه المخلوقين، وفعله عن كل قبيح «**الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا**» أي: ذلل لنا حتى ركبناه مع عظمه وقوته، «**وَمَا كُنَّا لَهُ**» لولا فضله بتذليله «**مُقْرِنِينَ**» أي: مطيقين مقاومين في القوة، رابطين له قاهرين، فالفيل مع قوته مُذَلَّلٌ للصبي، وكذلك البعير والبقر «**وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ**» هذا من تمام التنزيه أي: من عدله وفضله إعادة الخلق للجزاء، فنحن إليه نصير في المعاد، فسخر لنا هذا لمصالحنا ومنافعنا، ثم يعوضه في الآخرة ما يوفي على ما يلحقه من التعب في الدنيا، وأمرنا بالشكر لنستحق الثواب، لولا ذلك لما جاز التكليف والتسخير؛ لأن جميع ذلك تبع للتكليف، والتكليف إنما حسن؛ لأنه تعريض لمنزلة لا يصح استحقاقها إلا بالعمل، وهو الثواب لمقارنة التعظيم له.

ومتى قيل: ليس فيه ذكر للأنعام[١]؟

قلنا: قوله: «وإنا» إشارة إلى الراكب والمركوب، فلا بد من إعادة الكل.

ثم ذكر كفرهم مع هذه[٢] الأدلة الظاهرة، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا**» قيل: نصيبًا وبعضًا، وقيل: عدلاً، عن قتادة، ومقاتل، وقيل: زعموا أن الملائكة بنات الله، فيكونون بَعْضَهُ، كما أن الابن بَعْضُ الأب، عن الحسن، وقيل:

(١) للأنعام: الأنعام، ت، ك.
(٢) هذه: +، ت، ك.

جزءًا من عباده، والكل عبيده، وقيل: الجزء اسم للبنات، يقال: لفلان جزء من العباد، أي: بنات، وأَجْزَأَتْ المرأة: ولدت البنات[1]، قال الشاعر:

إنْ أَجْزَأَتْ حُرَّةٌ يومًا فَلاَ عَجَبٌ قَدْ تُجْزِئُ الحُرَّةُ المِذْكَار أَحْيَانَا[2]

يعني إن ولدت أنثى، وليس هذا بالظاهر فلا[3] يحمل عليه كلامه تعالى، «إِنَّ الإِنسَانَ لَكَفُورٌ» أي: جحود لنعمه، اعتاد[4] ذلك «مُبِينٌ» أي: ظاهر الكفران.

۞ الأحكام

تدل الآيات على[5] أنه تعالى ينبت النبات عند إنزال المطر، وذلك مما أجرى الله[6] به العادة، وإلا فهو قادر على إنباته من غير مطر.

وتدل على أنه كما قدر على الإنبات يقدر على إخراج الأموات أحياء، فشبَّهَ به هذا، وقد بَيَّنَّا أن كل واحد منهما مقدور له خاصة، وقيل: وَجْهُ الشبه، كما يخرج النبات من الأرض يخرج الأموات من القبور، وقيل: كما يخرج الولد بسبب النطفة، والنبات بسبب[7] المطر، كذلك يعيد الخلق.

وتدل على وجوب شكر المنعم بما هيأ لنا من المراكب في البر والبحر وتسخيرها مع عظم قوتها، ولولا تسخيره لما أطعناه[8]، فيعلم عند ذلك أن مُسَخِّرًا سَخَّرَهُ، يجب علينا[9] شكره.

---

(١) البنات: بناتًا، ت، ك.

(٢) البيت لم ينسب قائله، وذكر الزمخشري في الكشاف أن تفسير الجزء بالبنات من بدع التفسير، وصرح بأنه مكذوب على العرب ومنحول أنظر الزمخشري، الكشاف، ج٤، ص ٣٤. وعجزه في الكشاف:

زوجتها من بنات الأوس مجزئة

(٣) فلا: ولا، ت.

(٤) اعتاد: أعاد، ت، ك.

(٥) على: +، ت.

(٦) الله: -، ت، ك.

(٧) بسبب: لسبب، د.

(٨) أطعناه: أطقناه، د، ك.

(٩) علينا: عليه، د، ك.

وتدل على تعليم كيفية الشكر، وروي عن[1] علي عليه السلام عن النبي صلى الله عليه وآله، أنه كان إذا وضع رجله في الركاب قال: «سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون، وكبر ثلاثًا، وهلل ثلاثًا»، وقال قتادة في هذه الآية: كيف تقولون إذا ركبتم في الفلك؟ قال[2] تقولون: «بسم الله مجراها ومرساها»[3]، فإذا ركبتم الإبل قلتم: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ﴾ الآية، وإذا نزلتم من الفلك والأنعام قلتم: اللهم أنزلنا منزلاً مباركًا.

ويدل قوله: ﴿لَكَفُورٌ﴾ أن الكفر فعله.

قوله تعالى:

﴿أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُۥ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ وَهُوَ فِى ٱلْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَٰدُ ٱلرَّحْمَٰنِ إِنَٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَٰهُمْ كِتَٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾﴾.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «يُنَشَّؤُ» بضم الياء وفتح النون وتشديد الشين، على ما لم يسم فاعله، أي: يربَّى، وقرأ الباقون بفتح الياء وسكون النون وتخفيف الشين، أي: يَنْبُتُ ويكبر.

وقرأ أبو جعفر، ونافع، وابن كثير، وابن عامر، ويعقوب: **«عند الرحمن»**

---

(١) عن: +، ت.

(٢) قال: +، ت.

(٣) مجراها ومرساها: مجريها ومرسيها، ك.

بالنون، وهو اختيار أبي حاتم، قال: لأن هذا مدح لهم، والخلق كلهم عباده، ولأنه يوافق قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٦].

وقرأ أبو عمرو وعاصم، حمزة والكسائي: «**عباد الرحمن**» بالباء والألف جمع عبد، وقيل: جمع عابد، كقائم وقيام، وصائم وصِيَام[١]، ونائم ونيام، عن أبي مسلم، وجوز وجه الأول أيضًا، وهي قراءة ابن عباس، واختيار أبي عبيد؛ لأنه تعالى رد عليهم قولهم: [إنهم] بنات الله، وأخبر أنهم عبيده، قال سعيد بن جبير: قلت لابن عباس: إن في مصحفي[٢]: «**عند الرحمن**»[٣] فقال[٤]: امحها، واكتبها: «**عباد الرحمن**»، ويؤيد هذه القراءة قوله: ﴿بَلْ عِبَادٌ مُّكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٦].

قرأ أبو جعفر ونافع «**آشْهدوا**» بهمزة ممدودة والشين ساكنة، وروي عن نافع غير ممدودة على ما لم يُسَمَّ فاعله، أي: أحضروا خلقهم حين خلقوا من أشهدت. وقرأ الباقون: «**أَشَهِدُوا**» بفتح الألف والشين من «شهدت»، يعني: أَحَضَرُوا، أضاف[٥] الفعل إليهم.

اللغة

الكظم: إمساك على غيظ، يقال: كظيم ومكظوم، أي: مملوء غيظًا وكربًا.

وأصل النشوء: الإحداث، الواحد ناشئ، ومنه: نشأ الله الخلق، أي: ابتدأهم، ومنه: أنشأ الشاعر، و﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِى ٱلْحِلْيَةِ﴾ تَرَبَّى وتَرَشَّحَ، وأصله: من «نشأ» إذا ارتفع.

والخصام: يكون جمعًا، ويكون مصدرًا، وأصله من الخصومة، ويقال: للواحد وللاثنين وللجماعة وللذكر[٦] والأنثى: خصم، ونظيره[٧]: عَدْلٌ. والخصم مبالغة فيه، كالخطيب ونحوه.

---

(١) وصيام: -، ت.
(٢) مصحفي: مصحف، ت، د، ك.
(٣) انظر الطبري تفسير الآية ١١٢/ ١١٤.
(٤) فقال: قال، د.
(٥) أضاف: وأضاف، د، ك.
(٦) وللجماعة وللذكر: وللجماعة والذكر، د،ك.
(٧) ونظيره: نظيره، ت.

والخَرْصُ: الكذب، خرص، واخترص، وتخرص: إذا افترى الكذب، ومنه: ﴿ٱلْخَرَّٰصُونَ﴾ [الذاريات: ١٠] الكذابون، وكُلُّ مَنْ قال بالظن فهو خارص.

والاستمساك بالشي: التمسك به، يقال: مسك بالشيء وأمسك وتمسك(١) واستمسك، قال زهير:

بِـأَيِّ حَـبْـلِ جِـوَارٍ كُـنْـتُ أَمْـتَـسِـكُ(٢)

الإعراب

قوله: ﴿يُنَشَّؤُاْ﴾ قيل: في محل من ثلاثة أوجه:

أولها: رفع على الابتداء، كأنه قيل: (مَنْ) ينشأ فأولئك ولده على ما قالوا.

الثاني: النصب على الإضمار، تقديره: أومَنْ ينشأ يجعلونه ربًّا.

الثالث: الكسر على قوله: ﴿مِمَّا يَخْلُقُ﴾ وقوله: ﴿بِمَا ضَرَبَ﴾.

المعنى

ثم زاد في توبيخهم بسوء اعتقادهم، فقال ـ سبحانه ـ: «**أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ**» أي: كيف خصكم بالبنين واتخذ لنفسه البنات، وليس بحكيم من اختار لنفسه الأدون ولغيره الأعلى، فلو جاز عليه الولد لما اختار البنات على ما تزعمونه، فقد غلطوا من وجهين:

أحدهما: جواز اتخاذ الولد في الأصل.

والثاني(٣): في(٤) اتخاذ البنات، مع أنهم يكرهون ذلك لأنفسهم.

«**وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا**» يعني البنات التي أضافوها إليه «**ظَلَّ**(٥)

---

(١) وتمسك: وأتمسك، ت.

(٢) في ت، د، ك، خيل؛ أيمسك.

البيت قائله زهير بن أبي سلمى وصدر البيت:

هلاّ سألت بني الصيداء كلهم ... بأي حبل جوار كنت أمتسك

أنظر ديوان زهير بن أبي سلمى، تحقيق علي حسن فاعور، ص ٨١، بيروت، ١٩٨٨.

(٣) والثاني: الثاني، د.

(٤) في: +، ت.

(٥) ضل: وضل، ت.

وَجْهُهُ مُسْوَدًّا» في ذلك[١] مبالغة في الكراهة، وهذا تَوَسُّعٌ، والمراد به يسوؤه[٢] ما يسمع حتى تتغير سَوْأَتُهُ[٣] ولونه، بخلاف ما بشر، فتهلل وجهه «**وَهُوَ كَظِيمٌ**» مملوء كربًا وغيظًا.

ثم بَيَّنَ قصور حال النساء، فقال ـ سبحانه ـ: «**أَوَمَن يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ**» في زينة النساء «**وَهُوَ فِي الْخِصَامِ**» في المنازعات والخصومات في أمور الدين والدنيا «**غَيْرُ مُبِينٍ**» أي: لا يبين ولا يظهر الحجة لضعفهن[٤]، وذكر أنه في مصحف ابن مسعود: (**وفي الكلام غير مبين**») ويحمل على أنه فسر به.

واختلفوا في المراد به، فقيل[٥]: أراد به النساء، عن قتادة، وأبي مسلم، وأبي علي، وقيل: أراد الأوثان كانوا يعبدونها وهي لا تتكلم، وقيل: تماثيلهم المضروبة من ذهب وفضة، عن ابن زيد. «**وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَاثًا**» أي[٦]: الملائكة بنات الله «**أَشَهِدُوا خَلْقَهُمْ**» أي: أَحَضروا خَلْقَ الملائكة حتى شهدوا أنهم بنات؟ وقيل: شهدوا صورتهم وخلقهم فعلموا أنهم إناث عن أبي مسلم. «**سَتُكْتَبُ شَهَادَتُهُمْ**» فيما زعموا «**وَيُسْأَلُونَ**» عنها يوم القيامة، وهو سؤال توبيخ، وقيل: تعجيز عن إيراد حجة على ما فعلوه.

وكما بَيَّنَ تعالى خطأهم في التوحيد بَيَّنَ خطأهم في العدل، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَقَالُوا**» يعني الكفار «**لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ**» أي: لو شاء ألا[٧] نعبدهم ما عبدناهم بمشيئته، واختلفوا فقيل: عبدناهم يعني الملائكة، عن قتادة، ومقاتل، والكلبي، وأبي مسلم، وقيل: الأوثان، عن مجاهد. «**مَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ**» أي: لم يقولوا ذلك عن حجة وعلم، أشار أن ذلك باطل لما لم يقدر[٨] على دليل وعلم.

(١) ذلك: وذلك، ت، ك.
(٢) يسوؤه: يسوه؛ ت، د، ك.
(٣) سوأته: سوته؛ ت، د، ك.
(٤) لضعفهن: لضعفين، ك.
(٥) فقيل: قيل، ت.
(٦) أي: أن، ك.
(٧) ألا: أن لا؛ ت، د، ك.
(٨) يقدر: يقدروا، ت.

ثم كذبهم في ذلك، فقال: «إِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ[1]» أي: يكذبون، ثم أكد ذلك فقال ـ سبحانه ـ: «أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ» أي: من قبل القرآن «فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ»، وهذا[2] استفهام والمراد الإنكار[3]، أي: ما أنزلنا كتابًا، وآتينا: أعطيناهم كتابًا يتمسكون به، ويرجعون فيما يدينون به إليه. وقيل: هذا يتصل بقوله: ﴿أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْۚ﴾ يعني قولهم: الملائكة إناثٌ: غلط منهم؛ لأنهم لم يشهدوا خلقهم، ولا نص عليه[4] في كتاب ولا دليل في العقل. وقيل: بل يتصل بقوله: ﴿لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُمۗ﴾ يعني إضافة الكفر إلى مشيئة الله لا حجة[5] عليه عقلاً، ولا نص عليه في كتاب، وإنما هو كذب اخترصوه.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أنهم أخطؤوا[6] في الدين من وجوه:

منها: إضافة الولد إلى الله، وذلك لا يجوز؛ لأنه من صفة الأجسام.

ومنها: أنهم أضافوا البنات إليه، وإنما اختار لنفسه الأدون، وهذا ينافي الحكمة.

ومنها: أنهم أضافوا إلى ربهم ما لو أضيف إليهم لكرهوه، فتدل على[7] أنه لا يجوز إضافة القبائح إلى خَلْقِهِ وإرادته.

ومنها: أن الخصام في الدين وبيانه مَدْحٌ، فإذا لم تكن هذه صفة البنات كيف أضافوها إليه؟

ومنها: أنهم جعلوا الملائكة إناثًا.

ومنها: أنهم زعموا جميع ذلك بلا حجة ومشاهدة، أو خبر أو دليل[8].

---

(١) إن هم إلا يخرصون: إن أنتم إلا تخرصون، ت، ك.
(٢) وهذا: فهذا، ت.
(٣) الإنكار: للإنكار، ت.
(٤) عليه: +، ت، ك.
(٥) لا حجة: لا حجة أنه، ت.
(٦) أخطؤوا: أخطأوا؛ ت، د، ك.
(٧) على: -، ت.
(٨) أو خبر أو دليل: أو خبرًا ودليلًا، ت.

ومنها: أنهم أضافوا الكفر إلى مشيئته.

ومنها: أنهم قالوا ذلك بغير علم وحجة، وكلُّ قولٍ هذا سَبِيلُهُ فهو باطل.

ومنها: إقدامهم على الكذب في الدين، وكان شيخنا أبو حامد ـ رحمه الله ـ يقول: إنما أنكر الله تعالى عليهم وكفرهم؛ لأنهم أنكروا التوحيد والعدل، ففارقوا التوحيد بإضافة الولد إليه، وفارقوا العدل بإضافتهم الكفر إلى مشيئته.

وقيل: إن قوله: ﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ﴾ يدل على جواز التحلي للنساء بالذهب وغيره، عن أبي العالية، وقتادة.

قوله تعالى:

﴿بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَٰلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَارِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ قَلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

القراءة

قرأ ابن عامر وحفص عن عاصم: «**قال أولو جئتكم**» بالألف على الخبر، وقرأ الباقون: «**قُلْ**[1] **على الأمر**».

وقرأ أبو جعفر: «**أَوَلَوْ جِئناكُمْ**» بالنون والألف، وقرأ الباقون: «**جئتكم**» بالتاء بغير ألف، فالأول حكاية عن الجماعة، والثاني واحد، يعني الرسول قال لهم.

قراءة العامة: «**أُمة**» مضموم[2] الألف وهي الملة والدين، وعن مجاهد وعمر بن عبد العزيز: «**إمة**» بكسر الألف، قيل: هي الطريقة التي تقصد من قولهم: أَمَمْتُ، وقيل: هما لغتان.

---

(١) قل: قيل، ت.

(٢) مضموم: بضم، ت، ك.

اللغة

الأمة: الجماعة على طريقة واحدة، كأنهم أَمُّوا جهةً واحدة، وأصله: القصد.
والمترف: الذي آثر طلب الترفه[١] على طلب الحجة، وكذلك[٢] النظر، وأصل الإِرْفَاهُ[٣]: التنعم والدعة.

المعنى

ثم بيَّنَ تعالى أن مبنى[٤] أمرهم على التقليد، فقال ـ سبحانه ـ: «بَلْ قَالُوا» يعني المشركين، وهو جواب الاستفهام، وردًّا لمقالتهم، يعني لم يشهدوا خلقهم، ولا رجعوا إلى كتاب؛ بل قالوا: «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ» قيل: ملة، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وأبي مسلم، والسدي. وقيل: الأمة الجماعة، أي: كانوا مجتمعين موافقين على هذا الذي نحن عليه، عن أبي علي. «وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُهْتَدُونَ» فلا نخالفهم «وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ» يا محمد «فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ» أي: نبي «إِلاَّ قَالَ مُتْرَفُوهَا» أي[٥]: رؤساؤها ومنعموها، وإنما خصهم بالذكر وإن كانت العامة موافقة لهم؛ لأن الخطاب يتوجه إليهم، ولأن العامة تبع لهم «إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ» على[٦] طريقة، وقيل: وجدناهم مجتمعين على هذا «وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ» نقتدي بهم، فلا نخالفهم «قُلْ» يا محمد: أتتبعون آباءكم وإن «جِئْتُكُمْ بِأَهْدَى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ» يعني أصوب وأولى لما عليه من الدليل فـ«قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ. فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ» قيل: عذبناهم بكفرهم كالمنتقم، وقيل: انتقمنا للمؤمنين[٧] منهم ومن إيذائهم «فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ».

---

(١) الترفه: الرقية، ت، ك.
(٢) كذلك: +، ت، ك.
(٣) الإرفاه: الإرقاه، ك.
(٤) مبنى: بياض في ت.
(٥) أي: أو، ت.
(٦) على: -، ت، ك.
(٧) للمؤمنين: للمؤمن، ت، ك.

۞ الأحكام

تدل الآيات على ذم التقليد وبطلانه، وأن الواجب اتباع الدليل؛ لأن التقليد لا يميز الحق من الباطل.

وتدل على أن الواجب التفكر؛ ليعلم الهدى فيتبعه.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على أنه يعذب العصاة، وأنه كالانتقام منهم.

وتدل على أن التكذيب فعلهم.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ (٢٨) بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ (٢٩) وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ (٣٠) وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ (٣١) أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾.

۞ القراءة

قراءة العامة: «براء» بالألف وفتح الباء على الواحد، وعن ابن مسعود: «بريء» بالياء، قيل: هما بمعنى، وقيل: براء مصدر أقيم مقام الاسم، وبريء اسم. قراءة العامة: «معيشتهم» بغير ألف، وعن ابن عباس: «معايشهم» بالألف[(١)] على الجمع. قراءة العامة: «سُخْرِيًّا» بالضم، وعن ابن محيصن بالكسر، قيل: ما كان بالهُزء[(٢)] فهو

(١) بالألف: +، ت، ك.

(٢) بالهزء: بالضم، ت، د، ك.

بالكسر، وما كان من جهة السُّخْرة[1] فهو بالضم، وهو الصحيح من القراءة؛ لأن عليه عامة القراء، ولأن[2] معنى الكلام عليه.

۞ اللغة

براء: مصدر لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، تقول: برئت براءة وبراء، وتقول: أنا منك براء، ونحن منك براء.

والتسخير: التذليل.

۞ الإعراب

يقال: ما العامل في قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ﴾؟

قلنا: فيه قولان:

أحدهما: محذوف [أي] واذكر إذ قال.

والثاني: مذكور بتقدير: فانظر كيف كان عاقبة أولئك إذ قال إبراهيم.

ويقال: ما الاستثناء في قوله: ﴿إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾؟

قلنا: قيل: تقديره: إنني براء مما تعبدون من شيء إلا الذي فطرني.

وقيل: من كل معبود إلا الذي فطرني.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل قصة إبراهيم بما قبلها؟

قلنا: لما ذم التقليد، وأوجب اتباع الدليل، عقبه يذكرهم بإبراهيم[3] حيث خالف أباه، واتبع الحجة، وأنكر ذلك أبوه وأهل بلده.

---

(١) السخرة: الكسر، ت، د، ك.

(٢) ولأن: لأن، ت، ك.

(٣) بإبراهيم: إبراهيم، د، ت، ك.

وقيل: لما أمر بمناظرتهم بقوله: ﴿قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ﴾ وهو ما دل عليه الدليل، فإن أبوا إلا التقليد فتقليد إبراهيم أولى؛ لأنهم من أولاده يعظمونه، ويدعون أنهم على طريقته.

ويقال: كيف يتصل قوله: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ﴾ بما قبله؟

قلنا: لما عولوا على تقليد الآباء، ولم يتفكروا في الحجة، اغتروا بطول الإمهال، وإمتاع الله إياهم بنعيم الدنيا، فأعرضوا عن الحق.

وقيل: لما ذكر إعراضهم بَيَّنَ أنهم أُتُوا من جهتهم، وأنه أزاح العلة، وأمهل، ومنع، وأمر ونهى كي يتفكروا ويؤمنوا.

۞ المعنى

«**وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لأَبِيهِ**» آزر «**وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ**» يعني الأوثان لا أعبدها، والنجوم[1]، فإن قومه كانوا يعبدون النجوم «**إِلاَّ الَّذِي فَطَرَنِي**» خلقني ابتداء، وهو الله تعالى، عن قتادة، قال: كانوا يقولون: الله ربنا مع عبادتهم الأوثان «**فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ**» إلى الحق بما نصب لي من الأدلة، وفيه بيان ثقته بالله، ودعاء لقومه[2]، بطلب الهداية من ربه، وقيل: سيهدين إلى جنته وثوابه، وقيل: سينجيني من عذابه «**وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ**» يعني إبراهيم جعل هذه الكلمة باقية في ذريته لم يزل منهم من يقولها. واختلفوا، فقيل: الله تعالى جعلها باقية، يعني بأمره ولطفه، وقيل: إبراهيم جعلها باقية بأن يوصي بها، وأكد الأمر بالتكرير.

واختلفوا في الكلمة، قيل: كلمة التوحيد: لا إله إلا الله، عن مجاهد، وقتادة[3]، والسدي، وقد جرى ذكره في قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى﴾ وقيل: براءته من الشرك، عن أبي علي. والكلمة قوله: ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا

(١) والنجوم: أو النجوم، ت، ك.

(٢) ودعاء لقومه: ولدعاء أموره، ت، د، ك.

(٣) مجاهد وقتادة: قتادة ومجاهد، ت، ك.

تَعۡبُدُونَ﴾ وقيل: وصيته التي أوصى بنيه على ما ذكره في سورة (البقرة)، عن محمد بن كعب القرظي، وقيل: هو قوله: ﴿أَسۡلَمۡتُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ١٣١]، عن ابن[(١)] زيد، وأبي مسلم، وقيل: هو تسميته إياهم بالمسلمين.

واختلفوا في عقبه، قيل: من خلفه، عن ابن عباس. وقيل: ذريته وولده، عن مجاهد. وقال الحسن: عقبه وولده إلى يوم القيامة، وقيل: في آل محمد، عن السدي.

«**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**» قيل: لعلهم يتوبون ويتذكرون، عن قتادة. وقيل: عما هم عليه من الظن إلى عبادة الله، وقيل: لعلهم يرجعون[(٢)] إلى دين إبراهيم، عن الفراء، والحسن. ومعنى (لعل) قيل: ليرجعوا، قيل: وصاهم أن يرجعوا. «**بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ**» أي: أنعمت عليهم بالنعم ولم أعاجلهم بالعقوبة فتمتعوا بها[(٣)] **حَتَّى جَاءَهُمُ الْحَقُّ**» قيل: القرآن، عن السدي. وقيل: الإسلام، عن الضحاك. وقيل: التوحيد، وقيل: الآيات الدالة على صدقه «**وَرَسُولٌ مُبِينٌ**» يبين[(٤)] الحق، وهو محمد ﷺ، «**وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ**» القرآن «**قَالُوا هَذَا سِحْرٌ**» أي: تمويه «**وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ**».

«**وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَى رَجُلٍ مِنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ**» اتفقوا أن القريتين مكة والطائف، واختلفوا في الرجلين، قيل: الوليد بن المغيرة من مكة، وحبيب بن عمرو في الطائف، عن ابن عباس. وقيل: عتبة بن ربيعة من مكة، وأبو عبداللّه الثقفي من الطائف، عن مجاهد. وقيل: الوليد بن المغيرة من مكة، وأبو مسعود الثقفي من الطائف، عن قتادة، وأبي علي. وقيل: الوليد[(٥)] بن المغيرة من مكة، وكنانة بن عبد[(٦)] بن عمرو من الطائف، عن السدي. «**عَظِيمٍ**» أي: عظيم الشأن في الدنيا بالمال والجاه، فغلطوا من وجوه:

---

(١) ابن: أبي، د.
(٢) قيل لعلكم يتوبون. . . يرجعون: +، ت، ك.
(٣) بها: +، ت، ك.
(٤) في د: بين.
(٥) الوليد: وليد؛ ت، د، ك.
(٦) عبد: عد، د.

أحدها: جعلوا العظم بالمال والجاه.

والثاني: جعلوا إليهم الاختيار في المبعوث.

والثالث: لم يعرفوا الغرض بالبعثة، وأنه للاستصلاح، فيبعث من يصلح له.

«**أَهُمْ يَقْسِمُونَ**» استفهام والمراد الإنكار، أي: ليس إليهم قسمة الرحمة حتى يجعلوا النبوة لمن شاءوا «**رَحْمَةَ رَبِّكَ**» أي: رزقه ونعمته بين عباده دينًا ودنيا «**نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا**»؛ يعني لم نرض قسمتهم أسباب الدنيا؛ لأنهم لا يصلحون لها، ومن لا يصلح لقسمة دنياه كيف يصلح لقسمة النبوة؟ فنحن قسمنا ذلك بينهم بحسب ما علمناه من مصالحهم، فبعضهم غني، وبعضهم فقير، وبعضهم مالك، وبعضهم مملوك «**وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ**» في المال والقوة والحرية[(١)] «**لِيَتَّخِذَ**[(٢)] **بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا**» قيل: ليخدم[(٣)] بعضهم بعضًا، وقيل: هو تسخير الفقير للغني بماله، وأرباب الحاجات لأصحاب الصناعات بصناعتهم، يستعملونهم[(٤)] بأموالهم ويستخدمونهم[(٥)] فيكون سببًا لمعاش هذا بماله، ونفع هذا بأعماله، وكل واحد يحتاج إلى صاحبه من وجه، عن السدي، وابن زيد. وقيل: ليملك[(٦)] بعضهم بعضًا، ويتخذهم عبيدًا، عن قتادة، والضحاك. «**وَرَحْمَةُ رَبِّكَ**» قيل: ثواب الآخرة، وقيل: الجنة «**خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ**» من أموال الدنيا؛ لأنها باقية[(٧)] وهذا فانٍ، وقيل: رحمة الله بالنبي لما أعطاه من[(٨)] النبوة «**خَيْرٌ**» من أموالهم التي جمعوها، عن أبي مسلم.

(١) والحرية: والحر، ت، ك.
(٢) ليتخذ: وليتخذ، ت، ك.
(٣) ليخدم: يتخدم، ت، د، ك.
(٤) يستعملونهم: ليستعملهم، د؛ يستعملهم، ت، ك.
(٥) ويستخدمونهم: وليستخدمونهم، د.
(٦) ليملك: يملك، ت، ك.
(٧) باقية: باق، د، ك.
(٨) من: -، ت، ك.

الأحكام

تدل الآية أن أبا[1] إبراهيم كان كافرًا، وهو آزر، ولا مانع منه، فلا يصح[2] العدول عنه إلى أنه كان عمه، وقد نطق القرآن بذكر الأب في مواضع، ولا يحمل على المجاز إلا بدليل.

وتدل على أنه تعالى قسم الأرزاق بحسب المصلحة، وأنه قسم النبوة على ما هو الأصلح لعباده.

وتدل على أنه دبر العالم على أن يحتاج بعضهم إلى بعض؛ ليستدلوا بذلك على أن لها صانعًا لا يجوز عليه الحاجة.

وتدل أن طلب الآخرة خير من جمع الدنيا.

قوله تعالى:

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن كثير وأبو عمرو: «سَقْفًا» بفتح السين وسكون القاف على واحد، وأراد الجنس، ولقوله: ﴿فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ﴾ [النحل: ٢٦]، [وقرأ] الباقون «سُقُفًا» بضم السين والقاف على الجمع، واختلفوا فيه، فقيل: هو جمع سَقْفٍ كَرَهْنٍ ورُهُنٍ، قال أبو عبيد: ولا ثالث لهما، وقيل: السقف جمع سقوف، كرهن ورهون، وزَبْرٍ وزُبور، فهو جمع الجمع.

وقرأ عاصم وحمزة: «لما متاع» بتشديد (لَمّا)، على معنى «وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا»، فتكون (إن) الابتداء و(ما) صلة.

---

(١) أبا: أب، ت، ك.

(٢) فلا يصح: فلا يصلح، د، ك.

القراءة الظاهرة: «ومعارج»، وعن أبي رجاء العطاردي: «معاريج»، وهما لغتان نحو مفاتح[1] ومفاتيح.

اللغة

المعارج[2]: الدَّرَج[3]، واحدها مَعْرَجٌ، وأصله: الصعود، عَرَجَ يَعْرجٌ عروجًا: إذا صعد على وزن: نَصَر يَنْصُرُ[4]، وعَرِجَ يَعْرِجُ صار أعرج، على وزن: حمد يحمَد، ويقال: ظهر عليه: علا وصعد، قال الشاعر:

بَلَغْنَا السَّماءَ مَجْدُنا وسَنَاؤنا[5] وإنَّا لَنَرْجُو فوق ذلك مَظْهَرَا[6]

وظهر على الشيء: غلبه[7]، كأنه علاه، ومنه: ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤] أي: غالبين.

والسُّرُرُ: جمع سرير، ويجمع: أَسِرَّةً أيضًا، وما كان على «بناء فَعِيلٍ» فجمعه على «أفعلة»، أو فُعُلٍ كسرير وسُرُر وأَسِرَّة، ونظيره: حَصِير وحُصُر، وقليب وقُلُب، وسِوار وأَسْوِرَة، وبناء وأبنية، وغطاء وأغطية، وقد يجمع على البناءين، وقد يجمع على أحدهما.

والزخرف: كل ما[8] حَسَّنَ الشيء[9]، ومنه قيل: للذهب زخرف، ويقال: زخرفته زَخْرَفَةً أي: حسنته، ومنه قيل للنقوش والتصاوير: زخرف على ما جاء في

(١) مفاتح: مفاتيح، ت.
(٢) المعارج: المعاريج، ت.
(٣) الدرج: -، ت.
(٤) ينصر: ينصره، ت.
(٥) وسناؤنا: وفعالنا، ت، د، ك.
(٦) البيت قائله النابغة الجعدي وورد صدر البيت بعدة روايات نحو:
بلغنا السماء مجدنا وجدودنا بلغنا السماء مجدنا وسناؤنا.
أنظر لسان العرب، «ظهر»؛ تاج العروس «ظهر».
(٧) غلبة: عليه، ت.
(٨) كل ما: كلما، د.
(٩) الشيء: للشيء، د.

الحديث «أنه لم يدخل الكعبة حتى أمر بالزخرف فنحي»، وقيل: نقوش وتصاوير تزين[1] بها الكعبة، وكانت بالذهب.

الإعراب

في نصب (زخرف) قولان:

قيل: لجعلنا، أي: لجعلنا لبيوتهم سقفًا، ولجعلنا لهم زخرفًا.

وقيل: من فضة وزخرف، فلما نزعت[2] الخافضة انتصب.

واللام في قوله: ﴿لِمَن يَكْفُرُ﴾ قيل: صلة، وفي الآية تقديم وتأخير، تقديره: لجعلنا لبيوت من يكفر، وقيل: اللام بمعنى (على)، أي: على بيوت من يكفر، وقيل: هي لام الإضافة.

و(ما) في قوله: ﴿لَمَّا مَتَٰعُ﴾ صلة كقوله: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

المعنى

ثم نَبَّه بأنه ليس للدنيا عند الله تعالى[3] من الخطر ما عظموه حتى جعلوا أهلها بمحل[4] النبوة، فقال ـ سبحانه ـ: «وَلَوْلاَ أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً» أي: جماعة واحدة، قيل: كلهم[5] على الكفر، عن ابن عباس، ، والحسن، وقتادة، والسدي. وقيل: على طلب الدنيا، واختيارها على العقبى، عن ابن زيد. وإنما لم يفعل ذلك لكونه مفسدة «لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فَضَّةٍ وَمَعَارِجَ» قيل: درجًا وسلالم[6]، عن ابن عباس، وقتادة. وهي المراقي، «عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ» يصعدون

(١) تزين: زين، ت، ك.
(٢) نزعت: نزع، د.
(٣) تعالى: +، ت، ك.
(٤) بمحل: محل، ت، ك.
(٥) كلهم: فكلهم، ت
(٦) سلالم: سلاليم؛ د، ت، ك.

«وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا» من فضة «وَسُرُرًا» من فضة «عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ. وَزُخْرُفًا» قيل: هو الذهب، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، والضحاك. وقيل: الفرش ومتاع البيت، عن ابن زيد. وقيل: الزخرف: النقوش[1]، عن الحسن. «وَإِنْ كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» أي: لو جعل جميع ذلك لكان متاع الحياة الدنيا يتمتع بها قليلاً ثم يزول ويفنى، ولا يدوم نعيمها.

ثم بين ما أعده لأوليائه، فقال تعالى: «وَالآخِرَةُ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ» أي: الثواب والجنة التي هي دائمة باقية لمن اتقى معاصي الله.

الأحكام

تدل الآيات أن الدنيا لا تُنالُ بالاستحقاق، وإنما هي قسمة على حسب الصلاح.

وتدل على قولنا في اللطف؛ لأنه بيّن أنه قصد[2] بما قسم الاستصلاح.

وتدل أنه لا يفعل المفسدة، وما يدعو إلى الكفر، فإذا لم يفعل ما يؤدي إلى الكفر، دلّ على أنه لا يفعل الكفر ولا يريده.

وتدل على أن ثواب الآخرة معد للمتقين دون الفاسقين، فيبطل قول المرجئة.

ومتى قيل: إذا قلتم: إنه لا يفعل ما عنده يَكْفُرُ لأنه مفسدة، أوليس قد أعطى القدرة والآلة التي عندها يكفرون؟

قلنا: ذاك تمكين، به يتمكن من الإيمان أيضًا، وليس بمفسدة.

ومتى قيل: فهلا فعل اللطف ليؤمنوا؟

قلنا: لأنه لا لُطْفَ لهم.

ومتى قيل: أليس هو تعالى قادر على كل شيء، فكيف لا يلطف؟

قلنا: بلى، ولكن هذا الكافر لا لطف له، ولو كان له لطف في المعلوم لفعل.

---

(١) النقوش: والنقوش، ت.

(٢) قصد: أراد، ت.

ومتى قيل: أليس أصحاب اللطف يزعمون ذلك؟

قلنا: بَيَّنَّا بطلان قولهم أنه لو كان لطفًا لهم ولم يفعله لقبح منه، ولكان[1] نقضًا للغرض، ولكان بمنزلة منع التمكين والآلات.

قوله تعالى:

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِى وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِى ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾﴾.

۞ القراءة

قراءة العامة: «يَعْشُ» بضم الشين، يعني يُعْرِضُ، وعن ابن عباس بفتح الشين، يعني يعمى، يقال: عَشِيَ يَعْشَى إذا عمي، ورجل أعشى، وامرأة عشواء.

وقرأ عاصم في بعض الروايات: «يُقَيِّضْ» بالياء، رجع بالكناية[2] إلى اسم الرحمن. الباقون بالنون.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير، وابن عامر، وأبو بكر عن عاصم: «**حتى إذا جاءانا**» بالألف بعد الهمزة على الاثنين؛ يعني الكافر وقرينه، وقرأ الباقون: «**جاءنا**» على واحد، يعني الكافر، واختاره أبو عبيد؛ لأن الكلام في ذكره.

۞ اللغة

العشو: أصله النظر ببصر ضعيف، كذا قاله الخليل، يقال: شَى يَعْشُو عَشْوًا: إذا

---

(١) ولكان: ولكا، ت.

(٢) بالكناية: الكناية، ت، ك.

ضعف بصره، وأظلمت عينه، ونظر نظرًا ضعيفًا، كأن عليها غشاوة، فإذا ذهب بصره، قيل[١]: عَشِيَ يَعْشَي عَشًا[٢] مثل عَمِيَ يَعْمَى عمًا، قال الحطيئة:

مَـتَـى تَـأْتِـهِ تَـعْـشُـو إِلَـى ضَـوْءِ نَـارِهِ تَـجِـدْ خَـيْـرَ نَـارٍ عِـنْـدَهَـا خَـيْـرُ مُـوْقَـدِ[٣]

قال أبو الهيثم: يقال: عشى إلى النار: قصد، وعشى عنها: أعرض، ونظيره: مال عنه، ومال إليه، وأنكر القتيبي عشوت عن الشيء: أعرضت، قال: وإنما الصواب تعاشيت، والصحيح الأول؛ لإجماع أهل اللغة والتفسير.

والقيض: المِثْلُ، وهما قيضان، أي: كل واحد منهما عوض عن الآخر، ومنه: المقايضة في البيع، وقيض الله الشيء: أتاحه وسَبَّبَهُ، يقال: هذا قَيْضٌ لهذا، وقِيَاضٌ أي: مُسَاوٍ، وقوله تعالى: ﴿نُقَيِّضۡ لَهُۥ شَيۡطَٰنٗا﴾ منه، كأنه جعل الشيطان له عوضًا مما تركه من ذكر الله.

۞ المعنى

لما تقدم ما أعد للمتقين وعدًا لهم[٤]، عقبه بذكر الوعيد والعقاب، فقال ـ سبحانه ـ: «وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ» يعرض، عن قتادة، والسدي. وقيل: يَعْمَ، عن ابن زيد، وأبي علي، قال أبو علي: هذا تَوَسُّعٌ، شبههم بالأعمى لما لم يبصروا الحق، وقيل: العشو السير في الظلمة[٥]، فلما كان الذاهب عن ذكر الله يتردد في الضلالة خرج الكلام في ذهابه على السائر في الظلمة عن ذكر الله تعالى، عن أبي مسلم. واختلفوا في الذِّكْرِ، قيل: الآيات[٦] والأدلة، وقيل: القرآن «نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ» قيل: من أعرض عن ذكر الله تعالى يخلى بينه وبين الشيطان،

---

(١) عشى يعشو... بصرة قيل: -، ت.
(٢) عشا: عشيًا، ت.
(٣) البيت قائله النابغة الذبياني وينسب كذلك إلى الحطيئة.
انظر لسان العرب (عشا)، وانظر ديوان النابغة الذبياني، ديوان الحطيئة.
(٤) لهم: له، ت.
(٥) الظلمة: الظلم، ت، ك.
(٦) الآيات: الإيمان، د.

فيصير قرينه عوضًا عن ذكر الله، عن الحسن، وأبي مسلم. وإنما جاز التخلية لما علم أنه لا يفلح، وإن لم يكن الشيطان له قرينًا، وقيل: يقرنه[1] في الآخرة؛ ليذهب به إلى النار، عن قتادة. كما أن المؤمن يصير قرينه مَلَكًا[2] يذهب به إلى الجنة، وقيل: يقرنه في النار حتى يكون قرينه، عن أبي علي. وقيل: هو قرين له في الدنيا، يوسوس له، ويزين له سوء عمله، ويُقْرَنُ به في الآخرة، ويبعث بهما إلى النار، وقيل: أراد شياطين الإنس نحو علماء السوء، ورؤساء الضلالة يصدون عن سبيل الله، ويمتنعون عن اتباع الحق «**وَإِنَّهُمْ**» يعني الشياطين «**لَيَصُدُّونَهُمْ**» أي: يصرفون هؤلاء الكفار «**عَنِ السَّبِيلِ**» أي: طريق الحق[3] «**وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ**» يعني يحسب الكافر أنه مُهْتَدٍ؛ لحسن ظنه واغتراره بمن يدعوه إلى الضلال «**حَتَّى إِذَا جَاءَنَا**» يعني جاء عرصة القيامة التي لا حكم إلا لله[4] فيها «**قَالَ**» يعني الكافر الذي هو تابع للشيطان المتبوع «**يَالَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ**» قيل: بُعْدَ المشرق والمغرب، فغلب أحدهما على الآخر، كما يقال للشمس والقمر: قمران، ولأبي بكر وعمر: العُمَران، والحسن والحسين: حَسَنَان، قال الشاعر:

أَخَذْنَا بِآفَاقِ السَّمَاءِ عَلَيْكُمُ ... لَنَا قَمَرَاهَا وَالنُّجُومُ الطَّوَالِعُ[5]

وقال آخر:

وبَصْرَةِ الأَزْدِ[6] مِنَّا والعِراقُ لنا ... والمَوْصِلَانِ ومِنَّا المِصْرُ والحَرَمُ[7]

يعني الموصل والجزيرة، وقيل: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، والأول

(١) يقرنه: يقويه، ت، ك.
(٢) ملكا: ملك؛ د، ت، ك.
(٣) في ت: الجنة.
(٤) إلا الله: الله، ت.
(٥) البيت قائله الفرزق في قصيدة مطلعها:
منا الذي اختير الرجال سماحة ... وخيراً إذا هب الرياح الزعازع
أنظر لسان العرب (عنا)، ديوان الفرزدق.
(٦) الأزد: للأزد؛ ت، د، ك.
(٧) انظر لسان العرب (وصل)، تاج العروس (وصل)؛ المصر: مصر، ت، د، ك.

أوجه، والمعنى: ليت كان بيني وبينك من البُعْدِ ما بين المشرق والمغرب، وهي كلمة دالة[١] على الندم والحسرة، وقيل: جاءانا في سلسلة[٢] واحدة، عن ابن عباس. «فَبِئْسَ الْقَرِينُ» قيل: في الدنيا حيث أضللتني، وقيل: في النار، وقيل: فيهما «وَلَن يَنفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ» عصيتم ربكم «أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ» قيل: إن اشتراككم في العذاب لا يوجب التسلي، ولا ينفع كما كان في الدنيا؛ لأنه يرى بنفسه ما يرى من شدة العذاب، ولكل واحد نصيب وافر، وهذا محكي عن شيخنا أبي الهذيل، وهو قول أبي علي، وقيل: لن ينفعكم كون قرنائكم معكم في العذاب؛ إذ لا يَنْقُصُ لكونهم في النار من عذابكم شيء، عن أبي مسلم. وقيل: لا[٣] ينفعكم الاعتذار[٤]؛ لأنكم وقرناءكم مشتركون في العذاب اليوم كما كنتم مشتركين في الكفر في الدنيا «أَفَأَنتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْيَ» يعني من لا يبصر الحق بمنزلة الأعمى والأصم، فكما يتعذر إدراك الأعمى واستماع[٥] الأصم، كذلك يتعذر عليك هدى[٦] هؤلاء؛ لأنهم لا يتفكرون، ولا ينظرون، ولا يسمعون، ويتعامى ويتصامم عن الحق فيبعد عن الاهتداء «وَمَن كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ» بَيِّنٍ ظاهرٍ أنه لا يهتدي، ولا يقبل.

الأحكام

الآية تدل على أن العصاة يقرن بهم الشيطان، وقد بَيَّنَّا ما قيل فيه، وروي عن النبي ﷺ: «اللهم إني أعوذ بك من مقارنة الشيطان».

ويدل قوله: «ويحسبون» أن المعارف مكتسبة.

(١) دالة: حالة، د.
(٢) سلسلة: سلسه، ت.
(٣) لا: +، ت.
(٤) الاعتذار: للاعتذار، د.
(٥) واستماع: وإسماع، ت.
(٦) هدى: أهدا، ك.

وتدل على أن أهل النار لا يجدون خفة بكثرة[١] أهلها وعذابهم، وإن كان كل واحد مشغولاً[٢] بحاله، بخلاف حال الدنيا؛ لأنّ الاشتراك في البلاء يوجب التسلي، وفيه تحذير عن المعصية.

وتدل على أن حال من لا يبصر الحق، ولا يسمعه بمنزلة الأعمى والأصم، وذلك توبيخ لهم.

ويدل قوله: ﴿وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾[٣] أن الضلال فعلهم.

ومتى قيل: قوله: ﴿وَإِنَّهُمۡ لَيَصُدُّونَهُمۡ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ يدل على أن القرين في الدنيا؟

قلنا: هكذا قال بعضهم، غير أن شيخنا أبا علي يختار أن يكون في الآخرة، وإليه ذهب القاضي، والكلام يحتمل، ويجوز[٤] أن يكون بعضه خبرًا عما ينالهم في الآخرة، وبعضه عن أحوال الدنيا.

قوله تعالى:

﴿فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوۡ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِي وَعَدۡنَٰهُمۡ فَإِنَّا عَلَيۡهِم مُّقۡتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسۡتَمۡسِكۡ بِٱلَّذِيٓ أُوحِيَ إِلَيۡكَۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسۡـَٔلۡ مَنۡ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلۡنَا مِن دُونِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ءَالِهَةٗ يُعۡبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

اللغة

الذهاب: ضد المجيء، وهو لازم ومتعدٍّ[٥]، بالباء والهمزة، يقال: ذهب به، وأذهبته.

---

(١) بكثرة: لكثرة، ت.
(٢) مشغول: مشغول، ت، ك.
(٣) مبين: +، ت.
(٤) ويجوز: يجوز، ك.
(٥) ومتعدٍّ: ومتعدي؛ ت، د، ك.

والانتقام: المعاقبة على شيء تقدم منه وكرهه، وأصله من النقمة، وهو العقاب، ونقمت الأمر: أنكرته.

والاقتدار: القدرة على الشيء، غير أن في الاقتدار مبالغة، اقتدر اقتدارًا فهو مقتدر، والقدرة: التمكن من فعل الشيء، وهي عرض تحل محلاً فيه حياة يخلقها[(١)] الله تعالى لا يقدر عليها غيره، والأقدار[(٢)] كلها مختلفة لا متماثل فيها، ولا متضاد، ومقدوراتها محصورة في الجنس، وفي كل وقت واحد في محل واحد من جنس واحد، والله تعالى قادر لذاته، لا تنحصر مقدوراته بوجه، ورجل ذو قدرة ومقدرة، أي: قادر.

۞ الإعراب

النون في قوله: «نذهبن» نون التأكيد.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ﴾ عطف على قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ﴾، وهو جزم، إلا أن الجزم لا يظهر[(٣)] فيه لأجل النون الثقيلة حركت ما قبلها لسكونها، ولئلا يلتقي ساكنان.

«آلهة» جمع إله.

۞ النزول

عن ابن عباس: كان النبي ﷺ يعرض نفسه على القبائل لينصروه، فإذا قالوا لمن الملك بعدك؟ أمسك؛ لأنه لم يُوحَ إليه حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ فكان بعد ذلك إذا قيل له: لمن الملك بعدك؟ قال: «لقريش»، فلا[(٤)] يجيبونه، وقبلته الأنصار على ذلك.

۞ المعنى

ثم زاد في توبيخهم الوعيد، فقال ـ سبحانه ـ: «فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ» بأن نميتك «فَإِنَّا

(١) يخلقها: يخلقه، ت، د، ك.
(٢) الأقدار: والقدر؛ ت، ك، د.
(٣) يظهر: يطمئن، ت، ك.
(٤) فلا: ولا، د، ك.

مِنْهُمْ مُنْتَقِمُونَ» أي: نعاقبهم على فعلهم «أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ» أو نبقينك[١] حتى ترى ما نفعل بهم من العذاب الذي وعدناهم، قيل: أراد المشركين والاستعلاء[٢] عليهم، وقيل: هو القتل والأسر يوم بدر، فإنهم مع كثرتهم ووفور عددهم، والنبي ﷺ[٣] في قلة، قَتَلَهم وأسرهم، وظهر مصداقًا للموعود[٤]. وقيل: أراد به أهل الإسلام، وقد كان بعد نبي الله نقمة شديدة فأكرم الله نبيه[٥] بأن يزيد في أمته، ولم يُرِهِ في أمته إلا ما قر به عينه، عن الحسن، وقتادة، «فإنا» على هلاكهم وتبقيتهم «مُقْتَدِرُونَ» قادرون «فَاسْتَمْسِكْ» أي: تمسك «بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ» من القرآن والشرائع علمًا وعملاً «إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ» طريق واضح «وَإِنَّهُ» يعني القرآن «لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ» قيل: شرف لك[٦]، عن ابن عباس، والسدي، وقيل: في التمسك به والعمل بمقتضاه شرف لك ولمن عمل مثل عملك، وقيل: ذكر لك تذكر به أمر دينك، وقيل: أمر ووعظ ذكركم به، عن أبي مسلم، «ولقومك» قيل: لجميع أمتك، عن الحسن، حيث عرضهم به للشرف، وذكرهم بالمواعظ، وقيل: لقومك من قريش حيث كنت منهم، وأنزل بلغتهم، وقيل: للمؤمنين حيث تمسكوا به، فشرفوا في الدارين «وَسَوْفَ[٧] تُسْأَلُونَ» عما تفعلون من قبوله، والعمل به، وعن[٨] الإعراض عنه والرد، وقيل: وسوف تسألون عن[٩] هذه النعمة، وقيل: عما لزمكم من القيام بحقه والعمل به، وقيل: تسألون عن أعمالكم وتجازون، عن أبي علي. «وَاسْأَلْ[١٠]» اختلفوا في المخاطب به، قيل: النبي ﷺ وكان في ابتداء النبوة، وقيل: النبي ولكن المراد إقامة الحجة على غيره، وقيل: المخاطب به المشركون المنكرون للتوحيد،

(١) نبقينك: نتوفينك؛ ت، د، ك؛ والتصحيح من هامش د.
(٢) والاستعلاء: والاستعال، ت.
(٣) صلى الله عليه وآله: عليه السلام، د، ك.
(٤) للموعود: الموعود، د.
(٥) نبيه: بدينه، د، ك.
(٦) لك: بك، د.
(٧) وسوف: فسوف، ت.
(٨) وعن: ومن، د.
(٩) عن: من.
(١٠) واسأل: وسئل، ت، ك.

واختلفوا في المسؤول[1]، قيل: هم مؤمنوا أهل الكتابين، عن ابن عباس، والحسن، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، والسدي، وعطاء، ومقاتل، قالوا: وفي قراءة ابن مسعود: «واسأل[2] الذين أرسلنا إليهم قبلك من رسلنا»، وتقديره: سل أمم من أرسلنا من قبلك، وقيل: المسئول هم أهل الكتاب أمم الأنبياء، وإن كانوا كفارًا؛ لأن تواتر خبرهم تقوم به الحجة، عن أبي علي، وأراد أن يخبروا المشركين بأن الأنبياء دعوا إلى التوحيد، فكيف ينكرون ذلك، وقيل: المسؤول الأنبياء أنفسهم، وجُمِعوا له ليلة[3] أسري به إلى بيت المقدس، عن سعيد بن جبير، وابن زيد، وقيل: أراد: سل عمن أرسلنا، وعن كتبهم، وآثارهم، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا﴾ [الإسراء: ٣٤] أي: مسؤولاً عنه، عن أبي مسلم، أي: ارجع إلى أخبار الأنبياء وكتبهم وآثارهم، هل[4] كان فيه عبادة الأصنام، وقيل: المسؤول جبريل، أي: سل من أرسلناه، وأقيم مقام (إلى)، وقيل: المراد بالسؤال المطالبة بالحجة، يقال: سألت فلانًا حقي؛ أي: طالبته به، أي: طالبهم بالحجة على[5] تصحيح قولهم، وقيل: ليس المراد السؤال، وإنما أراد تقرير التوحيد في النفوس بذكر اجتماع الرسل على التوحيد «**مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**» أي: أأمرنا بعبادة غيره؟ هو استفهام، والمراد الإنكار، أي: لم يبعث نبيًّا إلا ودعا إلى التوحيد، ونهى عن خلافه.

❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ﴾ أن المعلوم قد يكون مطلقًا، وقد يتعلق بشرط، فأعلم تعالى أنه لو فعل بهم في حياته كيف يكون؛ وأعلم أنه لو لم يفعل كيف كان يكون؛ لأنه بين أنه منتقم منهم في حياته، فإن لم ينتقم فَبَعْدَ وفاته.

ويدل قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ﴾ أن القرآن تعرف به الأحكام.

(١) المسؤول: المسؤولين، ت، ك؛ المسول، د.
(٢) واسأل: وسل، ت، ك.
(٣) ليلة: -، ت.
(٤) هل: قيل، ت.
(٥) على: عن، د.

ويدل على حدث الكلام؛ لأن السؤال كلام.

ويدل قوله: ﴿وَسْئَلْ﴾ على جواز الرجوع إلى قول الغير للاحتجاج على الخصم.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُم بِآيَاتِنَا إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِم مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا أَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾.

القراءة

قرأ الحسن ويعقوب وأبو حاتم، وحفص عن عاصم: «أَسْوِرَةٌ» بغير ألف وسكون السين، على جمع السوار، وعن ابن مسعود: «أساوير»، وعن أبي بن كعب: «أساور» وقراءة القراء: «أساورة» بالألف وفتح السين وبالهاء، وهي جمع للأسورة(١)، وأسورة جمع سِوَارٍ، فهو جمع الجمع، قال أبو عمرو: واحد الأساورة والأساور(٢) أُسْوار، وهي لغة في السوار.

---

(١) في ت، ك: الأسورة.

(٢) والأساور: والإسوار؛ ت، د، ك.

قرأ حمزة والكسائي والأعمش ويحيى: «**سُلُفًا**» بضم السين واللام، قال الفراء: هو جمع سليف، قال أبو حاتم: سَلَف وسُلُف، نحو خَشَب وخُشُب، وعن القاسم بن معن[١]: تقول العرب: مضى سليف من الناس، وعن ابن مسعود «**سُلَفًا**» بضم السين وفتح اللام، وهي جمع سُلْفَةٍ، نحو[٢]: طرفة وطُرَفٍ، وغرفة وغرف، وقرأ أهل الحجاز والشام والبصرة وعاصم بفتح السين واللام جمع سالف، مثل: حارس وحَرَسٍ، وراصد ورَصَدٍ.

وفَتَحَ الياء من «**تَحْتِيَ**» نافع وابن كثير وأبو عمرو، ولم يفتحه ابن عامر وعاصم وحمزة والكسائي.

اللغة

النكث بفتح النون، والنقض واحد، وهو مصدر: نكث نَكْثًا، والنكث والنقض بكسر النون: الاسم، وهو ما نكث من نسائج الصوف، والجمع: أنكاث، ومنه: ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

استخف قومه: حملهم على الخفة والجهل، يقال: استخفه عن[٣] رأيه، إذا حمله على الجهل، وأزاله عما كان عليه من الصواب، واستخفه وأخفه: أزال حلمه، وحمله على الخفة.

والأسف[٤]: الغضب، والأسف: الحزن، يقال: أَسِفَ [عليه] يَأْسَفُ أَسَفًا، أي: أغضبه فغضب، وأحزنه فحزن.

والسَّلَفُ: نقيض الخَلَفِ، وهو المتقدم على غيره قبل مجيء وقته، ومنه السلف في البيع.

(١) معن: معني، ت، ك؛ معين، د.
(٢) نحو: مثل، ت، ك.
(٣) عن: من، ت، د، ك.
(٤) والأسف: الأسف، ت.

۞ الإعراب

(أم) بمعنى (بل)، وليس بعطف عند الأكثر، وعن[١] الفراء وجماعة الوقف على قوله: «أم» على تقدير: أتبصرون أم لا تبصرون، وتمام الكلام عنده، ثم ابتدأ فقال: ﴿أَنَاْ خَيْرٌ﴾[٢] على الإخبار، وقيل: (أم) **بمعنى الاستفهام، وفيه محذوف، أي: أنا خير أم موسى؟ وقيل**: (أم) عطف على المعنى تقديره: لي[٣] ملك مصر، وهذه الأنهار، فبهذا تعرفون فضلي، وأنا خير من هذا، عن أبي مسلم.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِىَ﴾ أي[٤] هلاّ.

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ أي: في حال الاقتران.

۞ النظم

يقال: كيف تتصل قصة موسى بما قبلها؟

قلنا: قيل: لما تقدم السؤال عن أحوال الرسل وما جاؤوا به؛ اتصل به حديث موسى وعيسى؛ لأن أهل الكتابين إليهما ينسبون، وكتاباهما[٥] أظهر وأشهر.

وقيل: لما تقدم ذكر تكذيب قومه له، ذكر حديث موسى تسلية له، أي: حالك مع قومك كحال موسى مع قومه، وآل الأمر إلى ظهوره، كذلك أمرك.

وقيل: تقديره: ليست بأمر مكذوب[٦]، وقد كُذِّبَ موسى والأنبياء قبلك.

۞ المعنى

ثم ذكر حديث موسى ﵇، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا**» أي:

---

(١) وعن: عن، ت.
(٢) خير: نا، ت.
(٣) لي: إني، ت.
(٤) أي: +، ت، ك.
(٥) كتاباهما: كتابيهما، د.
(٦) مكذوب: مكذب، ت.

بالحجج والمعجزات «إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ» أي: الجماعة من قومه، وقيل: ليس بعقوبة «فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ. فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا» أي: أظهر معجزاته، وهو اليد والعصى «إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ» استهزاءً واستخفافًا، وهذا فعلوه بعد غيبة موسى تلبيسًا على العوام، وإلا ففي حال ما رأوا لحقهم من الخوف والدهش ما لم يمكنهم معه الاستهزاء «وَمَا نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ» معجزة «إِلاَّ هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا» قرينتها وصاحبتها، قيل: الحس عند الإدراك لها لما يقول من أمره، فإن الأولى ماضية، والثانية[1] حاضرة، وقيل: أهول في صدورهم، وأعجب في أبصارهم من التي مضت[2] قبلها «وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ» قيل[3]: بالسنين والطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم «لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ» أي: يرجعون[4] إلى الحق عن الباطل «وَقَالُوا» يعني قوم فرعون حين رأوا العذاب شملهم، وأيقنوا أن فرعون لا يقدر على كشفها؛ رجعوا إلى موسى متضرعين «وَقَالُوا يَا أَيُّهَا السَّاحِرُ» قيل: كان الساحر عندهم العالم، ولم يكن صفة ذم، عن أبي علي، وقيل: قالوا له ذلك لجهلهم بصفته، وقيل: قالوه استهزاء كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلذِّكۡرُ إِنَّكَ لَمَجۡنُونٌ﴾ [الحجر: ٦]، عن الحسن، وقيل: بل جرى على ألسنتهم على عادتهم فيه، عن الزجاج، وقيل: أرادوا تعظيمه؛ لأن السحر كان عندهم علمًا عظيمًا، فكأنهم قالوا: أيها الكامل في علمه، الحاذق في عمله، مدحًا له وتوقيرًا؛ لأنه وقت حاجتهم، وقيل: معناه يا أيها الذي غلبنا سحره، كقول العرب: خاصمته فَخَصَمْتُهُ، أي: غلبته، وحاججته فحججته، وقيل: بل قالوه خطأ منهم، قلنا: فنبههم[5] موسى رجاء[6] أن يؤمنوا، وقيل: كانوا ينسبونه إلى السحر في كل معجزة أتى بها، فصار ذلك اسمًا يعرف به[7]، والأصح أنهم أرادوا به تعظيمه؛ لأنهم

(١) والثانية: والثاني، د، ك.

(٢) مضت: مضى، ت، د، ك.

(٣) قيل: وقيل، د، ك.

(٤) يرجعون: يرجعوا، ت.

(٥) فنبههم: فيهم، ت، ك؛ فنبههم، د.

(٦) رجاء: رجال، ت.

(٧) اسمًا يعرف به: اسم تعريف له، ت، ك.

جاؤوه متضرعين، فكان لا يليق بتلك الحال الاستهزاء والخطيئة[1] والمخالفة «**ادْعُ لَنَا**» أي: لأجلنا «**رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ**» أي: أخبرك إذا آمنا كشف عنا العذاب، عن مجاهد، فَسَلْهُ يكشف عنا العذاب «**إِنَّنَا**[2] **لَمُهْتَدُونَ**» نؤمن بما تدعو إليه، ونهتدي بهداك «**فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ**» عهودهم مُصِرِّيَن على الكفر، وفيه حذف، وهو أن موسى سأل الله تعالى ذلك، فكشف، فلما كشف نكثوا، «**وَنَادَى**[3] **فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ**» لما رأى أمر موسى، وأنه يظهر ويعلو خاف على مملكته، فقصد الخداع، فخطب الناس بعدما اجتمعوا، وأظهر التفاضل بينه وبين موسى فيما يتعلق بأسباب الدنيا، جهلاً منه ومنهم، فقال: «**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ**» وأراد البسطة في المال والملك، ولم يتفكروا أنه كان لغيره فانتقل إليه، وأنه سينتقل إلى غيره، وأنه لا يدل على فضل «**وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي**» قيل: أنهار النيل، ومعظمها نهر الملك، ونهر دمياط[4]، ونهر طولون «**تَجْرِي مِن تَحْتِي**» قيل: في جناني وبساتيني، وقيل: حولي، عن ابن عباس، وقيل: في قبضتي وملكي، وقيل: بأمري، وقيل: كان النيل يجري تحت قصره، بين يديه وسريره، ولم يعلم الجاهل أن تلك النعم خلقها الله تعالى، ومكن منها، فهو المستحق للعبادة دونه «**أَفَلَا تُبْصِرُونَ**» قيل: أنتم بصراء تعلمون حالي وحاله «**أَمْ أَنَا خَيْرٌ**» يعني أنا خير من موسى، وهو مهين، قيل: معناه: بل أنا خير، وقيل: أنا خير أم هو، وهو مهين، قيل: ضعيف حقير، عن قتادة، والسدي. ليس له قوم ولا مال، ولا ملك، وقيل: مهين فقير يمتهن نفسه في جميع ما يحتاج إليه، ليس له من يكفيه أمره «**وَلَا يَكَادُ يُبِينُ**» يفصح بكلامه وحججه، قيل: لِلُّثْغَةِ[5] في لسانه، عن الزجاج، وقيل: كان في لسانه ثقل، فنسبه لما كان عليه أولاً، عن الحسن، وقيل: كان في لسانه لثغة فرفعها[6] الله تعالى، وبقي ثقل في لسانه، عن

(١) والخطيئة: والخطأ، ت، ك.

(٢) إننا: إنا، ت، ك.

(٣) ونادى: فنادى، ت، د، ك.

(٤) هكذا في جميع النسخ المتوفرة لدينا وبدون نقط. وفي تفسير القرطبي ١٦/ ٨٥، والكشاف١/ ١١٧٢، وتفسير أبي السعود ٨/ ٥٠: معظمها أربعة أنهر: نهر الملك، ونهر طولون، ونهر دمياط، ونهر تنيس.

(٥) للثغة: اللثغة، ت.

(٦) فرفعها: نفها، ت؛ ففتقها، ك.

أبي علي، وقيل: بل كذب عليه تلبيسًا على العوام، وقيل: قال ذلك استثقالاً[(١)] لكلامه، كقولهم: لا أدري ما تقول، وقيل: كان في لسانه آفة، عن قتادة، والسدي. وقيل: سماه مهينًا وغير مبين استخفافًا لا حقيقة، وإلا فهو كان من أكابر بني إسرائيل، ويدعي النبوة، ويظهر المعجزة، وقد أفصح وَبَيَّنَ، والعجب أن موسى عليه السلام دعاهم إلى عبادة الله تعالى، وأظهر الحجج، وهو أورد حديث موسى، وذكر ما ينفرهم عن اتباعه لفقره، وأعجب عنه يريهم الفضل بأسباب الدنيا، وموسى يريهم الفضل بأسباب الدين، ولو عقلوا لقالوا: هذا الذي تذكر وتعد لا يوجب كونك محقًا، ولكن لَبّسَ عليهم فضلوا «فَلَوْلاَ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ» يعني هَلَّا إن كان صادقًا ألقي عليه أساورة «مِنْ ذَهَبٍ» قيل: كانوا إذا سوّدوا[(٢)] رجلاً سوّروه[(٣)] بسوار من ذهب وطُوِّقَ بطوق من ذهب يكون دلالة لسيادته؛ فلذلك قال هذا، عن مجاهد، والسوار الزينة التي تلبس في اليد، «أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلاَئِكَةُ» قيل: إنما ذكر أمر الملائكة لما كان يسمع من موسى من ذكرهم تكذيبًا له، عن أبي مسلم. «مُقْتَرِنِينَ» قيل: متتابعين، عن قتادة، وقيل: يعاون[(٤)] بعضهم بعضاً، عن السدي، وقيل: مجتمعين يمشون معه، عن مجاهد، يعني يشهدون له بالرسالة، ويؤدون معه، وهذا من اقتراح الجهال، فإن الملك إن كان لا يُرَى فلا فائدة فيه، وإن كان يُرَى فلا بد من معجز يعلم أنه ملك، فيكفي المعجز في معرفة الرسول عن المَلَكِ «فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ» يعني القبط وأتباعه، وقيل: حملهم على الخفة والجهل، وقيل: وجدهم جهالاً خفيفي العقول، ولولا ذلك ما أطاعوه، وقيل: استخفهم أي: خفوا في طاعته «فَأَطَاعُوهُ» وقيل: كانوا يخافون منه اتباع موسى فأطاعوه، وقيل: قبلوا منه مخاريقه، ولم يقبلوا من موسى حقائقه، وهكذا حال العوام الجهال في كل زمان، «إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ» خارجين عن طاعة الله تعالى إلى الكفر «فَلَمَّا آسَفُونَا» قيل: أغضبونا، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والسدي، وابن زيد، والله تعالى يغضب على العصاة، ويرضى عن المطيعين، وقيل: آسفوا

(١) استثقالاً: استقلالا، د، ك.
(٢) سودوا: سوروا، ت.
(٣) سوروه: سوره، ت.
(٤) يعاون: يقارب، ت.

رسلنا، وأضافهم إلى نفسه تعظيمًا لشأنهم، والأسف: الحزن، والتأسف لا يجوز على الله تعالى، وقيل: الأسف غضب بعد طول الحلم والإمهال، ففيه زيادة صفة على الغضب؛ ولذلك قال تعالى في قصة[1] موسى: ﴿غَضْبَٰنَ أَسِفًاۚ﴾ [طه: ٨٦] وقيل: خالفونا، عن الحسن بن الفضل، وليس بالظاهر في اللغة، إلا أن يحمل على أنهم خالفوا أمرنا، وفعلوا ما يوجب الأسف، وفي هذا تعسف «انتَقَمْنَا مِنهُمْ» أي: عاقبناهم بسوء فعلهم جزاءً، وقيل: انتقمنا لأوليائنا منهم «فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ» لم ينج منهم أحد «فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا» قيل: سلفًا للأمم؛ لأنهم تقدموهم وقد ماتوا على الكفر فهم سلف لهؤلاء، عن أبي مسلم. وقيل: سلفًا لكفار هذه الأمة إلى النار، و[مثلًا] لمن [يجيء بعدهم من] هؤلاء [يكون] مثل حالهم يتقدمون إليها، وقيل: سلفًا يعتبر بهم «وَمَثَلًا» وعبرة وعظة[2]، عن قتادة، والسدي. «لِلْآخِرِينَ» قيل: لمن جاء بعدهم، وقيل: لأمة محمد ﷺ يتعظون به.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أنه أراد من الجميع الرجوع إلى الحق، فيبطل قول المجبرة في الإرادة والمخلوق؛ لأنه لو خلق فيهم الكفر وأراده لم يكن لبعثة الأنبياء وإظهار المعجزات فائدة؛ بل كان عبثًا، فتعالى الله عن ذلك.

ويدل قوله: ﴿إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ﴾ أنهم يقدرون على الاهتداء.

ويدل قوله: ﴿يَنكُثُونَ﴾ أن النكث فعلهم.

ويدل قوله: ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾ أن القوم كانوا جهالاً اعتقدوا الفضل بزينة الدنيا، ولم يعلموا أنها قسمة وليست باستحقاق، وعن أبي الدرداء: «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة لما سقى منها فرعون شربة».

ويدل قوله: ﴿سَلَفًا وَمَثَلًا﴾ على وجوب التفكر في أحوالهم والاتعاظ بهم؛ لئلا يسلك طريقتهم، فيناله ما نالهم.

---

(١) قصة: -، ت، ك.

(٢) وعظة: وموعظة، ت، د، ك.

قوله تعالى:

﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ۚ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا ۚ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ ۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ ۖ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر، والكسائي، وأبو بكر عن عاصم: «**يَصُدُّون**» بضم الصاد، وهي قراءة علي بن أبي طالب عليه السلام، ومعناه: يعرض، صَدَّ يَصُدُّ: أعرض يعرض، كقوله: ﴿رَأَيْتَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا﴾ [النساء: ٦١]، وقرأ الباقون بكسر الصاد، وهي قراءة ابن عباس، واختيار أبي حاتم، وأبي عبيد، واختلفوا، فقال الكسائي: هما بمعنى نحو: يعرُشون ويعرِشون، ويعكُفون ويعكِفون، وقيل: بالضم: الإعراض، وبالكسر: الضجة.

وأثبت أبو جعفر وأبو عمرو وإسماعيل عن نافع الياء في: «**واتَّبِعُوني**» وحذفها الآخرون.

قراءة العامة: «**لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ**» بكسر العين من العلم، وسكون اللام، أي: به تُعْلَمُ الساعة.

وقرأ ابن عباس وأبوهريرة وقتادة ومالك بن دينار والضحاك: «**وإنه لَعَلَمٌ**» بفتح العين واللام، أي: أمارة وعلامة.

اللغة

الجدل: مقابلة الحجة بالحجة، والمناظرة: دفع الحجة بنظيرها، وقيل: الجدل: اللَّدَدُ في الخصام، رجل جَدِلٌ، وأصله: من جَدْلِ الحَبْلِ، وهو شدة فتله، ومنه سمي الحبل الذي يجعل في رأس البعير جَدِيْل، ورجل مجدول الخلق: شديد، وقيل: أصله من الجَدَالَةِ، وهي الأرض، [و] المُجَدَّلُ: المُلْقَي بالجَدَالَةِ، فكأن كل واحد من الخصمين يروم إلقاء صاحبه على الجدالة.

والخصم: الذي من شأنه المخاصمة، والخصم مصدر خصمته خصمًا؛ فلذلك لا يثنى ولا يجمع ولا يؤنث، وكان معناه: «ذا»[1] خصم.

والامتراء: افتعال من المرية، وهي الشك في تهمة، اِمْتَرَى وتمارى: شك، والمراء والمماراة: الجدال، والمراء أيضًا الشك، وأصل الباب من مَرَى يَمْرِي: إذا مسح الضرع لِيُدِرَّ، فكأن المجادل يستخرج بالمناظرة الكلام والمعاني.

والأحزاب: جمع حزب وهم الجماعة اجتمعوا من كل أَوْبٍ، يقال: تحزب القوم: اجتمعوا.

والبغتة: الفجأة.

والساعة: القيامة، سميت بذلك لقرب أمرها، كأنها تكون ساعة، ثم يحصل أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار، وقيل: لأنها ابتداء[2] أوقات الآخرة، فهي ابتداء تجديد الساعات.

المعنى

ثم عطف قصة عيسى على حديث موسى ﷺ[3]، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا**» يعني عيسى، واختلفوا في [مَنْ] ضَرَبَ المثل، فقيل: ضرب الله مثل عيسى بأنه خلقه من غير أب.

---

(١) ذا: ذوا، د، ك؛ ذو، ت.
(٢) ابتداء: أشد، ت.
(٣) عليه السلام: +، ت.

وقيل: ضرب النبي ﷺ والمسلمون.

وقيل: ضرب الكفار مثل عيسى بأنه يعبد، فهل جاز لنا أن نعبد الأوثان أو الملائكة، عن أبي علي.

واختلفوا في المضروب، قيل: خَلْقُهُ من غير أب شبهه بآدم حيث خلقه من غير أب وأم، وقيل: في جوابه: إِنِّي عَبْدُ اللهِ[1].

وقيل: لما نزل قوله: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨] قالوا: فقد رضينا[2] أن تكون آلهتنا مع المسيح.

وقيل: لما مدح النبي ﷺ عيسى وأمه، وأنه تعالى خلقه من غير أب، قالوا: إن محمدًا يريد أن نعبده كما عبد النصارى عيسى، عن قتادة.

وقيل: أراد مناظرة[3] عبد الله بن الزبعري مع النبي[4] ﷺ عند نزول قوله: «﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [الأنبياء: ٩٨]» قال ابن الزبعري: المسيح[5] يكون في النار، عن ابن عباس.

«إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ» يعني قريشًا يعرضون ويضجون[6] على اختلاف القراءة على ما بينا من الفرق بينهما، وهو قول ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وقيل: هما[7] بمعنى، عن الكسائي، وقيل: ضجوا سرورًا أنهم عبدوا الأوثان، كما عبد النصارى عيسى، عن أبي علي، وقيل: أعرضوا لمَّا قيل: خُلِقَ مِنْ غير أب تكذيبًا، وقيل: قالوا: الملائكة أعظم، فإذا جاز عبادة المسيح جاز عبادة الملائكة، فكان ذلك جدالهم. وقيل: ضجوا ليوهموا أنهم غلبوا كفعل العوام، وقيل: صفقوا أيديهم

(١) في جوابه إني عبد الله: في جواب أن نعبد غير الله؛ ت، د، ك.
(٢) فقد رضينا: فرضينا، ت، د، ك.
(٣) مناظرة: يناظره، ت.
(٤) النبي: للنبي، ت.
(٥) المسيح: فالمسيح، ت، ك.
(٦) ويضجون: ويضحكون، ت.
(٧) هما: +، ت، ك.

وضجوا تعجيبًا «وَقَالُوا» يعني المشركين «أَآلِهَتُنَا» قيل: الأوثان، وقيل: الملائكة، وكانوا يعبدونها، عن أبي مسلم. «خَيْرٌ» أفضل «أَمْ هُوَ» قيل: هو كناية عن محمد ﷺ، يعني آلهتنا خير من محمد، وهو يأمرنا بأن نعبده كما عبد النصارى المسيح، ونطيعه ونترك آلهتنا، عن قتادة، وقيل: الكناية عن عيسى، يعني آلهتنا خير أم المسيح؟ يعني آلهتنا خير من المسيح، فإذا عُبِدَ هو جاز أن تُعْبَدَ آلهتنا، عن أبي علي. وقيل: إذا كان هو في النار رضينا أن تكون آلهتنا معه، عن السدي، وابن زيد. «مَا ضَرَبُوهُ لَكَ» يعني هذا المثل «إِلاَّ جَدَلاً» خصومة بالباطل لا طلبًا للحق «بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ» من عادتهم الاشتغال بالخصومة بالباطل.

ثم بَيَّنَ حال عيسى، فقال ـ سبحانه ـ: «إِنْ هُوَ» يعني عيسى «إِلاَّ عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ» بالخلق من غير أب، وبالنبوة[1]، أشار إلى أنه إذا كان عبدًا منعمًا عليه فلا وجه لأن يُعْبَدَ «وَجَعَلْنَاهُ مَثَلاً لِبَنِي إِسْرَائِيلَ» أي: عظة وحجة من حيث خلقه من غير أب، وأكمل عقله حتى تكلم[2] في المهد، ودعا إلى الله، وأقر أنه عبده ورسوله، وأتى بالمعجزات، كإحياء الموتى[3] وإبراء[4] الأكمه، والأبرص، فأنعم عليه، وعلى بني إسرائيل به؛ فلذلك خصهم بالذكر.

ثم قال دَالاًّ على قدرته، وأنه يفعل الأصلح: «وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ» قيل: نخلفهم بدلاً منكم، عن قتادة، ومجاهد، والسدي، يعني كما قدر أن يخلق فيها ملائكة من غير أب وأم جاز أن يخلق عيسى من غير أب، وقيل: يخالف بعضهم بعضًا، وقيل: يكونون خلفًا من بني آدم، يعني أهلكناكم وجعلنا الملائكة سكان الأرض يعمرونها ويعبدون الله، ولكن أمهلكم؛ لتؤمنوا وتعبدوا الله، عن أبي علي، وقوله: «منكم» يعني من سكان الأرض وعمارها، وقيل: من الجنس الذي خلقكم، وهو الماء والتراب، وقيل: معناه: لجعلنا ملائكة بدلاً منكم في

(١) وبالنبوة: بالنبوة، ك.
(٢) تكلم: كلم، ك.
(٣) كإحياء الموتى: +، ت، ك.
(٤) وإبراء: كإبراء، د.

الأرض، وقيل: لجعل منكم ملائكة أي: على صور الملائكة «**وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ**» قيل: الضمير يعود إلى عيسى، يعني بنزوله تُعْلَمُ الساعة، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد، والسدي. وقيل: الضمير يعود إلى القرآن، أي: يُعْلِمُكُمْ بقيامها، ويخبركم[١] عنها وعن أهوالها، عن الحسن، وقيل: القرآن دليل القيامة؛ لأنه آخر الكتب أُنْزِلَ على آخر الأنبياء، عن أبي مسلم، وقيل: إذا نزل المسيح رفع التكليف؛ لأنه لا[٢] يكون مرسلاً إلى أهل ذلك الزمان، وقيل: إنه يقتل الدجال، ويقتل النصارى والخنازير، ويخرب البيع والكنائس «**فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا**» أي: لا تَشُكُّوا فيها «**وَاتَّبِعُونِ**» في عبادة الله وحده «**هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**» طريق واضح قيم «**وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ**» أي: لا يصرفنكم «**الشَّيْطَانُ**» بوساوسه عن دين الله «**إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ**» بَيِّنُ العداوة ظاهر، يدعوكم إلى الضلالة التي هي سبب هلاككم، وقيل: لا يصدنكم عن هذا الطريق المستقيم الذي دعوتكم إليه، عن أبي علي. «**وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ**» قيل: الإنجيل، عن قتادة، وقيل: المعجزات الدالة على نبوته، وقيل: أدلة التوحيد «**قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ**» قيل: بالنبوة، وقيل: بالعلم بالتوحيد والعدل والشرائع «**وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ**» أي: أظهر الحق من الباطل؛ لأن الخلاف ظاهر لا يحتاج إلى بيان، وإنما ذكر البعض؛ لأنه بين الخلاف المتعلق بالديانات والشرائع، وقيل: البعض ههنا بمعنى الكل، وقيل: معناه: يختلفون فيه من أحكام التوراة، وكانوا حرفوها وصاروا[٣] متفرقين، عن مجاهد. «**فَاتَّقُوا اللَّهَ**» أي: معاصيه «**وَأَطِيعُونِ**» فيما أوحي إلي[٤]، وآمركم به «**إِنَّ اللَّهَ هُوَ**[٥] **رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ**» ولا تعبدوا غيره «**هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ**» أي: طريق واضح مستمر على السداد «**فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ**» أي: الجماعة «**مِنْ بَيْنِهِمْ**» قيل: اختلف اليهود والنصارى في أمر عيسى، فزعمت النصارى أنه إله، وزعمت اليهود أنه من غير رَشْدَةٍ، عن السدي، وقيل: هو

(١) ويخبركم: ويخبرهم، ت، ك.
(٢) لئلا: لأنه لا، ت؛ لأن لا، ك.
(٣) وصاروا: فصاروا، ت.
(٤) إلي: إليكم، ت.
(٥) هو: -، ت، ك.

اختلاف النصارى، بعضهم قالوا: إله، وبعضهم قالوا: ابنه[١]، وبعضهم قالوا: ثالث ثلاثة، وقيل: الفرق الذين تفرقوا[٢] عن عيسى ومخالفته، عن قتادة، وأبي علي. «فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا» بمخالفته من هؤلاء الأحزاب «مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ» وجيع «هَلْ يَنظُرُونَ» أي: هؤلاء الكفار ما ينظرون بعد ورود الرسل والقرآن «إِلاَّ السَّاعَةَ» أي: القيامة «أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً» فجأة «وَهُمْ لاَ يَشْعُرُونَ» قيل: لا يعلمون وقت قيامها، وقيل: ما ينتظر بهم، وقيل: لم يرد النظر بالرؤية، وإنما أوجب التحرز والتلافي[٣] لما[٤] أفسدوا، فحث[٥] على التوبة، كأنه قيل: ما منتهى أمرهم إلا ورود الساعة، فينبغي أن يتأهبوا لها.

❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ﴾ على بطلان تعلقهم بعبادة النصارى المسيح، وتنبيه أنه لا يجوز أن يُعْبَدَ غير الله تعالى.

ويدل قوله: ﴿لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً﴾ أن الملائكة من سكان السماء، وينزلون إلى الأرض تعبدًا.

ويدل قوله: ﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ﴾ أن عيسى ينزل عند انقطاع التكليف؛ لأنه نقض للعادة كالدابة وطلوع الشمس من المغرب.

ويدل قوله: ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ أن الصَّادَّ هو الشيطان، خلاف قول المجبرة: إن الله تعالى يَصُدُّ[٦].

ويدل قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ على طول العذاب لكل ظالم، خلاف قول المرجئة.

---

(١) قالوا ابنه: ابن الله، ت. وفي هامش ك: قالوا إنه ابن الله. ظ.
(٢) تفرقوا: تحزبوا، ت، ك.
(٣) التحرز والتلافي: التحرز من التلافي، د.
(٤) لما: بما، د.
(٥) فحث: يحث، ود؛: والحث، ت.
(٦) يصد: يعد، ك.

وحذر بقوله: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ﴾ عن الإصرار على المعصية، والتسويف بالتوبة أن الساعة تجيء بغتة، ولا يمكن التلافي.

ويدل قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أن الظلم واقع من جهتهم، وليس من خلق الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وحفص عن عاصم: «**تشتهيه الأنفس**» بزيادة[1] هاء في آخره، وكذلك هو في مصاحفهم، الباقون: «**تشتهي**» بحذف[2] الهاء، وكذلك في مصاحفهم.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر «**يا عِبَادِيْ**» بإثبات الياء في الوصل وسكون الياء، وقرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم بحذف الياء، وقرأ أبو عمرو بإثباتها[3] في الوصل دون الوقف، وقرأ أبو بكر عن عاصم بفتح الياء، ولم يفتحه غيره.

اللغة

الأخلاء: جمع خليل، والفعل منه الخِلَالُ والمُخَالَّةُ، والخَلَّة، والمخالة والخلال

---

(١) بزيادة: زيادة، ت، ك.

(٢) بحذف: بحرف، ك.

(٣) بإثباتها: بإثباته، د، ك.

على بناء[1] مُفَاعَلةٍ وفِعَالٍ، يكون بين اثنين نحو: القتال والمقاتلة، والحوار والمحاورة، وفي التنزيل: ﴿لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾ [البقرة: ٢٥٤] [و] فيه ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم: ٣١] وقيل: أصل الخليل من الاختصاص، وقيل: من الفقر، كأنه يفتقر إليه دون غيره، وقيل: من الخلل كأن كل واحد وصل نفسه بصاحبه، وخلط جسمه بجسمه، عن أبي مسلم.

والحَبْرَةُ: النعمة، والحَبْرَةُ والحبور: السرور، وسمي بذلك لأنه يبين في وجه صاحبه الأثر، والحِبْرُ والحَبَار: الأثر، ومنه الحديث: «يخرج رجل من أهل النار قد[2] ذهب حِبْرُهُ وسِبْرُهُ» أي: جماله وهيئته، وقيل: الحَبْرُ والسَّبْرُ بالفتح فيهما، ورجل حَبْرٌ وحِبْرٌ: إذا كان عالمًا.

والصحاف: جمع صحفة، وهي الجَامَاتُ التي تؤكل فيها الأطعمة.

والكوب: إناء على صورة الإبريق، لا أُذُنَ له ولا خرطوم، وجمعه: أكواب، وقيل: إنه كالكأس للشراب، قال الأعشى:

صَلِيفِيَّةٌ طَيِّبًا[3] طَعْمُهَا ... لَهَا زَبَدٌ بَيْنَ كُوبٍ وَدَنْ[4]

الإعراب

يقال: لِم جاز حذف الياء من «**يا عبادي**»؟

قلنا: لدلالة الكسر، وجاز إثباته على الأصل.

و«**المتقين**»[5] نصب على الاستثناء.

(١) بناء: +، ت، ك.
(٢) قد: وقد، د.
(٣) صليفية طيبا: صريفية طيب؛ ت، د، ك.
(٤) البيت قائلة الأعشى في قصيدة مطلعها:
لعمرك ما طول هذا الزمن ... على المرء إلا عناءٌ معن
أنظر ديوان الأعشى الكبير ميمون بن قيس، بيروت.
(٥) والمتقين: المتقين، ك.

❁ المعنى

لما تقدم ذكر الأحزاب بَيَّنَ أخلاء الطاعة وأخلاء المعصية، فقال ـ سبحانه ـ: «الْأَخِلَّاءُ» يعني المتواصلين في الدنيا[1] في معصية الله «يَوْمَئِذٍ» يعني يوم القيامة «بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ» قيل: إنما آلت الموافقة إلى العداوة؛ لأنها كانت موافقة على شيء يورث سوء العاقبة، وقيل: العداوة من أجل أن صاحبه سبب البلية فيما يظهر له يوم القيامة «إِلاَّ الْمُتَّقِينَ» المتحابين في الله وفي طاعته، فإن الخلة يومئذ بينهم باقية والموافقة قائمة لما رأوا[2] من حسن العاقبة، ولما جمعهم من الطاعة[3]، وقيل: إذا مات المؤمن يبشر بالجنة، فيذكر صاحبه، فيجمع بينهما في الجنة، وإذا مات الكافر جمع بينه وبين قرينه في النار، عن أبي علي. «يا عبادي» أي: ويقال لهم: «يَا عِبَادِ لاَ خَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلاَ أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ» أمنوا العذاب، وأفيض عليهم الثواب.

ثم بَيَّنَ صفة أولئك فقال: «الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ» منقادين لله مطيعين له «ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ» قيل: أزواجهم: نساؤهم التي كانت لهم في الدنيا، عن أبي مسلم، وقيل: من الحور العين، عن أبي علي، والقاضي، وقيل: أزواجهم: قرناؤهم في طاعة الله، كما قال:[4] ﴿احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ﴾ [الصافات: ٢٢]. «تُحْبَرُونَ» قيل: تنعمون، عن قتادة، وابن زيد، والسدي، وقيل: تكرمون، وقيل: تسرون من الحبور.

ثم بَيَّنَ أن حالهم كحال الملوك، فقال ـ سبحانه ـ: «يُطَافُ عَلَيْهِمْ» يعني الوصائف والوصفاء، والحور العين تطوف عليهم بذلك، «بِصِحَافٍ» قيل: قِصَاع، عن السدي. «مِنْ ذَهَبٍ» ذكر ذلك؛ لأنه أعظم أموالهم عندهم «وَأَكْوَابٍ» وأباريق فاكتفى بذكر الصحاف والأكواب عن الطعام والشراب «وَفِيهَا» أي: في الجنة «مَا تَشْتَهِيهِ[5] الْأَنْفُسُ» من أنواع

---

(١) في الدنيا: +، ت، ك.
(٢) رأوا: روا، ت.
(٣) فإن الخلة يومئذ... الطاعة: +، ت، ك.
(٤) كما قال: كما تعالى قال، ت.
(٥) تشتهيه: تشتهي، د، ك.

النعم «وَتَلَذُّ الأَعْيُنُ» وهو ما يستحسن من المرئيات، ولا يقال: إنه رؤية الله تعالى؛ لأن الشهوة واللذة لا تتعلق به، تعالى عن ذلك؛ ولأنه ثبت[(١)] بالدليل أن ذاته غير مرئية «وَأَنْتُمْ فِيهَا» في الجنة[(٢)] «خَالِدُونَ» دائمون لا ينقطع نعيمهم «وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا» أي[(٣)] أعطيتموها، وقيل: وَرَّثَ الله منازل الذين لم يؤمنوا الذين آمنوا وقبلوا أمره، عن الحسن. «بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ» أي: جزاء على أعمالكم «لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ» فجمع لهم بين الطعام والشراب والفواكه، وبين دوامه، وذلك غاية الأمنية.

۞ الأحكام

تدل الآيات أن المودة في معصية الله تنقلب يوم القيامة عداوة؛ حتى يتبرأ بعضهم من بعض، ويلعن بعضهم بعضًا.

وتدل أن مودة المتقين باقية في الجنة، ففيه حث على التواد في الطاعة، وزجر عن التواد في المعصية.

ويدل قوله: ﴿لَا خَوْفٌ﴾[(٤)] أن المؤمن لا يلحقه يوم القيامة خوف، خلاف[(٥)] ما قاله بعضهم.

ويدل قوله: ﴿أَنتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ﴾ على تمام السرور؛ لما[(٦)] يجمع بينه وبين زوجته، والصحيح أنه الحور العين؛ لأنه أعم[(٧)].

ويدل قوله: ﴿مَا تَشْتَهِيهِ[(٨)] ٱلْأَنفُسُ﴾ على[(٩)] أن نعيمهم[(١٠)] يزيد على حسب[(١١)] شهواتهم.

(١) ثبت: يثبت، ت.
(٢) في الجنة: +، ت، ك.
(٣) أي: +، ت، ك.
(٤) لا خوف: أنتم لا خوف، ت.
(٥) خلاف: خلا، ت.
(٦) لما: بما، ت، ك.
(٧) أعم: عم، ت، ك.
(٨) تشتهيه: تشتهي، ت، د، ك.
(٩) على: -، ت.
(١٠) نعيمهم: نعمهم، ت، ك.
(١١) حسب: حين، ت، ك.

ويدل قوله: ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ أن ذلك جزاء على أعمالهم، وأنها حادثة من جهتهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّاكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَاكُم بِالْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَارِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

اللغة

الفتور: الضعف، أَفْتَرَ الرجل إذا ضَعُفتْ(١) جفونه فانكسر طَرْفُهُ، ومنه الحديث: «نهى عن كل(٢) مسكر ومُفتِّرٍ»، فالمُفتِّرُ الذي يُفتِّرُ الجسد إذا شرب، أي: يضعفه.

والإبلاس: الإياس من الرحمة والخير، ومنه سمي إبليس؛ لأنه يئس من الرحمة والخير(٣)، ومن انقطع حجته وتحير وسكت فقد أَبْلَسَ، قال الشاعر:

يا صَاحِ هل تَعْرِفُ رَسْمًا(٤) مُكْرِسَا ... قَالَ: نَعَمْ أَعْرِفُهُ وأَبْلَسَا(٥)

والإبرام: الإحكام(٦).

والنجوى: المناجاة بين الاثنين، وهو: الإسرار في الحديث، يقال: قوم نجوى،

---

(١) ضعفت: ضعف، ت، ك.
(٢) كل: -، ت.
(٣) والخير: وتحير، ت؛ وتحسر، ك.
(٤) رسمًا: ربعًا، ت.
(٥) البيت قائله العجاج عبدالله بن رؤبة السعدي. أنظر لسان العرب (ملبس)، (كرس) تاج العروس (كرس).
(٦) الإحكام: والإحكام، ت.

ونَجِيٌّ جَمْعُهُ[١] أَنْجِيَةٌ، والنجوى: اسم يقوم مقام المصدر، وقيل: نَجِيٌّ جمع ناجٍ، مثل نادٍ ونَدِيٍّ لأهل المجلس، ونجوت: خلصت.

المعنى

لما تقدم ذكر ما وعد المتقين عقبه بوعيد المجرمين على عادته تعالى في الجمع بين الوعد والوعيد، فقال ـ سبحانه ـ: **﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ﴾** قيل: المشركين، وقيل: كل مذنب ومجرم **﴿فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ﴾** دائمون **﴿لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ﴾** أي: لا يخفف عنهم العذاب **﴿وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ﴾** أي: في العذاب آيسون من[٢] الفرج، متحيرون في العذاب **﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ﴾** أي: ما عاقبناهم بغير ذنب فيكون ظلمًا **﴿وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾** لأنفسهم حين عصوا الله فاستحقوا العقاب[٣] **﴿وَنَادَوْا﴾** يعني المجرمين الذين هم أهل النار **﴿يَا مَالِكُ﴾** هو خازن النار، والموكل بعذاب أهلها مع أعوانه من الملائكة[٤] **﴿لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾** أي: ليحكم علينا بالموت لنستريح من العذاب، وهذا منهم على وجه التمني والاستغاثة، وإلا فهم علموا ضرورة أنه تعالى لا يجيبهم إلى ذلك، فـ" **قَالَ﴾**: يعني مالك: **﴿إِنَّكُمْ مَاكِثُونَ﴾** أي: مقيمون في العذاب، وقيل: أجابهم بعد ألف سنة، عن ابن عباس، والسدي، والأعمش، وقيل: بعد أربعين عامًا، عن عبدالله ابن عمر، وقيل: بعد مائة عام، عن نوف. **﴿لَقَدْ جِئْنَاكُمْ بِالْحَقِّ﴾** أي: أتيناكم بالحق، قيل: هذا حكاية من كلام مالك، عن أبي علي، وإنما أضاف الآية إلى نفسه؛ لأنه من جملة الملائكة الذين يأتون بالوحي، وقيل: بل هو كلام الله تعالى ابتداء لهذه[٥] الأمة يرجع إليهم في الخطاب، عن أبي مسلم. **﴿بِالْحَقِّ﴾** أي: بالدين الحق، والكتب المنزلة، والأدلة الظاهرة **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ[٦] لِلْحَقِّ كَارِهُونَ﴾** قيل: ألفوا الباطل وكرهوا

---

(١) جمعه: جمع، ت، د، ك.

(٢) من: عن، د، ك.

(٣) العقاب: العذاب، ت.

(٤) بعذاب أهلها مع أعوانه من الملائكة: بعذابها مع أهله من الملائكة، د؛ بعذابها مع أهله من الملائكة، ت، ك.

(٥) لهذه: المدة، د.

(٦) أكثركم: أكثرهم، ت، د.

مفارقته، وقيل: تركوا النظر، وقلدوا كبراءهم، وكرهوا الحق «**أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ**» قيل: أجمعوا على التكذيب فإنا مجمعون على الجزاء بالتكذيب، عن قتادة، وقيل: أم أحكموا أمرًا في المخالفة فإنا محكمون أمرًا في الجزاء، وقيل: أم أبرموا في الكيد برسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ في الفتك به، فإنا مبرمون[1] أمرًا على حفظه وعصمته، ومنعهم منهم، وتعذيبهم، وفعل ذلك بهم يوم بدر، عن ابن الأنباري، وقيل: أم أحكموا حجة فيما ذهبوا إليه من الكفر وعبادة غير الله، يعني لم يُحْكِمُوا، ولا حجة[2] لهم، فإنا محكمون ما ندعو إليه، ونقويه بالأدلة، والله تعالى لا يدعو إلى شيء إلا أحكمه وأبرمه، عن أبي علي، وقيل: أم أحكموا أمرًا ليخلصوا به من العذاب، فإنا أحكمنا الأمر في عقابهم، يعني لا شيء يتخلصون به من العذاب، وقيل: أم أحكموا أمرًا في تقوية باطلهم، فإنا أحكمنا الأمر في توهين كفرهم، وتعذيبهم، وقيل: هو عطف على قوله: ﴿أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ أي: رأي رأوه[3]، وعرضوا عليه، فإن فعلوا ذلك فإنا مبرمون ما نقابل به فعالهم، عن أبي مسلم. «**أَمْ يَحْسَبُونَ**» أي: يظنون، وقد[4] أبرموا الأمر عند أنفسهم «**أَنَّا لاَ نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ**» مناجاتهم في مكائد المسلمين، «**بَلَى**» نسمع ذلك ونعلمه «**وَرُسُلُنَا**» يعني الحفظة، عن قتادة، والسدي. «**لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ**» أي: عندهم يكتبون عليهم أعمالهم من خير وشر.

❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ أن كل مجرم في عذاب جهنم، والفاسق مجرم.

وتدل أن الفساق يكونون في النار.

ومتى قيل: أراد به الكفار لذلك قال: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ[5] لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ﴾، وقال: ﴿أَمْ أَبْرَمُوٓاْ أَمْرًا﴾.

---

(١) مبرمون: محكمون، ت، ك.
(٢) ولا حجة: أو لا حجة، د.
(٣) رأوه: يروه، د.
(٤) وقد: فقد، ت.
(٥) أكثركم: أكثرهم، ت، د، ك.

قلنا: اللفظ عام، والفاسق يكره الحق عند الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والفاسق يكيد المؤمنين أيضًا، فلا مانع من حمل الآية على عمومها.

ويدل: ﴿لَا يُفَتَّرُ﴾ على اتصال العذاب.

ويدل قوله: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِن كَانُواْ هُمُ ٱلظَّالِمِينَ﴾ الآية على أشياء:

منها: أن العقاب مستحق على أفعالهم.

ومنها: أن الكفر والظلم فعلهم، ليس بخلق الله ولا بإرادته[1].

ومنها: أنهم قادرون على تركه؛ إذ لو عاقبهم على ما لا يقدرون على تركه لكان ظالمًا.

ومنها: أنه قادر على الظلم؛ لأنه تمدح بأنه لا يَظْلِمُ، وما لا يقدر عليه لا يصح التمدح بتركه، وكل ذلك يبطل مذهب المجبرة في المخلوق والاستطاعة والإرادة.

ويدل قوله: «ورسلنا» أن علينا حفظة يكتبون الأعمال، فحذر بذلك من ارتكاب المعاصي، وكذلك قوله[2]: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم﴾؛ لأنه[3] من الوعيد العظيم.

قوله تعالى:

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُواْ وَيَلْعَبُواْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

---

(١) بإرادته: إرادته، ت، ك.

(٢) قوله: بقوله، د، ك.

(٣) لأنه: الآية، ت.

۞ القراءة

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي: «وإليه يرجعون» بالياء، الباقون بالتاء على الخطاب، والأول على الكناية اعتبارًا بقوله: ﴿فَذَرۡهُمۡ يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾.

۞ اللغة

العابد: قيل: هو مِنْ عَبَد يعبُد فهو عابد، على وزن: نصر ينصر، وقيل: من عَبِد يعبَد، نحو: حَمِد يَحْمَدُ، إذا أَنِفَ فهو عَبِدٌ، نحو عدد، وعَبِدَ يَعْبَدُ عَبَدًا إذا غضب، قال ابن عرفة: وقلما يقال: فهذا عابد، والعَبِدُ: الآنف، والعَبْدُ: خلاف الحر، وأصله: الخضوع والذل، يقال: طريق مُعَبَّدٌ، ولا يشتق من العبد فعل، إنما هو العابد، وعن أمير المؤمنين: «عَبِدْتُ فَصَمَتُّ» أي: أَنِفْتُ فَسَكَتُّ، قال الفرزدق:

ولكنَّ نِصْفًا لَوْ سَبَبْتُ وسَبَّني بنو عبدِ شمسٍ من قريش وهاشمِ
أولئك قومي إن هَجَوْنِي هَجَوْتُهُمْ وأَعْبَدُ أَنْ أَهْجُوَ كُلَيْبًا بِدَارِمِ[1]

والنَّصَفُ: الإنصاف.

تبارك: قيل من البركة، وهو الثبوت، والله الثابت لم يزل ولا يزال، وقيل: هو من البركة، أي: كل البركات منه، وقيل: كل الذي عمت بركته ذكره.

۞ الإعراب

﴿يَخُوضُواْ وَيَلۡعَبُواْ﴾ جزم؛ لأنه جواب الجزاء، ولأن معناه: إن تذرهم يخوضوا ويلعبوا.

﴿يُلَٰقُواْ﴾[2]، نصب بـ ﴿حَتَّىٰ﴾، وعلامة النصب ذهاب النون.

---

(١) البيت قائله الفرزدق وورد البيت برواية أخرى:

ولكن نصفا لو سببت وسبني بنو عبد شمس من منافٍ وهاشم

انظر: لسان العرب (نصف)، تاج العروس (نصف)، الصحاح (نصف) انظر ديوان الفرزدق، دار صادر ١٩٦٦.

(٢) يلاقوا: ملاقوا، ت.

۞ النزول

قيل: إن النضر بن الحارث قال: الملائكة بنات الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فقال النضر: قد أثبت الله لنفسه الولد بهذه الآية، فقال عمر ﵁: ليس كذلك؛ بل معناه: ما كان للرحمن ولد، فأنا أول العابدين، أي أعبد[1] ربا لا ولد له.

۞ المعنى

ثم أمر الله تعالى[2] نبيه يرد عليهم في إثبات الولد، فقال ـ سبحانه ـ: «قُلْ» يا محمد «إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ» فيه قولان:

أولهما: من الآنفين، ثم اختلفوا، فقيل: أنا أول الآنفين من اتخاذ رب له ولد، وقيل: أنا أول الآنفين من عبادة الرحمن إن كان له ولد؛ لاستحالة أن يكون له ولد، وقيل: أول الآنفين من هذا القول المنكرين[3] له، عن أبي علي.

وثانيهما: أنه من العبادة أي: من العابدين. ثم اختلفوا، فقيل: إن كان للرحمن ولد في زعمكم فأنا أول العابدين لله تعالى، الموحدين له المنكرين لقولكم، عن مجاهد، وقيل: إن كان للرحمن ولد فأنا أول الشاهدين له بذلك، العابدين له المقرين له، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، فعلى هذا «إِنْ» بمعنى «ما»، وهو للنفي، وقوله: «فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ» ابتداء كلام، وقيل: لو كان له ولد لكنت أول من يعبده؛ لأن له ولدًا، ولكن لاولد له، عن السدي، وأبي مسلم، وهذا كما يقال: لو ثبت إله غيره لعبدته، ولكن لا إله غيره، فهذا تحقيق لنفي الولد، وتبعيد له، كقوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلْخِيَاطِۚ﴾ [الأعراف: ٤٠].

ثم نزه نفسه، فقال ـ سبحانه ـ: «سُبْحَانَ» أي: براءة له وتنزيهًا عما يقوله المشركون مما[4] لا يليق به «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ» أي: خالق هذه الأشياء ومالكها

(١) أي أعبد: فأعبد، ت، ك.
(٢) تعالى: +، ت، ك.
(٣) المنكرين: المكذبين، ت، ك.
(٤) مما: بما، ت، ك.

«عَمَّا يَصِفُونَ» به كذبًا عليه «فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا» في باطلهم «وَيَلْعَبُوا» في دنياهم «حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» يعني يوم القيامة، وهذا وعيد لهم، وليس بإباحة.

ومتى قيل: أي دليل في كونه رب السموات والأرض على نفي الولد؟

قلنا: إن خلق الأجسام وإمساكها مع عظمها على غير شيء، والتمييز بين السموات والأرض لا يصح إلا من القادر للذات، وكل[1] صفة تنافي ذلك لا تجوز عليه، واتخاذ الولد من صفات الجسم ودلالة الحدث.

«وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ» أي: تعبده الملائكة في السموات وفي الأرض والمؤمنون.

ومتى قيل: لِم كرر[2] «إله»؟

قلنا: فيه قولان: تأكيدًا، وقيل: لاختلافهما[3]؛ لأن العبادة في السماء تجب على الملائكة، وفي الأرض على البشر، فأعاد ذكرهما[4].

«وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ» الحكيم[5] فيما خلق ودبر، العليم بمصالح العباد يفعل بحسب مصالحهم «وَتَبَارَكَ» أي: الثابت الباقي، لم يزل ولا يزال «الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ» أي: علم وقتها، وهو القيامة «وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ» أي: إلى حكمه والموضع الذي يختص بالأمر والحكم.

۞ الأحكام

تدل الآية على تنزيه الله تعالى عن[6] الولد، وإبطال قول النصارى ومشركي العرب.

---

(١) وكل: فكل، ت.
(٢) كرر: ذكر، د.
(٣) لاختلافهما: لأخلافها، ك.
(٤) ذكرهما: ذكرها، ت، ك.
(٥) الحكيم: -، ت.
(٦) عن: من، ت، ك.

وتدل[1] على أنه إله في السماء والأرض، فتدل على نفي المكان.

وتدل[2] على أن أحدًا لا يعلم وقت القيامة إلا هو.

قوله تعالى:

﴿وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

القراءة

قرأ عاصم وحمزة: «وقِيلِهِ» بكسر اللام، والباقون بفتحها.

أما الكسر فعلى تقدير: وعنده علم الساعة، وعلم قيله شاكيًا من قومه.

وأما النصب فاختلفوا فيه، قيل: هو عطف على قوله: ﴿سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم﴾ تقديره: أم يحسبون أنَّا لا نسمع سرهم ونجواهم، ولا نسمع قِيلَهُ وشكواه منهم[3] أنهم قوم لا يؤمنون.

وقيل: وقال قيله أن هؤلاء قوم لا يؤمنون، فنصب بمحذوف.

وقيل: هو معطوف على قوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ تقديره: شهد بالحق وقال قيله، عن أبي مسلم، وقيل: إلا من شهد بالحق وقال: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾، وأراد به تسليته وَتَصَبُّرَهُ، عن أبي علي.

وقيل: محله رفع، وأراد به الفعل أن يقول فصرف عن وجهه فنصب، كما قال كعب ابن زهير:

(١) وتدل: ويدل، ت.
(٢) وتدل: ويدل، ت.
(٣) وشكواه منهم: وشكواهم منه، ت، ك.

تَسْعَى الْوُشَاةُ جَنَابَيْهَا[١] وقِيلَهُمُ   بِأَنْكَ يَابْنَ أَبِي سلْمَى لَمَقْتُولُ

يعني يقولون[٢].

وقرأ الأعرج: «**وقيلُهُ**» برفع اللام على الابتداء، وجوابه: «**إِنَّ هَؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ**» وقيل: تقديره: وعنده علم الساعة ويعلم[٣] قيله.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «**فسوف تعلمون**» بالتاء على الخطاب، والباقون بالياء كناية عن ﴿قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ﴾.

۞ اللغة

الشفاعة: مسألة الطالب الحاجة لغيره، وهو على وجهين: عفو عن ذنب، وتبليغ منزلة أَجَلَّ من منزلته، والنبي ﷺ يشفع لأمته على هذين في التائب، والمؤمن، وأصحاب الصغائر، وأصل الباب الضم، ومنه: الشفع خلاف الوتر.

والصفح: العفو عن الذنب، وأصله: الإعراض، يقال: صفحت عنه: أعرضت، ومنه: الصَّفُوحُ، اسم من أسماء الله تعالى.

۞ الإعراب

اختلفوا في محل (مَنْ) في قوله: ﴿إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ﴾ قيل: محله خفض[٤]؛ لأن المراد به عيسى وعزير، تقديره: لا يشفعون[٥] إلا لمن شهد بالحق[٦] وقيل: محله رفع، وتقديره: ولا يملك الذين يدعون، وهم الأوثان من دونه الشفاعة كما زعموا إلا من شهد بالحق، وهم عيسى وعزير والملائكة.

---

(١) كتب في هامش د: ويروى بجنبتها. وفي ت، ك: جنابها. البيت لكعب بن زهير من (قصيدة البردة).
(٢) يقولون: قولهم: د، ت، ك.
(٣) ويعلم: ولعلم، د.
(٤) خفض: بالخفض، ت، ك.
(٥) لا يشفعون: لا يشهدون، د.
(٦) ولم يقل ولدًا: +، ت، د، ك.
(٧) للأوثان: الأوثان، ت.

﴿وَقُلۡ سَلَٰمٞۚ﴾ أي: هو سلام.

المعنى

ثم رد عليهم إثبات الشفاعة للأوثان[1]، فقال ـ سبحانه ـ: «وَلاَ يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلاَّ مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ» قيل: لا تملك الأوثان الشفاعة لكن من[2] شهد بالحق يملكه، وهو عيسى وعزير والملائكة، عن قتادة، وقيل: لا يملك أحد ممن[3] عُبِدَ من دون الله كالملائكة وعيسى وعزير الشفاعة إلا لمن[4] شهد بالحق ويعلم الحق، عن مجاهد، والمراد بقوله: «وَلاَ[5] يَمْلِكُ» بأنه لا يفعل، وليس له ذلك. «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ» قيل: لئن سألت المشركين[6] من خلقهم؟ اعترفوا بأن الله خلقهم، فكيف صرفوا عن عبادته وهو خالقهم إلى عبادة غيره، فأشار إلى أنهم نقضوا الجملة بالتفصيل، وهكذا حال كل مبطل ومبتدع «وَقِيلِهِ» قيل: معناه[7] وقيل محمد، أي: قوله شاكيًا إلى ربه من قومه «إِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ لاَ يُؤْمِنُونَ»، وقيل: قيله منكرًا عليهم «إِنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ لاَ يُؤْمِنُونَ» وقيل: قيله، يعني قيل عيسى أي: اذكر قيل عيسى وشكايته عن قومه أنهم لا يؤمنون، عن أبي علي «فَاصْفَحْ عَنْهُمْ» أي: أعرض عنهم ولا تجازيهم ﴿فَإِنَّمَا عَلَيۡكَ ٱلۡبَلَٰغُۚ﴾ [آل عمران: ٢٠] وهذا وعيد، عن أبي علي، وأبي مسلم[8]، وقيل: هذا منسوخ بآية السيف «وَقُلْ سَلاَمٌ» أي: ما تسلم به من شرهم وأذاهم «فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ» أي: لا يعلمون في الحال ما عليهم من أمرهم، لكن سيعلمون غدًا عاقبة ما هم عليه، وهذا وعيد، وقيل: فسوف يعلمون نصحك لهم وصدقك فيما أخبرتهم به.

---

(١) من: ممن، د.
(٢) ممن: من، ت، ك.
(٣) إلا لمن: إلا من، ت.
(٤) ولا: لا، ت، د، ك.
(٥) المشركين: الملائكة، ت، ك.
(٦) معناه: -، ت.
(٧) عن أبي علي وأبي مسلم: عن أبي مسلم وأبي علي، ت.
(٨) فإن: بأن، ت، ك.

۞ الأحكام

تدل الآيات على بطلان قول الكفار في إثبات الشفاعة للأوثان.

وتدل أن الشفاعة إنما تكون لمن شهد بالحق.

ويدل قوله: ﴿فَٱصۡفَحۡ﴾ على تأديب منه لرسوله في الكف عن مجازاتهم على تكذيبهم، فإن[1] الله تعالى يجازيهم به.

(١) هي: -، ك.

سُورَةُ الدُّخَانِ

سورة (حم الدخان)، وهي[1] تسع وخمسون آية، وهي مكية.

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «من قرأ حم الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك».

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ قال: «من قرأ حم[2] ليلة الجمعة أو يوم الجمعة بنى الله له بيتًا في الجنة».

ولما ختم (حم الزخرف) بالوعيد افتتح هذه السورة بذلك والإنذار بالقيامة.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿حمٓ ﴿١﴾ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ ۖ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾﴾.

---

(١) حم: +، أظنه حم الدخان.

(٢) حجة القراءات ٦٥٦.

القراءة

قرأ حمزة وعاصم والكسائي: «رَبِّ السموات» بكسر الباء من (رب)[1] ردًّا على قوله: ﴿رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۚ﴾ تقديره: رحمة من ربك رب السموات، وقرأ الباقون بالرفع ردًّا على قوله: ﴿إِنَّهُۥ[2] هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾، وقيل: على الابتداء.

اللغة

البركة: نماء الخير، ونقيضه: الشؤم: نماء الشر.

والإنذار: الإعلام بمواضع[3] الخوف لتتقى، وبموضع الأمن ليجتبي. أَنْذَرَ فهو مُنْذِرٌ، والله تعالى أنذر عباده بأتم الإنذار.

والفرق: الفصل بين الشيئين، ومنه: الفرقان، ومنه: طلع الفرقان، أي: الصبح، يفرق بين الليل والنهار.

واليقين: سكون النفس إلى الشيء، ومثله العلم، ونقيضه: الشك والجهل.

الإعراب

«حم» محله كَسْرٌ للقسم.

«أمرا» قيل: نصب على المصدر، وقيل: على المدح، عن أبي مسلم، وقيل: نصب على معنى: يفرق كل أمر فرقًا وأمرًا، فوضع «أمرًا» موضع «فرقًا» فهو نصب على المصدر، عن الفراء[4]، وقيل: نصب على الحال.

«رحمة» نصب على تقدير: رحم رحمة، وهو مصدر وُضِعَ موضع الحال.

المعنى

«حَم» قد بَيَّنَّا ما قيل فيه، وأنه اسم للسورة[5]، أو إشارة إلى أنه معجز حيث ألف

---

(١) إنه: -، ت، ك.
(٢) بمواضع: بموضع، ت.
(٣) الفراء: القراء، ت.
(٤) للسورة: السورة، د.
(٥) القرآن: -، ت، ك.

القرآن[1] من الحروف التي يتكلمون بها، وعجزوا عن مثلها، أو إشارة إلى حدث القرآن، أو مفاتيح أسماء الله تعالى «**وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ**» قيل: أقسم بالكتاب وهو القرآن، وسورة (حم)، وقيل: برب الكتاب ومنزله، عن أبي علي، ثم وصف الكتاب فقال: «**المبين**» الذي يبين الأحكام، والمبين هو الله تعالى، إلا أنه لما بين في الكتاب أضاف إليه[2] توسعًا، وقيل: بَيَّنَ مصالح المخلوق وما يحتاج إليه في الدين «**إِنَّا أَنزَلْنَاهُ**» يعني القرآن «**فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ**[3]» قيل: ليلة القدر، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وأبي علي، وأبي مسلم، وقيل: ليلة النصف من شعبان، عن عكرمة، والأول أوجه.

واختلفوا فقيل: أنزل[4] إلى السماء الدنيا ليلة القدر، ثم أنزل نجومًا على النبي ﷺ، وقيل: ابتدأ بإنزاله في ليلة القدر «**مباركة**»؛ لأن فيها يقسم الله تعالى[5] نعمه بين عباده من السنة إلى السنة، وقيل: يعفو ويقسم الرزق، عن ابن عباس.

«**إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ**» مخوفين لهم؛ أي نقضي لهم بالعقاب، وقيل: مخوفين بما بَيَّنَّا في الكتاب من تعذيب العصاة، عن أبي علي، وقيل: أنزلنا الكتاب إنذارًا به، عن أبي مسلم. «**فِيهَا**» أي: في هذه الليلة «**يُفْرَقُ**» يقضى ويفصل «**كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ**» قيل: يبرم[6] في ليلة القدر من شهر رمضان كُلُّ أَجَلٍ وعمل ورزق، وما يكون في تلك السنة، عن الحسن، وقتادة، ومجاهد، وقيل: يفعل ذلك ليلة النصف من شعبان، عن عكرمة. «**أَمْرًا مِنْ عِندِنَا**» يعني الفصل يكون بأمرنا، وقيل: بفعلنا[7]، والأمر يكون بمعنى الفعل، وقيل: أمرًا أردنا بإرسال الرسل، عن أبي مسلم. «**إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ**» قيل: مرسلين بذلك إلى رسول الله ﷺ، عن أبي علي. وقيل: مرسلين الأنبياء إلى الخلق على حسب المصلحة، وقيل: مرسلين الملائكة إلى الأنبياء، وقيل: مرسلين[8]

---

(١) إليه: الله، ت.

(٢) مباركة: -، ت، ك.

(٣) أنزل: نزل، ك.

(٤) تعالى: +، ت.

(٥) يبرم: مبرم، د، ك.

(٦) بفعلنا: لفعلنا، ت.

(٧) مرسلين: المرسلين، د.

(٨) بأن: أن، ت، ك.

محمدًا إلى الخلق «رَحْمَةً» قيل: أنزلناه رحمة، وقيل: أرسلناه رحمة، وقيل: فعلنا ذلك في هذه الليلة رحمة، وقيل: الرحمة: النعمة العظيمة.

ومتى قيل: إذا قال مباركة ورحمة، فكان يجب بأن[1] تكون كلها خيرا، فَلِمَ قال: «منذرين»؟

قلنا: لأن فيها كما تقسم الأرزاق والنعم، تقسم الآجال والموت، فحذر بذلك؛ لئلا يأتيه بغتة ليتأهب له، وذلك أيضًا رحمة منه.

«إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ» لما يقوله المحق والمبطل عند إرسال الرسل «الْعَلِيمُ» بالخلق يرسل مَنْ يصلح «رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا» يعني خالقهما ومالكهما «إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ» قيل: أَيْقِنُوا أن الله ربكم، وأن محمدًا رسوله، والقرآن تنزيله، وقيل: معناه إن كنتم تطلبون اليقين وتريدونه، وإنما أراد إيجاب العلم والمعرفة، كقولهم: فلان مُنْجِدٌ ومُتْهِمٌ، يريد نجدًا وتهامة، عن أبي مسلم. «لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ» أي: هو المختص بالقدرة على الموت والحياة «رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الأَوَّلِينَ» أي: خالق الجميع.

الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ﴾ على حدوث القرآن.

ويدل قوله: ﴿فِي لَيۡلَةٖ﴾ أنه اختص إنزاله بتلك الليلة.

ويدل قوله: ﴿فِيهَا يُفۡرَقُ﴾ على اختصاص تلك الليلة بتدبير الله أمر عباده، وقسمة الآجال، وما يكون في تلك السنة من الحوادث، وإنما فعل ذلك مصلحة للملائكة، وفي الخبر عنه مصلحة لنا.

ويدل قوله: ﴿مُّوقِنِينَ﴾ أن فيهم من لا يوقن، وذلك يبطل قول أصحاب المعارف.

(١) لا يحصل: لا يجعل، ت.

قوله تعالى:

﴿بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر: «نَبْطُشُ» بضم الطاء، والباقون بكسرها، وهما لغتان، وهو أَخْذٌ بشدة، بطش يبطش بطشًا فهو باطش، وبطش يبطش مثل: عرش يعرِش ويعرُش.

اللغة

الارتقاب: الانتظار، ومنه الرُّقْبى بين اثنين؛ لأن كل واحد منهما ينتظر موت صاحبه، والارتقاب: الحفظ أيضًا من ذلك، ومنه: الرقيب: الحافظ، وسواء قولك: يرقب ويرتقب.

والغشى: اللباس، ومنه: الغشيان، وغاشية السرج.

والألم: عرض يدرك لا يحصل[1] من فعلنا إلا متولدًا من الوهن[2] ومن فعل الله تعالى يحصل مبتدأ ومتولدًا، فأما الذي يحصل عند تناول الأشياء المرة والكريهة[3] فليس بمعنى عندنا، وإنما هو إدراك ما ينفر عنه طبعه، آلَمَهُ يؤلمه إيلامًا، وأَلِمَ يَأْلَمُ أَلَمًا.

الإعراب

«كاشفوا» معناه: كاشفون، فحذف النون.

---

(١) الوهن: الوهى، د، ك.

(٢) والكريهة: الكريهة، ت.

(٣) إنا مؤمنون: إنا موقنون، ت.

المعنى

لما تقدم ذكر القرآن، وأحوال المؤمنين عقبه بذكر أحوال الكفار، فقال ـ سبحانه ـ: «بَلْ هُمْ» يعني الكفار «فِي شَكٍّ» من القرآن والنبوة «يَلْعَبُونَ» قيل: يشتغلون ويترددون في أحوال الدنيا، وقيل: يستهزئون بك وبالقرآن إذا قرئ عليهم، ويلعبون، عن أبي علي، والمراد أنهم أهملوا أنفسهم ولم ينظروا، وسلكوا طريق الشك في أمر الآخرة، وأقبلوا على اللعب «فَارْتَقِبْ» انتظر بهؤلاء ومجازاتهم «يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُبِينٍ» يغشاهم يقولون: يا رب «هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» فاكشفه عنا «إِنَّا مُؤْمِنُونَ»[(١)] وقيل: الارتقاب بمعنى الحفظ، والمراد استشهاد النبي ﷺ في عذاب أنزله بهم، فاستكشفوه بإظهار الإيمان يقول: فاحفظ، أي: اشهد أيها النبي عليهم واحفظ قولهم، فإنا سنكشف عنهم العذاب مدة، ثم يعودون إلى كفرهم، عن أبي مسلم، وذكر الوجه الأول أيضًا. وقيل: الدخان الظلمة التي كانت تغشى أبصار[(٢)] المشركين لشدة[(٣)] الجوع حين دعا عليهم النبي ﷺ وقال: «اللهم سنين كسني يوسف»، عن ابن مسعود، والضحاك. وقيل: كانوا يرون شبه دخان ينزل من السماء، وقيل: كان ذلك قبل بدر، وقيل: الدخان من أشراط الساعة يدخل في مسامع الكفار والمنافقين، وهو لم يأت بعدُ، وسيأتي، عن ابن عباس، وابن عمر، والحسن، وزيد بن علي، وأبي علي. وقيل: يصيب المؤمن كهيئة الزكام، وعن النبي ﷺ: «أول الآيات الدخان ونزول عيسى». وقيل: يوم يأتي الدخان يملأ بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يومًا وليلة، أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكام، وأما الكافر بمنزلة السكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره. وقيل: إن هذا الدخان يكون يوم القيامة، عن أبي مسلم، والأوجه أن يكون يوم القيامة، أو يكون من علامات الساعة؛ لأنه تعالى أخبر أن دخانًا يأتيهم، وهو عذاب، وفي سنين القحط ما كان هناك دخان في الحقيقة،

---

(١) أبصار: أبصا، ك.

(٢) لشدة: بشدة، د، ك.

(٣) مؤمنون: موقنون، ت، ك.

ولا غشيهم دخان، [ولكن] ليبوسة الهواء يتراءى لهم الغبار دخانًا لشدة الجوع، ويدل عليه قوله: ﴿رَبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ[1]﴾ واليقين يحصل يوم القيامة لا في الدنيا «**يَغْشَى النَّاسَ**» أي: يعمهم ويسترهم «**هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ رَبَّنَا اكْشِفْ**» يعني ويقولون[2]: ربنا اكشف «**عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ[3]**»، وقيل: **إن أبا سفيان تضرع إلى النبي ﷺ حتى دعا، فكشف الله ذلك**. «**أَنَّى لَهُمُ الذِّكْرَى**» قيل: كيف لهم الذكرى والاتعاظ، عن ابن عباس، وقيل: لا تنفعهم التوبة في الآخرة بعد زوال التكليف، عن الحسن، هذا إن حمل الدخان على أنه يكون بعد زوال التكليف، وإن حمل على الدنيا، فمعناه لا يتذكرون، ولا يتعظون «**ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ**» أي: أعرضوا عن محمد ﷺ «**وَقَالُوا**» هو «**مُعَلَّمٌ**» يعلمه بشر، وليس بمنزل «**مَجْنُونٌ**» أي: تعترضه الجن بما يزول به عقله، واعتقدوا في الجن ما يعتقده العوام، عن أبي علي، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلاً إِنَّكُمْ عَائِدُونَ**» قيل: في العذاب، عن قتادة، وقيل: في الضلال، عن أبي علي وجماعة. فمن ذهب إلى أن الدخان في القيامة قال: عائدون في العذاب، ومن ذهب إلى أنه في الدنيا مع بقاء التكليف قال: عائدون في الضلال. «**يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى**» أي: نأخذ الأخذ الأعظم، قيل: هو في يوم بدر، عن ابن مسعود، ومجاهد، وابن عباس، وأبي العالية، وأبي بن كعب، والضحاك، وابن زيد، وقيل: هو يوم القيامة، عن ابن عباس، والحسن، وأبي علي، وأبي مسلم، وهو الأوجه؛ لأن البطش الشديد يكون فيه «**إِنَّا مُنتَقِمُونَ**» أي: نعذبهم جزاء أعمالهم.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿بَلۡ هُمۡ فِي شَكٍّ﴾ على بطلان قول أصحاب المعارف.

ويدل قوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ على وعد المؤمنين، ووعيد الكفار.

وتدل الآية أن من أشراط الساعة الدخان.

---

(١) يعني ويقولون: -، ت.

(٢) مؤمنون: موقنون، ك؛ موقنون يعني ويقولون، ت.

(٣) في ت: عليها.

ويدل قوله: ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ أن الإيمان عند زوال التكليف لا ينفع.

ويدل قوله: ﴿إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ أنه يعذبهم بأعمالهم.

ويدل قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُوا۟﴾ أنه لو كشف عنهم العذاب في الدنيا لعادوا إلى الضلال، فيعودون إلى العذاب.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَن لَّا تَعْلُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِنِّىٓ ءَاتِيكُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ لِى فَٱعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾﴾.

۞ القراءة

«**إني آتيكم**» فتح نافع وابن كثير وأبو عمرو وأبو جعفر الياء، ولم يفتحها الآخرون.

وأثبت الياء في قوله: «**ترجمونِ**» و«**اعتزلونِ**» ورش عن نافع، ويعقوب، وحذف الباقون الياء تخفيفًا مع دلالة الكسرة عليه[1].

«**وإن لم تؤمنوا لِي**» فتح ورش عن نافع الياء، ولم يفتحها[2] غيره.

۞ اللغة

الفتنة: الامتحان والاختبار، ولا يجوز عليه تعالى الامتحان؛ لأنه عالم بجميع الأشياء لم يزل، وإنما يعامل معاملة المختبر، فيجازي ليظهروا[3] ما يعلم.

---

(١) يفتحها: يفتحه، د، ك.
(٢) ليظهروا: ليظهرون، ت، ك.
(٣) سربت: سريت، ت.

والكريم: الحقيق بأن يكرم، وكل شيء يكرم عليك، فهو كريمك.

والرجم: الرمي بالحجارة، والرمي بالشتم، يقال: رجمه: إذا رماه، ومنه: رجم الزنا.

والاعتزال: الانقطاع عن الشرك، وترك ملابسته، ومنه: ﴿فَلَمَّا ٱعْتَزَلَهُمْ﴾ [مريم:٤٩]، ومنه سميت المعتزلة.

والسرى: سير الليل، سَرَيْتُ أنا، وأسريت غيري، وأسريت به، قال الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١]، قال الشاعر:

أَنَّى سَرَبْتِ[١] وكُنْتِ غيرَ سَرُوبِ ... وتقرب الأحلام غير قريب[٢]

والرَّهْوُ: الساكن، وقيل: المفتوح المنكشف، عن أبي مسلم، يقال: عَيْشٌ رَاهٍ: ساكن، وأرْهِ[٣] على نَفْسِكَ أي: ارفق بها.

الإعراب

«عِبَادَ اللهِ» نصب «عباد» بـ«أدوا»، نظيره: ﴿أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء:١٧]، وقيل: على النداء، أي: يا عباد الله أدوا ما أمركم الله به، عن الفراء.

﴿وَإِنِّى عُذْتُ بِرَبِّى﴾ تدغم الذال في التاء لقرب المخرج فتصير تاء.

المعنى

لما تقدم تكذيب قومه عقبه بقصة موسى وتكذيب فرعون؛ تسلية له وبشارة بالفرج، ووعيدًا لهم، فقال ـ سبحانه ـ: «وَلَقَدْ فَتَنَّا» أي: شددنا التكليف[٤] عليهم، وتفسيره: عاملناهم معاملة المختبر، وقيل: عذبناهم، عن أبي مسلم.

ومتى قيل: فأي تشديد يفيد في بعثة موسى؟

قلنا: أمرهم بطاعته وتعظيمه مع عظم حالهم وضعف حاله في الدنيا.

---

(١) البيت قائله قيس بن الخطيم الصحاح (سرب) لسان العرب (سرب)، تاج العروس (سرب)؛ قريب: بعيد، ت، د، ك.

(٢) وأره: وأراه، ت.

(٣) التكليف: بالتكليف، ت.

(٤) أي: +، ت، ك.

وقيل: بمفارقة دينهم.

وقيل: لكونهم أتباعًا بعد كونهم متبوعين، فتلحقهم مشقة عظيمة.

وقيل: لترك ملكهم، ويحمل على الجميع.

«قَبْلَهُمْ» أي: قبل قوم النبي ﷺ «قَوْمَ فِرْعَوْنَ» وهم القبطية «وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ» يعني موسى «كَرِيمٌ» قيل: شريف وسيط في قومه من بني إسرائيل، وقيل: كريم عند الله بما استحق بطاعته من الإكرام والإجلال «أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ» أي: قال لهم موسى: أدوا إليّ، أي[1] ادفعوا إليّ «عِبَادَ اللَّه» وهم بنو إسرائيل ولا تعذبهم، عن الحسن. وقيل: أدوا إليّ عباد الله ما أمركم به؛ أي: أسلموا، عن الفراء. «إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ» أنصحكم، وقيل: أمين على وحي الله أؤديه[2] إليكم «وَأَنْ لاَ تَعْلُوا عَلَى اللَّه» قيل: لا تعلوا على الله بافتراء الكذب عليه، عن ابن عباس، وقيل: لا تبغوا عليه بكفر نعمه، عن قتادة، وقيل: لا تتكبروا على الله بترك طاعته، واتباع أمره، عن الحسن، وقيل: لا تعلوا على أولياء الله بالبغي عليهم، فذكر نفسه وأراد أولياءه تفخيمًا، كقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧]» وقيل: لا تعلوا على أمره فتردوه[3] ولا تقبلوه، وقيل: لا تنكروا عليّ، ولا تسمعوا كلام ربي ورسالته «إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَانٍ» بحجة «مُبِينٍ» قيل: ظاهر، وهو العصا واليد، وقيل: بَيِّنَ صحة نبوتي، وصدق مقالتي، وتوعدوه بالقتل والرمي بالحجارة، فقال: «وَإِنِّي[4] عُذْتُ بِرَبِّي» أي: اعتصمت بربي «وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ» قيل: بالحجارة، عن قتادة، وقيل: أراد بالشتم بالقول، فقالوا: ساحر كذاب، عن ابن عباس، وقيل: تقتلون «وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ» يعني جئتكم برسالة من ربكم، فإن لم تصدقوني فاعتزلون بصرف أذاكم عني، ولا تقتلوني ولا تشتموني «فاعتزلون» خلوا سبيلي غير مقتول ولا مسبوب «فَدَعَا رَبَّهُ» يعني موسى لما أيس منهم دعا ربه، وقال: «أَنَّ هَؤُلاَءِ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ» فانتقم منهم، وكان أُمِرَ

---

(١) أؤديه: أوديه؛ ت، د، ك.

(٢) فتردوه: فترددوه، ت، ك.

(٣) وأني: إني، ت، د، ك.

(٤) فينادوني: فتباروني، د.

بالدعاء، ومعنى مجرمون: مصرون على كفرهم، وقيل: مجرمون إلي فينادوني[1] بالمكروه، فأجيب وأوحى[2] الله تعالى إليه: «فَأَسْرِ بِعِبَادِي» أي: بالمؤمنين إلى الموضع المأمور به من ناحية النهر على خفية من قوم[3] فرعون، عن أبي علي، وقيل: أراد بعبادي بني إسرائيل ومن آمن معهم بموسى «لَيلاً إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ» يتبعكم فرعون وقومه «وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا» إذا قطعته أنت وأصحابك، قيل: ساكنًا كما كان، وكان ضَرَبَ بالعصا فانفلق لبني إسرائيل، فأمره أن يترك كما هو ليغرق فرعون وقومه، عن ابن عباس، ومجاهد، وأبي علي، وقيل: منفتحًا منكشفًا حتى يطمع فرعون في اتباعه، عن أبي مسلم، وقيل: طريقًا يابسًا، عن قتادة، وقيل: رهوًا واسعًا ما بين الطاقات، وقيل: دَمِثًا، وهو السهل الذي ليس برمل ولا حزن، عن الضحاك، وقيل: قوله: «رهوًا» يحتمل أن يكون من نعت البحر، ثم معناه ما ذكرنا مما قيل فيه، ويحتمل أن يكون من نعت موسى، أي: على هيئتك، عن أبي علي[4].

ومتى قيل: ما الفائدة في قوله: ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ والله تعالى يسكنه ويحركه، وموسى لا يقدر على شيء من ذلك؟

قلنا: هو إشارة إلى أَمْنِهِ، كما يقال[5] لمن يخاف دخول دار: ادخل الدار آمنًا، واترك الباب مفتوحًا كما هو، أي[6]: لا تخف.

وقيل: لأن موسى كان إذا أظهر معجزة ضرب بالعصا، فإذا أراد عوده[7] إلى حالته الأولى ضربه ضربة ثانية، فأمر الله تعالى ألا يضرب البحر، ويترك كما هو، وقيل: إن قومه سألوه ألا يترك البحر مفتوحًا؛ لئلا يدخله فرعون، فأمره تعالى أن يترك[8] كما هو.

---

(١) وأوحى: فأوحى، ت.
(٢) قوم: -، ت.
(٣) عن أبي علي: +، ت، ك.
(٤) كما يقال: يقال يقال، ت.
(٥) أي: -، ت.
(٦) عوده: رجوعه، ت، ك.
(٧) يترك: بتركه، ت، ك.
(٨) هو: فهو، ت، ك.

«إِنَّهُمْ جُندٌ مُغْرَقُونَ» هو[1] إخبار عن العاقبة، وقيل: مغرقون في سابق قضائي، فبقي البحر كما كان، ودخل فرعون وقومه، فغرقوا جميعًا.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنِّيٓ ءَاتِيكُم بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ﴾ أن الطاعة إنما تجب عند بيان المعجز.

ويدل قوله: ﴿وَإِنِّي عُذۡتُ﴾ أن الواجب على العبد عند الخوف أن يعتصم بالله ـ تعالى ـ.

ويدل قوله: ﴿فَدَعَا﴾أن موسى دعا بإذن الله، وأجيب.

قوله تعالى:

﴿كَمۡ تَرَكُواْ مِن جَنَّٰتٖ وَعُيُونٖ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٖ وَمَقَامٖ كَرِيمٖ ﴿٢٦﴾ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَۖ وَأَوۡرَثۡنَٰهَا قَوۡمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَا كَانُواْ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدۡ نَجَّيۡنَا بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلۡعَذَابِ ٱلۡمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرۡعَوۡنَۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ عَلَىٰ عِلۡمٍ عَلَى ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيۡنَٰهُم مِّنَ ٱلۡأٓيَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٞاْ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾﴾.

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر: «فكهين» بغير ألف[2]، يعني أَشِرين بَطِرين، [وقرأ] الآخرون بالألف: «فاكهين» ناعمين متنعمين، يقال: فَكِهَ يَفْكَهُ فَكَهًا فهو فاكِهٌ.

۞ اللغة

الجنة: البستان، وجمعه: جنات، وأصله من الستر، ولا يسمى جنة حتى يكون فيه من الأشجار ما يستره، ومنه: الجِنُّ والجنون والجنين والمِجَنُّ، ونحوها.

---

(١) القرطبي ١٦/ ١٢٠.

(٢) كثيرة: كثيرًا، د.

والنَّعْمة بفتح النون: التنعم والتلذذ، والنِّعْمة بكسر النون: هي المنفعة التي يستحق بها الشكر.

والمسرف: المجاوز للحد، والسَّرَف ضد القصد.

والاصطفاء والاجتباء والاختيار نظائر.

والبلاء: النعمة، والبلاء: الشدة، وهو من الأضداد.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال قوم موسى وقوم فرعون بعد هلاك فرعون، فقال ـ سبحانه ـ: «**كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**» إشارة إلى التكبر، يعني لما أهلكنا آل فرعون تركوا بساتين كثيرة[1]، وأموالاً جمة «**وَعُيُونٍ**» جارية «**وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ**» قيل: مجلس شريف، وقيل: مقام الملوك والأمراء، وقيل: المنازل الحسنة، عن قتادة، وقيل: المنابر ومجالس الملوك، عن مجاهد، وسعيد بن جبير، والمقام موضع الإقامة، وإنما يستعمل في الغالب في مقام الجَمَال والهيئة، وقيل: المقام المزخرف بالزينة المأهولة بكثرة الحشم والخدم «**وَنَعْمَةٍ**» أي: غبطة وسرور وعيش كما «**كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ**» قيل: لاعبين ناعمين، وقيل: ضاحكين مستبشرين «**كَذَلِكَ**» قيل: كذلك كان الأمر فيهم، وقيل: كذلك فعلنا بهم ونفعل بأمثالهم، وقيل: كذلك كان المال والجاه فيهم، وقيل: كذلك نفعل بمن نهلكه وننتقم منه، عن أبي علي، وقيل: كذلك يكون حال الكفرة والظلمة، يجمعون[2] من غير حِلِّهِ، وينفقون في معصية الله، ثم يتركونها لمن لا يمدحهم «**وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ**» أي: أعطيناها بني إسرائيل، عن قتادة، فلما قاموا مقامهم سماه إرثًا، قال الحسن: رجع بنو إسرائيل إلى مصر بعد هلاك فرعون، وحازوا أموالهم «**فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ**» فيه عشرة أقوال:

أولها: قيل: أهل السماء والأرض؛ لأنهم لما عصوا الله، وغضب عليهم صاروا

---

(١) يجمعون: يجتمعون، ت.
(٢) ظهور: بظهور، د.

في موضع جزاء لا في موضع ترحم فيبكى عليهم، قال الحسن وأبو علي: ما بكى عليهم الملائكة والمؤمنون؛ بل كانوا بهلاكهم فرحين مسرورين.

وثانيها: لو كانت السماء والأرض ممن يبكي على أحد لم تَبْكِ على هؤلاء؛ لأنهم ليسوا ممن يُحْزَنُ عليهم؛ بل يفرح بهلاكهم.

وثالثها: أنه لم يَبْكِ عليهم ما يبكي على المؤمن إذا مات من مُصَلَّاهُ ومَصْعَدِ عَمَلِهِ، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير. يعني لم يك موضع طاعة يظهر حاله عند موته، والمراد ظهور[1] الحال؛ لأن الجماد لا يبكي.

ورابعها: كان أمرهم أهون من أن يبكي عليهم باكٍ، يعني لم يكن هلاكهم حزنًا على أحد، عن أبي مسلم، فهو مَثَلٌ في تحقير المصيبة، وتَوَسُّعٌ في الكلام.

وخامسها: أنه كان يدعي الإلهية، فلما هلك لم يترك سماء ولا أرضًا، كما يقال: مات فلان ولم يترك ولدًا يبكي عليه، يعني لم يترك ولدًا أصلاً.

وسادسها: لم تمطر عليهم سحابة، ولا نبت لهم نبات، ولا جرت العيون في بساتينهم؛ بل صارت كلها لغيرهم، وهم همود تحت التراب، فالبكاء عبارة عن المطر والنبات.

وسابعها: ما بكت عليهم؛ يعني ما لحقهم رحمة، والعرب تدعو للميت، تقول: سقته الغوادي، وسقاه المزن، ويريدون به الرحمة.

وثامنها: قال عطاء: بكاء السماء والأرض حُمْرَةُ أطرافها، قال السدي: لما قتل الحسين بن علي عليه السلام[2]، بكت عليه السماء، وبكاؤها حمرتها، وعن ابن سيرين: أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين .

وتاسعها: أي: لم ينتصر لهم، ولا طلب بثأرهم، كما يفعل قوم من العرب في

(١) عليهما السلام: عليه السلام، ت، ك.
(٢) لم تذكر النسخ القول العاشر كما أشار المؤلف مسبقًا.

البكاء على القتيل، يبكونه بعد قتل قاتله أو من يساويه، ولا يبكون قبل طلب الثأر، عن أبي مسلم[1].

وأوضح الوجوه ما قاله الحسن وأبو علي؛ لأنه حمل البكاء على حقيقته.

«**وَلَقَدْ نَجَّيْنَا**» خلصنا «**بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ**» وهو ما ينالهم من فرعون من الأعمال الشاقة والإهانة «**مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا**» قيل: متكبرًا، وقيل: مستعليًا على العباد، يريد أن يجعلوه إلهًا، عن أبي علي. «**مِنَ الْمُسْرِفِينَ**» يعني مجاوز للحد، ولا إسراف أعظم من ادعاء الربوبية، وقتل النفس بغير حق، وظلم المؤمن بالمال والنفس «**وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ**» أي: اجتبيناهم «**عَلَى عِلْمٍ**» أي: وأنا عالم بحالهم وأنهم أهل للاصطفاء[2] «**عَلَى الْعَالَمِينَ**» قيل: عالمي زمانهم، عن الحسن، وقتادة، ومجاهد، بدليل قوله: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] وقيل: اخترناهم على جميع العالمين بكثرة الرسل، وقيل: أراد به الرسل، فهو عام، والمراد به الخصوص، يعني اخترناهم بالأنبياء[3]؛ ولذلك قال: «**وَآتَيْنَاهُمْ مِنَ الآيَاتِ**» وذلك لا يليق إلا بالأنبياء «**وَآتَيْنَاهُمْ**» أعطيناهم «**مِنَ الآيَاتِ**» من الحجج «**مَا فِيهِ بَلاءٌ مُبِينٌ**» أي: نعمة ظاهرة، قيل: البلاء النعمة، عن الحسن وجماعة، وقال قتادة: هو ما فعل بهم من المن والسلوى والغمام وفلق البحر ونحوه، وقيل: البلاء العذاب، عن الفراء، وقيل: الابتلاء الشدة والرخاء، عن ابن زيد، وقيل: الآيات المعجزات، وفيه نعمة على الأنبياء وعلى قومهم.

۞ الأحكام

تدل الآية على التحذير مِنْ مِثْلِ حالهم إذا جمعوا الأموال، وتركوها، وصاروا إلى العذاب.

---

(١) للاصطفاء: الاصطفاء، ت، ك.

(٢) بالأنبياء: الأنبياء؛ د، ك.

(٣) تعالى: +، ت.

وتدل على أنهم لما استمروا على الضلال فأهلكوا لم يحزن[أحدٌ] بهلاكهم، ولم يترحم، وفيه تحذير عن المعصية.

ويدل قوله: ﴿ٱخۡتَرۡنَٰهُمۡ﴾ على أنه خصهم بالإرسال والمعجزات.

ويدل قوله: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيٗا مِّنَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ أن العلو والسرف كان فعله ليس بخلق الله تعالى حتى نجى الله تعالى[1] عباده منه، ولو كان خلقه[2] لما كان[3] ينجيهم من فعل نفسه.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ٣٤ إِنۡ هِيَ إِلَّا مَوۡتَتُنَا ٱلۡأُولَىٰ وَمَا نَحۡنُ بِمُنشَرِينَ ٣٥ فَأۡتُواْ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٣٦ أَهُمۡ خَيۡرٌ أَمۡ قَوۡمُ تُبَّعٖ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ أَهۡلَكۡنَٰهُمۡۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ مُجۡرِمِينَ ٣٧ وَمَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا لَٰعِبِينَ ٣٨ مَا خَلَقۡنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٣٩﴾.

اللغة

النشر: ضد الطي، والنشور: بعث بعد الموت، ومنه يقال: نشر الله الميت وأَنْشَر، ومنه: نَشَرَت الأرض: أصابها الربيع، فأنبتت، وهي ناشرة، والنبات هو النَّشْرُ.

وتُبَّعٌ: مَلِكٌ من ملوك اليمن، والجمع: تَبَابِعَةٌ، وقيل: سمي تبعًا؛ لأنه يتبع من قبله من الملوك، وقيل: لأنه إذا مات واحد منهم تبعه الآخر، فكان بدلاً منه[4]، يقال: أتبعه بالتخفيف، واتّبعه بالتشديد: حذا حذوه، يقال: ما زلت أتبعه حتى اتبعته، أي[5] لحقته.

---

(١) خلقه: خلقهم، ت.
(٢) لما كان: -، ت؛ لكان، ك.
(٣) بدلاً منه: بدلانه، ت.
(٤) أي: حتى، د، ك.
(٥) بآبائنا: +، ت، ك.

۞ الإعراب

«لاعبين» نصب على الحال، أي: لم يخلقهما في حال اللعب.

۞ المعنى

ثم عاد الكلام إلى ذكر النبي ﷺ، فقال ـ سبحانه ـ: «إِنَّ هَٰؤُلَاءِ» يعني قوم النبي ﷺ وهم مشركو العرب ومكة «لَيَقُولُونَ إِنْ هِيَ إِلاَّ مَوْتَتُنَا الأُولَى» يعني نموت أولاً ثم لا بعث، ولا نشور، ولا دار سوى الدنيا. «وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ» أي: بمبعوثين «فَأْتُوا بِآبَائِنَا»[١] الأُوَل أحياء «إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ» أنا نبعث أحياء بعد الموت، يعني إن صح النشور[٢] في الآخرة صح النشور في الدنيا، فاحيوا آباءنا، وهذا جهل من وجوه:

أحدها: أن النشور للمجازاة، وهي في الآخرة دون الدنيا، ولا تجتمع المجازاة والتكليف.

ومنها: أن الإحياء في دار الدنيا إنما يكون للمصلحة، فربما يكون مفسدة، فذلك غير موقوف على اقتراحهم[٣].

ومنها: أنه يجوز ذلك في الدنيا، إلا أنه لا يفعله[٤].

ومنها: بأي معنى جمعوا بين الأولى والأخرى، فهذا من أضعف الشبه.

فلما تركوا الحجة، وعدلوا إلى الشبهة[٥] جهلاً عدل الكلام إلى الوعيد والوعظ، فقال ـ سبحانه ـ: «أَهُمْ» يعني مشركي مكة «خَيْرٌ» أعز وأمنع وأكثر مالاً وعددًا «أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ» قيل: هو تُبَعٌ الحميري ساق الجيوش، وهدم سمرقند وبناها، عن قتادة، وقيل: ذم الله قومه ولم يذمه، عن كعب، وقيل: لا تسبوا تُبَّعًا، فإنه رجل صالح، عن

(١) النشور: -، ت، ك.
(٢) اقتراحهم: اقترافهم، ت.
(٣) لا يفعله: لا يفعلها، ك.
(٤) الشبهة: الشبه، ك.
(٥) فإنه: -، ت، ك.

عائشة، وقيل: هو الذي كسا البيت، عن سعيد بن جبير، وعن النبي ﷺ: «لا تسبوا تبعًا فإنه[1] قد كان أسلم»، وإنما ذكر تُبَّعًا؛ لأنهم عرفوا أخباره لانتشاره، وقرب زمانه، ومكانه منهم، وكان أتى مكة والمدينة والطائف، وأجرى أنهارًا، وأثر آثارًا، وفتح بلادًا. «**وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**» من الأمم الماضية[2] أ«**أَهْلَكْنَاهُمْ**» لما كفروا و«**كَانُوا مُجْرِمِينَ**» مذنبين كافرين، فليحذروا أن ينالهم مثل ما نال أولئك، وقيل: لولا أن أكثر أهل مكة آمنوا لكان يحل بهم ما حل بقوم تُبَّعٍ.

ثم بَيَّنَ الدلالة على صحة البعث ووجوبه، فقال: «**وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لاَعِبِينَ**» عابثين، يعني لو لم يكن الجزاء مع التخلية في الدنيا لكان جميع ذلك عبثًا، وإنما خرج من كونه لعبًا؛ لأنه خلقهم للتكليف، ويبعثهم للجزاء، وقيل: «**مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ**» قيل: إلا بداعي[3] الحكمة، وقيل: إلا على الحق الذي يستحق به الحمد دون الباطل الذي يستحق به الذم، وقيل: للحق الذي صار إليك في دار الجزاء أي: الحسن، وقيل: إلا لغرض صحيح، وهو[4] أن يطيعوه، فيستحقوا الثواب «**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**» الحق لتركهم النظر، وقيل: لا يعلمون الغرض الذي له خلقنا الأشياء.

الأحكام

تدل الآيات على جهل القوم في إنكار البعث، ولو تفكروا لعلموا أن من يقدر على ابتداء الأجسام يقدر على إعادتها.

وتدل أن ما خُلِقَ إنما خلق بالحكمة، وأن الباطل ليس مِنْ خَلْقِهِ، ولا يكون كذلك إلا وفيه غرض صحيح.

---

(١) الماضية: الخالية، ت، ك.
(٢) بداعي: لداعي، ت، ك.
(٣) وهو: فهو، ت، ك.
(٤) حجة القراءات ٦٥٧.

وتدل على نفي البعث.

وتدل أنه ليس من خلقه.

ويدل قوله: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن المعارف مكتسبة.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

القراءة

قرأ ابن كثير وحفص عن عاصم، ويعقوب: «يَغْلِي» بالياء[(١)]، والباقون بالتاء، والأول على تذكير المُهْلِ، والثاني على تأنيث الشجرة.

وقرأ أبو جعفر وعاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي: «فاعْتِلُوهُ» بكسر التاء، الباقون بضمها، وهما لغتان.

قرأ الكسائي وحمزة: «أنك» بفتح الهمزة على معنى لأنك، الباقون بكسرها على الابتداء[(٢)].

اللغة

الفصل بين الشيئين: الفرق بينهما، ومنه الفصل الحاكم؛ لأنه يفصل الأمور،

(١) حجة القراءات ٦٥٧.

(٢) لأنها: لأنه، ت، د، ك.

والفصيل: ولد الناقة؛ لأنه انفصل عن أمه، والمفاصل: مفاصل العظام، ومنه: ﴿وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [يوسف: ١١١] أي: بيانه، والفرق بينه وبين غيره، ويوم الفصل: يوم القيامة يفصل بين المحق والمبطل.

والوقت: الزمان، والموقوت: الشيء المحدود، والميقات: مصير الوقت، وسميت القيامة ميقاتًا؛ لأنها(١) وقت للجزاء(٢).

والمولى: الصاحب والصديق، والمولى: ابن العم، والمولى: المعتق المنعم عليه، والمولى: الولي، والمولى: الأولى من ذلك.

والمُهْل: شيء يذاب بالنار حتى يشتد حره كالذهب والفضة والرصاص ونحوها، وهو مهل؛ لأنه يمهل في النار(٣) حتى يذوب.

والحميم: الحار.

والعَتْلُ: الذهاب بشدة وعنف، ومنه: العُتُلُّ: الجافي الغليظ، عَتَلَهُ يَعْتِلُهُ عتلاً، وقيل: هي أن تأخذ بِتَلْبِيبِ(٤) الرجل ،فتجره إليك، وقيل: العُتُّل: السريع إلى الشيء.

۞ الإعراب

اختلفوا في محل قوله: ﴿إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُۚ﴾ قيل: محله رفع بدلاً من الاسم المضمر في ﴿يُنصَرُونَ﴾، وإن شئت جعلته ابتداء، وأضمرت خبره، تقديره: إلا من رحم الله، فيغني، وقيل: محله نصب على الاستثناء والانقطاع عن أول الكلام.

﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلًى﴾ الأول والثاني كسر، وأصله مَوْلَيٌ(٥)؛ لأن الياء لما تحركت وقبلها حرف مفتوح قلبتها ألفًا ساكنة.

---

(١) للجزاء: الجزاء، ت، ك.
(٢) حتى يشتد حره. . . النار: +، ت، ك.
(٣) بتلبيب: لباب، د.
(٤) وأصله مولي: وصله وليًا، ت، ك.
(٥) الكريم: -، ت، ك.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ﴾ في أبي جهل، وكان يقول: ما بين جبليها أعز وأكرم مني، عن قتادة. فيقال له يوم القيامة توبيخًا: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾[١] كما زعمت، ولما سمع هذه[٢] الآية جاء بتمر وزبد[٣] قال: نحن [نتزقم][٤] هذا أي: ملاقو[٥] هذا فلا يضرنا، وروي أنه قال: إن كان محمد يوعدنا بالزقوم فتزقموا، فإنا لا نعرف ذلك إلا هذا.

وروي أن النبي ﷺ أخذ بيد أبي جهل وهَذَّهُ، وقال: «أولى لك، ثم أولى لك فأولى» فقال: تهددني يا محمد، والله يا محمد ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بي شيئًا، إني لمن أعز هذا الوادي وأكرمه، فنزلت فيه: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾.

۞ المعنى

ثم عقب الوعيد بذكر القيامة، فقال تعالى: «**إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ**» يعني يوم القيامة، وفيه يفصل الله بين الخلق أمورهم «**مِيقَاتُهُمْ أَجْمَعِينَ**» يعني وقتهم الذي أمهلهم إليه.

ثم وصف ذلك اليوم، فقال تعالى: «**يَوْمَ لاَ يُغْنِي مَوْلًى عَنْ مَوْلًى شَيْئًا**» أي: لا يدفع صديق عن صديق، ولا ابن عم عن ابن عمه، ولا ولي[٦] عن[٧] وليه شيئًا من العذاب الذي نزل به «**وَلاَ هُمْ يُنصَرُونَ**» أي: لا ينصره أحد عن ذلك، «**إِلاَّ مَنْ رَحِمَ اللَّهُ**» الاستثناء[٨] من النفي إثبات يعني مَنْ رَحِمهُ الله من المؤمنين، أي: أنعم عليهم وأنه يغني ويشفع، والرحمة: النعمة على المحتاج، وقيل: لا يشفع أحد لأحد إلا من

---

(١) بهذه: ت، ك.
(٢) وزبد: وزبت، ت.
(٣) نتزقم: نتوهم، ت، د، ك.
(٤) ملاقوا: تلاقوا، ت، ك.
(٥) ولا ولي: ولا مولى، ت.
(٦) عن: من، ك.
(٧) الاستثناء: والاستثناء، ت.
(٨) الغالب والقادر: القادر الغالب، ت، ك.

رحم الله، فأذن له في الشفاعة، «إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ» الغالب القادر[١] الذي لا يمتنع عليه شيء، وهو مع ذلك رحيم، رحم عباده، وينيل بعضهم نفع بعض[٢] في الشفاعة.

ولما كان الفصل للقضاء بين المحق والمبطل، بَيَّنَ ما لكل واحد منهما، فذكر ما أعدَّ لأهل جهنم، فقال ـ سبحانه ـ: «إِنَّ شَجَرَةَ الزَّقُّومِ» وهي شجرة طلعها يأخذ بحلوقهم، ويحرق أجوافهم، وقد تقدم ذلك «طَعَامُ الأَثِيمِ» أي: طعام الفاجر العاصي.

ثم وصف الشجرة[٣] فقال: «كَالْمُهْلِ» قيل: ما أذيب بالنار كالفضة، عن ابن عباس، وابن مسعود، وقيل: المهل دُرْدِيُّ الزيت، عن ابن عباس بخلاف «يَغْلِي فِي الْبُطُونِ. كَغَلْيِ الْحَمِيمِ» الماء الحار المنتهي في الحرارة «خُذُوهُ» أي: ويقال: خذوا الأثيم «فَاعْتِلُوهُ» قيل: بشدة وعنف وجروه إلى الجحيم، وقيل: ادفعوه بسوقه إلى النار «إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ» أي: وسط النار، عن قتادة. «ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ» الماء الحار، ثم يقال له: «ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ[٤] الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ» قيل: هو تهجين[٥]، أي: أنت الذي ادعيت بالعز[٦] والكرم، وما كنت كذلك، وقيل: أنت العزيز في قومك، الكريم عليهم، فاليوم أنت في هذا الهوان، لا ينصرك منهم أحد، وقيل: هو على النقيض، كأنه قيل: أنت الذليل المهان، إلا أنه قيل ذلك[٧] على وجه التبعيد منه، استخفافًا به، وقيل: أنت الذي كنت تطلب العز في قومك، والكرم بمعصية الله تعالى، «إِنَّ هَذَا مَا كُنتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ» أي: تَشُكُّون ولا تؤمنون به، فقد رأيتموه عيانًا.

---

(١) بعض: لبعض، ت.
(٢) الشجرة: الشجر، ت، ك.
(٣) أنت: -، ت.
(٤) تهجين: بتهجين، ت.
(٥) ادعيت بالعز: دعيت بالعزيز، ت، ك.
(٦) ذلك: -، ت، ك.
(٧) مستحق: يستحق، ت.

۞ الأحكام

يدل قوله ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾ أن أهل النار لا ناصر لهم، ولو كان يشفع النبي ﷺ لكان ذلك أعظم نصرة، فيبطل قول المرجئة في الشفاعة لأهل الكبائر.

ويدل قوله: ﴿تَمْتَرُونَ﴾ أن الشك في الدين مذموم، والشاك مستحق[(١)] للعقاب[(٢)].

وتدل[(٣)] على بطلان قول من يقول: إن المعارف ضرورية.

وتدل على أن الشك فعلهم؛ لذلك وبخهم وعاقبهم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ ۖ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

۞ القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «في مُقَام» بضم الميم[(٤)]، [و] الباقون بفتحها، قيل: هما بمعنى واحد، وهو اسم لموضع[(٥)] الإقامة، وقيل: الضم هو المصدر، أي: في إقامة، وبالفتح موضع الإقامة، يقال: أقام بالمكان إقامة ومقامًا ومقامة.

---

(١) للعقاب: العقاب، ت، ك.
(٢) وتدل: فتدل، د.
(٣) حجة القراءات ٦٥٧.
(٤) لموضع: بموضع، ت.
(٥) والتقي: والذي، د.

اللغة

الاتقاء أصله: الاجتناب عن الشيء، والتقي: الخائف يجتنب موضع المخافة، اتقى اتقاء، ومنه التقوى، وهو في الشرع اسم مدح، كاسم المؤمن، والتقي[1] هو اسم لمن اجتنب ما نَهِيَ عنه، وهو على ضربين: اجتناب عن ترك الواجبات، واجتناب عن فعل القبائح، يقال: رجل تقي، ورجل متَّق[2].

والإستبرق: الديباج، قيل له الإستبرق لشدة بريقه، وقيل: اسم مُعَرَّبٌ، ولا يقال: إنه فارسي؛ لأنه ليس في القرآن غير العربي، ولأنه ليس في لغة الفرس إستبرق.

والحُوُر: جمع حوراء، وهو شدة البياض، ومنه الحُوَارِيُّ: لشدة بياضه، وحَوَّرْتُهُ: بَيَّضْتُهُ.

والعيناء: واسعة العين، الحسنة.

والوقاية: حفظ الشيء، وقاه الله وقاية.

والارتقاب: الانتظار.

الإعراب

«**فضلًا**» نصب على المصدر، أي: فضل الله فضلًا، وقيل: بنزع حرف الصفة، أي: ذلك الفضل منه، وقيل: نصب على الحال.

المعنى

ثم عقب الوعيد بذكر ما أعد للمتقين، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِنَّ الْمُتَّقِينَ**» الذين يتقون معاصي الله «**فِي مَقَامٍ**» في[3] موضع إقامة «**أَمِينٍ**» قيل: أمنوا العذاب، وقيل:

(١) متق: متقي؛ ت، د، ك.
(٢) أي: ت، ك.
(٣) بذكر: -، ت.

أمنوا زوال النعمة، وقيل: أمنوا كل ما يُخاف ويُخشى خلاف حال الدنيا «**فِي جَنَّاتٍ**» أي: بساتين فيها أشجار «**وَعُيُونٍ**» أنهار جارية فيها «**يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ**» قيل: نوعان من الحرير، وقيل: السندس الحرير، والإستبرق الديباج الغليظ، عن الحسن، وقتادة، وقيل: إنما خاطب العرب بذكر[1] الثياب لما[2] عظم عندهم واشتهته أنفسهم «**مُتَقَابِلِينَ**» أي: يقابل بعضهم بعضًا، ويقبل بعضهم على بعض، وهم متقابلون بالمحبة، لا متدابرون بالبغضة، وقيل: متقابلين حال الزيادة وإن تفاوتوا في الدرجات، «**كَذَلِكَ**» قيل: كذلك فعلنا بهم، وقيل: كما أكرمناهم بالجنان، أكرمناهم بأن زوجناهم، وقيل: كذلك على تلك الحالة، وقيل: كذلك الأمر في الفريقين[3]، وقيل: كذلك نفعل بكل واحد منهم «**وَزَوَّجْنَاهُمْ**[4] **بِحُورٍ عِينٍ**» وهنَّ[5] النساءُ النَّقِيَّاتُ البياض، وقيل: الحور البيضاء، والعِينُ: واسعة العين[6]، وقيل: العيناء: الشديدة سواد العين، الشديدة[7] بياضها، عن الحسن، وقيل: حار فيهن الطرف لبياضهن، وصفاء لونهن، عن قتادة. «**يَدْعُونَ فِيهَا**» في الجنة «**بِكُلِّ فَاكِهَةٍ**» يشتهون «**آمِنِينَ**» من نفادها وعدمها ومضرتها، وقيل: آمنين من الموت والأوصاب، «**لاَ يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلاَّ الْمَوْتَةَ الأُولَى**» قيل: (إلا) بمعنى (سوى)، وقيل: بمعنى (لكن)، كأنه قيل: لكن الموتة قد ذاقوها، وقيل: بعد الموتة الأولى، وإنما استثنى؛ لأنه أخبر بذلك في الدنيا، فيصح الاستثناء فيها عن القاضي.

ومتى قيل: لِم كان هذا نعمة عليهم مع مشاركة غيرهم من الحيوانات؟

قلنا: لأن فيه بشارة بدوام النعم، فالحياة هنية في الجنة، وأهل النار معاقبون، فيزيدهم بذلك غمًّا.

---

(١) لما: بما، ت.

(٢) الفريقين: فريقين، د، ك.

(٣) وزوجناهم: فزوجناهم، ك.

(٤) وهن: وهي؛ ت، د، ك.

(٥) العين: العيون، ت.

(٦) الشديدة: لشدة، ت.

(٧) جزى: جازى؛ ت،د، ك.

«وَوَقَاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ» أي: خلصهم عنها «فَضْلاً مِنْ رَبِّكَ» أي: ذلك فضل من الله.

ومتى قيل: إذا كان مستحقًّا فكيف يكون فضلاً؟

قلنا: سبب الاستحقاق هو التكليف والتمكين، وهو فضل منه.

وقيل: لأنه خَلَقَ وأنعم، فاستحق أن يُعْبَدَ ويُشْكَر، فإذا جَزَى[1] على الفعل كان فضلاً.

وقيل: لأنه أعطى المستحق وزاد، وأعطى[2] على القليل كثيرًا.

وقيل: إن هذه الأفعال لا منفعة فيها للقديم ـ سبحانه ـ، فإذا أثاب عليها ثوابًا مؤبدًا كان فضلاً.

«ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» الظفر العظيم الشأن «فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ» أي: سهلناه، يعني القرآن كناية عن غير مذكور، وقيل: كناية عن الكتاب، وقد تقدم ذكره في أول السورة، ومعنى «يسرناه» أي: جعلناه بالعربية ليسهل عليك «لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ» أي: ليتذكروا ما فيه من الأمر والنهي، والوعد والوعيد «فَارْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ» أي: ارتقب المجازاة فإنهم مرتقبون، يعني في حكم المرتقب، من حيث يأتيه في عاقبة أمره، فالمحسن يرتقب عاقبة[3] الإحسان، والمسيء عاقبة[4] الإساءة، وقيل: انتظر بهم عذاب الله فإنهم ينتظرون بك الدوائر، وقيل: انتظر النصر والقهر، فإنهم ينتظرون - بزعمهم - قهرك.

الأحكام

تدل الآية أن غير المتقي لا يكون في الجنة.

---

(١) وأعطي: أعطى، د.
(٢) عاقبة: عاقبته، ت، ك.
(٣) عاقبة: عاقبته، ت، ك.
(٤) على: -، ت، ك.

ويدل قوله: ﴿وَوَقَىٰهُمْ﴾ أن أصحاب الجنة قط لا يدخلون النار، خلاف قول المرجئة.

ويدل قوله: ﴿فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ﴾ أنه يقدر على قراءة القرآن.

ويدل على[1] أنه تعالى قادر على أن يجعله بلسان آخر، دل أنه مقدوره ومجعوله[2]، خلاف من يقول: إنه قديم، ولأنه عربي، والقديم لا يكون عَرَبيًّا.

ويدل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ أنه أراد من الجميع أن يتذكروا، خلاف قول المجبرة.

ويدل قوله: ﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ على وعد له ووعيد لهم.

وتدل أن التذكير فعلهم.

(١) ومجعلوه: ومجعلوله، ت.

(٢) وما يبث: وما يبث فيها، ت.

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

سورة (حم الجاثية)، سبع وثلاثون آية، وهي مكية.

وعن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (حم الجاثية) ستر الله عورته، وسكن روعته عند الحساب».

ولما ختم (حم الدخان) بذكر القرآن افتتح هذه السورة بذكره أيضًا.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝٣ وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ۝٤ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝٥﴾.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي ويعقوب: **«وما يبث[1] من دابة آياتٍ»**، **«وتصريف الرياح آياتٍ»** بالكسر فيهما، وقرأ الباقون بالرفع فيهما[2].

أما الكسر فرد على قوله: ﴿لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾[3].

---

(١) حجة القراءات ٦٥٧.

(٢) للمؤمنين: للموقنين، ت، ك.

(٣) على تقدير إن لا: -، ت.

وأما الرفع فعلى الابتداء، وخبره في حرف الصفة.

قال علي بن عيسى: الكسر على تقدير: (إنّ)، لا[1] على وجه العطف على الآيات الأول؛ لأنه لا يجوز العطف على عاملين.

فأما ما روي في قراءة أبي بن كعب: «**وما يبث من دابة لآيات**» بالرفع وإدخال اللام فلا يجيزها[2] الكسائي، كما لا يجيز: في الدار لَزَيْدٌ[3].

۞ اللغة

التنزيل: مصدر نَزَّلَ تنزيلاً، ووضع هذا مَوْضِع مُنَزَّل.

والبث: التفريق، بَثَّهُ يَبُثُّهُ بثًّا.

والدابة في الأصل: ما يدب، وفي العرف: اسم لنوع من الحيوان، وقد ورد القرآن بها على الأصل.

والرزق: العطاء الجاري، وحدُّه في الشرع ما له أن ينتفع به، وليس لأحد منعه.

۞ الإعراب

«**واختلاف**» كسر بتقدير: وفي اختلاف، وكذلك في: (**تصريف الرياح**).

۞ المعنى

«**حم**» قد بَيَّنَّا ما قيل فيه، وأن بعضهم قال: اسم السورة، وبعضهم قال: إشارة إلى أن القرآن معجز، وبعضهم قال: إشارة إلى حدث[4] القرآن، وبعضهم قال: هي مفاتيح أسماء الله تعالى. «**تَنزِيلُ الْكِتَابِ**» أي: أنزله الله في كتابه «**مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**» أي: إنزاله من الله تعالى بأمره، و«**الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ**» قيل: من صفات الله

(١) يجيزها: ولا يجيزه: ت؛ ولا يجزه، ك.
(٢) لزيد: لزيدًا، ت، ك.
(٣) حدث: حدوث، د.
(٤) ولا: لا، ت.

تعالى، والعزيز: القادر [الذي] لا يمتنع عليه شيء، وهو الحكيم العالم، يفعل الأشياء للحكمة، وقيل: هو من صفة الكتاب، أي: كتاب عزيز ممتنع، ولا[1] يصل إليه بتحريف وتبديل[2] ومعارضة أحدٌ، وهو حكيم يشتمل على الحكمة «**إِنَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لآيَاتٍ**» أي: في خلقهما وإمساكهما وتسكينهما، وانتظام حالهما وترتيبهما[3] بما فيهما دليل على مدبر صانع قادر عالم ليس بجسم، ولا يشبهه شيء[4]، قال الحسن: مسافة كل سماء مسيرة خمسمائة عام، وما[5] بين كل أرضين مسيرة خمسمائة عام، وكثافة كل أرض مسيرة خمسمائة عام، وبين كل أرضين خمسمائة عام[6] [«**للمؤمنين**»] خصهم بالذكر؛ لأنهم يتدبرون فيها وينتفعون، وإلا فهو حجة على[7] الجميع «**وَفِي خَلْقِكُمْ**» أي: في خلق البشر من كونه نطفة في الرحم الصورة العجيبة، وإحيائها، وتركيب الحواس والأعضاء، وتنقلها من حال إلى حال «**وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ**» أي: ما فرَّقَ من الحيوانات في الأرض من أنواع مختلفة، وصور متفرقة «**آيَاتٌ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**[8]، **وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ**» أي: في اختلافهما، قيل: أحدهما يجيء خلفَ الآخر، وقيل: اختلافهما: أحدهما نور، والآخر ظلمة، وقيل: اختلاف حالهما من زيادة ونقصان «**وَمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ**» أي: سبب[9] الرزق هو المطر «**فَأَحْيَا بِهِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**» أي: أحياها بالنبات بعد أن كانت بيضاء جُرُزًا لا نبات فيها، فشبهها[10] بالحياة والموت توسعًا «**وَتَصْرِيفِ الرِّيَاحِ**» جعلها مرة شَمالاً، ومرة صبا، ومرة جنوبًا، ومرة دَبُورًا، عن الحسن، وقيل: يجعلها مرة عذابًا،

---

(١) بتحريف وتبديل: تحريف ولا تبديل ومعناه، ت.
(٢) وترتيبهما: وبينهما، د.
(٣) ولا يشبهه شيء: ولا يشبه شيئًا.
(٤) ما: +، ت، ك.
(٥) وبين كل أرضين خمسمائة عام: +، ت، ك.
(٦) على: +، ت، ك.
(٧) يوقنون: يؤمنون، ت، ك.
(٨) سبب: لسبب، ت.
(٩) فشبهها: شبهها، ت.
(١٠) تنزيل: ينزل، ك.

ومرة رحمة، عن قتادة، وقيل: رخاؤها، وعُصُوفها، وحرارتها، وبرودتها «آيَاتٌ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ» ذلك، ويتدبرون فيه.

الأحكام

يدل قوله: ﴿تَنزِيلُ[1] ٱلْكِتَٰبِ﴾ على حدوث القرآن؛ لأن ما كان قديمًا يستحيل عليه الإنزال.

ويدل جميع ما ذكر على صانع حكيم، ووجه الدلالة من وجهين:

أحدهما: ما يختلف من الأحوال ويتجدد، ولا يقدر عليها الواحد منا، فلا بد من صانع حكيم.

والثاني: أن هذه الأشياء محدثة؛ لأنها لا تخلو من المحدثات، ولا تتقدمها، وإذا كانت محدثة[2] فلا بد لها من مُحْدِثٍ، قادر عالم، حي، سميع بصير، قديم، ليس بجسم، ولا عرض، ولا يشبهه شيء، ولا يجوز عليه ما[3] يختص الجسم كالجوارح والأعضاء، ولا يُدْرَكُ بشيء من الحواس، وأنه واحد ليس معه قديم، وأنه حكيم لا يفعل إلا الحسن، ولا يفعل القبيح، فيعلم أن القبيح فعل غيره، وإذا كَلَّفَ فلا بد أن يجازي، وإذا علم أن الشريعة لطف فلا بد أن يبين بأفعاله كما[4] ذكر ما[5] يدل على جميع صفاته، إما بنفسه، أو بواسطة، وتفصيل ذلك يطول، وهو مذكور في كتب المشايخ.

وتدل على أن المعارف مكتسبة؛ إذ لو كانت ضرورية[6] لكان نصب الدليل عبثًا.

(١) كانت محدثة: كان محدثًا، ت، ك.
(٢) ما: -، ك.
(٣) كما: بما، ك.
(٤) ذكر ما: +، ت.
(٥) لو كانت ضرورية: لو كان ضروريًا، ت، ك.
(٦) يؤمنون بالياء: تؤمنون بالتاء، ت؛ حجة القراءات ٦٥٩.

قوله تعالى:

﴿تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍۭ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم: «**يؤمنون**» بالياء[١] على الحكاية، وقرأ ابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب وإحدى الروايات عن عاصم: «**تؤمنون**» بالتاء[٢] على الخطاب. وقرأ ابن كثير وحفص عن عاصم: «**من رِجْزٍ أليمٌ**[٣]» بالرفع، الباقون بالكسر، وهما لغتان.

اللغة

التلاوة: القراءة، وأصله: إثبات الشيء في أثر الأول، ومنه: فلان يتلو فلانًا أي: يأتي بعده. وَيْلٌ: كلمة وعيد.

والأَفَّاكُ: الكذاب، وهو المبالغة في التعظيم لكذبه، وذلك على وجهين:

أولهما: بكثرة خبره بخلاف الحق.

وثانيهما[٤]: بعظم[٥] كذبه في نفسه في خصلة وخصلتين ككذب مسيلمة في ادعاء النبوة، ونقيض كذاب: صِدِّيقٌ؛ لأنه صفة مبالغة في الصدق.

---

(١) تؤمنون بالتاء: يؤمنون بالياء، ت.

(٢) أليم: +، ت، ك.

(٣) التعظيم لكذبة... وثانيهما: -، ت.

(٤) بعظم: تعظيم، ت، عظم، ك.

(٥) لأنه: إلا به، ت.

والأثيم: فاعل الإثم، وهو فعيل بمعنى فاعل، تقول: آثم وأثيم، كقولك: عالم وعليم.

والإصرار: الإقامة على الذنب، والإصرار ينافي التوبة، وهو من صَرَّ الصُّرَّةَ إذا شدها، فكأنه شد الأمر، فلا فرق عليه، أصر فهو مُصِرٌّ.

والاستكبار: التكبر، وهو الترفع عن قبول الحق، استكبر استكبارًا، وتَكَبَّرَ تَكَبُّرًا، أي: تعظم.

وراء: نقيض قدام، ويستعمل بمعنى قدام.

والهدى: الدلالة والبيان.

الإعراب

«هدى» موضعه رفع، لأنه[1] خبر الابتداء، تقديره: هذا القرآن هدى.

و«أليم» متى رفع كان نعتًا للعذاب[2]، وإذا كسر كان نعتًا للرِّجْزِ[3].

المعنى

لما تقدم ذكر الأدلة عقبه بوعيد مَنْ أعرض عنها ولم يتدبر فيها، فقال ـ سبحانه ـ: «تِلْكَ» يعني ما تقدم ذكره من «آيَاتُ اللَّهِ» حججه وبيناته على توحيده وعدله «نَتْلُوهَا» نقرؤها «عَلَيْكَ بِالْحَقِّ» أي: بالصدق، وقيل: لغرض صحيح، وهو أن يقبل منه ويعمل به «فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ» أي: بعد حديث الله، وهو القرآن «وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ» أي: من لم يؤمن بحديث الله وآياته[4] مع أنه أصدق القائلين، فبأي حديث يؤمن؟ أشار إلى أن المعاند[5] لا حيلة فيه، والفرق بين الحديث الذي هو القرآن وبين

(١) للعذاب: للاعراب، ت.
(٢) وإذا كسر كان نعتًا للرجز: وإذا كسر نعتًا للعذاب، ت؛ وإذا كسره كان نعتًا للرجز، ك.
(٣) بحديث الله وآياته: بآيات الله وحديثه، ت، ك.
(٤) المعاند: المعارف، ت.
(٥) كذاب: -، ك.

الآيات أن الحديث قصص وأخبار يبين الحق من الباطل، والآيات أدلة تبين الصحيح من الفاسد «وَيْلٌ» قيل: كلمة وعيد، وقيل: واد سائل من صديد جهنم «لِكُلِّ أَفَّاكٍ» كذاب[1] «أَثِيمٍ» مذنب «يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ» يعني القرآن «تُتْلَى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا» يعني لا يؤمن به؛ بل يقيم على كفره، ويصر على تكبره، ويعرض عن القرآن أَنَفَةً، «كَأَنْ لَمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ» وجيع «وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا» أي: مع[2] أنه لا يقبل الآيات، يستهزئ بها فيزداد ضلالاً «أُوْلَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ».

ثم فسر العذاب، فقال ـ سبحانه ـ: «مِنْ وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ» عبر بلفظ الجمع؛ لأنه أراد جميع الكفار، وقيل: ذكر مرة بلفظ الجمع[3] ومرة بلفظ الواحد؛ لأنه أراد الجنس، والمعنى، قيل: بين أيديهم جهنم، يصيرون إليها، وجاز ذلك؛ لأنه يكون في مستقبل أوقاتهم فيصلح فيه الوجهان، «وَلاَ يُغْنِي عَنْهُمْ» لايكفي في المنع من عظيم ما نالهم من العذاب «مَا كَسَبُوا» من أموالهم وأسباب الدنيا، أي: جمعوها «وَلاَ مَا اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ» قيل[4]: الأوثان التي[5] اتخذوها آلهة، وقيل: الرؤساء وعلماء السوء، يئسوا أن ينالهم من جهتهم ما ينتفعون به «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ».

«هَذَا هُدًى» أي: هذا القرآن دلالة على الدين، به يُعْلَمُ معالم الإسلام، وبه ينجو من العذاب، وبه ينال الثواب، وقيل: هدى أهله[6] إلى طريق الجنة، عن أبي مسلم. «وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ» بحججه، وقيل: القرآن، «لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ أَلِيمٌ» قيل: الرجز: أشد العذاب، وقيل: الرجز: المهل والزقوم المستقذر من طعام أهل النار وشرابهم، يعذبون بها، عن أبي علي، والأليم: الموجع.

(١) مع: +، ت، ك.
(٢) لأنه أراد جميع... الجمع: +، ت، ك.
(٣) قيل: قيل قيل، ك.
(٤) التي: الذي، ت، ك.
(٥) أهله: أطله، د.
(٦) وقرأ: قرأ، د.

الأحكام

يدل قوله: «نتلوها. . .» الآية أنه أراد من الجميع التدبر فيها والإيمان.

ويدل وصفه بأنه حديث على حدثه.

ويدل قوله: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ﴾ على وعيد كل كذاب، فيدخل فيه كل مبتدع وفاسق.

ويدل قوله: ﴿يَسْمَعُ [ءَايَٰتِ ٱللَّهِ]﴾ الآية أن مجرد السماع لا يكفي، حتى يتدبر ويعلم ويفصل، فيستحق الثواب.

ويدل قوله: ﴿هَٰذَا هُدًى﴾ أن القرآن دلالة، وأن الهدى ليس خلق الإيمان، وأنه بمعنى الدلالة، وأن المعرض ههنا يستحق العقاب.

وتدل أن الكفر فعل العبد، ليس بِخَلْقِ الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر: «ليُجْزَى» بضم الياء وفتح الزاي على ما لم يسم فاعله، قال أبو عمرو: وهو لحن ظاهر، وقال الكسائي: معناه ليُجْزَى الجزاء قومًا.

وقرأ[(١)] ابن عامر وحمزة والكسائي[(٢)]: «لنَجْزِيَ قوما» بالنون وكسر الزاي، على

(١) حجة القراءات ٦٦٠.

(٢) وفتح الياء: +، ت، ك.

أن الجزاء مضاف إلى الله ـ تعالى ـ، وفتحوا الياء، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو وعاصم: «لِيَجْزِيَ» بالياء مفتوحة وكسر الزاي وفتح الياء[1] الأخير، ترجع الكناية إلى اسم الله تعالى، وقد تقدم.

وأجمع القراء على كسر الميم في قوله: «جميعا[2] مِنْهُ» أي: من جهته وخلقه، وعن بعضهم: «مَنُّه» بفتح الميم ورفع النون مشددة، والهاء مضمومة يعني جميع ذلك نِعَمُهُ، ولا تجوز[3] القراءة به، ولعله فسره به.

۞ اللغة

التسخير: تذليل الشيء، فتسخير[4] البحر: جَعْلُهُ على وجه تجري فيه السفن، وتسخير السمواتوما فيها من النجوم لتجري على ما قدره الله تعالى لمنافع عباده، وتسخير السحاب: بأن يثبتها حيث يشاء، وتثبيتها حتى تمطر، وتسخير الأرض: جعلها قرارًا، وإخراج النبات منها أقواتًا، كل ذلك من مدبر حكيم.

والتفكر والنظر: طلب المعنى بالقلب، وهو النظر في الأدلة ليعرف الحق.

والأيام: جمع يوم، وهو اسم لساعات[5] النهار، ثم يستعمل في الأوقات، يقال: أيام النِّعَمِ، وأيام المحن، وأيام بني العباس.

۞ الإعراب

«يغفروا» جواب أمر محذوف دل عليه الكلام، تقديره: قل لهم اغفروا يغفروا، [و] قوله: (قل لهم) يغني عنه.

---

(١) جميعًا: -، ت.

(٢) ولا تجوز: فلا تجوز، ت.

(٣) فتسخير: -، ت، ك.

(٤) لساعات: لناحر. بدون نقاط، ت، د، ك.

(٥) يؤمروا: يأمر، د.

النزول

قال ابن عباس ومقاتل: نزل قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ في عمر بن الخطاب، وذلك أن رجلاً من بني عفان شتمه، فَهَمَّ عمر أن يبطش به، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر بالعفو عنه.

وعن ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥] قال يهودي بالمدينة يقال له فنحاص: احتاج رب محمد، فسمع عمر ذلك، فأخذ سيفه وخرج في طلبه، فنزل جبريل ﷺ بقوله: «قل للذين ءامنوا»، فدعا عمر وأمره بالعفو.

قال القرظي، والسدي: نزلت في ناس من أصحاب النبي ﷺ من أهل مكة، كانوا في أذى كبير من المشركين قبل أن يؤمروا[١] بالقتال، فشكوا ذلك إلى رسول الله ﷺ فنزلت الآية، ثُمَّ نسختها آية القتال.

المعنى

عاد الكلام إلى ذكر الأدلة عطفًا على ما تقدم، فقال ـ سبحانه ـ: «**اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ**» أي: خلقه مسخرًا[٢] «**لِتَجْرِيَ الْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ**» تركبونه[٣] في أسفاركم «**وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**» أي: اشكروا هذه النعم «**وَسَخَّرَ لَكُمْ**» أي: لمصالحكم ومنافعكم «**مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ**» أي: جميع ذلك من خلقه، فلا تدعوا له ندًا فيه «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ**» في الأدلة فيعلمون[٤] الحق، وحضهم به[٥]؛ لأنهم ينتفعون بها «**قُلْ**» يا محمد «**لِلَّذِينَ آمَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لاَ يَرْجُونَ**» يعني بترك مجازاتهم على الأذى لهم، وقيل: هو وعيد لهم،

(١) خلقه مسخرًا: خلقها تسخيرًا، ت، ك.
(٢) تركبونه: لركوبه، ت؛ بركوبه، ك.
(٣) فيعلمون: فيعلموا، ت، ك.
(٤) به: +، ت، ك.
(٥) ولعلكم: لعلكم، ت، ك.

كما يقال: دعني وفلانًا، عن أبي مسلم. «لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ» قيل: لا يرجون نعمة الله وثوابه في الآخرة، عن أبي علي، وقيل: لا يخافون عقابه ونقمته بالعُصَاةِ، وقيل: لا يرجون في الدنيا نصرته، ولا في الآخرة جنته، عن أبي مسلم. «لِيَجْزِيَ قَوْمًا» أي: ليكافئهم؛ فإن الله يجازيهم بما يستحقونه «بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ» أي: بما يعملون «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ» أي: منافعه تعود عليه «وَمَنْ أَسَاءَ» أي: بمعصيته «فَعَلَيْهَا» أي: وبالها عليه «ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ» أي: إلى الموضع الذي يحكم فيه بين عباده لا حكم لأحد سواه، فيجازي كل أحد بعمله.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أنه سخر البحر وما في السموات والأرض لمنافع خلقه، وذلك هو الغرض فيه، بخلاف قول المجبرة.

ومتى قيل: كيف التسخير، وكيف الانتفاع، ومن المقصود؟

قلنا: تسخيره خلقه على وجه أراد ذلك، ويتعلق به منافع عباده، والانتفاع قد يقع للدين وللدنيا، والمقصود المكلفون، وما عداهم تبع لهم، خلق لأجلهم.

ويدل قوله: ﴿وَلَعَلَّكُمْ[1] تَشْكُرُونَ﴾ أنه أراد من الجميع الشكر، خلاف قولهم.

ويدل قوله: ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾ على وجوب التفكر في الأدلة.

ويدل قوله: ﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾ أنه تعالى أمر بالرفق معهم.

ثم اختلفوا، قيل: إنه منسوخ، عن ابن عباس، والضحاك، وقتادة، وابن زيد، ومنهم من قال: ليس بمنسوخ؛ لأن مع وجوب القتال يصح[2] أن يؤمر بالرفق، وحسن المقال، ويجوز أن ينهى عن القتال في حال، ويكل المجازاة إلى الله - تعالى -، ولأنه لما بين الآيتين فلا معنى لدعوى[3] النسخ.

ويدل قوله: ﴿لِيَجْزِىَ قَوْمًا﴾[4] أن العقاب جزاء مستحق على الأعمال، ثم أكد

(١) يصح: نسخ، د.

(٢) لدعوى: بدعوى، ت.

(٣) ليجزي قوما: جزاء قوما، ت، د، ك.

(٤) حجة القراءات ٦٦١.

ذلك بقوله: ﴿مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا﴾ الآية، وكل ذلك ترغيب في الطاعة، وتحذير من المعصية.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «**سواءً محياهم**» بالنصب[1]، الباقون بالرفع، أما النصب فعلى تقدير: نجعلهم سواء، ومَنْ رَفَعَ فعلى الابتداء والخبر.

القراءة الظاهرة: «**مَمَاتُهُمْ**» بالرفع، وعن الأعمش بنصب التاء على الظرف، أي: في محياهم[2] ومماتهم.

اللغة

الحكم: فصل الأمر على موجب الحكمة والحق، حكم يحكم حكمًا، وحَكَّمَهُ تحكيمًا، وأَحْكَمَ العمل إحكامًا، واستحكم الشيء بينهم استحكامًا، وحاكمته إلى الحاكم محاكمة.

---

(١) في محياهم: ومحياهم، ت.

(٢) الوقت والتوظيف: توقيت وتوظيف، ت، ك.

والرزق: العطاء الجاري على الوقت والتوظيف[١].

والبغي[٢]: طلب الرفعة بما لا يسوغ في الحكمة، وأصله من الطلب.

والشريعة: العلامة المؤدية إلى المقصود من الخير[٣]، والشريعة: الطريقة.

۞ الإعراب

﴿بَغْيًا﴾ قيل: نصب على الحال. ﴿سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾ على الابتداء والخبر.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ الآية في نفر من مشركي مكة، قالوا للمؤمنين: إن كان ما تقولون حقًا لنفضلن عليكم في الآخرة كما فضلنا عليكم في الدنيا.

وقيل: نزلت في شيبة وعتبة[٤] والوليد. قالوا يوم بدر للذين[٥] [آمنوا علي وحمزة وعبيدة بن الحارث حين برزوا إليهم فقتلوهم].

۞ المعنى

لما تقدم ذكر نعمه ومقابلتهم ذلك بالكفران، بَيَّنَ ما كان من بني إسرائيل من مقابلة النعم بالكفران، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَلَقَدْ آتَيْنَا**» أي[٦] أعطينا «**بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ**» يعني التوراة، وقيل: كتب الأنبياء في بني إسرائيل، عن أبي علي، وقيل: ما كتبه الله عليهم من الفرائض والأحكام، عن أبي مسلم. «**وَالْحُكْمَ**» قيل: العلم بالدين، وقيل: الحُكْمُ: الفصل في الأمور[٧] بين الناس «**وَالنُّبُوَّةَ**» فبعث منهم أنبياء «**وَرَزَقْنَاهُمْ**

(١) والبغي: البغي، د.

(٢) والشريعة العلامة المؤدية إلى المقصود من الخير: -، ت، ك.

(٣) شيبة وعتبة: عتبة وشيبة، ت.

(٤) قالو يوم بدر للذين: -، ت.

(٥) أي: +، ت، ك.

(٦) الأمور: الأمر، ت.

(٧) العلم: الحق، ت.

مِنَ الطَّيِّبَاتِ أي: أعطيناهم من أنواع الطيبات، وقيل: المراد به المن والسلوى في التِّيهِ «**وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ**» قيل: عالمي زمانهم، عن الحسن، وقيل: على جميع العالمين بكثرة النبيين فيهم، وفضل أمة محمد بكثرة العلماء فيهم، والعالمين بالحق منهم «**وَآتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِنَ الْأَمْرِ**» وهو أحكام التوراة «**فَمَا اخْتَلَفُوا**» في أمر دينهم «**إِلاَّ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ**[١]» لم يختلفوا في شرائع رسلهم لقصور في البيان، إنهم اختلفوا بعد[٢] ما جاءتهم البينات لكن «**بَغْيًا بَيْنَهُمْ**» أي: طلبًا للرياسة، وتركًا لبيان[٣] الله ـ تعالى ـ «**إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ**» أي: يحكم ويفصل «**يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ**» فيقضي بين المحق والمبطل، فيثيب المؤمن، ويعاقب الكفار، وينتصف للمظلوم من الظالم «**ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ**» أي: طريقة وسُنَّةٍ «**مِنَ الْأَمْرِ**» من الدين، وهو الإسلام «**فَاتَّبِعْهَا**» أي: اتبع الشريعة، بأن تعمل بها «**وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لاَ يَعْلَمُونَ**» أي: لا تتبع الجهال، قيل: إنما قال ذلك لما دعي إلى دين آبائه «**إِنَّهُمْ**» يعني الذين لا يعلمون، وهم الكفار «**لَنْ يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا**» أي: لا يدفعون عذابًا إن نزل[٤] بك «**وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ**» يعني الظالمين ينصر بعضهم بعضًا، ويوالي بعضهم بعضًا «**وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ**» أي: ناصرهم «**هَذَا**» يعني القرآن «**بَصَائِرُ لِلنَّاسِ**» أي: معالم في الدين، يبصرون بها أمور دينهم «**وَهُدًى**» بيان[٥] ودلالة «**وَرَحْمَةٌ**» أي: نعمة «**لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ**» خصهم لانتفاعهم به «**أَمْ حَسِبَ**» (أم) ههنا استفهام، معطوف على معنى مضمر[٦]، تقديره: هذا القرآن بصائر تؤدي إلى الجنة أفعلموا[٧] ذلك، أم حسبوا أن نجعل المؤمن والمجرم سواء، عن أبي مسلم، ومعنى «**أَمْ حَسِبَ**» أي: أم ظن «**الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ**» عملوا بالمعاصي «**أَنْ نَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ**» أي: يظنون

(١) بعد: -، ت، ك.
(٢) دون ترك البيان من: وتركا لبيان، ت، ك.
(٣) نزل: ينزل، ت، د، ك.
(٤) بيان: بيانًا، ت، ك.
(٥) مضمر: بضم، ت، ك.
(٦) أفعلموا: فعلموا، ت، د، ك.
(٧) بئس: تبين، د، ك.

استواء حال المطيع والعاصي في الثواب، بئس[1] الحكم ذلك؛ لأن المؤمن ممدوح في الدنيا، مثاب مُعَظَّمٌ في الآخرة، والعاصي مذموم في الدنيا، معاقب في الآخرة، قال قتادة: تفرقوا في الدين، وتفرقوا عند الموت، وتباينوا عند المصير.

۞ الأحكام

تدل الآيات على بطلان قول[2] المجبرة من وجوه:

منها: أنه لا اختلاف بعد مجيء العلم احتجاجًا عليهم أن عند العلم لا ينبغي أن يختلفوا، فلو كان الخلاف هو الذي خلقه فيهم لم يكن للذم والاحتجاج معنى، ولا لكونه[3] بعد العلم أو قبله فرق[4].

ومنها: قوله: «**للناس**» أن اختلافهم للبغي، وعندهم يخلق الاختلاف فيهم.

ومنها: قوله: ﴿يَقْضِى بَيْنَهُمْ﴾ ولو كان جميع أفعالهم خلقًا له[5] لكان يحكم لنفسه على نفسه.

ومنها: قوله[6]: ﴿فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ﴾ ولو كان خلقًا له لم يكن للأمر والنهي معنى؛ لأن الأمر موقوف على خَلْقِهِ.

ويدل قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ﴾ على أن لا ناصر للظالمين، فيدل[7] أنه لا شفيع لهم.

ويدل قوله: ﴿هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ﴾ أن القرآن حجة يجب تدبره.

ويدل قوله: ﴿أَمْ حَسِبَ﴾ أنه لا يستوي المطيع والعاصي، وإن قال: هما سواء فحكمه[8] بئس الحكم، فدل على قولنا في الوعيد والمنزلة بين المنزلتين.

---

(١) بطلان قول: -، ت، ك.
(٢) لكونه: ولا بكونه، ت.
(٣) فرق: فرقًا، ت، ك.
(٤) له: -، ت.
(٥) ومنها قوله: -، ت.
(٦) فيدل: بل، ت، ك.
(٧) فحكمه: يحكمه، ت.
(٨) حجة القراءات ٦٦١.

قوله تعالى:

﴿وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «غَشْوَةً» بفتح الغين وسكون الشين بغير ألف على معنى وقعة[١]، وقرأ الباقون بالألف وكسر الغين وفتح الشين، والمعنى واحد، وهو الغطاء، يقال: غشيت الشيء غطيته، ومنه: الغاشية للسرج.

اللغة

الهوى: هوى النفس مقصور، والهواء: الجو ممدود، وهوى النفس: هو الميل إلى مَنْ تُحِبُّهُ، وهو مذموم على الإطلاق، ويقال فيما[٢] يضاف إلى ما لا[٣] يذم، فيقال: هواي مع صاحب الحق، أي: ميلي، وهوت الناقة تَهْوِي هُوِيًّا: إذا جرت[٤] شديدًا، والهواء: الجو، أصله من الجو.

والدهر: الزمان. وروي في حديث ابن مسعود: «وما يهلكنا إلا دهر يمر» وهذا محمول على التفسير، وفي الحديث: «لا تسبوا الدهر؛ فإن الله هو الدهر»، فمعناه: أن العرب كانت تقول عند النوازل: أصابنا الدهر، فقيل[٥] لهم: لا تسبوا

(١) فيما: +، ت، ك.
(٢) لا: -، ت.
(٣) جرت: عدت، ت، ك.
(٤) فقيل: وقيل، ت.
(٥) وأما: فأما، ت، ك.

فاعل ذلك، فإن الله فاعله، ويقال: دَهْرٌ دَهِيْر، ودهرهم أمر: نزل بهم، وأما[١] قول سطيح:

الـــدَّهـــرُ أَطْـــوَارٌ دَهَـــارِيـــرُ[٢]

فالدهارير: جمع دهور، وهو الدهر، أراد أن الدهر ذو[٣] حالين: بؤس ونعيم.

۞ الإعراب

﴿ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾ (آياتنا) قام مقام الفاعل، و(**بينات**) مقام المفعول، فوقع ذلك اسم ما لم يسم فاعله، لإسناد الفعل إليه.

﴿حُجَّتَهُمْ﴾ نصب لأنه خبر (كان).

﴿إِلَّآ أَن قَالُوا۟﴾ الاسم، تقديره: ما كان حجتهم إلا قولهم.

۞ النزول

عن سعيد بن جبير، كانت العرب تعبد عزى، وهو حجر أبيض حَسَن، وكانوا يعبدون الحجارة والذهب والفضة، فإذا وجدوا شيئًا أحسن من الأول رموه أو كسروه أو ألقوه في بئر، وعبدوا الثانية، فأنزل الله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ﴾ الآية.

وعن[٤] مقاتل: نزلت الآية في الحرث بن قيس السهمي أحد المستهزئين، كان يعبد ما تهواه نفسه[٥].

---

(١) اللسان (طور)، البيت ينسب لسطيح الكاهن وتكملة البيت:

إن يمس مُلكُ بني ساسان أفرطهم ... فــإن ذا الــدهــر أطــوار دهــاريــرُ

(٢) ذو: ذوا، ك.

(٣) وعن: عن، ت، ك.

(٤) ما تهواه نفسه: ما يهواه لنفسه، ت.

(٥) عقاب: -، ت، ك.

المعنى

لما بَيَّنَ تعالى أنه لا يستوي المحق والمبطل أكد ذلك، فقال ـ سبحانه ـ: «وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ» قيل: الحق هو الجزاء، وقيل: لغرض صحيح حق، لو لم يكن جزاء ما كان ذلك حقًا، فاعلموا أنه للجزاء «وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ» يُكَافَأ كل أحد «بِمَا كَسَبَتْ» عملت «وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» ببخس ثواب مستحق، أو زيادة عقاب[1] غير مستحق «أَفَرَأَيْتَ» يا محمد «مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ» قيل: اتخذ دينه ما يهواه، فلا يهوى شيئًا إلا ركبه؛ لأنه لا يؤمن بالله ولا يخافه، ولا يبني أمر دينه على حجة، فاتبع هواه في أموره لا بحجة تقوى، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وقيل: مَنْ اتخذ معبوده هواه، فيعبد ما يهوى دون ما دلت الدلالة على أن العبادة تحق له، وهواه معناه ما يهواه، وروي عن الحسن هواه إلههُ [ابن الفضل: في هذه الآية تقديم وتأخير مجازه أفرأيت من][2]: اتخذ هواه إلهه[3]، وعن الشعبي: إنما سمي الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار. «وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ» قيل: وجده الله ضالاً على علم أنه يضل قبل ظهور الضلال منه، ونظيره: قول عمرو بن معدي كرب: (قاتلناهم فما أجبناهم، وسألناهم فما أبخلناهم، وقاولناهم فما أفحمناهم)، أي: ما وجدناهم كذلك، وقيل: حكم بضلاله على علم منه، أي: هو عالم بأنه ضال، وقيل: أضله عن ثوابه وجنته، وهو عالم بأنه لا يستحق ذلك، عن أبي علي. «وَخَتَمَ عَلَى سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ» قيل: وسم عليها سمة الأعداء علامة للملائكة لتلعنه، وقيل: خذله وخلاه وما اختاره، حتى استحكم عادة السوء في قلبه، فلم يكن[4] يسمع الحق ولا يفهمه، إعراضا واستثقالاً[5]، كمن لا يسمع ولا يفهم حقيقة، وإذا[6] ألف الفسق والدرع لم ينجع فيه الحق، فكأنه مختوم على قلبه وعينه «وَجَعَلَ عَلَى بَصَرِهِ غِشَاوَةً» أي: غطاء، يعني

---

(١) تفسير القرطبي: ١٦/ ١٤٤.
(٢) هواه إلهه: إلهه هواه، ت، د، ك. والتصحيح تفسير القرطبي ١٦/ ١٤٤.
(٣) يكن: +، ت.
(٤) واستثقالاً: استقلالاً، ت.
(٥) وإذا: فإذا، ت، ك.
(٦) يصير: يصر، ك.

يصير[1] كأنه كذلك من حيث لا يبصر الحق[2] تشبيهًا، عن أبي علي. «**فَمَنْ يَهْدِيهِ**» إن لم يهتد بهدي الله فمن يهديه سواه؟ وقيل: إذا لم يهده الله إلى الجنة فمن يهديه، عن أبي علي. «**أَفَلَا تَذَكَّرُونَ**[3]» يعني أفلا تتفكرون في هذا حتى تفهموه «**وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَّ حَيَاتُنَا الدُّنْيَا**» أي: لا دار سوى هذه الدار «**نَمُوتُ وَنَحْيَا**» أي: نموت فيها ونحيا نحن من غير صانع، واختلفوا، فقيل: هو على التقديم والتأخير، أي: نحيا ونموت من غير إعادة، وقيل: نموت ويحيا أولادنا، وقيل: يموت بعضنا ويحيا بعضنا، كقوله: ﴿فَاقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ [البقرة: ٥٤] أي: بعضكم بعضًا «**وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَّ الدَّهْرُ**» أي: ما يقتلنا إلا مرور الزمان، وطول العمر؛ إنكارًا منهم للصانع «**وَمَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ**» أي: ما يقولونه ليس ذلك عن حجة وعلم؛ بل ظنًا وتقليدًا «**إِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ**».

«**وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا**» حججنا «**بَيِّنَاتٍ**» واضحات «**مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ**» على رسلنا «**إِلاَّ أَنْ قَالُوا ائْتُوا بِآبَائِنَا إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**[4]» يعني آباءنا الذين ماتوا أحياء حتى نصدقكم، إن كنتم صادقين في دعواكم.

الأحكام

يدل قوله: «**ولتجزى**» على أن الثواب والعقاب جزاء على الأعمال.

ويدل أن أفعالهم حادثة من جهتهم؛ ليصح الجزاء.

ويدل قوله: ﴿لَا يُظْلَمُونَ﴾ أنه لا يعذب أحدًا بغير ذنب، وكل ذلك يبطل قول المجبرة.

ويدل قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ أن الواجب اتباع الدليل دون الهوى والتقليد.

ويدل قوله: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ﴾ أن المعارف مكتسبة، وكذلك قوله: ﴿إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾.

ويدل على أن الظن مذموم في أصول الدين.

---

(١) الحق: الخير، ت، ك.

(٢) أفلا تذكرون: أفلا تتفكرون، ت.

(٣) إن كنتم صادقين: الأولين. ت، ك.

(٤) أئتوا: فأتوا، ت، د، ك.

ويدل قوله: ﴿ٱئۡتُواْ[1] بِـَٔابَآئِنَآ﴾ على جهل القوم من وجوه:

منها: أنهم لم يعلموا أن الجزاء في الآخرة، وأنه لا بعث في دار[2] الدنيا.

قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱللَّهُ يُحۡيِيكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يَجۡمَعُكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَيَوۡمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوۡمَئِذٖ يَخۡسَرُ ٱلۡمُبۡطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗۚ كُلُّ أُمَّةٖ تُدۡعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَوۡنَ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾.

القراءة

قرأ يعقوب: «جَاثِيَةً كُلَّ أمة» بالنصب[3]، لقوله[4] «وترى»، وهو مروي عن الأعرج، والقراءة السبعة على الرفع على الابتداء.

اللغة

الخسران: ذهاب رأس المال. والجثي: مصدر جَثَا يَجْثُو جُثُوًّا وجَثْوًا وجُثِيًّا، وقوم جُثِيٌّ، وهو جاثٍ. والاستنساخ: الاستكتاب، وقال الزجاج: لا يكون إلا من أصل كتاب إلى كتاب، والنسخ: إزالة الشيء وإقامة غيره مقامه، وفي الحديث: «لم تكن نبوة إلا [تناسخت]» يعني حولت من حال إلى حال، أي: أمر الأمة.

(١) دار: +، ت، ك.
(٢) القرطبي ١٦/ ١٥٠.
(٣) لقوله: بقوله، ت.
(٤) ابتداء: -، ت.

۞ المعنى

ثم رد الله تعالى عليهم قولهم، واحتج لصحة البعث، فقال ـ سبحانه ـ: «**قُلِ**» يا محمد لهم «**اللَّهُ يُحْيِيكُمْ**» في الدنيا «**ثُمَّ يُمِيتُكُمْ**» فيها، يعني من أحياكم ابتداء[1] وأماتكم هو الذي يحييكم ثانيًا[2]، فليس الثاني أعجب من الأول. «**ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» لفصل القضاء وإيفاء الجزاء «**لاَ رَيْبَ فِيهِ**» أي: لا شك «**وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَعْلَمُونَ**» قيل: لا يعلمون الله حق معرفته، حتى يعلموا صحة البعث، وقيل: لا يعلمون الحق من الباطل، وقيل: لا يعملون أن من شرط[3] حسن التكليف الإعادة[4] والجزاء «**وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ**» أي: القيامة «**يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ الْمُبْطِلُونَ**» وهو القائل بالباطل[5]، والمعتقد له، والعامل[6] به، وإنما كان خاسرًا؛ لأنه يدخل النار فهلك نفسه، قيل: المبطل خاسر في الأحوال كلها، ولكن يظهر الخسران يوم القيامة «**وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً**» أي: جماعة، قيل: الملل المختلفة، عن ابن عباس، وقيل: أرباب الملل الباطلة والعصاة، عن الحسن، وأبي علي، وهو الوجه، وقيل: بل كل الأمم المؤمن والكافر يجثو على ركبتيه للخصومة، فالمؤمن يفعل ذلك ليخاصم الظلمة، فيظهر المحق من المبطل، فيزداد سرورًا، والظالم يزداد غمًّا «**جَاثِيَةً**» باركة على ركبها، عن مجاهد، والضحاك، وابن زيد. «**كُلُّ أُمَّةٍ**» من أمم الأنبياء «**تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا**» قيل: الكتب التي فيها أعمالهم، كتبها الحفظة ليجازى[7] عليها، عن الحسن، وقيل: كتابها المنزل على رسولها؛ ليسألوا عما عملوا به «**الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ**

---

(١) ثانيًا: بآياتنا، ت.

(٢) من شرط: +، ت.

(٣) الإعادة: -، ت؛ عادة، ك.

(٤) له: +، ت.

(٥) والعامل: والقائل، ت.

(٦) ليجازي: ليجازوا، ت.

(٧) قيل: -، ت.

تَعْمَلُونَ» من الخير والشر «هَذَا كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ» قيل[1]: ديوان الحفظة المعقود عليهم، وفيه شهادة الملائكة، وأضاف النطق إلى الكتاب توسعًا من حيث يفهم منه كما يفهم بالحي من النطق، وعن علي عليه السلام[2]: «تخرج[3] لله ملائكة ينزلون في كل يوم يكتبون أعمال بني آدم»، عن ابن عباس، وقيل: تثبت، عن الضحاك، وقيل: تكتب، عن السدي، وقيل: تحفظ، عن الحسن، يعني تثبت منه، ثم يعارض ما كتبوه ما في اللوح المحفوظ، فما كان مباحًا أمر بمحوها، وما كان طاعة أو معصية أثبتوها «فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ» أي: نعمته[4]، وهي الجنة «ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ» الظفر «الْمُبِينُ» الظاهر.

الأحكام

يدل قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن المحق في كل زمان هم الأقل، والأكثر مقلدة مبطلة.

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: ﴿ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ﴾ على أن الثواب والعقاب جزاء على الأعمال، وأن تلك الأعمال فعل العبد ليس بخلق الله تعالى.

ويدل قوله: ﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا﴾ أن أعمالهم مكتوبة محفوظة، وأنهم يشهدون عليهم، وفيه لطف للمكلف[5]؛ لأن علمه بذلك يدعوه إلى التحرز عن المعاصي.

(١) عليه السلام: +، ت.
(٢) تخرج: إن؛ ت، ك.
(٣) نعمته: نعمه، ت، ك.
(٤) للمكلف: المكلف، ت.
(٥) حجة القراءات ٦٦٢.

قوله تعالى:
﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾ وَبَدَا لَهُمۡ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلۡيَوۡمَ نَنسَىٰكُمۡ كَمَا نَسِيتُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا وَمَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذۡتُمۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوٗا وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَاۚ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُخۡرَجُونَ مِنۡهَا وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

القراءة

قرأ حمزة: «والساعةَ» بالنصب عطفًا على قوله: ﴿وَعۡدَ ٱللَّهِ﴾[1]، وروي نحوه عن يعقوب وأبي رجاء العطاردي، وقرأ الباقون: «والساعةُ» بالرفع على الابتداء، وخبره فيما بعده، يؤيده قوله: ﴿إِنَّ ٱلۡأَرۡضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ وَٱلۡعَٰقِبَةُ﴾ [الأعراف: ١٢٨] بالرفع لا غير.

وقرأ حمزة والكسائي: «يَخرُجون» بفتح الياء، أضاف الخروج إليهم[2]، الباقون بضمها على ما لم يسم فاعله.

قراءة العامة: ﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلۡأَرۡضِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ بالكسر على أنه نعت لله، وعن ابن محيصن: بالرفع على تقدير: هو رب السموات.

اللغة

الاستكبار: استدعاء التعظيم، ونظيره: التكبر، وهو الإعراض عن الحق أنفة[3] وتعظمًا.

---

(١) حجة القراءات ٦٦٢.
(٢) أنفة: أبية، د.
(٣) فيه قيل: +، ت، ك.

والجَرْمُ: القطع، والإجرام: الانقطاع إلى الفساد.

وأيقن واستيقن وعلم بمعنى، وهو أن تسكن النفس إلى أن معتقده على ما اعتقده عليه.

والبُدُوُّ: الظهور، بدا يَبْدُو بُدُوًّا.

والحيقُ: ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله، حاق به الأمر يحيق: إذا لزمه ووجب عليه.

والاستعتاب: الإقالة، استعتبه: إذا استقال فأقاله، وعتب عليه: إذا وجد عليه، فإذا فاوضه فأعتب عليه فيه، قيل[1]: عاتبه، فإذا رجع إلى مسرتك فقد أعتب، والاسم العتبى.

۞ الإعراب

يقال: ما جواب (أما) في قوله: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟﴾.

قيل: في قوله: ﴿أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى﴾ إلا أن الألف تقدمتها؛ لأن لها صدر الكلام، وهو ألف استفهام[2] والمراد التقرير.

وقيل: جوابه محذوف، والفاء في قوله: ﴿أَفَلَمْ﴾ دليل عليها، تقديره: يقال[3] لهم «ألم»، عن الزجاج.

فأما قوله: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُم﴾ [آل عمران: ١٠٦]» فجوابه محذوف، وتقديره: يقال لهم: أكفرتم.

۞ المعنى

لما تقدم الوعد عقبه بالوعيد، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ**» أي: يقال لهم توبيخًا وتهجينًا: إذا عاينوا العذاب «**أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي**» حججي في التوحيد والعدل، وقيل: القرآن وسائر الأحكام «**تُتْلَى عَلَيْكُمْ**» أي: تقرأ «**فَاسْتَكْبَرْتُمْ**» أي:

---

(١) الاستفهام: ت؛ وهو ألف استفهام: -، د.

(٢) يقال: -، د.

(٣) ندري: لا تدري، ك.

ترفعتم عن استماعها، وأنفتم عن قبولها، وأعرضتم عن النظر فيها «وَكُنتُمْ قَوْمًا مُجْرِمِينَ» مصرين على الآثام، «وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ» بالجزاء «حَقٌّ» وصدق «وَالسَّاعَةُ لاَ رَيْبَ فِيهَا» أي: لا شك في كونها «قُلْتُمْ» أيها الكافرون «مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ» أي: لا ندري[1] حديث القيامة أنه حق «إِنْ نَظُنُّ إِلاَّ ظَنًّا» يعني من كثرة ما يردد على ألسنة الرسل والمؤمنين[2] نظنه ولا نعلمه[3] «وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ» يعني لا نعلم يقينًا أنها كائنة «وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا» قيل: ظهر[4] أعمالهم القبيحة فكانوا يظنونها حسنة، وقيل: ظهر جزاء أعمالهم السيئة، وكانوا يعدونها طاعة «وَحَاقَ بِهِمْ»[5] قيل: حل بهم، وقيل: وجب «مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُون» من العذاب، وقيل: وبال استهزائهم «وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسَاكُمْ» قيل: نترككم في العذاب، عن ابن عباس، والنسيان لا يجوز عليه تعالى؛ لأنه عالم لذاته، ولكن تركناكم في العذاب كما تركتم الإيمان بيومكم هذا، وقيل: كما لم تحفظوا ما أنذرتم من لقاء هذا اليوم، كذلك لا تحفظون اليوم وتطرحون، والنسيان ضد الحفظ، والحفظ مراعاة الشيء، عن أبي مسلم، وقيل: نترككم في العذاب بمنزلة المنسي، عن أبي علي. «وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ» أي: منزلكم ومقامكم فيها «وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ» ينجونكم[6] من العذاب «ذَلِكُمْ» يعني هذا العذاب الذي أنزل بكم، «بِأَنَّكُمُ[7] اتَّخَذْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ» أي: كتبه وحججه «هُزُوًا» أي: استهزاء ولعبًا «وَغَرَّتْكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» أي: ملاذها وزينتها، وأضاف الغرور إليها توسعًا؛ لأنها سبب الغرور «فَالْيَوْمَ لاَ يُخْرَجُونَ مِنْهَا» أي: من العذاب «وَلاَ هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ» أي: لا تقبل منهم العتبى، وهو إعطاء الرضا؛ لأنهم في حال إلجاء، وقيل: لا يسترضون بأن يطلب منهم الخروج[8] مما وجب عليهم العتب لأجله، وهو التوبة، أي: لا يطلبون

---

(١) والمؤمنين: المؤمنين، ت.

(٢) يعني من كثرة... ولا نعلمه: +، ت، ك.

(٣) ظهر: −، د.

(٤) وحاق بهم: −، ك.

(٥) ينجونكم: −، ت.

(٦) بأنكم: لأنكم، ت، د، ك.

(٧) منهم الخروج: أن يخرجوا، ت، ك.

(٨) إنعامه: أفعاله، ت.

بالتوبة، عن أبي مسلم، وقيل: لا يراجعون إلى مكالمتهم «**فَلِلَّهِ الْحَمْدُ**» أي: الشكر في إنعامه[1] بالجزاء والإنصاف، والانتصاف، وتمييز المحسن من المسيء «**رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ. وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ**» أي: العظمة والعلو والرفعة، وقيل: أراد عظيم نعمته على أهل السمواتوالأرض «**وَهُوَ الْعَزِيزُ**» أي: القادر على ما يشاء لا يمتنع عليه شيء «**الْحَكِيمُ**» قيل: العالم، وقيل: المحكم لأفعاله، فلا يعاب[2] في شيء منه، ولا يفعل إلا الحسن الجميل.

الأحكام

يدل قوله: ﴿فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ﴾ أن المانع[3] من جهتهم، وهو التكبر والأنفة، خلاف قول المجبرة: إن الله منعهم.

ويدل قوله: ﴿إِن نَّظُنُّ﴾ أن المعارف ليست ضرورية.

ويدل قوله: ﴿وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ أن الكفار لا شفاعة لهم، وأجمع المسلمون على ذلك.

ويدل قوله: ﴿وَغَرَّتۡكُمُ﴾[4] أن الواجب على العاقل ألاّ يغتر بالدنيا؛ بل يتفكر في العاقبة.

ويدل قوله: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡحَمۡدُ﴾ أنه لا يفعل القبيح؛ إذ لو كان كل قبيح منه لما استحق الحمد.

---

(١) فلا يعاب: فلا يعان، ت.
(٢) المانع: المنافع، ت، ك.
(٣) وعزتكم: غرتكم، ت، د، ك.
(٤) رمل: رجل، د.

سُورَةُ الأَحْقَافِ

سورة (الأحقاف) مكية، وهي خمس وثلاثون آية.

وعن أبي بن كعب أن النبي ـ صلى الله عليه قال: «من قرأ سورة (الأحقاف) أعطي من الأجر بعدد كل رمل[1] في الدنيا عشر حسنات، ومُحِيَ عنه عشر سيئات، ورفع له عشر درجات».

ولما ختم سورة[2] (الجاثية[3]) بذكر التوحيد، وذم أهل الشرك ووعيدهم، افتتح هذه السورة بمثل تلك، وبما[4] يلزمهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ۝٣ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَٰفِلُونَ ۝٥﴾.

---

(١) سورة: السورة، ت، ك.
(٢) الجاثية: -، ت، ك.
(٣) وبما: وما، ت.
(٤) القرطبي ١٦/ ١٥٤.

القراءة

قراءة العامة: «قل أَرَأَيْتُمْ» وهي كذلك في مصاحف الأمصار، وفي مصحف عبد الله بن مسعود: «قل أَرَأيتكم».

قراءة العامة: «أو أثارة» بالألف، وعن علي بن أبي طالب عليه السلام: «أو أَثَرَةٍ» بفتح الهمزة[1]. والثاني على ما يؤثر، وقيل: فصل من آثر يؤثر إيثارًا، وعن عكرمة: أو ميراث من علم.

اللغة

التنزيل: مصدر نَزَّلَهُ تنزيلاً؛ لأنه منزل، فوضع المصدر موضع الاسم.

والأجل: الوقت.

والأثارة: أصلها من الأثر، وهو الرواية، يقال[2]: أَثَرْتُ الحديث آثُرُهُ أَثَرَةً وأَثَارَةً، كالشجاعة والجلادة والصلابة، وقيل: الخبر أثر من ذلك، والاسم أثر، قال الأعشى:

إنَّ الَّذِي فِيهِ تَمَارَيْتُمَا بُيِّنَ لِلسَّامِعِ وَالْآثِرِ[3]

والأثارة، والأَثَرُ: البقية أيضًا، يقال[4]: بهذه[5] الناقة أثارة من سمن، أي: بقية من سمن، قال الراعي[6]:

وذاتِ أَثَارةٍ أكلتَ عليها[7]

(١) يقال: فقال، ت.

(٢) البيت قائله الأعشى أنظر: تاج العروس (أثر)، وانظر ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت، ١٩٩٩. الصحاح (أثر)، واللسان (أثر).

(٣) يقال: فقال، ت.

(٤) بهذه: لهذه، د.

(٥) الراعي: الداعي، ت.

(٦) ذات: والبيت قائله الشماخ ونسب كذلك للراعي النميري وتكملته: وذات أثارة أكلت عليها نباتاً في أكمته ففارا، انظر: لسان العرب (أثر)، تاج العروس (أثر)، خزانة الأدب ج٤، ص٢٥١.

(٧) تنزيل يعني... من الله: -، ك.

وأصل الباب: ما بقي من اسم الشيء، ويقال: ما ثم عين ولا أثر.

والغفلة: ذهاب المعنى عن نفس العاقل، ونقيضه: اليقظة حضور المعنى للنفس.

المعنى

﴿حمٓ﴾ قد بينا ما قيل فيه، وأن بعضهم قال: اسم للسورة، وبعضهم ذكر أنه إشارة إلى إعجاز القرآن، وبعضهم ذهب إلى أنه إشارة إلى حدوثه، وبعضهم قال: إنه مفاتيح أسماء الله «تَنْزِيلُ» يعني هذه السورة، أو القرآن «تَنْزِيلُ الْكِتَابِ» يعني منزلة «مِنَ اللَّهِ»[1] «الْعَزِيزِ» القادر على كل مقدور «الْحَكِيمِ» في أفعاله، العالم بكل شيء «مَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلاَّ بِالْحَقِّ» يعني أنه لم ينزل القرآن إلا ليتعبد عباده، وأنه ما خلق العالم إلا ليتعبد المكلفين؛ إذ لا بد في خلقه من غرض، وهو تعريض المكلف لدرجة لا تجوز إلا مستحقة[2]، وليعلموا صانعهم وليشكروه[3]، فلما خلق لهذا الغرض أنزل الكتاب ليدعوهم إلى ذلك، «وَأَجَلٍ مُسَمًّى» أي: إلى وقت معلوم، يعني لسعيهما إلى وقت معلوم[4]، قيل: آخر التكليف، وقيل: إلى وقت قيام الساعة «وَالَّذِينَ كَفَرُوا [عَمَّا أُنْذِرُوا]» خُوِّفوا بالجزاء والحشر يوم القيامة، عن ابن عباس. «مُعْرِضُونَ» لقلة تفكرهم فيها، وقيل: مع ظهور البيان وكثرة الأدلة أعرضوا، عن الحسن. «قُلْ» يا محمد «أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» أي: تدعونه إلهًا «أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ» كما أن الله خلق جميع الأرض وأبدعها «أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ» يعني ليس لهم شرك في خلقها ولا إمساكها، فإن ادعوا أحد الأمرين إما الانفراد بخلق الأشياء أو الشركة[5] في الإلهية، وهي استحقاق العبادة فقل[6] «ائْتُونِي

---

(١) مستحقة: مستحقًا، ت، د، ك.

(٢) وليشكروه: ويشكروه، ت، ك.

(٣) يعني لسعيها إلى وقت معلوم: +، ت، ك.

(٤) أو الشركة: والشركة، د.

(٥) فقل: قل، د.

(٦) مسلمة: أسلمة، د.

بِكِتَابٍ فيه حجة لكم «**مِنْ قَبْلِ هَذَا**» أي: من قبل القرآن فيه بيان ما تقولون «**أَوْ أَثَارَةٍ مِنْ عِلْمٍ**» قيل: خبر عن الأنبياء، عن عكرمة، ومقاتل، وأبي علي، وقيل: بكتاب منزل من السماء، أو أثارة من علم من تقدم من الأمم والأنبياء، ينسبون إليه ذلك، عن أبي بكر بن عياش، وأبي مسلم، وقيل: خاصة من علم أوثرتم به، عن سلمة[1] ابن عبد الرحمن، وقتادة، وميمون بن مهران، وقيل: إسناد يذكرونه، عن القرظي. «**إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ**» فيما تزعمونه، فهاتوا إحدى هذه الثلاث:

أولها: دليل[2] العقل، كتعلق[3] الفعل بالفاعل، فهل لهم خلق يدل عليهم.

الثاني: الكتاب، قيل: كتاب منزل يدل على ما قلتم.

والثالث: الأخبار المتواترة، فهل معكم ذلك، فإذا لم يكن من ذلك شيء فهو باطل.

«**وَمَنْ أَضَلُّ**» أي: لا أحد أضل عن طريق الرشد «**مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ**» أي: لا يجيبه[4] إذا دعاه؛ لأنه جماد، وهي الأوثان «**إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ**» قيل: لا يجيبهم في الدنيا إلى يوم القيامة، ويوم القيامة يجيبهم فينطقهم الله، فيظهرون البراءة من أولئك «**وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ**» لا يسمعون ولا يفهمون؛، لأنها ليست بِحَيَّةٍ، فأخرجها وهي جماد مخرج[5] ذكور بني آدم؛ لأن عَبَدَتَها مثّلتها[6] بالملوك التي تُخْدَم.

الأحكام

يدل قوله: «**تنزيل**» على حدوث القرآن من وجهين:

(١) دليل: دلل، ك.
(٢) كتعلق: لتعلق، ت.
(٣) لا يجيبه: لا يجبه، ت.
(٤) مخرج: يخرج، ت؛ فخرج، ك.
(٥) مثّلتها: مثلها، ت.
(٦) للأحكام: الأحكام، ك.

أحدهما: أن الإنزال على القديم لا يجوز.

والثاني: أن قوله: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ يقتضي الفعلية، كقوله: الإحسان والنعم منه.

ويدل قوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾ أنه جعله معجزة، وأنزله بحسب المصالح والحكمة؛ لأن قوله: ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾ الذي يمتنع مثله على العباد، والحكيم المُحْكِم المُبيِّن للأحكام[1].

ويدل قوله: ﴿إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ أن ما ليس بحق ليس هو من عنده؛ ليصح هذا الإطلاق.

ويدل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ﴾ الآية على وجوب التفكر في الأدلة وذم المعرض.

وتدل على أن الإعراض فعلهم، ليس بخلق الله تعالى.

ويدل قوله: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُم﴾ على أشياء:

منها: أن العبادة تستحق بأصول النعم، كخلق[2] الأشياء؛ لذلك جعل علة قبح عبادة غيره نفي المشاركة في خلقها.

ومنها: صحة الحجاج في الدين.

ومنها: جواز مطالبة المبطل بالحجة فيما يذهب إليه.

ومنها: أن الحجة ثلاث: عقل، وكتاب، وسنة[3]، فلذلك طالبهم بهذه الثلاثة.

ومنها: قبح عبادة من لا ينفع ولا يضر.

ومتى قيل: كيف يوصف الجماد بالغفلة؟

قلنا: لما وصفوهم بصفة الأحياء أطلق عليها هذه الصفة.

---

(١) كخلق: فخلق، ك.

(٢) عقل وكتاب وسنة: كتاب وعقل وسنة، د.

(٣) حشار: حاشر، ت.

قوله تعالى:

﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمْ كَٰفِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾﴾.

اللغة

الحشر: الجمع بالسَّوْق إلى موضع الاجتماع، ومنه: المحشر، ومنه: الحاشر، وجمعه: حُشار[١]، وهم الذين يجمعون الناس إلى ديوان الخراج.

والآية: العلامة والحجة، سميت آية؛ لأنها علامة على المدلول، وجمعها: آيات.

والإفاضة: أصلها[٢] الدفع، ومنه: أفاضوا في الحديث، وحديث مفاض ومستفاض ومستفيض، أي: جارٍ بينهم شائع، ومنه: أفاض من المكان أي[٣] اندفع[٤] منه، والإفاضة: سرعة الركض.

والبِدْعُ والبديع بمعنى، وهو بدع [من] قوم أبداع[٥]، ومنه: أبدع الشيء لا عن مثال، ومنه: ﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [البقرة: ١١٧]، والمبتدع لا يكاد يستعمل إلا في الذم.

(١) أصلها: أصله، ت، د، ك.
(٢) أي: +، ت، ك.
(٣) اندفع: الدفع، ك.
(٤) أبداع: أبدع، ت.
(٥) ومن: فمن، ت، د، ك.

۞ الإعراب

يقال: أين جواب قوله: ﴿إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾

قلنا: فيه قولان:

قيل: محذوف بتقدير: فآمن أتؤمنون؟ عن الزجاج.

وقيل: قوله: ﴿فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ﴾ أفما تهلكون؟

وقيل: جوابه ﴿وَمَنْ[1] أَضَلُّ مِمَّن﴾، عن الحسن.

يقال[2]: ﴿أَمْ يَقُولُونَ﴾ عطف على ماذا؟

قلنا: تقديره: يقول هؤلاء الكفار: هذا سحر[3] أم يقولون: افتراه محمد.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ في عبد الله بن سلام، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، والحسن، وقتادة، وابن زيد.

وقيل: هو موسى عليه السلام، عن مسروق، وقال: نزلت السورة بمكة.

وقيل: السورة مكية إلا هذه الآيات، فإنها مدنية، عن الكلبي.

وقيل: لما أسلم عبد الله بن سلام، قال للنبي صلى الله عليه: إن اليهود قوم بُهْتٌ، فادعهم وسلهم قبل أن يعلموا بإسلامي، فدعاهم رسول الله ﷺ وسألهم عنه، فقالوا: خيرنا وابن خيرنا، فخرج عبد الله وأظهر الإسلام، فكذبوه ورموه بالقبيح.

۞ المعنى

ثم أكد تعالى ما تقدم من الاحتجاج، فقال ـ سبحانه ـ: «وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ» أي: جُمعوا ليوم القيامة «كَانُوا» يعني الأوثان وكل معبود سوى الله «لَهُمْ» أي: لِمَنْ عبده

---

(١) يقال: فقال، د.

(٢) سحر: حق، ت، د، ك.

(٣) ذلك: وذلك، د.

«أَعْدَاءً» ولا حسرة أعظم من أن يعبد شيئًا ويتخذه إلهًا، وإذا احتاج إليه صار عدوًا، وقيل: الكفار يكونون أعداء للأوثان لما عاينوا العذاب وعلموا أنه ينالهم ذلك[١] بسببها، «وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ» قيل: الأصنام[٢] يجحدون أن تكون دعت الكفار إلى عبادتها، أو شعرت[٣] بذلك، وذلك حين أنطقها الله، ونظيره قوله ـ سبحانه ـ: ﴿تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾ [القصص: ٦٣]، «وَإِذَا[٤] تُتْلَى» تقرأ «عَلَيْهِمْ» على الكفار «آيَاتُنَا»، عن أبي علي، وقيل: آيات القرآن، عن أبي مسلم. «بَيِّنَاتٍ» واضحات ظاهرات «قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ» وسائر الحجج «لَمَّا جَاءَهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» أي: تمويه ظاهر، وقيل: خداع بَيِّنٌ «أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ» اختلقه من عنده كذبًا، وزعم أنه منزل عليه، فإن قالوا ذلك، فـ «قُلْ» لهم: إن كنت افتريته[٥] يعني كذبت في هذا القرآن أنه منزل «فَلَا تَمْلِكُونَ لِي مِنَ اللَّهِ شَيْئًا» أي: لا تقدرون على دفع ما يريد الله بي إن كنت كذبت عليه جزاء افترائي[٦] على الله[٧] «هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ» أي: تتحاورونه بينكم، وتخوضون فيه «كَفَى[٨] بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ الْغَفُورُ» لذنوب التائبين «الرَّحِيمُ» بعباده يعطيهم على قليل العمل جزيل الثواب، قيل[٩]: يخوضون في أمر محمد صلى الله عليه وتكذيبه، ونفي معجزاته، وقيل: في القرآن، وقيل: غفور لم يعاجلهم بل أنظرهم، رحيم يقبل توبتهم، عن أبي مسلم. و«قُلْ» يا محمد «مَا كُنْتُ بِدْعًا مِنَ الرُّسُلِ» أي: ما أنا بأول رسول بعث، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، يعني إذا لم أكن أول رسول، وقد خلت من قبلي الرسل فَلِمَ

(١) الأصنام: للأصنام، د.
(٢) أو شعرت: أو أشعرت، د.
(٣) وإذا: فإذا، ت، ك.
(٤) افتريته: افتريت، ت، د، ك.
(٥) افترائي: افترى، ت.
(٦) على الله: -، ت، ك.
(٧) كفى: فيكفي، ت.
(٨) قيل: وقيل، ت.
(٩) وما: ولا، ت، د، ك.

تنكرونني؟ «وَمَا[1] أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلاَ بِكُمْ» اختلف المفسرون فيه، فقيل: ما[2] أدري ما يفعل بي ولا بكم في القيامة، فعند نزولها فرح الكفار، فقالوا: ما أمره وأمرنا إلا واحد، فنزل: ﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢]، وقالوا: هنيئًا لك[3] يا رسول الله فما يفعل بنا، فنزل: ﴿لِّيُدْخِلَ[4] ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ﴾ [الفتح: ٥]، عن أنس، وقتادة، وعكرمة، وهذا[5] لا يصح؛ لأنه ﷺ كان يعلم حاله وحال أوليائه وحال أعدائه، ولذلك كان يدعوهم إلى الإيمان، وينهاهم عن الكفر، ووعد وأوعد، وبشر وأنذر.

ومتى قيل: هل يمكن حمله على وجه؟

قلنا: إن حمل على أني لا أدري ما يفعل بي، فأعطى الشفاعة أم لا، ولا أدري ما يفعل بكم؛ لأني لا أعلم تفصيل عواقبكم[6].

وقيل: لما اشتد البلاء بأصحاب رسول الله ﷺ رأى فيما يرى النائم، ـ وهذا بمكة ـ أنه خرج إلى أرض ذات نخل وشجر، فقال ﷺ لأصحابه: «رأيت كذا فلا أدري أيكون ذلك أم لا» فنزلت الآية، عن ابن عباس.

وقيل: معناه في أمر الهجرة، لا أدري أُتْرَكُ ههنا[7] أم أومر بالهجرة إلى موضع آخر، أو أومر إلى أي موضع.

وقيل: لا أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدنيا، فيما[8] يأمرني به من حرب أو سلم، ومن تعجيل عقابكم أو تأخيره، عن الحسن، والسدي.

(١) ما: لا، ت، ك.
(٢) لك: -، ت.
(٣) ليدخل: ليدخل الله، ت، د، ك.
(٤) وهذا: فهذا، ت.
(٥) عواقبكم: عواقبكم صح، د، ك.
(٦) ههنا: هاهنا؛ د،ك.
(٧) فيما: مما، ت، ك.
(٨) وليس: وليست، ت، ك.

وقيل: فيما تأمرون به، وتنهون عنه، إنما أتبع الوحي، عن الضحاك.

وقيل: لست بأول رسول أدعي، وليس[1] لي غير الرسالة، وإنما[2] أنا بشر يوحى إليّ، لا أدعي غير الرسالة، ولا أدعي علم الغيب، ولا معرفة ما يفعله من الإحياء والإماتة والمنافع والمضار، إلا أن يوحى إليّ، عن أبي مسلم.

وقيل: ما يفعل بي ولا بكم في آخر الأمر من قتل أو موت[3].

وقيل: في الناسخ والمنسوخ.

وقيل: في عذاب الاستئصال، هل ينزل بكم أم لا؟ وهل أترك فيكم، أو أخرج[4] من بين أظهركم؟

وقيل: لا أدري فيما لم[5] يوح إليّ فأعلم، إن اتبع إلا ما يوحى إليّ، وما أنا إلا نذير مبين[6] مُخَوِّفٌ ظاهر مبين[7] للأمر[8].

«**قُلْ**» يا محمد لهم «**أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ**» قيل: القرآن، وقيل: الرسول، يعني إن كان هذا القرآن كلامه، وهذا الرسول نبيه ثم كفرتم أنتم بذلك «**وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ**» يعني يشهد بصحة هذا القرآن، وأنه من عند الله، ويشهد للرسول أنه حق، قيل: هو عبد الله بن سلام آمن بمحمد، وقيل: هو موسى عليه السلام، وقيل: نبي من أنبياء بني إسرائيل «**عَلَى مِثْلِهِ**» قيل: على مثل شهادتي، وقيل: «**على مثله**» على التوراة، عن مسروق، وقيل: فيه محذوف أي: شهد مَن المحق ومن المبطل «**فَآمَنَ**

(١) وإنما: إنما، ت، ك.
(٢) موت: أموت، ت.
(٣) أخرج: خرج، ت.
(٤) لم: -، ت، ك.
(٥) مبين: -، ت، ك.
(٦) مخوف ظاهر مبين: مخوف مبين ظاهر، ت.
(٧) للأمر: الأمر، ت، ك.
(٨) أحوالكم: حالكم، ت.

وَاسْتَكْبَرْتُمْ» أي: أنفتم عن الإيمان به وقبوله «إِنَّ اللَّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» قيل: لا يهديهم إلى الجنة وثوابه، وقيل: إلى زيادة الهدى والألطاف، وقيل: لا يهدي هداه، «الظالمين» قيل: الجاحدين لدينه، وقيل: الظالمين بالمعاصي، وقيل: فيه حذف، أي: فبماذا يعملون ولم يتفكروا فيه، ظلمتم أنفسكم، فأقل أحوالكم[1] أن تحتاطوا وتنظروا.

❁ الأحكام

تدل الآية على أن كل معبود عدو لعابده، يتبرأ منه يوم القيامة، وكل من يتولى غير الله لا[2] في رضاه يصير عدوًّا له، فينبغي للإنسان أن يتخذ الله تعالى معبودًا ووليًا.

وتدل أنه ﷺ ليس بأول رسول.

وتدل على أنه لا يعلم الغيب، فالإمام أولى بذلك، فتدل على أنه اتبع الوحي في جميع ما يفعل، فتدل على عصمته.

وتدل على جواز النسخ والتبادل في أول من الشرع.

ويدل قوله: «وشهد...» الآية على عظم محل العلم لذلك نزه بذلك هذا العالم.

وتدل على أنه حاجهم بالكتب المتقدمة.

وتدل على عظم حال الظالم والظلم؛ لذلك أوعد بهذا الوعيد.

---

(١) لا: +، ت، ك.

(٢) حجة القراءات ٦٦٣.

قوله تعالى:

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةًۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًاۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًاۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًاۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِيٓۖ إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب: «لِتُنْذِرَ» بالتاء على الخطاب للنبي ﷺ[(١)]، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، وقرأ الباقون بالياء كناية عن النبي، وقيل: عن القرآن.

وقرأ عاصم وحمزة والكسائي: «**بوالديه إحسانًا**» بالألف وسكون الحاء وفتح السين، وهي قراءة ابن عباس. الباقون: «**حُسْنًا**» بضم الحاء وسكون السين وحذف الألف[(٢)].

وقرأ الحسن ويعقوب: «**وفَصْلُهُ**» بغير ألف[(٣)]، والقراء على «**فِصَالُهُ**» بالألف وكسر الفاء.

قرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي ويعقوب: «**كُرْهًا**» بضم الكاف، الباقون بفتحها، وهما لغتان[(٤)].

(١) حجة القراءات ٦٦٣.
(٢) الطبري ١١/٢٦٣.
(٣) حجة القراءات ٦٦٣.
(٤) فهو: هو، ت، ك.

اللغة

الخير: نقيض الشر، والخير: فهو[١] النفع الحسن الذي يظهر تأثيره[٢] على الغير.

والسبق: التقدم إلى الشيء قبل غيره، سَبَقَ فهو سابق.

والإفك: الكذب.

والقديم: ما تقادم وجوده، واختلفوا، فقيل: هو الموجود لم يَزَلْ، عن أبي علي، وقيل: هو المتقادم وجوده، عن أبي هاشم.

والفصال[٣]: الفطام، وأصله: إبانة الشيء من الشيء، وقطعه عنه، ومنه: فَصَلَ الحاكمُ الأمر.

والأَشُدُّ: جمع شِدَّةٍ، نحو نعمة وأنعم، وهو القوة والجلادة في البدن، والفعل شَدَدْتُ الشيء أَشُدُّهُ: إذا أوثقته.

والإيزاع: أصله المنع، وأَوْزِعْنِي: امنعني عن الانصراف عن ذلك باللطف، ومنه قول الحسن: لا بد للناس من وَزَعَةٍ، ومنه: «ما يزع السلطان[٤] أكثر مما يزع القرآن»، وقال أبو مسلم: الإيزاع[٥] اتصال الشيء إلى القلب، وقيل: الإبلاغ بالشيء، وقول النابغة:

. . . . والشَّيْبُ وَازِعُ[٦]

أي: مانع.

---

(١) تأثيره: أثره، ت؛ بأثره، ك.
(٢) والفصال: والفصل، ت.
(٣) السلطان: الشيطان، ت.
(٤) الإيزاع: الإزاع، ت.
(٥) اللسان (وزع) تاج العروس (وزع)، وتمام البيت:
على حين عاتبتُ المشيبَ على الصبا   وقلتُ: أَلَمَّا أَصْحُ، والشيبُ وازعُ
(٦) يدعون: يدعو، د.

۞ الإعراب

﴿إِمَامًا وَرَحْمَةً﴾ نصب على الحال، عن الكسائي، وقال أبو عبيدة: فيه إضمار أي: أنزلناه أو جعلناه إمامًا ورحمة، وقال الأخفش: نصب على القطع؛ لأن قوله: ﴿كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ معرفة بالإضافة.

وقوله: ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ نعت للسان، ويجوز أن يكون نصب **(لسانا)**؛ لأنه مفعول به.

وفي ﴿وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ﴾ وجهان من الإعراب:

الرفع على العطف، على **(الكتاب)**، تقديره: وهذا كتاب مصدق وبشرى.

والنصب على معنى: لينذر ويبشر، فلما جعل مكان و«يبشر» بشرى وبشارة نَصَبَ، كما يقال: أتيتك لأزورك كرامةً لك وقضاءَ حَقِّكَ، المعنى: لأزورك وأكرمك، وأقضي حقك، فنصب الكرامة بفعل مضمر.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ في اليهود، قالوا: لو كان في دين محمد خير ما سبقونا إليه، يعني عبد الله بن سلام وأصحابه، عن أكثر أهل التفسير.

وقيل: نزلت في ناس من مشركي قريش قالوا: لو كان ما يدعونا[1] إليه محمد خيرًا ما سبقنا[2] إليه فلان وفلان، عن قتادة.

وقيل: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني أسد وغطفان، ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني جهينة ومزينة، عن الكلبي.

وقوله: ﴿قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ﴾ قيل: نزل في سعد بن أبي وقاص، وقيل: في أبي بكر بن أبي قحافة، عن علي، وأجاب الله دعاءه، ولم يكن في أبويه وأولاده أحد إلا مؤمن.

---

(١) ما سبقنا: -، ت، ك.

(٢) ووالداه: ووالده، ت.

وقيل: لم يكن أحد من أصحابه أسلم هو ووالداه[١] وبنوه وبناته غير أبي بكر.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما قاله كل فريق في القرآن وحالهم، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَا سَبَقُونَا إِلَيْهِ**» قيل: هم اليهود قالوا: لو كان دين محمد خيرًا ما سبقنا[٢] إليه عبد الله بن سلام، وقيل: قوم من المشركين من قريش، قالوا: لو كان ما يدعونا إليه محمد خيرًا ما سبقنا إليه فلان وفلان، عن قتادة، وقيل: أسد وغطفان، عن الكلبي على ما ذكرنا في النزول، وقيل: هم رؤساء الضلال، قالوا: لو كان هذا خيرًا ما سَبَقَنَا إليه غيرنا لاستجماع[٣] الكمال لنا في المال والجاه والعقل، عن أبي مسلم، فرد الله عليهم، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ**» أي: أعرضوا عن القرآن ولم يتفكروا فيه حتى لم يهتدوا به كما اهتدى المؤمنون «**فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ**» أي: كَذِبٌ «**قَدِيمٌ**» متقادم، قيل: أرادوا به المسيح كان اليهود كذبوه، فقالوا: هذا كذاب مثل ذلك، ونظيره: ﴿**أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ**﴾ [الأنعام: ٢٥].

ثم بَيَّنَ تعالى أنه كما أنزل هذا الكتاب أنزل قبله الكتاب، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَمِنْ قَبْلِهِ**» أي: من قبل القرآن ونزوله «**كِتَابُ مُوسَى**» أنزله الله «**إِمَامًا**» يؤتم[٤] به في أمر الدين، ودلالة يهتدى بها[٥] «**وَرَحْمَةً**» أي: نعمة على العباد؛ لأنه[٦] يؤديهم إلى نعيم الأبد إن آمنوا به «**وَهَذَا**» يعني القرآن «**كِتَابٌ مُصَدِّقٌ**» يصدق الآيات والكتب، وقيل: لأنه ورد موافقًا لما فيها، وقيل: لأنه مخبر بأنها حق، وقيل: موافق لما فيه معنى وإن خالفه لفظًا، «**لِسَانًا عَرَبِيًّا**» أي: بلغة العرب «**لِيُنْذِرَ**» ليخوف «**الَّذِينَ ظَلَمُوا**» بالعذاب «**وَبُشْرَى لِلْمُحْسِنِينَ**».

---

(١) ما سبقنا: ما سبقونا، د.
(٢) لاستجماع: لاجتماع، ت.
(٣) يؤتم: يأتم، د، ك.
(٤) بها: به، د، ك.
(٥) لأنه: لأنهم، ت.
(٦) المؤمنين: المؤمن، د، ك.

ثم بَيَّنَ حال المؤمنين[1]، فقال ـ سبحانه ـ: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ» أي: خالقنا ومالكنا الله تعالى «ثُمَّ اسْتَقَامُوا» يعني قاموا بما لزمهم عقلاً وشرعًا «فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» في الآخرة «وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ. أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا» دائمين بما كانوا يعملون[2] «وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حسنًا» أي: أمرناه بالإحسان إليهما مراعاة لحقهما.

ثم بين ما لهما من الحق، فقال ـ سبحانه ـ: «حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ» في بطنها «وَفِصَالُهُ» فطامه، وإنما ذكر مدة الحمل ستة أشهر، ورضاعه أربعة وعشرون شهرًا، عن جماعة من المفسرين منهم ابن عباس، وقيل: حمله تسعة أشهر، وفصاله من اللبن أحد وعشرون شهرًا، عن ابن عباس، وأبي مسلم. «حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ» كمال قوته، وقيل: ثلاث وثلاثون سنة، عن ابن عباس، وقتادة، وقيل[3]: بلوغ الحلم، عن الشعبي، وقيل: قيام الحجة، عن الحسن، وقيل: هو أربعون سنة، لذلك فسر به «وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً» يعني الولد «قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي» قيل: ألهمني، وقيل: معناه وفقني للعمل الصالح، وقيل: امنعني من ترك شكرك على نعمك، وقيل: الإيزاع: الإغراء بالشكر «الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ»؛ لأن النعمة على الآباء تكون نعمة على الأولاد «وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ» أي: لأعمل من الطاعات ما ترضاه[4] «وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي» قيل: وفر لي ولذريتي العمل الصالح، فيكون دعاء للأولاد، وقيل: ارزقني ذرية صالحة، فيكون[5] دعاء لنفسه «إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ» أي: رجعت إليك وانقطعت «وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ» أي[6] المنقادين لله.

(١) بما كانوا يعملون: -، ت، ك.
(٢) وقيل: وهو قيل، ت.
(٣) أي لأعمل من الطاعات ما ترضاه: -، ت.
(٤) فيكون: ويكون، ت.
(٥) أي: +، ت، ك.
(٦) عظيم: عظمة، ت.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ أن القوم أوهموا العوام أن ما جاء به لو كان فيه خير لقبلوه، وإنما لا يقبلون؛ لأنهم أيقنوا أنه لا خير فيه، وإنما قالوه حسدًا وعداوة.

ويدل قوله: ﴿وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ﴾ على حدث القرآن؛ لأن ما يوجد بعد غيره يكون محدثًا.

ويدل قوله: ﴿لِّسَانًا عَرَبِيًّا﴾ أنه صفة جميع القرآن. ويدل على حدثه.

ويدل قوله: ﴿لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ على استحقاق الوعيد بالظلم، وأن الظلم فعل العبد.

ويدل قوله: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ﴾ أن المؤمن لا يخاف، ولا يحزن يوم القيامة.

ويدل قوله: ﴿وَوَصَّيْنَا﴾ على عظيم[١] حق الوالدين، وتنبيه على العلة في ذلك، فيدل على صحة الحجاج.

وتدل على وجوب مراعاة حقهما بالنفقة، وحسن المصاحبة[٢]، مع اختلاف الدين، لا بالموافقة في الدين.

وتدل على بيان مدة الحمل والفصال، وإذا لم يمكن حمله على أقل الأمرين ولا[٣] على أكثرهما، وجب حمله على أقل الحمل وأكثر الفصال، وقد روي عن علي وابن عباس أنهما قالا لعثمان وقد هم برجم امرأة جاءت بولد[٤] لستة أشهر: ليس عليها الرجم، وتلا الآية، فالحمل ستة أشهر، والرضاع سنتان، تمام ثلاثين شهرًا.

وتدل على أن حال بلوغ الأشد وكمال بلوغ الإنسان هو أربعون سنة، لذلك قرن البلوغ بذكر الأربعين، وقد جرت العادة أن كمال حال[٥] الإنسان في الغالب إنما يكون عند بلوغ هذا السّن[٦].

---

(١) المصاحبة: الصحبة، د.
(٢) لا: -، ت.
(٣) جاءت بولد: كانت تلد: ت.
(٤) حال: +، ت، ك.
(٥) السن: الن، ت، د، ك؛ وورد في هامش د: أظنه السّن.
(٦) شكر بالنعمة: شكرنا لنعمه، ت.

ويدل قوله: ﴿وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ﴾ أن المرء كما يلزمه الشكر بالنعمة عليه؛ يلزمه نوع شكر بالنعمة[1] على والديه، وأن حال الوالد يجري مجرى حال نفسه.

قوله تعالى:

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِيٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِي كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِي قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقّٞ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِيٓ أُمَمٖ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾ وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَٰتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «**نَتَقَبَّلُ عنهم**» بالنون وفتحها[2]، «**أَحْسَنَ**» بالفتح، «**ونتجاوز**» بالنون أيضًا، أضاف القبول إليه تعالى، وقرأ الباقون: «**يُتَقَبَّلُ**» بالياء وضمها، «**أحسنُ**» بالرفع، و«**يُتَجَاوَزُ**» بالياء وضمها[3] على ما لم يسم فاعله.

قرأ أبو جعفر ونافع وحفص عن عاصم: «**أُفٍّ**» مكسورة منونة[4]، وقرأ ابن كثير وابن عامر ويعقوب بفتح الفاء غير منونة، وقرأ أبو عمرو وأبو بكر[5] عن عاصم وحمزة والكسائي: «**أُفِّ**» مكسورة الفاء غير منونة، وكلها لغات صحيحة.

---

(١) حجة القراءات ٦٦٤.

(٢) أحسن بالرفع... وضمها: +، ت، ك.

(٣) حجة القراءات ٣٩٩.

(٤) أبو عمرو وأبو بكر: أبو بكر وأبو عمرو، ت، ك.

(٥) قرؤوها: قرأوها؛ ت، د، ك.

قرأ ابن عامر في بعض الروايات عنه: «**أَتَعِدَانِي**» بنون واحدة، والقراء كلهم قرؤوها[1] بنونين، فالإثبات على الأصل، والحذف للتخفيف.

ظاهر القراءة: «**أُخْرِجَ**» بضم الألف وفتح الراء على ما لم يسم فاعله، وعن الحسن والأعمش: «**أَخْرُجَ**» بفتح الألف وضم الراء، أضاف الخروج إليهم[2].

قرأ ابن كثير وأبو عمرو وعاصم ويعقوب: «**ليوفيهم**»[3] بالياء كناية عن اسم الله تعالى.

قرأ أبو جعفر وابن كثير ويعقوب: «**أذهبتم طيباتكم**»[4] بالاستفهام بهمزة واحدة، وقرأ ابن عامر: «**أأذهبتم**» بهمزتين، الباقون بفتح الألف غير مستفهم على الخبر، والعرب تستفهم توبيخًا وتترك الاستفهام أيضًا، فتقول: أَذَهَبْتَ وفعلت كذا؟ وتقول: ذَهَبْتَ وفعلت كذا؟

اللغة

التقبل: قبول العمل بإيجاب الثواب عليه، كتقبل الهدية، وأصله: القبول، قبلت الشيء: رضيته.

وأف: كلمة لما يضجر[5] منه ويستثقل، والأُفُّ والتُّفُّ: وسخ الظفر، ويقال: التف[6] للشيء[7] الحقير، وفيهما عشر لغات: أف بتعاقب الحركات على الفاء من غير[8] تنوين، وتعاقب الحركات مع التنوين، وأُفَّةْ وإِفْ لك[9] بكسر الهمزة، وأَفْ

(١) حجة القراءات ٦٦٥.
(٢) حجة القراءات ٦٦٥.
(٣) القرطبي ١٦/ ١٦٩.
(٤) لما يضجر: لما يسخر، ت.
(٥) التف: اليف، ك.
(٦) للشيء: الشيء، د.
(٧) غير: بغير، ت.
(٨) لك: +، ت، ك.
(٩) للاستقذار: الاستفزاز، ت.

بضم الهمزة وسكون الفاء، وأُفِّي، ويقال للاستقذار[1] لما شمه: أَفٍّ أَفٍّ، ومنه الحديث: «فألقى طرف ثوبه على أنفه ثم قال: أَفٍّ أَفٍّ».

والاستغاثة: طلب الغوث، استغاث يستغيث استغاثة.

والويل: الحزن، ويقال: فويل تَويّل[2] [الرجل] إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، وعن ابن عباس: (الويل المشقة في العذاب)، والويل والويلة: الهلكة، ويا ويلتا للنداء، كأنه يقول: يا ويل هذا وقتك[3]، وقيل[4]: والويل أيضًا كلمة تَرَحُّم، وكذلك ويح. وقد قال سيبويه: (ويح) زجر لمن أشرف على الهلكة، و(ويل) لمن وقع في الهلكة.

والأساطير: جمع أُسْطُورٍ، وهو جمع سَطْر فأساطير[5] جمع الجمع، وقيل: أساطير جمع إسطير[6]، ونظيره في الدنيا أُفْحُوص للطائر ونحوه.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ في ابن لأبي بكر، قيل: عبد الله، وقيل: عبد الرحمن، قال له أبواه: أسلم، وألَحَّا عليه، فقال: أحيوا لي عبد الله بن جدعان، وعامر بن كعب، ومشايخ قريش حتى أسألهم عما تقولون، عن ابن عباس، وأبي العالية، والسدي، ومجاهد، وأنكرت عائشة ذلك أشد الإنكار، وكذلك الحسن وجماعة من المفسرين.

قال محمد بن زياد: كتب معاوية إلى مروان حين بايع الناس يزيد[7]، فقال

(١) توبّل: فويل، ت، ك.
(٢) وقتك: +، ك.
(٣) فيقال: +، ت، د، ك.
(٤) فأساطير: -، ت، ك.
(٥) إسطير: أسطر، ت، ك.
(٦) يزيد: -، د.
(٧) لقد جئتم بها هرقليّة: لقد جئتهم بما هو في قليّة، ت، د، ك.

عبد الرحمن بن أبي بكر: لقد جئتم بها هرقليّة[1] تبايعون لأبنائكم، قال مروان: هذا الذي يقول الله فيه: ﴿أُفٍّ لَّكُمَآ﴾ فبلغ ذلك عائشة، فغضبت له، وقالت: والله ما هي به، ولو شئت لسميته، ولكن الله لعن أباك، وأنت في صلبه.

وقيل: إنه تعالى أجاب دعاء أبي بكر فيه، فأسلم وحسن إسلامه، [و] عن الحسن، وقتادة أن الآية عامة، وهي نعت كافر عاق لوالديه، ويدل عليه أنه قال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلُ﴾ الآية، وعبد الرحمن أسلم وحسن إسلامه، فالظاهر أنه من قوم دخلوا النار.

الإعراب

الواو في قوله: ﴿وَلِكُلّٖ دَرَجَٰتٞ مِّمَّا عَمِلُواْۖ﴾[2] واو عطف على قوله: ﴿وَوَصَّيۡنَا﴾، عن أبي مسلم.

«بها» قيل[3]: الكناية ترجع[4] إلى الدرجات، وقيل: إلى الطيبات.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال من آمن، وحال من كفر، فقال ـ سبحانه ـ: «**أُوْلَئِكَ**» يعني من تقدم ذكره في قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾، «**الَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ**» أي: نقبل بإيجاب الثواب لهم «**أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا**» يعني أحسن أعمالهم، وهو الطاعات؛ لأن المباح أيضًا حسن، وقيل: الأحسن ما خلص من كبيرة يحبطها «**وَنَتَجاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ**» أي: عن معاصيهم، فلا نعاقبهم عليها، قيل: هي صغائرهم تغفر لهم، وقيل: جميع ذنوبهم يغفرها بالتوبة، وهو الوجه؛ لأن الآية عامة، ولأنه تقدم قوله: ﴿إِنِّي تُبۡتُ إِلَيۡكَ﴾، «**فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ**» قيل: مع أصحاب الجنة، (في) بمعنى (مع)، وقيل: ندخلهم في

---

(١) مما عملو: +، ت.

(٢) قيل: وقيل، د؛ قيل قيل، ت.

(٣) ترجع: رجع، ت.

(٤) وأضاف الوعد... وعدا: -، ت.

جنتهم «وَعْدَ الصِّدْقِ» لا خلف فيه، وأضاف الوعد إلى الصدق؛ لأنه أراد به، وعدًا[1] لا خلف فيه البتة «الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ» على ألسنة الرسل «وَالَّذِي قَالَ لِوَالِدَيْهِ» إذا دعواه إلى الإيمان «أُفٍّ لَكُمَا» قيل: كلمة ضجر، وقيل: تبًا لكما، وقيل: هو كلمة استخفاف بما يسمع[2]، وقيل: إنه كلمة تقال لكل من أتى أمرًا قبيحًا، عن أبي علي. «أَتَعِدَانِنِي أَنْ أُخْرَجَ» بعد الموت حيًّا وأبعث للجزاء «وَقَدْ خَلَتِ الْقُرُونُ مِنْ قَبْلِي» أي: مضت الأمم من قبلي هلكوا[3]، فلم يبعث منهم أحد، ولو كنت أبعث لبعثوا، وقيل: خلت قرون على المذهب، كانوا ينكرون البعث «وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ اللَّهَ» أي: يستصرخان ويطلبان الغوث منه؛ ليتلطف[4] له بما يؤمن عنده، ويقولان له: «وَيْلَكَ آمِنْ» قيل: ترحمًا عليه، وقيل: هلكة لك إن أقمت على هذا «آمن» صَدِّقْ بما جاءك من الحق «إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ» في البعث والجزاء، فلما خوفاه أجاب[5] وقال: «مَا هَذَا إِلاَّ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ» يعني ما هذا إلا شيء كتبها الأولون، لا حقيقة لها، كأسمار الليل «أُوْلَئِكَ» يعني مَنْ حقيقته ما تقدم «الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ» أي: وجب عليهم الوعيد بالعذاب «فِي أُمَمٍ» قيل: أدخلوا في جملة أمم «قَدْ خَلَتْ» أي: مضت «مِنْ قَبْلِهِمْ» وقد حق عليهم الوعيد فهلكوا «مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ» قال قتادة: قال الحسن: الجن لا يموتون؟ فقلت ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ﴾، «إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ» لأنفسهم إذ[6] أهلكوها بالمعاصي «وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا» قيل: هذا ينصرف إلى المؤمن، أي: لكل طائفة من الفريقين مَنْزِلٌ عند الله بأعمالهم يجازيهم بها، والدرجة والمنزل سواء، عن أبي علي، قال ابن زيد: دَرَجُ[7] أهل النار

(١) يسمع: يعني، ت، د، ك.
(٢) هلكوا: أهلكوا، ت.
(٣) ليتلطف: التلطف، د.
(٤) أجاب: أخاف، ت.
(٥) إذ: إذا، ت، د، ك.
(٦) درج: +، ت.
(٧) وليوفينهم: ولنوفيهم، ك.

تذهب سفلاً، ودَرَجُ أهل الجنة تذهب علوًا، «وَلِيُوَفِّيَهُمْ[1] أَعْمَالَهُمْ» أي: ليكمل جزاء أعمالهم من الثواب والعقاب «وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ» بمنع ثواب استحقوه، أو بعقاب لا يستحقونه «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ» قيل: يدخلون النار، وقيل: تعرض عليهم النار؛ ليروا أهوالها، فتكون زيادة عقوبة «أَذْهَبْتُمْ» يقال لهم توبيخًا وتهجينًا: «أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا» قيل: الطيبات القوة والشباب والاستمتاع بهما، تقول العرب: ذهب أَطْيَبَاهُ أي: شبابه وقوته، عن أبي مسلم، وقيل: الأرزاق أنفقوها في شهواتهم دون رضا الله، عن أبي علي، وقيل: الملاذُّ والملاهي، ونعيم الدنيا، أي: ذهبتم في المعاصي غافلين عن الآخرة، فأوردتم[2] ههنا تبعاتها[3]، وكان ينبغي[4] أن تهتموا للأهم، وهو أمر الآخرة؛ لأنها باقية، دون الدنيا؛ لأنها فانية «وَاسْتَمْتَعْتُمْ بِهَا» أي: انتفعتم بها منهمكين فيها معرضين عن ذكر البعث وأمر الدين «فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ» قيل: الهوان، عن مجاهد. «بِمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ» أي: تترفعون عن الإيمان «وَبِمَا كُنْتُمْ تَفْسُقُونَ» تخرجون عن طاعة الله تعالى[5] وولايته.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ﴾ على أنه إنما يتقبل طاعة المطيع، ففيه ترغيب في الطاعة، وزجر عن المعصية، وترغيب في التمسك بمثل طريقتهم.

ويدل قوله: ﴿وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمۡ﴾ أن في المعاصي ما يُكَفَّرُ بالإضافة إلى الحسنات، على ما نقوله في الصغائر، وإن حمل على المغفرة بالتوبة، فتدل أنه يغفر جميع المعاصي قتلاً كان أو غيره.

---

(١) فأوردتم: وأوردتم، ك.

(٢) تبعاتها: تبعاتهما، ك؛ تبعا بها، ت.

(٣) ينبغي: لينبغي، ت.

(٤) تعالى: +، ت.

(٥) أن: -، ت؛ أي، ك.

ويدل قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ﴾ أن[1] أبويه[2] كانا يترحمان عليه مع كفره، ويدعوانه إلى الإيمان، وذلك مما يجب على كل أحد.

وتدل أنه كان يتمسك بالتقليد، ولذلك قال: ﴿وَقَدۡ خَلَتِ ٱلۡقُرُونُ مِن قَبۡلِى﴾ على هذا.

وتدل على أن الداعي إلى الله تعالى ينبغي أن يحسن الدعاء.

ويدل قوله: ﴿وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ﴾ أنه تعالى لم يخلق أعمالهم، وأنه لم يعذبهم إلا بعد الاستحقاق لجزاء عملهم[3].

وتدل على أنه قادر على ما لو فعله لكان قبيحًا[4] لذلك تمدح بنفيه.

وتدل على أنه لا يفعل ذلك لعلمه بقبحه وعلمه بغناه عنه، وكذلك قوله: ﴿أَذۡهَبۡتُمۡ طَيِّبَٰتِكُمۡ﴾[5] تدل على أن ذلك فعلهم، وذلك كله يبطل مذهب المجبرة في هذه المسائل.

وتدل الآية أن الأولى بالمرء الزهد في الدنيا، وترك الانهماك في لذات الدنيا والمعاصي، وأن يكون اهتمامه لأمر الآخرة، وقد روي عن عمر: لو شئت كنت أطيبكم طعامًا، وألينكم[6] ثيابًا، ولكن أستبقي طيباتي.

وعن علي عليه السلام: (ألا وإن إمامكم قد رضي من دنياه بِطِمْرَيْهِ، وبسد بدرة جوعه بِقُرْصَيْهِ) في كتاب إلى عثمان بن حنيف يحثه على الزهد.

ويدل قوله: ﴿وَبِمَا كُنتُمۡ تَفۡسُقُونَ﴾ أن الفسق فعلهم، وأنه بنفسه يوجب العقاب، وكذلك التكبر يدل على هذين الأمرين؛ لأن كل واحد لو لم يوجب استحقاق العقوبة لكان بالانضمام إلى غيره لا يوجب كالمباحات.

---

(١) أبويه: أبواه، ت، ك.
(٢) لجزاء عملهم: بجرائمهم، ت، ك.
(٣) ظلمًا، ت، ك.
(٤) طيبتكم: -، ت، ك.
(٥) وألينكم: وألبسكم، د.
(٦) لا يرى: لا ترى، ت.

قوله تعالى:

﴿وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

القراءة

قرأ عاصم والأعمش وحمزة ويعقوب: «**فأصبحوا لا يُرَى**[1]» بالياء وضمها، «**إلا**[2] **مساكنُهم**» بضم النون[3]، واختاره[4] أبو حاتم وأبو عبيد، قال الكسائي، معناه: (لا يرى شيء إلا مساكنُهم)، وقال الفراء: لا يرى الناس؛ لأنهم كانوا تحت الرمل، وإنما ترى مساكنهم؛ لأنها كانت قائمة، و(**يُرَى**) على ما لم يسم فاعله و(**شيء**) اسمه، و(**إلا مساكنهم**) خبره.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: «**لا تَرَى**» بالتاء وفتحها، «**إلا مساكنَهُمْ**» بفتح النون على الخطاب، أي: لا ترى أنت غير مساكنهم.

وروى يحيى بن آدم عن أبي بكر بن عياش، عن عاصم: «**لا تُرى**» بالتاء وضمها، «**مساكنُهم**» بضم النون، وهي قراءة الحسن، وأبي عبدالرحمن السلمي، ورواية حسان بن زيد عن ابن كثير، قال أبو حاتم: وهذا لا يستقيم في اللغة، إلا أن يكون فيه إضمار كما تقول: لا ترى النساء إلا زينب، ولا يجوز: لا ترى إلا زينب،

---

(١) إلا: -، ت.

(٢) حجة القراءات ٦٦٦.

(٣) واختاره: وأجازه، ت، ك.

(٤) المفضل: الفضل؛ ت، د، ك.

قال سيبويه: لا ترى أشخاصهم لكن ترى مساكنهم، وأجاز الفراء هذه القراءة على الاستكراه، وذكر أن المفضل[(١)] أنشده:

وَنَارُنَا لَمْ تُرَ نَارًا مِثْلُهَا ... [قَدْ] عَلِمَتْ ذَاكَ مَعَدٌّ أكرما[(٢)]

فأنث الفعل[(٣)]؛ لأنه مثل النار، قال: وأجود الكلام أن تقول: لم تر مثلها نارًا، قال علي بن عيسى: وهذه القراءة ضعيفة في العربية.

اللغة

الأحقاف: جمع حِقْف، وهو الرمل المستطيل العظيم، لا يبلغ أن يكون جبلاً، وفي (مجمل اللغة): الأحقاف الرمال المائلة الواحدة[(٤)] حِقْفٌ، واحْقَوْقَفَ: مال، والحاقف: المائل، ومنه الحديث: «أنه مر[(٥)] بظبي حاقف في ظل شجرة»، قال ابن الأنباري: وهو الذي انحنى وتثنى في نومه، قال الشاعر:

طَيَّ اللَّيَالِي[(٦)] زُلَفًا فَزُلَفَا ... سَمَاوَةُ الهِلَالِ حَتَّى احْقَوْقَفَا[(٧)]

زُلَفُهُ أي: قِطَعُهُ، يعني كما تطوي[(٨)] الليالي سماوة الهلال، وهي شخصه قليلاً قليلاً، قال أبو مسلم: وهو في هذا الموضع اسم البلاد التي كانت بها عاد.

الإفك: الكذب، سمي بذلك لتصرف الكلام فيه من الحق إلى الباطل، وأصله الصرف، ومنه: تأفكنا، أي: تصرفنا عنه بالإفك، أَفَكَ يَأْفَكُ: إذا كذب، ويُؤْفَكُ عنه يصرف، والمأفوك: المخدوع بالإفك.

---

(١) الفراء، معاني القرآن، ص ٣٠١؛ الطبري ١١/ ٢٩٣؛ والبيت برواية حاشية الصبّان: قد علمت ذاك معد كلها.
(٢) الفعل: فعلاً، ك.
(٣) الواحدة: الواحد، ت.
(٤) مر: ومر، د.
(٥) الليالي: الهلال، ت.
(٦) اللسان (حقف)، وتهذيب اللغة (حقف).
(٧) تطوي: يطوي؛ ت، د، ك.
(٨) للدنيا: الدنيا، ت، ك.

والعارض: المار حتى لا يثبت من خير أو شر، ومنه العَرَضُ؛ لأنه يعرض في الوجود، ولا يجب له من اللبث ما للأجسام، ومنه قيل للدنيا[١]: عرض حاضر، أي: لا بقاء له، وسمي السحاب عارضًا؛ لأنه يعرض أي: يبدو[٢] في عرض السماء.

والممطر: الذي يمطر السحاب، وهو الريح، يقال: أمطر الريح السحاب يمطر، وإذا أضيف الفعل إلى السحاب، يقال: مطر السحاب تمطر، ومطرت السماء، وأمطرت الريح السحاب، والفعل في الإمطار يتعدى إلى مفعولين، أحدهما: السحاب، والثاني: القوم.

الأودية: جمع وادٍ، يقال: واد وأودية على غير قياس، وقد جمع: أوداه، وودا، فالوادي يدي إذا سال.

والتدمير: الإهلاك، والدمار: الهلاك، دَمَرَ القومُ يَدْمُرُونَ دمارًا ودمورًا، ودَمَّرَهُ غيره تدميرًا أهلكه.

۞ الإعراب

قيل: «عارضًا» نصب على الحال، وإن شئت بالتكرير[٣] أي رأوهُ[٤] ﴿عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ يعني مستقبلاً أوديتهم، فحذفت التنوين[٥] وأضيف إلى الاسم.

﴿مُّمْطِرُنَا﴾ منكرة والمعنى: ممطر لنا، ولو كانت معرفة لم يجز؛ لأنك لا تصف عارضًا، وهي نكرة بمعرفة.

۞ المعنى

لما تقدم ذكر الوعيد عقبه بما نال عادًا تحذيرًا عن مثل حالهم، فقال ـ سبحانه ـ:

(١) يبدو: يبدوا، ت، ك.
(٢) يعني التفسير. انظر فتح القدير ٥/ ٣٣.
(٣) رأوه: رأوا، ت، د، ك.
(٤) التنوين: النون، ت، ك.
(٥) واد: إرم، ت، د، ك.

«**وَاذْكُرْ**» يا محمد «**أَخَا عَادٍ**» يعني هودًا فكان أخاهم نسبًا لا دينًا، «**إِذْ أَنْذَرَ**» خوف «**قَوْمَهُ**» وهم عاد، وكانت العرب تعرف ديارهم «**بِالأَحْقَافِ**» قيل: هو وادٍ[1] [بين] عُمَان ومهرة[2]، عن ابن عباس، وقيل: ما بين عمان إلى حضرموت، عن ابن إسحاق، وقيل: كانت منازل عاد باليمن في حضرموت يقال لها: مهرة، إليها تنسب[3] الجمال المَهْرِيَّةُ، يقال: إبل مَهْرِيَّة ومَهَارَي[4]، وكانوا من إرم [وهم وأهل عمد] سيارة[5] في الربيع، فإذا كان صيفًا عادوا [إلى] منازلهم، وقيل: الأحقاف جبل بالشام، عن الضحاك، وقيل: هو أرض جشمي، عن مجاهد، وقيل: كانوا حيًّا باليمن من أهل رمل مشرفين على البحر بأرض يقال لها: الشِّحْر، عن قتادة، وقيل: هي ما استطال من الرمل كهيئة الجبل، عن ابن زيد، وقيل: كانت منازلهم في الرمال، والأحقاف الرمال العظام، عن الخليل، وقيل: الأحقاف أرض خلالها رمال، عن الحسن. «**وَقَدْ خَلَتِ**» مضت «**النُّذُرُ**» يعني الرسل المنذرين المخوفين «**مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ**» أي: من قَبْلِ هود «**وَمِنْ خَلْفِهِ**» من بعده، وروي أن[6] في قراءة ابن مسعود: (**من بعده**). «**أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ**» أي: قال لهم ذلك هود «**إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ**» إن فعلتم ذلك «**عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ**» قيل: عقاب الآخرة، وقيل: عذاب الاستئصال، وكان من جوابهم أن «**قَالُوا**» لهود: «**أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا**» تصرفنا «**عَنْ آلِهَتِنَا**» أي: عن الأوثان التي نعبدها، وإن كنت صادقًا «**فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا**» من العذاب[7] «**إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**» في ذلك يعني في العذاب، وقيل: في النبوة، وكان استعجالهم على وجه التكذيب، «**قَالَ**» هود «**إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ**» يعني هو يعلم وقت العذاب الذي تستعجلون به لا أنا، وإنما إليَّ تبليغ الرسالة، «**وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ**» إليكم، وقيل: فيه إضمار تقديره: أمرت أن أبلغكم

---

(١) ومهرة: ومرة، ت، د.

(٢) تنسب: ينسب، ت.

(٣) مهاري: مهراري، ت، د، ك.

(٤) سيارة: سفارة، ت، د، ك.

(٥) أن: -، ت.

(٦) من العذاب: -، ت.

(٧) تحرق: تخوف، ت، د، ك، وكتب في هامش د: أظنه يحرق.

ما أرسلت به «وَلَكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ» يعني جهالاً بما أريكم أن تقبلوه، وقيل: جهالاً بربكم، وقيل: تجهلون في استعجال العذاب.

فلما أصروا على كفرهم جاءهم العذاب، فقال ـ سبحانه ـ: «فَلَمَّا رَأَوْهُ» الضمير قيل: يرجع إلى العذاب «عَارِضًا» قيل: سحابًا، وقيل: عذابًا في صورة السحاب، تجريه الريح، عن أبي مسلم، قيل: طلع ثلاث سحابات، وقيل: ساق الله إليهم سحابة سوداء من واد يقال له المغيث، وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما رأوها «مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ» يعني تجيء إلى أوديتهم «قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مُمْطِرُنَا» استبشروا، وقالوا: هذا غيث يمطر لنا، وقيل: ريح تمطر السحاب له، عن أبي مسلم، وقيل: طلع ثلاث سحابات، اختاروا السوداء، فنودوا اخترتم رمادًا رِمْدِدًا لا تبقي منكم أحدًا، لا والدًا ولا ولدا، إلا جَعَلَتْهُ همدا، أي: هالكًا «بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ» من العذاب «رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ» وجيع، وقيل: بل هو قول الله تعالى لا على سبيل الحكاية «تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا» قيل: تهلكه، وقيل: تحرق[1]، وألقى بعض الأشياء على بعض حتى تهلك، وقيل: اقتلعت[2] الريح كل شيء منتصب، وقيل: كانت ترفع الظعينة حتى ترى كأنها جرادة، وعن ابن عباس: (أول ما عرفوا أنها عذاب ربهم[3] رأوا ما كان خارجًا من ديارهم وغير ذلك تطير بهم الريح بين السماء والأرض، فدخلوا بيوتهم فغلقوا[4] الأبواب، فقلعت الريح أبوابهم، وهدمت بيوتهم، وصرعتهم، وأمالت الريح الرمال عليهم حتى صاروا تحت الرمال، ثم كشفت عنهم الرمال وألقت بهم في البحر). ﴿كُلَّ شَيْءٍ﴾ من رجال عاد ونسائهم ومواشيهم وأموالهم ﴿بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾ قيل: بإذنه، وقيل: بإهلاكه، فسمي فعله أمرًا؛ لأنه أبلغ في التعظيم «فَأَصْبَحُوا» أي: دخلوا في وقت الصباح «لاَ يُرَى» منهم شيء «إِلاَّ مَسَاكِنُهُمْ» قائمة «كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ».

---

(١) اقتلعت: ابتلعت، ت، ك.

(٢) ربهم: أنهم، ت، ك.

(٣) فغلقوا: وغلقوا، ت، ك.

(٤) حجة القراءات، ٦٦٨.

❁ الأحكام

تدل الآيات أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب، فيبطل قول الرافضة: إن الإمام يعلم الغيب.

وتدل على أنهم عند الإياس من إيمانهم أهلكوا تحذيرًا عن مثل حالهم.

وتدل على أن العذاب يستحق على الإجرام.

وتدل أن الإجرام فعلهم، ليس بخلق الله تعالى.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰهُمْ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْـَٔايَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾﴾.

❁ القراءة

القراءة الظاهرة: «إِفْكُهُمْ» بكسر الهمزة وسكون الفاء وضم الكاف، أي: كَذِبُهُمْ، وعن ابن عباس وابن الزبير: «أَفَكَهُمْ»[1] بفتح الهمزة والفاء والكاف على أنه فعل ماضٍ، أي: ذلك القول صرفهم عن التوحيد والإيمان، وقرأ عكرمة بتشديد الفاء على التكثير والتأكيد[2]، أي: حِلتَهم[3] عن نعمتهم وصَرَفَهُم عنها.

(١) حجة القراءات، ٦٦٨

(٢) حلتهم: خلتهم؛ ت، د، ك.

(٣) حجة القراءات، ٦٦٨.

قراءة العامة: «فلما قُضِيَ» بضم القاف على ما لم يسم فاعله، وقرأ الأحوس حميد: «قَضَى» بفتح القاف والضاد، يعني النبي ﷺ، أضاف القراءة إليه[١].

۞ اللغة

التمكين: إعطاء ما يتمكن به من الفعل، ويدخل فيه القدرة والآلة وسائر ما يحتاج إليه، مَكَّنَهُ تمكينًا، قال ابن عرفة: التمكين: زوال الموانع، وذلك داخل في الأول، كما يحتاج[٢] في الفعل إلى الآلات، يحتاج إلى زوال الموانع، فإذا أزيحت العلة في جميع ذلك، فقد مكن.

وحاق وحق، نحو: زال وزل.

والتصريف: تصيير الشيء في الجهات تارة مع هذا، وتارة مع ذلك، وتصريف الآيات: تصييرها تارة بالإعجاز، وتارة بالإهلاك، وتارة في التذكير بالنعم، وتارة بتذكير[٣] النِّقَم، وتارة بوصف الأبرار[٤]، وتارة بوصف الفجار.

والقربان: قال الكسائي: كل ما يتقرب به إلى الله تعالى من طاعة، ونُسُكٍ، والجمع[٥]: قرابين، كرهبان ورهابين. والإنصات: السكوت.

۞ الإعراب

(إِنْ) في قوله: ﴿إِن مَّكَّنَّٰكُمْ﴾[٦] توكيد، والمعنى: فيما مكناكم فيه.

﴿فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ﴾ أي: هَلَّا نصرهم.

۞ المعنى

ولما ذكر إهلاك عاد، وعظ قوم النبي ﷺ وحذرهم أن ينزل بهم مثل ما نزل

---

(١) يحتاج: يحاج، ك.

(٢) بتذكير: بتذكر، ت، ك.

(٣) الأبرار: الإنذار، ت.

(٤) والجمع: والجميع، د.

(٥) إن مكناكم: إن مكناهم، د.

(٦) وأعطيناهم: وأعطاهم، ت.

بأولئك، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ**» قيل: التمكين: التخلية والإمهال، أي: لم نعاجلهم وأمهلناهم لينظروا ويتفكروا، عن ابن عباس، وقيل: وَسَّعْنَا عليهم في الرزق والملاذّ، وأعطيناهم[1] حواسًا سليمة لينظروا «**فِيمَا إِنْ مَكَّنَّاكُمْ فِيهِ**» قيل: كما مكناهم كذلك مكناكم[2]، وقيل: فيما لم نمكنكم فيه، عن ابن عباس، وقتادة، يعني في بسطة الأجسام، وقوة الأبدان، وطول العمر، وكثرة المال، وقيل: هو خطاب لأصحاب النبي ﷺ أي: مكنا أولئك ما لم نمكن لكم، فأطعتموني وهم أعرضوا مع كمال النعم عليهم، وفيه مدح هؤلاء[3] وذم لأولئك «**وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً**» يعني مع هذا التمكين أعطيناهم حواسَّ سليمة، أعينًا يبصرون بها، وآذانًا يسمعون بها، وقلوبًا يتفكرون بها لينتفعوا بهذه الحواس «**فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلاَ أَبْصَارُهُمْ وَلاَ أَفْئِدَتُهُمْ**[4]» أي: لم يكف ذلك[5] عنهم شيئًا من عذاب الله، أي: لم تغن عنهم من عذابه لما نزل بهم «**إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ**» أي: حل لما[6] استحقوا ذلك «**مَا**[7] **كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ**» من الوعيد والعذاب، وقيل: لاستهزائهم «**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى**» خطاب لأهل مكة، يعني أهلكنا [أخربناها] خرابًا كديار عاد، وثمود، وأرض سدوم «**وَصَرَّفْنَا الآيَاتِ**» أي: الحجج «**لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**» أي: يرجعوا عن كفرهم، فلم يرجعوا فأهلكناهم، يخوف بذلك مشركي قومه «**فَلَوْلاَ نَصَرَهُمُ**» أي: هَلَّا نصرهم عند نزول العذاب بهم «**الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً**» يعني الأصنام اتخذوها سببًا يتقربون بها إلى الله تعالى على زعمهم، وقيل: معناه هلا نصرهم الذين يتقربون إليهم بالعبادة من دون الله «**بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ**» أي: ذهبوا عن نصرتهم وتلاشوا «**وَذَلِكَ إِفْكُهُمْ**» قيل: كذبهم الذي كانوا

(١) مكناكم: مكناهم، ت.
(٢) هؤلاء: أولاء، د، ك.
(٣) ولا افئدتهم: -، ت، ك.
(٤) ذلك: -، ت، ك.
(٥) لما: بما، د، ك.
(٦) ما: بما، د، ك.
(٧) ويؤدون: ويقربوا، ت.

يقولون: إنها آلهة، ويؤدون[1] إليها العبادة، وقيل: إفكهم فيما ادعوا أنه يقربهم إلى الله زلفا، وقيل: معناه عاقبة إفكهم، حيث لم ينالوا منهم ما يأملون، وقيل: ذو إفكهم، أي: مأفوكهم **«وَمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ»** أي: يكذبون.

ثم بَيَّنَ تعالى أن في الجن مؤمنًا وكافرًا[2] كما في الإنس، فقال ـ سبحانه ـ: **«وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِنَ الْجِنِّ»** قيل: صرفهم إليه بالأمر، أمرهم أن يصيروا إليه، وقيل: صرفهم إليه بالألطاف والخواطر، وقيل: صرفهم إليه بالشهب، فإنها لما كثرت في أيام الرسول ﷺ، وحرست السماء، علم جماعة من الجن أنه لأمر عظيم، فصُرِفُوا إلى النبي ﷺ طلبًا للعلم، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، فكان في الشهب لُطْفٌ للجن، واختلفوا في عددهم، فقيل: كانوا سبعة نفر، فجعلهم رسلاً إلى قومهم، عن ابن عباس، وقيل: تسعة، عن زر بن حبيش، وقيل: صرفوا إليه من نينوى، عن قتادة، وقيل: من نصيبين، عن ابن عباس، واختلفوا متى كان ذلك، قيل: لما مات أبو طالب خرج رسول الله ﷺ إلى الطائف يلتمس النصر من ثقيف فلم يجيبوه، فانصرف راجعًا إلى مكة، فلما بلغ بطن نخلة قام من الليل فصلى، فمر به نفر من جن نصيبين، وقيل: بعثهم إبليس إلى تهامة لتجسس الأخبار عند الرمي بالشهب فأتوه وهو ببطن نخلة، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وجماعة، وقيل: بل أُمِرَ النبي ﷺ وهو بمكة أن يدعو الجن، فصرف إليه نفر من جن[3] نينوى، وقيل: من جن نصيبين، وخرج معه ابن مسعود، **«فَلَمَّا حَضَرُوهُ»** أي: حضروا رسول الله ﷺ، وسمعوا القرآن، أعجبهم حسنه، وعلموا أنه معجز، عن قتادة، وجماعة، وقال بعضهم لبعض: **«أَنْصِتُوا»** أي: اسكتوا واستمعوا القرآن **«فَلَمَّا قُضِيَ»** أي: فرغ من القراءة، واستماع الجن، وقيل: كان بعضهم يقع على بعض من حرصهم على استماعه، وقيل: معناه أسلموا، ولذلك قال: **«وَلَّوْا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنْذِرِينَ»** أي: رجعوا إلى قومهم من الجن مُخَوِّفِين، داعين بأمر الله تعالى، و**«قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا**

(١) مؤمنًا وكافرًا: مؤمن وكافر، ت، ك.

(٢) جن: الجن، ك.

(٣) أنزل: +، ت، ك.

أُنْزِلَ[١] **مِنْ بَعْدِ مُوسَى**» أي: من[٢] بعد نبوته والتوراة المنزل عليه «**مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ**» من الكتب، يعني يصدق أنها حق، وقيل: ورد على مصداق ما كان فيها «**يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ**» أي: يدل عليه ويدعو إليه «**وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ**» أي: قَيِّمٍ لا تناقض فيه ولا فساد.

الأحكام

يدل قوله: «**مكناهم**» أنه أزاح العلة بوجوه التمكين، ولو كان يكلفهم ما لا يقدرون عليه لم يصح هذا الوجوب.

ويدل قوله: «**يجحدون**» أن الجحود فعلهم.

ويدل قوله: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أنه أراد الرجوع من الجميع.

ويدل قوله: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ أن الإفك والافتراء فعلهم، وليس بخلق الله ـ تعالى ـ.

ويدل قوله: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ﴾ على كون الجن مكلفين، وأنهم متعبدون بشريعة نبينا، وأنه مبعوث إليهم؛ فلذلك قرأ عليهم القرآن.

وتدل أن منهم مؤمنين وكفارًا، وأن القوم الذين حضروا النبي ﷺ كانوا يهودًا، لذلك قالوا: ﴿مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ﴾، وعلى أنهم كانوا راغبين لذلك قال: ﴿وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ﴾، واختلفوا في مؤمني الجن، فروي عن أنس ليس لهم ثواب، ولكن يصيرون ترابًا مع البهائم، وليس هذا بصحيح؛ لأنهم مكلفون، فلا بد أن يكون لهم ثواب دائم وعقاب، وقيل: لهم ثواب وعقاب كالإنس، ويدخلون الجنة، عن الضحاك وجماعة، وهو أوجه.

---

(١) من: -، ت، ك.

(٢) بالباء: بالياء، ت.

قوله تعالى:

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

القراءة

قراءة العامة: «بقادر» بالباء[1] والألف على الاسم، واختلفوا في وجه دخول الباء فيه، فقال أبو عبيدة والأخفش: صلة، كقوله: ﴿تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ﴾ [المؤمنون: ٢٠] وقال الكسائي والفراء: دخلت في جواب النفي، كقولهم: ليس زيد بقائم، وقوله[2] سبحانه: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ﴾ [يس: ٨١].

وقرأ يعقوب: «يَقْدِرُ» بالياء وبغير ألف على الفعل[3]، وهي قراءة عاصم الجحدري، والأعرج، وابن أبي إسحاق، وسلام القارئ، ومالك بن دينار، واختاره أبو حاتم؛ لأن دخول الباء في خبر (أَنَّ) ضعيف، واختار أبو عبيدة قراءة العامة لإجماع القراء، ولأنها في قراءة ابن مسعود (قادر) بغير باء.

اللغة

الإجابة: موافقة العمل لدعاء الداعي لأجله، أجاب فهو مجيب، وداعي الله: مَنْ يدعو إلى طاعته، والدعاء والسؤال والطلب[4] بمعنى.

(١) وقوله: وقال، ت، د، ك.
(٢) الطبري ١٥/ ٥٥.
(٣) والطلب: والطلبة، ت، ك.
(٤) إذا عي: عجب عي، ت.

والإجارة: أن تُؤَمِّنَهُ من خوف، يقال: أجاره يُجِيرُهُ فهو مُجِيرٌ، ومنه: ﴿يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨].

والولي: الذي من شأنه التولي إلى النصرة عند الحاجة، وولي النكاح: متولي العقد.

أَعْيَا الرجل في مشيته يعيا إعياءً: إذا شق عليه أو امتنع، وعَيِيَ عيًّا في منطقه، ورجل عَيَاياءُ: إذا عَيَّ[١] بالأمر والمنطق، وداءٌ عَيَاءٌ: لا دواء له.

والعزم: عقد القلب على شيء أن يفعله، ونحوه: العزيمة، قال ابن زيد: عزمت عليك: أقسمت عليك، وقيل: معناه أمرتك أمرًا جدًا، والعزائم: الفرائض، والعزم: القوة على الشيء والصبر عليه، وقيل[٢]: الحزم التأهب للأمر، والعزم المضي فيه والنفاذ، والعزم: إرادة مخصوصة، وليس بمعنى سوى الإرادة.

والتبليغ: مصدر بلغه تبليغًا، والاسم البلاغ نحو: أديت تأدية، والاسم الأداء.

الإعراب

موضع «بقادر» رفع لأنه خبر (أَنَّ).

«بلاغ» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، يعني هذا القرآن بلاغ، أو المنزل، أو الكتب بلاغ.

المعنى

ثم بَيَّنَ تمام خبر الجن، فقال ـ سبحانه ـ حاكيًا عنهم: «**يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ**» قيل: محمدًا ﷺ فيما يدعو إليه؛ لأنه كان يدعو إليه[٣]، كما أن الكفار يدعون[٤] إلى الأوثان، وقيل: هو عام في كل من يدعو إلى توحيد الله تعالى وعدله وعبادته «**وَآمِنُوا بِهِ**» قيل: بالله، وقيل: برسوله «**يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ**» أي: ذنوبكم، و(مِنْ) تأكيد، قال أبو علي: وهو من الخاص الذي يريد به العام، وقيل: (مِنْ)

(١) وقيل: فقيل، ك.
(٢) إليه: الله، ت، ك.
(٣) يدعون: دعوا، ت، ك.
(٤) قيل: وقيل، ت، د، ك.

للتبعيض، فيغفر ما تبتم عنه «وَيُجِرْكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ» قيل[١]: استجاب لهم سبعون رجلًا من الجن، جاءوا إلى رسول الله ﷺ فقرأ عليهم القرآن، وأمرهم ونهاهم «وَمَنْ لاَ يُجِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الأَرْضِ» أي: لا يفوت عن الله، ولا يعجزه بالهرب «وَلَيْسَ لَهُ مِنْ دُونِهِ[٢]» أي: دون الله[٣] «أَولِيَاءُ» أي: ناصر يدفع العذاب عنه، أراد أنه لا يقدر على دفع العذاب بنفسه ولا يجد غيره من[٤] يدفع «أُولَئِكَ فِي ضَلاَلٍ[٥]» أي: ذهاب عن الحق «مُبِينٍ» بين ظاهر.

ثم عاد الكلام إلى الرد على منكري البعث، فقال ـ سبحانه ـ: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ ابتداء من غير شيء «وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ» قيل: لم يعجز عنه، عن أبي علي، وقيل: لم يصبه كلال ولا عناء ولا ضعف «بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى» بعد تفرق أجسادهم؛ لأن اختراع الشيء أعظم من إعادته «بَلَى» جواب للاستفهام[٦] إذا قيل: ألم تعلم ذلك، فتقول: بلى، فاعلموا أنه قادر على ذلك.

ثم عقبه بذكر الوعيد، فقال ـ سبحانه ـ: «وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ» قيل: تعرض عليهم النار مع شدة أهوالها، فتكون[٧] زيادة في عقوبتهم وغمهم، وقيل: بل يدخلون النار، ثم يقال لهم توبيخًا: «أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا» قيل: إنهم يعترفون في وقت لا ينفعهم، ثم يقال لهم: «فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ»، «فَاصْبِرْ» يا محمد على أذاهم وأداء الرسالة «كَمَا صَبَرَ أُولُوا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ» قيل: (مِنْ) هنا[٨] للتأكيد والبيان لا للتبعيض، فجميع[٩] الرسل أولو

(١) من دونه: من دون الله، د.
(٢) أي دون الله: +، ت، ك.
(٣) من: +، ك. وفي ت: ممن.
(٤) مبين: +، ت.
(٥) للاستفهام: الاستفهام، ت، ك.
(٦) فتكون: لتكون، ت.
(٧) هنا: هذا، ت، ك.
(٨) فجميع: فجمع، ت.
(٩) اثنى: ت، ك.

العزم، عن ابن زيد وأبي علي وجماعة؛ لأنهم عزموا على أداء الرسالة والصبر فيه، وتحمل الشدائد، وأداء ما أمروا به، وهذا هو الأوجه، وقيل: «مِنْ» للتبعيض وأراد بعضهم.

ثم اختلفوا من هم، قيل: المذكورون في سورة (الأنعام).

وقيل: الذين أمروابالقتال، وأظهروا المكاشفة، وجاهدوا، وقاسوا قومهم كإبراهيم، وموسى، وعيسى وغيرهم، عن أبي مسلم، والكلبي.

وقيل: اثنا[(١)] عشر من أنبياء بني إسرائيل، منهم من قتل[(٢)]، ومنهم من نشر بالمناشير، ومنهم من سلخ جلده.

وقيل: هم ستة: نوح، وهود، وصالح، ولوط، وشعيب، وموسى، وهم المذكورون في سورة (هود) و(الشعراء).

وقيل: أصحاب الشرائع، وهم خمسة: نوح، وإبراهيم، وموسى، وعيسى، ومحمد.

وقيل: نوح وإبراهيم، ويعقوب، ويوسف، وأيوب، ومحمد، صبروا على ما نالهم، عن مقاتل.

وقيل: أربعة: [نوح و][(٣)] إبراهيم، وموسى وعيسى، عن قتادة.

وقيل: ثلاثة، ورابعهم محمد ﷺ، عن أبي العالية.

واختلفوا في معنى «أولي العزم»، قيل: ذوو الحزم، عن ابن عباس، وقيل: ذوو الجد والصبر، عن الضحاك، وقيل: ذوو الرأي الصواب، عن القرظي، وقيل: الذين عزموا على أداء الرسالة، وتحمل المشقة فيها، وهم جميع الرسل، عن أبي علي، وأبي مسلم.

---

(١) من قتل: قتل، ت، ك.
(٢) نوح و: -، ت، د، ك. وكتب فوق ت: أظنه نوح و.
(٣) ولا: فلا، ت، د، ك.

«وَلاَ[١] تَسْتَعْجِلْ لَهُمْ» أي: لا تسأل تعجيل هلاكهم في الدنيا، ولعل الحكمة في تأخيرهم، والله أعلم بالمصالح «كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ» من العذاب «لَمْ يَلْبَثُوا إِلاَّ سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ» قيل: إن هؤلاء وإن امتد بقاؤهم فعند رؤية العذاب لم يكن ذلك إلا لبثًا قليلاً، كساعة من نهار، وقيل: معناه لا تستعجل فكل ما هو آت قريب، وقيل: أفنيناهم بشدة ما نزل بهم من العذاب مدة لبثهم، وقيل: في جنب[٢] ما عاينوا توهموا لبثهم قليلاً، وقيل: لعظم حسرتهم ذكروا أنهم في حكم من لم يلبث إلا ساعة من نهار «بَلاَغٌ» قيل: ذلك اللبث بلاغ، أنزلهم بلغة وكفاية؛ لأنهم علموا لمكثهم[٣] في تلك الساعة، وقصروا وفرطوا، وقيل: هذا القرآن وما فيه من البيان بلاغ لهم وكفاية في الوعظ، وقيل: ليس عليك إلا البلاغ، فإذا بلغت الرسالة خرجت عن الواجب، فإن كفر الكافر وفسق الفاسق فوبالهم[٤] عليهم[٥]، وليس عليك إلا البلاغ، عن أبي مسلم، وقيل: «بلاغ» أي: قليل، كما يقال: ما معه من الزاد إلا بلاغ، عن أبي علي، أي: صاروا إلى دار الحسرة، كانوا في الدنيا بمنزلة من لم يعش إلا قليلاً لا خطر لها، وقيل: لها بلاغ، أي: بلغة من العيش يبلغون بها في دار الدنيا، عن ابن[٦] الأنباري. «فَهَلْ يُهْلَكُ إِلاَّ الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ» الخارجون عن طاعة الله إلى معاصيه.

۞ الأحكام

تدل الآية على وجوب اتباع من يدعو إلى الله وتوحيده وعدله.

ويدل قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا﴾ على صحة المقايسة؛ لأنه قاس الإعادة على الابتداء، وهذا من أصح الاعتبار؛ لأن خلق الأجسام لا يصح إلا من القادر للذات، والإعادة لا

(١) جنب: حيث، ت، ك.
(٢) لمكثهم، تمكنهم، ت، ك.
(٣) فوبالهم: فوباله، د.
(٤) وقيل ليس عليك... عليهم: -، ت.
(٥) ابن: +، ت، ك.
(٦) منه: فيه، ك.

تصح إلا على أفعال القادر للذات، فإذا كان الله تعالى قادرًا لذاته، وأنه يصح منه خلق الأجسام، وجب أن تصح منه[1] الإعادة.

وتدل على وجوب الصبر، واحتمال الأذى في الدين.

وتدل أن كل فاسق هالك.

وتدل أن الفسق فعل العبد، ليس بخلق الله تعالى.

(١) متعد: متعدي؛ ت، د، ك.

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

سورة محمد ﷺ، مدنية على ما يقال، وهي ثمانٍ وثلاثون آية في الكوفي، وتسع وثلاثون في المدني، وأربعون في البصري.

وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (محمد) كان حقًّا على الله أن يسقيه من أنهار الجنة».

ولما ختم سورة (الأحقاف) بوعيد الكفار افتتح هذه السورة بمثلها.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ (١) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ (٢) ذَٰلِكَ
بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ
أَمْثَالَهُمْ (٣) فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا
بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّىٰ تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَ
بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ
بَالَهُمْ (٥) وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ (٦)﴾.

القراءة

قرأ أبو عمرو ويعقوب، وحفص عن عاصم: «قُتِلُوا» بغير ألف وضم القاف من القتل، يعني الشهداء على ما لم يسم فاعله، واختاره أبو حاتم، والباقون: «قاتلوا» بفتح القاف والألف من القتال، أي: باشروا القتال والجهاد، وعن الحسن، بضم القاف وحذف الألف مشددة مبالغة في القتل، وقرأ عاصم الجحدري بفتح القاف والتاء من غير ألف، يعني قَتَلُوا المشركين.

اللغة

الصد: الإعراض، والصد: صرف الغير عن الشيء، إما بالنهي أو المنع، أو الترغيب في خلافه، وهو لازم ومُتَعَدٍّ[1]، وصَدَّ يَصِدُّ، وصَدَّه يَصُدُّهُ.

والبَالُ: الحال والشأن، والبال: القلب أيضًا، ومنه[2] قولهم: لا أبالي به، ومنه يقال للضمير: البال، يقال: خطر ببالي كذا، قال الشاعر:

مَا بَالُ دَفِّكِ بِالْفِرَاشِ مُذَيَّلاً   أَقَذًى بِعَيْنِكَ أَمْ أَرَدْتَ رَحِيلاَ[3]

وقال آخر:

«فَإِنْ تُقْبِلي بالُودِّ أَقْبِلْ بِمِثْلِهِ   وإِنْ تُدْبِرِي أَذْهَبْ إلى حَالِ بَالِيا[4]

والبال لا يجمع، كأخواته من الحال والشأن، وقيل: يجمع فيقال: بالات، والوجه هو الأول[5].

والإثخان: إكثار القتل، وغلبة العدو وقهره، يقال: أوقع بهم فأثخن أي: أكثر القتل وقهر، ومنه: أثخنه المرض اشتد، وأثخنه الجراح.

---

(١) ومنه: ومنهم، ت.

(٢) البيت قائله الراعي النميري لسان العرب (مذل)، الصحاح (مذل)، تاج العروس (مذل).

(٣) البيت قائله سحيم عبد بني الجساس؛ انظر ديوان سحيم.

(٤) والوجه هو الأول: والأول الأوجه، د، ك.

(٥) البيت قائله الأعشى أنظر لسان العرب (وزر)، الصحاح (وزر)، تاج العروس (وزر).

والأوزار: السلاح، قال الأعشى:

وَأَعْــدَدْتُ لِـلْــحَــرْبِ أَوْزَارَهَــا رِمَــاحًــا طِــوَالاً وخَــيْــلاً ذُكُــورَا[١]

والوزر: ما يحمله الإنسان، فسمي السلاح أوزارًا لذلك، ولأنها تثقل[٢] على لابسها، والوزر: الثقل المثقل للظهر.

العرف: ضد النكر، والمعرفة: العلم، وعرفت الشيء: علمته[٣]، والعَرْفُ الأَرَجُ الطيب، يقال: طيب الله عَرْفَكَ، أي: ريحك، وعَرَّفْتُ المرقة طيبتها، يقال: عَرَفَ: علم بالتخفيف، وعَرَّفَ: طيب بالتشديد، وعَرَّفَ غيره بالتشديد: أعلمه.

الإعراب

نصب ﴿مَنًّا﴾ و﴿فِدَآءً﴾ بإضمار فعل تقديره: فإما أن تَمُنُّوا عليهم منًّا[٤] أو تفادوهم[٥] فداء.

(ضرب الرقاب) أي: اضربوا الرقاب، نصب على الإغراء.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في المطعمين ببدر وكانوا عشرة أنفس.

وقيل: نزلت في أهل الحديبية، منعوا رسول الله ﷺ وأصحابه عن دخول مكة.

وقيل: بل هو عام في جميع المشركين.

وقيل: نزل قوله: «والذين آمنوا» في الأنصار، وقيل: بل هو عام[٦].

وقيل: الذين كفروا: أهل مكة، والذين آمنوا: الأنصار، عن ابن عباس.

---

(١) ولأنها تثقل: ولأنه يثقل، ت، د، ك.
(٢) أعلمه: وعلمته، ت، ك.
(٣) وإما أن: أو؛ ت، د، ك.
(٤) أو تفادوهم: أو تفادونهم، ت، ك.
(٥) في جميع المشركين... عام: +، ت، ك.
(٦) نزل: ونزل، د، ك.

وقيل: نزل[1] قوله: ﴿وَالَّذِينَ قُتِلُوا﴾[2] في الذين قتلوا[3] يوم أحد لما قال المشركون: أُعْلُ هُبَلُ، فقال المسلمون: الله أعلى وأَجَلُّ، فقالوا: يوم بيوم بدر، فقال المسلمون: لا سواء؛ قتلانا في الجنة وقتلاكم في النار، عن قتادة.

۞ المعنى

«الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ» قيل: أعرضوا، وقيل: صدوا غيرهم، وتحمل عليهما؛ لأنه لا كافر إلا وكما يصد نفسه يصد غيره، وسبيل الله دينه المؤدي إلى رضاه، وقيل: صدوا عن بيت الله والحج، عن أبي مسلم. «أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ» قيل: أبطلها فلم يقبلها، وقيل: ما توهموه قربة[4] وكانت معصية[5] كإطعام الكفرة ونحوها، وقيل: أبطل كيدهم ومكرهم بالنبي والمسلمين، وجعل الدائرة[6] عليهم، عن الضحاك، وقيل: ﴿أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ أي: أحبط ثوابها لكفرهم، وهي الأعمال التي لولا الكفر لاستُحِقّ عليها الثواب، وقيل: وجد أعمالهم ضلالاً «وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ» من القرآن والشرائع فلم يخالفوه في شيء، عن سفيان الثوري «وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ» يعني كما أبطل أعمال الكفار، كَفَّرَ معاصي المؤمنين، وهذه الآية أصل في الإحباط والتكفير «وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ» قيل: حالهم، عن قتادة، وقيل: شأنهم، عن مجاهد، أي: أصلح حالهم في الدارين، وقد فعل ذلك بأصحاب محمد ﷺ، أظفرهم على الأعداء، وصيرهم خلفاء الأرض بعده، وبشرهم بالجنة «ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا» أي: فعلنا لكل واحد من الفريقين لأجل فعلهم جزاء لهم، والكافرون «اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ» قيل: الشيطان، وقيل: هو كل باطل من

---

(١) والذين قتلوا: -، ت.
(٢) في الذين قتلوا: -، ك.
(٣) قربة: فدية، ت؛ ندبة، د.
(٤) معصية: فيقضيه، ت، د.
(٥) الدائرة: الدبرة، د، ك.
(٦) يزيد: يزيده، ت.

قول أو عمل، وهو الوجه، «وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ» أي: ما بينه، وهدى إليه، وقيل: القرآن «كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ» أي: يزيد[1] بضرب الأمثال بيانًا ووضوحًا، فالأمثال هو قوله: ﴿ذَٰلِكَ[2] بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ﴾ يعني الكفار بمنزلة مَنْ دَعَاهُ الباطل فاتبعه، والمؤمن بمنزلة من دعاه الحق فاتبعه، وقيل: هو[3] ضرب من الأمثال في القرآن.

ومتى قيل: فلماذا أضاف الأمثال إليهم؟

قلنا: لأنه ضرب لهم، ولنفعهم، وموعظة لهم.

ثم أمر المؤمنين بقتال الكفار، فقال ـ سبحانه ـ: «فَإِذا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا» يعني من أهل الحرب المُصِرِّين[4] على الحرب؛ لأن أهل الذمة لا يجوز قتالهم وقتلهم، وكذلك من جاء مسترشدًا، أو تائبا، أو بأمان لا يجوز قتله، وقيل: إذا لقيتم، أي: إذا حاربتم من اللقاء الذي هو الحرب «فَضَرْبَ الرِّقَابِ» أي: اقتلوهم، والرقاب الأعناق، وإنما عبر بذلك عن القتل؛ لأنه لا يبقى حيًّا بعد ضرب الرقبة، وقيل: أمر بقتلهم من غير أسر ولا فداء[5]، فإذا «أَثْخَنتُمُوهُمْ» أي: قهرتموهم وعزرتموهم، وقيل: أكثرتم الجراح والقتل، وقتلتم بعضهم، وجرحتم البعض حتى ضعفوا «فَشُدُّوا الْوَثَاقَ» يعني شدوا وثاق الأسارى، فأمر بالقتل والأسر؛ لكيلا يقوى الكفر، وقيل: أراد كيلا يهربوا، وقيل: هذا في حرب واحد، ولم يرد جميع ذلك في شخص واحد[6]، ولكن كما يقال: قتلناهم، وجرحناهم، وأسرناهم، وقيل: ليس هذا في حرب واحد؛ بل في حروب كثيرة، والقتل في حرب، والإثخان في حرب، والأسر في حرب؛ لتعظم الهيبة في قلوب الكفار.

---

(١) ذلك: وذلك، ت، ث.
(٢) هو: ما هو، -، د.
(٣) المصرين: المصر، د، ك.
(٤) ولا فداء: ولا فداء ابتدوا، د.
(٥) واحد: -، ت، ك.
(٦) فإما: إما، ت، د، ك.

ثم بَيَّنَ الحال بعد الأسر فقال: «**فَإِمَّا**[١] **مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً**» أي: مَنًّا منكم عليهم بالإطلاق بعد الأسر من غير عوض، وإما فداء بعوض، بمال أو رجال، وقيل: المن بالإطلاق وبالإسلام؛ لأن أسير العرب إذا آمن يطلق، وأسير العجم إذا أُسِرَ يستعبد «**حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا**» أثقالها، قيل: أراد تضع أهل الحرب سلاحها حتى تزول الحرب، وهم المحاربون. أوزارها: آثامها، بأن يتوبوا من كفرهم، ويؤمنوا بالله، أي: أثخنوا المشركين بالقتل والأسر، حتى يظهر الحق والإسلام[٢] على الأديان كلها، وقيل: حتى تنقطع الحرب عند نزول[٣] عيسى، فيسلم كل يهودي ونصراني، وصاحب ملة، وهي آخر أيام التكليف، عن مجاهد، وقيل: حتى يُعْبَدَ الله، ولا يشرك به شيئًا[٤]، عن الحسن، وقيل: حتى لا يكون دين إلا الإسلام، عن مجاهد، وقيل: حتى يسلموا أو يسالموا، عن الكلبي، والأوزار[٥] المراد به ما دام الحرب قائمًا، أو يكون في دار الحرب، فأمر[٦] بالاحتياط [و] القتل والشد لنا من العدو.

ثم بَيَّنَ الغرض في التعبد بالجهاد، فقال: «**ذَلِكَ**» قيل: الأمر بالجهاد، وقيل: ما ذكرناه من أحكام الكفار «**وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لَانْتَصَرَ مِنْهُمْ**» لأهلكهم وكفى أمرهم من غير قتال «**وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ**» أي: يمتحن بعضكم ببعض، يعني لو كان الغرض زوال الكفر فقط لأهلكهم؛ لكن الغرض بذلك استحقاقهم للثواب؛ وذلك لا يحصل إلا بالتعبد وتحمل المشاق، قال أبو مسلم: تلك[٧] الآية ليمحص المؤمنين[٨] [بالجهاد]، ويمحق الكافرين. «**وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» أي: في الجهاد في دين الله، وقيل: قتلوا يوم أحد، عن قتادة، وقاتلوا معناه جاهدوا «**فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ**»

---

(١) والإسلام: الإسلام، ت، ك.
(٢) نزول: نزو، ك.
(٣) شيئاً: -، ت.
(٤) والأوزار: والإقرار، د؛ والأقران، ك.
(٥) فأمر: والأمر، د.
(٦) تلك: ذلك، ت، ك.
(٧) ليمحص المؤمنين: تمحيص للمؤمنين، ت.
(٨) لهم: بالهم، ت.

أي: لا تهلك؛ بل هي مقبولة يجازون عليها ثوابًا «سَيَهْدِيهِمْ» قيل: إلى الجنة وثوابها، وقيل: يثيبهم بالألطاف «وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ» أي: حالهم في الدارين، وقيل: الحال في النفس، والبال في الأحوال «وَيُدْخِلُهُمُ الْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ» قيل: طيبها لهم، عن المؤرج، وقيل: بَيَّنَهَا لهم، وأعلمهم بوصفها، على ما يسرون إليها حتى عرفوها بما وصف لهم[1] في القرآن، عن أبي علي، وأبي مسلم، وقيل: عرفها لهم يوم القيامة حتى أنهم يعرفون منازلهم كما يعرفون منازلهم في الدنيا، عن أبي سعيد الخدري، وقتادة، ومجاهد، وابن زيد، قال الحسن: وصف الجنة لهم في الدنيا، فلما دخلوها عرفوها بصفتها، وقيل: يصحب كل مؤمن ملك إلى منزله، وقيل: نعم الجنة أرفع درجات، يعرف كل أحد درجته، درجة النبيين أعلاها، ودرجة المؤمنين، ودرجة المعصومين، ودرجة المبتدأ بالفضل عليهم.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية على الإحباط والتكفير.

ويدل قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ أن ما فعل بالفريقين جزاء على أعمالهم[2].

ويدل قوله: «فَإِذَا[3] لَقِيتُمُ» على تعليم الجهاد في القتال بعد الإثخان من الأسر والمنّ والفداء، واختلفوا [في حكم معاملة المشركين في الحرب فيما] نزلت بعد ذلك، فإذا أسره الإمام، فقيل: كان الأسر محرمًا بالآية، فقال: ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ﴾ [الأنفال: ٦٧]، ثم أبيح بهذه[4] الآية[5]؛ لأن هذه السورة نزلت بعد ذلك، فإذا أسر فالإمام مخير بين المَنِّ والفداء بأسارى المسلمين وبالمال، وبين القتل والاستعباد، وهو قول الهادي، وأبي يوسف، ومحمد، والشافعي، واختيار أبي علي، وحكم الآية ثابت عندهم، وقيل: الإمام مخيّر بين المن والفداء والاستعباد، وليس له

---

(١) أعمالهم: أفعالهم، ت.
(٢) فإذا: وإذا، ت، ك.
(٣) بهذه: لهذه، ت، ك.
(٤) الآية: الأمة، ت.
(٥) إذا أثخنتموهم: فإذا أثختموهم، د، ك؛ فإذا ثخنتموهم، ت.

القتل بعد الأسر، عن الحسن، وجعل في الآية تقديمًا وتأخيرًا كأنه قيل: فضرب الرقاب حتى تضع الحرب أوزارها، قال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثۡخَنتُمُوهُمۡ[1] فَشُدُّواْ ٱلۡوَثَاقَ فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾.

وروي أن الحجاج أتي بأسير فقال لابن عمر: اقتله، فقال ابن عمر: ما بهذا أمر الله تعالى، يعني بقوله: ﴿فَإِمَّا مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ فحكي عن ابن عمر مثل مذهبه، وحكي مثله عن عطاء.

وقيل: إنه منسوخ بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ[2] ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وبقوله: ﴿فَإِمَّا[3] تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ﴾ [الأنفال: ٥٧]، عن قتادة، والسدي، وابن جريج، وروي عن ابن عباس: الفداء منسوخ بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ[4] ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]، وروي مثله عن الضحاك.

وقيل: ليست بمنسوخة، وحكمه ثابت، عن ابن عمر، ، والحسن؛ وعطاء[5]؛ لأن النبي ﷺ[6] مَنّ على أبي عزة، وقتل عقبة بن[7] أبي معيط، وفادى أسارى بدر.

والذي ذهب إليه أبو حنيفة في الأسرى أنه يجوز القتل والاسترقاق، فإن أسلم لم يجز القتل، وجاز الاسترقاق، ولا يجوز المن، ولا المفاداة بالمال على ظاهر المذهب.

وقال محمد في (السير الكبير): لا بأس به، فأما المفاداة بأسرى المسلمين ففيه روايتان، قال في الأصل: يجوز، وروى الحسن عنه أنه لا يجوز، وقال أبو يوسف ومحمد: يجوز، وذكر أصحابنا أن قوله: ﴿فَإِمَّا[8] مَنَّۢا بَعۡدُ وَإِمَّا فِدَآءً﴾ منسوخ بقوله: ﴿فَٱقۡتُلُواْ[9] ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٥]؛ لأن (براءة) نزلت بعد هذه السورة، وكذلك المنّ

---

(١) فاقتلوا: اقتلوا، ت، د، ك.
(٢) فإما: وإما، ك.
(٣) فاقتلوا: اقتلوا، ت، د، ك.
(٤) وعطا: والعطاء، د، ك.
(٥) صلى الله عليه وآله وسلم: عليه السلام، د، ك.
(٦) بن: -، ت.
(٧) فإما: إما، ت، د، ك.
(٨) فاقتلوا: اقتلوا؛ ت، د، ك.
(٩) على أبي: عن ابن، ت، د.

على أبي[١] عزة كان[٢] ببدر، ثم نسخ، وقد قال أصحابنا: لا يجوز مفاداة النساء والصبيان؛ لأن فيه تكثير العدد، ويجوز مفاداة العجوز الفانية؛ لأنه لا يرجى منها ولد، وكذلك الشيخ الهرم، وقالوا في عبدة الأوثان من العرب: إنه إما أن يسلم أو يقتل، لا يسترقون، ولا يبقون على شركهم.

ويدل قوله: ﴿حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ﴾ على غاية وجوب القتال.

ويدل قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟﴾ على فضل الجهاد.

وتدل على أن الهدى يكون بالفوز والثواب؛ لأن بعد القتل لا يكون إلا ذلك.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَـٰلَهُمْ ﴿٩﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ دَمَّرَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ ۖ وَلِلْكَـٰفِرِينَ أَمْثَـٰلُهَا ﴿١٠﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ مَوْلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَأَنَّ ٱلْكَـٰفِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿١١﴾﴾.

اللغة

التَّعْسُ: الانحطاط للعثار، والإتعاس والإذلال والإدحاض بمعنى، وهو العثار الذي لا يستقيل[٣] صاحبه، قال: فإذا سقط الساقط فأريد به الاستقامة قيل: لَعًا له، وإذا لم يرد به الانتعاش[٤] قيل: تَعْسًا، وفي حديث عائشة[٥]: (تعس مِسْطَحٌ)، يقال[٦]: تعس، أي: أتعسه الله، ومعناه: انكب وعثر، وأتعسه الله[٧]، تعس[٨] فهو متعس، قال الأعشى:

---

(١) كان: وكان، ت.
(٢) لا يستقيل: لا يستقل، د، ك.
(٣) الانتعاش: الانتعاس، ت، ك.
(٤) البخاري رقم ٢٥١٨، ومسلم رقم ٢٧٧٠.
(٥) يقال: قال، د.
(٦) الله: للذين، ت، ك.
(٧) تعس: ونتعس، ك.
(٨) البيت قائله الأعشى في قصيدة مطلعها:

فـالـتَّـعَـسْ أولـى لـهـا مِـنْ أَنْ أَقُـولَ: لَـعَـا[1]

فجمع تعسا ولعا في بيت واحد، قال أبو مسلم: وذلك ضد تثبيت الأقدام الذي جعله بالمؤمن.

والتدمير. الإهلاك، وأصله الدمار.

۞ الإعراب

«تَعْسًا» قيل: نصب على المصدر أي: أتعسه الله تعسًا، وقيل: على الدعاء، عن الفراء[2].

۞ المعنى

لما تقدم الأمر بالجهاد بَيَّنَ الوعد[3] لهم، فقال ـ سبحانه ـ: «يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَنصُرُوا اللَّهَ» أي: دين الله ونبيه «يَنصُرْكُمْ» فجعل نصرة دينه ونصرة نبيه نصرة له تعظيمًا لأمره، وتفخيمًا لشأنه، وهذا كقوله: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ﴾ [النساء: ٨٠]، وقيل: نصر الله بالرد على من يسيء القول فيه، كمن يشبهه بخلقه، أو يضيف[4] القبائح إليه «يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» قيل[5]: ينصركم في الجهاد، ويثبت أقدامكم بألطافه بتقوية قلوبكم، وقيل: ينصركم في الآخرة، ويثبت أقدامكم عند الحساب وعلى الصراط، وقيل: ينصركم في الدنيا والآخرة، ويثبت أقدامكم في الدارين، وهو الوجه؛ لعموم الكلام «وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَهُمْ» قيل: في الآخرة،

بانت سعاد وأمسى حبلها انقطعا واحتلت الغمر فالجدين فالفرعا

وتكملة البيت وبرواية أخرى:

بذاتِ لوث عفرناة إذ عثرت فالتعس أدنى لها من أن أقول لعا

أنظر لسان العرب (لوث)، الصحاح (لوث)، تاج العروس (لوث).

(١) الفراء: القراء، ت.

(٢) الوعد: الوعيد، ت، ك.

(٣) يضيف: ويضيف، د.

(٤) قيل: وقيل، ت.

(٥) تجنبت: حديث، ت، د، ك.

وقيل: في الدارين، ومعنى تعسًا، قيل: بُعْدًا لهم، عن ابن عباس، وقيل: سقوطًا، عن أبي العالية، وقيل: تجنبت[١] عن كل خير، عن الضحاك، وقيل: شقاء، عن ابن زيد، وقيل: التعس عبارة عن خوف القلب، والجزع، وإلقاء الرعب في قلوبهم حتى لا يثبتوا بدل ما ذكر في المؤمنين: «**ينصركم ويثبت أقدامكم**»، «**وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ**» أي: أبطلها؛ لأنها كانت في طاعة الشيطان، وقيل: أحبط ثوابها، قال أبو مسلم: هو يحتمل معنيين:

أحدهما: أنهم يخيبون في سعيهم، فلا يبلغون ما يريدون بالنبي صلى الله عليه والمسلمين.

والثاني: أن أعمالهم التي يقدرون أنها أقرب إلى الله تعالى غير مقبولة منهم.

و«**ذَلِكَ**» يعني التعس والإبطال، «**بِأَنَّهُمْ**[٢] **كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ**» من القرآن والدين على رسوله حسدًا له[٣]، وقيل: ذلك الأمر لأنهم كرهوا الإيمان بما أنزل الله والعمل به «**فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ**» يعني الأعمال التي أمر لا كفرهم [فهو] لا يستحق الثواب، فأحبط ثوابها، وهو كالمحاسن العقلية، والإيمان ببعث الرسل «**أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ**» قيل: معناه هلا ساروا ونظروا[٤] في آثارهم، وقيل: معناه هلا[٥] ساروا[٦] ورأوا عواقب أولئك، فهلا اعتبروا كما يقال: ألم آكل؟ أي: أَكَلْتُ «**دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**» أي: أهلكهم، ودمر الله منازلهم «**وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا**» أي: لهؤلاء الكفار أمثال ذلك مما[٧] تقدم من العذاب للأعداء، والنصرة للأولياء «**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا**» يتولى[٨] نصرتهم وحفظهم «**وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لاَ مَوْلَى لَهُمْ**» أي: لا ناصر يدفع العذاب عنهم.

---

(١) بأنهم: لأنهم، ت، د، ك.
(٢) حسدًا له: -، ث؛ حبًّا له، ت.
(٣) ونظروا: فنظروا، ث.
(٤) هلا: لما، ك.
(٥) ساروا: ساووا، ث.
(٦) مما: ما، ت، ث، د، ك.
(٧) يتولى: يتول، د.
(٨) يأسن: أسن، ت.

۞ الأحكام

تدل الآية على عظم أمر الجهاد، وأن الله ناصرهم، والجهاد قد يكون باليد، وقد يكون باللسان، وكلاهما ذَبٌّ عن الدين.

ويدل قوله: ﴿أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ على تحابط الأعمال، وأن تلك الكراهة فعلهم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِىَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾ أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ۖ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾.

۞ القراءة

قراءة العامة: «مَثَلُ الجنة»، وعن علي عليه السلام: (أمثال الجنة).

وقرأ ابن كثير وحده: «أسِنٍ» بغير مد على وزن فَعِلٍ، والباقون: «آسِنٍ» على وزن فاعِلٍ، وهما لغتان.

۞ اللغة

التمتع والاستمتاع: الانتفاع بالشيء.

والمثوى: المنزل الذي يقام عليه، وأصله من ثوى بالمكان: أقام به، ويقال للمرأة: أم مثواه أي: ربة المنزل، ومنه: ﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾ [القصص: ٤٥] أي: مقيمًا.

المَثَلُ: مأخوذ من المِثْلِ بكسر الميم وسكون الثاء، وهو يستعمل في الشيء

بعينه، ويستعمل في نظيره، والمثل بفتح الميم: يستعمل في النظير، ويوضع موضع الصفة.

أَسَنَ الماء يَأْسِنُ[1] فهو آسن: إذا تغير، وكذلك أجن يأجن، وفيه ثلاث لغات، ويقال: تأسن تغير، وأَسِنَ الرجل: غشي من ريح البئر، والمصدر أسنٌ وأُسُونٌ، وماء آسن: متغير، ويقال: صفا الشيء يصفو فهو صافٍ، وصفيته إذا لم يشبه غيره، والمصفى الذي لا يشوبه شيء.

والمعى: جمعه: أمعاء، ويقال: مِعًى ومِعَيان وأمعاء، ومنه الحديث: «المؤمن يأكل في معاء واحد، والكافر في سبعة أمعاء»، قيل: فيه وجوه من التأويل:

أولها: أن المؤمن يسمي الله تعالى فيبارك له في أكله.

وثانيها: أنه في رجل خاص.

وثالثها: هو مَثَلٌ للمؤمن في زهده في الدنيا، وللكافر في حرصه عليها، وهذا أحسن ما قيل فيه.

ورابعها: أن المؤمن تضيق عليه الدنيا، والكافر يصيب منها.

الإعراب

«مَثَلُ» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، تقديره: فيما يتلى عليكم مثل الجنة، وقيل: هو ابتداء وخبره محذوف، أي صفة الجنة ما ذكرنا، وهو أن فيه كذا، وقال: «أهلكناهم» ولم يقل: أهلكناها؛ لأنه أراد الأهل.

«قوة» نصب على التمييز.

﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾ أي: كم من قرية.

النزول

قيل: لما خرج رسول الله ﷺ إلى الغار التفت إلى مكة، وقال: «أنت أحب بلاد

(١) الأنهار: -، ت، ك.

الله إلى الله وإلَيَّ، ولو لم يخرجوني ما خرجت»، فنزلت: ﴿وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ﴾، عن ابن عباس.

وقيل: نزل قوله: ﴿وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾ في أبي جهل وأصحابه من المشركين.

المعنى

لما ذكر أنه ولي المؤمنين بين ما يفعل بهم، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**» أي: من تحت أشجارها وأبنيتها الأنهار[1].

ثم بين حال الكفار فقال ـ سبحانه ـ: «**وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ**» أي: ينتفعون بالدنيا وملاذها «**وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ**» أي: همتهم في بطونهم وفروجهم[2] همة الأنعام، يتمتعون بها، ويتباهون بفروجهم[3] غافلين عن الآخرة، وقيل: المؤمن في الدنيا يتزود، والمنافق يتزين، والكافر يتمتع. «**وَالنَّارُ مَثْوًى لَهُمْ**» أي: منزل وموضع إقامة.

ومتى قيل: إذا كان التمتع والأكل مباحًا، فلم[4] ذمهم عليهما؟

قلنا: الذم إنما توجه على أنهم جعلوا أيامهم مقصورة على الأكل والتمتع، وأعمالهم للدنيا، وغفلوا عن الآخرة، فأما إذا عمل بطاعة الله، وجعل الدين مقصودًا، والدنيا تبعًا وزادًا، فذلك غير مذموم.

«**وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ**» أي: كم من قرية «**هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِنْ قَرْيَتِكَ**» قوتهم أعظم من قوة أهل قريتك «**أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ**» أي: لم ينصرهم أحد في دفع الهلاك عنهم، و«**أَخْرَجَتْكَ**» ألجأتك إلى الخروج؛ لأنه خرج بنفسه «**أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ**» يعني من كان في دينه وما يعتقد من التوحيد والعدل والشرائع «**عَلَى بَيِّنَةٍ**» أي: حجة لأجلها

---

(١) وفروجهم: -، ت، ك.
(٢) بفروجهم: +، ت، ك.
(٣) فلم: فلماذا، ت، ك.
(٤) علم: عمله، ت، د.

اعتقدها لا تقليدًا ولا تبخيتًا، قيل: محمد ﷺ والمؤمنون «كَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ» قيل: زينه لنفسه، وقيل: زين لهم الشيطان، وقيل: زينه بعضهم لبعض، وسوء عمله ما يدينون به من الكفر، ويعملون من المعاصي، «وَاتَّبَعُوا» في ذلك «أَهْوَاءَهُمْ» من دون حجة، يعني لا يستوي من يتبع الدليل ومن يتبع الهوى، وقيل: على بينة من ربه، أي: علم[1]، وهدى إليه «وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ» عام في كل كافر ومبتدع، وقيل: أبو جهل وأصحابه، وليس بالوجه؛ لأن المراعى عموم اللفظ لا السبب «مَثَلُ[2] الْجَنَّةِ» قيل: شبه الجنة ونظيره، وقيل: صفة الجنة «الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ» أي: وعدها الله لمن اتقى معاصيه.

ثم بَيَّنَ صفة الجنة، فقال ـ سبحانه ـ: «فِيهَا أَنْهَارٌ» قيل: أراد به[3] الأنهار المعروفة جمع نهر، يعني: يجري الماء في الأنهار، وقيل: أراد بالأنهار هذه الأشياء، عن أبي مسلم. «مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ» أي: غير متغير، وقيل: غير منتن، عن قتادة. «وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ»؛ لأنه لم يخرج من ضرع «وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ» خلاف خمور الدنيا فإن[4] فيها رائحة كريهة وطعم مرارة، وقيل: يبقى طيبها في الحلق أربعين[5] سنة، ولا تخامر العقل، ولا تصدع، ويلتذون بها لطيب طعمها «وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى» أي: خالص من كل شائب شمع أو غيره «وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ» أي: من أنواعها «وَمَغْفِرَةٌ مِنْ رَبِّهِمْ» لذنوبهم «كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ» قيل: فيه حذف، أي: من كان في هذه الجنة كمن هو خالد في النار؟ فحذف لدلالة الكلام عليه «وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا» حارًّا «فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ» قيل: إذا قربوه[6] من وجوههم شوى وجوههم، وإذا شربوه قطع أمعاءهم.

---

(١) مثل: ومثل، د.
(٢) به: -، ت، ك.
(٣) فإن: +، ت.
(٤) أربعين: أربعون، ت، ك.
(٥) قربوه: قربوها، ت، ك.
(٦) مصروفة: موصولة، ت، ك.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على أنه لا ينبغي للإنسان أن تكون همته مقصورة على لذات الدنيا؛ بل تكون مصروفة[١] إلى ثواب الآخرة.

ويدل قوله: ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾[٢] أن الواجب اتباع الأدلة دون الإلف والهوى.

ويدل قوله: ﴿مَّثَلُ الْجَنَّةِ﴾ أن الجنة للمتقين، خلاف قول المرجئة.

ويدل قوله: ﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ﴾، ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا﴾ على أن جميع ذلك أفعال العباد حادثة[٣] من جهتهم، وأن الثواب والعقاب جزاء عليهما، خلاف قول المجبرة.

قوله تعالى:

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوٓا أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً ۖ فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا ۚ فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَاعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾.

۞ القراءة

قرأ ابن كثير في إحدى الروايتين عنه: «أَنِفًا» بغير مد، الباقون: «آنفًا» بالمد.

۞ اللغة

الآنف: الجائي بأول المعنى، مأخوذ من استأنفت الشيء: ابتدأته، ومنه:

---

(١) من ربه: –، ت، ك.

(٢) أفعال العباد حادثة: فعل العبيد وحادثة، د.

(٣) ترع: يدع، ت.

الأنف، ومنه: الأنفة، فروضه آنفة: إذا لم تُرْعَ[1] بعد، والاستئناف معناه الابتداء، وكأس أنف: ابتدأ الشراب بها لم يشرب بها قبل ذلك، وأنف الشيء أوله، وأنف السير[2] أي[3]: العدو أوله.

والطبع والختم بمعنى، وهو علامة تجعل على الشيء.

والهوى: هوى النفس، وهو ميله إليها، والهواء بالمد الجو، استهواه الأمر، أي: دعاه إلى الهوى.

والبغتة: الفجأة.

والأشراط: العلامات، واحدها شرط، قال جرير:

تَرَى شَرَطَ المِعْزَى مُهُوَر نِسَائِهِم وفي شَرَطِ المِعْزَى لَهُنَّ مُهُورُ[4]

شرط المعزى: رُذالها، وأشرط نفسه للهلكة: إذا جعلها علمًا للهلاك، والشرط قيل: أخذ من العلامة؛ لأنهم جعلوا لأنفسهم علامة يعرفون بها، وقيل: أخذ[5] من شَرَطِ المعزى؛ لأنهم رذال، ومنه: الأشراط الذي يشترط بعض الناس على بعض أنها هي علامات يجعلونها بينهم، وأشراط النبي ﷺ أوامره.

والتقلب: التحول من حال إلى حال، والمنقلب موضع [الذي] ينقلب[6] [إليه أي يرجع].

والمثوى: المكان الذي يَثْوِي فيه أي: يقيم.

---

(١) السير: السيد، ت، ث، د، ك. وكتب فوقها في د: أظنه السير. كما أثبتناه.

(٢) أي: +، ت، ك.

(٣) البيت قائله جرير وفي رواية:

تساق من المعزى مهود نسائهم

أنظر: الصحاح (شرط)، تابع العروس (شرط)، لسان العرب (شرط).

(٤) أخذ: +، ت، ك.

(٥) ينقلب: تقلب، ت، ث، د، ك.

(٦) تأتهم: تاتيهم؛ ت، د، ك.

۞ الإعراب

الفاء في قوله: ﴿جَآءَ أَشۡرَاطُهَاۚ﴾ عطف على جملة فيها معنى الجزاء، كأنه قيل: إن تأتهم[1] بغتة فقد جاء، إلا أن القراءة بفتح (أن).

و(أنى لهم) استفهام، والمراد من أين وكيف، ومنه: ﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَاۖ﴾ [آل عمران: ٣٧]، قال الكميت:

أَنَّـــى وَمِـــنْ أَيْـــنَ آبَـــكَ الـــطَّـــرَبُ

ومعناه: التقرير عليهم، أي: ليس لهم ذلك.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُواْ﴾ في المنافقين، ﴿لِلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ﴾ في ابن مسعود، وذلك أن النبي ﷺ كان يخطب الناس، ويعيب المنافقين، فلما خرجوا قالوا لابن مسعود: ما قال؟ عن مقاتل. وقال ابن عباس: ﴿لِلَّذِينَ[2] أُوتُواْ﴾ أنا منهم، وقد سئلت فيمن سُئل.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال المنافقين، فقال ـ سبحانه ـ: «وَمِنْهُمْ» أي: من الكافرين الذين تقدم ذكرهم؛ لأن[3] المنافق كافر، وقيل: الضمير يعود إلى الفرقة المستمعة «مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ» أي: إلى قراءتك ودعوتك وكلامك، أراد المنافقين يستمعون ولا يعون، ولا يتفكرون «حَتَّى إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ» أي: تفرقوا من مجلسك[4] «قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ» من الصحابة وهم الذين استمعوا القرآن وقبلوه وعملوا بما فيه «مَاذَا قَالَ آنِفًا» يعني أي شيء كان يقول الرسول الساعة؟ وقيل: قالوا ذلك تبعيدًا من الصواب،

(١) للذين: الذين، ت، د، ك.
(٢) لأن: بأن، ت، ك.
(٣) مجلسك: محلتك، د.
(٤) يعني: +، ت، ك.

وتحقيرًا لقوله، يعني[1] لم[2] يقل شيئًا فيه فائدة، وقيل: يحتمل أنهم سألوا رياء ونفاقًا، أي: لم يذهب عني من قوله إلا ما قال آنفًا، فماذا قال؟ أَعِدْهُ عَلَيَّ لِأَنْ أحفظه «**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ**» أي: وسم بسمة الكفار، وقيل: أولئك الذين خلا بينهم وبين اختيارهم إذ لم يكن لهم لطف حتى[3] يهتدوا، وصارت قلوبهم مطبوعًا عليها «**وَاتَّبَعُوا**[4] **أَهْوَاءَهُمْ**» أي: اتبعوا الهوى دون الدليل «**وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا**» يعني المؤمنين اهتدوا بما سمعوا عن النبي ﷺ «**زَادَهُمْ هُدًى**» الضمير في قوله: «**زادهم**» يحتمل ثلاثة أوجه: قيل: زادهم الله، وقيل: زادهم قراءة القرآن وقول النبي، وقيل: استهزاء المنافقين زاد هؤلاء المؤمنين، وقوله[5]: ﴿زَادَهُمْ هُدًى﴾ قيل: أدلة يشرح[6] بها صدورهم، ويقوي بصيرتهم، ويثبتهم على الدين، وقيل: زادهم ألطافًا[7]، وقيل: اهتدوا بالإيمان زادهم بالشرائع[8] هدى، وقيل: اهتدوا بالمنسوخ وزادهم هدى[9] بالناسخ، وقيل: زادهم استماع القرآن هدى «**وَآتَاهُمْ تَقْواهُمْ**» قيل: آتاهم تقواهم بلطفه لهم، وقيل: آتاهم ثواب تقواهم؛ عن سعيد بن جبير، وأبي علي، وأبي مسلم، وقيل: آتاهم بما سمعوا من النبي ﷺ ما تتقوى به بصائرهم، ولا يجوز أن يحمل على[10] أنه تعالى يخلق فيهم تقواهم، لأنه يبطل أن يكون فعلهم مضافًا إليهم، ولا يستحقون به مدحًا، ولا بتركه ذمًا «**فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلاَّ السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً**» فجأة من غير أن يشعروا بها «**فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا**» قيل: علاماتها، واختلفوا في ذلك، فقيل: هو بعثة محمد ﷺ، ونزول آخر الكتب، وانشقاق القمر، وقيل: المراد بالآية أنه لا

---

(١) لم: ولم، د.
(٢) حتى: حتى لم، ت، ك.
(٣) واتبعوا: فاتبعوا، ت، ك.
(٤) وقوله: وقولهم، ت.
(٥) يشرح: شرح، د، ك.
(٦) ألطافا: اللطافا، ت.
(٧) بالشرائع: الشرائع، د.
(٨) هدى: -، ت.
(٩) على: -، ت.
(١٠) ولؤم: وليمة، د، ك.

مطمع لهم في الخلود، ولا بد من الموت والبعث، وأنه لا نبي بعده ﷺ ليؤمنوا به، عن أبي مسلم، وقيل: أشراطها: موت النبي، وانقطاع الوحي؛ إذ لا نبي بعده، فيعلم قرب القيامة، وقيل: أشراطها كثرة المال والتجارات، وشهادات الزور، وقطع الرحم، وكثرة اللئام، ولؤم[1] الكرام، عن الكلبي، وعن النبي ﷺ: «بادروا بالأعمال قبل[2] طلوع الشمس من مغربها، والدجال، والدخان، والدابة، وخويصة أحدكم» يعني الموت «فَأَنَّى لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ» يعني فمن أين لهم الذكر والاتعاظ والتوبة إذا جاءتهم الساعة؟ والذكرى: ما أمر الله عباده أن يتذكروا به، قيل: (أنى) بمعنى متى يكون ذكراهم إذا لم يتفكروا في الدنيا، وقيل: (أنى) بمعنى كيف، والمراد نفي الانتفاع بالذكرى «فَاعْلَمْ» أدخل الفاء فيه؛ لأنه في معنى المجازاة، تقديره: بيَّنَّا السبيل وأقمنا الدليل «فَاعْلَمْ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللَّهُ» فيه قولان:

أحدهما[3]: أنه خطاب لغير النبي ﷺ وتقديره: فاعلم أيها السامع، وقيل: الخطاب له والمراد أمته[4]، ونظائره يكثر، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقۡتُمُ﴾ [الطلاق: ١].

والثاني: أن الخطاب للنبي ﷺ، ثم اختلفوا، فقيل[5]: معناه اثبت على العلم في المستقبل، كقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ﴾ [النساء: ١٣٦]، عن أبي علي، وقيل: فاعلم إذا جاءت القيامة، فلا كلمة تنفع مثل كلمة لا إله إلا الله، وقيل: أخبر بموته[6] فاغتم، فقيل له: فاعلم أن الحي الذي لا يموت هو الله وحده، وقيل: فاعلم بمعنى فاشهد؛ لأن الشهادة تتبع العلم، وقيل: ازدد علمًا إلى علمك، وقيل: كان يضيق صدره من أذى الكفار، فقيل: فاعلم أنه لا كاشف لذلك غير الله ـ تعالى ـ،

(١) قبل: أشياء، ت، د، ك؛ وفي هامش ك: أظنه قبل طلوع. كما أثبتناه.
(٢) أحدهما: أولهما، ت، ك.
(٣) أمته: غيره، ت.
(٤) فقيل: قيل، ت.
(٥) بموته: مرة، ت، د.
(٦) استغفر: يستغفر، ت، ك.

وهو متصل بما قبله، أي: فاعلم أنه لا ملجأ ولا مفزع عند قيام الساعة إلا الله، عن أبي العالية، وسفيان بن عيينة، وقيل: لا ناصر ذلك اليوم، ولا مالك غير الله.

«وَاسْتَغْفِرْ لِذَنبِكَ» قيل: الخطاب لغيره، وقيل: ليبشر به أمته، وقيل: المراد به الانقطاع إليه تعالى، وهي عبادة يستحق عليها الثواب، وقيل: استغفر[١] كلما تذكرت الصغائر، وقيل: سل المغفرة لذنوب أمتك «وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ» قيل: متقلبكم في أصلاب الآباء إلى أرحام الأمهات، ومثواكم مقامكم في الأرض، عن عكرمة، وقيل: متقلبكم من ظهر إلى بطن، ومثواكم: مقامكم في القبور، عن ابن كيسان، وقيل: متقلبكم: متصرفكم في الدنيا، ومثواكم: مصيركم إلى الجنة أو إلى النار، عن ابن عباس، والضحاك، وأبي مسلم، وقيل: متقلبكم: متصرفكم بالنهار، ومثواكم: مضجعكم بالليل بالنوم، عن ابن جرير، أي: لا يخفى عليه شيء من أحوالكم، وقيل: متقلبكم من[٢] حال المعصية إلى حال الطاعة، ومن الكفر إلى الإيمان، ومن الفسق إلى التقوى.

❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا﴾ أن القوم لم يستمعوا للاسترشاد، وأنهم كانوا منافقين، وأنه ينبغي للعاقل أن يستمع ويتفكر؛ ليعلم الحق، وعن قتادة: هؤلاء رجلان: رجل غفل عن الله فما انتفع بما سمع، ورجل لم يغفل عن الله فانتفع بما سمع.

ويدل قوله: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى﴾[٣]. أن زيادة الهدى الألطاف[٤] منه دون خلق الإيمان على ما تزعمه المجبرة.

ويدل قوله: ﴿فَاعْلَمْ﴾ على وجوب العلم بالله تعالى وصفاته.

---

(١) من: عن، ت، د، ك.
(٢) زادهم هدى: +، ت.
(٣) الألطاف: للإلطاف، د.
(٤) فيدل: ويدل، د، ك.

ويدل قوله: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ﴾ على وقوع ذنب منه، فيدل[1] على جواز الصغائر على الأنبياء، خلاف قول الإمامية.

ويدل على وجوب الاستغفار.

ويدل على وجوب الاستغفار[2] للغير، وأنه يكون للمؤمن.

وتدل أن الشفاعة لا تكون إلا للمؤمنين[3].

وروى أبو هريرة عن النبي ﷺ: «مَنْ لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات[4] فإنه صدقة».

قوله تعالى:

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُواْ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ (٢١) فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُواْ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرْحَامَكُمْ (٢٢) أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰٓ أَبْصَٰرَهُمْ (٢٣) أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ (٢٤) إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ (٢٥)﴾.

القراءة

قراءة العامة: «سورة مُحْكَمَةٌ» وعليها المصاحف، وفي حرف ابن مسعود: (سورة محدثة).

---

(١) ويدل على وجوب الاستغفار: +، ت، ك.

(٢) للمؤمنين: للمؤمن، د، ك.

(٣) والمؤمنات: وللمؤمنات، ت.

(٤) وليتكم: والاكم، ت، د، ك.

قرأ أبو عمرو ويعقوب: «وأُمْلِيَ لهم» بضم الألف وكسر اللام وفتح الياء، على ما لم يسم فاعله، وروي عن يعقوب بضم الألف وسكون الياء على أنه مضاف إلى الله تعالى، ومثله عن مجاهد وأبي حاتم، أخبر عن نفسه أنه يفعل ذلك، ونظيره: ﴿وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ﴾ [القلم: ٤٥]. وقرأ الباقون: «أَمْلَى» بفتح الألف واللام وسكون الياء على فعل ماض، يعني الشيطان أملى لهم فاغتروا بوسوسته، وقيل: الله أملى لهم أي: أمهلهم حتى اغتروا.

وقرأ يعقوب وأبو حاتم وسلام: «تَقْطَعُوا» بفتح التاء والطاء وسكون القاف مخففة من قَطَعَ يَقْطَعُ اعتبارًا بقوله: ﴿فَتَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم بَيْنَهُمْ﴾ [المؤمنون: ٥٣] والقراء أجمعوا على القراءة: «تُقَطِّعُوا» بضم التاء وفتح القاف وكسر الطاء وتشديدها، من قَطَّعَ يُقَطِّعُ، والمراد به المبالغة لأجل الأرحام.

قراءة العامة: «إن تَوَلَّيْتُمْ» بفتح التاء والواو واللام، وروي عن النبي ﷺ من طريق الآحاد: «إن وليتم» من الولاية. وقرأ علي عليه السلام: «تُوُلِّيتم» بضم التاء والواو وكسر اللام، يعني إن وليتكم[1] ولاة جائرة خرجتم معهم[2] في الفتنة وعاونتموهم[3]، وروي مثله عن يعقوب.

۞ اللغة

العزم والقصد بمعنى، والعزم: العقد على الفعل بإرادة أن يفعله، والعازم: العاقد.

والتدبر[4]: النظر في عاقبة الأمر.

والارتداد: الرجوع عن الحق إلى الباطل.

وعسيتم: فعلتم مِنْ (عسى).

(١) معهم: معه، ت، د، ك.
(٢) عاونتموهم: وعاديتموهم، ت؛ وعاونتموه، د، ك.
(٣) والتدبر: والتدبير، ت.
(٤) أمنيته: منيته، ت.

وسَوَّلَ: مأخوذ من التسويل، وسولت له الشيء: زينت حتى صار سُؤْلَهُ، أي: أمنيته[1].

والإملاء: الإمهال، وتطويل المدة، يقال: أقام مَلَاوَةً من دهر، أي: حينًا، وأمليت: أَخَّرْتُ، ومنه قيل للصحراء الواسعة: المَلَا.

الإعراب

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ﴾ استفهام، والمراد التوبيخ والتقريع.

و﴿أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ﴾ عطف على لفظ الاستفهام، تقديره: أفلا يتدبرون أم على[2] قلوب أقفالها؟

وفي رفع ﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾ وجهان:

أحدهما: أنه خبر ابتداء محذوف، وتقديره: طاعة أحسن وأولى بالحق[3] من أحوال هؤلاء المنافقين.

﴿خَيْرًا﴾ خبر (كان)، والاسم مضمر، تقديره: لكان التصديق خيرًا، يدل عليه قوله: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ﴾.

النزول

قيل: في قوله: ﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ﴾ نزل في بني أمية وبني هاشم، عن الفراء والأصم.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى صفة المنافقين فقال ـ سبحانه ـ: «**وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا**» اشتياقًا إلى الوحي، وحرصًا على الجهاد «**لَوْلاَ نُزِّلَتْ سُورَةٌ**» بأمر الجهاد «**فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ**» بالأمر والنهي، قال قتادة: كل سورة ذكر فيها الجهاد فهي محكمة، وهي

---

(١) أم على: اعلى؛ ت، ك؛ على، د.

(٢) بالحق: بالخلق، ت.

(٣) القتال: الجهاد، ت، ث، ك.

أشد القرآن على المنافقين، وقيل: تأويله وتنزيله واحد، عن أبي علي. «**وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ**» أي: أمروا به «**رَأَيْتَ**» يا محمد «**الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ**» أي: شَكٌّ وكفر، يعني المنافقين «**يَنظُرُونَ إِلَيْكَ**» من الخوف والجبن نظرًا شزرًا بتحديق شديد كراهة القتال(١) كـ «**نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ**» يعني الدهش المغموص ذي الحيرة الشديدة، كأنه نظر ممن(٢) غشي عليه غشية الموت، وهو المحتضر، ولا حال يوصف به الجبان أبلغ مما وصف به «**فَأَوْلَى لَهُمْ**» قيل: وعيد، عن قتادة، وقيل: العقاب لهم وأولى بهم، وقيل: أولى لهم بعدًا وسحقًا، وقيل: أولى لهم طاعة وقول معروف، وقيل: اللام بمعنى الباء، أي: أولى بهم.

واختلف المفسرون في قوله: «**طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ**» على أقوال ثلاثة:

أولها(٣): أنه يتصل بما قبله، ثم اختلفوا، فقيل: العقاب أو الوعيد لهم على ما ذكرنا، وقيل: بُعْدًا وسحقًا، وقيل: أولى بهم طاعة، وقيل: تقديره: إذا أنزلت سورة ذكر فيها القتال [وقال المؤمنون]: طاعة وقول معروف رأيت الذين في قلوبهم مرض.

وثانيها: أنه كلام مبتدأ، ثم اختلفوا، فقيل: يقول هؤلاء المنافقون عند نزول الآية: طاعة أي: أمرنا طاعة، وقول معروف: حَسَنٌ، لا ينكره السامع، وقيل: قول معروف أن يقول: سمعنا وأطعنا، وقيل: الذي أمروا به طاعة وقول معروف، عن ابن عباس، وقيل: طاعة وقول معروف أمثل بهم وأولى بالحق، وقيل: طاعة وقول معروف خير لهم من جزعهم، عند نزول فرض الجهاد، عن الحسن، وأبي علي، الطاعة خير لهم من الجبن والجزع، وإظهار الكراهة.

وثالثها: أنه يتعلق بما بعده، وفيه تقديم وتأخير، تقديره: فإذا عزم الأمر فليكن طاعة وقول معروف.

«**فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ**» أي: جد الأمر وعزم عليه، وأمروا بالقتال. «**فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ**»

(١) ممن: من، ت.
(٢) أولها: الأول، د.
(٣) اعتلوا: يقتفوا، ت، د.

في إظهارهم للإيمان والطاعة «لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ» من الشك الذي في قلوبهم، وقيل: من المعاذير الكاذبة التي اعتلوا[1] بها في التخلف عن الجهاد، فإذا[2] حضر الجهاد تخلفوا عنه، ولو حضروه لكان الحضور خيرًا لهم، وقيل: لو صدقوا الله ألاَّ[3] يضمروا خلاف ما أظهروا لكان خيرًا لهم.

«فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ» فيه قولان:

الأول: (تولى) بمعنى أعرض، من الإعراض، وهو ترك القبول أي: أمرتم بالطاعة، فأعرضتم عنها.

الثاني: من الولاية، والمعنى: هل تقدرون أنكم إذا أُمِرْتُمْ بالطاعة أعرضتم.

«أَنْ تُفْسِدُوا[4] فِي الأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ»، وعلى الوجه الثاني: هل تقدرون أنكم تتمكنون في الأرض، فتفسدون بالقتل والأسر والغار، وتقطعون أرحامكم بمحاربة أقاربكم من المسلمين، فآيسهم الله مما قدروا في أنفسهم، وقيل: قل للمؤمنين: هل تحبون[5] أن تكونوا مثل هؤلاء المنافقين، فتتولوا عن الرسول، وتفسدوا في الأرض، وتقطعوا الأرحام، عن أبي مسلم، وقيل: تقديره: هل تقدرون أن يخليكم الله والإفساد في الأرض وقطع الأرحام إن أردتم ذلك، وتوليتم عن الرسول، وقيل: معناه: لعلكم إن أعرضتم عن القرآن أن تفسدوا في الأرض، وتعودوا إلى ما كنتم عليه في الجاهلية من الفرقة، قال قتادة: كيف رأيتم القوم حين تولوا عن القرآن ألم يسفكوا الدم، وقطعوا الأرحام، وعصوا الرحمن؟ «أُوْلَئِكَ» يعني من كان عزمه الإفساد «الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ» أي: أبعدهم عن رحمته «فَأَصَمَّهُمْ[6] وَأَعْمَى

(١) فإذا: فإذا قيل فإذا، ث، د، ك.
(٢) ألا: بأن؛ ت، ك؛ أن لا، ث، د.
(٣) أن تفسدوا: وتفسدوا، ت، ث، د، ك.
(٤) تحبون: يجوز، ت.
(٥) فأصمهم: وأصمهم، ت.
(٦) أعلى: على، د.

أَبْصَارَهُمْ» أي: لا يعون ما يسمعون، ولا يبصرون ما به يعتبرون، فهم بمنزلة الأصم والأعمى، عن أبي مسلم، وقيل: في الآخرة لا يهتدون إلى الجنة، بمنزلة الأعمى في الدنيا، عن أبي علي، ولا يجوز حمله على أنهم صاروا صمًا عميًا؛ لأنهم لو كانوا كذلك لما ذموا على أنهم لا يسمعون، ولا يبصرون، وقيل: الصمم لا يذكر إلا في الأذن فلذلك أطلق، والعمى يذكر مقرونًا بالبصر وبالقلب وغيره؛ فلذلك قرنه بالإبصار «**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ**» أي: هلا يتفكرون فيه، يعني في أوامره، ونواهيه، ومواعظه، وأدلته «**أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا**» قيل: (أم) بمعنى الاستفهام، أي: أعلى[(١)] قلوب أقفال تمنعهم عن الإيمان، وقيل: (أم) بمعنى بل؛ أي[(٢)]: بل على قلوبهم أقفال، والأول: إنكار، أي: ليس على قلوبهم ما يمنعهم من الإيمان. والثاني: بل في قلوبهم من الكفر والإلف والعادة ما يمنعهم من الإيمان «**إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَى أَدْبَارِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى**» أي[(٣)]: تركوا الإسلام بعدما بان لهم طريق الحق، وقيل: هم كفار أهل الكتاب كفروا بمحمد ﷺ، وكانوا يعرفونه، ويجحدون بعثته، مكتوبًا عندهم، عن قتادة، وقيل: هم المنافقون، عن ابن عباس، والضحاك، والسدي، كانوا يؤمنون عند النبي ﷺ ثم يظهرون الكفر عند قومهم، فذلك ردة منهم، وقيل: هم قوم أسلموا بمكة ثم ارتدوا، وقُتلوا يوم بدر، «**الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ**» قيل: زين لهم من أفعالهم ما وافق أهواءهم، وأعطاهم سؤلهم، وقبلوا منه، أي: دعاهم الشيطان إلى ما يريدون، ووافق دعاؤه مرادهم، وسؤلهم وأمنيتهم، عن أبي مسلم، وقيل: سهل لهم «**وَأَمْلَى لَهُمْ**» وقيل: أوهمهم طول العمر مع الأمن من المكاره، وأبعد لهم في الأمل والأمنية، وقيل: بسط لهم آمالاً فاغتروا بها، واتكلوا عليها، وقيل: الله أملى لهم، أي: مد لهم حتى اغتروا.

---

(١) بل أي: -، ت.

(٢) أي: أن، د.

(٣) تمنوا: سألوا، ت، ث، د، ك. وكتب فوق ك: (سألوا) لفظة: (تمنوا) ظ.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿سُورَةٌ مُّحۡكَمَةٌ﴾ أن في القرآن ما هو بَيِّنُ المعنى.

وتدل على حدث القرآن؛ لأن القديم لا يجوز أن يكون مُنَزَّل، فلا تصح أحكامه.

وتدل على حرص المؤمن على الطاعات بخلاف المنافق، وكذلك أنسهم بالوحي، وحثهم للجهاد، فإذا طال مثواهم في رفاهية تمنوا[1] نزول سورة؛ وذلك لإيمانهم بالله ورسوله.

ويدل قوله: ﴿فَأَصَمَّهُمۡ﴾ أن من لم ينتفع بالمواعظ فهو كالأصم والأعمى.

ويدل قوله: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ﴾ على وجوب التفكر في القرآن، دل أنه حجة ودلالة.

وتدل على أن التدبر فعلهم، وأنهم متمكنون منه، والإعراض فعلهم.

ويدل قوله: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾ أن إجابة الرسول لطف في الامتناع من الفساد، وقطع الرحم، وترك إجابته داع إلى ذلك، فدل على أن ذلك فعلهم.

ويدل قوله: ﴿ٱرۡتَدُّواْ﴾ على أن المؤمن قد يرتد، خلاف ما قاله بعضهم.

ويدل قوله: ﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمۡ﴾ أن الفعل[2] لهم والتزيين[3] من قِبَلِ الشيطان، خلاف قول المجبرة.

---

(١) الفعل: الفضل، د.

(٢) والتزيين: والتزيد، د؛ والتزين، ت.

(٣) اللحن: الحن، ت.

قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٢٨﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَاهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ ۚ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي، وحفص عن عاصم: «إسرارهم» بكسر الألف، الباقون بفتحها، فالكسر على أنه مصدر أَسَرَّ إسرارًا، وهو الإخفاء، والفتح على أنه اسم، وهو جمع سِرٍّ.

اللغة

الأضغان: جمع ضِغْنٍ، وهو الحقد، يقال: أضغن عليه فعله: إذا حقده.

والسِّيَماءُ: العلامة.

واللحن: أصله إزالة الكلام عن جهته، ثم يستعمل على وجهين في الصواب والخطأ، أما الصواب فمعنى اللحن: فحوى الكلام ومعناه، والفعل منه لَحِنَ يَلْحَنُ لحنًا، فهو لاحن: إذا فطن معناه، ومنه: اللحن[1] الفطنة، ومنه الحديث: «لعل بعضكم أن يكون أَلْحَنَ بحجته من بعض» أي: أفطن بها، ومنه قول الشاعر:

مَنْطِقٌ صَائِبٌ وتَلْحَنُ[2] أَحْيَانًا ... وخَيْرُ الكَلَامِ ما كَانَ لَحْنًا[3]

---

(١) تلحن: ويلحن؛ ت، د، ك.

(٢) البيت قائله مالك بن أسما الفزاري وبرواية أخرى:

وحديثٍ ألذه هو مما ... ينعت الناعتون يوزن وزنا

منطق رائع وتلحن أحيانا ... وخير الحديث ما كان لحنا

لسان العرب (لحن)، الصحاح (لحن).

وسمي التعريض لحنا؛ لأنه ذهاب بالكلام إلى غير جهته، وتسمى اللغة لحنًا، ومنه قول عمر: (تعلموا اللحن كما تعلموا القرآن) يعني اللغة، ويحتمل التعريض، وقوله: (أُبَيٌّ أقرؤنا، وإنّا لَنَرْغَبُ[1] عن كثير من لحنه أي: من[2] لُغَتِهِ).

وأما الخطأ: فهو إزالة الإعراب عن جهته، والفعل منه لَحَنَ يَلْحَنْ لحنًا، فهو لاحن، وذكر أبو عبيد في قول عمر: (تعلموا اللحن[3] أي: الخطأ[4]). وحمل الجاحظ (ويلحن أحيانًا) على الخطأ، وليس بالوجه، والصحيح ما ذكرناه أولاً.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى سبب استيلاء الشيطان عليهم، وقبولهم عنه، فقال ـ سبحانه ـ: «ذَلِكَ» إشارة إلى تسويل الشيطان، يعني إنما تمكن الشيطان منهم، وقبلوا منه؛ لما في قلوبهم من الكيد والخيانة للرسول، ولولا ذلك لما قبلوا منه «بِأَنَّهُمْ» يعني المنافقين، وقد تقدم ذكرهم، وقيل: كفار أهل الكتاب، وقيل: الذين ارتدوا «قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ[5] اللَّهُ» وهم المشركون «سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الأَمْرِ» يعني في مخالفة محمد، وفي القعود عن الجهاد «وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ» أي: يعلم ما يخفون في ضمائرهم «فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ» فحذف لدلالة الكلام عليه، وفي معنى توفتهم الملائكة، أي: يقبضون أرواحهم عند الموت «يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ» عقوبة لهم وفضيحة، فعبر بالوجه عما أقبل من أجسادهم، وبالأدبار عما أدبر منها، وأراد إيصال الآلام إليهم من كل جهة[6] «ذَلِكَ» أي: ما تقدم ذكره من العذاب إنما[7] نالهم، «بِأَنَّهُمْ[8]

(١) لنرغب: أرغب، د.
(٢) من: -، ت، ك.
(٣) اللحن: الحن، ت.
(٤) الخطاء: الخط، ت.
(٥) ما نزل: ما أنزل، ت، د، ك.
(٦) جهة: وجه، ت.
(٧) إنما: لما، ت، د، ك.
(٨) بأنهم: لأنهم، ت، د، ك.

اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ» من الكفر والفسق «وَكَرِهُوا رِضْوَانَهُ» أي: سبب رضوانه، وهو الإيمان والطاعة «فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ» قيل: أبطل ما عملوا في كيد النبي ﷺ والمسلمين، وأظهره عليهم، وقيل: أحبط ثواب أعمالهم التي هي محاسن عقلية، كصلة الرحم، وفك الأسارى، وقرى الضيف، وبر[1] الأقارب، والإنصاف، ورد الأمانة، وترك القبائح «أَمْ حَسِبَ» ظن «الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ» شَكٌّ ونفاق، وقيل: غموا بما يرون من أمر رسول الله ﷺ «أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَانَهُمْ» أي: أحقادهم، وبغضهم للنبي والمؤمنين «وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ» لأعلمناكهم «فَلَعَرَفْتَهُمْ بِسِيمَاهُمْ» بعلاماتهم وصفتهم، وروى أنس قال: (ما خفي على رسول الله ﷺ بعد نزول هذه الآية شيء من المنافقين)، «وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ» أي: فيما يظهر من[2] مخازي كلامهم، وقيل: في معنى القول، عن ابن عباس، وقيل: في فحواه[3]، عن الحسن، وقيل: لحن القول في المعاذير الكاذبة، كقولهم: ﴿إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [التوبة: ١٠٧]، عن الحسن، واختلفوا، فقيل: أرادوا إظهار الضغائن والعداوة، وقيل: أراد إظهار النفاق «وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ» أي: لا ينفعكم كتمانه، فإنه تعالى يعلمه ويجازي عليه.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟﴾ أن كراهة ما نزل[4] الله كفر.

ويدل قوله: «يضربون» أن عند النزع يعذب الكفار بخلاف المؤمن، فإنه يُبَشَّرُ.

ويدل قوله: ﴿مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ﴾ أن الكفر والمعاصي تسخطه، خلاف قول المجبرة: إنه يرضاه، وكذلك قوله: ﴿وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ يبطل مذهبهم؛ لأن الله يكره الكفر والمعاصي، وعندهم أن الله يرضاه؛ لأنه خلقه، فقد كرهوا رضوانه.

وقوله: ﴿فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ يدل على التحابط، وأنه فعل للعبد.

---

(١) بد: من، ت، د، ك.

(٢) من: في، د، ك.

(٣) فحواه: قوله، ت.

(٤) ما نزل: ما أنزل، ت..

ويدل قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾ أن الأعمال فعلهم.

قوله تعالى:
﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّابِرِينَ وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا
وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ
﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾
فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم: «ولَيَبْلُوَنَّكُمْ» بالياء «حتى يعلم» بالياء، «ويبلو» بالياء ترجع الكناية إلى اسم الله في قوله: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ﴾، الباقون بالنون فيهما جميعًا، اعتبارًا بقوله: ﴿وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَاكَهُمْ﴾.

قرأ يعقوب: «نبلو» ساكنة الواو ردًا على قوله: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ﴾، وقرأ غيره بفتح الواو، ردًّا على قوله: ﴿حَتَّىٰ نَعْلَمَ﴾.

قرأ حمزة وأبو بكر عن عاصم: «السِّلْمِ» بكسر السين، الباقون بفتحها، وهما لغتان.

اللغة

الابتلاء والاختبار والامتحان نظائر، وهو في صفة الله تَوَسُّعٌ، كأنه يعامل معاملة المبتلي؛ لأنه عالم بجميع المعلومات.

والشقاق: المباعدة والعصيان، كأنه صار في شق غير شق مَنْ يعاديه.

والوهن: الضعف، قال الفراء: يقال: وَهَنَهُ الله، وأوهنه.

والسَّلْمُ: الصلح والمسالمة.

يقال[١]: وَتَرَ يَتِرُ نَقَصَ، وتره يتره[٢] نقصه، ومنه: «فكأنما أوتر أهله وماله»، وأصله: القطع، ومنه التِّرَةُ، القطع بالقتل، والوتر انقطع بانفراده عن غيره.

الأعلون: واحده الأعلى.

۞ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ الآية في المطعمين يوم بدر وهم عشرة نفر، عن ابن عباس.

وقيل: نزل في المنافقين.

وقيل: نزل قوله: ﴿وَلَا تُبۡطِلُوٓاْ أَعۡمَٰلَكُمۡ﴾ في بني أسد، ونذكر قصتهم في الحجرات. عن مقاتل.

۞ المعنى

لما تقدم أنه يعلم أعمالهم عقبه بأنه مع علمه لا يجازيهم حتى يعملوا، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ**» أي: نعاملكم معاملة المختبر بالأمر والنهي «**حَتَّى نَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ وَالصَّابِرِينَ**» قيل: حتى يعلم أوليائي [المجاهدين منكم][٣]، وقيل: نعامله معاملة من يطلب العلم، وقيل: حتى يتميز المعلوم، يعني المجاهد والمخلص من غيره، وذكر العلم وأراد المعلوم؛ لأن الاختبار يراد ليعلم المعلوم، وقيل: حتى يعلم المجاهد واقعًا، كما علمه غير واقع قبل وقوعه، ولما كان ذلك[٤] بالتكليف صار ذلك عبارة عن البلوى، ولا يجوز أن يحمل على أنه تعالى[٥] يعلمه في الحال ولم يكن عالمًا به؛ لأنه تعالى عالم لذاته لم يزل ولا يزال بجميع المعلومات، فلا

---

(١) يقال: ويقال، ت.

(٢) يتره: يتر، ت.

(٣) المجاهدين منكم: +، الطوسي، التبيان، ٩/٢٩٨؛ الطبرسي، مجمع، ٩/١٦٠.

(٤) ذلك: -، ت، ك.

(٥) أنه تعالى: أن الله تعالى، ت؛ أن الله، ك.

يجوز عليه حدوث العلم، ولأن الإعلام قط لا يكون لظهور العلم؛ بل يكون لظهور المعلوم «**وَنَبْلُوَ أَخْبَارَكُمْ**» قيل: نبين أخباركم وأعمالكم فيما نعدكم(١) به، فيظهر المغيب من ذلك، وقيل: نجازيكم عليها.

ثم عاد إلى ذكر الكفار، فقال سبحانه: «**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**» قيل: أعرضوا عن دينه، وقيل: صدوا غيرهم، ويحمل عليهما؛ لأن الكافر كما يصد نفسه يصد غيره «**وَشَاقُّوا الرَّسُولَ**» عصوه وخالفوه «**مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى**» اتضح لهم الحق بالأدلة، قيل: هم قوم تبين لهم الهدى فارتدوا عنه، وقيل: هم المنافقون آمنوا ثم كفروا، وقيل: هم أهل الكتاب ظهر لهم(٢) أمر الدين فلم يقبلوا، وقيل: هم علماء السوء ورؤساء الضلالة، تمسكوا بالبدع والضلالة حفظًا على الجاه والرئاسة؛ لأن العناد يضاف إلى الخواص «**لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئًا**» بكفرهم، فإن وبال عنادهم يعود عليهم، فيضرون بأنفسهم «**وَسَيُحْبِطُ أَعْمَالَهُمْ**» قيل: أعمالهم الذي قدروها طاعة، وليست كذلك، وقيل: أعمالهم في غير ذات الله تعالى لن تنفعهم، وقيل: طاعتهم التي لولا الكفر لأثيبوا عليها، وقيل: هو كيدهم بالنبي ﷺ وأصحابه «**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ**» فيما أمركم به «**وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ**» فيما بلغكم وشرع لكم «**وَلاَ تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ**» بالكفر والمعاصي، قيل: لا تمنوا على رسول الله ﷺ فتبطل(٣) أعمالكم، فنزلت في بني أسد، عن مقاتل، وقيل: بالعجب والرياء، وقيل: بالكبائر «**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**» بينا(٤) معناه «**ثُمَّ مَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ**» أصروا على الكفر «**فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ**» (لن) للتأبيد، أي: قط لا يغفر لهم: للكفار.

ثم عاد الكلام إلى الجهاد، فقال سبحانه: «**فَلَا تَهِنُوا**» قيل: لا تضعفوا، عن مجاهد، وابن زيد، يعني لا تضعفوا في لقاء العدو «**وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ**» إلى الصلح والمسالمة «**وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ**» أي: القاهرون الغالبون، عن مجاهد، أشار إلى أن الغلبة

(١) نعدكم: نعيدكم، ت.
(٢) ظهر لهم: يظهر لهم، ت.
(٣) فتبطل: فيبطل، ت، د، ك.
(٤) بينا: قد تقدم، ت؛ قلنا، ك.

للمؤمنين في الدنيا، والثواب في الآخرة، وأن الكفار مقهورون في الدنيا، ولا يغفر الله لهم في الآخرة، فلا تدعوا إلى الصلح «وَاللَّهُ مَعَكُمْ» أي: ناصركم، فلا تكونوا[١] أولى الطائفتين ضَرَعَتْ[٢] إلى صاحبتها[٣]، عن قتادة. «وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ» قيل: لا ينقصكم أجور أعمالكم؛ بل يثيبكم عليها، ويزيدكم من فضله، عن مجاهد، وقيل: لن يظلمكم، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والضحاك.

الأحكام

تدل الآيات على وجوه:

منها: قوله: «لنبلونكم» ولو كان خلقًا له[٤] لما صح.

ومنها: قوله مدحًا لهم: ﴿ٱلْمُجَٰهِدِينَ﴾ ﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ﴾.

ومنها: قوله: ﴿كَفَرُوا﴾، ﴿وَصَدُّوا﴾، ﴿وَشَآقُّوا ٱلرَّسُولَ﴾.

ومنها: قوله: ﴿أَطِيعُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا ٱلرَّسُولَ﴾.

ومنها: قوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا وَتَدْعُوٓا إِلَى ٱلسَّلْمِ﴾.

ومنها: قوله: ﴿وَلَا[٥] تُبْطِلُوٓا أَعْمَٰلَكُمْ﴾ وكل ذلك ينبئ أن أفعال العباد ليست بمخلوقة لله تعالى.

ويدل قوله: ﴿وَلَا تُبْطِلُوٓا﴾ أن طاعات المؤمن تبطل بالكبائر.

ويدل قوله: ﴿فَلَا تَهِنُوا﴾ أنه لا يجوز موادعة الكفار إذا كان بالمؤمنين[٦] قوة. وصار ذلك كالدلالة على جوازه عند ظهور الضعف، وقيل: لا يجوز استدعاؤهم إلى

(١) فلا تكونوا: فلا تكون، د.
(٢) ضرعت: صرعت، ت، ك.
(٣) صاحبتها: صاحبها، ت، ك.
(٤) له: +، ت، ك.
(٥) ولا: لا، ت.
(٦) بالمؤمنين: المؤمن، د، ك.

الصلح ابتداء، بل يجب عليهم الجهاد، فإذا دعوا جاز، والذي عليه مشايخنا، وأكثر الفقهاء هو الأول.

ويدل قوله: ﴿وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ﴾ أن المؤمن عالٍ[1] ولم يوقَّت، ولم يعرَّف، فوجب[2] حمله على أنه عالٍ[3] في جميع الأحوال، عالٍ بإظهار دينهم، وإن غُلبوا في بعض الأحوال، فالاعتبار بإظهار دين[4] الإسلام وكلمة الحق.

قوله تعالى:
﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

القراءة

القراءة[5] الظاهرة[6] «**أمثالكم**» وجوز بعضهم «**مِثْلَكُم**» وإنما يجوز في العربية، ولا تجوز القراءة به، أما في العربية يجوز، كقوله: ﴿إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾ [النساء: ١٤٠] فإذا قُرئ «**أمثالكم**» عينت الآحاد بالآحاد[7]، وإذا قرئ: «**مثلكم**» قابلت الجمع بالجمع، أي: لا يكون جمعكم مثل جمعهم.

---

(١) عالٍ: عالي؛ د، ت، ك.
(٢) فوجب: وجب، ت، ك.
(٣) عالٍ: عالي؛ د، ت، ك.
(٤) دين: -، ت.
(٥) القراءة: +، ت، ك.
(٦) الظاهرة: +، ت.
(٧) بالآحاد: فإذا الآحاد، ت، ك.

۞ اللغة

الإحفاء: الإلحاح في السؤال حتى ينتهي إلى مثل الحفاء، والمشي بغير حذاء، أحفى يحفي إحفاءً، قال أبو مسلم: الإحفاء[1] في المسألة الألطاف، ومنه: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِى حَفِيًّا﴾ [مريم: ٤٧].

والبخل: منع النفع الذي جرت[2] العادة ببذله، بَخِلَ يَبْخَلُ[3] بُخْلاً فهو بخيل وباخل، وفي الشرع: اسم لمنع الواجب من الزكاة وغيرها؛ لأنه اسم ذم، فلا يستحق إلا بمنع واجب[4]، ودواعي البخل: النفس، والهوى[5]، ووساوس الشيطان، ودعاء الإنس، وتصور نفع أو ضرر، ودواعي الجود: الحكمة، والعقل، والخواطر من جهة الله تعالى.

والأضغان: الأحقاد والعداوة، واحدها: ضِغْنٌ.

۞ الإعراب

(ما) في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ (ما) الكافة، تكف (إِنَّ) عن العمل.

«**الحياة**» رفع لأنه ابتداء وخبره: ﴿لَعِبٌ وَلَهْوٌ﴾.

﴿يُؤْتِكُمْ﴾ جزم؛ لأنه جواب الشرط، تقديره: وإن تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم.

﴿وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ﴾ جزم لأنه بدل عن جواب الشرط، أي: إن تتقوا لا يسألكم.

﴿هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ الأول تنبيه، والثاني: تأكيد، وقدم المخاطب على الغائب في ﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا﴾ لأنه ابتدأ بالأقرب مع أنه المفعول الأول، ويجوز مع الظاهر أن يسأله عن عنكم؛ لأنه غائب مع غائب، فالمتصل أولى أن يثبته من المنفصل.

---

(١) الأحفاء -، ت.
(٢) جرت: جرت به، ت.
(٣) يبخل: -، ت، ك.
(٤) واجب: الواجب، ت.
(٥) النفس والهوى: الهوى والنفس، ت.

﴿فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ﴾ رفع؛ لأن[1] المعنى: فمنكم الذي يبخل، ثم قال: ﴿وَمَن يَبْخَلْ﴾ جزم على الجزاء، وجوابه: ﴿فَإِنَّمَا يَبْخَلُ﴾ ورفع ﴿يَبْخَلُ﴾ لأجل الفاء.

المعنى

لما حث على الجهاد بَيَّنَ أن ضعفه لأجل الدنيا، فَبَيَّنَ حالها؛ لئلا يركن إليها، فقال ـ سبحانه ـ: «إِنَّمَا الحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ» وقيل: أراد به الكفار، وأنهم يؤثرون متاع الدنيا واللعب واللهو. وقيل: أراد التشبيه أي: كاللعب[2] واللهو، وهو سرعة الانقضاء والانقطاع، قال الحسن: الذي خلقها هو أعلم بها. «وَإِنْ تُؤْمِنُوا» بالله «وَتَتَّقُوا» معاصيه «يُؤْتِكُمْ[3]» يعطيكم ربكم «أُجُورَكُمْ» أي: ثواب حسناتكم «وَلاَ يَسْأَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ» قيل: لا يسألكم الرسول على أداء الرسالة أموالاً[4] تعطونه، وقيل: لا يسألكم أموالكم لنفسه، إنما يسألكم ليكون نفعها لكم، وقيل: لا يسألكم جميع أموالكم أن تنفقوها في سبيل الله، وإنما يسألكم قليلاً، وهو ربع[5] العشر ونحوها من الزكاة، عن سفيان بن عيينة[6]، وأبي علي، وقيل: لا يسألكم أموالكم، وإنما يسأل أموال الله المفروضة في أموالكم وليس لكم، وقيل: لا يسألكم[7] أموالكم حاجة فإنه غني عن الخلق وما في أيديهم، وقيل: لا يسألكم أموالكم؛ لأن الأموال كلها عارية لله في أيدي الناس، فيسأل من مال نفسه.

«إِنْ يَسْأَلْكُمُوهَا» فيه ثلاث كنايات:

أولها: يسأل، قيل: كناية عن الله تعالى، وقيل: عن الرسول.

---

(١) لأن: لئن، د.
(٢) كاللعب: كالعب، ت.
(٣) يؤتكم: يؤتكم أجوركم، ت.
(٤) ـ، أموالاً: أجرًا أموالاً، د.
(٥) ربع: دفع، ت.
(٦) سفيان بن عيينه: سعيد بن عيينة، ت، د، ك.
(٧) وقيل لا يسألكم: ـ، ت.

وثانيها: يسألكموها، خطاب لمن تقدم ذكره في قوله: ﴿وَلَا[1] يَسْئَلْكُمْ أَمْوَالَكُمْ﴾.

وثالثها: كناية عن الأموال يعني: إن سألكم[2] مالكم.

«فَيُحْفِكُمْ» أي: يلح عليكم ويلحف، وقيل: يسألكم ذلك ويلطف في السؤال، بأن يَعِدَ عليه الثواب الجزيل، عن أبي مسلم، وقيل: الإحفاء أن يأخذ جميع ما في يده، عن ابن زيد. «تَبْخَلُوا» بذلك، وتمنعوا الواجب، «وَيُخْرِجْ أَضْغَانَكُمْ» قيل: البخل يخرج أضغانكم وحقدكم وعداوتكم، وقيل: يخرج الله تعالى المشقة التي في قلوبهم بسؤال[3] أموالكم، أي: يظهرها، وقيل: السؤال يظهر أحقادكم.

ثم بَيَّنَ الحجة على ما تقدم، فقال ـ سبحانه ـ: «هَاأَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ» أي: دعاكم الله ورسوله لتنفقوا بعض أموالكم في سبيل الله، ووعدكم الثواب الجزيل «فَمِنْكُمْ مَنْ يَبْخَلُ» مع الإيمان بالله ورسوله، ويمنع الواجب من النفقة، يعني إذا كان المؤمن يبخل، فكيف من لا يؤمن، وليس له مثل درجاتكم في العلم؟ «وَمَنْ يَبْخَلْ» يمنع الواجب «فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَنْ نَفْسِهِ»؛ لأنه يحرمها مثوبة عظيمة، ويلزمها عقوبة دائمة، أشار إلى أن معطي المال أحوج إليه من الفقراء لأخذه، فبخله بخل عن نفسه، وذلك أشد في البخل، «وَاللَّهُ الْغَنِيُّ» عن صدقاتكم، «وَأَنْتُمُ» المحتاجون إلى ثوابه، «الْفُقَرَاءُ» إلى الجزاء «وَإِنْ تَتَوَلَّوْا» تعرضوا عن الحق، وما لزمكم من الإنفاق، وعن أمر الرسول، «يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ» يعني أنه تعالى يأتي[4] بقوم[5] غيركم بدلاً منكم «ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ» قيل: في الطاعات؛ بل يكونون خيرًا منكم، فيطيعون فيما عصيتم، وينفقون فيما بخلتم، وليس في الآية بيان البَدل، واختلفوا فيه، قيل: هم كندة والنخع، عن الكلبي، وقيل: العجم، عن الحسن،

(١) ولا: لا، ت، د، ك.

(٢) سألكم: سأل عنكم، ت، د، ك.

(٣) بسؤال: لسؤال، ت، ك.

(٤) يأتي: يأت، ت، ك.

(٥) بقوم: للقوم، ك.

وروي ذلك مرفوعًا، وقيل: فارس والروم، عن عكرمة، وقيل: يجوز أن يكون قومًا في المعلوم يثبتون على الإيمان والحق بدل المعرضين، وقيل: يجوز أن يكون ملائكة فإنهم نصروه في مواطن، وقيل: لا يكونون في الصورة أمثالكم، وقيل: أراد به الأنصار وأهل المدينة بدلاً من أهل مكة، وقد فعل، فإنهم قاموا بنصرته في حياته وبعد وفاته، عن الحسن، وقيل: الإبدال مشروط بالتولي، وحيث لم يتولوا لم يجب الاستبدال، فهذا[1] كقوله تعالى: ﴿إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا﴾ [التحريم: ٥].

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ على أنه ينبغي للعاقل أن يهتم لأمر الآخرة التي هي دائمة، دون الدنيا الفانية.

ومتى قيل: أليس الله تعالى خلق الحياة الدنيا، فلماذا ذمها، وذكر أنها لعب؟

قلنا: الذم لا يرجع إلى ما خلق الله تعالى؛ لأن جميع ذلك خلق لغرض صحيح، وجميعها نعم يجب شكرها، إلا أنه خلقها لغرض، وهو طلب الآخرة بالعبادة، فإذا ترك الإنسان الغرض المقصود، وصير مقصوده زينة الدنيا، فما يفعله كاللعب حيث يفنى ويزول، ويصير إلى حال الندامة.

وتدل الآية على ذم البخل، وقد بَيَّنَّا أن في الشرع هو منع الواجب، وهو الصدقات والنفقات وغير ذلك.

وتدل أنه لا يسأل جميع الأموال لعلمه بأنه لو سأل كلها لأعرضوا فكانت مفسدة، تظهر البخل والضغن، وذلك يدل على قولنا أنه تعالى يفعل اللطف، ولا يفعل ما يكون مفسدة.

ويدل قوله: «يستبدل» على أن في مقدوره قومًا[2] لو كلفهم لآمنوا ولم يفعل، فتدل على قولنا في أن الأصلح ليس بواجب.

(١) فهذا: وهذا، ت.

(٢) قومًا: قوم، ت، ك.

سُورَةُ الفَتْح

سورة (الفتح) مدنية فيما روي، عن الحسن، ومجاهد وجماعة من المفسرين.

وقيل: نزلت يوم الحديبية عن البراء، وهي تسع وعشرون آية[1].

روى قتادة عن أنس، قال: لما رجعنا إلى المدينة وقد حيل بيننا وبين نُسِكنا، فنحن بين حزن وكآبة إذ أنزل الله تعالى: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾ فكان صلى الله عليه وسلم يُسْأَل في بعض أسفاره، ومعه عمر يسأله عن شيء فلم يجبه، فسأله فلم يجب، قال[2] عمر: فحركت بعيري حتى تقدمت أمام الناس، وخشيت أن يكون نزل فيَّ قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «لقد نزلت علي الليلة سورة هي أحب إليّ مما طلعت عليه الشمس، ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ﴾.

وروي عن المسعودي، قال: (بلغنا أن من قرأ في أول ليلة من رمضان إنا فتحنا في التطوع حُفِظ ذلك العام).

وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة الفتح، كأنما بايع محمدًا تحت الشجرة».

ولما ختم سورة (محمد) بأنه إن تولى قومه عنه[3] يستبدل قومًا ينصرونه افتتح هذه السورة بذكر الفتح، وذكر فيها القوم الذين بايعوه، وبذلوا المُهَجَ في نصرته.

---

(١) وهي تسع وعشرون آية: -، ت.

(٢) قال: فقال، ت.

(٣) قومه عنه: قوم، ت، ك.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا ﴿١﴾ لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ
عَلَيۡكَ وَيَهۡدِيَكَ صِرَٰطٗا مُّسۡتَقِيمٗا ﴿٢﴾ وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصۡرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ
ٱلسَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لِيَزۡدَادُوٓاْ إِيمَٰنٗا مَّعَ إِيمَٰنِهِمۡۗ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ
وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿٤﴾ لِّيُدۡخِلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ
فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنۡهُمۡ سَيِّـَٔاتِهِمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوۡزًا عَظِيمٗا ﴿٥﴾﴾.

اللغة

الفتح: ضد الإغلاق، وهو الأصل في الباب، ثم يستعمل في مواضع، فالفتح: الحُكْم، وكذلك الفُتاحَة، ومنه سمي الحاكم فاتحًا، وفي أسماء الله تعالى[1]: الفتَّاح، يعني الحاكم، والفتح: النصر، واستفتحت: استنصرت، وفواتح القرآن: أوائل السور، وباب مفتوح.

قال أبو مسلم: للفتح وجوه من التأويل:

منها: فتح البلدان.

ومنها: فتح الأبواب.

ومنها: الحكم والقضاء، وهو فصل الأمر المختلط بين الخصوم.

ومنها: العلم والتعلم، ومنه: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلۡغَيۡبِ﴾ [الأنعام: ٥٩]، وقوله: ﴿إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ﴾ [الأنفال: ١٩] قال: هو العلم، وقال غيره: هو النصر.

والسكينة والسكون والطمأنينة واحدة، وهو قوة القلب، وزوال الخوف؛ لأن الخائف خافق القلب، وعلى ضده الآمن.

(١) تعالى: -، ت، ك.

والفوز: النجاة[1] والظفر بالخير، وسميت الفلاة مفازة تفاؤلاً بالفوز، وقيل: بل هو من فَوَّزَ الرجل هلك، وفَوَّزَ: ركب المفازة.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل قوله[2]: ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾ بما قبله؟ وما الجالب للام[3]؟

قلنا: كما اختلفوا في معنى الآية، اختلفوا فيما سألت عنه، فمن حمل الفتح على العلم والنبوة، يقول: تقديره: فتح الله عليه بالإسلام، والنبوة والعلم؛ ليقوم بذلك، فيغفر له ذنوبه، فإنها صغائر، يستحق غفرانها بكثرة الطاعات، ومن حملها على فتح البلاد يقول[4]: تقديره: أمرناك بالجهاد، وفتحنا لك فتوحًا، فجعل غفرانه[5] جزاء وثوابًا على جهاده.

وقيل: تقديره: فتحنا لك فتحًا عجيبة تصيبك، ليغفر بها جميع ذنوبك.

وقيل: يتصل بقوله: ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡ لِذَنۢبِكَ وَلِلۡمُؤۡمِنِينَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتِۗ﴾ [محمد: ١٩]، ﴿لِّيَغۡفِرَ لَكَ ٱللَّهُ﴾.

وقيل: إنه يتصل بقوله في سورة (النصر): ﴿وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٣]، والأوجه في ذلك ما قدمناه من الوجهين.

۞ المعنى

«إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ» يا محمد «فَتْحًا مُبِينًا» أي: ظاهرًا، قيل: هو فتح مكة، عن جماعة من المفسرين منهم أبو علي، وقيل[6]: نزل بعد رجوعه من الحديبية، كأنه بشر في ذلك الوقت بفتح مكة، والحديبية: اسم بئر، عن قتادة، وأنس، وعن[7]

(١) النجاة: والنجاة، ت، ك.
(٢) قوله: -، ت.
(٣) للام: الأم، ت.
(٤) يقول: قال، ت، ك.
(٥) غفرانه: غفرانها، ت.
(٦) وقيل: قال، ت، د، ك.
(٧) وعن: عن، ت، د، ك.

جابر: ما كنا نعلم بفتح[1] مكة إلا يوم الحديبية، وقيل: فتحنا: قضينا لك بالفتح والنصر، وقيل: هو فتح خيبر، عن مجاهد، وقال[2] الشعبي: بالحديبية[3] يوم بيعة الرضوان، وأطعموا بخيل خيبر، وظهرت الروم على فارس، وبلغ الهدي محله، وفرح المؤمنون بظهور أهل الكتاب على المجوس؛ لأن ذلك كان أمارة لعلو كلمة الإسلام، وقيل: هو فتح الحديبية، عن الضحاك، وكان بعد[4]، قال: والصلح من الفتح، وهو اختيار القاضي؛ لأن السورة نزلت قبل فتح مكة، وقيل: يسّرنا لك يُسرًا بينًا[5]، عن مقاتل، وقيل: فتح الله بالإسلام «لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ»، عن الحسن، وقيل: هو الفتح والظفر على الأعداء كلهم بالحجج والمعجزات الظاهرة، وقيل: هو فتح الإسلام وظهوره، وذلك بأربعة أوجه:

أحدها: تعريف الله نبيه أمر الدين، وإظهار الحجج حتى تكامل أصولها وفروعها، وجعل يفتح على غيره بأن يعلمه.

وثانيها: تصديقه بالمعجزات الظاهرة، نحو القرآن، وحنين الجذع، وانفجار الماء من بين أصابعه، وانشقاق القمر.

وثالثها: أنه تكفل بنصرته على أعدائه، حتى يظهر دينه على الأديان كلها.

ورابعها: أنه نصره حالاً بعد حال، ونصر أمته حتى علا أمره، وظهر دينه، وقيل: أراد بالفتح ما عَلَّمَهُ من القرآن، وأنزل عليه من الوحي، وبيان الدين، فكأنه قال: علمتك القرآن والدين، وأوحيت إليك لتبلغ[6] الرسالة، وتتقرب[7] إليّ بجميع[8] ما أمرتك، فأغفر لك الأول والآخر من ذنبك، عن أبي مسلم.

---

(١) بفتح: فتح، ت، ك.
(٢) وقال: قال، ت.
(٣) بالحديبية: الحديبية، ت، ك.
(٤) بعد: بغير، ت، ك.
(٥) يسّرنا لك يُسرًا بينًا: بشرناك بشرًا مبينًا، ت، د، ك؛ ما أثبتناه من الطبري، مجمع ٩/ ١٦٥؛ الثعلبي، الكشف ١٢/ ٢٠٣.
(٦) لتبلغ: لتبليغ، ت.
(٧) وتتقرب: ويتقرر، ك.
(٨) بجميع: الجميع، ك.

«لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ» قيل: ما تقدم قبل الفتح، وما تأخر عنه، وقيل: ما تقدم على النبوة وما تأخر عنها[١]، عن أبي علي، وقيل: ما وقع وما لم يقع على طريق الوعد بأنه يغفره إذا كان، وقيل: أراد الأول[٢] أن جميع ذلك مغفور؛ لأن مثل هذا يؤكد المغفرة في أنها تعم، عن أبي علي، وقيل: أراد الأول والآخر من ذنبك، عن أبي مسلم، وقيل: ما تقدم من الرسالة وما تأخر إلى وقت نزول هذه السورة، وقيل: «مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ» ذنب أبويك آدم وحواء ببركتك[٣] «وَمَا تَأَخَّرَ» من ذنوب أمتك بدعوتك، عن عطاء الخراساني، وقيل: هو على التقدير، أي: لو كان لك ذنب قديم أو حديث لغفرناه «وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ» بالنبوة والعلم، وقيل: في الدنيا بإظهارك على عدوك وبقاء حكمك[٤] وشرعك، وفي الآخرة برفع محلك «وَيَهْدِيَكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا» قيل: يدلك على الطريق المستقيم، والهداية هو البيان والدلالة، وقيل: يهديك إلى الثواب والجنة، وقيل: بسببه إلى الطريق المستقيم بألطافه وتأييده، وقيل: يهدي بك، وأولى الوجوه الأول؛ لأنه ظاهر الكلام، «وَيَنْصُرَكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا» أي: غالبًا، وقيل: معزًا لا يصل إليك أحد من أعدائك «هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ» أي: الطمأنينة، وقوة القلب، وزوال الرعب في معنى قول ابن عباس، وقيل: يقوي قلوبهم بالوعد والوعيد، ويدخل فيه الصلح الذي كان سبب الأمن، وقيل: بألطافه، وهو ما أسكن قلوبهم من تعظيم الله ورسوله وطاعته «لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ» قيل: ليزدادوا مع النصرة في الدين طاعة في مجاهدة أعداء الله، وسائر أمور الدين، وقيل: ليزداد يقينهم بما يرون من الفتوح، وعلو كملة الإسلام على وفق[٥] ما وعد، وقيل: تصديقًا بشرائع الإسلام، فإن الله تعالى بعث نبيه بشهادة أن لا إله إلا الله، فلما صدقوه زادهم الصلاة، فلما صدقوه زادهم الزكاة، فلما صدقوه زادهم الصيام، ثم زادهم الحج والجهاد حتى أكمل لهم دينهم، عن ابن عباس،

(١) عنها: عنهما، ت؛ عنه، د، ك.
(٢) الأول: +، ت.
(٣) ببركتك: +، ت، ك.
(٤) حكمك: حمكمك، ت.
(٥) وفق: فوق، ت، د.

وقيل: يقينًا مع يقينهم، عن الضحاك، يعني ثقة بوعده ووعيده ويقينًا «**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» أنه مالك جنود السموات والأرض من الملائكة والمؤمنين، قيل: أنصار دينه، ينتقم بهم من أعدائهم، وقيل: كل الجنود عبيده.

ومتى قيل: كيف أضاف جميع المؤمنين أنهم جنوده؟

قلنا: لأنهم يحاربون أعداء الله[1] بوجهين:

أحدهما: الذب عن دينه، فينفون التشبيه عن صفاته والقبائح عن أفعاله، وكذلك يذبون عن أنبيائه كل ذلك بالحجج الدالة، فهم جنوده من هذا الوجه، وهم أهل التوحيد والعدل، كما أن المجبرة جنود الشيطان، ينفون الشر عنه ويضيفونه إلى الله ـ تعالى ـ.

والثاني: المجاهدة بالسيف لإعزاز دينه، وإعلاء كلمته، وهم أيضًا أهل التوحيد والعدل؛ لأنهم يجاهدون بالسيف ليتركوا الكفر، ويؤمنوا بالله، ويدينوا بدين الله الذي أمر به، وبعث أنبياءه بالدعاء إليه، فأما أهل الجبر إذا قالوا: إن الكفر خلق الله وإرادته وقضاؤه، ثم يحاربون في إزالته، ولا يرضون به، فهم يحاربون الله، حيث لم يرضوا بما خلق وأراد، وجاهدوا في دفعه فلم يكونوا جنده.

«**وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا**» بالأشياء «**حَكِيمًا**» يفعل ما هو الصلاح لعباده[2] «**لِيُدْخِلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**» قيل: الواو دخل للإيذان بالتفضل، كأنه قيل: فتحنا ليغفر لك، وفتحنا ليدخل المؤمنين، فهو على التكرير، أي: ليدخلهم «**جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**» أي: من تحت أشجارها وأبنيتها «**خَالِدِينَ فِيهَا**» أي: دائمين «**وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ**» وهي الصغائر[3] «**وَكَانَ ذَلِكَ عِنْدَ اللَّهِ**» قيل: هو قادر عليه مُعَدٌّ عنه، وقيل: في حكمه وملكه «**فَوْزًا عَظِيمًا**» أي: غنيمة وظفرًا لعظيم محله.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**ليغفر**» على جواز الصغائر على الأنبياء قبل النبوة وبعدها، خلاف قول الإمامية.

---

(١) الله: +، ت، ك.

(٢) لعباده: بعباده، ت، ك.

(٣) الصغائر: صغائر، د، ك.

ويدل على أنها مغفورة.

ومتى قيل: كيف تكون مغفورة؟

قلنا: بإيجاب ما يجبر نقصًا دخل في ثوابه بتلك الصغيرة.

ومتى قيل: كيف يجوز ذلك عليهم؟

قلنا: ما يتعلق بالرسالة ومصالح الأمة لا تجوز عليه فيه الكبيرة ولا الصغيرة[1]، ولا السهو ولا الغلط، ولا النسيان؛ لأن في ذلك فوت المصالح، فأما ما يتعلق بحاله فلا تجوز الكبيرة أصلاً، والصغير ما كان مستخفًا ومنفرًا لا يجوز عليه، وما عدا ذلك لا مانع منه، فيجوز.

ويدل قوله: ﴿لِيَزْدَادُوٓاْ﴾ أن الإيمان يصح فيه الزيادة والنقصان، فلا يكون كذلك إلا والطاعات من الإيمان.

ويدل قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ﴾ أنه يلطف؛ لأن تثبيت القلب يحصل بذلك.

وتدل أن المؤمن يدخل الجنة، خلاف قول المرجئة.

وتدل أن السيئات فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لِّتُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ يَدُ ٱللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْۚ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦۖ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَٰهَدَ عَلَيْهُ ٱللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾﴾.

---

(١) الكبيرة ولا الصغيرة: الصغيرة والكبيرة، ت، ك.

القراءة

قرأ ابن كثير، وأبو عمرو: «دائرة السُّوء» بضم السين، الباقون بفتحها، أما الضم: فمعناه أنه تعود عليهم دائرة تسوؤهم[1] من القتل والأسر، وأما الفتح فيقال: رجل سَوْءٍ، أي: فساد، يعني أنهم ظنوا بالله السوء، فهو توهمهم أن الله ينصرهم على رسوله، وذلك لا يجوز عليه لتقبيحه فعلهم ذلك.

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «ليؤمنوا بالله ويعزروه ويوقروه ويسبحوه» في الأربعة بالياء، كناية عن المؤمنين، وقد تقدم ذكرهم، وهو أحسن في النظم، وقرأ الباقون بالتاء على الخطاب، وفيه تلوين[2] الخطاب مرة بخطاب النبي ﷺ، ومرة بخطاب[3] القوم.

قراءة القراء: «تعزروه» بزاي معجمة وراء غير معجمة من العزر، وهو التعظيم، وعن ابن السميقع بزاءين معجمتين ليعززوه: من الإعزاز.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير: «فسنؤتيه» بالنون مضافًا إلى الله تعالى، الباقون بالياء، كناية عن اسمه، وقد تقدم في قوله: ﴿يُبَايِعُونَ ٱللَّهَ﴾.

اللغة

النفاق: إظهار الإيمان وإبطان الكفر في الشرع، وأصله في اللغة: من نافِقاء اليربوع، أن يجعل لبيته[4] بابين يُظْهِرُ أحدهما، ويخفي الآخر، فإذا أتى من الظاهر خرج من الباطن.

والظن: تقوية أحد النقيضين على الآخر من غير ثقة، واختلفوا، فقيل: إنه جنس برأسه غير الاعتقاد، عن أبي علي، والقاضي، وقيل: هو من جنس الاعتقاد، عن أبي هاشم.

---

(١) تسوؤهم: يومهم، ت، ك.
(٢) تلوين: تنويع، ك.
(٣) بخطاب: يخاطب، ت، ك.
(٤) لبيته: بيته، ت.

الدائرة: الحادثة من حوادث الدهر تدور على الإنسان، وأصله من الدوران، ومنه: الدائرة.

واللعن: الطرد والإبعاد من الخير.

والعَزْرُ: قال الزجاج: أصله الرد، ومنه: عَزَّرْتُ فلانًا أي: أدبته وفعلت به ما يمنعه من القبيح، وقال أبو مسلم: العزر: المنع، وأنشد القطامي:

أَلاَ بَكَرَتْ مَيٌّ[1] بِغَيْرِ سَفَاهَةٍ تُعَاتِبُ[2] والمودودُ يُنَفْعهُ العَزْرُ

ومنه: التعزير، وما قالا متقاربان.

والنكث والنقض بمعنى، نكث عهده، أي: نقضه بعد[3] عقده، ومنه: ﴿مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل: ٩٢].

۞ الإعراب

﴿وَيُعَذِّبَ﴾ معناه وليعذب عطفًا على قوله: ﴿لِّيُدۡخِلَ﴾.

﴿وَسَآءَتۡ مَصِيرًا﴾ أي: ساءت جهنم مصيرًا.

﴿بُكۡرَةً وَأَصِيلًا﴾ نصب على الظرف، أي: في البكرة والأصيل.

﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ أي: لكي تعزروه.

۞ النزول

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ﴾ قيل: نزل في أهل الحديبية، عن جابر، قال: كنا يوم الحديبية ألف وأربعمائة، فقال لنا النبي ﷺ: «أنتم اليوم خير أهل الأرض»، فبايعنا تحت الشجرة على الموت، وعلى ألاَّ[4] نفر، فما نكث أحد منا البيعة إلا جد[5] بن القيس وكان منافقًا لم يَسِرْ مع القوم.

---

(١) مي: أمي، ت.

(٢) في ت، د، ك: تعاقب. والبيت للقطامي عمير بن شمييم التغلبي. أنظر ديوان القطامي، تحقيق محمود الربيعي، الهيئة المصرية العامة للكتاب ٢٠٠١.

(٣) بعد: بعده، ت.

(٤) ألا: أن لا: ت، د، ك.

(٥) إلا جد: إلا زيد، ت؛ إلا أربد، ك.

وقيل: كان سبب البيعة أنه ﷺ بعث عثمان رسولاً إلى أهل مكة، فأرجف بقتله.

المعنى

ولما تقدم الوعد للمؤمنين[1] عقبه بالوعيد للكافرين[2]، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ**» الذين أبطنوا الكفر، «**وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ**» المظهرين للكفر، فصل بينهم لهذه الفائدة وإن كان المنافق كافرًا «**الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوْءِ**» قيل: ظنهم أن الله لا ينصر نبيه والمؤمنين، وقيل: هو في قوله: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا﴾ أي: لا يرجعون من الحديبية سالمين، وظنوا عليهم دائرة السوء، وقيل: ظَنُّهُمْ أن الكفار يغلبون، وقيل: ظنهم أن من عادى محمدًا لا يغالب، وكل ذلك ظنون[3] قبيحة، فخيب الله ظنهم، وجعل كل مكروه عليهم «**عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ**» أي: راجعة السوء، وقيل: هو دعاء عليهم بالهلاك، وقيل: هو خبر بأنه جعل سوء العاقبة عليهم، ووبال ظنهم عائدًا عليهم، فينالهم من الأسر والقتل والذل في الدنيا، والعقاب الدائم في الآخرة «**وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ**» غَضَبُهُ: إرادة عقوبتهم «**وَلَعَنَهُمْ**» أبعدهم من رحمته «**وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا**» أي: بئس المرجع في حقهم «**وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ**» من الملائكة والمؤمنين «**وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا**» أي: قادرًا على ما يشاء لا يُمْنَعُ منه، لا يحتاج في هلاكهم إلى جند لكنه حكيم لا يفعل إلا الحكمة لذلك أمر بالجهاد، وقيل: لم يبح الصلح لضعف وهو القادر وله الجنود؛ لكنه أباح لمصلحة.

ومتى قيل: لِم أعاد ذكر الجنود؟

قلنا: لأن الأول متصل بذكر المؤمنين، أي: فله الجنود الذي يقدر أن يعينكم بهم، والثاني: يتصل بذكر الكفار، أي: فله الجنود التي يقدر على الانتقام بهم منكم.

(١) للمؤمنين: للمؤمن، ك.
(٢) للكافرين: للكافر، ك.
(٣) ظنون: فظنون، ت، د، ك.

وقيل: أراد بالأول أنه لو أراد إهلاكهم بجنود السماء قدر عليه، وبالثاني[1]: أنه [لو] أراد إهلاكهم بجنود الأرض قدر[2] عليه.

وقيل: أراد بالأول أنه يقدر على إهلاكهم بما شاء؛ لكنه أراد الابتلاء ليستحق المؤمن الثواب. وبالثاني أراد الانتقام بهم، ولكن ينظر الكافر فيؤمن.

«إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ» يا محمد.

ثم جمع [في] وصفه جميع ما بعث لأجله، فقال ـ سبحانه ـ: «شَاهِدًا» عليهم بأنه بلغهم، وأزاح عللهم، وقبول مَنْ قَبِلَ، ورد من رد[3] «وَمُبَشِّرًا» للمطيعين بالجنة، فيتضمن ذلك الطاعات «وَنَذِيرًا» أي: مخوفًا للعصاة بالنار، ففيه بيان المعاصي، وفي الآية ذكر الوعد والوعيد[4] «لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» أي: جعلناك لطفًا؛ لكي تؤمنوا بالله «وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ» قيل: تعظموه، وقيل: تنصروه، وقيل: «تُعَزِّرُوهُ» [أي] وتنصروه، «وَتُوَقِّرُوهُ» تعظموه، عن قتادة، وقيل: لتقاتلوا معه بالسيف، عن عكرمة، وقيل: تعزروه: تمنعوه من الأعداء، عن أبي مسلم. «وَتُسَبِّحُوهُ» قيل: الوقف على قوله: «وتوقروه» وقد تم، ثم يبتدئ: «وتسبحوه» أي: تنزهوا الله سبحانه، وقيل: هو عبارة عن الدوام، والتسبيح: التنزيه، وهذا كله على أن الكناية في (تسبحوه) تعود على اسم الله تعالى، وقيل: الكناية تعود على اسم الرسول، فيتصل بما قبله، ولا يكون ثَمَّ وَقْفٌ، أي: تنزهوا الرسول عما لا يليق به كما يقوله الحشوية[5] على يوسف وداوود وسليمان وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام، وقيل: تابعوا الصلاة عليه[6]، وقيل: هذا من تلوين[7] الخطاب، وذلك الغاية في الفصاحة؛ لأنه ابتدأ الخطاب إليه.

(١) وبالثاني: والثاني، د.
(٢) قدر: لقدر، ت.
(٣) رد: ورد، ت.
(٤) الوعد والوعيد: الوعيد والوعد، ت، ك.
(٥) الحشوية: الحشو، د، ك.
(٦) عليه: عليهم، ت، ك.
(٧) تلوين: تنوين، ت.

ثم عاد إلى خطاب الأمة، وذكر الأمر بطاعة الرسول، وتسبيح الله ـ سبحانه ـ، ثم عقبه بذكر الذين بايعوه، وحثهم على إتمام طاعته فيها، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ**» قيل: هذه المبايعة هي معاقدة على السمع والطاعة، كالمعاقدة في البيع والشراء، وقيل: إنها معاقدة على بيع أنفسهم بالجنة، وقيل: هو بيعة الحديبية، عن مجاهد، وقتادة، وهي بيعة الرضوان حين بايعوا رسول الله ﷺ[(١)] على الموت «**إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ**» قيل: لطلب رضاه، وقيل: بيعة الرسول تكون بيعة لله[(٢)] «**يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ**» قيل: عقد الله في هذه البيعة فوق عقدهم؛ لأنهم بايعوا الله ببيعة نبيه، فكأنهم بايعوه من غير واسطة، عن السدي، وقيل: قوة الله في نصرة[(٣)] نبيه فوق نصرتهم إياه، عن ابن كيسان، وقيل: نعمة الله عليهم بنبيه وبالهداية فوق أيديهم بالطاعة والمبايعة، عن الكلبي. وقيل: يد الله بالمعونة والحفظ فوق أيديهم بمعونة رسوله، وليس المراد الجارحة؛ لأنها جسم، والله تعالى ليس بجسم، وقيل: «**يَدُ اللَّهِ**» بالثواب، وما وعدهم على بيعتهم ﴿فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ بالوفاء والصدق، عن ابن عباس، ويجوز أن تَجْعَلَ «**يد الله**»، أي: يد رسول الله، فأضافه إلى يده تفخيمًا، كقوله: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ﴾ [الأحزاب: ٥٧] يعني أولياء الله[(٤)] يده في هذه البيعة معهم أعظم من يدهم في البيعة معه[(٥)] «**فَمَنْ**[(٦)] **نَكَثَ**» أي: نقض عهده «**فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ**» أي: يرجع وبال ذلك النكث عليه؛ لأنه يعاقب به، وقيل: النكث الرجوع عما بذل من الضمان في النصرة «**وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ**» قيل: بما بايع عليه وافيًا، أي: تامًا، يعني وفى بالبيعة، وقام بما ضمن من النصرة «**فَسَيُؤْتِيهِ**» سيعطيه «**أَجْرًا عَظِيمًا**» أي: ثوابًا جزيلاً.

---

(١) صلى الله عليه وآله: -، ك.
(٢) لله: الله، ت، د، ك.
(٣) نصرة: نصرته، ت، د، ك.
(٤) أولياء الله: +، ت.
(٥) من يدهم في البيعة معه: من أيديهم معه في البيعة، ت.
(٦) فمن: ومن، ت، د، ك.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أن ظن السوء لا يجوز على الله كما تظن المجبرة أنه يجوز أن يعاقب الأبرار، ويثيب الفراعنة، وأنه يخلق الكفر ثم يعذب عليه، وأنه يعذب بغير ذنب؛ لأن كل ذلك ظنون سوء.

ويدل قوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا﴾ أنه بعث وأراد من الخلق الإيمان به، خلاف قولهم أنه أراد من بعضهم الكفر.

ويدل قوله: «وتسبحوه[(١)]» على وجوب تنزيه الله ورسوله عما لا يليق به وبرسوله كما يصفه المجبرة والمشبهة.

وتدل على فساد الجبر من وجوه:

منها: قوله: ﴿وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ﴾، ﴿وَالْمُشْرِكِينَ﴾[(٢)]، ﴿الظَّانِّينَ﴾، ولو كان الظن خلقًا له لَمَا أضافه إليهم، ولما عاتبهم عليه[(٣)].

ومنها: قوله: (لتؤمنوا. وتعزروا وتوقروا وتسبحوا).

ومنها: قوله: ﴿يُبَايِعُونَكَ﴾، و﴿يُبَايِعُونَ﴾.

ومنها: قوله: «نكث».

ومنها: قوله: ﴿وَمَنْ أَوْفَى﴾ وكل ذلك ينبي أن أفعال العباد ليست بمخلوقة لله تعالى[(٤)].

---

(١) وتسبحوه: تسبحوه، ت؛ فسبحوه، ك.

(٢) والمشركين: المشركين، ت، د، ك.

(٣) عليه: -، ت.

(٤) لله تعالى: -، ت.

قوله تعالى:

﴿سَيَقُولُ لَكَ ٱلْمُخَلَّفُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَآ أَمْوَٰلُنَا وَأَهْلُونَا فَٱسْتَغْفِرْ لَنَا ۚ يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِم مَّا لَيْسَ فِى قُلُوبِهِمْ ۚ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًۢا ۚ بَلْ كَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًۢا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ ۖ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ۚ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ ۖ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا ۚ بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾﴾.

❁ القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «ضُرًّا» بضم الضاد، الباقون بفتحها، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم؛ لأنه يقابل النفع.

وقرأ حمزة والكسائي: «كَلِمَ الله» بغير ألف، والباقون: «كَلَامَ الله» بالألف، قال الفراء: الكلام مصدر، والكَلِمُ جمع كلمة.

❁ اللغة

المُخَلَّف: المتروك في المكان خلف الخارجين[1] عنه[2]، أخذ من الخلف، ونقيضه: المُقَدَّمُ، خَلَّفَهُ تَخْلِيفًا.

والأعراب: الجماعة من عرب البادية، ولا يسمى بذلك عرب الحاضرة، فليسوا بأعراب وإن اتفقوا في اللسان.

---

(١) الخارجين: الحال حين، ت.
(٢) عنه: عن، ت، د، ك.

والبُورُ: الفاسد، وهو مصدر لا يثنى ولا يجمع، يقال: رجل بُورٌ، ورجلان بُورٌ، ورجال بُورٌ، ويكون بور جمع بائر، والبائر: الهالك[1]، والبوار: الهلاك، وبارت السلعة: هلكت وكسدت[2]، وبار يبور: هلك، وأرض بائرة: معطلة عن الزراعة، ومنه: ﴿تِجَـٰرَةً لَّن تَبُورَ﴾ [فاطر: ٢٩].

۞ النزول

قيل: نزلت الآية في غفار وجهينة وأشجع وأسلم والذين[3] تخلفوا عن الحديبية، وذلك أن رسول الله ﷺ استنفر[4] الأعراب حول المدينة لما أراد الخروج إلى مكة معتمرًا حذرًا من قريش، وأحرم وساق الهدي؛ ليعلموا أنه لا يريد حربًا، فتثاقل عنه كثير من الأعراب، واعتلوا بالشغل، فنزلت الآية، عن ابن عباس، ومجاهد، وابن إسحاق.

وقيل: نزلت في المتخلفين عن غزوة تبوك، عن الحسن.

۞ المعنى

لما تقدم الأمر بنصرة الرسول، عقبه بذكر من تخلف عنه، فقال ـ سبحانه ـ: «**سَيَقُولُ لَكَ**» أيها الرسول «**الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ**» الذين خلفتهم في جهتك لتثاقلهم واعتذارهم بالمعاذير الكاذبة إذا رجعت إليهم وعاتبتهم على التخلف: «**شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا**» يعني اشتغلنا بأمرهما[5]، وخفنا الضياع عليهما[6] لو خرجنا معك «**فَاسْتَغْفِرْ لَنَا**» أي: اطلب لنا المغفرة من الله، فرد الله عليهم ذلك من أربعة أوجه:

أولها: أنهم قالوا خلاف ما في قلوبهم من العذر وطلب الاستغفار، وإنما قالوا ذلك لاستعطاف الرسول.

---

(١) والبائر الهالك: والبور الهلاك، ت، د؛ والبائن الهالك، ك.
(٢) وكسدت: كسدت، ت، د، ك.
(٣) الذين: الديل، د.
(٤) استنفر: أشعر، د.
(٥) بأمرهما: بأمرها، ت، ك.
(٦) عليهما: عليها، ت، ك.

وثانيها: أنهم تخلفوا لا[١] لعذر[٢].

وثالثها: طلب المغفرة.

«قُلْ» يا محمد لهم «فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا» قيل: أراد ضر الدنيا ونفعها، وقيل: بل ضرر الآخرة ونفعها، والنفع مشروط بالتوبة، والأوجه حمله على الأمرين، «بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا» أي: عالمًا بأعمالكم «بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا» قيل: ظنوا أنهم لا يرجعون عن سفرهم؛ لأن العدو يستأصلهم، عن قتادة. «وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ[٣]» قيل: الإلف والعادة زينه، وقيل: الشيطان زينه، وقيل: زينه بعضهم لبعض «وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا» قيل: فاسدين[٤]، عن قتادة، وقيل: هالكين، عن مجاهد.

ثم آيسهم الله عن المغفرة، فقال ـ سبحانه ـ: «وَمَنْ لَمْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا» نارًا وتوبيخًا «وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ» بشرط التوبة والإيمان «وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ» بترك الإيمان والطاعة والإصرار على الكبائر، وقيل: أراد بهذا بيان قدرته، أي: هو قادر على أن يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء، ولكن لا يفعل إلا الحكمة، فيغفر للمؤمنين ويعذب الكافرين «وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا» فإن غفر بفضله ورحمته، وإن عاقب فبعدله، وقيل: يغفر الذنوب بالتوبة، ويدخلهم الجنة بالرحمة «سَيَقُولُ الْمُخَلَّفُونَ» قيل: عن الحديبية، عن ابن عباس، ومجاهد، وابن إسحاق، وقيل: عن تبوك، عن الحسن، وأبي علي، وهو الأظهر؛ لأن التخلف عن تبوك عظيم على ما نطق به القرآن، ووردت به السنة، ولم يرو في التخلف عن الحديبية ذلك «إِذَا انطَلَقْتُمْ إِلَى مَغَانِمَ» قيل: غنائم خيبر، على أنه في شأن[٥] الحديبية،

(١) لا: -، ت، ك.
(٢) بعذر: للعذر، ك.
(٣) قلوبكم: قلوبهم، ك.
(٤) فاسدين: فاسد، ت، د، ك.
(٥) شأن: بيان، ك.

وقيل: غنائم مطلقة إذا ظنوا أن المسلمين غالبون غانمون «**لِتَأْخُذُوهَا**» أي: تلك الغنائم «**ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ**» قيل: إلى تلك الغنائم «**يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ**» قيل: ما وعد الله أهل الحديبية أن غنيمة خيبر لهم خاصة، عن مجاهد، وقتادة، وقيل: النفير[1] في قوله: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣]، عن الحسن، وابن زيد، وأبي علي، وأبي مسلم، وأنكر ذلك بعضهم قال: وذلك لأن هذا نزل بعد خيبر، وبعد فتح مكة عن غزوة تبوك.

ومتى قيل: أي القولين أولى؟

قلنا: أن تحمل على قوله: «**قُلْ لَنْ تَتَّبِعُونَا**»؛ لأنه منصوص عليه؛ ولذلك قال تعالى: «**كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ**» يعني قال: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا﴾ [التوبة: ٨٣] فهذا نص صريح، وما يروون من حديث خيبر من الآحاد، والله تعالى قال: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ﴾.

ومتى قيل: هل[2] أرادوا الغنيمة أو تبديل الكلام؟

قلنا: يجوز أن يكونوا أرادوا الغنيمة؛ لكن يكون فيه تبديل الكلام، ويجوز أن يكونوا ظنوا أن رسول الله ﷺ نسي ذلك، ويجوز أنهم أرادوا تكذيبه لتصير شبهة في نبوته.

ومتى قيل: كيف يبدلون هم كلام الله؟

قلنا: إذا أخبر الله[3] ـ سبحانه ـ بخبر وشَرَّعَ فيهم أنهم لا يخرجون معه بقوله: ﴿لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣] فإذا خرجوا كان ذلك تبديلاً لكلام الله تعالى.

ومتى قيل: تلك الآية نزلت في المتخلفين[4] عن تبوك، وهؤلاء تخلفوا عن الحديبية؟

---

(١) النفير: التغيير، د؛ التغير، ك.
(٢) هل: منهم، ك.
(٣) الله: +، ت، ك.
(٤) المتخلفين: المخلفين، د، ك.

قلنا: ذكر الحسن وأبو علي أن الآيات كلها نزلت في المتخلفين عن تبوك، وإن ثبت أن قومًا تخلفوا عن الحديبية فيجوز أن تكون تلك الآية نزلت في الفريقين؛ إذ لا مانع منه.

و«لَنْ تَتَّبِعُونَا» في غزاتنا[(١)] «كَذَلِكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلُ» أنكم لا تخرجون معنا «فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا» أن نصيب معكم من الغنائم، وتريدون أن تختصوا بالغنيمة، لا أنه تعالى نهاكم في إذننا بالخروج معكم «بَلْ كَانُوا لاَ يَفْقَهُونَ إِلاَّ قَلِيلاً» يعني قالوا ذلك لجهلهم، والاستثناء قيل: من الفقه، أي: علمهم قليل، ومن ذم بالجهل وصف بقلة العلم، وقيل: الاستثناء من القوم، أي: لا يفقه منهم إلا قليل[(٢)]، وهم المعاندون، أو من أسلم، وقيل: لا يفقهون الدين، فلذلك جوزوا الخلف في أخباره، وقيل: لا يفقهون الدين، فلذلك تخلفوا عن رسول الله ﷺ.

۞ الأحكام

تدل الآيات على معجزة للنبي ﷺ حيث أخبر عن ضمائرهم وإسرارهم.

وتدل أن المخلفين اعتذروا بمعاذير كاذبة، وأنه لم يقبل منهم ذلك، وأنه يعذبهم على التخلف وعلى تلك الأكاذيب.

وتدل على أن القوم كانوا منافقين.

وتدل على أنه ينبغي أن يظن بالمؤمنين[(٣)] خيرًا.

ويدل قوله: «وزين» أنه تعالى لم يزين ذلك؛ لذلك ذَمَّ مَنْ زينه.

وتدل على أنهم منعوا من[(٤)] الخروج معه؛ لأن فيه تبديل كلام الله، فلا بد من كلام سبق، وقد بينا أن ذلك قوله: ﴿فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣]» وأن الصحيح أن هذه الآيات كلها في تبوك والمخلفين[(٥)] فيه، وبينا ما يدل عليه، وهو قول الحسن، وأبي علي، واختيار القاضي.

(١) في غزاتنا: في غير هذا، ت، ك.
(٢) إلا قليل: إلا القليل، ت، ك.
(٣) بالمؤمنين: بالمؤمن، ت، ك.
(٤) من: عن، ك.
(٥) والمتخلفين: المخلفين، ت، د.

وتدل[1] على أن الخروج قد يكون مفسدة لذلك منعهم.

ويدل قوله: ﴿لَا يَفْقَهُونَ﴾ أن المعارف مكتسبة.

وتدل على أن أفعالهم حادثة من جهتهم، حتى يصح قوله[2]: ﴿يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا كَلَامَ اللَّهِ﴾.

قوله تعالى:

﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَاتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (١٦) لَّيْسَ عَلَى الْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا (١٧) لَّقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا (١٨) وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا (١٩) وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا (٢٠)﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «**نُدْخِلْهُ، ونُعَذِّبْهُ**» بالنون فيهما مضافًا إليه تعالى[3]، وقرأ الباقون بالياء فيهما[4]، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم كناية عن اسم الله تعالى[5] في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ﴾.

---

(١) وتدل: ويدل، ت.
(٢) قوله: +، ت.
(٣) في ت: مضافًا إلى الله ـ تعالى ـ.
(٤) فيهما: -، ت.
(٥) تعالى: -، ت، ك.

قراءة العامة: ﴿أَوۡ يُسۡلِمُونَۖ﴾ بالنون في محل الرفع عطفًا على قوله: ﴿تُقَٰتِلُونَهُمۡ﴾، وفي حرف أبي: «أو يسلموا» يعني [حتى] يسلموا، فيكون موضعه نصبًا، والفرق بين الرفع والنصب أن النصب يدل على أن ترك القتال لأجل الإسلام، إذا وقع كقولك: لألزمنك أو تؤدي حقي، والرفع يدل على أن أحد الأمرين يقع لا محالة، قال امرئ[1] القيس:

أَوْ يَـمُـوتَ فَـيُـعْـذَرَا[2]

اللغة

الدعاء: طلب الفعل من القادر عليه، ونظيره: السؤال والأمر في معنى الدعاء إلا أنهما يفترقان في الرتبة، فالدعاء هو أن يكون المدعو فوق الداعي، والأمر أن يكون الآمر فوق المأمور، والسؤال يعمهما.

والبأس: الشدة في الحرب، رجل ذو بأس.

والكف: المنع، كففت فلانًا، وكففته: منعته.

والعمى: آفة في الحاسة تمنع الرؤية، وليس بمعنى عند أبي هاشم، وعند بعضهم معنى يضاد الرؤية، والرؤية أيضًا ليس بمعنى عندنا، فأما العرج فآفة في الرِّجْل تمنع المشي.

الإعراب

﴿فَإِن تُطِيعُواْ﴾ شرط[3] و﴿يُؤۡتِكُمُ﴾[4] جواب الشرط، وكذلك ﴿يُعَذِّبۡكُمۡ﴾. ونصب ﴿فَتۡحٗا قَرِيبٗا﴾ بـ (أثابهم). ﴿وَمَغَانِمَ﴾ عطف على قوله: «فتحا».

---

(١) أمرئ: امرؤ؛ ت، د، ك.

(٢) البيت قائله أمرئ القيس في قصيدة مطلعها:

سمالك شوق بعدما كان أقصر ... وحلت سليمي بطن قو فعرعرا

فقلت له لا تبك عينيك إنما ... نحاول ملكاً أو نموت فنعذرا

انظر ديوان أمرئ القيس، دار صادر بيروت. والبيت ورد في لسان العرب (أوا)؛ تاج العروس (أوا) يحاول ملكا او يموت فيعذرا.

(٣) شرط: بشرط، ت.

(٤) يؤتكم: ويبلونكم، ت.

۞ النزول

قال ابن عباس: لما نزل قوله: ﴿قُل[1] لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾ قال أهل الزَّمَانة: كيف بنا يا رسول الله، فنزل ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾.

وقيل: نزل قوله: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ﴾ في ابن أم مكتوم، عن الحسن.

وقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيات نزلت في بيعة الرضوان، وكان بالحديبية تحت الشجرة السمرة، وسميت بيعة الرضوان، لقوله: ﴿لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

وعن ابن عباس: كان سبب بيعة الرضوان أن النبي ﷺ أراد أن يبعث عمر رسولاً إلى مكة، فقال: أخاف قريشًا على نفسي، فبعث عثمان، فأبطأ عليه، فقيل: إنهم قتلوه، فبايعوه على مناجزة قريش وعلى الموت، فلم يتخلف عنه إلا جد[2] بن قيس أخو[3] بني سلمة، وكان من المنافقين. واختلفوا في عددهم، فقيل: ألف وخمسمائة، عن ابن عباس، وقيل: ألف وثلاثمائة، عن عبد الله بن أبي أوفى. وقيل: ألف وأربعمائة.

وعن جابر عن النبي ﷺ: «لا يدخل النارَ أحدٌ ممن بايع تحت الشجرة».

وعن ابن عباس: تثاقلت العرب عام الحديبية وسلم الله رسوله، [و] جاء المتخلفون[4] يلتمسون الخروج معه، فنزلت الآية، فأوجب عليهم طاعة الخليفتين في حروبهما.

۞ المعنى

ولما نهاهم عن الخروج مع رسول الله ﷺ أمرهم بالخروج مع داع[5] آخر، فقال

---

(١) قل: -، ت، ك.

(٢) جد: أربد، ت، د، ك.

(٣) أخو: أحد، د.

(٤) المتخلفون: المخلفون، ك.

(٥) داع: داعي، ك.

ـ سبحانه ـ: «قُلْ» يا محمد «لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ» قيل: عن تبوك، عن أبي علي، وقيل: عن الحديبية، وقيل: كل من تخلف عن غزواته من غير عذر، وهو الوجه[١] لعموم اللفظ «سَتُدْعَوْنَ» اختلفوا في هذا الداعي، قيل: النبي ﷺ، وهذا لا يصح لما بينا من قوله: ﴿فَقُل[٢] لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا﴾ [التوبة: ٨٣]، وقيل: أبو بكر وعمر، وعليه أكثر المفسرين، دعوا إلى حرب فارس والروم، وقيل: هو أمير المؤمنين دعا إلى حرب معاوية، وقيل: إنه لا يصح لقوله: ﴿أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ ولأن المخلفين بايعوا أو أكثرهم «إِلَى قَوْمٍ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ» أي: قوة وشدة، وقيل: هم فارس، عن ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء الخراساني، وعبد الرحمن بن أبي ليلى، ومجاهد، وقيل: هم الروم، عن كعب، وقيل: فارس والروم، عن الحسن، وقيل: هوازن، عن عكرمة، وقيل: هوازن وثقيف، عن سعيد بن جبير، وقيل: هوازن وغطفان يوم حنين، عن قتادة، وقيل: بنو حنيفة مع مسيلمة الكذاب، عن الزهري، ومقاتل، وقال رافع بن خديج[٣]: كنا نقرأ هذه الآية فلا نعلم لمن هي حتى دعا أبو بكر إلى قتال بني حنيفة، فعلمنا أنهم هم «تُقَاتِلُونَهُمْ» أي: تحاربونهم «أَوْ يُسْلِمُونَ» قيل: يقرون بالإسلام ويقبلونه، وقيل: ينقادون لكم «فَإِنْ تُطِيعُوا» هذا الداعي «يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا» وهو الجنة «وَإِنْ تَتَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ» أي: أعرضتم عن طاعة الرسول فيما دعاكم إليه من الخروج «يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا» وجيعًا، وهو عذاب النار.

ومتى قيل: إذا[٤] نهاهم[٥] عن الخروج معه فهلا مُنِعُوا بعد وفاته أيضًا؟

قلنا: المصالح تختلف، ولأنه[٦] كان يعلم مكائدهم في أيامه، وإذا قوي الإسلام ذلوا وخافوا، وتركوا ذلك.

«لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ» أي: ضيق في التخلف عن الجهاد «وَلاَ عَلَى الْأَعْرَجِ

---

(١) الوجه: أوجه، د.
(٢) فقل: -، د، ك؛ قل، ت.
(٣) خديج: جريج، ت.
(٤) إذا: إذ، ك.
(٥) نهاهم: نهاكم، د.
(٦) ولأنه: فلأنه، ت.

﴿حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ﴾ قال قتادة: هذا كله في الجهاد **﴿وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ﴾** أي: يجري الماء في الأنهار تحت أبنيتها وأشجارها **﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا﴾**.

﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ رضاه عنهم أراد به تعظيمهم وإثابتهم، والرضا عن الفاعل غير الرضا عن الفعل، فقد رضي بفعل مَنْ[1] لا يرضى[2] عنه، كفاسق عمل بطاعة، وقد رضي[3] عمن[4] لا يرضى بفعله، كمؤمن أتى صغيرة، هذا قول أبي هاشم وأصحابه وهو الصحيح، وقيل: الرضا عنهم رضى بأعمالهم، وهو قول أبي علي. **﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ﴾** وهي شجرة السمرة، عن عمر، وابن عباس، وجماعة من المفسرين، وذكر أبو مسلم عن بعضهم أنها كانت سِدْرَةً **﴿فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ﴾** أي: في قلوب المؤمنين من الصدق والصبر والوفاء **﴿فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ﴾** وهي اللطف المقوي لقلوبهم والطمأنينة، وقيل: كان وعدهم دخول مكة، فلما وقع الصلح وسوس إليهم الشيطان فوقع في قلوب بعضهم شيء، وقالوا ثم نُعطى المدينة، فقال رسول الله ﷺ: «قد وعدكم دخول مكة»، ولم يبين متى هو، فأنزل الله السكينة في قلوبهم حتى تثبت قلوبهم، وزالت خواطرهم الفاسدة **﴿وَأَثَابَهُمْ﴾** أعطاهم **﴿فَتْحًا قَرِيبًا﴾** قيل: هو فتح مكة، عن أبي علي، وقيل: فتح خيبر، عن قتادة. **﴿وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً﴾** قيل: خيبر لأنها كانت ذات عقار وأموال، فقسمها بينهم، وقيل: هو هوازن بعد فتح مكة **﴿وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا﴾** أي: قادرًا على فتح البلاد وقهر الأعداء، عليمًا بالمصالح [وعدكم الله] **﴿مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا﴾** يعني الفتوح إلى يوم القيامة **﴿فَعَجَّلَ لَكُمْ هَذِهِ﴾** قيل: خيبر، وقيل: هوازن، وقيل: هما، عن أبي علي. **﴿وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنْكُمْ﴾** أي: منعهم عن أذاكم قيل: هم أهل مكة بالمصالحة أمر بها وقوى الداعي إليها، عن أبي مسلم، وأبي علي، وقيل: كف أيدي اليهود من خيبر وحلفائهم من أسد وغطفان،

---

(١) من: ممن، ت.

(٢) لا يرضى: لا يرضاه، ت، ك.

(٣) رضي: يرضى، ت، ك.

(٤) عمَّن: عن من؛ ت، د، ك.

فإن مالك بن عوف النضري، وعيينة بن حصن الفزاري مع بني أسد وغطفان جاؤوا لنصرة اليهود[(١)] من خيبر، فقذف الله الرعب في قلوبهم فانصرفوا، «**وَلِتَكُونَ آيَةً لِلْمُؤْمِنِينَ**» أي: حجة وعلامة، قيل: هزيمتهم وسلامتكم[(٢)] حجة للمؤمنين يعلموا أن الله ينصرهم ويحفظهم، وقيل: لتكون الغنيمة المعجلة دليلاً على صحة وعد الله، عن أبي مسلم، وقيل: لتكون هذه الغنائم على ما وعدكم أنه يصدق[(٣)] رسوله، عن أبي علي. «**وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا**» قيل: يدلكم[(٤)] إلى الإسلام، وهو الطريق المستقيم، عن أبي علي، وقيل: يدلكم بذلك إلى طريق التوكل والتفويض لتثقوا بالله في جميع أموركم، وقيل: يثيبكم على الإسلام بألطافه، وقيل: ليزيدكم بصيرة بفتح خيبر، فإنه ﷺ رجع عن الحديبية[(٥)] إلى المدينة، وأقام بها بقية ذي الحجة وبعضًا من محرم، ثم خرج إلى خيبر، وفتح حصنًا حصنًا[(٦)]، كحصن أُبي وناعم[(٧)] والقَمُوص، وصالحه أهل فدك، وكان ذلك للنبي، وفتح حصن كنانة بن أبي الحقيق[(٨)] زوج صفية بنت حيي، وقيل: كنانة، وأخرجت صفية، وأعتقها رسول الله ﷺ وتزوج بها.

الأحكام

يدل قوله: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ﴾ على معجزة للنبي ﷺ؛ لأنه أخبر عن مغيب، فوجد مخبره على وفق خبره.

وتدل الآيات على وجوب إجابة داعي الحق، وقد بينا ما قيل فيه، والأكثر على أن الداعي أبو بكر وعمر، والمدعو إليهم فارس والروم، وهوازن وثقيف؛ لأنهم كانوا بهذه الصفة في العدد والعدة.

(١) لنصرة اليهود: من اليهود، ت.
(٢) وسلامتكم: فسلامتكم، ك.
(٣) يصدق: أنه صدق، ت؛ أنه أصدق، ك.
(٤) يدلكم: دلكم، ت، ك.
(٥) الحديبية: حديبية، د، ك.
(٦) حصنًا: حصينًا، ت، د، ك.
(٧) أُبي وناعم: بياعمرو، ت، د، ك؛ والتصحيح من الواقدي، المغازي، ١/ ٦٦٦؛ الرحيق المختوم، ١/ ٣٣٣.
(٨) الحقيق: ربيع، ت، ث، ك.

ومتى قيل: فوجب أن يكون نصًّا على إمامتهما؟

قلنا: ذلك لا يكون نصًا على إمامتهما[١]، ولأنه[٢] نص على الوصف دون المعنى؛ لأنه لم يبين[٣] مَنْ الداعي، فاختاروه، وعلمنا بالآية وجوب طاعته، فعلمنا[٤] صحة الاختيار، وكونه إمامًا على هذا الترتيب، فهكذا ذكره مشايخ أهل العدل.

وتدل على وجوب طاعته فيما دعا إليه ووعيد من تخلف عنه.

ومتى قيل: أليس الجهاد من فروض الكفايات[٥]؟

فلنا[٦]: عنه جوابان:

أحدهما: أنه كان بالمسلمين قلة في ذلك الوقت، فلزم الجميع فرض الجهاد.

وثانيهما: أن عند دعاء الداعي يتعين، فيلحق الوعيد بتركه.

وتدل على زوال فرض الجهاد بالأعذار، وكذلك في جميع التكليف، وإذا سقط لعذر[٧]، فَلِعَدَمِ القدرة وخلق ضدها فيه أولى أن يسقط، فمن هذا الوجه يبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة.

ويدل قوله: ﴿لَقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ﴾ أن جميعهم كانوا من أهل الرضا؛ لذلك أطلق المدح والرضا.

وتدل أن باطنهم كان كظاهرهم، بخلاف ما تقوله الرافضة أن أكثرهم كانوا منافقين.

(١) قلنا ذلك لا . . . . إمامتهما: +، هامش، د.
(٢) لأنه: أنه، ث.
(٣) لم يبين: لا يبن، ث.
(٤) فعلمنا: علمنا، ت، ث، ك.
(٥) الكفايات: الكفاية، ت، ث، ك.
(٦) فلنا: قلنا، ت، ث، ك.
(٧) لعذر: العذر، ث؛ بعذر، ك.

وعن جابر: بايعنا على ألاّ نفرّ، وعمر أخذ بيده تحت الشجرة، وبايع عثمانَ بإحدى يديه على الأخرى، وقال الناس: هنيئًا لأبي عبد الله.

وتدل أن تلك الفتوح كانت[1] كالجزاء على بيعتهم؛ لذلك سماها ثوابًا، فهو جار مجرى الثواب.

قوله تعالى:

﴿وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ ٱللَّهُ بِهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾
وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةَ
ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ
عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا
﴿٢٤﴾ هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ
وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ
بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُواْ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْهُمْ
عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو عمرو: «**بما يعملون**» بالياء كناية عن الكفار، الباقون بالتاء خطابًا للمؤمنين.

اللغة

الإحاطة بالشيء: الإدارة حوله، أحاط الجدار بالدار.

والسُّنَّةُ: الطريقة المستمرة، ومنه الحديث: «من سن سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها».

---

(١) كانت: كان، ت، ك.

والمعكوف: الممنوع من الذهاب في جهته بالإقامة في مكانه، ومنه الاعتكاف: الإقامة في المسجد.

والمَحِلُّ بكسر الحاء: الموضع الذي حقه أن يبلغه من الحرم محل ذبحه، والمَحَلّ بالفتح: الموضع الذي يحل فيه الناس، أي: يسكنون، ويكون أيضًا مصدر حل حلولاً ومحلاً، نحو خرج خروجًا ومخرجًا، ودخل دخولاً ومدخلاً.

والمَعَرَّةُ: الأمر القبيح[1] المكروه، والعر والعار سواء، يقال: عر فُلأن فلانًا: شانه وألحق به عيبًا، ويُسَمى الجَرْبُ عُرّى بضم العين وفتحها، والعذرة عَرَّة، وقوله: أعوذ بك من معرة الجيش، قيل: معناه أن ينزلوا منزلاً لا يصونوا زرع[2] قوم من غير علم، وقيل: قتال من دون إذن الأمير، والمعرة: الإثم.

والتزيل: تَفَعُّلٌ من الزوال، زال زوالاً، وأزلته عن المكان وزَوَّلْتُهُ.

۞ الإعراب

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ نصب على المصدر، أي: سن الله فيهم سنة لا يغيرها، ولا يبدلها، وهي الطريقة، عن أبي مسلم. وجواب **(لولا)** محذوف تقديره: لوطئتم رقاب المشركين لنصرنا، وقيل: لا آذن لكم في دخولها، وقيل: جوابه قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا﴾ وهو جواب لكلامين (لولا رجال)، (ولو تزيلوا).

﴿أَن يَبْلُغَ﴾ موضع (أن) نصب بـ(صدوا)، تقديره: صدوكم عن بلوغه، وقال بعض البصريين: صدوا الهدي معكوفًا كراهية أن يبلغ محله.

﴿مَعْكُوفًا﴾ نصب على الحال.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل قوله: ﴿لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ بما قبله؟ [و] كيف يتصل به ما[3] بعده؟ وما الجالب للام؟

---

(١) في ت، ك: بالقبيح.

(٢) لا يصونوا زرع: لا يضيق أذرع، د.

(٣) به ما: بما، د.

قلنا: فيه أقوال:

قيل: إنه اعتراض ههنا يتصل بقوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم﴾ ﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ فيمن[1] ببطن[2] مكة[3].

قيل: إنه يتصل بقوله: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ﴾ ويدخلهم الله في رحمته بقتلكم إياهم.

وقيل: إنه لما أمر بترك قتالهم بَيَّنَ أنه إنما نهاهم عن ذلك ليدخل الله[4] في رحمته من يشاء، وهو يعني في الإيمان من يشاء من أهل مكة، وهم الذين يعلم أنهم يؤمنون، ويتوبون من كفرهم، عن أبي علي.

۞ النزول

اختلفوا في قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ﴾ الآية إلى قوله: ﴿مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾، فقيل[5]: كان المشركون بعثوا أربعين رجلاً عام الحديبية ليصيبوا من المسلمين، فأتى بهم إلى رسول الله ﷺ أسرى، فخلى سبيلهم، عن ابن عباس.

وقيل: كانوا ثمانين رجلاً من أهل مكة، هبطوا من جبل التنعيم عند صلاة الفجر عام الحديبية ليقتلوهم، فأخذهم رسول الله ﷺ، ثم أعتقهم[6]، ونزل: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ﴾، عن أنس.

وقيل: كان رسول الله ﷺ جالسًا في ظل شجرة، وبين يديه علي يكتب كتاب الصلح، فخرج ثلاثون شابًا عليهم السلاح، فدعا عليهم النبي ﷺ فأخذ[7] الله

(١) فيمن: -، ت.
(٢) ببطن: +، ت.
(٣) مكة: بمكة، د، ك.
(٤) الله: +، ت، ك.
(٥) فقيل: قيل، ت؛ وقيل، ك.
(٦) ثم أعتقهم: وأعتقهم، ت، ك.
(٧) فأخذ: وأخذ، ت.

بأبصارهم جميعا[١]، فأخذناهم، فخلى سبيلهم، فنزلت هذه الآية، عن عبدالله بن معقل.

وقيل: أقبل نبي الله[٢] معتمرًا، فأخذ أصحابه ناسًا من أهل الحرم غافلين، فأرسلهم النبي ﷺ، فذلك الإظفار ببطن مكة، عن مجاهد.

وقيل: إن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ اطلع الثنية بالحديبية، فرماه المشركون بسهم فقتلوه، فبعث رسول الله ﷺ خيلاً، فأتوه باثني عشر فارسًا من الكفار، فقال لهم: «هل لكم عليّ عهد وذمة»؟ قالوا: لا، فأرسلهم، فنزلت الآية.

وقيل: هم أهل الحديبية، فإن رسول الله ﷺ نزل بمنى، فخرج عكرمة في خمسمائة، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد، فلقيه[٣] في الشعب، فهزمه حتى أدخله حيطان مكة، فعاد ثانيًا وثالثًا فهزمه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن الكلبي.

المعنى

ثم وعد الله تعالى رسوله والمؤمنين فتوحًا زيادة على ما تقدم، ونصرة له ولأمته، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَأُخْرَى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا**» أي: وعدكم فتح بلاد أخرى، وقيل: وعدكم غنائم أخرى، عن أبي علي، وقيل: هو على الماضي، وهو حرب بدر أو غيره من الغنائم؛ لأنهم لم يقدروا عليها إلا بضروب من المعونة، عن أبي مسلم، وقيل: بل أراد ما يكون في المستقبل إن لم يحصل بعد، ثم اختلف هؤلاء، فقيل: هو فارس والروم، عن ابن عباس، ، والحسن، ومقاتل، وأبي علي، فإن[٤] النبي ﷺ بشرهم كنوز كسرى وقيصر، وقيل: هو[٥] يوم حنين انهزم أصحابه ،فأمدهم[٦] الله

(١) جميعًا: معها، د، ك.
(٢) نبي الله: النبي صلى الله عليه وآله، ت.
(٣) فلقيه: -، ت.
(٤) فإن: بأن، ك.
(٥) هو: هم، د.
(٦) فأمدهم: فأيدهم، ك.

بمعونته، عن عكرمة. وقيل: هو فتح خيبر، عن الضحاك، وابن زيد، وابن إسحاق، وقيل: هو[1] فتح مكة، عن قتادة، وقيل: ما فتحوا بعد ذلك إلى اليوم، عن مجاهد. «**قَدْ أَحَاطَ اللَّه بِهَا**» يعني إحاطة القدرة، أي: أنه قادر عليها، وقيل: أراد العلم أي: أنه عالم بجميع الأشياء، وكيف لا[2] يكون ذلك، «**وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا**» أي: قادرًا، إلا أن في القدير مبالغة كسميع وسامع «**وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا**» قيل: مشركي مكة يوم الحديبية ولم يصالحوا معكم لولوا الأدبار، عن قتادة، وأبي علي. وقيل: أسد وغطفان وحنين «**لَوَلَّوُا الأَدْبَارَ**»، أي: انهزموا «**ثُمَّ لاَ يَجِدُونَ وَلِيًّا**» يتولى حفظهم «**وَلاَ نَصِيرًا**» ينصرهم «**سُنَّةَ اللَّهِ**» قيل: كسنة الله، وقيل: ما أخبركم به هي سنة الله أي: طريقته، وقيل: سنة الله نَصْرُهُ مَنْ أَمَرَهُ بالقتال من أنبيائه «**الَّتِي قَدْ خَلَتْ**» مضت «**مِن قَبْلُ**» قيل[3]: سنته نصر[4] المؤمن أبدًا، وقيل: سنته خذلانه للكافر فلا يجد وليًا ولا نصيرًا، وقيل: كلاهما، والمؤمن[5] هو المنصور في الآخرة وإن غُلب في الدنيا، والكافر مخذول وإن غلبه في بعض الأحايين[6] «**وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً**» أي: طريقته لا تتبدل في أوليائه وأعدائه «**وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ**» قيل: كف أيديهم عن المؤمنين بالرعب، وأيدي المؤمنين عنهم بالنهي[7]، عن أبي علي. وقيل: إن النبي ﷺ نزل الحرم، فأمره الله تعالى[8] بمصالحة[9] أهل مكة، وألقى في قلوب الكفار الرعب فاصطلحوا، وكف الناس بعضهم من بعض وأمنوا، وقيل: ببطن[10] مكة، الحديبية «**مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ**[11] **عَلَيْهِمْ**» يعني كان

---

(١) هو: +، ت.
(٢) لا: +، ت، ك.
(٣) قيل: -، ت.
(٤) نصر: نصره، ت، ك.
(٥) والمؤمن: فالمؤمن، ت.
(٦) الأحايين: الحالتين، ت.
(٧) بالنهي: بالنبي، ت، ك.
(٨) تعالى: +، ت.
(٩) بمصالحة: أن يصالح، ت، ك.
(١٠) ببطن: بطن، ت، ك.
(١١) أظفركم: أظهركم، ك.

الظفر لكم بدخول الحرم، وكان في أيديهم، عن أبي علي، وقيل: بأن أخذتموهم أسرى على ما تقدم ذكره «**وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا**» عليمًا، فيجازيكم، عن أبي علي[١] وقيل: أراد به فتح مكة، فإنه فتحها ودخلها، وأمن بعضهم بعضًا ولم يكن قتال، عن أبي مسلم، والأول أوجه. «**هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**» يعني إنما نهيتكم عن القتال لا لكونهم غير مستحقين للقتل؛ بل هم كفار مستحقون للقتل؛ لكن لغرض آخر، وهو كون رجال مؤمنين يخشى عليهم الهلاك، وإلا فهم كفروا ومنعوكم عن المسجد الحرام ودخوله «**وَالْهَدْيَ**» أي: وصدوا الهدي، وهو ما يهدى إلى الحرم متقربًا إلى الله عز وجل بذبحه «**مَعْكُوفًا**» أي: محبوسًا «**أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ**» منحره، وكان سبعون بدنة ساقها رسول الله ﷺ عام الحديبية، وكان الناس سبعمائة رجل، كل بدنة لعشرة، حتى بلغ ذا الحُلَيْفَة، فقلد الهدي وأشعره، وأحرم بالعمرة حتى نزل الحديبية، ومنعه المشركون، وكان الصلح، وكتب كتاب الصلح رسول الله ﷺ لسهيل بن عمرو وأبي سفيان[٢]، كتبها علي بن أبي طالب على وضع الحرب عشر سنين، وعلى أن يخلوا له مكة في العام القابل ليعتمر، وهي عمرة القضاء، فلما تم الصلح نحروا النذور، ورجع إلى المدينة، ثم خرج إلى خيبر، ودخل مكة في العام القابل في ذلك الشهر، فنزل قوله: ﴿ٱلشَّهۡرُ ٱلۡحَرَامُ بِٱلشَّهۡرِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٩٤].

ثم بَيَّنَ المعنى في كف المؤمنين[٣] عن الكافرين[٤]، فقال سبحانه: «**وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ مُؤْمِنَاتٌ**» يعني الضعفاء من المؤمنين[٥] الذين كانوا بمكة، عن قتادة وجماعة، أي: بقوا هناك ولم[٦] يقدروا على الهجرة لضعفهم، وقيل: رجال ونساء سيؤمنون[٧]، كره أن يقتلهم على الكفر، ويقتطعوا عن الإيمان، عن أبي علي. «**لَمْ**

(١) علي: بياض: د، ك.
(٢) عمرو وأبي سفيان: عمرو بن أبي سفيان، د، ك.
(٣) المؤمنين: المؤمن، ك.
(٤) الكافرين: الكفار، ت؛ الكافر، ك.
(٥) المؤمنين: المسلمين، ت، ك.
(٦) ولم: لم، ت، ك.
(٧) سيؤمنون: مؤمنون، د.

تَعْلَمُوهُمْ» أي: لا تعلمونهم بأعيانهم «**أَنْ تَطَئُوهُمْ**» تقتلوهم، أو[1] تنالهم جراح، وقيل: تطأهم[2] الدواب والجيش بغير علم، وقيل: لا يبعد إذا انهزموا أن تميلوا عليهم فتقتلوهم حنقًا «**فَتُصِيبَكُمْ مِنْهُمْ مَعَرَّةٌ بِغَيْرِ عِلْمٍ**» قيل: إثم، عن ابن زيد، وقيل: غرم الدية، عن ابن إسحاق، وقيل: كفارة، وقيل: يعيبهم[3] المشركون بأنهم قتلوا أهل دينهم، وقيل: غم[4] بقتل من لا[5] ينبغي أن يقتل «**لِيُدْخِلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ**» بين أنه جعل ذلك لأجل هذا الغرض، قيل: ليدخل المؤمنين والمؤمنات، قيل: في الإسلام بلطفه من الكفار «**مَنْ يَشَاءُ**». «**لَوْ تَزَيَّلُوا**» قيل: لو تميز المؤمنون من الكفار، وقيل: هم المؤمنون الذين في أصلاب الكفار لو تميزوا منهم «**لَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا**» وجيعًا، قيل: لعذبنا بالقتل والأسر، وقيل: بالسيف، وقيل: بالنار في الآخرة.

❁ الأحكام

يدل أول الآيات على بشارة المسلمين بفتح البلاد، وقد وجد كما أخبر، فهو معجزة له ﷺ، وكذلك قوله: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ من علوم الغيب.

وتدل على أنه يعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون[6]، فيدل على أن المعدوم معلوم.

وتدل على بطلان مذهب المجبرة من وجوه:

منها: قوله: ﴿وَلَوْ قَٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوَلَّوُاْ ٱلْأَدْبَٰرَ﴾ يدل[7] أن القتال فِعْلُهم،

---

(١) أو: أن، ت، ك.
(٢) تطأهم: تطوهم، د.
(٣) يعيبهم: يعيبكم، ت، د، ك.
(٤) غم: غمّا، ت، ك.
(٥) من لا: ما لا، ك.
(٦) يكون: كان، ت.
(٧) يدل: +، ت.

وكذلك التولي؛ إذ لو كان خلقه لكان تقدير الكلام: ولو[١] خلقت القتال فيهم لخلقت الهزيمة[٢].

ومنها: قوله: ﴿كَفَرُواْ وَصَدُّوكُمْ﴾ يدل على أن الكفر والصد فعلهم،

ومنها: قوله: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾.

ومنها: قوله: ﴿لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾.

ويدل قوله: ﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ أن سنته نصر أوليائه، وقهر أعدائه، خلاف قول المجبرة.

ويدل قوله: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ﴾ على جواز مصالحة الكفار إذا رأى الإمام فيه مصلحة، وإذا جاز في الكفار فالبغاة[٣] أولى، فيبطل قول الخوارج في طعنهم على علي والحسن.

ويدل قوله: ﴿وَٱلْهَدْىَ﴾ الآية على أشياء:

منها: أن للذبح محلاً وقد منعوا الهدي عن بلوغه.

ومنها: المحصر ينحر الهدي في الحرم عندنا، وعند الشافعي حينئذ حُصِرَ، وقد قيل: إن الحديبية بعضها حَرَمٌ وبعضها حِلٌّ، وإن ما نحره[٤] في الحرم، فلا تعلق لهم بنحره بالحديبية.

ويدل قوله: ﴿أَن تَطَـُٔوهُمْ﴾ أنه نهى عن القتال لغرض، وهو كون رجال مؤمنين يخشى عليهم الهلاك، وفيه دلالة أن الكفار إذا كان بينهم مؤمنون يخاف عليهم لا يجوز محاربتهم إلا عند الضرورة، وقال بعضهم: يجوز ويقصد بالرمي الكفار، وعلى هذا الخلاف لو تترسوا[٥] بالمسلمين، قال قتادة: إن الله يدفع بالمؤمنين عن الكفار، كما دفع بالمستضعفين من المؤمنين عن مشركي مكة.

(١) ولو: لو، ت، ك.
(٢) الهزيمة: التولية، د.
(٣) فالبغاة: والبغاة، ك.
(٤) ما نحره: ما نحرم، ك.
(٥) تترسوا: تترسموا، ك.

قوله تعالى:

﴿إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَـٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ ۖ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ ۖ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٨﴾ مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ ۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ ۖ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ۖ سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾﴾.

القراءة

قرأ ابن كثير وابن عامر: «شَطَأَهُ» بفتح الطاء، والباقون بسكون الطاء، وقرأ أنس ويحيى بن وثاب: «شَطَاهُ» نحو عصاه، وقرأ الجحدري: «شَطَهُ» بغير همز، وهما لغتان، والاختيار ما عليه عامة القراء.

قرأ ابن عامر: «فَأَزَرَهُ» مقصور الألف، الباقون «فآزره» ممدودة الألف.

اللغة

الجعل: تصيير القادرِ الشيءَ على خلاف ما كان، وقد يكون إحداثًا وقد يكون تغييرًا لصفته.

والحمية: الأنفة والغضب، يقال: حميت أنفه حمية، وحميت على فلان غضبت، وأصله من الحمى، وهو المنع، ومنه لا حمى إلا حمى[1] الله ورسوله، قال المتلمس:

(١) حمى: -، ك.

=

أَلاَ إِنَّهُمْ قَوْمِي[١] وَعِرْضِي عِرْضُهُم   كَذَا[٢] الرَّأْسُ يَحْمِي أَنْفَهُ أَنْ يُهَشَّما[٣]

أي: تمنع، وقال آخر:

كالثَّوْر[٤] يحمي أنفه[٥] بِرَوْقِهِ[٦]

ومنه: «وحمى الله محارمه» أي: محارمه ممنوع[٧] منه.

والظهور: الغلبة.

والشَّطْءُ: فراخ الزرع الذي يخرج[٨] من جوانبه، وجمعه: أَشْطَاءُ، ومنه شاطئ النهر: جانبه، وأَشْطأَ الزرع فهو مُشْطِءٌ[٩]: إذا أفرخ في جوانبه، بأن ينبت ما هو أصغر منه، وشاطَأْتُ[١٠] الرجل: مشيت على شاطئ، وهو على الشاطئ الآخر.

والأزر: القوة، وآزره: عاونه، وتأزر البيت: اشتد وطال، قال البعيث:

شَدَدتُ له أزري بِمِرَّةِ حازِمٍ   على مَوْقِعٍ مِنْ أَمْرِهِ متفاقم[١١]

= البيت قائله المتلمس الضبعي وورد البيت بعدة روايات:

ألا أنني منهم وعرضي عرضهم   كذا الرأس يحمي أن يكمشا

أنظر ديوان شعر المتلمس الضبعي رواية الأثرم وأبي عبيدة عن الأصمعي، تحقيق حسن كامل الصيرفي، معهد المخطوطات ص ٢١ جامعة الدول العربية، ١٩٧٠، ص٢١.

(١) قومي: +، ك.
(٢) كذا: كيدا من، د.
(٣) البيت قائله عامر بن فهيرة وقيل عمرو بن إمامة:

لقد عرفت الموت قبل ذوقه   إن الجبان حتفه من فوقه
كل امرئ مقاتل عن طوقه   كالثور يحمي أنفهِ بورقه

أنظر لسان العرب (روق)، (طوق)، تاج العروس (روق)، (طوق) وفي رواية: الثور حمى جلك بروقهِ.

(٤) كالثور: كالثوري، د، ك.
(٥) أنفه: +، ك.
(٦) بروقه: بعرفه، ك؛ بقرونه، د.
(٧) لعذبنا الذين كفروا.. إلى محارمه ممنوع: -، ت.
(٨) يخرج: خرج.
(٩) مشط: مشطي؛ ت، د، ك.
(١٠) وشاطات: وشطات، ت.
(١١) البيت قائله البعيث المجاشعي وفي رواية: على موقع من أمرهِ ما يعاجله.
أنظر لسان العرب (أزر)، تلج العروس (أزر).

استغلظ: افتعل من الغلظ، وهو طلب الغلظ، استغلظ استغلاظًا.

والسُّوقُ: جمع ساق، وساق الشجرة: عوده الذي يقوم عليه.

الإعراب

(إذ) صلة قوله: «لعذبنا» أي: عذبناهم إذ جعلوا في قلوبهم.

﴿مُحَلِّقِينَ﴾ ﴿وَمُقَصِّرِينَ﴾ نصب[1] على الحال.

﴿شَهِيدًا﴾ قيل: نصب على الحال، وقيل: على التفسير.

والواو في قوله: ﴿وَالَّذِينَ مَعَهُۥ﴾ قيل: للاستئناف[2]، وقيل: للعطف[3]، أي: محمد وأصحابه، ونصب ﴿فَضْلًا﴾ بـ ﴿يَبْتَغُونَ﴾. [و] (رضوانا) عطف عليه.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال المؤمن والكافر، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ**» قيل: التعصب للأصنام، عن أبي مسلم، وقيل: أنفتهم من الإقرار برسالته، والاستفتاح ببسم الله الرحمن الرحيم، عن الزهري؛ وذلك أن النبي ﷺ أمر عليًّا عليه السلام[4]، بأن يكتب بسم الله الرحمن الرحيم، فأبى سهيل وأبو سفيان إلا أن يكتب: باسمك اللهم، وكتب محمد[5] رسول الله، فأبوا إلا أن يكتب محمد بن عبد الله، وقيل: حميتهم: صدهم رسول الله ﷺ والمؤمنين عن دخول مكة تلك السنة، عن أبي علي، «**فَأَنْزَلَ اللَّهُ**» تعالى «**سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ**» قيل: الطمأنينة والثبات على الدين وقوة القلب، وقيل: الأمن، عن أبي مسلم. «**وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى**» قيل: كلمة التقوى: لا إله إلا الله، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، وعمرو بن ميمون، ومجاهد، والضحاك، وسلمة بن كهيل، وعبيد بن عمير، والسدي. وقيل: كان شعارهم في الحرب لا إله إلا الله فلزموا ذلك،

---

(١) نصب: نصبت، ت.

(٢) للاستئناف: الاستئناف، ت.

(٣) للعطف: العطف، ت.

(٤) عليه السلام: +، ت.

(٥) محمد: -، ت.

قلنا: من قال: إنه كلام رسول الله قال: إنه استثنى تأدبا بأدب[١] الله، حيث قال: ﴿إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُۚ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤] فإنما هو انقطاع إليه، لا أنه شك فيه، عن ابن كيسان.

وقيل: (إنْ) بمعنى[٢] إذ تقديره: إذْ شاء الله، كقوله: ﴿إِنۡ أَرَدۡنَ تَحَصُّنٗا﴾ [النور: ٣٣]، عن أبي عبيدة.

وقيل: الاستثناء من الدخول لا[٣] من الرؤيا وبين الدخول والرؤيا كانت مدة[٤]، وقد[٥] هلك أناس، فهو لدخول الجميع، أي: ليقعن، عن أبي علي.

وقيل: الاستثناء واقع على الخوف والأمن على الدخول، أي: إن شاء الله أمنكم، تدخلوا آمنين.

وقيل: كان تلك[٦] الرؤيا، والرؤيا منها ما[٧] يوجد كما رأى، ومنها ما يكون تأويله مخالفًا لما رأى، فاستثنى ليعلم أن تأويله وفق ظاهره، وهو حكاية الرؤيا، فكأنه أري ذلك وعلق بالمشيئة، عن أبي مسلم.

«آمِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ» أي: يحلق بعضهم رأسه، ويقصر بعضهم؛ لأنه لا يجمع بينهما، فالحلق حلق الرأس، والقصر أخذ بعض الشعر «لَا تَخَافُونَ» مشركًا، «فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا» قيل: من صلاحكم في تأخر الفتح، ﴿فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتۡحٗا قَرِيبًا﴾[٨] قيل: فتح خيبر، فإنه فتح بعد الحديبية وقسم على أهل الحديبية، عن ابن زيد، وقيل: صلح الحديبية، عن الزهري وجماعة من المفسرين، قال الزهري: ما فتح في الإسلام فتح أعظم من صلح الحديبية؛ لأنهم بعد الصلح أمنوا، فتقاوضوا الدعاء إلى الإسلام وأسلم جماعة من الناس أكثر ممن كان قبل ذلك،

---

(١) تأدبًا بأدب: بأن أتى بأدب، د.
(٢) بمعنى: معنى، د.
(٣) لا: إلا، ت.
(٤) ورد في هامش د: أظنه بين الدخول والرؤيا مدة.
(٥) وقد: وقيل، ت.
(٦) تلك: ذلك، ت، ك.
(٧) ما: -، ت.
(٨) فجعل من دون ذلك فتحاً قريباً: +، ت.

وقيل: هو فتح مكة، عن أبي علي، «هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ» يعني محمداً ﷺ «بالهُدَى» أي: الطريق المؤدي إلى الحق، وقيل: الهدى: الأدلة، وقيل: القرآن «ودين الحقِّ» هو دين الإسلام «ليظهرَهُ على الدِّينِ كُلِّهِ» أي: ليظهر[١] دين الحق على سائر الأديان، فيكون هو الغالب المعمول عليه دون غيره، واختلفوا[٢] وقيل: يظهره[٣] بالحجة، وقيل: بالغلبة، والقهر، وقيل: بالإظهار والانتشار في البلدان، وقيل: يظهره بخروج عيسى، فلا يبقى في الأرض دين سواه، وهذا ليس بشيء؛ لأنه ينزل بعد انقطاع التكليف، والأقرب أنه يظهر بإعزازه وتأييده المسلمين بالحجة والغلبة والفتوح، وإذلال أهل الكفر، وإلقاء الرعب في قلوبهم على ما نشاهده «وكفى بالله شهيداً» أي: كفاه شهادة الله سبحانه[٤] له، وشهادته له إظهار المعجزات عليه، وإخباره بصدقه ورسالته[٥]، وقيل: يشهد برسالته[٦] يوم القيامة وأنه بلغ ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ قيل: نص على اسمه لتزول كل شبهة، وقيل: لأنه ذكره في الكتب بهذا الاسم «وَالَّذِينَ مَعَهُ» قيل: أصحابه «أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ» أي: غلاظ عليهم في قتالهم ومعاداتهم «رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ» يعني يتعاطفون ويتوادون «تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا» يعني يُصَلُّون «يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا» قيل: يطلبون فضله[٧] بأن يدخلهم الجنة، ورضوانه أن[٨] يرضى عنهم، وقيل: يبتغون مصالح الدنيا من وجهها «سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ» قيل: علامتهم يوم القيامة، عن ابن عباس، والحسن، وعطاء، والربيع بن أنس، قال شهر ابن حوشب: تكون مواضع سجودهم كالقمر ليلة البدر، وقيل: علامتهم في الدنيا من أثر الخشوع، عن مجاهد، وقيل: أثر التراب على وجوههم، عن عكرمة، وسعيد بن جبير، وأبي العالية، قال سفيان: يصلون بالليل، فإذا أصبحوا

---

(١) ليظهر: يظهر، ت.

(٢) واختلفوا: فاختلفوا، ت، ك.

(٣) يظهره: يظهر، د.

(٤) سبحانه: -، ت، ك.

(٥) ورسالته: لرسالته، ت.

(٦) برسالته: رسالته، ك؛ وقيل يشهد برسالته: مكرر في ت.

(٧) فضله: فضلها، د.

(٨) أن: أي، ت.

رؤي[١] ذلك في وجوههم، وعن عطاء الخراساني: دخل في هذه الآية كل من صلى الخمس، وقيل: من الصفرة والنحول، عن الضحاك، قال الحسن: إذا رأيتهم حسبتهم مرضى وما هم بمرضى، وقيل: صفرة السهر، وغض البصر «ذَٰلِكَ» يعني ما ذكرنا «مَثَلُهُمْ» صفتهم «فِي التَّوْرَاةِ» قيل: تم الكلام ههنا، ثم ابتدأ فقال ـ سبحانه ـ: «وَمَثَلُهُمْ فِي الإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ» قيل: نباته، عن أنس، وقيل: سنبله، عن ابن عباس، وقيل: فراخه الذي يكثر به ويقوى، عن ابن زيد، والأخفش، والسدي، فأراد[٢] أنهم يكونون قليلاً ثم يكثرون «فَآزَرَهُ» قواه وأعانه «فَاسْتَغْلَظَ» أي: صار غليظًا صلبًا «فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ» أي: قام على سوقه لقوته وصلابته «يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ» لكماله وحسنه، والزراع: الأَكَرَةُ الذين يزرعون، فشبه أصحاب النبي بكمال[٣] الفضل وما يعجب من حالهم بذلك، واختلفوا، فيمن أراد بمَنْ ذكر في الأزر فقيل: العشرة الذين بشرهم بالجنة، عن الحسن، وقيل: الزرع محمد، وشطؤه: أبو بكر «فآزره[٤]» عمر وجميع أصحابه، وقيل: شطؤهُ: الداخلون في الإسلام إلى يوم القيامة، عن ابن جرير. «لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ» الغيظ: الغم والأسف والكمد[٥]، عن أبي مسلم، أي: لكثرتهم وتظاهرهم وتضافرهم قطعوا الأطماع عن مغالبتهم، فيغتاظون عليهم، وقيل: ليغيظ بهم الكفار يعني الرافضة.

وعن علي عليه السلام[٦] وابن عباس عن رسول الله ـ صلى الله عليه وآله ـ قال: «يكون في آخر الزمان قوم يكون لهم نبز، يقال لهم: الرافضة، يرفضون الإسلام، إذا رأيتموهم فاقتلوهم»، وفي خبر علي (عليه السلام): قلت: ما علامتهم؟ قال: «ليست لهم جمعة ولا جماعة، يسبون أبا بكر وعمر».

وذكر الهادي عليه السلام في (الأحكام) قال: حدثني أبي وعمّاي محمد والحسن،

(١) رؤي: رأى، ت، د.
(٢) فأراد: وأراد، ت.
(٣) بكمال: لكمال، ت، ك.
(٤) فآزره: وأزره، ت.
(٥) انكمد: والكمة، ت، ك.
(٦) عليه السلام: +، ت.

عن أبيهم القاسم بن إبراهيم، عن أبيه، عن جده الحسن بن علي، عن أبيه، عن النبي ﷺ وعليهم أنه قال: «يا علي، يكون في آخر الزمان قوم يكون لهم نبز[١] يعرفون به، يقال لهم: الرافضة، فإذا أدركتهم فاقتلهم[٢]، قتلهم الله فإنهم مشركون».

«**وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ**» نبأهم[٣] لتخصيصهم بالوعد دون غيرهم، وقيل: يجوز أن يكون أراد من أقام على ذلك منهم، والأول الوجه «**مَغْفِرَةً**» لذنوبهم «**وَأَجْرًا عَظِيمًا**» ثوابًا دائمًا على أعمالهم.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿فَأَنزَلَ سَكِينَتَهُۥ[٤]﴾ أنه لطف لهم حتى سكن قلوبهم.

ويدل قوله: ﴿لَّقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ﴾ على معجزة النبي ﷺ حيث أخبر عن الغيب، فوجد كما أخبر.

ويدل قوله: ﴿مُحَلِّقِينَ﴾ على جواز الحلق والقصر، ولا خلاف فيه، وإن كان الحلق أفضل للرجال، وكلاهما نُسُكٌ.

ويدل قوله: ﴿لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ﴾ أن دين الإسلام يظهر على سائر الأديان، وقد حصل ذلك، فلا دين إلا وقد غلبوهم بالحجة والقهر، وأكثرهم[٥] أهل ذمة لهم، ولو لم يكن من ظهور هذا الدين إلا ما ظهر من كثرة علومهم وأصنافها، وكثرة الحجج على المخالفين وكتبهم المصنفة فيها، وعلوم الشرع وقوة أحوالها مع ما[٦] انضاف إليها من الاستيلاء، وقمع الأعداء، وقطع أطماع الكفار عن بلادهم لكفى.

---

(١) نبز: دين، ت.
(٢) فاقتلهم: فاقتلوهم، ت، د، ك.
(٣) نبأهم: بيانهم، ت، د، ك.
(٤) سكينته: -، د.
(٥) وأكثرهم: -، ت.
(٦) أحوالها مع ما: أهلها مع، ت، ك.

ثم بَيَّنَ صفة أصحاب محمد ﷺ، وطريقتهم، وفضائلهم بما لا مزيد عليه، وبَيَّنَ أنه ذكرهم في التوراة والإنجيل، وأنهم رحماء بينهم، لا يكون بينهم تباغض، خلاف ما تقوله الرافضة، وأنهم مجاهدون، ويظهرون العبادة[١] والخشوع، إلى سائر ما ذكر، وضرب لهم الأمثال، وكل ذلك يدل على فضلهم، وأنه قوى الإسلام بهم، ووجوب ولايتهم، والتمسك بطريقتهم، خلاف ما تقوله الرافضة والمارقة.

(١) ويظهرون العبادة: ويظهرون ويظهرون العباد، ت.

سورة الحجرات

سورة (الحجرات) مدنية فيما روي عن الحسن، وقتادة، وعكرمة، ومجاهد وغيرهم.

وعن ابن عباس أنها مدنية، إلا قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ﴾، وهي ثماني عشرة آية.

وعن أبي بن كعب عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ سورة (الحجرات)، أعطي من الأجر عشر حسنات، بعدد مَنْ أطاع الله ومن عصاه».

ولما ختم سورة (الفتح) بذكر الرسول، افتتح هذه السورة بذكره وما يجب من تعظيمه وتوقيره وطاعته كما يليق به.

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١
يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ
بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٢ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ
أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ لَهُم مَّغۡفِرَةٞ وَأَجۡرٌ
عَظِيمٌ ٣ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلۡحُجُرَٰتِ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡقِلُونَ ٤ وَلَوۡ
أَنَّهُمۡ صَبَرُواْ حَتَّىٰ تَخۡرُجَ إِلَيۡهِمۡ لَكَانَ خَيۡرٗا لَّهُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٥﴾.

القراءة

قرأ يعقوب والضحاك: «لا تَقَدَّمُوا» بفتح التاء والدال من التقدم. وقراءة العامة بضم التاء، وكسر الدال من التقديم، فالأول على لا تتقدموا، حذف إحدى التاءين.

وقرأ أبو جعفر: «من وراء الحجرات» بفتح الجيم، والقراء على ضمها، وهما لغتان، والحجرة: ما يحاط عليها في الدار، وجمعها حجرات، وقيل: جمعها حُجَرٌ، ثم جمعها حجرات، فهي جمع الجمع، وأصله المنع، ومنه: الحجر على اليتيم، ومنه قيل للعقل: حِجْرٌ؛ لأنه يمنع من الجهل.

اللغة

التقديم: مصدر قدَّم يُقدِّم تقديمًا: إذا تقدم، وأَقْدَمَ يُقْدِمُ إقدامًا، واستقدم يستقدم استقدامًا وقد تقدم، كل ذلك بمعنى تقدم. والقدم: الشيء تقدمه، فيكون علة لك حتى تقدم عليه.

الجهر: ظهور الصوت، والصوت: عرض مدرك بحاسة السمع، ومنه يتركب الكلام، ومنه الجهارة في المنطق، ومنه: فغلبه نهارًا جهارًا، وجاهره بالأمر مجاهرة، ونقيضه: الهمس.

والحبوط: بطلان العمل، وأحبطه الله: أي: أبطله، ومعناه: يبطل ثوابه.

والغض: الحط من منزله إلى جهة التضعيف، غض أمر[1] فلان: إذا ضعف حاله، وغض بصره عن حدة النظر، وغض صوته: ضعفه عن جهة الجهارة، قال جرير:

فَغُضَّ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نُمَيْرٍ[2]

والامتحان: الاختبار والابتلاء.

---

(١) أمر: من، د.

(٢) البيت قائله جرير وتتمته:

فلا كعبا بلغت ولا كلابا

انظر ديوان جرير، دار صادر، بيروت.

۞ الإعراب

يا: حرف نداء، ومعناه مضمر فيه، كأنك تقول: أناديك، و(أيّ) اسم مبهم للمنادى يحتاج إلى صفة تنبهه، و(ها) حرف تنبيه من المنادي للمنادى، كأنك تقول: أدعوك، فلا تغفل.

و(الذي) اسم ناقص يحتاج إلى صلة؛ لتتم الفائدة منه بصلته.

(القول) محله نصب، تقديره: لا تجهروا القول.

«خيرا» نصب لأنه خبر (كان)، أي: كان صبرهم خيرًا، وقوله: «ولو صبروا» يدل عليه.

۞ النزول

أما قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ اختلفوا في سبب نزوله، فقيل: نزلت في الذبح يوم الأضحى، وذلك أن أناسًا ذبحوا قبل صلاة ـ النبي ﷺ ـ، فأمرهم أن يعيدوا الذبح، عن عامر بن عبد الله، والحسن.

وقيل: نزلت في قوم صاموا قبل صوم رسول الله ﷺ، عن عائشة، قال مسروق: دخلت عليها يوم الشك، فأمرت لي بعسل، فقلت: إني صائم، فقالت: «نهى النبي ﷺ عن صوم هذا اليوم»، وفيه نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾.

وقيل: نزلت في أناس كانوا يقولون: لو أنزل في كذا أو وضع كذا فكره الله ذلك، ونزلت الآية، عن قتادة.

وقيل: نزلت في الشرائع والقتال، يعني لا تقضوا أمرًا دونه، عن الضحاك.

وقيل: نزلت في قصة الرجلين من بني عامر، وذلك أن بني عامر قتلوا جماعة من أصحاب النبي ﷺ، ولقيا رجلين من بني سليم جاءا من عند رسول الله ﷺ، فاعتزيا إلى بني عامر، فقتلاهما، فقال رسول الله ﷺ: «بئس ما صنعتما» ووداهما، فنزلت الآية، عن عطاء الخراساني.

وقيل: نزلت في قوم كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ، فإذا سئل خاضوا فيه قبله وأفتوا، فنهوا عن ذلك، عن أبي علي.

فأما قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ قيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان جهوري الصوت، وفي أذنه وقر، فإذا كلم رسول الله ﷺ رفع صوته، فلما نزلت جعل يبكي ويقول: أنا من يرفع صوته، هلكت والله، فقال له النبي ﷺ: لا: «أما ترضى أن تعيش حميدًا، وتقتل شهيدًا»؟، فقال: رضيت ولا أرفع صوتي بعد هذا، فنزلت الآية: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾. وقتل: في حرب اليمامة.

وقيل: إن أناسًا[1] من الأعراب كانوا[2] إذا أتوه يناجونه: يا محمد، فأنزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية، وأمرهم أن يقولوا: يا رسول الله بتعظيم، عن سعيد بن جبير.

وقيل: نزلت في قوم رفعوا أصواتهم بالقراءة خلف رسول الله.

وقيل: نزلت في وفد بني تميم، ويذكر بعد هذا.

وقيل: لما نزل[3]﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ ما كلم أبو بكر ولا عمر إلا كأخي السِّرَار، فنزل فيهما: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ﴾.

وأما قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ﴾ قيل: نزلت في وفد بني تميم.

وعن جابر بن عبد الله، أن النبي ﷺ[4] سئل عمن نزل فيهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ﴾ فقال: «بنو تميم»، وذلك أن الأقرع بن حابس، وعيينة بن حصين، والزبرقان بن بدر، وقيس بن عاصم في أناس من بني تميم، جاؤوا إلى رسول الله ﷺ[5] فنادوا: يا محمد، اخرج إلينا نفاخرك، فإن مَدْحَنَا زين، وذمنا شَيْنٌ، عن قتادة، فخرج رسول الله ﷺ، وهو يقول: «ذلكم الله الذي مدحه زين، وذمه شين»، ثم فاخر مرة بالنظم ومرة بالنثر[6]، فأمر ثابت بن قيس بن شماس، وهو

(١) أناسًا: ناسًا، ك.
(٢) كانوا: +، ك.
(٣) نزل: نزلت، د.
(٤) صلى الله عليه وآله: عليه السلام.
(٥) صلى الله عليه وآله: -، د.
(٦) ومرة بالنثر: والنثر، ت، د، ك.

خطيب الأنصار فأجابهم نثرًا، وأمر حسان فأجابهم نظمًا، فارتفعت الأصوات، فنزلت الآيات: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ﴾ فآمنوا، فأعطاهم رسول الله ﷺ(1) وكساهم.

وقيل: إن النبي ﷺ بعث سرية إلى بني العنبر، وأَمَّر عليهم عيينة بن حصين، فلما سمعوا به تركوا أموالهم وعيالهم(2)، وهربوا، فسباهم عيينة، فجاء رجالهم إلى رسول الله ﷺ وقت الظهيرة، وهو قائل، نادوا: يا محمد، اخرج إلينا حتى أيقظوه، فخرج وأعتق نصف الذراري والنساء، وقتل نصفهم، ففيهم نزلت الآية، عن ابن عباس.

وقيل: نزلت في أناس من العرب، قال بعضهم لبعض: انطلقوا بنا إلى هذا الرجل، فإن يكن نبيًا فنحن أسعد الناس به، وإن يك ملكًا نعيش في جناحه، فجاؤوا إلى حجرته ينادونه يا محمد، فأنزل الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ(3) أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ الآية.

المعنى

«**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**» صَدَّقوا «**لاَ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ**» اختلفوا فيه، فمنهم مَنْ حمله على الخصوص، واختلفوا بحسب اختلافهم في أسباب نزولها، على ما ذكرنا، فقيل: لا تحكموا في الأمر قبل وقته، عن ابن عباس، وقيل: لا تذبحوا قبل صلاته، عن الحسن، وقيل: لا تصوموا قبل صومه، عن عائشة، وقيل: لا تقتلوا قبل أمره، عن عطاء.

فأما من قال: إنه عامٌّ على إطلاقه، اختلفوا، فقيل: لا تقولوا خلاف الكتاب والسنة، عن ابن عباس، وقيل: لا تقضوا في الشرع أمرًا من دونه، عن الضحاك، وقيل: لا تسبقوه بقول ولا فعل حتى يأمركم به، عن السدي، والكلبي، وأبي علي؛ لأن التقدم هو أن يفعل(4) ما لم يؤمر به. وقيل: لا تقطعوا أمرًا من دونه، عن

(1) صلى الله عليه وآله: -، ك.
(2) أموالهم وعيالهم: عيالهم وأموالهم، ك.
(3) من وراء الحجرات: -، ك.
(4) يفعل: تعمل، ك.

ابن زيد، وقيل: لا تمشوا بين يديه تعظيمًا له، وقيل: لا تطلبوا منزلة[1] وراء منزلته[2]، وقيل: لا تقدموا أعمال الطاعة قبل الوقت الذي أمر به رسول الله ﷺ، عن الزجاج. وقيل: معناه لا تستبدوا بالأمر، قال الأخفش: تقول العرب: تقدم بين يدي أبيه وأمه[3]، وتَقَدَّم[4] إذا استبد بالأمر دونهما.

«**وَاتَّقُوا اللَّهَ**» أي: عذابه في تضييع حقه ومخالفة أمره «**إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ**» لأقوالكم «**عَلِيمٌ**» بأفعالكم يجازيكم بها «**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ**»؛ لأن فيه أحد شيئين: إما لأن فيه نوع استخفاف به، فهو كُفْرٌ وسوء أدب، وفيه خلاف التعظيم المأمور به.

ومتى قيل: أليس ثابت لم يكفر ولم يفسق؟

قلنا: لم يقصد الاستخفاف، ولكن كان يباسطه، فَنُهِيَ عن ذلك.

ومتى قيل: أليس كانوا يرفعون أصواتهم عنده؟

قلنا: ذاك في مخاطبة غيره أو في حرب، أو أذان، وذلك غير مقصود بالآية، إنما الآية في رفع صوت يخالف التعظيم.

«**وَلاَ تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ**» قيل: كما يرفع بعضهم صوته على بعض، عن أبي علي، وقيل: لا تقولوا: يا محمد، كما يخاطب بعضكم بعضًا، ولكن قولوا: يا رسول الله، وقيل: خاطبوه بالتعظيم والتبجيل «**أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ**» أي: لئلا تحبط أعمالكم، يعني أن فعلهم ذلك يبطل أعمالهم، ثواب أعمالهم؛ أي وأنهم لا يعلمون أنه يحبط بهذا القدر، ولا يجوز حمله على نوع من الاستخفاف؛ لأنه كفر، ولم يفعلوا ذلك، ولأنه حرم مع النبي ـ صلى الله عليه ـ ما أبيح مع غيره، والاستخفاف بالمؤمنين غير مباح.

(١) منزلة: من، ت، د، ك.
(٢) منزلته: منزله، د، ت.
(٣) وأمه: وأمامه، ت، د، ك.
(٤) وتقدم: وقدّم، ت، د، ك.

ومتى قيل: فعلى أي وجه يحرم رفع الصوت عنده؟

قلنا: على جميع الوجوه.

ثم مدح من يغض[1] الصوت عنده تعظيمًا له، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِنَّ الَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَاتَهُمْ**» أي: يخفونها، ولا يجهرون بها جهرًا عظيمًا، وكما يحسن ذلك مع النبي ﷺ، فكذلك[2] مع الأئمة والعلماء، ومن يجب تعظيمه «**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى**» أي: اختبرها فأخلصها، قيل: أخلصها للتقوى، عن قتادة، ومجاهد. وقيل: أكرمها للتقوى، عن ابن عباس، وقيل: أذهب الشهوات منها، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[3]، وقيل: علم الله من قلوبهم التقوى؛ لأن الامتحان يراد للعلم، فذكر ذلك توسعًا، وقيل: امتحن قلوبهم فوجدها خاصة للتقوى؛ وقيل: امتحن: تَوَسُّعٌ، أي: لطف حتى وسع قلوبهم، وقيل: امتحنهم ليظهر ما فيه من التقوى. «**لَهُمْ مَغْفِرَةٌ**» لذنبهم «**وَأَجْرٌ عَظِيمٌ**» أي: ثواب، وهو الجنة «**إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ**» يا محمد «**مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ**» قيل: خلف الحجرات «**أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ**» يعني أنهم جهال «**وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ**» قيل: أنفع وأسلم من الآثام والثبور، عن أبي علي، وقيل: أشفع[4] لهم في ذراريهم، وكان يكتب بعتق جميعهم، وقيل: أدخل في تعظيم النبي ﷺ، وقيل: أقرب إلى الصلاح وأبعد من سوء الأدب «**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**» يغفر الذنوب بالتوبة، ويرحم بإدخالهم الجنة.

الأحكام

يدل قوله: ﴿لَا تُقَدِّمُواْ﴾ على وجوب الانقياد لله والرسول، وتحريم تجاوز أمرهما، وتعدي رسمهما، وقد مدح الله تعالى الملائكة فقال: ﴿لَا يَسۡبِقُونَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ﴾ [الأنبياء: ٢٧].

وتدل على أن الاقتداء بالرسول واجب في أقواله وأفعاله.

---

(١) يغض: غض، ك.

(٢) فكذلك: وكذلك، ت، د.

(٣) رضي الله عنه: -، ك.

(٤) أشفع: أنفع، ك.

ويدل قوله: ﴿سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ أن السمع صفة زائدة على العليم، خلاف ما تقوله البغدادية.

وتدل الآية أن أفعال العباد حادثة من جهتهم، ولو[1] كانت خلقه تعالى لما كان تَقَدُّمًا من جهتهم؛ إذ هو يخلقه ويوجده.

ويدل قوله: ﴿لَا تَرْفَعُوٓا۟﴾ الآية على وجوب تعظيم الرسول في كل باب حتى في الكلام وفي التسمية؛ لأن الغرض ليس هو رفع للصوت فقط؛ بل هو تنبيه على سائر ما يلزم من إعظامه.

وتدل أن الكبيرة تحبط الأعمال، ووجوب الاحتراز عما يحبطها.

وتدل على أن الأفعال والأقوال قد تختلف بالأحوال، فلذلك قبح رفع الصوت مرة عنده، ولم يقبح عند غيره.

وتدل على أن العدول عن طاعته يحبط العمل؛ لأنه إما أن يكون كفرًا أو فسقًا.

ويدل قوله: ﴿لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ أن ذلك يجب بشرط اجتناب الكبائر.

ويدل قوله: ﴿لَا يَعْقِلُونَ﴾ أنهم لم يعلموا ما لزمهم، فتدل أن المعارف مكتسبة.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَـٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَـٰدِمِينَ ﴿٦﴾ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَـٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَـٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَنِعْمَةً ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا ۖ فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَـٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى حَتَّىٰ تَفِىٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن فَآءَتْ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا بِٱلْعَدْلِ وَأَقْسِطُوٓا۟ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾﴾.

---

(١) ولو: إذ لو، ك.

۞ القراءة

قرأ حمزة ويعقوب: «فَتَثَبَّتُوا» بالثاء من التثبيت، وهو التأني، والباقون «فتبينوا» بالباء والنون من البيان، أي: تعرَّفوا، والتبين التعرف، والبيان: الدلالة المؤدية إلى العلم والمعرفة، عن أبي علي، وأبي هاشم، وقيل: هو العلم الحادث، عن أبي عبد الله البصري.

قرأ يعقوب: «إِخْوَتِكُمْ» بالتاء على الجمع، وهو قراءة ابن كثير، وسويد. والباقون: «أخويكم» بالياء على التثنية، لقوله: «طائفتان». وقرأ الحسن «إخوانكم» بالنون والألف على الجمع.

۞ اللغة

الفاسق: الخارج من ولاية الله إلى عداوته، وأصله الخروج.

والنبأ: ما يعظم شأنه، وجمعه: الأنباء.

والعنت: المشقة، عَنِتَتْ الدابة تَعْنَتُ عَنَتًا: إذا حدث في قوائمها كسر بعد جبر لا يمكنها[1] معه الجري، قال ابن الأنباري: أصل[2] العنت التشديد، يقال: فلان تَعَنَّتَ فلانًا: تشدد عليه وأَلْزَمَهُ ما يصعب عليه أداؤه، ثم نقل إلى الهلاك، ومنه قوله: ﴿لَعَنِتُّمْ﴾ هلكتم.

والبغي: طلب زيادة ليست له، وأصله من الطلب، ومنه: هذه بُغْيَتي.

والفيء: الرجوع، ومنه قيل لظل الزوال: فيء؛ لأنه[3] يرجع عن جانب المشرق إلى جانب المغرب، فاء يفيء فَيْئَةً وفَيْئًا، وإنه لسريع الفيئة، أي: الرجوع، ومنه الفيء: لما يرجع من أموال المشركين بغير قتال.

والقِسْط: العدل ونحوه، والإقساط مصدر أقسط فهو مقسط، والقَسْط بفتح

---

(١) يمكنها: يمكنه، ت، د، ك.

(٢) أصل: أصله، ت، د، ك.

(٣) لأنه: أنه، ك.

القاف: الجور، قَسَطَ يَقْسِطُ: جار، والقسوط: العدول عن الحق، وأصل الباب: العدول فمن[1] عدل إلى العدل فقد أقسط، ومن مال إلى الجور فقد قَسَطَ، والقَسَطُ بفتح القاف والسين: اعوجاج في الرجلين لعدوله عن الاستقامة.

النزول

قيل: قوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾ الآية نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه رسول الله ﷺ في صدقات بني المصطلق، فخرجوا مسلحين يتلقونه فرحًا به، وإكرامًا وتعظيمًا لأمر رسول الله ﷺ، فظن أنهم هموا بقتله، فرجع إلى رسول الله ﷺ وقال: إنهم منعوني[2] صدقتهم.

وقيل: كان بينه وبينهم عداوة في الجاهلية؛ فلذلك قال ما قال، فغضب النبي ﷺ وهَمَّ أن يغزوهم، وبلغهم ذلك، فجاءوا وذكروا ذلك لرسول الله ﷺ، فبعث خالد بن الوليد فأخذ صدقاتهم، ولم ير منهم إلا الطاعة، ففي الوليد نزل قوله: ﴿إِن جَآءَكُمْ فَاسِقُۢ بِنَبَإٍ﴾، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، ويزيد بن رومان، وابن أبي ليلى.

وأما قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآية، اختلفوا في سبب نزوله، فقيل: نزلت في رهط عبد الله بن أبي، ورهط عبد الله بن رواحة، وذلك أن غبار حافر حمار رسول الله ﷺ أصاب عبد الله بن أبي فتكلم بما لا يعنيه، فنازعه عبد الله بن رواحة، وآلت تلك المنازعة إلى القتال بين الأوس والخزرج بالنعال، فنزلت الآية، فاصطلحوا، عن ابن عباس.

وروي أن رسول الله ﷺ وقف على حماره على نادي الأنصار، وفيهم عبد الله ابن أبي، فصال[3] حماره فأخذ عبد الله أنفه، وقال: إليك عنا حمارك فقد آذانا بنتنه، فقال ابن رواحة: حماره أطيب ريحًا منك، فغضب قوم لعبد الله بن أبي، وقوم لعبد الله بن رواحة، فتنازعوا بالنعال، ثم اصطلحوا، ففي ذلك نزلت الآية. عن جماعة من المفسرين.

---

(١) فمن: من، د، ت؛ في من، ك.

(٢) منعوني: منعوا، ك.

(٣) فصال: صال، ت، د.

وقيل: نزلت في رجلين من الأنصار جرت بينهما منازعة في حق لهما، فقال أحدهما للآخر: لآخذَنَّ حقي منك عنوة، ودعاه الآخر إلى المحاكمة إلى نبي الله ﷺ فأبى، فلم تزل الأمور حتى كان تناولٌ بالأيدي والنعال دون السيوف، ثم اصطلحوا، ففيهم نزلت الآية، عن قتادة.

وقيل: نزلت في حرب الأوس والخزرج في الجاهلية، فلما جاء الإسلام أنزل الله تعالى هذه الآية، وأمر نبيه فصالح بينهم، فصاروا إخوانًا، عن الكلبي.

وقيل: كانت امرأة من الأنصار يقال لها: أم زيد، تحت رجل، وكان بينها وبين زوجها شيء، فحبسها، فبلغ قومها، فجاؤوا واقتتلوا بالأيدي والنعال، فأنزل الله تعالى الآية، عن السدي.

۞ النظم

يقال: كيف يتصل قوله: ﴿إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ﴾ بما قبله؟

قلنا: لما أمر بطاعة رسول الله ﷺ[1] بين أنه لا ينبغي للرسول أن يتبع أهواءهم، ويقبل قول الفساق؛ بل يفصل بما يثبت عنده.

ويقال: كيف يتصل قوله: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ بما قبله؟

قلنا: لما بين أنه لو اتبع أهواءهم وأطاعهم في الأمر لعنتم، بين ما أمر به، وحبب إليهم.

وقيل: لما أمر بالتثبيت في الأمور على ما يقتضيه الدين بين أنه حبب إليهم ذلك؛ لئلا[2] يقعوا في العنت.

ويقال: كيف يتصل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ بما قبله؟

قلنا: لما أمر بطاعة الرسول، وأن يكونوا يدًا واحدة بَيَّنَ أنه إن وقع قتال وخلاف أن الواجب المصالحة، فإن أبوا فالواجب قتال الباغي.

---

(١) صلى الله عليه وآله: -، ك.
(٢) لئلا: لكي لا، ك.

المعنى

«يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ» من ارتكب فسقًا، وهو الكبيرة؛ لأن من لا يجانب الفسق لا يؤمن منه الكذب في أخباره «بِنَبَإٍ» أي: بخبر «فَتَبَيَّنُوا» بالتاء[1] والنون، أي: تعرفوا حتى تعلموا حقيقته، وبالثاء: تَأَنَّوا فيه حتى تثبت عندكم حقيقته «أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ» أي: تصيبوهم بقتل أو قتال، وأنهم لا يعلمون حقيقة الأمر «فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ» من ذلك «نَادِمِينَ» إذا علمتم ذلك «وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ» فاتقوا الله أن تقولوا باطلاً، فإن الله تعالى يخبره أنباءكم، ويعرفه أحوالكم، فتفتضحون عنده «لَوْ يُطِيعُكُمْ» أي: يتبع مرادكم «فِي كَثِيرٍ مِنَ الأَمْرِ» قيل: يقبل قول بعضكم، وقيل: يقضي برأيكم «لَعَنِتُّمْ» أي: أثمتم، وقيل: أوقعتم في عنت، وهو الهلاك، وقيل: لحقكم الضر والشدة، يعني لو قبل الرسول مع عظيم محله قول بعضكم لهلكتم، فكيف تقبلون أنتم، ولكن الله يوفق نبيه[2] للصواب[3]، فلا يعمل إلا المصالح، عن الأصم. «وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ» وأنتم تطيعون الله ورسوله، ويذهب عنكم العنت، وقيل: حبب بالأدلة على صحته واستقامته، وقيل: بألطافه، وقيل: ما وصفه من الثواب عليه، عن الحسن. ويحمل على أنه حَبَّبَ بالأمر به، والدلالة عليه، والألطاف الداعية إليه، وما وعد من الثواب على فعله، وقوله: «حَبَّبَ» أراد فعل ما عنده تحبون الإيمان من الأشياء التي ذكرناها «وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ» أي: فعل ما عنده تكرهون «الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ» قيل: بألطافه، وقيل: بما وصف من العقاب عليه، عن الحسن. وقيل: بجميع وجوه الصوارف «أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ» أي: من تمسك بهذه الطريقة كان على رشد وصواب، وإنما رتب ثلاث رتب؛ لأن المعاصي على ثلاثة أضرب: كُفْرٌ وفِسْقٌ، وهو الكبائر، وعصيان، وهو الصغائر «فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً» يعني رشادهم بدعاء الرسول، وتمكين

---

(١) بالتاء: بالياء، ك.

(٢) نبيه: -، ك.

(٣) للصواب: الصواب، ك.

الله ولطفه وهدايته، وقيل[1]: منة عليهم ونعمة، وقيل: التحبيب والتكريه فضلاً من الله ونعمة «وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ» لا يفعل إلا الحكمة، عليم بالمصالح، وقيل: عليم بهم يجازي كل أحد بما يستحقه «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا» ولا شبهة أن إحداهما باغية والأخرى عادلة؛ لأنهما كانتا[2] مؤمنتين قبل القتال، كما يقال: لو أن طائفة من المؤمنين ارتدوا[3] فاقتلوهم «فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا» بتوسط ومصالحة «فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الأُخْرَى» طلب ما ليس له، ظالمًا للفرقة الأخرى، وأبى الإجابة إلى حكم الكتاب «فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ» أي: ترجع «إِلَى أَمْرِ اللَّهِ» بالتوبة والطاعة «فَإِنْ فَاءَتْ» رجعت «فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ» بالقسط حتى يكونوا سواء، لا يكون من أحدهم على الآخر جور وشطط فيما يتعلق بالضمانات والأُرُوش؛ بل حال كل واحد كحال الآخر «وَأَقْسِطُوا» أعدلوا «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» العادلين «إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ» قيل: سماهم مؤمنين وإخوة قبل القتال، وقيل: سماهم بذلك بعد الصلح والرجوع؛ لأن حال القتال حال براءة وإحن وقطيعة، لا حال أُخُوَّة وألفة «فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ» قيل: احملوهم على حكم الشرع «وَاتَّقُوا اللَّهَ» في الفرقة «لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ» أي: لترحموا إن فعلتم ما أمرتم به.

۞ الأحكام

في هذه الآيات أحكام:

منها: في قوله: ﴿ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ﴾ الآية، فتدل[4] على أن الفاسق[5] لا يقبل خبره ولا شهادته، واختلفوا في الفاسق من جهة التأويل، فالذي عليه الفقهاء أنه يقبل؛ لأن الخلاف وقع والصحابة متوافرون، وكان بعضهم لا يرد خبر بعض، وقال

(١) وقيل: فقيل، ت، د.

(٢) كانتا: كانا، ك.

(٣) ارتدوا: ارتدا، ت، د.

(٤) فتدل: يدل، ك.

(٥) الفاسق: خبر الفاسق، ك.

أبو علي وأبو هاشم: لا يقبل، قال: إذا كان الكذب في المعاملات وحقوق الناس يوجب رد قوله، فالكذب على الله ورسوله، وعلى سادات الإسلام من المهاجرين والأنصار أولى بالرد، قال القاضي: قولهما أقيس، وقول الفقهاء أقرب إلى الآثار.

قال أبو علي: تدل الآية على أن خبر الواحد لا يقبل لأنه قال: ﴿أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ﴾ وبخبر الواحد لا يحصل العلم، فلا نأمن الجهالة فاسقًا كان[1] أو مستورًا.

قلنا: هذا ينتقض عليه بخبر الاثنين، واستدل جماعة بالآية على أن خبر الواحد يقبل؛ لأنه لو كان لا يقبل خبر العدل لم يكن لذكر الفاسق معنى.

وقيل: إنها لا تدل إلا على التثبت[2] في خبر الفاسق، فأما غير ذلك فليس في الظاهر ما يدل على رد وقبول.

وتدل على تحريم التقليد؛ لأن فيه اعتقاد ما لا يؤمن كونه جهلاً وفاسدًا.

واستدل بعضهم بالآية على أنه يجب التوقف في خبر الواحد إذا جوز كونه فاسقًا، وإن كان ظاهره الستر، قال: لأن الوليد كان مستورًا، لذلك استعمله رسول الله ﷺ، ولولا ذلك لما كان بعثه على الصدقات وما ولاه، وهذا لا يصح؛ لأن ظاهره كان الستر، فاستعمله، ثم علم بخبر الله أنه فاسق.

وتدل على أن خبر الواحد لا يوجب العلم.

ويدل ظاهره على التوقف فيه، وتعليله على وجوب الرد.

فأما قوله تعالى: ﴿لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ﴾ يدل على أنه لا يريد القبائح؛ لأنه منع رسوله عن الرجوع إلى قول الفاسق؛ لئلا[3] يلحقنا عنت، فكيف يريد نفس العنت، وكيف يفعله؟

فأما قوله: ﴿حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ﴾ تدل الآية على أشياء:

(١) كان: -، ك.
(٢) التثبيت: التكذيب، ك.
(٣) لئلا: لأن لا، ك.

منها: أنه يريد الإيمان، ويكره الكفر؛ لأنه لا يحبب إلينا إلا ما يحبه[1]، ولا يكرّه ما لا يكرهه.

ومنها: أنه يلطف حتى نحب الإيمان بلطفه، فيدل على قولنا في اللطف.

ومنها: أنه زين الإيمان، وكرّه الكفر، خلاف قول المجبرة: إنه قد يكرّه الإيمان، ويحبب الكفر.

وتدل على أن المعاصي التي هي مخالفة للإيمان ثلاث، وأن لها رتبًا: فالكفر أعظمها، والفسق: هو الكبائر الذي ليس بكفر، والعصيان: الصغائر، فيبطل قول الخوارج: إن جميعها كُفْرٌ، وقول بعضهم: إن الفسق هو الكفر، وكل ذنب فسق لولا أن الأمر كما قلنا، وإلا لم يكن للتمييز على هذا الترتيب معنى.

وأما قوله: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ﴾ إلى آخرها، فيدل على أشياء:

منها: أن القتال إذا وقع بين فئتين فينبغي للمؤمنين أن يوقعوا[2] بينهما الصلح إذا أمكن، فإن لم يمكن فالقتال للباغي[3].

ومنها: وجوب قتال البغاة وكيفيته، وإلى متى يجب القتال.

ومنها: أن الباغي لا يكون إمامًا؛ لأن من يجب قتاله لا تجب طاعته.

وتدل على أن قتال معاوية كان واجبًا، وأنه كان باغيًا، وكذلك (يزيد) ومن حذا حذوهم.

ومنها: تدل على وجوب الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

ومنها: أن من شرطه أن يكون بأسهل الأمور، فلا يقاتِلُ والإصلاح بما دونه ممكن.

وتدل على أن قتل الباغي يحل، وأن دمه هدر.

---

(١) إلا ما يحبه: ما لا نحبه، ك.

(٢) يوقعوا: يوقع، د.

(٣) فالقتال للباغي: فقتال الباغي، د.

وتدل على أنه لا يحل قتاله بعد الرجوع.

وتدل على أنه يجب الأمر بالمعروف وإن لم يكن إمام.

وتدل على جواز الخروج على الظلمة.

وتدل على وجوب المصالحة بعد الفيء؛ لتزول الضغائن.

وتدل على أن الباغي ليس بكافر؛ لأنه لم يحكم فيهم أحكام الكفار.

وعن علي عليه السلام قيل له في أهل (الجمل) و(صفين): أمشركون؟ قال: من الشرك فروا، قيل: أمنافقون؟ قال: المنافق لا يذكر الله إلا قليلاً، قيل: فما هم؟ قال: إخواننا بغوا علينا.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعۡضَ ٱلظَّنِّ إِثۡمٞۖ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغۡتَب بَّعۡضُكُم بَعۡضًاۚ أَيُحِبُّ أَحَدُكُمۡ أَن يَأۡكُلَ لَحۡمَ أَخِيهِ مَيۡتٗا فَكَرِهۡتُمُوهُۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٞ رَّحِيمٞ ﴿١٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٞ ﴿١٣﴾﴾.

القراءة

قراءة العامة: ﴿تَلۡمِزُوٓاْ﴾ بكسر الميم، وقرأ يعقوب بضمها، وهما لغتان، لمزه يلمِزه ويلمُزه.

قراءة العامة: ﴿وَلَا تَجَسَّسُواْ﴾ بالجيم، وعن ابن عباس وأبي رجاء العطاردي بالحاء، قال الأخفش: ليس يبعد أحدهما عن الآخر؛ لأن التجسس عما يكتم، ومنه:

الجاسوس، والتحسس بالحاء: البحث عنها وتعرفها، وقيل: أكثر ما يقال: التجسس بالجيم في الشر[1]، ومنه: الجاسوس صاحب سر الشر، والناموس صاحب سر الخير، وحكى ثعلب أن التجسس بالجيم أن تطلبه لغيرك، وبالحاء أن تطلبه لنفسك، وقال بعضهم: التجسس بالجيم البحث عن العورات، وبالحاء الاستماع[2].

اللغة

السخرية والاستهزاء نظائر، وهو عيب يلحق به على طريق المذلة.

والهمز واللمز: العيب والغض من الناس، ومنه: ﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] وهَمَزَهُ ولَمَزَهُ: إذا عابه، قال الليث: اللمزة: الذي يعيبك في وجهك، والهمزة الذي يعيبك بالغيب، وقال غيره: هما شيء واحد، وأنشد:

وإن أغِبْ فأَنْتَ الهامِزُ اللُّمَزَهْ[3]

واللمز: عيب من لا يجوز أن يؤذى بذكره، وعيب الفاسق ليس بلمز، وأصل الهمز الدفع كأن الغائب يدفعه بالعيب.

والنبز: فهو القذف باللقب، وهو مصدر نبزه[4] نبزًا.

والغِيبَةُ: أن يُذْكَرَ الإنسان من ورائه بسوء وهو فيه، فإذا ذكرته بما ليس فيه فهو البَهْتُ والبهتان.

والشعوب: قال الفراء: أكثر من القبائل، وقال الليث: الشعب ما يتشعب من قبائل العرب[5]، والشُّعُوبِيُّ: الذي يصغر[6] شأن العرب، ولا يرى لهم فضلاً على

---

(١) الشر: التنوير، د، ت.

(٢) وبالحاء للاستماع: في ك: فبإيجاز الاستماع.

(٣) أغب: أغيب؛ ت، د، ك.

البيت ينسب إلى زياد الأعجم:

إذا لقيتك تُبدي لي مكاشرة ... أغب فأنت الهامز اللمزة

أنظر: يوسف حسين بكار، شعر زياد الأعجم، دار المسيرة، ١٩٨٣.

(٤) نبزة: نبزته، ت، د.

(٥) العرب: للعرب، ك.

(٦) يصغر: يطعن، ك.

غيرهم سموا بذلك[١] لأنهم تأولوا[٢]﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا﴾ على أن الشعُوب من العجم كالقبائل من العرب، وقال أبو عبيد: الشعوب العجم، وأصل الشعوب من التشعب[٣] وهو كثرة تفرقهم في النسب، يقال: شعبته: جمعته، وشعبته: فرقته، وهو من الأضداد، شعب الرجل أمره: إذا فرقه، وشتته، ومنه حديث عائشة في صفة أبيها «يرأب شعبها»، أي: شعب الأمة لما افترقت كلمتها بينها، ويكون التشعب من الإصلاح، ومنه قيل لمن يصلح البِرَامَ المتكسرة: شَعَّاب.

۞ النزول

أما قوله: ﴿لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِّن قَوْمٍ﴾:

قيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه وقر، وكان إذا دخل تفسحوا له حتى يقعد عند النبي ﷺ[٤] وسلم، فيسمع ما يقول، فدخل المسجد، والناس [قد] فرغوا من الصلاة، وأخذوا أماكنهم، فجعل يتخطّى رقاب الناس، ويقول: تفسحوا تفسحوا، فانتهى إلى رجل، فقال له: أصبت مجلسًا، فأجلس خلفه مغضبًا، فلما انجلت الظلمة قال: من هذا؟ قال الرجل: أنا فلان، فقال ثابت: ابن فلانة، وذكر أمّا له كان يُعَيَّرُ بها في الجاهلية، فنكس الرجل رأسه حياءً، ونزلت الآية، عن ابن عباس.

وقيل: نزلت في وفد تميم الذين تقدم ذكرهم استهزؤوا بفقراء[٥] أصحاب رسول الله ﷺ كعمار، وخباب، وبلال، وصهيب، وسلمان، وسالم، فنزلت الآية، عن الضحاك.

فأما قوله: ﴿وَلَا نِسَآءٌ مِّن نِّسَآءٍ﴾:

---

(١) سموا بذلك: +، ك.
(٢) تأولوا: باذلوا، ك.
(٣) التشعب: الشعب، ك.
(٤) يرأب: تراب، ت، د، ك.
آله: +، ك.
(٥) بفقراء: بفقر، ت، د.

قيل: نزلت في امرأتين من نساء النبي ﷺ سخرتا بأم سلمة، وذلك أنها ربطت شعرها بشيء وأسدلت خلفها، فقالت عائشة لحفصة: انظري ما تجر خلفها كأنه لسان كلب.

وقيل: بل نزلت في نساء النبي ﷺ سخروا[١] من أم سلمة، عن أنس.

وقيل: نزلت في صفية بنت حيي، وذلك أنها أتت رسول الله ﷺ وقالت: إن النساء يعيرنني ويَقُلْنَ: يا يهودية بنت يهودي، فقال ﷺ[٢]: «هلا قلت: أبي هارون، وعمي موسى، وزوجي محمد ﷺ»، ففي ذلك نزلت الآية، عن ابن عباس.

وأما قوله: ﴿وَلَا تَنَابَزُوا۟ بِٱلْأَلْقَٰبِ﴾:

قيل: نزلت في جمع من الأنصار كانوا يتنابزون بالألقاب، فنزلت الآية.

وقيل: نزلت في قوم كانت لهم أسماء في الجاهلية، فلما أسلموا نهوا أن يدعوا بها بعضهم بعضًا.

فأما قوله: ﴿ٱجْتَنِبُوا۟ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ﴾ وقوله: ﴿وَلَا تَجَسَّسُوا۟﴾، وقوله: ﴿وَلَا يَغْتَب﴾:

قيل: نزلت[٣] في رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ اغتابا رفيقهما، وهما مسلمان، بعثاه إلى رسول الله ﷺ ليأتي بطعام، فبعثه إلى أسامة، فقال: ما عندي شيء وكان خازن رسول الله ﷺ[٤]، فعاد إليهما، فقالا: بخل أسامة، وقالا [لسلمان]: لو بعثناه إلى بئر لغار ماؤها، ثم أخذا يتجسسان هل عند أسامة طعام، فنزلت الآية.

فأما قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم﴾ الآية:

قيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس لما قال لذلك الرجل: ابن فلانة؟ فقال

---

(١) سخروا: سخرت، ك.
(٢) صلى الله عليه وآله: رسول الله، ك.
(٣) نزلت: نزل، د.
(٤) صلى الله عليه وآله: -، ك.

رسول الله ﷺ: «من الذاكر فلانة»؟ فقال ثابت: أنا، فقال: «قم، فانظر في وجه القوم من ترى»؟ فقال: رأيت أبيض وأسود وأحمر، فقال: «فإنك لا تفضلهم إلا بالدين»، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن ابن عباس.

وقيل: بل[١] نزلت يوم فتح مكة، أمر النبي ﷺ بلال[٢] فَعَلا ظهرَ الكعبةِ وأَذَّنَ، فقال الحارث بن هشام: أما وجد محمدٌ غير هذا الغراب الأسود مؤذنًا، وقال عتاب ابن أسيد[٣]: الحمد لله الذي قبض أبي فلم ير هذا اليوم، وقال سهيل بن عمرو: إن يرد الله شيئًا يغيره، وقال أبو سفيان: إني لا أقول شيئًا أخاف أن يخبره به رب السماء، وأخبره جبريل بما قالوا، فدعاهم، وسألهم، فأقروا بما قالوا، ونزلت الآية نهيًا عن التفاخر بالأنساب وازدراء الفقراء، عن مقاتل.

المعنى

لما نهى عن التفرق وأمر بإصلاح ذات البين نهى في هذه الآية عن الأسباب المؤدية إلى الفرقة من السخرية والازدراء بالفقراء ونبز الألقاب ونحوها، فقال ـ سبحانه ـ: «**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ**» قيل: أحدٌ من أحد، ورجال من رجال، وقيل: القوم اسم لجميع الرجال والنساء، وقيل: قد يختص بجميع الرجال، قال الشاعر:

وَمَا أَدْرِي وَسَوْفَ إِخَالُ أَدْرِي ... أَقَوْمٌ آلُ حِصْنٍ أم نِسَاءُ[٤]

يعني: أرجال أم نساء؟ وفي الآية المراد به الرجال لذلك عطف عليه[٥] النساء، والسخرية أن يستخف به ويضحك عليه حتى يغمه «**عَسَى أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ**» عند

---

(١) بل: +، ك.
(٢) بلالاً: بلال؛ ت، د، ك.
(٣) عتاب بن أسيد: ابن عتاب بن أسيد، د.
(٤) البيت قائله زهير بن أبي سلمي في قصيدة مطلعها:
عفا من آل فاطمة الجواءُ ... فيُمنٌ فالقوادمُ فالحساءُ
أنظر ديوان زهير بن أبي سلمى، دار صادر، بيروت.
(٥) عليه: عليها، ت، د.

الله، وإن كان الساخر ذا مال وجاه «**وَلاَ نِسَاءٌ مِنْ نِسَاءٍ عَسَى أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ**» يعني لا تسخر نساء من نساء عسى أن يكن كلهن[١] خيرًا من الساخر، وإن كان هو أكبر حظًّا في الدنيا، وقيل: لا يسخر غني من فقير لفقره، عن مجاهد. «**وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ**» أي: لا يغتب بعضكم بعضًا، ولا يطعن عليه، عن ابن عباس، وقتادة. كقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ﴾ [النساء: ٢٩]، وكقوله: ﴿فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور: ٦١]، وإنما ذكر ذلك؛ لأن المؤمنين كنفس واحدة «**وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ**» قيل: هو كل اسم أو صفة يكره الرجل أن يدعى به، عن الضحاك. وقيل: هو قول الرجل للرجل: يا كافر، يا فاسق، يا منافق، عن قتادة، وعكرمة. وقيل: كان اليهودي [و] النصراني يسلم، فيقال له بعد ذلك: يا يهودي، يا نصراني، فَنُهُوا عن ذلك، عن الحسن. وقيل: هو أن يعمل إنسان شيئًا ثم يتوب، فَيُعَيَّر بما سلف منه، عن ابن عباس. «**بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الْإِيمَانِ**» يعني: مَنْ فَعَلَ ما نهيتُ عنه مما تقدم فهو فاسق، واسم الفسق بعد الإيمان بئس الاسم فلا تفعلوا ذلك فتستحقوا اسم الفسق، وقيل: بئس الاسم الذي تسميه بقولك[٢]: يا فاسق بعد أن علمت أنه مؤمن «**وَمَنْ لَمْ يَتُبْ**» عن ذلك، «**فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ**» قيل: لأنفسهم بإيجاب العقاب لها، وقيل: ظالم لأخيه بما قال فيه «**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ**» بَيَّنَ في تلك الآية النهي عن أسباب التفرق، وأمر بهذه الآية أن يثق بأخيه، ولا يظن به غير الجميل؛ لأن ذلك أيضًا من أسباب الفرقة فقال: «**اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِنَ الظَّنِّ**» وهو الظن القبيح بمن ظاهره الستر، وقيل: إذا احتمل الشيء وجوهًا فيجب أن يظن به الجميل، فإذا لم يحتمل إلا وجهًا واحدًا وهو قبيح فحينئذ أتي من قِبَلِ نفسه «**وَلاَ تَجَسَّسُوا**» قيل: لا تتبعوا عثرات المؤمنين[٣]، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. يعني خذوا ما ظهر، ودعوا ما ستر، ولا تتبعوا عوراتهم لتقفوا على ما يكره «**وَلاَ يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضًا**» قيل: «أن تذكر أخاك بما يكره»، رواه أبو هريرة مرفوعًا، فإن

(١) يكن كلهن: يكونوا كلهم، ت، د؛ يكونوا هو، ك.
(٢) بقولك: لقولك، ك.
(٣) المؤمنين: المؤمن، ك.

كان فيه فقد اغتبته، وإن لم يكن فيه فقد[1] بَهَتَّهُ، وقيل: «الغيبة ذكر العيب بظهر الغيب».

ثم أكد التحريم فقال: «**أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ**» شبه الغيبة به فلا شيء أعظم في التكره والاستقذار منه، وكذلك[2] ينبغي أن يستقذروا الغيبة، قال قتادة: يقول: كما أنت تكره أكل الجيفة كذلك فَاكْرَهْ لحم[3] أخيك «**وَاتَّقُوا اللَّهَ**» في جميع ما نهاكم عنه، وقيل: اتقوا عذابه أي: توبوا «**إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ**» بعباده يغفر لهم ويدخلهم الجنة.

ثم بَيَّنَ أن الفضل بالتقوى؛ لكيلا يتفاخروا بالأنساب فيؤدي إلى الفرقة، فقال ـ سبحانه ـ: «**يَاأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى**» قيل: من آدم وحواء، وقيل: خلقنا كل واحد من أب وأم، وقيل: خلق الولد من ماء الرجل والمرأة بدليل الآية، عن مجاهد. «**وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**» أي: جعلنا الشعوب والقبائل للتعارف لا ليتفاخر[4] به، وذلك أنه لولا الأنساب لما عرف الناس، وإنما يعرف زيد من زيد بالنسب، واختلفوا في الشعوب والقبائل فقيل: الشعوب النسب الأبعد[5] كمضر وربيعة، والأوس والخزرج، والقبائل الأقرب كبني هاشم وبني أمية وتميم، عن مجاهد، وقتادة. وقيل: الشعوب أعم والقبائل أخص، وقيل: الشعوب دون القبائل، سمي بذلك لتشعبها وتفرقها، وقيل: الشعوب من العجم، والقبائل من العرب، والأسباط من بني إسرائيل، قال أبو روق: والشعوب من لا تنتسب إلى أب ،ولكن تنسب إلى بلد، والقبائل الذين ينتسبون إلى آبائهم «**إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ**»، قيل: أكرمكم على الله أتقاكم لا أعظمكم بيتًا، عن ابن عباس، وعطاء، وروي ذلك في خبر مرفوع، وعن النبي ﷺ: «من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله»، وعن ابن عباس:

(١) فقد: -، ك.
(٢) وكذلك: كذلك، ك.
(٣) لحم: لحم لحم، ك.
(٤) لا ليتفاخر: لا التفاخر، ك.
(٥) الأبعد: للأبعد، د.

كرم الدنيا الغنى، وكرم الآخرة التقوى. «إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ» أي: عليم بكل شيء، والخبير العليم أيضًا، ذكره لاختلاف اللفظين.

۞ الأحكام

تدل الآية على النهي عن هذه الأشياء، وفيه تنبيه على النهي عن سبب التقاطع.

وتدل على الاحتراز من أذى المؤمن، وإذ لم يرض بغيبة المؤمن فكيف بالضرب والشتم والظلم؟

وتدل على[1] أن الفسق اسم ذم، والإيمان اسم مدح، وأنهما لا يجتمعان، فتدل على قولنا في أنهما من أسماء الشرع، وعلى قولنا في المنزلة بين المنزلتين.

وتدل على أن الظلم كبيرة، لا يسقط عقابها إلا بالتوبة خلاف قول المرجئة.

وتدل أن الظن إثم، فيبطل قول من يقول: إن الإثم يختص أفعال الجوارح.

وتدل على قبح الظن بالمؤمنين.

ومتى قيل: ما الذي يجب أن يجتنب من الظنون؟

قلنا: أن يظن المرء بأخيه في الأمر المحتمل لوجه يحسن وجه القبح[2]، بل يجب أن يظن ما يليق بستره وصلاحه.

ومتى قيل: أفي الجميع يجب ذلك، أم فيمن ظاهره الصلاح؟

قلنا: في الكل ما دام طالبًا لطريق الستر، فإذا أعلن بالفسق فقد خرج من أن يكون له حرمة، ولذلك قال ﷺ: «لا غيبة لفاسق».

ومتى قيل: فما الفائدة في هذا الظن؟

قلنا: لأنه يحمله على الستر، ويكون أقرب إلى الألفة وحسن العشرة والتودد، ولأنه ربما يسلك طريقته.

ومعنى التجسس قريب من الظن الشر فنهوا عن ذلك، وبين أن الواجب أن يجري على ظاهر السلامة، والمروي عن النبي ﷺ: «إياكم والظن فإن الظن أكذب

(١) على: -، ك.

(٢) القبح: للقبح، د.

الحديث، ولا تجسسوا، ولا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا[(١)]، وكونوا عباد الله إخوانًا»، تناجشوا: تفاعل من النَّجْش، وهو التنافر.

وتدل على تحريم الغيبة وهو كل ما يكون عيبًا كان فيه إثم أو لم يكن مما يسوء[(٢)] صاحبه، كمن يعيبه بفقر أو عمى أو نحوه، أو يعيبه بفعل قبيح، فإن كان كذبًا[(٣)] فهو لوجهين، وإن كان صدقًا قبح لوجه واحد، وهذا أيضًا فيمن لا يظهر على ما بيَّنَّا.

ويدل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ إلى آخر الآية على أشياء:

منها: أن الناس لآدم وحواء.

ومنها: أن النسب كان ثابتًا قبل الشرع.

ومنها: أن القصد به التعارف.

ومنها: أن الفضل بالتقوى لا بالأنساب، وفي الخبر: «أن مناديًا ينادي يوم القيامة: إني جعلت لكم نسبًا وجعلتم لأنفسكم نسبًا، ﴿إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡۚ﴾، ليقم المتقون، فلا يقوم إلا من كان كذلك».

قوله تعالى:

﴿قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ وَإِن تُطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتۡكُم مِّنۡ أَعۡمَٰلِكُمۡ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمۡ يَرۡتَابُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ قُلۡ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمۡ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ﴿١٦﴾ يَمُنُّونَ عَلَيۡكَ أَنۡ أَسۡلَمُواْۖ قُل لَّا تَمُنُّواْ عَلَيَّ إِسۡلَٰمَكُمۖ بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيۡكُمۡ أَنۡ هَدَىٰكُمۡ لِلۡإِيمَٰنِ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ يَعۡلَمُ غَيۡبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ ﴿١٨﴾﴾.

---

(١) ولا تدابروا: ور تزابروا، د.

(٢) مما يسوء: مما لا يسر، ك.

(٣) كذبًا: -، ك.

القراءة

قرأ أبو عمرو ويعقوب وأبو حاتم: «يَأْلِتْكُمْ» بالألف اعتبارًا بقوله: ﴿وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم﴾[1] [الطور: ٢١]، الباقون: «يَلِتْكُمْ» أيضًا للمصحف فإنه فيه بغير ألف، فالأول من أَلَتَ يَأْلِتُ أَلْتًا، قال الشاعر:

أَبْلِغْ سراةِ بني ثُعَل عني مُغَلْغَلَةً جَهْدَ الرِّسَالَةِ لا أَلْتًا ولا كذبا[2]

والثاني من لات يَلِيتُ ليتًا، قال الشاعر:

ولم يَلِتْنِي عن هواها[3] لَيْتُ[4]

والمعنى واحد، وهو النقصان.

قرأ ابن كثير: «بما يعملون» بالياء، الباقون بالتاء على الخطاب.

اللغة

الإيمان في اللغة: التصديق، ومنه: ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف: ١٧] وليس باسم مدح، ولذلك يصح أن يقال لليهودي: مؤمن بموسى أي: مصدق له، ويقال لقوم فرعون: آمنوا بفرعون أي: صدقوه، ونقل في الشرع فجعل قولنا: «مؤمن» اسم مدح، وقولنا: «إيمان» اسم أداء الطاعات المفروضة واجتناب القبائح من الكبائر؛ ولذلك لا يطلق على الكفار والفساق؛ ولذلك قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا﴾ [الأنفال: ٤] بعد ذكر الطاعات، وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [المؤمنون: ١] ثم بَيّن صفاتهم.

---

(١) من عملهم: -، ك.

(٢) البيت قائله الحطيئة انظر: ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، تحقيق مفيد محمد قميحة، ص٢٢ دار الكتب العلمية، بيروت ١٩٩٣. والبيت ورد صدره بروايات متعددة: أبلغ سراه بني سعد مغلغلة.

(٣) هواها: هولها؛ ت، د، ك.

(٤) البيت لرؤبة بن العجاج وصدر البيت:

وليلة ذات فدى شريت ولم يلتني عن هواها ليت

أنظر لسان العرب (ليت)، تابع العروس (ليت) وفي الصحاح برواية وليلةٍ ذات دُجى سريت، الصحاح (ليت).

فأما الإسلام ففي اللغة: الانقياد والاستسلام، وفي الشرع: هو والإيمان سواء؛ ولذلك يقال: رجل مسلم ويراد به المدح، كما يقال: رجل مؤمن ودَيِّنٌ، وقال ـ تعالى ـ: ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال ـ تعالى[(١)] ـ ﴿فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ [الذاريات: ٣٥، ٣٦]، فذكر مرة بالإسلام ومرة بالإيمان، ويقال: أسلم، دخل في السلم والانقياد، وأسلم دخل في الإسلام، كما يقال: أشتى وأصاف: دخل في الصيف والشتاء، والدخول ضد الخروج، وهما من صفات الأجسام، وشبه الإيمان بالدخول حيث اعتقده بالقلب.

والمن: أصله القطع، ومنه: ﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨].

الإعراب

﴿يَدْخُلِ﴾ جزم بـ ﴿وَلَمَّا﴾، وكسرت لاجتماع الساكنين.

و﴿يَلِتْكُم﴾ أصله: يليت لات يَلِيتُ ليتًا، نحو: سار يسير[(٢)] سيرًا إلا أنه مجزوم، فحذف الياء لاجتماع الساكنين.

النزول

أما قوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا﴾:

قيل: نزلت في أعراب مخصوصين، عن قتادة.

وقيل: هم نفر من بني أسد بن خزيمة، قدموا المدينة في سنة جدب وأظهروا[(٣)] الإسلام، ولم يكونوا مؤمنين في السر، وكانوا يغدون ويروحون على رسول الله ﷺ ويقولون: قاتلك العرب، ولم نقاتلك كما قاتلك غيرنا، ويلتمسون الصدقة، فنزلت فيهم هذه الآية، وفيهم نزل: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا﴾ عن سعيد بن جبير.

(١) تعالى: سبحانه، ك.
(٢) يسير: -، ك.
(٣) وأظهروا: أظهروا، ت، د.

وقيل: نزلت في قوم من المسلمين قالوا: آمنا وأسلمنا قبل أن يسلم بنو فلان، وقاتلنا[١] معك بني فلان، عن الحسن.

والأكثر على أنها نزلت في قوم من المنافقين.

وقال السدي: نزلت في الأعراب الذين ذكرهم في سورة (الفتح) وهم أعراب مزينة، وجُهينة، وأسلم، وأشجع، وغفار، كانوا يقولون: آمنا[٢] ليأمنوا، فلما استنفرهم رسول الله ﷺ إلى الحديبية تخلفوا، فأنزل الله تعالى فيهم هذه الآية، فلما نزلت هاتان الآيتان أتت الأعراب وحلفوا أنهم مؤمنون في السر والعلانية، وعرف الله منهم خلافه، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ﴾.

المعنى

لما تقدم وجوب الموالاة بالإيمان بَيَّنَ صفة الإيمان، فقال ـ سبحانه ـ: «**قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ**» يا محمد لهم «**لَمْ**[٣] **تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا**» قيل: استسلموا خوف السيف والقتل، عن سعيد بن جبير، وابن زيد. «**وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ**» يعني تظهرون ما ليس في قلوبكم، فَبَيَّنَ أنهم منافقون «**وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» ظاهرًا وباطنًا «**لاَ يَلِتْكُمْ**» أي: لا ينقصكم «**مِنْ أَعْمَالِكُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**» غفور يغفر الذنوب، رحيم لا ينقص من ثوابهم شيئًا «**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا**» أي: لم[٤] يشكوا في شيء من أمور الدين «**وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ**» أي: في دينه «**أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ**» في قولهم: إنا مؤمنون، لا[٥] من انقاد وقال ذلك خوف السيف «**قُلْ أَتُعَلِّمُونَ اللَّهَ بِدِينِكُمْ**» الذي تعتقدون، وهو استفهام والمراد الإنكار والتقريع، أي: كيف تعلمون الله دينكم

(١) وقاتلنا: فقاتلنا، ك.
(٢) آمنا: أتينا، د.
(٣) لم: لن، ك.
(٤) لم: لا، ك.
(٥) لا: إلا، ك.

وتحلفون وفي ضمائركم خلاف ذلك، وهو يعلم ما في ضمائركم من النفاق «**وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَ[مَا فِي] الأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ. يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا**» أي: يعدون إسلامهم نعمة على الرسول ويتوهمون أنهم نفعوك به حيث قالوا: آمنا وأسلمنا وهاجرنا وفعلنا «**قُلْ لاَ تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلاَمَكُمْ**» فَإِنَّ نفعه[1] يعود عليكم «**بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ**» يعني نعم الله عليكم أكثر حيث هداكم وأمركم وأزاح علتكم ووفقكم[2] «**إِنْ كُنتُمْ صَادِقِينَ**» في أنكم مؤمنون «**إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**» أي: عالم بأعمالكم وبالمحق والمبطل فيجازي كل أحد بما استحقه.

۞ الأحكام

تدل الآية الأولى أن مجرد إظهار القول لا يكون به مؤمنًا، خلاف قول الكرامية.

وتدل على[3] أن الإيمان إنما يتكامل بالقول والاعتقاد والعمل؛ لذلك وصف في الآية الثانية وفي هذه الآية.

وتدل على أن المنة لله في الإيمان على العبد أكثر، من حيث هداه وقواه ولطف له وأزاح علته، وكذلك للرسول حيث بَيَّنَ ودعا، فأما العبد فإيمانه يعود نفعه إليه فلا منّة له على أحد.

وتدل على أن الهداية غير الإيمان لذلك قال: ﴿أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ﴾ على ما نقوله، خلاف ما تقوله[4] المجبرة.

ولا يقال: إن الإيمان غير الإسلام؛ لأنا قد[5] بَيَّنَّا أن في اللغة معناهما مغاير؛ فلذلك فرق، فأما في الشرع فنقلا إلى معنى واحد كما بيناه[6].

---

(١) نفعه: نفعها، ك.

(٢) ووفقكم: وقواكم، ك.

(٣) على: -، ك.

(٤) ما تقوله: قول، ك.

(٥) قد: -، ك.

(٦) كما بيناه: على ما بينا، ك.

سُورَةُ قٓ

سورة (ق) مكية، وهي خمس وأربعون آية، ولم يعدّ (ق)؛ لأنه حرف مفرد، وكذلك لم يعد (ص) و(نون)، فأما المركب فما أشبه الجملة ووافق رؤوس الآي فإنه يُعد.

وعن أبي، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (ق) هون الله عليه سكرات الموت».

ولما ختم سورة (الحجرات) بذكر الإيمان وشرائطه افتتح هذه السورة بما يجب الإيمان به من البعث والقرآن وأدلة التوحيد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿قٓ ۚ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴿١﴾ بَلْ عَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ۖ ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ ۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌۢ ﴿٤﴾ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾﴾.

اللغة

المجيد: العظيم الكرم، والمجد في كلام العرب الشرف الواسع، وأصله من الكثرة، يقال: مَجَد ومَجُد بفتح الجيم وضمها إذا عظم كرمه، وأمجد: كرم أفعاله، وهو ماجد أي: عظيم الكرم، ومن أمثالهم: (في كل شجر نار، واسْتَمْجَدَ المَرْخُ والعَفَار) أي: استكثرا من النار، ومجدت الإبل: إذا رعت كثيرًا، ومجدت: عظم

بطنها لكثرة أكلها من كلأ[1] الربيع، [و] في أسماء الله تعالى المجيد أي: عظيم الكرم واسع الرحمة.

والمرجع: مصدر رجع، وهو الرجوع، يقال: رجعته رجعًا ورجع هو رجوعًا.

والمريج: المختلط الملتبس، وأصله: إرسال الشيء مع غيره في المرج، يقال: مرج الخيل الذكور مع الإناث، ومرجت عهودهم وأمرجوها أي: خلطوها ولم يفوا بها، ومرج أمر الناس: اختلط.

۞ الإعراب

﴿قٓ﴾ مكسور من القرآن بالقسم، وقيل: محله نصب، واختلفوا في جوابه، قيل: جوابه: «بل[2] عجبوا»، عن أهل الكوفة.

وقال الأخفش: جوابه محذوف تقديره: ق والقرآن المجيد لتبعثن.

وقال ابن كيسان: جوابه: ﴿مَّا يَلۡفِظُ مِن قَوۡلٍ﴾، وقيل: جوابه: ﴿قَدۡ عَلِمۡنَا﴾، وقيل: جوابه: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكۡرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلۡبٌ﴾.

وجواب القسم سبعة:

أولها: (إنّ) المشددة، كقوله: ﴿وَٱلۡفَجۡرِ ـ إِنَّ رَبَّكَ﴾، ﴿وَٱلۡعَصۡرِ ١ إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ﴾ [العصر: ١، ٢].

وثانيها: (ما) للنفي، كقوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ [الضحى: ٣].

وثالثها: اللام المفتوحة، كقوله: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسۡـَٔلَنَّهُمۡ﴾ [الحجر: ٩٣].

ورابعها: (إنْ) المخففة، كقوله: ﴿تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ﴾ [الشعراء: ٩٧].

وخامسها: (لا) كقوله: ﴿وَأَقۡسَمُواْ بِٱللَّهِ جَهۡدَ أَيۡمَٰنِهِمۡ لَا يَبۡعَثُ ٱللَّهُ مَن يَمُوتُۚ﴾ [النحل: ٣٨].

وسادسها: (قد)، كقوله: ﴿وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا ـ قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾.

---

(١) كلا: كلام، د.
(٢) بل: +، ك.

وسابعها: (بل)، كقوله: ﴿بَلْ عَجِبُوٓاْ﴾.

۞ المعنى

﴿قٓ﴾ قيل: اسم من أسماء الله تعالى، عن ابن عباس. وقيل: افتتاح أسماء الله نحو: قديم، وقادر، وقهار، وقريب، وقاض، عن القرظي. وقيل: اسم من أسماء القرآن، عن قتادة. وقيل: اسم للسورة، عن الحسن، وأبي علي. وحكي نحوه عن مجاهد، وعليه يحمل قول قتادة. وقيل: جبل محيط بالأرض من زمردة خضراء خضرة السماء منه، عن عكرمة، والضحاك، وعن ابن عباس بخلاف. وقيل: معناه قضى ما هو كائن، وقيل: معناه قف عند أمرنا ونهينا، والعرب تفعل مثل ذلك، قال الشاعر:

قُلْتُ لَهَا(١): قفي لنا قالت: قاف(٢)

أي: وقفت.

وقيل: معناه: قل يا محمد، وقيل: هو عبارة عن العرب وجميع الحروف، وإشارة إلى أن القرآن مركب منها، وأنتم تتكلمون بها، وعجزتم عن الإتيان بمثل القرآن، فاعلموا أنه معجز، وليس من كلام البشر، عن أبي مسلم. وقيل: إشارة إلى أن القرآن مركب من هذه الحروف ليعلم أنه محدث، عن أبي بكر الزبيري. وقيل: لما قالوا: ﴿لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ﴾ [فصلت: ٢٦]، افتتح السورة بهذه الحروف ولم يعاهدوا مثل ذلك ليستمعوا، فيأتي(٣) من بعد ما هو حجة عليهم، عن قطرب. والصحيح أنه اسم للسورة، وليس لقاف اسم غيرها، فكأنه أقسم بهذه السورة وبالقرآن، وقيل: القسم بهذه السورة، تنبيهًا على عظمها، وقيل: القسم برب القرآن، كأنه قيل: ورب ق والقرآن، وسمي القرآن لجمعه، و«الْمَجِيدِ» الكريم على الله العظيم في نفسه، الكثير الخير والنفع، وقد بَيَّنَّا أن فيه حذفًا أي: لتبعثن يوم القيامة، فلما وعدهم بالبعث أنكروا، فقال

(١) لها: لنا، د؛ وكتب فوقها: أظنه لها.

(٢) البيت قائله الوليد بن عقبة وتكملته:

قلت لها قفي لنا فقالت قاف ... لا تحسبي أنا نسينا الإيجاف

(٣) فيأتي: ما يأتي، ك.

ـ سبحانه ـ: «**بَلْ عَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ**» أي: رسول مُخَوِّفٌ يخوفهم عقاب الله إن لم يؤمنوا، وقيل: يخوفهم بالبعث بعد الموت «منهم» بالنسب، يعرفون عظيم نسبه وأمانته وأخلاقه وحسن طريقته، وقيل: عجبوا من كون الرسول بشرًا مثلهم، والعجب أنهم لم يرضوا ببشر رسولاً، وقالوا: هلا كان ملكًا، ثم يرضون بحجر إلهًا لا يسمع ولا يبصر ولا ينفع ولا يضر فعبدوها، وهذا غاية الجهل.

ومتى قيل: لماذا لم يبعث ملكًا؟

قلنا: هو أعلم بالمصالح، ولأن الجنس إلى الجنس أَسْكَنُ وأميل، ولأن الجنس لا يعبد جنسه، ولو بعث ملكًا لم يُؤْمَنْ أن يعبدوه فتكون مفسدة، ولأنه قال: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا﴾ [الأنعام: ٩].

«**فَقَالَ الْكَافِرُونَ هَذَا شَيْءٌ عَجِيبٌ**» ثم بين بماذا تعجبهم فقال: «**أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا**» وفيه حذف أي: لنبعث، ثم أنكروا فقالوا «**ذَلِكَ رَجْعٌ**» أي: رجوع إلى حال الحياة وإعادة بعيدة أيكون؟ أي: لا يكون ذلك، فأجابهم الله تعالى بأنه لا موضع للعجب والإنكار فإنه القادر على الإعادة والعالم بالأجزاء المتفرقة فما المانع من إعادته؟ فقال ـ سبحانه ـ: «**قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنْقُصُ الأَرْضُ مِنْهُمْ**» أي: ما أكل من لحومهم وعظامهم حتى صار ترابًا متفرقًا، وقيل: معناه: قد علمنا ما يبلى منهم وما يبقى، وقيل: قد علمنا من يموت منهم ومن يبقى، عن السدي. «**وَعِنْدَنَا كِتَابٌ حَفِيظٌ**» قيل: كتاب الموكل بهم يكتبون أعمالهم، فهي محفوظة للجزاء إشارة إلى وجوب الإعادة للجزاء، وقيل: هو اللوح المحفوظ وفيه كل شيء مكتوب، يعني أن الخبر بالإعادة مكتوب في اللوح المحفوظ، ومعنى (حفيظ) أنه لا يشذ عنه شيء، وقيل: محفوظ من التغيير والزيادة والنقصان، وقيل: محفوظ من الشياطين «**بَلْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ**» قيل: بالقرآن، وقيل: بالرسول، فمرة قالوا: مجنون، ومرة قالوا: ساحر، ومرة قالوا: شاعر، فتحيروا في أمره لجهلهم بحاله، وقيل: بالخبر عن البعث «**فَهُمْ فِي أَمْرٍ مَرِيجٍ**» قيل: منكر، عن ابن عباس. وقيل: مختلط، عن ابن زيد. وقيل: في ضلالة، وقيل: ملتبس، عن سعيد بن جبير، ومجاهد. وقيل: مختلف؛ لأن منهم مُنْكِرًا، ومنهم شاكًا ومنهم مجوزًا.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أنه ﷺ دعاهم إلى الإيمان بالبعث، وأنهم أنكروا، فأجاب بأنه لا مانع.

ومتى قيل: فما شرط صحة الإعادة؟

قلنا: ثلاثة أشياء:

أحدها: كون الشيء مما يبقى.

وثانيها: أن يكون من مقدور قادر للذات[(١)].

وثالثها: ألا يكون متولدًا، عن القاضي.

وقيل»: أن يكون مما يبقى ويكون فعل قادر للذات[(٢)]، وألا يكون جنسه[(٣)] مقدورًا لقدر[(٤)]، عن أبي علي.

وقيل»: مما يبقى ويكون فعل قادر الذات، ولا يكون متولدًا عن سبب لا يبقى، عن أبي هاشم.

ومتى قيل: فما الذي يعتبر إعادته؟

قلنا: فيه خلاف، قيل: للأجزاء التي يكون بها زيد زيدًا، عن القاضي. وقيل: للأجزاء[(٥)] والتأليف، عن أبي هاشم، ثم رجع وقال[(٦)]: للأجزاء[(٧)] والحياة، وهو قول أبي عبد الله البصري. وقيل: بل جميع الأجزاء التي هي الإنسان، وهو قول أبي القاسم، ويحكى ذلك عن أبي علي، ويحكى خلافه، قال أبو هاشم: الأول لعله غلط وقع من جهة الوراق.

---

(١) للذات: لذات، ث، ك.

(٢) فعل قادر للذات: ومقدوره قادر للذات، ت، ومقدور قادر للذات، ك.

(٣) جنسه: جنسيه، ث.

(٤) لقدر: للقدر، ث.

(٥) للأجزاء: الأجزاء، ك.

(٦) ثم رجع وقال: : ثم قال ورجع، ث، ك.

(٧) للأجزاء: الأجزاء، ث، ك.

ومتى قيل: من يجب إعادته؟

قلنا: في العقل من له حق الثواب أو عوض، والشرع وَرَدَ بإعادة جميع الأحياء.

ومتى قيل: بماذا نبه على الإعادة؟

قلنا: بكونه قادرًا على الأجسام التي لا يقدر عليها غير القادر للذات، وبكونه عالمًا بالأجزاء، ونبه على الجزاء بكون أعمالهم محفوظة مكتوبة وأراد أنها معلومة.

ويدل قوله: ﴿مَّرِيجٍ﴾ أن القوم كانوا في شك وحيرة، وهكذا يكون المبطل.

قوله تعالى:

﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَـٰهَا وَزَيَّنَّـٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَـٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَـٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّـٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَـٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ ۖ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾﴾.

اللغة

النظر: طلب ما في المعنى من الحكم، ثم ينقسم، فمنه النظر بالعين، وهو تقليب الحدقة نحو جهة المرئي التماسًا لرؤيته مع سلامة الحاسة، ومنه نظر بالقلب، وهو التفكر في الشيء لطلب حكمه، ومنه: النظر بمعنى الانتظار.

والزينة: حسن الصورة، زيّنه تزيينًا، والزين خلاف الشين.

والفروج: الشقوق والصدوع، وفي الحائط فُرجة بضم الفاء، فإذا قيل: فَرجة بفتح الفاء هو التفضّي[1] من الهم، قال الشاعر:

لـه فَـرْجَـةٌ كَـحَـلِّ الـعِـقَـالِ[2]

---

(١) التفضي: كلمة غير واضحة، ك؛ التنفس، د.

(٢) اللسان (فرج)، وأوله: ربما تكره النفوسُ من الأمر. والبيت ينسب لأمية بن أبي الصلت. انظر ديوان امية بن أبي الصلت تحقيق سجيع جميل الجبيلي، دار صادر، ١٩٩٨.

والفروج: الثغور، وكل موضع مخافة: فرج بفتح الفاء، وفي عهد الحجاج: وليتك الفَرْجَيْنِ، يعني خراسان وسجستان.

والرواسي والراسيات: الجبال الثوابت، ومنه: ﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍۚ﴾ [سبأ: ١٣] رسا يرسو: إذا ثبت.

والبهيج: الحسن، يقال: بهيج وباهج، والابتهاج: السرور.

والتبصرة: ما يبصر بها، وهي الدلائل، ونظيرها من المصادر: التكملة والتفضلة، وبَصُرَ يبصر: عَلِمَ، وأبصر يُبْصِرُ: نَظَرَ.

والحصيد: ما يحصد من أنواع النبات، ومنه: ﴿جَعَلْنَـٰهُمْ حَصِيدًا﴾ [الأنبياء: ١٥] وأراد الاستئصال أي: حصدوا حتى لم يبق منهم أحد.

والباسقات: الطوال، يقال: بسق النخل بُسُوقًا: طال[(١)]، ومنه: البَسْقُ: عُلُو ذِكْرِ الرجل في الفضل، ومنه حديث ابن الحنفية[(٢)]: قلت لأبي: كيف بسق أبو بكر أصحاب رسول الله ﷺ؟ أي: كيف علاهم.

والطلع: طلع النخلة، سمي لطلوعه، يقال: طلع علينا فلان: هجم، وطلعت الشمس طلوعًا، والطلعة الرؤية، وأطلعتك على الأمر إطلاعًا.

والنضيد: ما نضد بعضه على بعض، ومنه سمي متاع البيت النَّضَدَ؛ لأنه منضود بعضه على بعض، وفي حديث مسروق: «شجر الجنة نَضِيدٌ من أصلها إلى فرعها» يريد ليس فيها سُوقٌ بارزة لكنها منضودة بالورق والثمار من أسفلها إلى أعلاها.

۞ الإعراب

﴿تَبْصِرَةً﴾ نصب على المصدر، عن أبي حاتم، وقيل: نصب بمحذوف[(٣)] أي: جعلناها تبصرة، وقيل: على الحال أي: في حال التبصرة، عن الأخفش.

---

(١) بسوقا طال: طال بسوقا، ت، د، ك.

(٢) ابن الحنفية: أبي الحنفية، د، ك؛ وما أثبتناه من تاج العروس ١/ ٦٢١٠، ولسان العرب ١٠/ ٢٠، والنهاية في غريب الأثر ١/ ٣٢٩.

(٣) بمحذوف: محذوف، ك.

و﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ محلها نصب على الحال.

و﴿رِّزْقًا﴾ نصب على تقدير: جعلنا ذلك رزقًا.

المعنى

لما تقدم من ذكر البعث عقبه بذكر أدلة التوحيد وجواز البعث، فقال ـ سبحانه ـ: «**أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ**» أي: هلا نظروا إلى السماء فوقهم وتفكروا؛ ليعلموا أن له صانعًا يقدر على البعث «**كَيْفَ بَنَيْنَاهَا**» مع عظمها لا على مكان، وكيف أسكنها وبقاها حتى لا تتغير، وكيف أمسكها، وكيف زينها «**وَزَيَّنَّاهَا**» بالكواكب المختلفة «**وَمَا لَهَا مِنْ فُرُوجٍ**» قيل: شقوق وخلل مع أن الأبنية العظيمة لا تخلو من ذلك، وقيل: ليس فيها تفاوت واختلاف، عن الكسائي. وقيل: الفروج المتفرق بعضه عن بعض، عن ابن زيد. وإنما قال: «**فوقهم**» تنبيهًا أنهم يشاهدونها مع وضوح دلائلها ثم لا يتفكرون[1] فيها «**وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا**» أي: بسطناها «**وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ**» أي: الجبال جعلها أوتادًا لولاها لاضطربت لحركات الناس عليها، عن الحسن. «**وَأَنْبَتْنَا فِيهَا**» في الأرض «**مِنْ كُلِّ زَوْجٍ**» صنف وضرب «**بَهِيجٍ**» أي: حسن المنظر، عن ابن زيد. وقيل: حَسَنٌ مَنْ يراه يَسُرُّه «**تَبْصِرَةً**» أي: جعلناه تبصرة يعني دليلاً يبصر به الحق «**وَذِكْرَى**» عظة[2] وتذكيرًا وتنبيهًا له على أن من قدر على مثل هذه الأشياء قدر على الإعادة، وقيل: (ذكرى) تُذَكِّرُ الأدلة، وقيل: تُذَكِّر[3] النعم «**لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ**» راجع إلى الله تعالى، وخصهم به؛ لأنهم انتفعوا به «**وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ**» قيل: من السحاب، وقيل: من نفس السماء إلى السحاب ثم إلى الأرض «**مَاءً**» يعني المطر «**مُبَارَكًا**» قيل: سماه مباركًا لعظم النفع به، وقيل: لثبوت منافعه من أنواع النبات والحبوب «**فَأَنْبَتْنَا بِهِ**» بالمطر والماء «**جَنَّاتٍ**» وهي البساتين التي فيها الأشجار «**وَحَبَّ الْحَصِيدِ**» يعني حب كل شيء يحصد كالبر والشعير، عن قتادة؛ لأن من شأنه أن يحصد «**وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ**»

(١) لا يتفكروا، ك.

(٢) عظة: موعظة، ك.

(٣) تذكر: يتذكر، ت، د، ك.

قيل: طوال، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وعكرمة. وقيل: بُسُوقُها: استقامتها في الطول، وقيل: مستويات، عن سعيد بن جبير. وقيل: مواقر حوامل، عن الحسن، والفراء. يقال للنساء إذا ولدت: بسقت، قال صاحب المجمل: ناقة مُبْسِقٌ، ونُوقٌ[1] مباسيق، وهي التي وقع اللبن في ضرعها قبل أن تلد «**لَهَا طَلْعٌ**» أي: حمل «**نَضِيدٌ**» متراكب نضد بعضه على بعض، عن مجاهد، وقتادة. «**رِزْقًا لِلْعِبَادِ**» أي: جعلنا ذلك رزقًا للعباد وعطاء لهم ليشكروه وينتفعوا به[2] «**وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا**» أي: أحييناها بالماء المبارك «**بَلْدَةً مَيْتًا**» أي: أرضًا لا نبات فيها، فشبه ما لا نبات فيه بالميت وما فيه نبات بالحي توسعًا «**كَذَلِكَ الْخُرُوجُ**» يعني كما ننبت الأشياء من الأرض عن عدم، كذلك نخرج الموتى من قبورهم أحياء، أشار إلى أن هذه التدابير لمنافع العباد في دينهم ودنياهم.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوٓاْ﴾ الآية على أشياء:

منها: وجوب النظر في الأدلة.

ومنها: التبيين بذلك على صحة الإعادة.

ومنها: تحريم التقليد، لولا ذلك لم يكن للنظر في الأدلة معنى.

ومنها: أنه تعالى يعرف بأفعاله.

ومنها: جعلها تبصرة ليعلم بها الحق، فدل أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: ﴿رِّزْقًا﴾ أن ما فعل من ذلك الغرض منه منافع العباد في دنياهم، وليتفكروا فيه فيعلموا الحق في دينهم.

ونبه بقوله: ﴿كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ﴾ على صحة الإعادة؛ لأن مَنْ قَدَرَ على خلق الأجسام قدر على إعادتها وإحيائها بعد الموت.

---

(١) ونوق: من نوق، ك.

(٢) وينتفعوا به: ويبيعوا به، ك.

وذكر شيخنا أبو حامد أن قوله: ﴿وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ﴾ يدل على أن السماء محيطة بالأرض كالكرة؛ إذ لو كانت بسيطة على الأرض لكان لها فروج في نواحيها، وهذا لا يصح؛ لأنها إذا كانت بسيطة لا خلل فيها[(١)] فبأي دليل أنها كالكرة.

قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَابُ الرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَانُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾﴾.

القراءة

قراءة العامة: ﴿وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ﴾، وعن أبي بكر وابن مسعود: «**وجاءت سكرة الحق بالموت**»[(٢)] يعني شدة الحق بالموت، والشدة هو الحق، وأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين، وقيل: الحق هو الله أي: جاءت سكرة الله بالموت.

اللغة

الرس: البئر لم تطو[(٣)] بحجر ولا غيره؛ لأنه ترك على ما ابتدئ، وأصله من الرس الذي هو ابتداء الشيء، ومنه: رَسُّ الحُمَّى ورَسِيسُها[(٤)]، ومنه حديث سلمة بن الأكوع: إن المشركين راسُّونا الصلح، أي: ابتدأونا في ذلك، ومنه قول الحجاج

---

(١) فيها: فيه، ك.
(٢) الطبري ١١/٤١٧.
(٣) لم تطو: ثم تكو، ك.
(٤) ورسيسها: ورستها، د.

لرجل: أَمِنْ أهل الرس؟ قيل: أهل الرس الذين يبتدئون الكذب ويوقعونه في أفواه الناس، وقد رَسَّ يَرُسُّ رَسًّا.

والأيكة: الغَيْضَة، والجمع: أَيْكٌ، وكل مكان فيه شجر ملتف، فهو أيكة.

وتُبَّعٌ: ملك من ملوك اليمن، وجمعه: تَبَابِعَةُ، سمي بذلك؛ لأنه إذا مات واحد تبعه آخر فكان بدلاً منه، وأصله من الاتباع، وقيل: سمي بذلك لكثرة أتباعه، وقيل: ذلك لقب لهم كقولهم: قيصر وكسرى، يقال: أتبعه قفاه، واتّبعه بالتشديد: حذا حذوه، قال الفراء[1]: تبعه وأَتْبَعَهُ، ولحقه وألحقه.

والعِيُّ: مصدر عَيِيت عيًّا بالأمر إذا لم يعرف وجهه، وأَعْيَيْتُ: إذا تعبتُ، وكل واحد أصله التعب إلا أن أحدهما في الطَلب، والآخر فيما وقع من العمل.

واللَّبْسُ بفتح اللام: الالتباس، وبضمها لبس الثوب، واللَّبْسُ المنع من إدراك المعنى بما هو كالستر له، وأصله من اللباس، ومنه: لَبَسْتُ الشيء بالشيء: خلطته، فالتبس، قال الشاعر:

وكَـتِـيَـبـةٍ لَـبَّـسْـتُـهـا بـكـتـيـبـة   حتى إذا الْتَبَسَتْ نَفَضْتُ لها يدي[2]

ومنه: ﴿وَلَا تَلْبِسُواْ ٱلْحَقَّ بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [البقرة: ٤٢]، قال الشاعر:

ولَـمَّـا[3] تَـلْـتَـبِـسْ خَـيْـلٌ بِـخَـيْـلٍ   فَـيَـطَّـعِـنُـوا ويَـضْـطَـرِبُـوا اضْـطِـرَابـا[4]

والجديد: القريب العهد بالحدوث، وأصله القطع، ومنه: الجِدَادُ: جِدَادُ النخل، وجَدَدْتُ الشيء أَجُدُّهُ جدًّا إذا قطعته، وثوب جديد: قريب العهد بالقطع، ودار جديدة قريب العهد بالبناء، كأنه قطع عن قريب.

والخلق: الفعل الجاري على تقدير، وقيل: هو الفعل المخترع.

---

(١) الفراء: للقراء، د.

(٢) البيت قائله الفراز السلمي؛ أنظر شرح ديوان الحماسة، ص ١٤١.
وصدر البيت ذكر في عدة قصائد أشهرها لعنترة بن شداد.

(٣) ولما: ولم، ك.

(٤) البيت قاله بر بن ابي حازم الأسدي، تحقيق مجيد طراد. ص ٣٧، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٩٩٤.

والوسوسة: حديث النفس بالشيء في خفية، قال رؤبة:

وَسْوَسَ يَدْعُو مُخْلِصًا رَبَّ الفَلَقْ[(١)]

والوريد: عرق في الحلق، وهما وريدان عرقان يستبطنان[(٢)] العنق ينبضان أبدًا، وكل عرق ينبض فهو من الأوردة، والوريد من العروق ما جرى فيه النفس، والجداول التي فيها الدماء.

والتلقي والتلقين والقبول نظائر، يقال: تلقيت الحديث من فلان أي: أخذته وقبلته، ومنه: ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ﴾ [البقرة: ٣٧] أي: قبل، تَلَقَّى يتلقى تلقيًا فهو متلقٍ وهما متلقيان.

وقعيد: بمعنى قاعد، كعليم بمعنى عالم، وقدير بمعنى قادر، وقيل: هو قعيد من القعود وهو بمعنى المقاعد كما يقال أكيل بمعنى هو مواكل[(٣)]، وشريب[(٤)] بمعنى مُشَارِبٍ، والقعود ضد القيام، والقواعد من النساء: التي قعدت عن الزوج أو عن الحيض، واحدها: قاعد، وإذا قيل للمرأة قعدت فهي قاعدة بالهاء من القعود، والقَعَدَةُ من الخوارج: من لا تخرج.

والعتيد والمعتد بمعنى، يقال: أعددته فهو عتيد، كما يقال: أحكمته فهو حكيم، واعتدت وأعددت واحد، ومنه العتاد ما أعده الرجل من آلات الحرب، وجمعها: أعتدة.

والحَيْدُ[(٥)] أصله الميل، حاد يحيد حيدًا، قال طرفة:

وحِدْتُ كما حاد البعير عن الدَّحْضِ[(٦)]

---

(١) البيت قائله رؤبة بن العجاج وتكملة البيت:

وسوس يدعو مخلصًا رب الفلق سرا وقد أون تأوين العقق

أنظر شرح ديوان رؤبة بن العجاج، صححه ورتبه وليم بن الورد البروسي.

(٢) يستنبطان: يثبطان، ك.

(٣) مواكل: آكل، د، ك.

(٤) وشريب: وشرب، ك.

(٥) والحيد: والحداة، ك.

(٦) تاج العروس (دحض).

۞ الإعراب

يقال: لِم قال: «قعيد» ولم يقل: قعيدان؟

قلنا: قعيد بمعنى قاعد، فيكون على اثنين، وقيل: حذف الأول لدلالة الثاني عليه، وتقديره: عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد، قال الشاعر:

نحن بما عندنا وأنت بما عنـ ـدك راضٍ والرأيُ مختلِفُ[1]

أي: راضون، عن البصريين، وقيل: القعيد على لفظ الواحد، ويصلح للاثنين والجمع[2] كالرسول أراد ذا قعود، رده إلى الجنس؛ لأنه من صفة المبالغة، وفيه معنى المصدر.

و﴿رَقِيبٌ﴾ كأنه قيل: ذو المراقبة.

۞ المعنى

لما تقدم تكذيب قومه له ذكر تكذيب الأمم لأنبيائهم تسلية له، فقال ـ سبحانه ـ: «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ» وقد تقدم قصتهم «وَأَصْحَابُ الرَّسِّ» قيل: هم قوم قتلوا نبيهم ورسوه فيها أي: دسوه، عن عكرمة. وقيل: الرس بئر قتل فيها صاحب ياسين، وقيل: الرس واد بقرب المدينة، وقيل: هم أهل البئر الذي قال الله تعالى: ﴿كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّمْ عِندَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ فَمَا ٱسْتَقَٰمُوا۟ لَكُمْ فَٱسْتَقِيمُوا۟ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُتَّقِينَ﴾ [الحج: ٤٥]، وقيل: كان سحق النساء في أصحاب الرس. «وَثَمُودُ» هم قوم صالح أهلكوا بالصيحة «وَعَادٌ» قوم هود أهلكوا بالريح «وَفِرْعَوْنُ» هو فرعون موسى أغرق «وَإِخْوَانُ لُوطٍ» قلبت بهم الأرض، وأرسلت عليهم الحجارة «وَأَصْحَابُ الأَيْكَةِ» الغَيْضَة وهم قوم شعيب «وَقَوْمُ تُبَّعٍ» إنما ذكر قومه دونه؛ لأنه آمن، روي عن النبي صلى الله عليه أنه قال: «لا تلعنوا تُبَّعًا فإنه قد كان أسلم»، ووجد قبران باليمن مكتوب عليها: هذا قبر رضوى وحي ابني تبع كانا لا

(١) اللسان (قعد).

(٢) والجمع: والجميع، د.

يشركان بالله شيئًا، وقيل: كان يعبد النار ثم أسلم، ودعا قومه، وهم حمير فكذبوه، وعن محمد بن إسحاق كان تُبَّعٌ ـ وهو أسعد أبو كرب ـ أقبل من المشرق وأتى المدينة، وكان حين مر بها خلف ابنًا له فقتل، فقدمها على أن يخربها، وحاربه أهلها[(١)]، فجاءه حبران، وذكرا أنه إن أراد أن يخربها منع منه؛ لأنها مهاجر نبي يبعث في آخر الزمان، فانتهى عما كان يريد، ودعواه إلى الدين فقبل، وخرج بهما إلى اليمن، وأبى قومه الدخول في دينه، ومنعوه عن الدخول وقالوا: نحاكم إلى النار[(٢)] نار باليمن، فجاءوا إلى النار وجاء الحبران بالمصاحف فيها التوراة، وجاءوا أولئك بالأوثان، فوقعت النار في الأوثان وجماعة من رجال حمير ممن حمل الأوثان، فتهود جماعة منهم، فمن هناك وقعت اليهودية في حمير، وروي أن تبعًا لما أسلم قال:

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدٍ أَنَّهُ ... رَسُولٌ مِنَ اللهِ بَارِي النَّسَمْ
وَلَوْ مُدَّ عُمْرِي إِلَى دَهْرِهِ ... لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَابْنَ عَمٍّ[(٣)]

وروي أنه قصد هدم الكعبة، فقيل له: إن له ربًّا يحميه، فندم وأحرم وطاف وكسا البيت، وهو أول من كساه، عن قتادة. و«**كُلٌّ كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ**» أي: وجب عليهم وعيدي بالعذاب، قيل: عذاب الاستئصال، وقيل: عذاب الآخرة، قال قتادة: خوف أهل مكة. «**أَفَعَيِينَا بِالْخَلْقِ الْأَوَّلِ**» يعني لماذا أنكروا الإعادة ولِمَ؟ أفعيينا ابتداء الخلق، وقوله: «**أفعيينا**» استفهام والمراد الإنكار، أي: أعجزنا أو تعذر علينا الخلق الأول حتى يعيينا الخلق الثاني، وقيل: الخلق الأول خلق الأشياء، وقيل: بل[(٤)] خلق آدم وكانوا يقرون به وأنهم من ولده، عن الحسن. «**بَلْ هُمْ فِي لَبْسٍ**» أي: أتوا من قلة تفكرهم في الأدلة فبقوا في أمر ملتبس، قيل: «**في لبس**» أي: في شك «**مِنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ**» يعني الإعادة.

---

(١) أهلها: أهله، ك.
(٢) النار: الله؛ ت، د، ك، ث؛ وما أثبتناه من الثعلبي، الكشف، ١٢/ ٢٩١.
(٣) ابن كثير ٤/ ١٨٣، والقرطبي ١٦/ ١٢٥.
(٤) بل: قبل، ك.

ومتى قيل: فما وجه اللبس في الإعادة مع علمهم أن من قدر على الابتداء فهو على الإعادة أقدر؟

قلنا: يحتمل أنهم اعتقدوا حدوث هذه الأشياء لا باختيار مختار؛ لكن بالطبع والقوة كما يزعمه كثير من الملحدة، ويحتمل أنهم اعتقدوا إذا فنيت هذه الأشياء لا يجوز أن تعاد كما يقوله كثير من الملحدة.

ومتى قيل: كيف يعلم بالابتداء جواز الإعادة؟

قلنا: لأن الشيء إذا كان مما لا يبقى لا يجوز أن يعاد؛ لأن من حقه ألا يكون وجوده إلا وقتًا واحدًا، ومقدور القدر لا تجوز عليه الإعادة لمعنى في القدرة.

«**وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ**» أي: تحدث به عليه، يعني لا تخفى عليه سرائره «**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**» قيل: حبل الوريد عرق الحلق، عن ابن عباس، ومجاهد. وقيل: الوريد عرق متعلق بالقلب يعني نحن أقرب إليه من قلبه، عن الحسن. والحبل الوريد، فأضيف إلى نفسه لاختلاف اللفظين.

ومتى قيل: بأي شيء هو أقرب؟

قلنا: بالعلم والقدرة، وقيل: لأن أبعاضه يحجب بعضها بعضًا والله تعالى يدركه لا يحجبه شيء، وقيل: نحن أقرب إليه ممن كان منه بمنزلة حبل الوريد في القرب، في أنّا أعلم به، ولا يحمل على قرب المكان؛ لأنه من صفة الأجسام.

«**إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ**» وقد وكلهما الله به مع علمه بأعمالهم ليكتبا[1] أعماله تأكيدًا للحجة ولطفًا للخلق، وقيل: الحفظة أربعة: ملكان بالنهار وملكان بالليل، عن الحسن. وقيل: عن اليمين ملك يكتب الحسنات، وعن الشمال ملك يكتب السيئات، عن الحسن، ومجاهد. و«**قعيد**» قيل: قاعد، عن الحسن. وقيل: القعيد الرجل، عن مجاهد. «**مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ**» أي: ما يتكلم بشيء،

(١) ليكتبا: ليكتبان، ك.

وخص القول؛ لأنه أكبر، وبه تتعلق أمور الناس «إِلاَّ لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ» رقيب يرقبه، عتيد حاضر معد للزوم[1] ذلك، وقيل: يكتبان كل شيء، عن مجاهد. ثم يطرح المباحات، وقيل: بل[2] يكتبان ما فيه جزاء، عن عكرمة، قال الحسن: فإذا مات طويت الصحف وقيل له يوم القيامة: ﴿اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا﴾ [الإسراء: ١٤]، عدل والله من جعله حسيب نفسه. «وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ» سكرة الموت قيل: شدته وغمرته وحيرته[3] «بِالْحَقِّ» قيل: جاء بالحق من أمر الآخرة حتى عرفه واضطره إليه أمره من ثواب أو عقاب «ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ» قيل: تهرب وتروغ، عن الحسن، والضحاك. وقيل: تكره، عن ابن عباس. وقيل: تميل عنه، عن عطاء.

الأحكام

يدل قوله: ﴿فَحَقَّ وَعِيدِ﴾ أن العقاب لهم بسوء أعمالهم، وجزاء على سلوك طريقتهم.

ويدل قوله: ﴿أَفَعَيِينَا﴾ على صحة البعث؛ لأنه احتج عليه بالخلق الأول.

ويدل قوله: ﴿تُوَسْوِسُ﴾ أن الوسوسة من الشيطان ومن نفسه، لا أنه من خلق الله ـ تعالى ـ.

ويدل قوله: ﴿إِذْ يَتَلَقَّى﴾ على أنه وكل به ملكين يكتبان ما يفعل، وفيه لطف للمكلف وتحذيرًا له وبيان أنه كالمملى عليهما.

وتدل أن أفعالهم ليس بخلق الله تعالى؛ ليصح أن يكتب على العبد.

وعن بعضهم: يابن آدم بسطت صحيفتك، وكتبت[4] عليك ما أتيت من حسنتك

(١) معد للزوم: معدًا لزوم، ك.
(٢) بل: +، ك.
(٣) وحيرته: وحسرته، ك.
(٤) وكتبت: وكتب، ك.

وخطيئتك، ووكل بك ملكان كريمان يكتبان ما تعمل ويشهدان، فاعمل ما شئت، وافعل ما هويت، فهذا دأبك ما حييت، فإذا مت طويت صحيفتك، فلا تقدر أن تزيد فيها حسنة أو تنقص منها سيئة، وإذا بعثت دعيت إليها وحوسبت بما فيها، قال الله تعالى: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣] الآية، لقد عدل من جعلك[1] حسيب نفسك، وما[2] ظلمك من جادلك على علمك ﴿وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١].

قوله تعالى:

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ۚ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَآءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّعَهَا سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ لَّقَدْ كُنتَ فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُۥ هَٰذَا مَا لَدَىَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ أَلْقِيَا فِى جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ۞ قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾﴾.

۞ القراءة

قراءة العامة: ﴿لَّقَدْ كُنتَ﴾ بفتح التاء ﴿غِطَآءَكَ﴾ بفتح الكاف ﴿فَبَصَرُكَ﴾ بفتح الكاف، وعن عاصم الجحدري بكسر التاء والكاف برد الكناية إلى النفس[3]، وعلى الأول هو كناية عن صاحب النفس.

قراءة العامة: ﴿أَلْقِيَا﴾، وعن الحسن: (أَلْقِيَنْ) بنون[4] التأكيد[5].

---

(١) جعلك: خلقك، ك.

(٢) وما: ومن، د.

(٣) فتح القدير ٥/١٠٧.

(٤) النفس: بالنون، ك.

(٥) القرطبي ١٧/١٨.

اللغة

السَّوْقُ: الحث على السير، والسائق: الحاث، ساقه سوقًا فهو سائق.

والكشف: إزالة الغطاء، ونقيضه: الستر، وظهور الأمر في الآخرة حتى يعلم مستوره[1] بما يكشف عنه الستر.

والحديد: الحاد، حادٌّ فهو حديد كحافظ فهو حفيظ.

والقرين: نظير الشيء من جهة تبصره بآرائه.

والعتيد: المعد، يقال: أَعْتَدْتُهُ فهو عتيد، كما يقال: أحكمته فهو حكيم، وأعتدت وأعددت واحد، و﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ أي: معد حاضر.

والعنيد: الجائر عن القصد وهو العنود والعاند، وناقة عنود لا تستقيم في سوقها، والعنيد [المتجبر] منه.

والطغيان: تجاوز الحد في الفساد، طغى يطغى طغيًا فهو طاغٍ، وأطغاه أخرجه إلى الطغيان، أطغاه إطغاءً.

الإعراب

﴿عَتِيدٌ﴾ قيل: رفع بـ ﴿هَذَا﴾ تقديره: هذا عتيد، كقولهم: هذا عبد الله قائم، وقيل: (ما) بمعنى (شيء) لا بمعنى (الذي) كأنك قلت: هذا شيء لدي عتيدٌ.

يقال: لِم قال: ﴿أَلْقِيَا﴾ للواحد؟

قلنا: فيه أقوال:

قيل: لأن المخاطب الخزنة.

وقيل: بل ملكان وهو أوجه؛ إذ لا مانع منه، وقد تقدم ذكر الملكين.

وقيل: الخطاب لواحد، والعرب تخاطب الواحد بلفظ الاثنين، قال الشاعر:

فَإِنْ تَزْجُرَانِي يَابْنَ عَفَّانَ أَنْزَجِرْ وإِنْ تَدَعانِي أَحْمِ عِرْضًا مُمَنَّعَا[2]

---

(١) مستوره: مسيه، د، ك، بدون نقاط.

(٢) تاج العروس (جزز)، واللسان (جزز)، والبيت قائله سويد بن كراع العلكي.

❁ النزول

قيل: نزل قوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ الآيات في الوليد بن المغيرة وكان يمنع الناس عن الدين ويعادي رسول الله.

❁ المعنى

ثم ذكرهم بالقيامة عقيب التذكر بالموت، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَنُفِخَ فِي الصُّورِ**» قيل: ينفخ الروح في الأبدان والصور فيحيون، وقيل: هو قرن ينفخ فيه إسرافيل نفخة فيموت الخلق، ثم ينفخ ثانية فيحيون يوم القيامة «**ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ**» قيل: اليوم الذي وعد الله أن يعذبهم، وقيل: اليوم الذي يحق الوعيد على العصاة «**وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ**» أي: كل أحد رئيس ومرؤوس «**مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ**» قيل: السائق ملك يسوقها إلى المحشر، وشهيد ملك يشهد عليه بما عمل في الدنيا، وقيل: هم الحافظان، وقيل: السائق: الملك، والشهيد: الجوارح عليه، عن الضحاك. وقيل: السائق: ملك، والشهيد: الحفظة، وقيل: السائق: الملك، والشهيد: العمل، عن أبي هريرة، والأول أوجه وهو الظاهر، ثم يقال توبيخًا: «**لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا**» أي: في قلة تدبر، وقيل: اشتغاله بالدنيا[1] أغفلته عن الآخرة، وقيل: كنت في غفلة من أمر الدين «**فَكَشَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ**» قيل: هذا في البرِّ والفاجر؛ لأنه يكشف الغطاء عن الجميع فيرى ما يصير إليه من الثواب والعقاب، وقيل[2]: بل هو في الكافر؛ لأن المؤمن يعلم ما يصير إليه فلا يقال له هذا، وقيل: كنت في غفلة من الاستعداد لمثل هذا اليوم «**فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ**» قوي نافذ ترى كل ما كان محجوبًا عنك، وقيل: نظرك إلى لسان الميزان حتى توزن حسناتك وسيئاتك، عن مجاهد. وقيل: أراد بالبصر العلم، يعني علم حين لا ينفعه العلم.

«**وَقَالَ قَرِينُهُ**» قيل: الملك الذي كان يصحبه في الدنيا ويشهد عليه، عن الحسن، وقتادة، وابن زيد. وقيل: الشيطان الذي كان يوسوس إليه، والكافر يورك الذنب عليه

(١) بالدنيا: بالدنيا ثم، ت، د، ك.
(٢) وقيل: -، ك.

يوم القيامة، والأول أصح؛ لأنه شهيد[1] عليه، وقيل: القرين هم قرناء السوء والعامة تقول لرؤسائهم ولمتبوعيهم «هَذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ» قيل: يحصي الملك سيئاته، ويقول: هذا ما لدي عتيد من شأنه أن يعد محفوظ لم يشذ شيء من هذا الكتاب، فيقرأ عليه لتأكيد الحجة، وقيل: يقول: هذا الذي وكلتني به من بني آدم أحضرته وأحضرت ديوان عمله، هذا على أن القرين هو ملك على ما ابتدأنا به، وإن حمل القرين على الشيطان والمتبوعين فمعناه: هذا العذاب أعد لي بسبب سيئاتي «أَلْقِيَا» قيل: هو كلام الملك الذي يشهد لخزنة جهنم، وقد بينا وجه التثنية، وأنه يحتمل أن يخاطب اثنين من خزان جهنم، فيأخذ أحدهما برأسه والآخر برجليه ويرميان به إلى النار، ويحتمل أنه خاطب واحدًا على عادة العرب على ما قدمنا، وقيل: بل يقال للحافظين أو السائق والشهيد: ألقيا؛ لأنهما أعلم بها وشأنها، وقيل: الشهيد يقول للسائق: ألقياه، وقيل: الله تعالى يقول للملك: ألقياه، وهو الوجه؛ لأنه الحقيقة «فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ» من عادته الكفر «عَنِيدٍ» قيل: ذاهب عن الحق جائر عن طريق الرشد، وقيل: مجانب عن الحق، معاند لله، عن مجاهد، وعكرمة. وقيل: المعجب بما عنده الفاجر «مَنَّاعٍ لِلْخَيْرِ» قيل[2]: مناع لكل واجب عليه من ماله كالزكاة ونحوها، وقيل: مناع للدين، واللام بمعنى (عن)، وكان الوليد منع بنيه وأقاربه عن الإسلام «مُعْتَدٍ» ظالم مجاوز[3] الحد في الفساد «مُرِيبٍ» قيل: شاك في الله وفي الدين، عن الحسن، وقتادة. وقيل: «مريب» مشكك «الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ» أي: وصف الله بأن له ثانٍ «فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ. قَالَ قَرِينُهُ» يعني الشيطان الذي قرن بهذا الكافر وهو يورك الذنب عليه، وهو غير القرين الأول؛ لأن الأول ملك يشهد عليه، وقرينه شيطان، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، وأبي علي. وقيل: هو قرينه من الإنس وهم علماء السوء والرؤساء والمتبوعون[4]، وقيل: هذا القرين هو الملك الشاهد أيضًا، قال أبو علي: القرين الأول

(١) شهيد: يشهد، ك، د.

(٢) قيل: وقيل، ك، ت.

(٣) مجاوز: تجاوز، ك.

(٤) والمتبوعون: والمتبوعين، ك، ت.

من الإنس، فالتابع يقول للمتبوع والعامة للرؤساء موركًا للذنب عليهم، والثاني جوابهم لهم فهما من الإنس والشيطان[(١)]، وقيل: هما ملك «رَبَّنَا مَا أَطْغَيْتُهُ» أي: ما أضللته وما أوقعته في الطغيان، وقيل: ما أطغيته استكراها[(٢)] يعني ما أكرهته، ولكن دعوته فأجاب طائعًا، وهذا قول الشيطان أو[(٣)] متبوع أهل الضلال، وقيل: هذا قول الملك أي: ما شهدت عليه بالطغيان كذبًا، وما نسبته إلى الضلال باطلاً، وما زدت في كتابه على ما عمل «وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ[(٤)]» عن الحق، فلذلك شهدت عليه، عن سعيد بن جبير. وقيل: قال قرينه الملك؛ لأن الوليد بن المغيرة قال للملك الذي كان يكتب السيئات: رب إنه أعجلني، فيقول الملك: ربنا ما أطغيته؛ أي: ما أعجلته، عن ابن عباس، ومقاتل. فلما كثرت المخاصمة بين الشياطين وأتباعهم والرؤساء المتبوعين ومن تبعهم من العوام «قَالَ» الله تعالى «لاَ تَخْتَصِمُوا لَدَيَّ»؛ لأنهما كليهما[(٥)] يستوجبان العذاب، هذا بالإضلال، وهذا بالقبول، وقيل: اعتذروا بغير عذر فلم يقبل منهم «وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ» قيل: قدمت [أنّ] من عمل سيئة يجز بها، وقيل: هو قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨]، وقيل: على ألسنة الرسل، وقيل: في القرآن أنذرتكم فلا تبديل لقولي.

ومتى قيل: أليس في التنزيل: ﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ [الزمر: ٣١]؟

قلنا: في القيامة مواقف، في موقف يختصمون، فإذا فصل القضاء فلا خصومة بعده.

وقيل: ﴿قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِالْوَعِيدِ﴾ بوعيد من اعتقد ضلالاً ودعا إليه، ووعيد من قبل تقليدًا أو لم[(٦)] يتفكر في الأدلة.

---

(١) والشيطان: أو الشيطان، ك، ت.
(٢) استكراها: بالسكرات، ك، ت.
(٣) أو: أي، ك، ت.
(٤) بعيد: -، ك، ت.
(٥) كليهما: كلاهما، ك، د.
(٦) أو لم: أولى، ك، د.

«**مَا يُبَدَّلُ الْقَوْلُ لَدَيَّ**» أي: ما يبدل وعدي ووعيدي «**وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ**» أي: لا أعاقبهم بغير ذنب، ولا أجازي بالحسنة سيئة، ولا أمنع ثواب من استحقه.

❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ أن كل مكلف معه ملكان.

ويدل قوله: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ أن كل أحد يقرن إلى قرينه، وعلى مخاصمة تجري لتوريك الذنب على متبوعه وبراءة المتبوع، وذلك تحذير من التقليد واتباع الهوى.

ويدل قوله: ﴿مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ﴾[(١)] أن وعيده لا خلف فيه، خلاف قول بعض المرجئة، وبهذه الآية احتج عمرو بن عبيد على أبي عمرو بن العلاء بمكة لما ناظره في الوعيد.

ومتى قيل: من أوعد غيره ثم خالف يعد إحسانًا؟

قلنا: فينا[(٢)] ذلك؛ لأنا لا نعلم العواقب، فنخبر عن عزمنا، والله تعالى عالم بالعواقب فيخبر عنه كما يكون، وإلا كان كاذبًا تعالى الله عن ذلك.

ويدل قوله: ﴿وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ﴾ أنه قادر على الظلم ليصح التمدح بنفيه، وأنه لا يفعل الظلم، فيدل أن المعاصي ليست من خلقه؛ لأنه لو خلقها ثم عذب عليها كان ظلمًا، وأنه لا يعاقب المحسن، ولا يعاقب بغير ذنب، ولا يعاقب أطفال المشركين، فيبطل قول المجبرة في هذه المسائل، وكذلك لا يجوز أن يأمر بشيء لا يُقدر عليه ثم يعاقب؛ لأنه ظلم.

قوله تعالى:

﴿يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾﴾.

---

(١) لديَّ: -، ك.

(٢) فينا: فيبنا، ث.

۞ القراءة

قرأ قتادة وشيبة والأعرج ونافع وأبو عمرو[1] وعاصم: «**يوم يقول**» بالياء[2] اعتبارًا بقوله: ﴿قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟﴾، وقرأ الحسن: «**يوم يقال لجهنم**» على ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون بالنون.

وقرأ ابن كثير: «**هذا ما يوعدون**» بالياء، يعني وعد المتقون[3]، وقرأ الباقون: «**توعدون**» بالتاء على الخطاب للمتقين.

۞ اللغة

الإزلاف: التقريب إلى الخير، ومنه الزلفة والزُّلْفَى، ومنه: المزدلفة منزل قريب من الموقف.

والأواب: الرجاع بالتوبة خوفًا من العاقبة، آب يؤوب: إذا رجع.

۞ الإعراب

قوله: ﴿مَّنْ خَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ في (من) وجهان من الإعراب:

الجر على نعت الأواب، وقيل: على البدل من أواب.

والثاني: الرفع على الاستئناف، وخبره في قوله: ﴿ٱدْخُلُوهَا﴾ تقديره: من خشي الرحمن يقال لهم: ادخلوها.

۞ المعنى

لما تقدم الوعيد بين أنه يملأ جهنم من العصاة، فقال ـ سبحانه ـ: «**يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ امْتَلَأْتِ**» قيل: هذا خطاب لأصحاب النار، فإنه أخبرهم أنه يملؤها[4] بقوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨] بحيث لا مزيد، فيقول يومئذ: «**هَلِ امْتَلَأْتِ**»

---

(١) وأبو عمرو: وأبو بكر، ك، د.

(٢) حجة القراءات ٦٧٨.

(٣) حجة القراءات ٦٧٨.

(٤) يملؤها: يملأها، ك، ت.

ليقروا بصدق رسوله، وقيل: بل خطاب لخزنة جهنم بأنها هل امتلأت، فيقولون: بلى لم يبق [موضع] لمزيد[1]؛ ليعلم الخلق صدق وعده، عن الحسن. وقيل: بل[2] هو إخبار عن امتلاء جهنم بحيث لا مزيد فيه لا أن هناك خطابًا، فعلى التأويلين الأولين هو استفهام، والمراد التقرير، وعلى الثالث المراد التقرير.

ومتى قيل: كيف تضايق جهنم بأهلها؟

قلنا: لأنه خلق ذلك على قدرهم، وقيل: فيه زيادة عقوبة لهم.

«وَتَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ» قيل: أراد هل من مزيد طلب الزيادة، عن أنس. وقيل: ينصرف المزيد إلى العصاة يعني هل من مزيد في العصاة فإن بالمكان بعض[3] سعة، وزيف[4] أبو علي ذلك وقال: المراد لا مزيد، وقيل: هو بمعنى الكفاية، عن مجاهد. وقيل: معناه لا مزيد، وهو قول أكثر المفسرين، وقول أبي علي، وهو الوجه لقوله تعالى: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ﴾ [الأعراف: ١٨]، وقيل: ما في مزيد، عن الحسن، وعمرو، وواصل. و(هل) بمعنى (ما) كقوله: ﴿هَلْ مِنْ خَالِقٍ غَيْرُ اللَّهِ﴾ [فاطر: ٣].

واختلفوا في هذا القائل، قيل: خزنة جهنم، عن أبي علي. فيكون القول حقيقة، وقيل: أهل النار، وقيل: ما يظهر من حاله من الامتلاء كأنه يخبر بذلك، والقول على هذا تَوَسُّعٌ، وهو جائز في اللغة، قال الشاعر:

امْتَلأَ الْحَوْضُ وَقَالَ قَطْنِي ... سَيْلاً رُوَيْدًا قَدْ مَلأْتَ بَطْنِي[5]

وقال آخر:

وقالت له العينانِ سمعًا وطاعةً ... وحَدَّرَتا كَالدُّرِّ لَمَّا يُثَقَّبِ[6]

ونظيره: ﴿قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

(١) لمزيد: بمزيد، ك، ث.
(٢) بل: هل، ك، د.
(٣) بالمكان بعض: المكان بعد، ث، د، ك.
(٤) وزيف: وزيف عن، ك.
(٥) اللسان (قطن)، (قطط)، والبيت بلا نسبة.
(٦) اللسان (قول)، تاج العروس (قول).

فأما ما ترويه الحشوية[1] والمشبهة أنها لا تمتلئ حتى يضع الجبار قدمه فيها فيقول: قط قط، ويروى رجله، فلا يصح من وجوه:

منها: لأن فيه إثبات عضو لله تعالى.

ومنها: أنه تعالى وعد أن يملأ جهنم من الجنة والناس، لا من رجله.

ومنها: أنه يوجب كون رجله في النار خالدًا مخلدًا، وقد تأوله بعضهم وقال: المراد قدمه، يعني من قدمه الله تعالى إلى النار، قال: والمراد بقوله: برجله، جماعة من الناس، وفيه نوع من التعسف[2].

«**وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ**» أي: قربت حتى يروا ما فيها من النعيم قبل أن يدخلوها «**غَيْرَ بَعِيدٍ**» منهم، وهذا تأكيد، ثم يقال لهم: «**هَذَا**» يعني نعيم أهل الجنة «**مَا تُوعَدُونَ**» في الدنيا على ألسنة الرسل «**لِكُلِّ أَوَّابٍ**» قيل: تواب، عن الضحاك. وقيل: رَجَّاع إلى الطاعة، عن ابن زيد. وقيل: مُسَبح[3]، عن ابن عباس، وعطاء من قوله: ﴿يَـٰجِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُۥ﴾ [سبأ: ١٠]، وقيل: هو الذاكر لله في الخلاء، وقيل: الذين يذكرون ذنوبهم في الخلاء فيستغفرون منها، عن مجاهد، والشعبي. وقيل: المصلي، عن قتادة. وقيل: المطيع، عن مقاتل. وقيل: المتوكل عليه المنقطع إليه لا يشغله عنه شيء «**حَفِيظٍ**» قيل: حفظ ذنوبه حتى يرجع عنها، عن ابن عباس. وقيل: حفيظ لما استودعه الله من حقه ونعمه، عن قتادة. وقيل: الحافظ لأمر الله وما سمع من كتابه، وقيل: من حفظ دينه وأطاع ربه، وقيل: الحافظ لنفسه وجوارحه من المعاصي، عن أبي علي. وقيل: من يحفظ أعماله مما يحبطها، وقيل: يحفظ حقوق الله وحدوده بمحاسبة نفسه «**مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ**» أي: من خاف الرحمن وإن لم يره، وقيل: في الخلوة بحيث لا يراه أحد، عن الضحاك، والسدي. «**وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ**» قيل: مقبل على طاعة الله، عن الحسن. وقيل: المنيب: المتوكل على الله، الراجع في أموره إليه، المتمسك بأوامره، عن أبي علي، ثم يقال لهم: «**ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ**» قيل: سلامة من العذاب، وقيل: سلامة من الزوال والفناء، وقيل: بسلام من الله وملائكته،

---

(١) ما ترويه الحشوية: ما يرويه الحشو، ك.

(٢) التعسف: تعسف، ك.

(٣) مسبح: فسبح، ك؛ يسبح، ث، د.

وقيل: بسلامة من كل مكروه «**ذَلِكَ يَوْمُ الْخُلُودِ**» أي: وقت الخلود لأهل الثواب «**لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ فِيهَا**» من أنواع النعم «**وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ**» قيل: الزيادة بما لم يخطر ببالهم ولم تبلغه[1] أمانيهم، عن أبي علي. وقيل: الزيادة على ما يستحقون بأعمالهم، فأما من حمل الزيادة على الرؤية فقد أخطأ لوجوه:

منها: أن حجج العقل والسمع دلت على أنه تعالى لا تجوز عليه الرؤية.

ومنها: أنه ليس في الآية من ذكر الرؤية شيء.

ومنها: أنه لو كان المراد الرؤية لكان هي الأصل، لا الزيادة.

❁ الأحكام

تدل الآية أن جهنم تملأ بالعصاة.

وتدل أن الجنة تقرب من المتقين.

وتدل أن من استحقها هو المتقي، خلاف قول المرجئة.

وتدل أن الخشية والحفظ فعلهم؛ ليصح الجزاء عليه، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

وتدل أن لأهل الجنة مجموع ما يستحاد[2] ويطلب، زيادة على ما أملوه.

قوله تعالى:

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ فَاصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ ﴿٤٠﴾﴾.

---

(١) تبلغه: يبلغهم، د، ث.

(٢) ما يستحاد: ما يستجاد، د.

۞ القراءة

قرأ الحسن والأعرج وعاصم وأبو عمرو والكسائي ويعقوب: «**وأدبار السجود**» بفتح الألف، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، وقرأ الباقون بالكسر، وهي قراءة علي عليه السلام، وابن عباس، فالكسر هو مصدر أَدْبَر يُدْبِرُ إدبارًا، والفتح جمع دُبُرٍ.

قراءة العامة: «**فَنَقَّبُوا**» بفتح القاف [مشددة] على الخبر، وعن الحسن بفتحها[1] «**فَنَقَبُوا**» مخففة، وعن السلمي ويحيى بن يعمر بكسرها مشددة على التهديد والوعيد أي: طوفوا في البلاد هل تجدون محيصًا من الموت.

۞ اللغة

البطش: الأخذ بشدة، ومنه: ﴿إِنَّ بَطْشَ رَبِّكَ لَشَدِيدٌ﴾ [البروج: ١٢].

والنَّقْبُ: الطريق، وجمعه: نقوب، وأصله نقض موضع يصلح للسلوك، وهو من النقب الذي هو الفتح، وقول امرئ القيس:

وقَدْ نَقَّبْتُ فِي الآفَاقِ حَتَّى ... رَضِيتُ مِنَ الْغَنِيمَةِ بِالإِيَابِ[2]

أي: طوفت في طرقها وسرت في نقوبها[3]، ومنه: نقيب القوم كالأمير[4]؛ لأنه يعرف طرق أمورهم، والنقاب الطريق بين جبلين، ومنه حديث النبي ﷺ لما كثر[5] حديث الطاعون: «أرجو ألا يطلع إلينا نقابها» أي: لا يطلع نقاب المدينة.

والمحيص: المحيد، وهو الذهاب في ناحية الهرب، حاص يحيص حيصًا فهو حائص، نحو: حاد يحيد حيدًا فهو حائد.

واللُّغوب: الإعياء، لَغَبَ يلغب بفتح الغين وضمها، لَغْبًا ولغوبًا.

---

(١) بفتحها: بكسرها، ث، د، ك.
(٢) تاج العروس (نقب)، أنظر ديوان امرئ القيس، دار صادر، بيروت.
(٣) نقوبها: نوبها، ت، ك.
(٤) كالأمير: كالأمر، ك، د.
(٥) كثر: ذكر، ك.

۞ الإعراب

«كَمْ أَهْلَكْنا» استفهام، والمراد التقرير، و(كم) للتكثير نقيض التقليل[1].

ويقال: لم جاز دخول (من) في مفسر (كم)؟

قلنا: لأنها في الخبر بمنزلة العدد نفسه بالمضاف، كقوله: عشرة أثواب وعشرة من الأثواب، فجاز حذف الإضافة، كما جازت الإضافة.

۞ النزول

قيل: في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا﴾ الآية أنها نزلت في اليهود حيث قالوا: يا محمد، أخبرنا ما خلق الله تعالى من الخلق في هذه الستة الأيام؟ فقال ﷺ: «خلق الأرض يوم الأحد والاثنين، والجبال يوم الثلاثاء، والأنهار والأقوات والمدائن يوم الأربعاء، والسموات والملائكة يوم الخميس إلى ثلاث ساعات [بقين] من يوم الجمعة، فخلق[2] في أول الثلاث ساعات الآجال، وفي الثانية الأوقات[3]، وفي الثالثة آدم»، قالوا: صدقت إن أتممت هذا، فقال: «وما ذاك»؟ قالوا: ثم استراح يوم السبت، فاستلقى على العرش، فنزلت الآية.

۞ المعنى

ثم أنذرهم بعذابه، وبَيَّنَ ما أنزل بمن كان قبلهم، فقال ـ سبحانه ـ: «وَكَمْ أَهْلَكْنَا» أي: كثيرًا قد أهلكنا «قَبْلَهُمْ مِن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا» أي: أخذًا في الدنيا وأكثر تصرفًا وأموالاً، فملكوا البلاد والأموال «فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ» قيل: طوفوا وضربوا في الأرض وطلبوا الأمن من العذاب، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك. وقيل: خرقوا، عن الفراء. وقيل: ساعدوا، عن المؤرج. وقيل: نقبوا للبقاء، يقال: نَقَّبَ

(١) التقليل، القليل، ت، د.

(٢) فخلق: وخلق؛ ت، د، ك

(٣) الأوقات: الأفات؛ ت، د، ك.

السلطان فلانًا أي جعله نقيبًا «**هَلْ مِنْ مَحِيصٍ**» أي: طافوا، هل من مهرب وملجأ من الموت ومن العذاب، وقيل: فيه إضمار، أي: هل كان لهم مال محيص؟ ألم يكن لهم مع قوتهم وكثرتهم وكثرة أموالهم محيص؟ وأنتم[1] مع قصوركم عنهم كيف تجدون المحيص؟ «**إِنَّ فِي ذَٰلِكَ**» أي: فيما تقدم ذكره من العبر «**لَذِكْرَىٰ**» أي: عظة وتذكرة «**لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ**» قيل: عقل يتفكر به فكنى بالقلب عن العقل؛ لأنه محله، وقيل: لمن كان له قلب حي، وقيل: لمن كان له قلب يفهم به، وأُذُنٌ يسمع به، وقيل: قلب يحضر به للتفهم، وسمع يحضره للسماع ولا يكون غافلاً، وقيل: «**لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ**» أي: لمن كان قلبه لا يشغله عن أمر آخرته بالغفلة وأمور الدنيا وشهواته، وقيل: من كان له قلب مستقر مع الله لا ينقلب عن الله، ولا يغفل عنه طرفة عين «**أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ**» أي: استمع القرآن والدين الحق، تقول العرب: أَلْقِ إليّ سمعك، يعني استمع ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ يعني شهيد بمعنى ما يسمع غير غافل عنه، عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وسفيان. وقيل: شهيد بأن يحضره سمعه وبصره وقلبه إحضار مستدل مسترشد، ولا يكون كالغائب للغفلة، وقيل: شهيد على ما يقرأ ويسمع في كتب الله السالفة من بعث محمد ﷺ وصفته، والآية في أهل الكتاب، والأول أظهر.

ثم بَيَّنَ قدرته على إنزال العذاب بهم بخلق الأشياء، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِنْ لُغُوبٍ**» قيل: من نَصَبٍ، عن ابن عباس، ومجاهد، قال قتادة. أكذبَ الله اليهود حيث قالوا: ثم استراح يوم السبت، وهو عندهم يوم الراحة، أوعدهم على ما قالوا فقال ـ سبحانه ـ: «**فَاصْبِرْ**» يا محمد «**عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ**» مما لا يليق به وصفاته، وقيل: اصبر على ما يقولون مما يحزنك من قولهم: إنه شاعر أو مجنون، والأول أوجه؛ لأنه نسق الكلام، فأمره عقيب قولهم بتنزيه الله عن قولهم، فكأنه أمره بالصبر؛ لأنه ينتصر منهم وينتقم «**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ**» قيل: نزه الله في عموم أوقاتك، وقيل: قل سبحان الله

(١) وأنتم: فأنتم، ك.

والحمد لله، عن عطاء الخراساني. وقيل: صَلِّ بأمر ربك «**قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ**» في صلاة الفجر، «**وَقَبْلَ الْغُرُوبِ**» صلاة العصر، عن قتادة، وابن زيد، وأبي علي. وقيل: قبل الغروب الظهر والعصر، عن ابن عباس، والحسن. «**وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ**» يعني صلاة العشاءين، عن أبي علي. وقيل: صلاة الليل لأنه يجوز في أي وقت صلى، عن مجاهد. وقيل: هو صلاة العتمة، عن ابن زيد. والأول أوجه؛ لأنه أمر به، والأمر على الوجوب، وهما واجبان «**وَأَدْبَارَ السُّجُودِ**» قيل: هما[1] الركعتان بعد المغرب، ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩] الركعتان قبل الفجر، عن علي بن أبي طالب، وعمر بن الخطاب، والحسن بن علي، وأبي هريرة، والحسن، والشعبي، والنخعي، والأوزاعي. وروي ذلك عن ابن عباس موقوفًا عليه ومرفوعًا إلى النبي ﷺ، وقيل: هو التسبيح بعد الصلاة باللسان، عن ابن عباس، ومجاهد. وقيل: هو النوافل في أدبار المكتوبات كالوتر والسنن، عن ابن زيد، وأبي علي.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ أن الواجب الاستماع إلى الأدلة والتفكر فيها وترك الغفلة والتقليد.

وتدل على أنه لا يصح عليه التعب؛ ولذلك قال: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾؛ لأنه قادر لنفسه، وإنما يلحق ذلك من يقدر بقدرة، ويصح عليه التعب.

ويدل قوله: ﴿فَٱصْبِرْ﴾ على عظم موقع الصبر في الدين، وتهديد الكفار ومَنْ وافقهم من المشبهة.

ويدل قوله: ﴿وَسَبِّحْ﴾[2] على وجوب التنزيه، وعلى الحث على الصلاة؛ لما فيها من التسبيح والتنزيه.

وتدل أن التسبيح فعل المسبح، وأن ذلك القول كان فعل اليهود، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(١) هما: -، ك.

(٢) وسبح: فسبح، ك.

قوله تعالى:

﴿وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَسْمَعُونَ ٱلصَّيْحَةَ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِۦ وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا ٱلْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «**المنادي**» بإثبات الياء على الأصل(١)، ثم اختلفوا، فيعقوب يثبتها في الوقف والوصل، والآخرون في الوصل دون الوقف، وقرأ عاصم وابن عامر وحمزة والكسائي بحذف الياء في الوقف والوصل(٢) للتخفيف ودلالة الكسر عليه.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وابن عامر ويعقوب: «**يوم تَشَّقَّقُ**» بتشديد الشين، وقرأ عاصم وأبو عمرو وحمزة والكسائي بتخفيف الشين والمعنى واحد(٣).

قرأ ورش عن نافع ويعقوب: «**من يخاف وعيدي**» بإثبات الياء حيث كان، الباقون بحذفها(٤).

اللغة

الاستماع: طلب الصوت بالإصغاء إليه، والسمع مصدر سَمِعَ يَسْمَعُ سَمْعًا، والسمع: الأذن، والسميع: الذي من شأنه أن يسمع إذا وجد المسموع، وليس بصفة زائدة على كونه حيًّا لا آفة به، والسامع الذي يدرك المسموع، وذلك حالة زائدة على

(١) حجة القراءات ٦٧٨.
(٢) الوقف والوصل: الوصل والوقف، ك، ت.
(٣) حجة القراءات ٦٧٩.
(٤) القرطبي ٢٨/١٧.

كونه حيًّا، ولا يكون إلا بعد وجود المسموع؛ فلذلك قلنا: إنه تعالى سميع في الأزل، غير سامع، والاستماع: الإصغاء إلى المسموع، استمع يستمع فهو مستمع.

والنداء: الدعاء بطريقة «يا فلان»، فكأنه ينادي المنادي: يا معشر الناس، قوموا إلى الموقف للجزاء والحساب. والصيحة: المرة من الصوت[1] الشديد، صاح يصيح صيحة وصياحًا. وسراعًا: جمع سريع.

الإعراب

﴿سِرَاعًاۚ﴾ نصب على الحال، أي: يخرجون سراعًا.

النزول

عن ابن عباس: قالوا: يا رسول الله لو خوفتنا[2]، فنزل قوله: ﴿فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾.

المعنى

ثم وصف القيامة، فقال ـ سبحانه ـ: «وَاسْتَمِعْ» قيل: خطاب للنبي ـ صلى الله عليه ـ والمراد عام، كأنه قال: استمع يا محمد، وقيل: المراد استمع أيها السامع[3] أو أيها الإنسان[4] «يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ» قيل: استمع كلام الله فيما يخبرك به من حديث القيامة يوم ينادي المنادي، وقيل: استمع لنفخ الصور ومنادي القيامة ينادي «**المنادي**» قيل: هو إسرافيل ينفخ في الصور، وسمي النافخ مناديًا، وقيل: ينادي منادٍ من صخرة بيت المقدس: أيتها العظام البالية، والأوصال المنقطعة، واللحوم المتمزقة، قومي لفصل القضاء، وما أعد الله لكم من الجزاء، عن قتادة. وقيل: بل ينادي إسرافيل، فيقول: يا معشر الناس، قوموا للحساب، وقيل: يجوز أن يكون نداء المحسن على

---

(١) الصوت: الموت، د، ت.
(٢) لو خوفتنا: إن خوفنا، ت، د، ك.
(٣) السامع: الإنسان، د، ك.
(٤) الإنسان: السامع، ك.

وجه الإكرام، ونداء المسيء على وجه التهويل «**مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ**» قيل: لأن القبور مع تفاوت أماكنها يصل النداء إليها على سواء، كأنه نودي من مكان يقرب منهم، وقيل: صخرة بيت المقدس أقرب موضع من السماء «**يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ**» قيل: النفخة الثانية للحشر إلى أرض[1] الموقف «**بِالْحَقِّ**» أي: داعية بالحق والإنصاف «**ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ**» من القبور للجزاء «**إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ**» ونحيي للإعادة لا يقدر على الحياة والموت غيره تعالى، وقيل: يميت لقطع التكليف، ويحيي للجزاء يوم القيامة، وكل ذلك حكمة منه تعالى «**وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ**» أي: إلى حكمنا، سمي المصير إلى حكمه مصيرًا إليه توسعًا «**يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا**» إلى المحشر، فمن وافد على ربه مُعَظَّم مكرم، ومن آبق يَرِدُ على ربه فيهان، ومن مسحوب على وجهه إلى النيران «**ذَٰلِكَ حَشْرٌ**» أي: جمع بين الخلق بعد الموت «**عَلَيْنَا يَسِيرٌ**» أي: سهل لا يتعذر، وقيل: الإحياء والجمع في أَسْرع مدة علينا يسير مع تباعد ديارهم وقبورهم «**نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ**» في توحيد الله وفي نبوتك وتكذيبك، وإنا قادرون على جزائهم «**وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِجَبَّارٍ**» قيل: لا تتجبر عليهم، وقيل: لا تجبرهم على الإسلام، أي: لست بمسلط عليهم لتجبرهم إنما بعثت منذرًا ومرغبًا وداعيًا، قال ثعلب: جاءت أحرف «فَعَّالٍ» بمعنى «مُفْعِلٍ»، دَرَّاك بمعنى مُدْرِكٍ، وسَرَّاع بمعنى مسرع، وبَكَّاء بمعنى مُبْكٍ، وسيف سَقَّاط[2] بمعنى مُسْقِط ونحو ذلك، قال علي بن عيسى: لم يسمع من ذلك الإدراك من أدركت، وقيل: جَبَّار من قولهم: جبرته على الأمر، يعني أجبرته، وهي لغة كنانة، وهما لغتان، وقيل: ما أنت حفيظ عليهم في دعائهم يعني تحلم عنهم، وتحسن خلقك معهم ولا تعجل الانتقام، فنفى عنه صفة الجبارين، عن أبي علي. وقيل: لست برب تجازيهم بأعمالهم الجزاء، عن الحسن. «**فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَن يَخَافُ وَعِيدِ**» خصهم لأنهم ينتفعون به يتلون القرآن متدبرين[3] فيه.

(١) أرض: عرض، د، ك.

(٢) وسيف سقاط: وسيف وسقاط، د، ك؛ وما أثبتناه من تفسير القرطبي ١٧/ ٢٨.

(٣) متدبرين: متدبرون، ك.

❁ الأحكام

تدل الآية على الإعادة، وأنه ينادي الخلق فيسمعون[1] مع بُعْدِ ديارهم.

فإن قيل: وما الذي يجب إعادته؟

قيل: الأجزاء أو الحياة، عن أبي هاشم. وقيل: الأجزاء، عن القاضي. وقيل: الأجزاء والتأليف، وهو قول أبي هاشم الأول، وقيل: جميع أجزائه التي كان في حال التكليف، عن أبي القاسم.

ويدل قوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيۡهِم بِجَبَّارٖۖ﴾ على تواضعه واستعماله الأخلاق الشريفة، وفيه تأديب لأمته بأن يسلكوا طريقه.

ويدل قوله: ﴿مَن يَخَافُ وَعِيدِ﴾ أن ظاهر القرآن يدل على الوعيد على ما نقوله.

(١) فيسمعون: يسمعون، ت، د، ك.

سُورَةُ الذَّارِيَاتِ

سورة (الذاريات) وهي ستون آية.

وعن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ[1]: «من قرأ سورة (الذاريات) أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت[2] في الدنيا».

ولما ختم سورة (ق)[3] بالوعيد افتتح هذه السورة بالقسم بأن ما توعدون حق، وأنه سينزل بهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ (٦) وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْحُبُكِ (٧) إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ (٨) يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ (٩) قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ (١٠) الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ (١١) يَسْأَلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ الدِّينِ (١٢) يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ (١٣) ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ (١٤)﴾.

---

(١) وآله: +، ز، ك.

(٢) هبت: هب، ز.

(٣) سورة ق: السورة الأولى، ز.

اللغة

الذاريات: جمع ذارية، وهو من ذرت الريح التراب[1] تَذْرُوهُ ذروًا: إذا طَيَّرَتْهُ[2] وأذرته بهذا المعنى، وهو الريح الوسط، فإذا زادت فهي عاصفة، وأصل العصف حطام النبت المنكسر، وأعصف الريح إعصافًا: إذا هبت، فحملت العصف، فمن ذلك سميت العاصفة، فإذا زادت سميت قاصفة، والقصف الكسر، يقال: قصفت الريح السفينة في البحر[3]: كسرتها[4].

والحاملات: جمع حاملة، والحَمْل بالفتح: ما كان في بَطْنٍ أو على رأس شجرة، وبالكسر: ما حملته على ظهرك، ويقال: امرأة حاملة إذا حملت شيئًا مِنْ حَمَلَتْ، ومنه:[قوله تعالى: «**حملت حملاً خفيفًا**»، وقال الشاعر:

تمخضت المنون له بيوم أَنَّى ولكل حاملة تمام[5]

ويقال: امرأة حامل؛ لأنه نعت لا يكون إلا للمؤنث كقولهم: طالق[6]وحائض، وقيل: يريد ذات حمل، وذات حيض.

والوِقْرُ بكسر[7] الواو: الحمل، يقال: نخلة مُوقِرَةٌ ومُوقِرٌ: إذا كانت ذات حمل وثمر كثير؛ لأنه يثقل عليها، وأصل الباب: الثقل.

والجاريات: جمع جارية، وأصله من «جرى يجري».

والدين: الجزاء، والدين: ما يدان به، والدين: الحساب، والدين: العادة.

والحَبْكُ: حسن أثر الصنعة في الشيء واستواؤه، حَبَكَهُ يَحْبُكُهُ على وزن نصره[8]

(١) التراب: الترب، ك.
(٢) طيرته: طرته، ك.
(٣) في البحر: -، ز.
(٤) كسرتها: كسرها، ز، ك.
(٥) البيت ينسب إلى عمرو بن حسان. أنظر لسان العرب (حمل)، الصحاح (حمل). وبرواية أخرى: ولكل خاتمة تمام.
(٦) طالق: طلق، ك.
(٧) بكسر: بفتح، ك.
(٨) نصره: -، ز، ك.

ينصره، ويَحْبِكُهُ[١] على مثال يضربه، حبكًا، وقيل: الحبك: النسج الحسن، يقال: ما أحسن حبكة للنساج إذا أحسن نسجه وأجاد، والحبُك الطرائق، والحَبِيكة: الطريقة، والجمع: حبائك، وكساء مُحَبَّك مخطط لحسنها، وقيل[٢]: المحبوك: المحكم القوي، دابة مَحْبُوكة[٣] الخلق إذا كان محكمًا، وكل شيء أحكمته وأحسنت عمله فقد أحبكته، وتحبكت المرأة بنطاقها إذا شدته في وسطها، وذلك زينة لها، وحبكه بالسيف[٤] إذا قطع اللحم دون العظم، وكذلك لحسن القطع، وواحد الحبك حِبَاكٌ وحَبِيكَةٌ.

والإفك: الكذب، وأصله الصرف، أُفِكَ عنه: صُرِفَ، وسمي الكذب[٥] إفكًا؛ لأنه صَرْفُ الكلام عن وجهه.

والخَرَّاصُ: الكذاب، والخَرْصُ الظن والحدس، وسمي الجور خرصًا منه، ويقال: كم خِرْصُ أَرْضِكَ؟ بكسر الخاء، وأصل الخرص: القطع من قولهم: خرص كلامًا وأخرصه: إذا افتراه؛ لأنه اقتطعه من غير أصل يصح له، والْخُرص بضم الخاء: حلقة القرط المنقطعة على ملاصقة الأذن.

والغمرة: علو الشيء على غيره حتى يغطيه، يقال: غمره الدَّيْنُ أي غطاه لكثرته، وغمره[٦] الماء يغمره غمرًا فهو مغمور، وغمره الشغل، وغمره الموت، والغَمْرُ: الكثير العطاء؛ لأنه يغمر[٧] بعطائه، ومنه الغمر الفرس الكثير الجري، ومنه: الغُمْرُ بضم الغين: الذي لم يجرب الأمور؛ لأنه غمره الجهل، والغِمر بكسر الغين: الحقد؛ لأنه يغمر القلب، والغُمَرُ: القدح الصغير؛ لأن الماء يغمره لامتلائه.

(١) ويحبكه: ويحبكه ويحبكه، ز.
(٢) والحبك الطرائق... وقيل: -، ز.
(٣) محبوكة: محبوك، ز، د، ك.
(٤) بالسيف: بالسرف، ز.
(٥) الكذب: الكذاب، د.
(٦) وغمره: وغمر، د.
(٧) يغمر: يغمره، ك.

۞ الإعراب

محل (**الذاريات**) جر بالقسم، وقيل: أقسم بالذاريات وقيل[١]: فيه إضمار أي: برب الذارايات فيكون جر بالإضافة إليه، وجواب القسم: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾.

والفاء في قوله: ﴿فَٱلْحَٰمِلَٰتِ﴾ وأخواتها فاء العطف، وقيل: في قوله: ﴿لَصَادِقٌ﴾ أنه اسم الفاعل[٢] وضع موضع المصدر للمبالغة كقولهم: رجل خَصْمٌ[٣] وعَدْلٌ. وقيل[٤]: ﴿يَوْمَ هُمْ﴾ يحتمل أن يكون في موضع الرفع والنصب وكله على جواب ﴿أَيَّانَ﴾.

و﴿يَوْمَ﴾ نصب على الظرف، وأضفته إلى (هم)؛ لأن الظرف قد يضاف إلى الخبر والابتداء.

۞ النزول

قيل: قوله: ﴿إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ﴾ الآيات، نزل في المقتسمين الذين اقتسموا القول في النبي ﷺ ليصرفوا الناس عن الإسلام.

وقيل: اقتسموا[٥] أعقاب مكة لصرف الناس عن الإيمان، ويرمونه بقبيح القول.

۞ المعنى

«**وَالذَّارِيَاتِ**». . . «إلى قوله: «**فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا**» قيل: إن ابن الكَوَّاء سأل أمير المؤمنين، وهو يخطب على المنبر فقال: ما الذاريات ذروًا؟ قال: الرياح، فقال: ما الحاملات وقرًا؟ قال السحاب، قال: فما الجاريات يسرًا؟ قال: السفن، قال: فما

(١) قيل: +، ك.
(٢) الفاعل: للفاعل، ك.
(٣) خصم: خصيم، د.
(٤) وقيل: -، ك.
(٥) اقتسموا: أقسموا، ك.

المقسمات أمرًا؟ قال: الملائكة. وعن ابن عباس والحسن ومجاهد مثل ذلك. وقيل: الذاريات الرياح [لأنها تزرُوا التراب] أو ما[١] مر بها، «فالحاملات [وقرًا]» الرياح، تحمل السحاب التي قد أوقرها [المطر] تنقله من بلد إلى بلد، و(**الجاريات يسرا**) قيل: السحاب تجري بما يسره الله لها، ﴿فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ[٢] أَمۡرًا﴾ الملائكة يقسمون ما كلفها الله تعالى من أرزاق العباد وغير ذلك، عن أبي علي. وقيل: المقسمات أيضًا الرياح تقسم المطر، فيصيب قومًا دون قوم وبلدًا دون بلد «**إِنَّمَا تُوعَدُونَ**» من الثواب والعقاب «**لَصَادِقٌ**» أي: لصدق، وقيل: لصادق في ذلك من وعده «**وَإِنَّ الدِّينَ**» قيل: الجزاء، وقيل: الحساب «**لَوَاقِعٌ**» كائن لا محالة «**وَالسَّمَاءِ**» قيل: أقسم بنفس السماء؛ لما فيها من الدلالة على صانع قادر عالم، وما فيها من عجائب الصنعة، عن ابن عباس، وقتادة، وعكرمة[٣]. وقيل: القسم برب السماء، عن أبي علي. «**ذَاتِ الْحُبُكِ**» قيل: ذات الخَلْق الحسن المستوي، عن ابن عباس، وقتادة، وعكرمة، والربيع. وقيل: ذات الزينة، عن الحسن، وسعيد بن جبير. قال الحسن: حبكت بالنجوم، وقيل: المتقن البنيان فلا يتصدع، عن مجاهد، وأبي علي. وقيل: ذات الطرائق[٤] الحسنة، عن الحسن، والضحاك، قال: لكنها بعيدة فلا يرون طرائقها لبعدها، وقيل: ذات الشدة، ثم قرأ: ﴿وَبَنَيۡنَا فَوۡقَكُمۡ سَبۡعٗا شِدَادٗا﴾ [النبأ: ١٢]، عن ابن زيد. «**إِنَّكُمْ لَفِي قَوْلٍ مُخْتَلِفٍ**» قيل: في الدين، كل واحد يقول بشيء ويضلل من يخالفه فيه، وقيل: في النبي ﷺ؛ يقولون: ساحر وشاعر[٥] وكاذب ومجنون، وقيل: في القرآن؛ يقولون: شعر وكذب وسحر وأساطير الأولين، وقيل: في البعث فَمِنْ مصدق ومكذب، والخطاب للعرب، وقيل: في الدين فَمُحِقٌّ ومبطل، والخطاب لجميع المكلفين، عن أبي علي. فالمحق من قبل منه، والمبطل من رد عليه «**يُؤْفَكُ عَنْهُ**» يصرف عنه، عن الحق، وقيل: عن القرآن، وقيل: عن النبي «**مَنْ أُفِكَ**» من صرف، وقيل: يصرف عن

(١) أو ما: وأما، د، ز، ك.
(٢) فالمقسمات: والمقسمات، ك.
(٣) عن ابن عباس. . . وعكرمة: -، ك.
(٤) الطرائق: الطريق، ز، ك.
(٥) وشاعر: شاعر، ز، ك.

هذا القول وبسببه عن الإيمان من صرف، عن مجاهد. وعن بمعنى: من أجل جائز بلغة كنانة، عن الفراء[1]، وقيل: يصرف عنه؛ أي الصارف أنفسهم كقولهم: فلان معجب بنفسه وأعجب بنفسه، وقيل: الصارف علماء السوء وأئمة الضلال ورؤساء البدع؛ لأن القوم تبع لهم، وقيل: يصرف عن الإيمان بمحمد ﷺ من القول بأنه شاعر أو مجنون، وكانت العرب تسأل رؤساء مكة، فيقولون ذلك «**قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ**» قيل: لعن الكذابون وهم الذين كذَّبوا رسول الله ﷺ، وكذبوا بالبعث، وقيل: المرتابون[2]، عن ابن عباس. وقيل: الكهنة، عن مجاهد. «**الَّذِينَ هُمْ فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ**» قيل: شبهة وغفلة وضلالة، وقيل: غمرهم الجهل ساهون لاهون عما يجب عليهم «**يَسْأَلُونَ أَيَّانَ**» بمعنى متى «**يَوْمُ الدِّينِ**» وهو وقت الجزاء، إنكارًا واستهزاءً، فقال تعالى: «**يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ**» أي: يقدمون ويحرقون، عن مجاهد، والضحاك. وقيل: (على) بمعنى الباء، وقيل: يفتنون: موقوفون على النار، وتقول لهم الخزنة: «**ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ**» عذابكم «**هَذَا الَّذِي كُنتُمْ بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ**» وسمي العذاب فتنة قيل: لأنه جزاء الفتنة، وقيل: لأنه امتحان بالنار، كالذهب الذي يعرض على النار.

۞ الأحكام

تدل الآيات على عظيم قدرته تعالى في الرياح والسحاب وما فيها من النعم حتى صار موضعًا للقسم به.

وتدل على وقوع الجزاء على الأعمال، خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن الخرص فعل العبد.

ويدل قوله: ﴿فِي غَمْرَةٍ سَاهُونَ﴾ أن المعارف مكتسبة.

(١) بلغة كنانة، عن الفراء: -، ك.
(٢) المرتابون: المرائون، ز، ك.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ (١٥) ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ (١٦) كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ (١٨) وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ (١٩) وَفِى ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ (٢٠) وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ أَفَلَا تُبْصِرُونَ (٢١) وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ (٢٢) فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ (٢٣)﴾.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وأبو بكر عن عاصم: «مِثْلُ» برفع اللام[(١)]، وقرأ الباقون بالنصب.

أما الرفع فعلى[(٢)] أنه بدل من الحق.

وأما النصب ففيه وجوه: قيل: نصب على الحال، وقيل: على المصدر أي: يحقّ حقًّا كنطقكم، وقيل: بنزع الخافض بتقدير: كمثل.

وأجمع القراء وعامة المسلمين في قوله: ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ﴾، وعن ابن محيصن: (وفي السماء رازقكم)[(٣)] يعني الله تعالى، وهذا ـ مع أنه خلاف للإجماع وما ظهر من القراءة عن النبي ـ صلى الله عليه ـ وأصحابه وقراء الأمة خطأٌ ظاهر؛ لأنه إن أراد أن الله في السماء فقد أثبت مكانًا، وذلك كُفْرٌ مِنْ قائله، وإن أراد في السماء قدرة أرزاقكم[(٤)] وقسمة رازقكم[(٥)] أو رزق رازقكم فذلك مجاز، وفيه إيهام التشبيه، فلا ينبغي على وجه أن يقرأ به.

(١) حجة القراءات ٦٧٩.
(٢) فعلى: فهو على، ك.
(٣) القرطبي ٧/ ٣٩.
(٤) أرزاقكم: رازقكم، ك.
(٥) رازقكم: أرزاقكم، د، ز.

اللغة

العين: عين الماء، وجمعها: عيون، وسمي عينًا؛ لأن الماء يظهر منه جاريًا، ومنه: ماء مَعِينٌ، قال ثعلب: عان الماء يعين عينًا: إذا ظهر جاريًا، والعين: الذهب، والعين: الذي يرى به.

والإحسان والإفضال نظائر، أحسن إليه فهو محسن.

والهجوع: النوم، هجع هجوعًا.

والمحروم: الممنوع من الرزق بترك السؤال، أو ذهاب مال، أو سقوط سهم في الغنيمة، أو خراب ضيعة إذا صار فقيرًا، وأصله: المنع، والمحروم الممنوع، من الحرمان، قال الشعبي: أعياني أن أعلم ما المحروم(١)، ومنه الحرام، ومنه الحرمة، ومنه الإحرام بالحج، ومنه الحرم، كل ذلك [بمنع] وُجِد(٢) فيه.

والإبصار: إدراك المبصر، أبصر يبصر إبصارًا، والبصر: العين الذي يبصر به، وجمعه: أبصار، واختلفوا في الذي يدرك به المرء، فقيل: معنى يحل العين، عن أبي علي. وقيل: ليس بمعنى، ولكن بشرط أن يكون حَيًّا لا آفة به.

الإعراب

«آخذين» نصب على الحال أي: يقبلون ما يعطيهم في حال الإعطاء.

واختلفوا في قوله «ما» في قوله(٣): ﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ على عدة أقوال:

فقيل: هو جحد، وقد تم الكلام عند قوله: ﴿كَانُوا قَلِيلًا﴾ أي: هم قليل، ثم ابتدأ فقال: ﴿مَا يَهْجَعُونَ﴾ أي: لا ينامون بالليل.

وقيل: (ما) بمعنى المصدر فالكلام يتصل بما قبله، تقديره: قليلاً هجوعهم؛

---

(١) أعياني: لساني، د، ز، ك؛ في تفسير التبيان ٩/ ٣٨٢: أعياني أن أعلم ما المحروم.
(٢) وجد: يوجد، ك.
(٣) ما في قوله: +، ك.

لأن (ما) إذا اتصل به الفعل صار في تأويل المصدر كقوله: ﴿بِمَا ظَلَمُوٓاْ﴾ [النمل:٥٢] أي: بظلمهم.

وقيل: إنه صلة أي: كانوا قليلاً من الليل يهجعون.

المعنى

لما تقدم وعيد الغافلين عقبه بالوعد للمتقين على عادته تعالى في الجمع بين الوعد والوعيد ترغيبًا وترهيبًا، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِنَّ الْمُتَّقِينَ**» الذين يتقون المعاصي «**فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ**» أي: بساتين في الجنة، «**وعيون**» ما يجري فيها، فهؤلاء يتنعمون وأولئك يعذبون «**آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ**» أي: ما أعطاهم من كرامته؛ لأنهم كانوا قبل ذلك محسنين، عن الحسن. وقيل: قابلين من الله ما آتاهم من كرامته وثوابه جزاء لهم، وقيل: عاملين بما أمرهم ربهم من الفرائض التي أوجبها عليهم، عن سعيد بن جبير. «**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ**» أي: قبل دخول الجنة «**مُحْسِنِينَ**» في أعمالهم في الدنيا «**كَانُوا قَلِيلاً مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ**» أي: كانوا لا ينامون، وقيل: قليلون بين الناس، وكانوا لا ينامون، عن عكرمة. وقيل: كانوا قليلاً هجوعهم، عن الحسن، والزهري. وقيل: كانوا قليلاً من الليل يهجعون، والهجوع النوم، عن ابن عباس، وإبراهيم، والضحاك. واختلفوا، فقيل: كانوا يصلون صلاة الليل وكان فرضًا، وقيل: كانوا يتنفلون(١) بصلاة الليل، وقيل: كانوا لا ينامون حتى يُصَلُّوا(٢) العتمة، عن محمد بن علي. وقيل: يصلون ما بين المغرب والعشاء، عن أنس بن مالك، وسالم. وقيل: قَلَّ ليلة تأتي عليهم لا يصلون فيها إما من أولها أو وسطها أو آخرها(٣)، عن مطرف. وقيل: كانوا يمدون الصلاة إلى السحر، عن الحسن. «**وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**» قيل(٤): يستغفرون من الذنوب: يطلبون من الله مغفرتها، عن الحسن، وابن زيد.

(١) يتنفلون: يتقون، ك.

(٢) يصلوا: يصلون، د، ز، ك.

(٣) وسطها أو أخرها: وأوسطها وآخرها، ك.

(٤) قيل: وقيل، ز.

وقيل: يصلون، عن مجاهد. وقيل: يستغفرون من تقصيرهم في طاعاتهم. «**وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ**» قيل: الزكاة، وقيل: سائر الحقوق الواجبة «**لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ**» قيل: السائل الذي يسأل، والمحروم المُحَارَفُ الذي ليس له في الإسلام سهم، عن ابن عباس، وسعيد بن المسيب. واختلفوا في المحارف، قيل: من قُدِرَ عليه رزقه، وقيل: من حورف في كسبه أي: حيل به عنده كتحريف الكلام يعدل عن جهته، وقيل: السائل: الذي يسأل ليعطوه(١)، والمحروم: المتعفف الذي لا يسأل، عن قتادة، والزهري، وأبي علي. وقيل: المحروم الذي لا ينمى له مال، عن عكرمة. وقل: هو المضار ثمره أو زرعه أو ماشيته، عن زيد بن أسلم. وعن محمد بن كعب: المحروم صاحب الحاجة، ثم تلا: ﴿إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ﴾ [الواقعة: ٦٦، ٦٧]، وقيل: المحروم من حرم الغنى وتعفف عن السؤال، وقيل: المحروم البهائم؛ لأنهم حرموا السؤال أي: منعوا منه «**وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ**» أي: عِبَرٌ وحجج في خلقها، لا من شيء وثبوتها وسكونها وما فيها من أنواع الحيوان والنعم والمخلوقات، كل ذلك دلالة(٢) على أن لها مدبرًا صانعًا، وقيل: ما فيها من المعادن والأدوية والنعم دليلُ على منعم، وقيل: عبر لمن سار فيها ورأى آثار أهلها ﴿لِلْمُوقِنِينَ﴾ بالحق، وخصهم بها؛ لأنهم المنتفعون بها، ويتفكرون، ويستدلون بها «**وَفِي أَنْفُسِكُمْ**» أي: وفي نفس كل واحد منكم آيات وعبر من حيث خلقه وصوره، وركب فيه الحواس والأعضاء، ومجاري الطعام والشراب، وعجيب التراكيب وأنواع ما فيه «**أَفَلَا تُبْصِرُونَ**» في ذلك لتعلموا أن لها مدبرًا، وقيل: في اختلاف أحوالكم، وقيل: أفلا تبصرون تفاوتكم، فتعرفوا صانعكم «**وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ**» قيل: هو المطر الذي هو سبب الرزق، عن الضحاك، وأبي علي. وقيل: أراد بالسماء المطر أي في المطر رزقكم، قال الشاعر:

إِذَا سَقَطَ السَّمَاءُ بِأَرْضِ قَوْمٍ رَعَيْنَاهُ وإِنْ كَانُوا غِضَابَا(٣)

(١) ليعطوه: ليعطونه، د، ز، ك.
(٢) دلالة: دالة، ك.
(٣) الصحاح (سما)، ولسان العرب (سما). والبيت ينسب لمعاوية بن مالك.

وقيل: وعلى رب السماء رزقكم، و(في) بمعنى (على) كقوله: ﴿جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾ [طه: ٧١]، والرب مضمر كقوله: ﴿وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، وقيل: قسمة رزقكم في السماء لا يزيد ولا ينقص، فكيف تتعبون في طلبه؟ «وَمَا تُوعَدُونَ» قيل: الجنة وهي[1] في السماء السابعة، عن أبي علي. وقيل: ما توعدون من خير أو شر، عن مجاهد. وقيل: من الجنة والنار، عن الضحاك. وقيل: الساعة، عن ابن سيرين. وقيل: ملائكة ينزلون بقبض الأرواح، وانتساخ الأعمال، ولإنزال[2] العذاب «فَوَرَبِّ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» قَسَمٌ من الله تعالى «إِنَّهُ لَحَقٌّ» أي: ما ذكره صدق «مِثْلَ مَا أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ» قيل: كما لا تَشُكُّون في نطقكم أنها لكم فلا تشكون[3] فيما توعدون به، عن أبي علي. قال الحسن: قاتل الله أقوامًا أقسم لهم ربهم بنفسه، فلم يصدقوه، وقيل: معناه إنه لحق مثل ما أنكم ذوو[4] نطق؛ أي: كما أن الآدمي ذو[5] نطق، أي: كما تقولون أن لا إله إلا الله، وقيل: كما أنكم تقولون: إن الرزق من السماء وهو المطر فهي كذلك، عن أبي مسلم. وقيل: إنه قسم رزقكم كما قسم النطق، فكنتم ذوي نطق دون سائر الحيوان، كذلك قسم لكل واحد[6] رزقًا بقدرته ورحمته.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ﴾ أن الجنة مأوى المتقين دون غيرهم، خلاف قول المرجئة.

وتدل على أن صفة المتقين ما بَيَّنَ فيه من إقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، والحقوق الواجبة، وصلاة الليل، والاستغفار، وفيه تنبيه على أداء الطاعات، واجتناب المعاصي.

ويدل قول: ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ أن في الأموال حقوقًا[7] يجب أداؤها، فمنها الزكاة،

---

(١) وهي: وهو، د، ز، ك.
(٢) ولإنزال: فلإنزال، د، ز.
(٣) فلا تشكون: فلا تشكوا، د، ز.
(٤) ذوو: ذووا، ك.
(٥) ذو: ذوا، ك.
(٦) واحد: أحد، ز، د.
(٧) حقوق: حقوق، ز، د.

ومنها النفقات، ومنها ما يوجبه الإنسان على نفسه، ومنها ما يجب لسبب[1] من جهته كالكفارات ونحوها.

ويدل قوله: ﴿وَفِي ٱلۡأَرۡضِ ءَايَٰتٌ﴾ على وجوب النظر وفساد التقليد، وأنه تعالى يُعْرَفُ بأفعاله.

ويدل قوله: ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ﴾ أن نعيم الدارين فيها؛ لأن سبب رزق الدنيا المطر وهو من السماء والجنة في السماء، قال أبو علي: يدل على أن الجنة في السماء.

وتدل على أن إحسان المتقي وصلواته وأداء الزكاة فِعْلُهُ.

قوله تعالى:

﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيۡفِ إِبۡرَٰهِيمَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ ﴿٢٤﴾ إِذۡ دَخَلُواْ عَلَيۡهِ فَقَالُواْ سَلَٰمٗاۖ قَالَ سَلَٰمٞ قَوۡمٞ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهۡلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجۡلٖ سَمِينٖ ﴿٢٦﴾ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيۡهِمۡ قَالَ أَلَا تَأۡكُلُونَ ﴿٢٧﴾ فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗۖ قَالُواْ لَا تَخَفۡۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٖ ﴿٢٨﴾ فَأَقۡبَلَتِ ٱمۡرَأَتُهُۥ فِي صَرَّةٖ فَصَكَّتۡ وَجۡهَهَا وَقَالَتۡ عَجُوزٌ عَقِيمٞ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡحَكِيمُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرۡسِلۡنَآ إِلَىٰ قَوۡمٖ مُّجۡرِمِينَ ﴿٣٢﴾ لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ﴿٣٣﴾ مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلۡمُسۡرِفِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَخۡرَجۡنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٣٥﴾ فَمَا وَجَدۡنَا فِيهَا غَيۡرَ بَيۡتٖ مِّنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ﴿٣٦﴾ وَتَرَكۡنَا فِيهَآ ءَايَةٗ لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ ﴿٣٧﴾﴾.

اللغة

الإكرام والإعظام من[2] النظائر، أكرمه يكرمه إكرامًا فهو مُكْرِمٌ، وذاك مُكْرَمٌ، وقوم مكرمون.

---

(١) لسبب: بسبب، ك.

(٢) من: -، ك.

والإنكار: نفي صحة الأمر، ونقيضه: الإقرار والاعتراف بصحته.

والروغ: الذهاب إلى الشيء في خفية(١)، والميل إليه، ولا يقال ذلك إلا لمن [يُخْفِيهِ]، راغ يروغ روغًا وروغانًا، راوغه مراوغة، ومنه: هو أروغ من ثعلب، وراغ روغانَ الثعلبِ.

والعجل: ولد البقر، سمي بذلك لتعجيل ميلاده، وهو عِجَّوْلٌ، والجمع: عجاجيل.

والإيجاس: الإحساس بالشيء في خفية، أوجس إيجاسًا.

والصَّرَّة: شدة(٢) الصياح، وهو من صرير الباب، والصرة: الجماعة.

والصك: الضرب باعتماد شديد، ومنه الصكك، أن تصطك ركبة الرجل.

والعقيم: العاقر التي لا تلد، وأصله الشد، ومنه: تعتقم(٣) أصلاب المشركين أي: تشد فلا يستطيعون السجود يعني يوم القيامة، ودَاءٌ عَقَامٌ أي: شديد حتى يُيْئِسَ من البُرْءِ منه، وعقمت المرأة فهي معقومة، ورجل عقيم مثل المرأة، والريح العقيم: الذي لا يُنْشِئ سحابًا ولا مطرًا، والمُلْكُ عقيم أي: يقطع النسب والولادة حتى يقتل الأب ابنه، والابن أباه على الملك.

والخطب: الأمر الجليل، ومنه: الخُطْبَةُ؛ لأنه كلام بليغ أعد لأمر جليل يستفتح بالتحميد والتمجيد.

والجُرْمُ: الذنب، وأصل الباب: القطع، والمجرم: القاطع للواجب بالباطل، وزاد من الجرام أي: صرام النخل.

والسمة: العلامة، والمُسَوَّمَة: المعلمة بعلامة تعرف بها، وهو التسويم، ومنه الحديث: «في يوم بدر سَوِّمُوا فإن الملائكة سَوَّمَتْ» أي: أعلموا.

---

(١) خفية: خيفة، د، ز، ك.

(٢) شدة: الشدة، د، ز، ك.

(٣) تعتقم: لعقم، ك.

والإسراف: مجاوزة الحد في العصيان.

والوجدان: أصله إدراك الشيء، تقول: وجدت الشيء أي: طلبته فوجدته، ووجدت من الموجدة: إدراك ما يوجب العتب، ووجدت من المال جِدَةً: أدركته، ووجدت زيدًا صالحًا، يعني عَلِمْتُهُ.

الإعراب

«المكرمين» جُرَّ لأنه [نعت] لضيف[1]، والضيف مصدر، لا يثنى ولا يجمع.

«سلامًا» نصب على المصدر أي: أُسَلِّمُ سلامًا، وقيل: نصب بالقول، كقولهم: قالوا كلامًا.

و«عجوز» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف يعني: أتلد عجوز، وقيل: أنا عجوز عقيم فكيف ألد؟

و«عقيم» نعت (عجوز). و«مسومة» صفة للحجارة.

«قال سلام» تقديره: وهو سلام.

ويقال: لِم قال: «عقيم» ولم يقل: عقيمة؟

قلنا: لأنه «فَعِيلٌ»، و«فَعِيلٌ» يكون للتذكير والتأنيث بغيرها.

المعنى

ثم بَيَّنَ ما بشر به إبراهيم وبهلاك قوم لوط عطفًا على ما تقدم من الوعيد، تخويفًا لهم وتحذيرًا أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك، فقال ـ سبحانه ـ: «هَلْ أَتَاكَ» يا محمد «حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَاهِيمَ» سماهم ضيفًا من غير أن أكلوا من طعامه؛ لأنهم دخلوا مدخل الأضياف، واختلفوا في عددهم، قيل: كانوا اثني عشر ملكًا، عن ابن عباس، ومقاتل. وقيل: كان جبريل معه سبعة أملاك، عن محمد بن كعب. وقيل: ثلاثة: جبريل وميكائيل وملك آخر، عن عطاء. «الْمُكْرَمِينَ» قيل: عند الله، عن الحسن. وقيل: أكرمهم إبراهيم برفع مجالسهم، وإعداد الطعام لهم،

---

(١) لضيف: الضيف، د، ز، ك.

وقيل: خدمهم بنفسه، عن مجاهد. وقيل: سماهم مكرمين؛ لأنهم كانوا غير مدعوين، عن ابن عباس. «**إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَامًا**» أي: سلموا عليه سلامًا فـ «**قَالَ سَلَامٌ**» أي: رد عليهم وقال: سلام عليكم، عن أبي علي. وقيل: قال سلام لنا منكم فإنكم «**قَوْمٌ مُنكَرُونَ**» قيل: غرباء لا نعرفكم، وقيل: أنكرهم لأنهم دخلوا بغير إذن، وقيل: أنكر سلامهم في ذلك الزمان في تلك البلاد، عن أبي العالية. «**فَرَاغَ إِلَى أَهْلِهِ**» أي: مال إليهم ليحمل مأكولاً، وقيل: إنما دخل خيفة لكيلا يمنعوه[1] تكلف مأكول «**فَجَاءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ، فَقَرَّبَهُ إِلَيْهِمْ**» مشويًا، و«**قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ**» تحريضًا على الأكل، وقيل: فيه حذف: أمسكوا، فقال: ألا تأكلون؟ قال قتادة: وكان عامة مال إبراهيم البقر، قيل: قالوا: لا نأكله إلا بثمن، فقال: كلوه، وأدوا ثمنه، قالوا: وما ثمنه؟ قال: تسمون الله إذا أكلتم، وتحمدونه إذا فرغتم، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: بهذا اتخذك الله خليلا. «**فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً**» في الكلام حذف، فلم يأكلوا فدخل في نفسه خيفة منهم وأوجس به، قيل: ظن أنهم لصوص أو كفار يخالفونه، يريدون هلاكه، وقيل: ظن أنهم ملائكة وأنهم لا يحضرون إلا لمهم، وقيل: دعو الله فأحيا الله تعالى ذلك العجل، فعلم أنهم ملائكة فحينئذ حضرت أهله لتستمع كلامهم، وقيل: لما خاف علموا بذلك فـ «**قَالُوا لَا تَخَفْ**» إنا رسل ربك «**وَبَشَّرُوهُ بِغُلَامٍ عَلِيمٍ**» بولد عليم، قيل: المبشر به إسحاق أنه من سارة، وهذه الصفة لها، لا لهاجر، عن أبي علي وجماعة. وقيل: المبشر به إسماعيل، عن مجاهد. «**فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ**» قيل: سمعت هي البشارة، وأقبلت، وقيل: بل أخبرها إبراهيم، عن أبي علي. وقيل: جاءت في ملأ، وقيل: لم تكن أقبلت من مكان، وإنما هو كقول القائل: أقبل يشتمني؛ يعني أخذ في شتمي «**فِي صَرَّةٍ**» قيل: في صيحة، عن ابن عباس، ومجاهد، وسفيان عن قتادة. وقيل: في جماعة من النساء «**فَصَكَّتْ وَجْهَهَا**» قيل: لطمت وجهها، عن ابن عباس. وقيل: ضربت وجهها متعجبة كالعادة في النساء، عن السدي، ومجاهد، وسفيان. وقيل: صاحت وضربت وجهها سرورًا بما سمعت، بخلاف

---

(١) يمنعوه: +، ك.

العادة «**وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ**» وفيه حذف أي: أتلد عجوز عقيم عاقر؟ عن الحسن وجماعة. وكانت سارة لم تلد قبل ذلك، وقيل: كانت ابنة تسع وتسعين سنة، وقيل: كانت بين البشارة والولادة سنة، وقيل: كان لإبراهيم مائة سنة، واختلفوا في قولها، فقيل: قالت ذلك تعجبًا، لا إنكارًا، وقيل: استخبرت وقالت: كيف تلد العجوز العقيم؟ «**قَالُوا**» لها «**كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكِ**» أي: لا تعجبي من قدرة الله فإنه حكيم يفعل ما يفعل لحكمته، وعليم بما كان ويكون، هكذا قال: إنه يفعل، وقيل: إنها قالت على هذه الحالة: أَلِد أم يتغير حالي؟ فقالوا: كذلك بل على هذه الحالة «**قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ**» لما علم إبراهيم حالهم وأنهم جاءوا لِمُهِمٍّ سألهم: لأي أمر جئتم «**أَيُّهَا الْمُرْسَلُونَ. قَالُوا إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُجْرِمِينَ**» يعني قوم لوط أرسلنا لنهلكهم «**لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ طِينٍ**» قيل: طين كأنها آجُرٌّ، عن ابن عباس. وقيل: [سجيل بالفارسية أعربت] سَنَك وكل، عن الكلبي. وقيل: من حجارة البر لا من حجارة الماء وهو البرَد]، عن أبي علي. «**مُسَوَّمَةً**» أي: مُعَلَّمَة بأنها من حجارة العذاب، عن الحسن. وقيل: مسومة بأن جعل على كل حجر اسم من يهلك به، وقيل: معلمة بعلامة تعرف الملائكة أنها مما يُرْمَى بها الكفار عند أمر الله تعالى، وقيل: التسويم أن تجعل نقطة بيضاء في حجر أسود، أو نقطة سوداء في حجر أبيض، عن ابن عباس. وقيل: كان عليها أمثال الخواتيم «**عِنْدَ رَبِّكَ**» أي: معدة في حكمه «**لِلْمُسْرِفِينَ**» المجاوزين الحد في العصيان، المستحقين عذاب الاستئصال «**فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ**» وهم لوط وقومه الذين آمنوا به؛ لأنه تعالى أمرهم بإخراجهم «**فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ**» وهو بيت لوط وكانت فيهم أيضًا كافرة، وهي امرأته، وهلكت معهم «**وَتَرَكْنَا**» أي: بقينا «**فِيهَا**» أي[١]: في تلك البقاع والبلاد «**آيَةً**» عبرة وحجة، وقيل: هو الانقلاب؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى، وقيل: نفس العذاب كان[٢] عبرة «**لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ**» الوجيع، وخصهم؛ لأنهم يتعظون بها، وإلا فهو عبرة للجميع.

---

(١) فيها أي: -، ك.
(٢) كان: كانت، د، ز، ك.

❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿سَلَٰمٗا﴾ أن السلام كان من سنة الأنبياء، قلنا كما هو من سنة نبينا ﷺ، وكذلك من سنن الملائكة.

ويدل قوله: ﴿فَأَوۡجَسَ مِنۡهُمۡ خِيفَةٗ﴾ أنه كان غير عالم بحالهم، فيدل أن الأنبياء لا يعلمون الغيب، فالآية أولى، خلاف ما تقوله الإمامية.

ويدل قوله: ﴿وَبَشَّرُوهُ﴾[1] على معجزة لإبراهيم حيث وُلِدَ له وَلَدٌ بعد الكبر، وقد بَيَّنَّا ما قيل في المبشر به، والأولى أنه إسحاق؛ لأن الآيات أليق بحاله وحال أمه سارة.

وتدل على أن الإسلام والإيمان واحد؛ لذلك قال مرة: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ ومرة ﴿ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾.

وتدل على أن الخيفة[2] والإسلام فعل العبد؛ لذلك استحق كل واحد الجزاء.

قوله تعالى:

﴿وَفِي مُوسَىٰٓ إِذۡ أَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ فِرۡعَوۡنَ بِسُلۡطَٰنٖ مُّبِينٖ ﴿٣٨﴾ فَتَوَلَّىٰ بِرُكۡنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوۡ مَجۡنُونٞ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ﴿٤٠﴾ وَفِي عَادٍ إِذۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلۡعَقِيمَ ﴿٤١﴾ مَا تَذَرُ مِن شَيۡءٍ أَتَتۡ عَلَيۡهِ إِلَّا جَعَلَتۡهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ وَفِي ثَمُودَ إِذۡ قِيلَ لَهُمۡ تَمَتَّعُواْ حَتَّىٰ حِينٖ ﴿٤٣﴾ فَعَتَوۡاْ عَنۡ أَمۡرِ رَبِّهِمۡ فَأَخَذَتۡهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ فَمَا ٱسۡتَطَٰعُواْ مِن قِيَامٖ وَمَا كَانُواْ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ وَقَوۡمَ نُوحٖ مِّن قَبۡلُۖ إِنَّهُمۡ كَانُواْ قَوۡمٗا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾﴾.

❁ القراءة

قرأ الكسائي: (الصَّعْقَة) بغير ألف ساكنة العين[3]، الباقون بالألف، وهما لغتان،

---

(١) وبشروه: فبشروه، ك.

(٢) الخيفة: الجهالة، ك.

(٣) حجة القراءات ٦٨٠.

والصاعقة والصعقة: العذاب، وتميم تقول: صاعقة، وجمع صاعقة: صواعق، وأصل الصاعقة: صوت الرعد الشديد الذي يصعق منه الإنسان، أي: يغشى عليه، والصاعقة مصدر جاء على فاعلة كراغية الإبل، وثاغية الشاء، والصاعقة: الموت أيضًا.

قرأ أبو عمرو وحمزة والأعمش والكسائي وخلف: «وقَوْمِ نوحٍ» بكسر الميم عطفًا على ما تقدم، أي: وفي قوم نوح كقوله: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ ﴿وَفِي عَادٍ﴾ ﴿وَفِي ثَمُودَ﴾.

وقيل: عطفًا على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ أي: وفي قوم نوح(١).

وقرأ الباقون بفتح الميم، وفيه وجوه:

قيل: هو مردود على الهاء والميم، في قوله: ﴿فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ﴾ أي: وأخذت قومَ نوح.

وقيل: فأهلكنا قومَ نوح، فنصب بمضمر.

وقيل: تقديره: واذكر قوم نوح.

﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ جر بـ (حتى).

اللغة

الركن: الجانب الذي يعتمد عليه، ومنه: ﴿أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] أي: عز ومنعة، قال الخليل: رَكِنَ يَرْكَنُ على مثال: سمع يسمع، ركنًا: مَالَ، وركن(٢) يركن أيضًا على مثال: بصر يبصر، وجبل ركين ـ بكسر الكاف ـ: له أركان عالية.

والنبذ والرمي: إلقاء الشيء، نبذته نبذًا، ومنه: النبيذ؛ لأنه يطرح في الطرف حتى يترك، وأصله منبوذ، فصرف إلى فَعِيلٍ، واللقيط منبوذ؛ لأنه يرمى به، والمنبذةُ الوسادةُ؛ لأنها تنبذ أي: تطرح.

---

(١) حجة القراءات ٦٨٠.

(٢) وركن: ركن، د.

والمُلِيم: الذي قد فعل ما يلام عليه، ومنه: ألام الرجل: جاء بما يلام عليه، والمَلُوم الذي وقع به اللوم، واللوم: العذل، لمته لومًا، واللوم: الملامة، ورجل لُوَمَةٌ بفتح الواو: يلوم الناسَ، ولُوْمَةٌ بسكونها: يلام.

والريح: جسم منبث في الجو، جمعه: رياح وأرواح.

ورميم والرمام: العظام البالية، ومنه: الرُّمَّةُ الحبل البالي، وأصل الباب: الرم، وهو إصلاح الشيء، يقال: رمَّ: أصلح، ورمَّ [العظم] إذا بَلِيَ [أي] أنه انتفى[1] رمَّه ببعضهِ، يقال: رَمَّهُ يَرُمُّهُ رَمًّا فهو رامٌّ، والشيء مرموم: إذا أُصْلِحَ.

والتمتع: التلذذ بأسباب اللذة.

والعتو: الامتناع عن الحق ترفعًا عنه.

۞ الإعراب

الواو في قوله: ﴿وَفِي مُوسَىٰٓ﴾ واو عطف، ثم اختلفوا فقيل: إنه عطف على قوله: ﴿وَتَرَكْنَا فِيهَآ﴾ أي: فيها وفي قوم موسى آية، وقيل: عطف على قوله: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ﴾ عن الفراء.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ ما نزل بالأمم، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَفِي مُوسَى**» أي: في بيانه «**إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ**» أي: حجة «**مُبِينٍ**» بَيِّنٍ ظاهر «**فَتَوَلَّى**» أي: أعرض فرعون عن قبول الحق «**بِرُكْنِهِ**» قيل: بقوته من قومه وجنوده، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. وقيل: بقوته في نفسه، عن الحسن. «**وَقَالَ**» لموسى «**سَاحِرٌ**» أي: مُمَوِّهٌ «**أَوْ مَجْنُونٌ**» لا عقل له، وقيل: محتال في معجزاته يهذي في أقواله، يقول ما لا يحتاج إليه، وقيل: (أو) بمعنى الواو؛ لأنهم قالوا له تانك الصفتين «**فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ**» أي: عاقبناهم «**فَنَبَذْنَاهُمْ**» أي: ألقيناهم كما يلقى الشيء «**فِي الْيَمِّ**» أي: في البحر «**وَهُوَ**

---

(١) انتفى: ابتغى، د، ز، ك.

مُلِيمٌ» يعني مذنب فَعَلَ ما يلام عليه **«وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ»** التي لا تلقح شجرًا ولا تنشر سحابًا، عن ابن عباس. وقيل: كان عقيمًا من أن يكون فيه لأحد فرج، واختلفوا في ذلك الريح، قيل: كان جنوبًا، وقيل: كان صبا، وعن النبي ﷺ: «نصرت بالصبا، وأهلكت عاد بالدبور[1]»، **«مَا تَذَرُ مِنْ شَيْءٍ»** أي: ما كانت[2] تترك شيئًا **«أَتَتْ عَلَيْهِ إِلاَّ جَعَلَتْهُ كَالرَّمِيمِ»** قيل: كالعظم البالي، عن مقاتل. وقيل: كالنبات إذا يبس وديس، وقيل: كالشيء الهالك، عن ابن عباس. وقيل: كالتبن اليابس، عن مجاهد. وقيل: كرميم الشجر، عن قتادة. وقيل: كالتراب المدقوق، عن أبي العالية. **«وَفِي ثَمُودَ»** وهم قوم صالح **«إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا»** أي: انتفعوا بأعماركم وبنائكم **«حَتَّى حِينٍ»** قيل: إلى وقت فناء[3] آجالكم، وقيل: إلى الأجل المسمى لكم إن أطعتم الله، عن الحسن. وقيل: إلى وقت العذاب، وهو ثلاثة أيام **«فَعَتَوْا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ»** أي: تعظموا واستكبروا ولم يقبلوا أمر الله تعالى **«فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ»** أي: العذاب **«وَهُمْ يَنظُرُونَ»** إليها نهارًا لا يقدرون على دفعها **«فَمَا اسْتَطَاعُوا مِنْ قِيَامٍ»** أي: ما قدروا على قيامٍ بعذاب الله بعد نزوله بهم أي: نهوض ودافع له **«وَمَا كَانُوا مُنتَصِرِينَ»** قيل: منتقمين منا، وقيل: ما كانت عندهم قوة يمتنعون بها من الله **«وَقَوْمَ نُوحٍ»** يعني: وأهلكنا قوم نوح **«مِنْ قَبْلُ»** أي: من قبل عاد وثمود **«إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ»** خارجين عن طاعة الله إلى معاصيه، وعن الإيمان إلى الكفر.

❁ الأحكام

تدل الآيات على زجر وتحذير عن سلوك طريقة أولئك، فينزل بهم ما نزل بأولئك.

وتدل على أن الفسق اسم ذم إذا أطلق؛ لذلك وصفهم به، وعلل عذابهم بأنه من أجله.

---

(١) وأهلكت عاد بالدبور: وأهلكت عاد الريح الدبور، د، ك.

(٢) كانت: كان، د، ز، ك.

(٣) فناء: وفاء، ز، ك.

وتدل على أن العتو والتولي والفسق فِعْلُ العبد.

وتدل على أن في قصصهم عبرة لمن تدبر، وأنه إنما ذكر ليعتبر به.

قوله تعالى:

﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ وَلَا تَجْعَلُواْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُواْ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَآ أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ وَذَكِّرْ فَإِنَّ ٱلذِّكْرَىٰ تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

اللغة

الأَيْدُ: القوة، آدَ الرجل يَئِيدُ أَيْدًا: إذا اشتد وقوي، والمُؤْيِدُ: الأمر العظيم، سمي بذلك لقوته، واليد: الجارحة المعروفة، واليد: القوة، واليد تُذَكَّر، ويراد الغلبة والتأكيد، كل ذلك معروف في اللغة، وأصل الباب: الجارحة.

فأما قول الكلابية: إن اليد صفة قائمة بالذات فالكلام فيه من وجهين:

أحدهما: في المعنى.

وثانيهما: في العبارة.

أما المعنى: فالكلام في إثبات الشيء ونفيه وصحته وفساده، والعبارة عنه فرع على كونه معقولاً، وما قالوه غير معقول، ولأن الشيء إما أن يعلم ضرورة أو استدلالاً، وما يذكرونه لم يعلم من الوجهين.

وأما العبارة: فليس في كلام العرب اليد بمعنى الصفة، فقولهم فاسد من الوجهين جميعًا.

والإِيسَاعُ: الإكثار من الذهاب في الجهات بما يمكن، أَوْسَعَ يُوسِعُ إيساعًا فهو موسع.

والفَرْشُ: مصدر فرشت، والفَرْشُ: المفروش، والفَرْشُ من الأنعام[1]: ما لا يصلح إلا للذبح، وتَفَرَّشَ الطائر: قرب من الأرض، ورفرف بجناحيه كالمفروش، وقيل لامرأة الرجل فراشه؛ لأنه يفرشها، والزوج يسمى فراشًا بمعنى «ذو[2] فراش»، يقال: افترش فلان التراب تحته، وافترش لسانه: تكلم به[3] كيف شاء، والفرش: ما انبسط على وجه الأرض من النبات، ولم يقم على ساق.

والمهد: الموضع المهيأ للاستقرار عليه، مَهَّدَ يُمَهِّدُ تمهيدًا فهو [مُمَهّد]، وتمهد تمهيدًا فهو ماهدٌ، والماهد: المُوَطِّئ للشيء، وهو المُهَيَّأ لما يصلح من الاستقرار عليه.

والتواصي: إيصاء القوم بعضهم لبعض، وهو من الوصية.

وعدا: ظلم، وذئب عَدَوَانٌ: يعدو على الناس، والعُدْوان: الظلم الصراح.

الإعراب

(السماء) نصب لوقوع الفعل عليها، وهو قوله: ﴿بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ﴾.

(تَوَلَّ) جزم؛ لأنه أمر، وأصله تَوَلَّى، حذفت الياء للجزم، وبقيت اللام مفتوحة.

المعنى

لما تقدم ذكر إهلاك الأمم وما فيها من العبر والدلالات بيّن دلائل قدرته [و] ما يشهد له بالربوبية، كأنه قيل: وفي قوم نوح عبرة وفي السماء والأرض، فهو يتصل بما قبله في المعنى، قال ـ سبحانه ـ: «**وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا بِأَيْيدٍ**» ألفها على حسن نظامها وعظمها وزينتها «**بِأَيْيدٍ**» قيل: بقوة، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، وابن زيد. «**وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ**» قيل: لقادرون على خلق ما هو أعظم منها، عن ابن عباس. وقيل: لموسعون الرزق على الخلق بالمطر، عن الحسن. وقيل: لموسعون السماء، عن

---

(١) من الأنعام: بمن لا يقام، د.

(٢) ذو: ذوا، ك.

(٣) به: بها؛ د، ز، ك.

ابن زيد. وقيل: نحن أغنياء، عن الضحاك. دليله ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة: ٢٣٦] يعني خلقناهما لا لحاجة، وقيل: عالمون، أحاط علمنا بكل شيء، قيل: لم يكن ذلك عن جهل؛ بل نحن في سعة من القدرة لا يضيق علينا شيء مما نريده، عن أبي علي. وقيل: لموسعون في تدبيرها وإقامتها على غير عمد، عن الأصم. «**وَالْأَرْضَ فَرَشْنَاهَا**» أي: بسطناها «**فَنِعْمَ الْمَاهِدُونَ**» الباسطون، وذكر بلفظ الجمع تفخيمًا «**وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ**» قيل: الليل والنهار، والشمس والقمر، والسماء والأرض، والإنس والجن، عن الحسن، ومجاهد. وقيل: زوجين الذكر والأنثى، عن ابن زيد. «**لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**» أي: تتفكرون فيه فتعلموا أن له مدبرًا «**فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ**» قيل: اهربوا من عقابه إلى رحمته بإخلاص طاعته، وقيل: فروا إليه بترك جميع ما يشغلكم عن طاعته، وقيل: انقطعوا إليه بأن تفروا من سواه، قيل: فروا من الشيطان وطاعته وقبول وسوسته إلى طاعة الله وامتثال أمره، وقيل: من الدنيا وزينتها إليه، وقيل: فروا من مخالفته إلى طاعته، ومن أعدائه إلى أوليائه «**إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**» نذير: مخوف من عقابه، مُبين: [مُبيِّنٌ] لكم ما أرسل به «**وَلاَ تَجْعَلُوا مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ**».

ومتى قيل: لِم كرر: ﴿إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؟

قيل: لأن المراد بهما مختلف، فالأول: فروا فإني لكم نذير في ترك الفرار عن جميع المعاصي، وبالثاني: خص الشرك لعظمه كما خص جبريل وميكائيل في قوله: ﴿وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨] تفخيمًا لهما.

«**كَذَلِكَ**» أي: كما كذبك قومك وقالوا: ساحر أو مجنون كذلك «**مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلاَّ قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ**» فشبه حال قومه في تكذيبه بحال الأمم قبله «**أَتَوَاصَوْا بِهِ**» يعني وصى بعضهم بعضًا بالتكذيب؟ وقيل: كأن الأول أوصى الآخر بالتكذيب، عن قتادة.

ومتى قيل: كيف جاز منهم الاتفاق على التكذيب مع اختلاف الأزمنة؟

قلنا: قيل: بالتواصي، وقيل: لأن الشبهة الداعية واحدة.

«بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» مجاوزون الحد في العصيان «فَتَوَلَّ عَنْهُمْ» أي: أعرض عنهم، عن مجاهد. وقيل: أمر بالإعراض عن المكافأة لا عن الاستدعاء، وقيل: أمر بالإعراض عنهم استخفافًا بهم وتهاونًا، وقيل: أمر بالإعراض بعد الدعاء؛ لأنه ربما يكون كثرة الدعاء مفسدة «فَمَا أَنْتَ بِمَلُومٍ» على أفعالهم إنما عليك البلاغ «وَذَكِّرْ» أي: ذكرهم بالموعظة، عن مجاهد. وقيل: بنعم الله ليشكروها، وبنقمته ليجتنبوا معاصيه «فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ» إن لم ينتفع به أولئك الكفرة.

الأحكام

يدل قوله: ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٍ﴾ أن إحداث السماء وتأليفها من فعله تعالى، ويبعد أن يقدر على مثل تأليفها[1] أحد غيره، وأما إحداث الجواهر فلا يقدر عليه أحد سواه.

ومتى قيل: إذا علم كيفية البناء وبنى، وجب أن يوصف بأنه بَنَّاء، وإذا قال: «بأيد» وجب أن يدل أن له يدًا على ما تقوله المشبهة، وإن[2] لم يصح إثبات اليد وجب إثبات صفة له كما تقوله الكلابية، وإن حملتموه على القوة وجب أن يدل على أنه قادر بقدرة؟

قلنا: أما الأول: فإنما لا يسمى بذلك؛ لأنه اسم لحرفة مخصوصة، فهو كقولنا: طبيب وفقيه وصائغ وحائك ونَسَّاج وما أشبهه.

وأما الثاني: فقد ثبت أنه ليس بجسم، فلا يجوز إثبات اليد له، ولأن الظاهر يوجب إثبات أَيْدٍ، ولا خلاف أنه ليس له ثلاثة أَيْدٍ.

فأما الثالث[3]: فقد بَيَّنَّا الخلاف في المعنى والعبارة.

وأما الرابع[4]: فالمراد بناها، وهو قادر على بنائها، ولأن القادر بقدرة لا يقدر على الجسم، ولأن صفة كونه قادرًا واجب، فلا يفتقر إلى علة كوجوده، ولأن قدرته

(١) تأليفها: ثباتها، ز، ك.
(٢) وإن: فإن، ز، ك.
(٣) الثالث: الرابع، ك.
(٤) الرابع: الخامس، ك.

إما أن تكون محدثة فكون قادر أبعد إن لم يكن، وما لم يكن قادرًا لا يصح أن يوجد القدرة فلا يصير قادرًا ألبتة، وإما أن تكون قديمة والقدم من صفة النفس، فالاشتراك فيه يوجب التماثل، وكان مثلاً للقديم.

ويدل قوله: ﴿كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى﴾ على تسلية للنبي ﷺ، فإن المشاركة في المحنة تهون على المرء ما يناله وعلى زجر لهم، قال شيخنا أبو علي: وذلك يدل على جهلهم إذ رموا الأنبياء بأمرين ضدين؛ لأن الساحر لا يكون إلا فطنًا، والمجنون بالضد منه.

ويدل قوله: ﴿أَتَوَاصَوْاْ بِهِۦ﴾ أن ما قالوه ليس بخلق الله؛ لأنه بَيَّنَ أنهم يقولون ذلك لطغيانهم، ولو كان خلقًا لما صح ذلك.

ويدل قوله: ﴿وَذَكِّرْ﴾ الآية أن هذا التذكير إنما يصح على مذهب العدل؛ لأن التذكير إنما يكون بأربعة أشياء: بنعمه ليشكروه، ونقمه ليخافوه ويجتنبوا مخالفته، فلا ينزل بهم ما نزل بأولئك، والثالث: بالثواب الذي ينال بطاعته ليطيعوه، والرابع: بالعقاب الذي هو موجب العصيان فلا يعصونه[(١)]، فأهل العدل يذكرونهم بنعمه على كافة الخلق دينًا ودنيا، حيث خلقهم وأحياهم، ورزقهم من الطيبات، ثم كلفهم بعدما أقدرهم، وخيرهم وهداهم، وأزاح عللهم بالتمكين والألطاف والرسل، وعرضهم لنعيم الجنة والثواب الدائم.

فأما المجبرة فلا يصح منهم ذلك لوجوه:

أحدها: أن عندهم لا نعمة له على الكفار؛ لأنه خلقهم للنار، ونعم الدنيا استدراج لهم إليها، فهو بمنزلة الخبيص المسموم.

وثانيها: أنه كلفهم ثم منعهم عن الإيمان ولم يقدرهم عليه ولا أراده منهم؛ بل خلق فيهم الكفر والقدرة الموجبة للكفر، ثم يعذبهم بعذاب عظيم أبد الأبد، ومن ذكره بهذا لا يزيد منه إلا نفورًا، ولا يرون له على أنفسهم نعمة، وقد أجمعت الأمة ونطق الكتاب بأن له عليهم نعمًا يجب أن يشكروه[(٢)].

---

(١) فلا يعصونه: أن لا تعصوه، د.

(٢) يشكروه: يشكره؛ ك، د، ز، ث.

وثالثها: أنه يجب ألاّ يجب على الكفار شكر، وهذا خلاف الإجماع.

ورابعها: أن التذكير إنما وجب حثًّا على الشكر، وعندهم سواء ذكّر أو لم يذكّر، أو جاءه رسول، أو لا يذكرونه في أداء الشكر بل الأمر موقوف على خَلْقِهِ إِنْ خَلَقَ الشكر من غير تذكير كان شاكرًا، وإن لم يخلق والدنيا ملأى من الرسل يذكرونه لا يحصِّل شاكرًا، فأي فائدة في قوله: ﴿وَذَكِّرْ﴾، إلى غير ذلك من الوجوه التي يطول تقصِّيها.

فأما الثاني: أن يذكر بنقمه النازلة بالأمم، فأهل العدل يقولون: لا تسلك طريقتهم؛ حتى لا ينزل بك ما نزل بهم، واسلك طريق الرسل؛ لتنال من الثواب ما نالوا، فيصح ويفيد التذكير، فأما المجبرة إذ قالت ذلك فإذا قيل لهم: أتقدر على الامتناع من المعاصي بتذكيرك[1]؟، فمن قولهم لا حتى يخلق فيكم وتعطوا[2] القدرة الموجبة لكم، فيقال: فاسكتوا حتى يخلق؛ لأنه سواء ذكر أو لم يذكر فالأمر موقوف على خلقه تعالى، فهذا وجه.

ويقال لهم: أيجوز أن يعذب الله[3] أتباع الأنبياء والمؤمنين، ويثيب أولئك الفراعنة الكفرة؟ فمنهم من قال: بلى، ومنهم من يأبى فيلزم[4] بأن يخلق في أولئك المؤمنين كفرًا، وفي أولئك الكفار إيمانًا ليصح الإلزام، فمن قول جميعهم: نعم يقال لهم: فأي فائدة في الذكر؟ وأي أمان منه؟

وأما الثالث: فأهل العدل يقولون: أطيعوه لتنالوا الثواب، وهذا صحيح، والمجبرة إذا قالت: أطيعوه، فيقال: أنقدر على ذلك؟ قالوا: لا حتى يخلق، ويعطى القدرة الموجبة، وهذا وجه.

ويقال: الثواب جزاء على الأعمال أم شيء يبتدئ الله به من يشاء؟ فمن قولهم أنه ليس بجزاء، فيقال: فأي فائدة في الطاعة، وأي فائدة في التذكير؟

(١) بتذكيرك: بتذكرك، د.
(٢) تعطوا: تعطون؛ ك، د، ز، ث.
(٣) الله: +، ك.
(٤) ومنهم يأبى فيلزم: ومن يأبى يلزم، ث.

وأما الرابع: فيقول: اجتنبوا معاصيه فإنها[١] سبب العقاب فيصح، وهم يقولون: لا يقدر على الاجتناب ما لم يخلق فيه، فلا معنى للتذكير، ويقولون: المعصية ليست سبب لعقاب، فلا يصح منهم من الوجهين.

ويدل قوله: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ على صحة مذهب العدل؛ لأنه ولي كل نعمة، ويريد بكل أحد خيرًا ولا يريد شرًّا، فينبغي أن يفر منه إليه، فأما المجبرة فعندهم كل[٢] الشرور منه، ويريد من الكافر الكفر ليعذبه؛ بل خلقه للنار، وينبغي أن يفر منه لا إليه، وكذلك كل أحد لا يأمن أن يعذبه وإن أطاعه، وأن يعذبه بغير ذنب، ومن هذا حاله يفر منه.

ومتى قيل: لِم قال: ﴿تَنفَعُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ فخصهم به؟

قلنا: لأنهم ينتفعون به حيث يتفكرون فيه، وينزجرون عن معاصيه، ويقدمون على طاعته بخلاف غيرهم.

قوله تعالى:

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

القراءة

قراءة العامة: «**المتينُ**» بالرفع على أنه صفة لله ـ تعالى ـ[٣]، تقديره: هو الرزاق ذو القوة وهو المتين أي: القادر المقدر، وقرأ[٤] يحيى بن وثاب والأعمش بكسر

---

(١) فإنها: فإنه، د، ز.

(٢) كل: فكل، ز، د، ث.

(٣) الطبري ١١/٤٧٦.

(٤) وقرأ: وقول، د.

النون نعتًا للقوة، قال الفراء: وكان حقه أن يقول: المتينة فَذَكَّرَهُ؛ لأنه ذهب به إلى الشيء المتين المحكم كما يقال: حبل متين، ونحو قوله: ﴿فَمَن جَآءَهُۥ مَوۡعِظَةٞ﴾ [البقرة: ٢٧٥] أي: وعظ ﴿وَأَخَذَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ [هود: ٦٧] أي: الصياح.

اللغة

القوة: القدرة، يقال: قواه على الأمر أقدره، والقوة عَرَضٌ به يقدر الحي [على] لا يقدر عليه غيره تعالى، وجميعها مختلف لا مثل فيه ولا تضاد، ولا شبهة أنه يقال: إنه تعالى أقدر الكفار على الكفر والإيمان، ولا يقال أعانه؛ لأن الإعانة تتضمن الإرادة، واختلفوا هل يقال قواه؟ فأكثر مشايخنا قالوا: لا، وأجروها مجرى الإعانة، وروى عباد: نَعَمْ، وإليه ذهب بعض مشايخنا، واختاره القاضي؛ لأنه لا فرق بين أقدر وقوى.

والمتين: الشديد القوي، والمتين من الأرض: ما صلب وارتفع، ويقال: سار سيرًا متينًا أي: شديدًا.

والذَّنوب: أصله الدلو العظيم ملئ ماء، قال الشاعر:

لَنَا ذَنُوبٌ وَلَكُمْ ذَنُوبُ ... فَإِنْ أَبَيْتُمْ فَلَنَا الْقَلِيبُ[(١)]

وسمي ذنوبًا؛ لأنها في طرف الحبل كأنها في الذَّنب، والذنوب يُذَكَّر ويؤنث، والذَّنُوب النصيب من ذلك، كأنه بمنزلة الماء في الرواية[(٢)] نصيبه، قال الشاعر:

لَعَمْرُكَ والْمَنَايَا طَارِقَاتٌ ... لِكُلِّ بَنِي أَبٍ فِيهَا ذَنُوبُ[(٣)]

أي: نصيب، والذنوب: الفرس الطويل الذَّنَبَ، كأنه نصيبه.

---

(١) لسان العرب (ذنب). تاج العروس (ذنب)

(٢) الرواية: الرغايه؛ ك.

(٣) البيت لأبي ذؤيب الهذلي وورد في الديوان برواية أخرى:

لعمرك والمنايا غالبات ... لكل بني أبٍ منها ذنوب

أنظر: ديوان الهذليين، المحقق أحمد الزين ومحمود أبو الوفا، دار الكتب المصرية، ح، ص ٩٢، ١٩٦٥.

۞ المعنى

لما أمر بالتذكير وعَمَّ بَيَّن أنه خلق الجميع للعبادة، وأنه أراد منهم ذلك، فقال سبحانه وتعالى: «**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالإِنسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**» يعني الغرض في خلقهم تعريضهم للثواب، وذلك لا يحصل إلا بأداء[1] العبادات فصار كأنه خلقهم للعبادة.

ومتى قيل: من المراد بالآية؟

قلنا: المكلفون؛ لأنه تعالى خلقهم للعبادة، وما سواهم خلقهم لأجلهم، إما لنفعهم دينًا أو دنيا، ولكن لما كان ذلك تبعًا أطلق الكلام؛ لأن الغرض من الجميع العبادة والتعريض للثواب.

ومتى قيل: فإذا خلقهم للعبادة فلماذا لا يعبدون؟

قلنا: خلقهم ليعبدوا، والعبادة فعلهم، وأزاح عللهم من القدرة والآلة والألطاف، وأمرهم بعبادته، فمن خالف فَمِنْ قِبَلِهِ أُتِيَ لا من قِبَلِ رَبِّه، وليس المراد أنه جعلهم على العبادة؛ إذ لو كان كذلك لما استحقوا ثوابًا، كما لا يستحقون الثواب على ألوانهم وهيئاتهم، وقيل: معناه ما خلقتهم إلا لآمرهم بعبادتي، وأنهاهم عن عصياني، عن علي عليه السلام[2]، ومجاهد، واختاره الزجاج. وهذا لا ينافي الأول؛ لأن غرضهم أن يأمرهم ويعبدوه، وقيل: ليقروا بالعبودية لي طوعًا أو كرهًا، عن ابن عباس. وقيل: خلقهم منقادين مستسلمين، وقيل: ليعرفوني، عن مجاهد. وقيل: ليطيعوني فأثيب العابد، وأعذب الجاحد، عن عكرمة.

«**مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ**» أي: لا أريد منهم رزقًا، وقيل: أدخل (مِنْ) بينها؛ لأنه لا يريد منهم رزقًا قلّ أم كثر «**وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ**»؛ لأنه غني لا تجوز عليه الحاجة، وقيل: ما أريد أن يرزق بعضهم بعضًا وأن يطعموا أنفسهم، بَيَّنَ أنه خلقهم للعبادة ولم

---

(١) بأداء: بإرادة، ك.

(٢) عليه السلام: +، ك.

يكلهم إلى أنفسهم ولكن تكفل برزقهم «إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ» لجميع خلقه «ذُو الْقُوَّةِ» ذو القدرة[1] «الْمَتِينُ» القوي «فَإِنَّ[2] لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا» قيل: كفروا، وقيل: عصوا ربهم فظلموا بذلك أنفسهم نصيبًا من العذاب وحَظًّا، عن الأخفش، والكسائي. وقيل: دلوًا، عن ابن عباس. وقيل: سبيلاً وطريقًا، عن مجاهد، وإبراهيم. وقيل: عذابًا، عن قتادة. والجميع متقارب، والمراد النصيب «مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ» أي: نصيب الكفار من الأمم الخالية؛ لأنه لا محاباة عنده، يجازي كل أحد بما يستحق «فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ» بالعذاب، فإنما أمهلوا للمصلحة ولا يفوتون «فَوَيْلٌ» قيل: عذاب، وقيل: هي كلمة مجملة[3] المكروهة العظيمة «لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ» قيل: يوم القيامة، وقيل: يوم بدر.

الأحكام

تدل الآية أنه تعالى خلق الخلق، ومراده بخلق جميعهم العبادة؛ لأن هذه اللام دلالة للإرادة، يقال: بنيت هذه الدار لأسكنها، وخِطْتُ الثوب للبس، وسافرت للتجارة، ودخلت بغداد لطلب العلم، يوضحه أنه لو وضع الإرادة موضعها صح، فيبطل قول المجبرة: إنه أراد من الكافر الكفر، وقد بَيَّنَّا ما قيل فيه، وَزَيَّفَ أبو علي الأقوال إلا قول من قال: إنه خلقهم، وأراد منهم العبادة[4]؛ لأنه الظاهر المعقول من الآية، فأما من حمله على المؤمنين فتخصيص من غير دليل.

ويدل قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ﴾ أن الرزق لا يقدر عليه غيره تعالى.

ويدل قوله: ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أن كل ظالم له قسط من العذاب يناله[5].

ويدل أن الظلم فعلهم، وذلك يصحح قولنا في الوعيد، وخلق الأفعال.

(١) ذو القدرة: والقدرة، ث، ز، د، ك.
(٢) فإن: وإن، د، ك.
(٣) مجملة: بجملة، ز، ك.
(٤) العبادة: بياض في ت، ك، د. وما أثبتناه من هامش د وكتب عليها: أظنه العبادة.
(٥) يناله: ينالهم؛ ت، د، ك.

سُورَةُ الطُّورِ

سورة (الطور) مكية، تسع وأربعون آية في المدني، وثمان في البصري، وسبع في الكوفي، وقد بيّنّا أن أصح الأعداد الكوفي؛ لأنه عدد أمير المؤمنين علي بن أبي[1] طالب عليه السلام.

عن أبي بن كعب، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة **(والطور)** كان حقًّا على الله أن يؤمنه من عذابه، وأن ينعمه في جنته».

وعن جبير بن مطعم قال: قدمت المدينة لأكلم رسول الله ﷺ في أسارى بدر، فسمعته يقرأ: ﴿وَالطُّورِ﴾ في صلاته، فلما انتهى إلى قوله: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَا لَهُ مِن دَافِعٍ﴾ كأنما صدع قلبي، فأسلمت خوفًا من العذاب، وما كنت أظن أن أقوم من مقامي حتى ينزل العذاب.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥ وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥ اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦﴾.

---

(١) أبي: +، ث، ك.

القراءة

قراءة العامة: «يُدعُّونَ» بالتشديد من الدَّعِّ، وهو الدفع بشدة، دَعَّهُ يَدُعُّهُ دعًّا: إذا دفعه، ونظيره: صكه يصكه صكًّا.

والدَّاعُّ: الدافع، وعن أبي رجاء العطاردي: «يُدْعونَ» بالتخفيف، من الدعاء.

اللغة

الطور: الجبل، وقال بعضهم: هو سرياني، وليس بصحيح؛ لأن جميع ما في القرآن لغة العرب، فإن ثبت هذا اللفظ في لسانهم، فإما أن يحمل على موافقة اللغتين، أو كانت سريانية، فأدخلته العرب لغتهم وعَرَّبَتْهُ. والطُّورِيُّ: الوحشي من الطير والوحش.

والمسطور(١): المكتوب، والسطر: الخط، سطرت أَسْطُرُ سطرًا، فأنا ساطر.

والرَّقُّ: الجِلْدُ يُكْتَبُ فيه، وأصله من اللمعان، يقال: ترقرق الشيء: إذا لمع، والرقراق ترقرق السراب.

والنشر: البسط [و] خلافه الطي.

والمعمور: العامر، عمرت البناء، فأنا أعمره، وهو معمور، وعمرت البيت، وعمر(٢) البيت يعمر فهو عامر.

والبحر المسجور: الواسع العظيم، من مجرى الماء، وأصله من السعة، ومنه: البَحِيرَةُ، يُوَسَّعُ شقُّ أذنها، وتبحر في العلم: اتسع فيه.

والمسجور: المملوء، يقال: سجرت التنور: ملأتها نارًا.

والمَوْرُ: تردد الشيء بالمجيء والذهاب، مَارَ يَمُورُ مورًا، ومَارَ الدَّمُ(٣): جرى

---

(١) في ك: والطور.
(٢) في ك: وعمرت وهو سهو.
(٣) ومار الدم: ومارا يوم، ك؛ وما رأى، د.

على وجه الأرض، وسمي الطريق مورًا؛ لأنه يُذْهَبُ فيه ويُجَاء، وَمارَ: اضطرب، قال الأعشى:

كَـأَنَّ مِـشْـيَـتَـهَـا مِـنْ بَـيْـتِ جَـارَتِـهـا[1] مَـوْرُ الـسَّـحَـابَـةِ لاَ رَيْـثٌ وَلاَ عَـجَـلُ[2]

أنشده أبو عبيدة مور، وغيره أنشد: مَرَّ[3].

الخوض: أصله الدخول في الأمر والكلام، خوضًا، خاض في الماء، وأخضت دابتي في الماء، وتخاوضوا الحديث: تفاوضوا.

والصَّلْيُ: لزوم النار المعذب بها، صَلِيَ يَصْلَى صُلِيًّا، ومنه: الصلاة، للزوم الدعاء فيها، وقال الشاعر:

وَصَـلَّـى عَـلَـى دَنِّـهَـا وَ ارْتَـسَـمْ[4]

أي: داوم الدعاء عليها، والمصلي على إثر السابق؛ لأنه يلزم أثره، فأصله لزوم الشيء بالمداومة عليه.

۞ الإعراب

(الطور): جر بالقسم، وقيل: فيه حذف، أي: ورب الطور، فهو كسر بالإضافة، وقيل: القسم به؛ لما فيه من عجائب الخلقة، وجواب القسم: ﴿إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ﴾.

و«مورًا»، و«سيرًا»، و«دَعًا»، نصب على المصدر.

۞ المعنى

«وَالطُّورِ» قيل: هو الجبل، عن مجاهد، أقسم به لعجيب خلقته، وما أودع فيه

---

(١) جارتها: جارتيها؛ ت، د، ك.

(٢) البيت قائله الأعشى في معلقته؛ أنظر: لسان العرب (مور)، وتاج العروس (مور)، الصحاح (مور).

(٣) مرَّ: من، ز، ك.

(٤) البيت قائله الأعشى وتكملته:

وقـابـلـهـا الـريـحُ فـي دنِّـهـا وصـلَّـى عـلـى دنِّـهـا وارتـسـم

أنظر الصحاح (رسم)، لسان العرب (رسم)، (دنن)، تاج العروس (رسم).

من أنواع نعمة، وقيل: أراد الجبل الذي كلم عليه موسى بالأرض المقدسة، عن أبي علي وجماعة، وهو بمدين، واسمه: رَسٌ، وعن مقاتل: هما طوران، أحدهما: طور سيناء، والآخر طور زَيْتَاء؛ لأنهما ينبتان التين والزيتون «وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ» مكتوب، عن قتادة، والضحاك، واختلفوا في هذا الكتاب، قيل: هو التوراة، عن الكلبي. كتبها الله تعالى لموسى ﷺ، وأعطاه بالطور، فخص الطور بالذكر لبركتها، وكثرة منافعها في الدنيا، وذكر الكتاب لعظم موقعها في[1] الدين، وروي أن موسى ﷺ كان يسمع صرير[2] القلم، وقيل: الكتاب هو اللوح المحفوظ، وقيل: دواوين الحفظة، يخرج يوم القيامة، فآخذ بيمينه، وآخذ بشماله، عن الفراء. وقيل: هو ما كتب الله تعالى للملائكة في السماء، فيه ما كان، وما يكون، وقيل: هو القرآن مكتوب عند الله في اللوح المحفوظ «فِي رَقٍّ» قيل[3]: في ورق، عن أبي عبيدة. «مَنْشُورٍ» مبسوط «وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ» قيل: بيت في السماء حيال الكعبة، يعمر بكثرة صلاة الملائكة فيه، في حديث مرفوع، ومثله عن أمير المؤمنين، وابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وقيل: هو في السماء الرابعة تعمره الملائكة بالعبادة، عن أبي علي، وقيل: في السماء السابعة، وقيل: يدخله كل يوم سبعون ألف ملك، ثم لا يعودون إليه، وقيل: كان هذا البيت أنزل مع آدم من الجنة، ثم حمل أيام الطوفان إلى السماء، وقيل: هو الكعبة بيت الله الحرام، معمور بالحج والعمرة والتوجه للصلاة، عن الحسن، وهو أول مسجد وضع للعبادة في الأرض «وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ» يعني السماء رفعها، فهي كالسقف للأرض «وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ» قيل: الموقد المحمى بمنزلة التنور، عن مجاهد، والضحاك، ومحمد بن كعب، والأخفش، وابن زيد، وقيل: تُحْمَى البحار يوم القيامة فتجعل نيرانًا، ثم يفجر بعضها في بعض، ثم تفجر إلى النار، وقيل: المسجور: المملوء، عن قتادة، وأبي علي، وقيل: المجموع ماؤه بعضه إلى بعض، عن ابن كيسان، وقيل: هو الفارغ اليابس الذي نضب ماؤه

---

(١) في: من، ك.
(٢) صرير: هرير؛ ت، د، ك.
(٣) قيل: -، ك.

وذهب، عن ابن عباس، وروي أن امرأة خرجت إلى الحوض لتستقي فرجعت، وقالت: الحوض مسجور أي: فارغ، وقيل: المحبوس، عن ابن عباس بخلاف، وقيل: المختلط العذب بالملح[١]، عن الربيع بن أنس. «**إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ**» أي: نازل بأهله «**مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ**» يدفعه ويمنعه عن أهله.

ثم بَيَّنَ وقت العذاب، فقال تعالى «**يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا**» قيل: تدور دورًا، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: تتحرك، عن قتادة، وقيل: تموج، عن الضحاك، وقيل: تضطرب، عن قطرب، وقيل: تسير «**وَتَسِيرُ الْجِبَالُ سَيْرًا**» أي: تَمُرّ[٢] عن أماكنها، وتصير هباء منبثًا، وكل ذلك من أشراط الساعة «**فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ**» أي: العذاب يومئذ للمكذبين، ودخلت الفاء؛ لأن في الكلام معنى المجازاة، تقديره: إذا كان هذا فويل يومئذ لمن يكذب الله ورسوله.

ثم بَيَّنَ صفتهم، فقال ـ سبحانه ـ: «**الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ**» أي: في كلام باطل يخوضون «**يَلْعَبُونَ**» قيل: بذكر النار والجنة تكذيبًا، وقيل: غافلين عن ذلك «**يَوْمَ يُدَعُّونَ**» أي: يدفعون إليها إزعاجًا، عن قتادة، والضحاك. أن الخزنة يغلون أيديهم إلى أعناقهم، ويجمعون نواصيهم إلى أقدامهم، ثم يدفعونهم إلى النار على وجوههم، وقيل: يسحبون إلى النار على وجوههم، فإذا قربوا عاينوا[٣] العذاب على ما أخبروا به، قيل لهم توبيخًا[٤]: «**هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ. أَفَسِحْرٌ هَذَا**» أي: تمويه لا حقيقة له كما كنتم تزعمون «**أَمْ أَنْتُمْ لاَ تُبْصِرُونَ**» قيل: معناه أتبصرون فتقرون، أم لا تبصرون فتنكرون المشاهدة كما أنكرتم الخبر؟ وقيل: أم قد غطي على أبصاركم فلا تبصرون، وقيل: أفسحر كما كنتم تقولون، أم كنتم لا تفقهون «**اصْلَوْهَا**» أي: ادخلوها فالزموها «**فَاصْبِرُوا أَوْ لاَ تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ**» قيل: يستوي صبركم وجزعكم، لا محيص لكم، وقيل: لا تلحقكم رحمة، ولا يزول العذاب «**إِنَّمَا تُجْزَوْنَ**» بذلك «**مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**» من المعاصي في الدنيا.

---

(١) بالملح: بالمالح، ك؛ وفي هامشها: أظنه الملح.

(٢) تمر: تمود، ت، د.

(٣) عاينوا: وعاينوا، ك.

(٤) توبيخا: -، ت، د.

الأحكام

يدل القسم بهذه الأشياء على عِظَمِ شأنها ونفعها إما دينًا أو دنيا.

وتدل على أهوال يوم القيامة.

وتدل على[1] أن العقاب جزاء على الأعمال، خلاف قول المجبرة.

وتدل على أن أعمالهم حادثة من جهتهم، فيبطل قولهم في المخلوق.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو عمرو: «**وأتبعناهم**» بالنون والألف «**ذرياتهم**» بالألف وكسر التاء «**ألحقنا بهم ذرياتِهم**» بالألف أيضًا وكسر التاء اعتبارًا بقوله: «**ألحقنا**»، و«**أَلَتْنَا**» قرأ: (**أَتْبَعْنا**) ليكون الكلام على نسق واحد، وفي (الذاريات) على الجمع؛ لأنه أعم.

و«**أتبعناهم ذرياتهم بإيمان**»، قيل: جعلناهم أتباعًا لآبائهم في الشرع وهم الأطفال، وقيل: حكمنا بإيمانهم لكونهم مؤمنين، وقيل: لطفنا لهم، حتى يؤمنوا[2]، وعلى هذين[3] الوجهين يصح أن يكونوا بالغين.

---

(١) على: +، ك.

(٢) يؤمنوا: آمنوا، ك.

(٣) هذين: +، ك.

وقرأ أبو جعفر ونافع: «واتَّبَعَتْهُمْ» بالتاء من غير ألف على واحدة، أي: اقتدوا به فآمنوا، «**ألحقنا بهم ذرياتهم**» بالألف والتاء على الجمع.

وقرأ ابن عامر ويعقوب وأبو حاتم: «**اتبعتهم**» بالتاء ووصل الألف، «**ذرياتُهم**» بالألف ورفع التاء بعده على الجمع، «**ألحقنا بهم ذرياتهم**» بالألف وكسر التاء على الجمع.

وقرأ ابن كثير وعاصم وحمزة والكسائي: «**اتَّبَعَتْهُمْ**» بالتاء ووصل الألف «**ذُرِّيَّتُهُمْ**» بالرفع من غير ألف، أضافوا الإتباع إليهم، أي: اقتدوا بهم، «**ألحقنا بهم ذريتهم**»[(١)] بالنصب من غير ألف على واحدة، وهو اختيار أبي عبيدة[(٢)].

قرأ ابن كثير: «**أَلِتْناهُم**» بكسر اللام غير ممدودة الألف، والباقون بفتحها، وهما لغتان، أَلِتَ يأْلَتُ، وأَلَتَ يَأْلِتُ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «**لا لَغْوَ فيها ولا تَأْثِيمَ**» بالنصب، وقرأ الباقون بالرفع والتنوين، وقد بيَّنَّا ذلك.

قرأ أبو جعفر: «**فكهين**» أي: مسرورين، الباقون: «**فاكهين**» ناعمين، وقيل: ذوو[(٣)] فاكهة.

۞ اللغة

الفاكِهُ: ذو الفاكهة، رجل فاكِهٌ: كثير الفاكهة، كقولهم: لابِنٌ وتَامِرٌ، أي: ذو لبن، وذو تمر، والفكه: الأَشِرُ[(٤)] المَرِحُ، وقد يكون الفاكه والفكه[(٥)] بمعنى واحد، والفاكه[(٦)]: المازح، ومنه حديث زيد: (كان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله)، الاسم: الفكاهة، والفَكَّاهُ، والفاكه: الناعم أيضًا.

---

(١) بهم ذريتهم: -، ك.
(٢) أبي عبيدة: أبي عبيد، ك.
(٣) ذوو: ذووا: ت، د، ك.
(٤) الأشر: الأشرة، ك.
(٥) الفاكه والفكه: الفاكهة والفكهة، ت، د.
(٦) والفاكه: الفاكه، ك.

والمتكئ: المُسْتَنِدُ استناد راحة ودعة، اتَّكأ فهو مُتَّكٍ[1].

والمصفوفة: الممدودة على صف، ومنه صف الجهاد، وصف الصلاة.

والحور: البيض، وأصله من البياض، ومنه: الحواري والحواريون.

والعِينُ: الواسع الأعين.

والألْتُ: النقصان، ألته يألته ألتًا: إذا نقصه، قال الشاعر:

أَبْلِغْ بني ثعل عني مُغَلْغَلَةً ... جَهْدَ الرسالة لا أَلْتًا ولا كَذِبَا[2]

والرهين: المرهون، والمرتهن: المحبوس على أمر يؤدى عنه بحسب ما يجب فيه، فكل مكلف محبوس على عمله.

يتنازعون: يتعاطون، يعطي بعضهم بعضًا، وأصله من المنازعة.

والكأس: المملوء شرابًا، فإذا كان فارغًا فليس بكأس، عن الزجاج.

والمكنون: المحفوظ في كنة، وكننت الشيء في كنه: إذا صببته، وأكننته: أخفيته، ومنه الكنانة؛ لأنه يصان فيها السهام.

الإعراب

«هنيئًا» قيل: نصب على الحال، أي: في هذا[3] الحال[4]، وقيل: نصب[5] على المصدر، أي: أكلاً هنيئًا.

«متكئين» نصب على الحال، أي: كلوا في حال الاتكاء.

المعنى

لما تقدم الوعيد عقبه بالوعد للمؤمنين، وما أعد لهم، فقال ـ سبحانه ـ: «إنَّ

(١) متَّكٍ: متكي؛ ت، د، ك.

(٢) تاج العروس (ألت)، واللسان (ألت). والبيت قائله الحطيئة؛ أنظر ديوان الحطيئة برواية ابن السكيت، ص٢٠. وروي صدر البيت برواية أخرى: أبلغ سراة بني سعد.

(٣) هذا: هذه، ك.

(٤) أي في هذا الحال: أي: كلوا في حال الاتكاء، د.

(٥) نصب: -، ك.

الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ أي: بساتين فيها أشجار، ونعيم الجنة «**فَاكِهِينَ**» قيل[1]: ذوو[2] فاكهة كثيرة، وقيل: مسرورين، وقيل: ناعمين، وفاكهين: قيل: معجبين «**بِمَا آتَاهُمْ**» أعطاهم «**رَبُّهُمْ**» من النعم «**وَوَقَاهُمْ**» أي: دفع عنهم الجحيم، فيقال لهم على سبيل الإكرام خلاف ما قيل لأولئك الكفرة: «**كُلُوا وَاشْرَبُوا**» من نعيم الجنة «**هَنِيئًا**» أي: لا يشوبه كدر ولا تنغيص، وقيل: هنيئًا جزاء، لا منة لأحد فيه غير الله ـ سبحانه ـ، وقيل: لا يورث مرضًا ولا داء «**بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**» أي: جزاء أعمالكم، في فعل الواجبات، واجتناب المعاصي «**مُتَّكِئِينَ**» قيل: فيه حذف أي: على النمارق، وهي الوسائد، وذلك إشارة إلى فراغ القلب، فلا يهمهم كد الجمع، ولا غم التفريق، ولا إلهام الزوال «**عَلَى سُرُرٍ مَصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ**» قيل: بياض البشر، وسواد العين، وقيل: شدة بياض العين وشدة سوادها «**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ**» قيل: هم الأطفال ألحقوا بآبائهم من أجل إيمان الآباء؛ ليتم سرورهم، عن ابن عباس، والضحاك، وابن زيد، وقيل: بل هم البالغون ألحقوا بدرجة آبائهم وإن قصرت أعمالهم تكرمة لآبائهم، عن ابن عباس بخلاف، أي: من كان مؤمنًا في الدنيا، ألحقنا بهم في الجنة ليكمل السرور والأنس، واسم الذرية يقع على الرجال والنساء والطفل والبالغ، قال تعالى: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيۡمَٰنَ﴾ [الأنعام: ٨٤].

ومتى قيل: كيف يلحقون بهم إذا لم يستحقوا؟

قلنا: يلحقه به في الجمع لا في الرتبة والثواب، وقيل: المراد الصغار والكبار.

«**وَمَا أَلَتْنَاهُمْ**» أي: ما نقصناهم، عن ابن عباس، ومجاهد، والربيع، حتى لا[3] ينقص الآباء من أجور أعمالهم شيئًا بسبب إلحاق الذرية؛ لئلا يتوهم أنه يلحقهم[4] نقص آخر، وقيل: ما نقصنا الآباء بما أعطيناهم البنين، روي ذلك مرفوعًا، وقيل: ما

(١) قيل: -، ك.
(٢) ذوو: ذووا؛ ت، د، ك.
(٣) حتى لا: حتيلا؛ ت، د، ك.
(٤) في ك: بعض.

نقصنا أحدًا شيئًا من جزاء أعمالهم؛ بل نجازي كل أحد بكمال ما عمل، حتى لا[1] يؤدي إلى الظلم. «كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ» يعني كُلٌّ مرهون بعمله يؤخذ به «وَأَمْدَدْنَاهُمْ» أعطيناهم حالاً بعد حال، إشارة إلى أن نعيمهم لا ينقطع؛ بل يمده الله تعالى حالاً بعد حال، «بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ. يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا» قيل: يتعاطون ويتناولون على حرص منهم بها للذتها، عن أبي علي، وقيل: يسقي بعضهم بعضًا كأسًا ملئ من خمر «لاَ لَغْوٌ فِيهَا وَلاَ تَأْثِيمٌ» قيل: لا تذهب عقولهم فيلغوا، ويرفثوا، خلاف خمر الدنيا، وقيل: «لا لغو» أي: لا باطل، عن قتادة، وقيل: لا يرفث فيها، عن سعيد بن المسيب، وقيل: لا سباب فيها[2]، ولا تخاصم فيها، عن ابن زيد. ﴿وَلَا تَأْثِيمٌ﴾ قيل: فِعْل ما يأثم به، قيل: لا يأثم شاربه، وهو «تفعيل» من الإثم، وقيل: لا كذب فيها، عن ابن عباس، وقيل: لا يُكَذِّب بعضهم بعضًا، عن الضحاك. «وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ» للخدمة «غِلْمَانٌ لَهُمْ» قيل: من ولدانهم وأطفالهم، يطوفون ليزدادوا قرة عين، وقيل: هم الحور العين، وقيل: أطفال المشركين.

ومتى قيل: هل تلحقهم مشقة بتلك الخدمة؟

قلنا: لا؛ بل يلتذون بها، وفي الآية إشارة إلى أن أحوالهم أحوال الملوك، وعن عائشة عن النبي ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ: «إن أدنى أهل الجنة منزلةً من نادى الخادمَ من خدامه فيجيبه: ألف لبيك لبيك».

«كَأَنَّهُمْ» يعني الغلمان «لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ» أي: في الحسن والملاحة والصباحة كالدر المصون المخزون، وقيل: مكنون في الصدف، عن سعيد بن جبير، وروى الحسن قال: قالوا: يا رسول الله، الخادم كاللؤلؤ، فكيف بالمخدوم؟ فقال: «كالقمر ليلة البدر».

---

(١) حتى لا: حتيلا؛ ت، د، ك.
(٢) فيها: -، ك.

❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ[1]﴾ أن استحقاق نعيم الجنة وثوابها بالتقوى، بخلاف قول المرجئة.

ويدل قوله: ﴿كُلُواْ وَٱشْرَبُواْ﴾ أنهم مأمورون بذلك، وأنه تعالى يريد منهم؛ ليتم السرور على ما يقول القاضي، خلاف ما يقوله أبو علي: أنه لا يريد ذلك، كمباحات الدنيا.

ويدل قوله: ﴿وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ﴾ أن الذرية غير الحور العين، خلاف ما قاله بعضهم؛ لذلك عطف أحدهما على الآخر.

وتدل أن الذرية تلحق بهم، ولا شبهة أن الإيمان شرط في البالغين، فأما الأطفال فحكمهم حكم آبائهم، واختلفوا كيف يُعَادُونَ، فقيل: صغيرًا كما مات، وقيل: بل يكمل الله خلقه، وهو أولى، فأما أطفال المشركين فهم خدم أهل الجنة، روي ذلك مرفوعًا، وقيل: بل هم كسائر أصحاب الأعواض.

وتدل الآيات أن أعمال المتقين فِعْلُهُم حتى استحقوا الجزاء.

وتدل أن في الجنة مأكولاً ومشروبًا، وذلك يُعْلَمُ ضرورة من دين الرسول، خلاف قول الباطنية؛ لذلك نكفرهم بإنكار ذلك.

قوله تعالى:

﴿وَأَقۡبَلَ بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٖ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبۡلُ نَدۡعُوهُۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرۡ فَمَآ أَنتَ بِنِعۡمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٖ وَلَا مَجۡنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمۡ يَقُولُونَ شَاعِرٞ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيۡبَ ٱلۡمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلۡ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلۡمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾﴾.

---

(١) المتقين: للمتقين، د.

القراءة

قرأ الحسن وأبو جعفر ونافع وأبو حاتم: «**ندعوه أنه**» بفتح الألف من أنه على معنى لأنه، وقرأ الباقون بالكسر على الاستئناف.

اللغة

الإقبال: أن تقبل على شيء، فتصرف وجهك إليه، أقبل على فلان، ومنه أقبل يفعل كذا، وأقبل إذا جاء من مكان إلى مكان.

والتساؤل تفاعل من السؤال، وهو أن يسأل بعضهم بعضًا.

والإشفاق: رقة القلب من الخوف، وأصله الضعف، ومنه: ثوب شفيق، أي: ضعيف النسج، ومنه: الشفق؛ لأنه حمرة ضعيفة أو بياض.

والمَنُّ: النعمة، وأصله القطع، ومنه المَنِيَّةُ، لأنها تقطع عن التصرف، والنعمة تقطع عن المكاره، ومنه: ﴿أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت: ٨] أي: غير مقطوع.

والوقاية: منع الشيء من المخوف بحائل بينهما، وكذلك الوِقَاءُ، وقاه وقاية فهو واقٍ.

والسَّمُوم: ريح حار تدخل في مسام الناس، فتتألم به، وأصل ذلك إما أن يكون من السَّمِّ الذي هو في مخرج النفس، وكل خرق[1] سَمٌّ، ومنه: ﴿سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠]، وإما أن يكون من السُّمِّ[2] الذي يقتل.

والكاهن: من يوهم أنه يعلم الغيب بطريق خدمة الجن، والكِهانة: مصدر كَهَنَ يَكْهُنُ، والكاهِنان: حيان، قيل: قريظة والنضير، ومنه: «يخرج من الكاهنين رجل يقرأ القرآن لايقرأ أحد كقراءته»، فقيل: إنه محمد بن كعب القرظي.

والمجنون: الماؤوف في عقله، وأصله: الستر، ومنه الجن، والجنان، والجنة.

---

(١) خرق: جزء، ك.

(٢) السم: السمم، ك.

والريب: الشك، وريب الدهر: حوادثه وصروفه، قال الشاعر:

تَـرَبَّـصْ بـهـا رَيْـبَ الـمـنـون لـعـلـهـا   سيهلك عنها بعلُها أو سيجنح[1]

ومعنى التربص: الانتظار، وتربص به: انتظر به خيرا أو شرا، وتربص به الشيء كذلك، وقال الفراء[2] نتربص به ريب المنون: أوجاع الدهر فيشغل عنكم، ويتفرق أصحابه، أوعمر آبايه، فإنا قد عرفنا أعمارهم وسيجنح[3].

والتربص: الانتظار بالشيء لانقلاب حاله إلى خلافها، والرُّبْصَةُ أيضًا الانتظار.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ﴾ في المقتسمين، اقتسموا أعقاب مكة يصدون الناس عن الإسلام، ويقولون في[4] رسول الله ﷺ: إنه ساحر، وإنه شاعر، وإنه مجنون، يكفينا أمره ريب المنون، كما أهلك من[5] قبله زهير والنابغة.

وقيل: بل نزل في رؤساء مكة كالوليد بن المغيرة، وأبي جهل بن هشام، وغيرهم.

وقيل: قالوا: تربصوا به ريب المنون، فهو كأحد الشعراء يهلك كما هلكوا، وإن أباه مات شابًا، نرجو أن يكون موته كموت أبيه.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال المتقين في الجنة، فقال ـ سبحانه ـ: «وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى

---

(١) ومعناه أو سيجنح إلى الطلاق والفراق، وقد توهمها المحققون (وشحيح) لأنها بغير نقط، فاحتاجوا إلى تغييرها إلى (أو تسرح)؛ ولذا قال في حاشية تفسير الطبري (٧٢: ١٣): وضعنا كلمة (تسرح) في قافية البيت في مكان أوشحيح التي جاءت خطأ في الأصل، فاختل بها معنى البيت ووزنه على أن رواية الشطر الثاني كله في اللسان: ربص، وفي تفسير الشوكاني (ه: ٦٩)، وفي البحر المحيط (٨: ١٥١) والقرطبي (٧١: ٢٧) مختلفة عن رواية المؤلف، وهو تطلق يوما أو يموت حليلها.

(٢) الفراء: معاني القرآن، ج٣، ص ٤١٣.

(٣) والسراح والتسريح هو . . . وسينجح: -، د، ك.

(٤) في: أن، د.

(٥) من: -، ك.

بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ» أي: يسأل[1] بعضهم بعضًا، قيل: عن أحوالهم في الدنيا، وذلك من أعظم سرورهم، وقيل: يسألونهم عما صيرهم إلى الجنة، واختلفوا متى يتسآلون؟ قيل: حين يبعثون من[2] قبورهم، عن ابن عباس، وقيل: في الجنة، وهو الوجه؛ لأنه ليس نسق الكلام. «**قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ**» أي: خائفين من عذاب الله بوجهين إما معصية وقعت غفلة، أو طاعة عمله مع التقصير «**فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا**» أي: أنعم بقبول طاعتنا، وغفران سيئاتنا، «**وَوَقَانَا**» أي: منعنا «**عَذَابَ السَّمُومِ**» أي: عذاب النار، قال الحسن: السموم اسم من أسماء جهنم «**إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ**» يعني في الدنيا، وقيل: قبل أن مَنَّ الله علينا بالجنة «**نَدْعُوهُ**» قيل: بالثناء عليه، وننقطع إليه، وقيل: ندعوه؛ نحو: أَنْجِنا فأجابنا ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ﴾ قيل: اللطيف، عن ابن عباس. وقيل: ندعوه يا بار، يا بار، وقيل: الصادق فيما وعد، عن الضحاك، وقيل: البر: الذي عادته الإحسان، والله تعالى بهذه الصفة فقط يخلق ويرزق وينعم دائمًا، ويهدي إلى الحق، ويزيح العلل، ويثيب المطيع لتكثير الثواب، ويمهل العاصي للاستدراك بالتوبة، فإذا تاب قَبِلَ توبته، وغفر خطيئته «**فَذَكِّرْ**» أي: عظهم وذكرهم، ولا تترك دعوتهم، وإن أساؤوا قولهم فيك، فلست بما أنعم الله عليك من الخصال كما يقولون «**فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ**» أي: برحمته وعصمته «**بِكَاهِنٍ**» يبتدع القول، ويخبر الكذب، ويزعم أنه يعلم الغيب كذبًا «**وَلاَ مَجْنُونٍ**» لا عقل له «**أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**» أي: ننتظر حوادث الدهر، عن مجاهد، وقيل: الموت، عن ابن عباس، وقتادة، والمنون: المنية، وريبها: الحوادث الذي تريب عند مجيئها، يعني يكفينا أمر موته، وقيل: المنون: الدهر، وريبه: مصائبه ومحنه، فأجابهم الله تعالى فقال: «**قُلْ**» يا محمد «**تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ**» أي: انتظروا فإني معكم من المنتظرين، قيل: فيه وعيد لهم بالعذاب، ووعد له بالنصر وبالسلامة من كيدهم، وقيل: تربصوا أنتم ما بقيتم، فلا ينالني مكروه، فإني متربص بكم عذاب الله فأستريح منكم، وهو

---

(١) يسأل: سأل، ت، د، ك.

(٢) من: عن، ك.

واقع لا محالة، وقيل: تربصوا ما شئتم فإني أتربص الفرج وأنتظره حتى يأتي أمر الله فيكم، عن أبي علي، وقيل: كما يتربصون بك فتربص أنت بهم، فحوادث الدهر تعم الجميع.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أن أهل الجنة يتذاكرون حديث الدنيا، وذلك مما يزيدهم سرورًا.

ويدل قولهم: «مشفقين» أنهم كانوا يقولون بالوعيد، حتى أمنهم الله تعالى.

وتدل أن الخوف لطف في فعل الطاعة واجتناب المعصية.

ويدل قوله: ﴿فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيۡنَا﴾ على أن غفران الذنب وقبول التوبة نعمة منه تعالى.

ويدل قوله: ﴿فَذَكِّرۡ﴾ على وجوب الدعاء إلى الله تعالى، والأمر بالمعروف، وتذكير الأدلة وبيانها.

وتدل على نفي كل صفة توجب تهمة ونقصًا عن النبي ﷺ، والقوم لما عجزوا عن معارضة الحجة عدلوا إلى سوء المقال، وكانوا يعلمون أنه ليس بمجنون، ولا ساحر، ولا شاعر؛ لكن لما لم يجدوا مخلصًا عدلوا إلى مثل هذا[1] المقال، وكانوا يعلمون أنه ليس بمجنون، وهكذا عادة أهل البدع مع أهل الحق أهل التوحيد والعدل.

وتدل أن القوم كانوا متحيرين لم يدروا ما يقولون، وأنهم أعجزهم أمره.

وتدل على أن الشفق والدعاء فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

---

(١) مثل هذا: إلى سوء، ك.

قوله تعالى:

﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾
فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ
﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ
ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ
ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ
فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ
سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾﴾.

القراءة

قرأ ابن كثير: «أم هم المسيطرون» بالسين، وفي (الغاشية): ﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] بالصاد صافية، وكلها لغات صحيحة.

اللغة

الحِلْم: ترك الإعجال بالعقوبة لداعي العقل، خلاف الطَّيْشِ، والله حليم؛ لأنه يمهل العصاة، وكانوا يعدون أهل الأحلام العقلاء، ويصفونهم(١) بذلك، فسمي العقل الحلم من ذلك.

والتقول: تَخَلُّقُ الكذب، وهو تَفَعُّلٌ من القول؛ لكن لَمّا دخله معنى تكلف القول من غير حقيقة معنى يرجع إليه يستعمل في الكذب.

واليقين: اعتقادٌ تسكن النفس إليه، ومنه: وجد برد اليقين، أيقن إيقانًا ويقينًا، وتيقن تيقنًا، ورجل موقن.

والمسيطر: الجبار المسلّط على غيره بما يلزمه إياه.

(١) ويصفونهم: ويوصفونه، ك.

والمغرم: الملزم[1] بإنفاق المال من غير بذل، ومنه: الغريم، وأصله: المطالبة بإلحاح.

والمثقل: المحمول عليه ما يشق حمله لثقله.

والغيب: ما غاب عن الحواس، وقيل: ما لا يعلم ضرورة ولا دليل عليه، عن القاضي، وقيل: ما لا يعلمه إلا الله.

والكيد: فعل ما يوجب الغيظ في خفية، كاده يكيده كيدًا فهو كائد، وذلك مكيد، وكايده مكايدة.

۞ النزول

قيل: لما قالوا: ﴿نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ﴾ أنزل الله تعالى: ﴿أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ﴾ يعلمون متى يموت محمد ﷺ وإلى ماذا يؤول أمره، عن قتادة.

۞ المعنى

ثم وبخهم تعالى بقبيح ما فعلوه، فقال ـ سبحانه ـ: «أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلاَمُهُمْ» أي: عقولهم «بِهَذَا» وهذا إنكار عليهم، وإن كان على لفظ الاستفهام، يعني: ما يقولون ما يقبله العقل من وجوه:

منها: أنهم كذبوه مع ظهور المعجزات عليه، وهذا يأباه العقل.

ومنها: قولهم للقرآن: إنه شعر، ولا يقبله[2] العقل.

ومنها: أن العقل يقتضي الصحة، فكيف قالوا ما قالوا، وهم عقلاء.

وقيل: أم تأمرهم أحلامهم بعبادة الأوثان، وهي حجر لا تنفع ولا تضر، وبتكذيبك مع ما ظهر من المعجزات؟ ليس كذلك؛ بل «هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ» لطغيانهم فعلوا ذلك «أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ» يعني تَقَوَّل محمد القرآن من عند نفسه كذبًا ليس كذلك؛ «بَل لاَ يُؤْمِنُونَ» استكبارًا، فلذلك قالوا ذلك «فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ» أي: مثل القرآن في

---

(١) الملزم: المكرم، ك.

(٢) يقبله: يقبل، د، ك.

حسن نظمه وجودة معانيه، وصحة ألفاظه وفصاحته «إِنْ كَانُوا[١] صَادِقِينَ» أن محمدًا تقوله من تلقاء نفسه، وذلك أن النبي ﷺ منهم، ويتكلم بلغتهم، فلو قدر هو على القرآن لقدروا هم، فعجزهم عن مثله يدل على أنه ليس من قِبَلِهِ، وأنه منزل عليه من قبل[٢] ربه «أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ» قيل: من غير خالق ورب، عن ابن عباس، وأبي علي، وهو أوجه، وقيل: من غير أب وأم، ومن غير نطفة وعلقة، لا تقوم لله عليهم حجة، أليس خلقوا من نطفة، ثم من علقة، ثم من مضغة، ثم طفلاً، عن عطاء، وقيل: أم خلقوا عبثًا، وتركوا سدى، لا يؤمرون ولا ينهون، عن ابن كيسان، تقديره: أم خلقوا لغير شيء، فوضع (من) موضع اللام «أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ» لأنفسهم، وكيف يقولون، فهم في حال كمال القدرة والعلم لا يقدرون على جزء، فكيف في حال النقص؟ وجرو الموت يقدرون على خلق بشر سوي «أَمْ خَلَقُوا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ» وأنعم بهما وما فيهما ليس فيهم مَنْ خلقه، بل خلقه الله تعالى «بَل لاَ يُوقِنُونَ» أي: لا يعلمون لقلة تدبرهم في الأدلة «أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ» قيل: المطر والرزق، عن ابن عباس، وقيل: النبوة، عن عكرمة، وقيل: عِلْم ما يكون، وقيل: مقدوراته، فلا يأتون إلا ما يحبون، وأمنوا ما يكرهون، عن أبي علي. «أَمْ هُمُ الْمُسَيْطِرُونَ» قيل: أم هم الأرباب، عن أبي عبيدة، وقيل: المسيطرون[٣] الجبارون، قيل: المالكون للناس، المسلطون عليهم، القاهرون لهم، عن أبي علي. وقيل: أم هم المسلطون فليس لهم مقوم ولا ملزم «أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ» سبب ومرقاة يصعدون السماء، ويستمعون الوحي، ويدعون أنهم سمعوا هناك ما هم عليه من الدين حتى قيل: يستمعون، فيدعون علم الغيب بما يستمعون من كلام الملأ الأعلى «فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُمْ» أي: من استمع «بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ» بحجة ظاهرة «أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ وَلَكُمُ الْبَنُونَ» أي: لو جاز عليه اتخاذ الولد لما اختار البنات على البنين، فقد أخطؤوا[٤] من وجهين: أحدهما:

---

(١) كانوا: كنتم، د.
(٢) قبل: -، ك.
(٣) المسيطرون: المسلطون، د.
(٤) أخطؤوا: أخطاوا، د، ث، ك.

جواز الولد، وثانيهما: اختيار الأدون «**أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا**» أي: جُعْلاً على ما أديت من الرسالة، يعني أتركوا تصديقك لأجل أنك تسألهم مالاً؟ «**فَهُمْ مِنْ مَغْرَمٍ**» أي: من غرم يلزمهم «**مُثْقَلُونَ**» مجهودون، يشق عليهم حمل ذلك الغرم «**أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ**» أي: علم الغيب حتى يعلموا أن ما يخبرهم به[1] الرسول من البعث والقيامة باطل، وقيل: لما قالوا «**نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ الْمَنُونِ**» بين أعندهم الغيب حتى يعلمون إلى ماذا يؤول أمره ومتى يموت، عن قتادة، وقيل: أعندهم اللوح المحفوظ، عن ابن عباس. «**فَهُمْ يَكْتُبُونَ**» في اللوح، ويخبرون به الناس، عن ابن عباس، أم عندهم ـ بخلاف ما تَعِدُهُم ـ كتاب معجزة، يكتبون منه ما يقولون، وقيل: فهم يكتبون، أي: يحكمون والكتاب الحكم، عن القتيبي. «**أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا**» أي: مكرًا بك، وتدبير سوء في السر في بابك على ما دبروه في دار الندوة «**فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ**» الممكور بهم، يدبر الله عليهم فيأتيهم من حيث لا يحتسبون، ويعود الضرر عليهم، قيل: خرجوا يوم بدر بطرًا ورياء، فقتلوا جميعًا، وقيل: يعاقبهم يوم القيامة «**أَمْ لَهُمْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ**» أي: من يستحق العبادة «**سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**» براءة لله عن شركهم.

۞ الأحكام

تدل الآيات على حجج وإلزامات عليهم في مخالفتهم لرسول الله.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على أن الكفر والتكذيب فعلهم، ليس بخلق الله تعالى؛ إذ لو كان خلقًا له، لكان أولى الأعذار أن يقولوا: لا وجه من هذه الوجوه، ولكن خَلَقْتَ فينا الضلال والكفر، فكان أوضح حجة، تعالى الله عن قولهم.

وتدل على أن غير الله تعالى لا يعلم الغيب، فيبطل قول الإمامية في الإمام.

(١) به: -، ك.

قوله تعالى:

﴿وَإِن يَرَوۡاْ كِسۡفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطٗا يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ ٤٤ فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ ٤٥ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٦ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ عَذَابٗا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٧ وَٱصۡبِرۡ لِحُكۡمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ وَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ٤٨ وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ ٤٩﴾.

القراءة

قرأ عاصم وابن عامر والأعمش: «يُصعَقون» بضم الياء وفتح العين، من صُعِق، الباقون بفتح الياء، من صَعق، قال الفراء: هما لغتان، نحو: سَعِد وسُعِد.

قراءة العامة: «وإدبار» بكسر الألف، وقرأ سالم بن أبي الجعد وزيد عن يعقوب بفتح الألف، يعني: بعد غروب النجم.

اللغة

الكِسْفَةُ: القطعة من الغيم بقدر ما تكسف ضوء الشمس، والكِسْفُ في السماء: القطعة، وقرئ: «كسفا» بسكون السين وفتحها، فمن قرأ بالفتح فهو جمع كِسْفَةٍ، وهي القطعة، ونظيره: كِسْرَةٌ وكِسَرٌ، ومن قرأ بسكون السين على التوحيد، فجمعه: أكساف وكسوف، وقيل: كِسْفٌ جمع كِسْفَةٍ[1]، نحو: سِدْرَةٍ وسِدْرٍ، وأصل الباب من كسفت الشيء: غطيته، ومنه كسوف الشمس، كَسَفَتْ الشمس وانكسفت، والكسوف: صفرة في الوجه، ورجل: كاسف مهموم، وكسف باله: ضاق عليه أمله.

والسحاب: الغيم، وأصله من السحب، سمي بذلك؛ لأنه يسحب في السماء.

والمركوم: الموضوع بعضه على بعض، ركمت الشيء ألقيت بعضه على بعض، وسحاب مرتكم وركام.

(١) كسفة: كسيفة، د.

والصعق: الغشيان والموت، ومنه قوله: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا﴾ [الأعراف: ١٤٣] أي: غشي عليه، وقوله: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الزمر: ٦٨] أي: ماتوا.

والنجم معروف، وأصله من الطلوع، نَجَمَ النبتُ، ونَجَمَ القَرْنُ والسِّنُّ.

الإعراب

﴿يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾، جزم (يقولوا) لأنه جواب لقوله: ﴿وَإِن يَرَوۡاْ﴾.

﴿ فَسَبِّحۡهُ[1] وَإِدۡبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ أي: في ذلك الوقت.

النزول

قيل: قالوا: أَوَتُسْقِطُ السماء كما زعمت علينا كسفًا، فنزل الله تعالى هذه الآية، فقال: لو سقط ما آمنوا، ولقالوا: سحاب مركوم.

المعنى

ثم أخبر تعالى عن جهلهم، وعقبه بالوعيد تسلية له، وأمرهم بالصبر والتسبيح، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ**» قيل: قِطْعَةً و قِطَعًا على حسب اختلافهم في أنه جَمْعٌ أو واحد «**سَاقِطًا**» عليهم «**يَقُولُوا**» لفرط عنادهم «**سَحَابٌ مَرْكُومٌ**» أي: غيم ركب بعضه بعضًا يقينًا «**فَذَرْهُمْ**» أي: دعهم، وذلك وعيد لهم «**حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ يُصْعَقُونَ**» قيل: يموتون، فإن عند الموت تبتدئ الصواعق، وقيل: يهلكون، وقيل: هو يوم القيامة، والصعق عند النفخة الأولى «**يَوْمَ لَا يُغْنِي**» أي: لا يكفي «**عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ**» تدبيرهم واحتيالهم «**شَيْئًا**» من عذاب الله النازل بهم «**وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ**» لا ينصرهم أحد بدفع العذاب «**وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا**» كفروا من هؤلاء «**عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ**» أي: دون عذاب النار، وقيل: هو عذاب القبر، عن البراء بن عازب، وابن عباس، وقيل: هو القتل ببدر، عن ابن عباس بخلاف، وقيل: الجوع والقحط سبع سنين، عن مجاهد، وقيل: وقت البشارة، وقيل: عموم ذلك «**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا**

---

(١) فسبحه: وسبح، د، ك.

«يَعْلَمُونَ» أن العذاب نازل بهم، وقيل: لا يعلمون صحة نبوتك، وإن كان فيهم من يعلم، فيجحد محاماة على أسباب الدنيا من مال أو رئاسة[1] وشرف «وَاصْبِرْ» على أذى قومك في تبليغ رسالتك، «لِحُكْمِ رَبِّكَ» لِمَا حكم الله عليك من تبليغ رسالته، وقيل: فاصبر على أذاهم، حتى يَرِدَ أمر الله بتخليصك «فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا» أي: برأينا، وقيل: بحفظنا «وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ» قيل: نزهه عما لا يليق به، واحمده على جميع آلائه «حِينَ تَقُومُ» قيل: من نومك، عن أبي الأحوص، وقيل: حين تقوم إلى الصلاة، فقل: سبحانك اللهم وبحمدك إلى آخره، عن الضحاك، وابن زيد، وتقديره: صَلِّ لأمر ربك حين تقوم من منامك، وقيل: صل بحمد ربك حين تقوم من نوم القائلة، عن زيد بن أسلم، وذلك صلاة الظهر، وقيل: الركعتان قبل صلاة الفجر، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، أي: حين تقوم من الفراش، وقيل: حين تقوم من المجلس فقل: سبحانك اللهم وبحمدك، لا إله إلا أنت، اغفر لي وتب عليّ، عن عطاء، وسعيد بن جبير، وروي مرفوعًا أنه قال: «إنه كفارة المجلس»، وقيل: حين تقوم إلى الصلاة، قل: الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلاً، عن الضحاك، وقيل: اذكر الله بلسانك حين تقوم إلى أن تدخل في الصلاة، عن الكلبي. ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَسَبِّحۡهُ﴾ قيل: صل له صلاة المغرب والعشاء، وقيل[2]: في أوقات الليل. «وَإِدْبَارَ النُّجُومِ» ركعتي الفجر عن علي (عليه السلام)، وابن عباس، وأنس بن مالك، وجابر، وقيل: صل[3] صلاة الصبح المفروضة، عن الضحاك، وقيل: أراد نَزِّهْهُ في جميع أحوالك ليلاً ونهارًا، وقيل: لا تغفل عن ذكره صباحًا ومساء، فلا يغفل عنك وعن حفظك، وروي عن علي عليه السلام أنه سأل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عن إدبار النجوم؟ فقال: «الركعتان قبل الغداة» وعن أدبار السجود؟ فقال: «الركعتان بعد المغرب».

---

(١) أو رئاسة: ورياسة، د.
(٢) في الصلاة عن الكلبي... وقيل: +، ك.
(٣) صل: من، د.

❁ الأحكام

يدل قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ[1] أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: ﴿وَٱصْبِرْ﴾ على وعيد لهم بالجزاء، وعلى وجوب الصبر على تحمل الأذى في أداء الرسالة.

ويدل قوله: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ أنه تضمن حفظه وحياطته حتى يُبَلِّغَ.

ومتى قيل: هل يجوز أن يخلي بينه وبين أعدائه فَيُقْتَلَ؟

قلنا: قبل الأداء لا؛ لما فيه من تفويت المصالح، وبعد الأداء يجوز، ويصير بمنزلة موته.

ويدل قوله: «فسبح» على وجوب تنزيهه عما لا يليق به من الصفات والأفعال، خلاف قول المجبرة والمشبهة.

ومتى قيل: ﴿بِأَعْيُنِنَا﴾ يدل على إثبات عين له؟

قلنا: الظاهر أن له أعين، وهذا لا يقول به أحد، فإذًا المراد ما ذكرنا.

(١) ولكن: بل، د، ك.

سُورَةُ النَّجْمِ

سورة (والنجم)، وهي مكية، وآياتها اثنتان[1] وستون آية بالأعداد الكوفية، وستون في البصرية.

وعن أبي، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (والنجم) أعطي من الأجر بعدد من صدّق بمحمد، ومن جحد به».

ولما ختم سورة (الطور) بحديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ووعيد مَنْ كَذَّبَهُ، وأمره بأن يصبر، افتتح هذه السورة بذكره ﷺ، وأنه حق، وما جاء به وحي، فاتصل به اتصال النظير بالنظير.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿وَٱلنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (٣) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ (٤) عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ (٥) ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ (٦) وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ (٧) ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ (٨) فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ (٩) فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ (١٠)﴾.

---

(١) اثنتان: اثنان، ك.

۞ القراءة

قرأ حمزة والكسائي بالإمالة[١] لأواخر[٢] الآي في[٣] هذه السورة وأشباهها كل القرآن، وقرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو، بين الفتح والكسر، ومعناه أنه بالفتح إلا أنهم لا يفتحون فتحًا شديدًا، والباقون بالفتح والتفخيم، وابن كثير وعاصم أشد تفخيمًا في ذلك.

۞ اللغة

النجم: الكوكب، سمي نجمًا لطلوعه، نَجَمَ القَرْنُ والسن والنبت إذا طلع.

والهُوِيُّ والنزول والسقوط نظائر، هَوَى يَهْوِي هُوِيًّا، نحو مضى مضيًّا، وأَهْوت الناقة تهوي هويًا فهي[٤] هاوية إذا عَدَتْ عدوًا شديدًا، كأنه في هواء، ومنه: الهاوية؛ لأنها تهوي بأهلها من أعلاها إلى أسفلها.

والغي: الخيبة، غَوَى يَغْوِى، ومنه الغواية.

والوحي: إلقاء المعنى إلى النفس في خفية.

والقوة: القدرة، وأصله الشدة، والجمع: القوى.

والمِرَّة: شدة الفتل، وجمعها: مِرَرٌ، وحقيقة المِرَّة: اعتدال الخَلْق، وأمررت الحبل: فتلته، والمفتول: مَرِيرٌ، والأَمَرَّان: المرض والهرم لشدتهما.

وأصل الاستواء: الاعتدال، ثم سمي الاستيلاء والقصد والاستقرار بذلك.

والأفق: ناحية السماء، وهي آفاق، قال الشاعر:

لَـقَـدْ سَـافَـرْتُ فِـي الْآفَـاقِ حَـتَّـى ... رَضِـيـتُ مِـنَ الْـغَـنِـيـمَـةِ بِـالْإِيَـابِ[٥]

---

(١) الإمامة: -، ك.

(٢) لأواخر: أواخر، ث، أواخر لها، ك، وهي غير واضحة.

(٣) الآي في: -، ث، ك.

(٤) فهي: فهو؛ ث، د، ك.

(٥) البيت قائله أمرئ القيس في قصيدة مطلعها:

أرانـا مـوضـعـين لأمـر غـيـب ... ونـسـحـر بـالـطـعـام وبـالـشـراب

أنظر ديوان أمرئ القيس، دار صادر، بيروت.

والتدلي: الامتداد إلى جهة السفل، تدلى الغَرْبُ تدليا، ودَلاَّه صاحبه تَدْلِيَةً، ومنه: أدلى دلوه، أي: أرسلها ليملأها.

قاب قوسين: قدر[1] قوسين[2]، والقاب والقِيبُ، والقادُ والقِيدُ[3] عبارة عن مقدار الشيء، ونظيره في اللفظ: زير[4] وزار.

الإعراب

«**والنجم**» كسر؛ لأنه أقسم به، وقيل: فيه إضمار، أي: ورب النجم، فيكون جُرّ بالإضافة إليه، وجواب القسم: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ﴾.

«**قاب**» نصب لأنه خبر «**كان**»، واسمه محذوف تقديره: فكان دنوه قاب قوسين.

وفي قوله: «**وهو**» قولان: قيل: رفع؛ لأنه ابتداء وخبر، وقيل: إنه معطوف على الفاء في قوله: «**فاستوى**».

النزول

قيل: إن المشركين قالوا: ضل محمد عن الدين وغوي، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأقسم بأنه ما ضل وما غوى.

المعنى

«**وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى**» قيل: الثريا إذا سقطت، وغابت مع الفجر، عن ابن عباس، ومجاهد، قال ابن زيد: هي سبعة أنجم، ستة ظاهرة، وواحد خفي، يمتحن الناس به أبصارهم، والعرب تسمي الثريا نجمًا، وإن كان نجومًا، وقيل جماعة النجوم إذا هوت للغرب، وغابت وخفيت، ولفظه للواحد ومعناه الجمع؛ لأنه أراد الجنس، عن

(١) قدد: +، ك.
(٢) قوسين: قوس، د.
(٣) والقاد والقيد: القاد القيد، د.
(٤) زير: زيد، ك.

مجاهد. وقيل: إذا طلع وغرب؛ لأن حركاتها توصف بالهوي، عن أبي علي. وقيل: جماعة النجوم إذا أشرقت[1] وسقطت يوم القيامة، عن الحسن. وقيل: هو الرُّجُوم يرمى بها الشياطين عن استراق السمع، عن ابن عباس. وقيل: هو القرآن ينزل ثلاث آيات، وأربع آيات، وسورة، وكان بين أوله وآخره ثلاث وعشرون سنة، عن الضحاك، والكلبي، والمجاهد. والعرب تسمي التفريق تنجيمًا، ومنه نجوم الدين، وقيل: هي النبت، وهويه: سقوطه في الأرض، ليس له ساق، عن الأخفش، وقيل: هو محمد ﷺ نزل من السماء السابعة ليلة المعراج، عن الصادق، وروي أن عتبة بن أبي لهب جاء إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم وطلّق ابنته، وتفل في وجهه، وقال: كفرت برب النجم، فقال: «اللهم سلط عليه كلبًا من كلابك»، فسلط عليه أسدًا في طريق الشام وحوله جماعة يحفظونه، ففي ذلك يقول حسان:

مَنْ يرجع العَامَ إلى أهله ... فما أُكَيْلُ السَّبِعْ بالرَّاجعِ

قد كان هذا لكم عبرةٌ ... للسَّيِّدِ المتبوع والتابعِ[2]

«مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ» يعني محمدًا ﷺ «وَمَا غَوَى» قيل: ما فارق الحق إلى الضلال، وما غوى فيما يؤديه إليكم، وقيل: ما ضل فيما يؤدي، ولا خاب فيما تَحَمَّلَ؛ لأنه تعالى يثبته بجبريل[3] «وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى» أي: لا يتكلم عن جهة نفسه في أمور الشرع، يعني فيما أمر وشرع «إِنْ هُوَ إِلاَّ وَحْيٌ يُوحَى» إليه «عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى» قيل: هو جبريل، وهو القوي في نفسه وخلقته، عن ابن عباس، وقتادة، والربيع، وقيل: هو الله تعالى، ومعنى «شَدِيدُ الْقُوَى» أي: القوي[4] القادر، وقيل: ذو مضاء في أمره «ذُو مِرَّةٍ» قيل: هو جبريل ذو قوة، عن مجاهد، وسفيان، والربيع، وابن زيد، وقيل: ذو صحة وخلق حسن، عن ابن عباس، وقتادة، قال الكلبي: ومن قوته أنه اقتلع قريات قوم لوط في الماء الأسود، ورفعها إلى السماء وقلبها، ومن شدته

(١) أشرقت: شرقت، د.
(٢) أنظر ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، ٢٠٠٦.
(٣) يثبته جبريل: يثبه الجزيل، د.
(٤) أي القوي: +، ك.

صيحته بثمود حتى هلكوا، ومن شدته نزوله من السماء إلى الأرض وصعوده في ساعة، وقيل: «ذُو مِرَّةٍ» أي: ذو مرور في الهواء ذاهبًا وجائيًا، نازلاً وصاعدًا، عن أبي علي، وقيل: شديد القوى في أمر الله، ذو مرة في حدّه، عن أبي علي، وقيل: «ذوّ مَرَّةٍ»، أي: شديد حفظه لما يحمله الله من الوحي، وقيل: هو الله تعالى ذو مرة، أي: ذو قوة، أي: ذو مضاء على ما قدمنا «فَاسْتَوَى. وَهُوَ بِالْأُفُقِ الأَعْلَى» اختلفوا في قوله: «استوى» وهو على ثلاثة أقوال:

أولها: أنه كناية عن جبريل ومحمد ﷺ، ثم اختلفوا، فقيل: استوى محمد وجبريل(١)، فاستوى كناية عن جبريل ومحمد ـ صلى الله عليهما ـ، وقيل: استويا في القوة والصعود إلى السماء، وقيل: استويا في العلم بالوحي.

وثانيها: أنه استوى جبريل أي: ارتفع وعلا في السماء بعد أن عَلَّمَ محمدًا، عن سعيد بن المسيب، وقيل: «فاستوى» أي: قام في صورته التي خلقه الله تعالى عليها، وهو بأفق السماء، وذلك أنه كان يأتي النبي ﷺ وآله وسلم(٢) في صورة آدمي، فسأله أن يريه نفسه في صورته، فأراه مرتين، مرة في الأرض، ومرة في السماء، وقيل: استوى اعتدل واقفًا في الجو؛ لأن النازل في الجو يكون منحطًا، فاستوى حتى رآه النبي ﷺ(٣). وقيل: استوى جبريل وهو بالأفق، عن الربيع، وقيل: اعتدل واقفًا في الهواء بعد أن كان ينزل بسرعة ليراه النبي ﷺ(٤)، عن أبي علي.

وثالثها: أن «استوى» كناية عن الله تعالى؛ أي: بنى الدنيا، ثم استوى بأمره إلى السماء، عن الحسن، والأول هو الوجه لاتصاله بـ «دَنَا فَتَدَلَّى»، وذلك لا يليق إلا بجبريل، ولأنه لا يجوز المكان على الله تعالى، وصرفه عن ظاهره مع إمكان حمله عليه لا يجوز.

«وَهُوَ بِالْأُفُقِ الأَعْلَى» الناحية الأعلى، قيل: مطلع الشمس، الذي يجيء منها

---

(١) محمد وجبريل: جبريل ومحمد، ك.
(٢) وآله وسلم: -، ك.
(٣) وآله وسلم: -، ك.
(٤) وآله وسلم: -، ك.

النهار، عن قتادة، وقيل: هو السماء، عن أبي علي، وروي أنه ﷺ رأى جبريل مرتين: مرة في الأرض، ومرة في السماء، أما في الأرض ففي الأفق الأعلى؛ لأنه كان محوا فبدا، أتى جبريل من المشرق، وبالأفق إلى المغرب، فخر النبي[1] ﷺ[2] مغشيًّا عليه، فنزل جبريل في صورة آدمي، وضمه إلى نفسه، وجعل يمسح الغبار عن وجهه. وأما في السماء فعند سدرة المنتهى، ولم يره أحد من الأنبياء على تلك الصورة غير محمد ﷺ «ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى. فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى» قيل: دنا جبريل بعد استوائه بالأفق من الأرض فتدلى، قيل: إلى محمد بالوحي، وأهوى إليه، فكان بينهما «قَابَ قَوْسَيْنِ» أي: قدر قوسين، «أَوْ أَدْنَى» قيل[3]: بل أدنى، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، والربيع، وقيل: في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: ثم تدلى فدنا؛ لأن التدلي سبب الدنو «فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ» قيل: قدر قوسين، عن ابن عباس، وعطاء، وجماعة، وقيل: قاب قوسين حيث الوتر عن القوس، عن مجاهد، وقيل: أراد تأكيد القرب عند الوحي، وقيل: قدر ذراعين، عن سعيد بن جبير، وعطاء، وسفيان، وقيل: قدر الوتر من القوس مرتين، عن ابن مسعود «أَوْ أَدْنَى» قيل: بل أدنى، وقيل: وأدنى، وقيل: على شك المخاطب، أي: عندك قدر قوسين أو أدنى «فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ» قيل: أوحى الله إلى عبده، وقيل: أوحى جبريل إلى عبد الله ما أوحى [إليه ربه عزّ وجلّ][4]، عن الحسن والربيع، وابن زيد. «مَا أَوْحَى» قيل: أوحى إليه من كلامه، وأمره ونهيه، عن أبي علي، وقيل: أوحى إليه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَـَٔاوَىٰ﴾ [الضحى: ٦] إلى قوله: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، عن سعيد بن جبير، وقيل: أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها أنت، وعلى الأمم حتى تدخلها أُمَّتُك، وسئل أبو العباس بن عطاء عن هذه الآية؟ فقال: كيف أصف لكم مقامًا انقطع عنه جبريل وميكائيل وإسرافيل، وعن بعضهم: كان بينهما سِرٌّ كسر المحبين، وأنشد:

---

(١) النبي: رسول الله، ك، د.
(٢) وآله وسلم: -، ك.
(٣) قيل: -، ك.
(٤) الزيادة من تفسير البغوي، ٧/ ٤٠٢.

بَيْنَ الْمُحَبِّينَ سِرٌّ لَيْسَ يُفْشِيهِ ... قَوْلٌ وَلاَ قَلَمٌ لِلْخَلْقِ يَحْكِيهِ[١]
سِرٌّ يُمَازِجُهُ أَنَسْ يُقَابِلُه[٢] ... نُورُ تَحَيَّزَ فِي بحر[٣] من التيه[٤]

والصحيح ما حكيناه، عن أبي علي.

وأما من حمل الاستواء والقرب والتدلي على الله تعالى فقد أحال؛ لأنها من صفات الأجسام، ولو جاز عليه لدل على حدوثه، وقد روي أن ذلك جبريل، عن ابن عباس، وابن مسعود، وعائشة، وجماعة من التابعين، على ما تقدم.

۞ الأحكام

يدل قوله: «**والنجم**» على عظم موقعه في القدرة والنعمة، ولا مانع من حمله على ظاهره حتى يصرف إلى وجه آخر مجازًا.

وتدل الآيات على عصمة النبي، وأنه قط ما ضل وما غوى، وما نطق إلا بوحي؛ لأنه أطلق ولم يفصل بين حال وحال.

ومتى قيل: فوجب ألا يصح منه أن يجتهد؟

قلنا: لو صدر عنه الاجتهاد لكان[٥] عن وحي، كاجتهاد العلماء.

وتدل أن الدنو والتدلي كان من جبريل؛ لأنه عطفه على قوله: ﴿عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ﴾ وعلى ما رويناه عن جماعة من الصحابة والتابعين، فلا تعلق به لجهال المشبهة.

(١) في ك: لكنه.
(٢) أنس يقابله: التين مقابله؛ ث، د.
(٣) بحر: محرم؛ ت، د، ك.
(٤) ورد البيت في كتاب (عقلاء المجانين) لابن حبيب النيسابوري ص٢١٨؛ والطبرسي، مجمع البيان، ح ٢٩ ص ٢٨٩ سر يمازجه أنس يقابله نور تحيز في جو من التيه.
(٥) لكان: -، ك.

قوله تعالى:
﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾.

القراءة

قرأ ابن عباس والحسن، وقتادة، وأبو جعفر: «**ما كَذَّبَ الفؤاد**» بتشديد الذال، أي: ما كذب قلب محمد ما رأى بعينه تلك الليلة؛ بل صدقه وحققه. وقرأ القراء السبعة بالتخفيف، أي: ما كَذَبَ فؤاده فيما رأى.

وقرأ علي، وابن عباس، وابن مسعود، وعائشة، ومسروق، وإبراهيم النخعي، وحمزة والكسائي، وخلف، ويعقوب: «**أَفَتَمْرُونَهُ**» بفتح التاء من غير ألف على معنى: أفتجحدونه، وأجازه أبو عبيد، قال: لأنهم لم يماروه، وإنما جحدوه، تقول العرب: مريت الرجل حقه، أي: جحدته.

وقرأ سعيد بن جبير، وطلحة بن مصرف: «**أَفَتُمْرُونَهُ**» بضم التاء من غير ألف أي: ترمونه وتشككونه[1].

وقرأ الباقون: «**أفتمارونه**» بالألف وضم التاء على معنى: أفتجادلونه، وهو اختيار أبي حاتم.

قراءة العامة: «**جنة المأوى**» بالتاء، وقرأ محمد بن كعب: «**جَنَّهُ**[2]» بالهاء، والهاء كناية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم، قال أبو حاتم: وهي قراءة علي وأنس، بمعنى: سَتَرَهُ، وقال الأخفش: أدركه.

اللغة

الرؤية: إدراك المرئي، رأى يرى رؤية، فهو راءٍ، والرؤية قد تكون تخيلاً، كرؤية

(١) ترمونه وتشككونه: رمونه وشككونه، ك، د.
(٢) جنة: جنته، ك، د.

السراب يظنه ماء لبعده ولمعانه، ورؤية النوم: تَصَوُّرٌ واعتقاد بالقلب، ورؤية بالقلب وهو العلم، وكل ذلك تَوَسُّعٌ.

والمراء: الجدال بالباطل والشك، وأصله من مَرْيِ الضرع لِيدِرَّ[1]، وهو لا يمتنع عن اللبن، ولأنه[2] باطل كذلك جداله باطل.

والنَّزْلَةُ: المرة من النزول.

والمنتهى: التي يُنتهى إليها فلا يتجاوز عنها.

والغِشْيان: لباس الشيء بما يغمه، غشيه يَغْشاهُ غشيانًا، ومنه: الغاشية.

والزيغ: الميل والذهاب عن الحق المطلوب، يقال: زاغ بصره وقلبه، يزيغ زيغًا.

والطغيان: طلب العلو بظلم غيره، طغى طغيانًا، والطاغي مثل الباغي، وهم الطغاة والبغاة.

۞ الإعراب

(ما) الأولى للنفي، و(ما) الثانية بمعنى (الذي)، وكذلك الثالثة، والرابعة.

السدرة: نصبت بـ (يَغْشَى).

«**أفتمارونه**» أفتفاعلونه، وتمرونه: تفعلونه.

﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ من آياته، محل[3] قوله: (كبرى) نصب بـ (رأى).

۞ النزول

قيل: لما أسري برسول الله ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وأصبح بمكة، فأخبر بها، وقد حضره أبو جهل وجماعة، فأخذوا يجادلونه ويجحدونه، فنزل فيهم:

---

(١) ليدر: ليدين، د، ك.
(٢) ولأنه: ولاه، ت.
(٣) محل: محمل، ت، ك.

﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ [عَلَىٰ مَا يَرَىٰ]﴾ الآيات، وكان المسرى بمكة، بعد موت أبي طالب من المسجد. وقيل: من بيت أم هانئ، أسري به بعدما صلى العشاء الآخرة، وعاد إلى مكة قبل الفجر.

المعنى

ثم بيّن تعالى ما رآه النبي ﷺ وحقق رؤيته، فقال ـ سبحانه ـ: «مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى» أي: ما كذب فؤاد محمد ما رأى بصره في ذلك الوقت، وتكذيب الفؤاد إيهامه أنه يرى شيئًا ولا يراه كالرائي السراب، وتقديره: ما كذب الفؤاد فيما رأى، واختلفوا في الذي رآه، قيل: جبريل على صورته التي خلقه الله تعالى عليها، عن ابن مسعود، وعائشة، وقتادة، وقيل: ما رأى من مقدور الله وملكوته، عن الحسن، وقيل: رأى ربه رواية عن ابن عباس، وهذا بمعنى عَلِمَهُ، زيادة عِلْم بما رأى من آيات محددة[1]، فعند ذلك ازداد يقينًا، كقول إبراهيم: ﴿لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠] وإن كان عَلِمَ قبل ذلك.

وزعم جماعة من المشبهة، وممن تكلم في هذه الآية أن محمدًا ﷺ رأى ربه ليلة المعراج، ورووا ذلك عن ابن عباس وأنس بن مالك والربيع، ورووا أخبارًا تتضمن تشبيهًا عظيمًا، ثم رووا على الضد من ذلك عن جماعة من الصحابة والتابعين، فرووا عن ابن عباس أيضًا ومحمد بن الحنفية عن أبيه علي بن أبي طالب، أنه رآه بقلبه ولم يره بعينه، ورووا عن محمد بن كعب أن النبي ﷺ سئل هل رأيت ربك؟ فقال: «رأيته بقلبي، ولم أره بعيني»، ورووا عن أبي ذر وأبي سعيد الخدري أن النبي ﷺ سئل عن قوله: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ﴾ قال: «رأيت نورًا» ومثله رووا عن مجاهد وعكرمة.

ورووا عن عبد الرزاق عن أبي عيينة، عن مجالد بن سعيد، عن عامر الشعبي، عن عبد الله بن الحارث، عن ابن عباس، أنه قال: إن محمدًا رأى ربه، قال الشعبي: فأخبرني مسروق، قال: سألت عائشة عن ذلك، فقالت: إنك لتقول قولاً، إنه لَيَقِفُ

(١) محددة: مجردة، ك.

شَعْرِي منه، قال مسروق: قلت: رويدًا يا أم المؤمنين، وقرأت عليها: ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ حتى انتهيت إلى قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ﴾ فقالت: رويدًا، أين يذهب بك؟ إنما رأى جبريل في صورته، مَنْ حدثك[1] أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، والله ـ تعالى ـ يقول: ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، وَمَنْ حدثك أن محمدًا يعلم الخمس من الغيب فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلۡمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤] ومن حدثك أن محمدًا كتم شيئًا من الوحي فقد كذب، والله تعالى يقول: ﴿مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

ولأنه قد ثبت بالدليل أنه تعالى ليس بمرئي؛ أي[2]: في ذاته، وقد بين النبي ﷺ لما سئل أرأيت ربك؟ فقال: «نورٌ أنَّى[3] أراه»، فأشار إلى أن المرئي[4] إما أن يكون جوهرًا[5] أو لونًا، وقد بين الله ـ سبحانه ـ وتعالى بيانًا شافيًا، فقال: ﴿لَقَدۡ رَأَىٰ مِنۡ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ﴾، وقال: ﴿وَلَقَدۡ رَءَاهُ نَزۡلَةً أُخۡرَىٰ ۝١٣ عِندَ سِدۡرَةِ ٱلۡمُنتَهَىٰ﴾، ولا يجوز عليه المكان.

«**أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى**» أتجادلونه، وتمرونه تجحدونه «**وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى**» أي: مرة أخرى[6]، قيل: جبريل، عن ابن مسعود، وعائشة، ومجاهد، والربيع، قالوا: رآه في صورته التي خلقه الله تعالى عليها مرتين، مرة في الأفق الأعلى على ما تقدم، ومرة عند سدرة المنتهى، وقيل: رأى ربه بقلبه، عن ابن عباس، يعني لما رأى من ملكوته ثَمَّ[7]، والأول أوجه، وعليه تحمل الآية، وتقديره: نزلة، أي: رآه نازلاً نزلة أخرى، وعن عائشة: قالت: أنا أول من سأل النبي ﷺ عن هذه الآية فقال: «هو جبريل»، «**عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى**» قيل: شجرة النبق[8]، وقيل: سدرة المنتهى؛ لأن رؤية

---

(١) حدثك: زعم، د، ك.
(٢) أي: -، ك.
(٣) أنى: أن، ك.
(٤) المرئي: المراي، د.
(٥) وإما: أو؛ ث، د، ك.
(٦) أي مرة أخرى: +، ك.
(٧) ثم: تم، د.
(٨) النبق: التين، ك.

الملائكة إليها تنتهي، في معنى قول كعب، وقيل: سدرة المنتهى في السماء السابعة، إليها ينتهى ما يعرج إلى السماء، وما يهبط من فوقها من أمر الله، عن ابن مسعود، والضحاك، وقيل: لأنه ينتهي إليها أرواح الشهداء، وقيل: لأنه ينتهي إليها علم كل عالم، عن كعب، وقيل: ملائكة السماء تنتهي إليها صاعدًا، وحملة العرش نازلاً، فيجوز أن يكون[1] متعبد الملائكة تحته، وقيل: ينتهي إليها كل من مات على سنته، وقيل: هو سدرة في أصل العرش على رؤوس حملة العرش، عن كعب، وروي مرفوعًا، وروي أنه في أصلها أنهار، وهي شجرة يسير الراكب في ظلها سبعين عامًا لا يقطعها، وقيل: هي طوبى، عن مقاتل، وقيل: أراد الشجرة التي بايع تحتها بيعة الرضوان، وعندها كان استحقاق الجنة، كقولهم: «الجنة تحت ظلال السيوف»، وقيل: هي عن يمين العرش، وهي منزل الشهداء، عن ابن عباس. **«عِنْدَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى»** أي: جنة الخلد، وهي في السماء السابعة، والمأوى: المصير، أي: يصير إليه أهل الجنة، وقيل: هي الجنة التي كان آوى إليها آدم، وتصير إليها أرواح الشهداء والمؤمنين بعد وفاتهم، عن أبي علي. **«إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى»** قيل: غشيها فراش الذهب، عن ابن مسعود، ومجاهد، وإبراهيم، وعن ابن عباس بخلاف، وروي ذلك مرفوعًا، وقيل: غشيها النور والبهاء، حتى يروق الأبصار حسنها، عن الحسن، وقيل: النور والملائكة، عن الربيع، وقيل: الملائكة ينتهون إليها، الصاعدين[2] إليها، والنازلين من عند العرش، عن أبي علي.

وروى الربيع عن أبي هريرة قال: لما أسري بالنبي ﷺ فانتهى إلى السدرة، فغشيها النور[3] والملائكة، وروي عنه ﷺ، قال: «رأيت على كل ورقة من ورقها ملكًا قائمًا يسبح الله»، وقيل: فغشيها رفرف من طير خضر، وقيل: من الطيور، عن السدي، وقيل: غشيها من أمر الله ما غشيها، فتحولت ياقوتًا وزمردًا حتى ما يستطيع أحد وصفها، وقيل: غشيها جبريل في خلقته العجيبة، فَسَدَّ الأفق، وفي قوله: **«ما**

(١) يكون: تكون؛ ت، د، ك.
(٢) الصاعدين: القاعدين، ك.
(٣) النور: والنور، د.

يغشى»[1] تعظيم لما غشاه، كقوله: ﴿فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ﴾ [طه: ٧٨]. «**مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى**» أي: ما جاوز ما أمر به، ولا مال عما قصد له، يعني ما رأى إلا حقًّا وصوابًا ولم يخيل إليه، وقيل: ما مال يمينًا ولا شمالاً، وما ارتفع بأذاكم وراء الطاغي «**لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى**» قيل: هي السمواتوالملائكة، وما في السمواتمن ملكوته، وقال ابن مسعود: رأى رفرفًا أخضر من رفارف الجنة قد سد الأفق، وقيل: هي سدرة المنتهى، عن الضحاك، وقيل: رأى جبريل في صورته التي تكون في السموات عن ابن زيد، ومقاتل، وأبي علي، وقيل: المعراج وما رأى تلك الليلة في مبتدئه[2] وعَوْدِهِ.

۞ الأحكام

تدل الآيات على تحقيق ما رأى، وأنه لم يكن تخيلاً، ولا في المنام.

وتدل على أن الجنة عند السدرة في السماء السابعة، وقيل: إنه جنة الخلد، وقيل: هو الجنة التي كان فيها آدم.

وتدل على أنه رأى جبريل، وملكوت السموات

وتدل على صحة ما نقوله في المعراج، وأنه كان ذلك حقيقة، لا كما قال بعضهم.

قوله تعالى:

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ (١٩) وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ (٢٠) أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلْأُنثَىٰ (٢١) تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ (٢٢) إِنْ هِىَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ (٢٣) أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ (٢٤) فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ (٢٥)﴾.

---

(١) ما يغشى: ما غشى، ك.

(٢) مبتدئه: مبتداه؛ ت، د، ك.

القراءة

قراءة العامة: «**اللَّاتَ**» بالتاء مخففة على أنها صنم، وقرأ ابن عباس ومجاهد وأبو صالح: «**اللَّاتّ**» بتشديد التاء، قالوا: وكان رجلًا يلت السويق للحاج، فلما مات عكفوا على قبره، فعبدوه، وعن السدي أنه كان بالطائف، وكان يقوم على آلهتهم ويلت لهم السويق، فلما مات عبدوه، وعن مجاهد أنه كان ببطن نخلة، وعن الكلبي أنه كان رجلًا من ثقيف يسمى صرمة، وقيل: جعلوا له تمثالاً[1] عبدوه، واختلفوا في الوقف على اللات ومناة، فوقف بعضهم بالهاء، وبعضهم بالتاء، وكان الكسائي يقف بالهاء، قال الزجاج: الأجود أن يقف بالتاء على الكتاب، وقال بعضهم: يتبع المصحف، فما كتب بالتاء يوقف بالتاء، وما كتب بالهاء يوقف بالهاء.

قرأ ابن كثير: «**مَنَاءَةَ**» بالمد والهمز، وروى مثله الشموني[2] عن الأعمش[3] عن أبي بكر عن عاصم. وقرأ الباقون بغير همز ومد، وهما لغتان.

يقال: ضِزْتُهُ حقه: إذا منعته، وحكى ناس[4] ضَأَزَهُ مهموز، يقال: ضازَهُ يَضِيزُهُ: إذا نقصه، والأصل ضُوَزى على فُعْلَى، قال الشاعر:

فَحَقُّكَ مَضْؤُوزٌ وَأَنْفُكَ رَاغِمُ[5]

قراءة العامة: «**إن يتبعون**» بالياء، وعن بعضهم بالتاء، اعتبارًا بقوله: «**أفرأيتم.. ألكم**».

اللغة

اللات: قيل: اسم موضوع لذلك الصنم، وقيل: أخذ من الله ألحقت[6] به التاء،

---

(١) تمثالاً: مثالا؛ ت، د،ك.
(٢) الشموني: الشموفي، د، ك؛ وما أثبتناه عن زاد المسير ٩/ ٣٤١، وروح المعاني ٢/ ٢٥.
(٣) الأعمش: الأعشى، ك.
(٤) ناس: ناسًا، د، ك.
(٥) تكملة البيت:
فإن تنأ عنا ننتقصك وإن تغب ... فحقك مضؤوز وأنفك راغم
(٦) ألحقت: ألحق، ك.

كما يقال: عمرو وعمرة[١]، وعباس وعباسة، وكان المشركون يسمون أصنامهم بأسماء الله تعالى، فاللات من الله، والعزى من العزيز.

ومناة، قيل: اسم موضوع، وقيل: اسم مشتق من ناء النجم، ينوء نوءًا، وأصل النوء: النهوض، ومنه النوء من أنواء المطر؛ [والعرب تقول ناء الحمل بالبعير إذا أثقله] لأنه كان ينهض بثقل بأثقال البعير[٢] يحمله، وقيل: إنما سمي نوءًا لأن الأنواء؛ ثمانية وعشرون نجمًا معروفة المطالع، يسقط منها في كل ثلاثة عشر ليلة نجم في المغرب مع طلوع الفجر، ويطلع آخر يقابله، فكانت العرب في الجاهلية إذا سقط منها نجم قالوا: لا بد أن يكون عند ذلك مطر، ويقولون: مطرنا بنوء كذا، وإنما سمي نوءًا؛ لأنه إذا سقط الساقط منها بالمغرب ناء الطالع بالمشرق، ينوء نوءًا، وذلك النهوض هو النوء، فسمي النجم به، قال: وقد يكون النوء السقوط.

والضِّيزَى: الجائرة الفاسدة، ووزنه «فُعلى» بضم الفاء؛ لأنها صفة، والصفات لا تكون إلا فُعْلَى، نحو: حبلى وأنثى، أو «فَعْلَى» بفتح الفاء نحو: غضبى، وعطشى، وسكرى[٣]، وليس في كلام العرب فِعْلَى بكسر الفاء في النعوت، إنما يكون ذلك في الأسماء، نحو: رفلى وذكرى وشعرى، قال المؤرج: كرهوا ضم الضاد لهذه العلة، وخافوا انقلاب الياء واوًا، وهو من بنات الياء، فكسرت الضاد لهذه العلة، كما قالوا في جمع أبيض: بِيضٌ، والأصل بُيْضٌ، نحو: حُمْر وصُفْر، وتصريفه بغير همز: ضاز يَضِيزُ ضيزًا، وبالهمز: ضأز يَضْأَزُ ضأزًا: إذا ظلم ونقص الحق، وضاز يضوز ضوزًا، فالاسم من هذا ضوزى، مثل: شورى، وضُزِته بكسر الضاد وضمها، ومن العرب من يقول: ضَيْزى بفتح الضاد، ومنهم من يقول: ضَأزَى بفتح الضاد والهمز، ومنهم من يقول: ضُؤْزَى بضم الضاد والهمز.

---

(١) وعمرة: -، ك.

(٢) البعير: بالبعير، ت، د، ك.

(٣) وعطشى وسكرى: سكرى وعطشى، د.

۞ الإعراب

يقال: كيف جاء ﴿ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾؟ والعرب لا تجعل الأخرى نعتًا للثالثة، وإنما[1] الأخرى نعت للثانية؟

قلنا: قال الخليل: إنما كان ذلك لوفاق رؤوس الآي، كقوله: ﴿مَـَٔارِبُ أُخۡرَىٰ﴾ [طه: ١٨] ولم يقل: أخر.

وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: أفرأيتم اللات والعزى الأخرى ومناة الثالثة[2].

﴿ضِيزَىٰٓ﴾: محله رفع نعتًا للقسمة.

و﴿ٱلۡهُدَىٰٓ﴾ محله رفع.

۞ المعنى

لما بَيَّنَ تعالى ما رأى من الآيات الدالة على توحيده وعدله، عقبه بالحجاج مع من وصفه بالشريك ردًا عليهم، فقال ـ سبحانه ـ: «أَفَرَأَيْتُمُ» قيل: تقدير الآية: أفرأيتم أيها الزاعمون أن اللات والعزى ومناة بنات الله، قال أبو علي: لأنه كان فيهم من يقول: إنما نعبد هؤلاء؛ لأنهم بنات الله، وقيل: تقديره: أفرأيتم ما تتخذونه إلهًا اللات والعزى ومناة، عن أبي علي، وقيل: زعموا أن الملائكة بنات الله، وصوروا الأصنام على صورهم «اللَّاتَ وَالْعُزَّى. وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الأُخْرَى» قيل: هي أصنام كانوا يعبدونها، عن الحسن، وقيل: كانت حجارة في جوف الكعبة، عن أبي عبيدة، وقيل: اللات: كانت صنمًا لثقيف، وقيل: كانت حجرًا، وكانت قريش تلت السويق بالسمن عليها للناس، فسمي لاتًا من هذا الوجه، عن أبي علي.

وأما العزى قيل: صنم عبدوها، عن الحسن، وقتادة، وقيل: كانت شجرة

---

(١) وإنما: ولا، ك.

(٢) ومناة الثالثة: و«مناة الثالثة الأخرى»، د.

لغطفان يعبدونها، فبعث النبي ﷺ خالد بن الوليد لقطعها، فجعل يضربها، ويقول:

يا عُزَّ كُفْرانَكِ لا سُبْحَانَكِ إني رأيت الله قد أَهَانَكِ[1]

فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها، داعية بالويل والثبور، فقتلها، ورجع إلى رسول الله ﷺ وأخبره بذلك، فقال: «لا عزى بعد اليوم».

وقيل: صنم لغطفان، وضعها سعد بن ظالم الغطفاني فعبدوها، عن الضحاك.

وقيل: بيت بالطائف تعبده ثقيف، عن ابن زيد.

فأما مناة: كان صنمًا لخزاعة، عن قتادة، وقيل: كان بيتًا تعبده بنو كعب، عن ابن زيد، وقيل: صنم لهذيل وخزاعة يعبدها أهل مكة، عن الضحاك.

«**أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الأُنثَى**» البنات «**تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى**» جائرة، عن ابن عباس، وقتادة، وقيل: منقوصة، عن سفيان، وقيل: ناقصة، عن الضحاك، وأبي علي؛ وذلك لأنهم جعلوا له ما يكرهون لأنفسهم، وقيل: عوجا، عن مجاهد، ومقاتل. وقيل: غير معتدلة، عن الحسن، وابن سيرين. وقيل: مخالفة، عن ابن زيد، والكل متقارب.

ومتى قيل: كيف كانت جائرة؟

قلنا: بنوا فاسدًا على فاسد، ومحالاً على محال؛ لأنهم أولاً أضافوا الأولاد إليه، وذلك محال، ثم جعلوا له الأدون، وهو البنات، ولأنفسهم البنين، والثالث: أنهم جعلوا البنات حجرًا ومدرًا.

ثم بَيَّنَ تعالى أن ذلك ألقاب ممن عبدها لا معنى تحتها، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُم مَا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا**» أي: بصحتها «**مِنْ سُلْطَانٍ**» من حجة، وسميت الحجة سلطانًا؛ لأن صاحبها يقهر من حاجه ويتسلط عليه، عن أبي علي. «**إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ**» في قولهم: إنها آلهة «**وَمَا تَهْوَى الأَنْفُسُ**» أي: تهواه

(١) البيت ينسب إلى خالد بن الوليد وهو يهدم العزى يوم فتح مكة.

وتألفه، وذلك أنهم وجدوا آباءهم وقومهم يعبدونها فمالوا إليه[1] وألفوه «**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمُ الْهُدَى**» البيان والأدلة[2] الظاهرة، التي تهدي إلى الحق، وأنها ليست بآلهة، ولا يحق لها العبادة، وتلك الأدلة ما ركب في قلوبهم، ونصب من الأدلة، وما بين على ألسنة الرسل «**أَمْ لِلإِنسَانِ مَا تَمَنَّى**» يعني لهولاء الكفار ما تمنوا، قيل: تمنوا أن الأصنام كانت آلهة، وليس كذلك، وقيل: تمنوا أن تشفع لهم عند الله تعالى، وظنوا ذلك، وليس كما ظنوا، وقيل: « **أَمْ لِلْإِنْسَانِ**» يعني محمدًا له ما تمنى من النبوة والكرامة، فلا ينكروه «**فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى**» يعطي من يشاء، ويحرم من يشاء، لا وجه لاضطرابكم فيما أعطاه، عن ابن زيد.

وقيل: «**أَمْ لِلْإِنسَانِ مَا تَمَنَّى**» من نعيم الدنيا والآخرة؛ بل يفعله الله تعالى بحسب المصلحة، ويعطي الآخرة المؤمنين المستحقين دون الكافرين، عن أبي علي، وهذا هو الوجه؛ لأنه يشتمل على جميع ما قيل فيه، وإجراؤه على العموم، ودخل فيه جميع تمنيهم في الدنيا من الديانات والأموال، وتمنيهم النبوة، ودخل فيه نعيم الآخرة، وقيل: أم له ما تمنى، أن يفعل ما يشاء من غير جزاء، ليس كذلك، بل لله الآخرة والأولى، يثيب المطيع، ويعاقب العاصي، وقيل: ليس للإنسان أن يعتقد ما يتمنى، بل يجب أن يتبع الأدلة الصحيحة.

الأحكام

تدل الآيات على صحة الحجاج في الدين؛ لأن جميع ذلك حجاج مع الكفار.

وتدل أن الظن في أصول الدين فاسد، والواجب العلم باتباع الأدلة، والتفكر فيها.

وتدل أن المعارف مكتسبة.

ويدل قوله: ﴿وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ﴾ أنه أزاح عللهم بالأدلة والبيان والتمكين، وإنما أُتوا من قِبَلِهم حيث أعرضوا، خلاف قول المجبرة: إنه أضلهم، وخلق فيهم الكفر، وسلبهم قدرة الإيمان، ومنعهم منه.

---

(١) إليه: إليها، ك.

(٢) البيان والأدلة: الأدلة والبيان؛ ت، د، ك.

قوله تعالى:

﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ تَسۡمِيَةَ ٱلۡأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍۖ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّۖ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغۡنِي مِنَ ٱلۡحَقِّ شَيۡـًٔا ﴿٢٨﴾ فَأَعۡرِضۡ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكۡرِنَا وَلَمۡ يُرِدۡ إِلَّا ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ مَبۡلَغُهُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِۚ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعۡلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ﴿٣٠﴾﴾.

اللغة

الملك: الواحد من الملائكة، وأصله ملاك، وهو مأخوذ من الرسالة، والمألكة والألوك الرسالة، وأَلِكْنِي: أي: تحمل رسالتي إليه، قال الشاعر:

أَلِكْنِي إليها عَمْرَكَ اللهُ يا فتى ... بآيةِ ما جاءتْ إلينا تَهَاديا[1]

أي: تتمايل.

والشفاعة: مَسْأَلَةٌ لأجْلِ غيره، ثم تنقسم، فتكون بحط خطيئة أو تبليغ درجة، وأصله الضم، ومنه الشفع، خلاف الوتر.

والظن: قيل: هو اعتقاد، وقيل: هو جنس سوى الاعتقاد.

المعنى

ثم رد الله تعالى عليهم قولهم: إنها تشفع لهم، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَكَمْ مِنْ مَلَكٍ فِي السَّمَوَاتِ لاَ تُغْنِي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا**» أي: لا تنفع ولا تدفع عذابًا لو شفع، قيل: كم[2] من ملك يعبدونه لا يغني[3] عنهم شيئًا، وقيل: كم من ملك مع جلالة شأنه لو

(١) البيت قائله سحيم المعروف بعبد بني الحسحاس.
أنظر لسان العرب (لوك)؛ الصحاح (لوك)؛ تاج العروس (لوك).

(٢) كم: -، ك.

(٣) يغني: يغن؛ ت، د، ك.

تمنوا أن يشفعوا لأحد ما قدروا عليه، فإذا كان شفاعتهم لا تغني فَمَنْ دونهم كيف يغني «إِلاَّ مِنْ بَعْدِ أَنْ يَأْذَنَ اللَّهُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَرْضَى» يعني لا يشفع أحد إلا بعد إذن من الله، ورضى منه به. بين أن الشفاعة تتعلق بشيئين أحدهما: إذنه، والثاني: رضاه بطريقته وسيرته «إِنَّ الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ» أي: بالبعث والجزاء «لَيُسَمُّونَ الْمَلاَئِكَةَ تَسْمِيَةَ الأُنْثَى» قيل: كتسمية الأنثى، أو بتسمية الأنثى، قيل: قالوا: هم بنات الله، عن الحسن. «وَمَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ» أي: لا يقولون ذلك عن علم «إِنْ يَتَّبِعُونَ» في ذلك «إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لاَ يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا» أي: لا يكفي عنه لقيامه[1] مقامه، وقيل: لا يغني عن العلم، وقيل: لا يغني من الحق، أي: من العذاب شيئًا «فَأَعْرِضْ عَن مَنْ تَوَلَّى» قيل: أعرض عن مكافأتهم لا عن استدعائهم، وقيل: أعرض إعراض استخفاف بهم «تَوَلَّى» أعرض «عَنْ ذِكْرِنَا» قيل: القرآن، وقيل: الإيمان، وقيل: عن محمد ﷺ كقوله: ﴿ذِكْرًا ۝١٠ رَسُولًا﴾ [الطلاق: ١٠، ١١] يعني أَعْرَضَ عن الدين ووصف الله بما لا يليق به وكذب رسوله «وَلَمْ يُرِدْ إِلاَّ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» يعني قنع بالتمتع باللذات في الدنيا «ذَلِكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ» أي: نهاية قدر[2] علمهم؛ حيث آثروا الدنيا الفانية على الآخرة، وقيل: علمهم انتهى إلى نفع الدنيا دون نفع الآخرة، وهي حقيرة في جنب نعيم الآخرة مع دوامها، فتركوها لجهلهم «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ» أي: دينه «وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اهْتَدَى» فيجازي كل أحد بحسب عمله.

❁ الأحكام

تدل الآيات أن الشفاعة لا تكون إلا بشرطين:

أحدهما: إذنه تعالى.

والثاني: أن يكون المشفوع مرضي الطريقة، فيبطل قول المرجئة في الشفاعة.

وتدل على أن التولي والإعراض واتباع الظن والضلال والاهتداء فعل العبد، ليس

(١) لقيامه: بقيامه، د.
(٢) قدر: وقدر، ك.

بخلق الله تعالى؛ ليصح الأمر والنهي، والذم والمدح، فيبطل قول المجبرة في المخلوق.

وتدل أن قصر النفس على الدنيا مذموم، وأن الواجب الرغبة في الآخرة، وطلبها وما فيها من الثواب، فيبطل قول من يقول: لا يحسن أن يراد بالطاعة الثواب.

وتدل أن من طلب الدنيا من وجهها من غير إخلال بالآخرة جاز، وإنما المذموم قصر النفس على لَذَّاتِ الدنيا.

وتدل على أن الظن في أصول الدين خطأ.

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

قوله تعالى:

﴿وَلِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟
بِٱلْحُسْنَى (٣١) ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ ۚ
هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ ۖ فَلَا تُزَكُّوٓا۟
أَنفُسَكُمْ ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ (٣٢) أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِي تَوَلَّىٰ (٣٣) وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ (٣٤)
أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ (٣٥)﴾.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي وخلف بن هشام: «**كبير الإثم**» بغير ألف، وكسر الباء على واحد، وقرأ الباقون: «**كبائر**» بالألف والمد والهمز على الجمع.

اللغة

الكبير: خلاف الصغير، والكُبَّار بتشديد[1] الباء وتخفيفها[2]: الكبير، والكِبْرُ: معظم الأمر، ومنه الكِبَرُ: الهرم من ذلك، والكِبْرُ: العظمة، وكذلك الكبرياء، وأكبرت الشيء: استعظمته.

---

(١) بتشديد: بتخفيف، ك.

(٢) وتخفيفها: وتشديدها، د.

والإثم: الذنب، أَثِمَ فلان فهو آثم وأثيم، وتَأَثَّمَ: تحرَّج وكفَّ عنه، ونظيره: حَرِجَ: وقع في الحرج، وتَحَرَّجَ: كَفَّ.

والأثوم: الكذاب من ذلك.

والفحش والفحشاء: الفاحشة، والفاحش جمع، وكل شيء جاوز قدره، فهو فاحش، وأفحش: قال فُحْشًا، ورجل فَحَّاشٌ.

اللمم: مقاربة الشيء من غير دخول فيه، ألَمّ بالشيء يلم إلمامًا: إذا قاربه، ومنه: ألممت بالرجل إلمامًا: نزلت به، وقال الفراء: اللمم أن يفعل الإنسان الشيء في المين[1] لا تكون له عادة، ومنه إلمام الخيال، والإلمام: الزيادة التي لا تمتد، وكذلك اللمم، قال أمية:

إِنْ تَغْفِرِ اللَّهُمَّ تَغْفِرْ جَمَّا ... وَأَيُّ عَبْدٍ لَكَ لا أَلَمَّا[2]

أي: لم يلمّ بمعصية.

أجنة: جمع جنين، الولد في البطن، أخذ من الستر، ومنه: الجن لاستتارهم عن أعين الناس، والجنون لستره العقل، والجَنَانُ: القلب؛ لأنه مستور بالصدر، والجَنَّةُ كَرْمٌ فيها أشجار، فيستره بهما، ومنه: المِجَنُّ؛ لأنه يستر النفس، والجنة: ما استترت به من السلاح، والجَنِينُ: المقبور لستره، والجناجن: عظام الصدر، وجنان الليل: ظلمته؛ لأنه يستر كل شيء.

والتزكية: التطهير، والتزكية: الحكم بطهارته وأنه زكي، وأصل الباب: النماء، وزكى الزرع[3]: والزكي: الذي نما خبره وصلاحه، وجمعه: أزكياء، والزكي: الطاهر منه، قال الله تعالى: ﴿نَفْسًا زَكِيَّةً[4]﴾ [الكهف: ٧٤]، ومنه سمي محمد بن عبد الله بن الحسن بن الحسن النفس الزكية لأخبار وردت فيه.

---

(١) المين: المس، د.

(٢) البيت قائله أمية بن أبي الصلت انظر اللسان (لمم)؛ ديوان أمية بن أبي الصلب تحقيق سجيع جميل الجبيلي، ص ١١٤، دار صادر بيروت، ١٩٩٨.

(٣) وزكى الزرع نما: كالزرع نما، د.

(٤) زكية: زاكية، د.

والكُدْيَةُ: القطعة الغليظة من الأرض لا يعمل فيها الفأس وغيره[١]، وفي حديث الخندق: (عرضت كدية) والجمع: كُدًى، وفي حديث فاطمة: (أنها خرجت إلى تعزية بعض جيرانها فلما انصرفت قيل لها: لعلك بلغت معهم الكُدى) يعني المقابر؛ لأن مقابرهم تكون في مواضع صلبة، أكدى الحافر يكدي: إذا بلغ الكدية بقطع الحرة، ومنه حديث عائشة رضي الله عنها[٢] في أبيها: (سبق إذ ونيتم، ونجح إذ أَكْدَيْتُمْ) أي: ظفر أن خبتم، ومنه أكدى الذي منع الخير، قال الحطيئة:

فَـأَعْـطَـى قَـلِـيـلاً ثُـمَّ أَكْـدَى بِـمَـالِـهِ وَمَنْ يَبْذُلِ الْمَعْرُوفَ فِي النَّاسِ يُحْمَدِ[٣]

ومنه: كدى النبت: قلّ.

الإعراب

اللام في قوله: ﴿لِيَجْزِيَ﴾ لام كي، وقيل: لام العاقبة، وقيل: لام القسم. ﴿وَيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُواْ﴾، تقديره: وليجزي.

﴿إِلَّا ٱللَّمَمَۚ﴾ قيل: استثناء منقطع؛ لأنه ليس من الكبائر والفواحش، قال الشاعر:

وبَــلْــدَةٍ لَــيْــسَ بِــهَــا أَنِــيــسٌ إلاَّ الْــيَــعَــافِــيــرُ وإِلاَّ الْــعِــيــسُ

واليعفور: الأحمر من الظباء، والأَعْيَسُ: الأبيض، تقديره: لكن من يلم، وقيل: إنه استثناء من الفواحش؛ لأنه يشتمل على جميع الذنوب لقبحها، وقيل: هو استثناء من الكبائر، ومعناه: إلا أن يلم بها، ثم يتوب.

النزول

اختلف المفسرون في سبب نزول قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ إلى آخرها، قيل: نزل في عثمان، كان ينفق ماله في سبيل الخير، فلامه عبد الله بن سعد بن شراحه، وكان أخاه[٤] من الرضاع، فقال عثمان: إن لي ذنوبًا، وإني أطلب بما أصنع رضا الله

(١) وغيره: +، ك.
(٢) رضي الله عنها: -، ك.
(٣) ورد البيت برواية أخرى:
فـأعـطـى قـلـيـلا ثـم أكـدى عـطـاؤه ومن يبذل المعروف في الناس يحمد
(٤) أخاه: أخوه، د.

تعالى، فقال عبد الله بن سعد: أعطني من مالك، وأنا أتحمل عنك ذنوبك فأعطاه، وأمسك عن بعض ما كان يصنع، فأنزل الله ـ تعالى ـ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ﴾ يوم أحد حتى ترك التزكي[1] ﴿وَأَعْطَىٰ﴾ صاحبه «وأكدى» قطع النفقة إلى قوله: ﴿وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ﴾ فعاد عثمان إلى أحسن ما كان عليه، عن ابن عباس، والسدي، والكلبي، وجماعة من المفسرين.

وقيل: بل نزلت في الوليد بن المغيرة اتبع رسول الله ﷺ فعيَّره بعض المشركين، وقال: تركت دين الأشياخ، فقال: خفت عذاب الله، فقال: أعطني شيئًا، وأضمن أن أحمل عنك ذنوبك، فأعطاه شيئًا، ثم بخل ومنعه تمام ما ضمن، ففيه نزلت الآية، تولى عن رسول الله ﷺ، وأعطى صاحبه قليلاً، وأكدى: بخل بالباقي، عن مجاهد. وقيل: أعطى الوليد قليلاً من الخير، ثم أكدى: قطعه، عن مقاتل.

وقيل: نزلت في رجل قال لأهله: جهزوني أنطلق إلى محمد أصب منه خيرًا، فلقيه بعض الكفار، وقال له: أعطني جهازك، وأحمل عنك إثمك، ففيه نزلت الآية، عن عطاء بن يسار.

وقيل: نزلت في العاص بن وائل السهمي، كان ربما يوافق النبي ﷺ في بعض الأمور، عن السدي.

وقيل: نزلت في أبي جهل، قال يومًا: ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق، فذلك قوله: ﴿وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ﴾ أي: لم يؤمن به، عن محمد بن كعب القرظي.

وقوله: ﴿فَلَا[2] تُزَكُّوٓاْ أَنفُسَكُمْ﴾ قيل: قال بعضهم: الله تعالى لا يعذبنا، وإنما يعاقب بدلنا هؤلاء الفقراء، فنزلت الآية ردًّا عليهم.

وقيل: كان بعضهم يحسن أعمالاً، ثم يقول: صلاتنا وصيامنا وحجنا، ففيهم نزلت، عن الكلبي، ومقاتل.

---

(١) التزكي: المعي، ك.
(٢) فلا: ولا، د، ك.

۞ المعنى

لما تقدم الوعد والوعيد بَيَّنَ أنه مالك الدارين، القادر على الجزاء، وبَيَّنَ كيف يجازي، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ**» ملكًا وخلقًا، وقيل: المراد بما في السمواتهو الجنة، وبما في الأرض النار، فبين أن الجنة والنار من مقدوراته، معدة للجزاء، والأول أوجه لعمومه. «**لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى**» يعني لَمَّا كان مالكًا، فإنما كَلَّفَ لِيَجْزِيَ، وقيل: عاقبتهم الجزاء، وقيل: أقسم أنه يجازي المسيء بعمله، والمحسن بعمله، والحسنى قيل: الجنة، وقيل: الإحسان.

ثم وصف الذين أحسنوا، فقال ـ سبحانه ـ: «**الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ**» قد تقدم البيان للكبائر ما قيل فيه، والصحيح عندنا أن الكبير ما يزيد عقابه على ثواب فاعله[(١)]، كالقتل والزنا، ونحو ذلك، وقيل: ما لا يكفره إلا التوبة. والفواحش: كل قبيح فاحش، وهو أوجه، وقيل: هو الزنا «**إِلاَّ اللَّمَمَ**» اختلفوا فيه، فالذي عليه مشايخنا أنه الصغائر من الذنوب، عمدًا أو سهوًا، ونظير هذه الآية قوله تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]، وهو قول أبي علي، وأبي مسلم، والقاضي.

فأما المفسرون، فمنهم من يجعل ﴿إِلَّا ٱللَّمَمَ﴾ من الكبائر، ويجعل الاستثناء حقيقة، ثم اختلفوا، فقيل: اللمم أن ياتي بفاحشة أو كبيرة ثم يتوب ولا يصر، عن أبي هريرة، ومجاهد، والحسن، وأبي صالح، وروي نحوه عن ابن عباس، وقيل: اللمم ما دون الشرك، عن عبد الله ابن عمرو بن العاص.

ومنهم من يجعل الاستثناء منقطعًا، ولا يجعل اللمم من الكبائر، ويقول: معناه لكن اللمم، ثم اختلفوا، فقيل: هو ما سلف في الجاهلية لا يؤاخذهم بها، وكان المشركون يقولون للمسلمين: إنهم كانوا معنا بالأمس، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن زيد بن ثابت، وزيد بن أسلم، وروي نحوه عن ابن عباس.

---

(١) فاعله: صاحبه، د، ك.

وقيل: هو صغار الذنوب، كالنظرة والقبلة، مِنْ أَلَمَّ بالشيء: إذا لم يدخل فيه، عن ابن عباس، وابن مسعود، وأبي سعيد الخدري، وحذيفة، ومسروق، والشعبي.

وقيل: ما هو بين الحدين، حد الدنيا وعذاب الآخرة، عن ابن الزبير، وعكرمة، وقتادة، والضحاك، ومقاتل، والكلبي، يعني ليس فيه حد، ولا يكثر فيه عذاب.

وقيل: اللمم: عادة النفس حينًا بعد حين، عن عطاء بن أبي رباح.

وقيل: هو ما هم على القلب، أي: خطر، عن سعيد بن المسيب، وهو حديث النفس من غير عزم؛ لأن العزم على الكبير كبير، وروي نحوه عن ابن الحنفية، وروي مرفوعًا: «إن للشيطان لمّة، وأن للملك لمّة، فلمة الشيطان الوسوسة، ولمة الملك الإلهام».

«**إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ الْمَغْفِرَةِ**» أي: كثير المغفرة لا يتعاظمه ذنب، فيغفر الصغير والكبير ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعراف: ١٥٦] وقيل: مغفرته أنه يمهل للتوبة ولا يعاجل بالعقوبة «**هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ**» وبأحوالكم، قيل: لضعفكم أسقط عنكم الصغائر، وفتح باب التوبة للكبائر، وقيل: هو أعلم بتفاصيل أموركم، وأعمالكم يجازيكم بها، وقيل: هو أعلم بأصحاب الصغائر، وأصحاب الكبائر، فيجازيهم بما يستحقونه «**إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ**» أي: خلق أباكم آدم من التراب «**وَإِذْ أَنتُمْ**(١) **أَجِنَّةٌ فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ**» قيل: معناه: وإن كنتم أجنة في الأرحام، يعني مَنْ عَلِمَ تفاصيل أحوال(٢) الجنين، وكيفيته لا يخفى عليه شيء من أعمالكم، وقيل: إذا علم تفاصيل ما في الأرحام فيقدر على خلقه، فكذلك يقدر على إحياء الأموات وجمع أجزائها؛ لأنه عالم بتفاصيل ذلك «**فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ**» قيل: لا تمدحوا(٣)، عن ابن عباس، وجماعة، وقيل: التزكية أن يعتقد أنه المحق، وغيره المبطل من غير علم بذلك حقيقة، وقيل:

(١) أنتم: كنتم، د، ك.
(٢) أحوال: أجزاء، ك.
(٣) لا تمدحوا: لا تمرحوا، د.

لا تزكوا أنفسكم بما ليس فيها، عن أبي علي، وهو أحسن ما قيل فيه، وقيل: هو تزكية النفس على جهة[1] الاستطالة، فلا يجوز، فأما وصف النفس بما فيها على وجه التحدث بنعم الله، فيجوز عند أبي هاشم، «**هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى**» أي: هو أعلم بالحقائق، فالمتزكي من يزكيه هو، «مَنْ اتقى» قيل: اتقى الشرك والكبائر، وقيل: عمل حسنته، وارعوى عن السيئة، عن علي عليه السلام، وقيل: أخلص العمل، عن الحسن. «**أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّى. وَأَعْطَى قَلِيلًا**» أي: أعرض عن الدين، «**وَأَعْطَى قَلِيلًا**»، قيل: أنفق المال قليلاً، وقيل: أعطى الإيمان والطاعة «**وَأَكْدَى**» قيل: ثم قطع ذلك وأمسك، ولم يقم عليه، وقيل: قطع العطاء، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: هو المنافق، يعطي قليلاً في الجهاد، ثم يمتنع[2] «**أَعِنْدَهُ عِلْمُ الْغَيْبِ فَهُوَ يَرَى**» قيل: أعنده علم الغيب فهو يعلم أن المؤمنين لا يظفرون بغنيمة، «ويرى» بمعنى يعلم، عن أبي علي، وقيل: أعنده[3] علم المصالح، فهو[4] يعلم[5] أن البخل خير له[6]، وقيل: أعنده علم الغيب أنه يعذب الفقراء بدل الأغنياء، وقيل: أَعَلِمُوا الغيب حتى زكوا أنفسهم بأن لهم الجنة.

الأحكام

تدل الآيات أن ما تقدم من الوعد والحسن موقوفة على اجتناب المعاصي، والفواحش على ما نقوله في الوعيد.

ويدل قوله: «**ليجزي**» أن الثواب والعقاب جزاء الأعمال، فيدل أن الإحسان والإساءة حادثة من جهتهم، فيبطل قول المجبرة في المخلوق وجزاء الأعمال.

(١) جهة: وجه، ك.
(٢) يمتنع: يمنع، ك.
(٣) وقيل: أعندهم: قيل: أعندهم، د، ك.
(٤) فهو: حتى، ك.
(٥) يعلم: يعلموا، ك.
(٦) له: لهم، د.

وتدل على أن في الذنوب صغائر؛ لذلك رتبها ثلاث مراتب[1]، فاللمم الصغيرة، خلاف ما يقوله بعض الخوارج أن كل ذنب كبيرة.

وتدل أن المغفرة تستحق باجتناب الكبائر، فيصح قولنا في الوعيد.

ويدل قوله: ﴿فَلَا تُزَكُّوٓاْ﴾ على قبح تزكية النفس، وقد بَيَّنَّا ما قيل فيه، وشيخانا أبو علي وأبو هاشم وإن اختلفا في تزكية النفس كيف هي[2] اتفقا أنه[3] لا يجوز أن يشهد لنفسه بالجنة؛ لأنه لا يعلم أنه أدى ما كلف، ولا السرائر ولا العواقب.

قوله تعالى:

﴿أَمۡ لَمۡ يُنَبَّأۡ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ وَإِبۡرَٰهِيمَ ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٞ وِزۡرَ أُخۡرَىٰ ﴿٣٨﴾ وَأَن لَّيۡسَ لِلۡإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ وَأَنَّ سَعۡيَهُۥ سَوۡفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾ ثُمَّ يُجۡزَىٰهُ ٱلۡجَزَآءَ ٱلۡأَوۡفَىٰ ﴿٤١﴾ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلۡمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحۡيَا ﴿٤٤﴾ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوۡجَيۡنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾ مِن نُّطۡفَةٍ إِذَا تُمۡنَىٰ ﴿٤٦﴾ وَأَنَّ عَلَيۡهِ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰ ﴿٤٧﴾﴾.

القراءة

قراءة العامة: «وفّى» بالتشديد، وعن سعيد بن جبير: «وَفَى» بالتخفيف، معنى الأول أنه أتم، ومعنى الثاني: وفى بما وعد وعهد.

اللغة

التوفية: إعطاء الشيء على التمام، وَفَّى حقه توفية.

والوِزْرُ: الثقل، وسمي الذنب وزرًا؛ لأنه يثقل على صاحبه.

---

(١) مراتب: رتب، د.
(٢) هي: هو، ت.
(٣) أنه: +، ك.

والجزاء: المكافأة، ويقال: جزيته الجزاء، وجزيته بالجزاء، قال الشاعر:

إنْ أَجِزْ عَلْقَمَةَ بْنَ سَعْدٍ سَعْيَهُ ... لَمْ أَجْزِهِ بِبَلاءِ يَوْمٍ وَاحِدِ[1]

فجمع بين اللغتين، والجزاء[2] والأجر من النظائر.

والمنتهى: المصير إلى حيث ينقطع العمل عنده.

وتمنى: تقديره مِنْ: مَنِيٍّ تُمْنَى فهو مانٍ: إذا قدر، ومنه: المنية؛ لأنها مقدرة.

والنشأة: الصنعة المخترعة، أنشأ ينشيء إنشاءً: إذا ابتدع، وهما نشأتان: إحداهما خلقه الخلق في الدنيا، والثاني: الإعادة.

الإعراب

إنما قال: «وازرة»؛ لأنه ردها إلى النفس.

«**الجزاء**» نصب؛ لأنه المفعول الثاني، والمفعول الأول الهاء.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى أنه يأخذ كل أحد بذنبه، خلاف ما قالوا، رَدًّا عليهم على ما تقدم، فقال ـ سبحانه ـ: «**أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى**» أي: لم يخبر بما في كتاب موسى، يعني أسفار التوراة «**وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى**» كتاب إبراهيم الذي وفى، قيل: فعل ما أمره الله على التمام من تبليغ رسالته، وبيان شرائعه، عن سعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد، وقيل: امتحن بذبح ولده، وإلقائه في النار، وتحمل الأذى من قومه، فوفى ما عليه من جميع ذلك، وقيل: وَفَّى في تبليغ الرسالة التي هي قوله: «**ألاّ**[3] **تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى**»، عن ابن عباس، ومجاهد، وقال ابن عباس: وكانوا قبله يأخذون القريب بذنب القريب، والجار بذنب الجار، فنهاهم إبراهيم عن ذلك، وبلغه عن الله تعالى:

---

(١) البيت قائله مذكي بن أعبد يمدح علقمة بن سيف؛ أنظر الجاحظ، البيان والتبيين، ح٣، ص٢٣٣.

(٢) والجزاء: كلمة غير واضحة في د.

(٣) ألا: أن لا، د، ك.

«أَلاَّ[1] تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» ونحوه، عن مجاهد. وقيل: تَحَمَّلَ ما أُمِرَ به وبلغ، عن الحسن، وسعيد بن جبير، وقتادة، وابن زيد. وقيل: وفى بما فرض عليه، عن مجاهد، وقيل: وفى رؤياه، وقام بذبح ابنه، عن الربيع، وقيل: شرائع الإسلام، وهي قوله: ﴿وَإِذِ ٱبْتَلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ رَبُّهُۥ بِكَلِمَـٰتٍ﴾ [البقرة: ١٢٤]. وقيل: أدى الأمانة، عن سفيان بن عيينة، وقيل: وفى أمور المناسك، عن الضحاك، وقيل: كان حلف لا يسأل مخلوقا شيئًا، فلما قذف في النار، أتاه جبريل، وقال: ألك حاجة؟ فقال: أما إليك فلا، ثم قيل: وفى، عن عطاء بن السائب. وقيل: قام بشرط[2] ما ادعى؛ لأنه قال: أسلمت، فابتلي في ماله ونفسه وولده، فوجد وافيًا في كل ذلك. «أَلاَّ تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى» أي: لا يحمل على أحد عقاب غيره ولا ذنبه. ونظم الآية: ولا[3] يحمل حامل حمل غيره.

«وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى» أي: لا ينفع إلا بعمله «وَأَنَّ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى» قيل: يراه مكتوبًا في ديوانه، وقيل: سوف يرى جزاءه يوم القيامة «ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءَ الأَوْفَى» أي: يكافأ على سعيه الجزاء الأكمل؛ لأنه ثواب دائم في دار البقاء، وقيل: يعرف أعماله ثم يجازى عليها؛ لأن (ثم) للتعقيب «وَأَنَّ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى» أي: المرجع إلى الموضع، الذي لا ينفذ فيه[4] حكم أحد إلا حكمه تعالى، وقيل: إلى ثوابه وعقابه ينتهي الخلق، وقيل: منه ابتداء المنّة، وإليه تنتهي الآمال، وقيل: إليه منتهى[5] الفكر، فلا فكرة في الرب، وروي مرفوعًا، وروى أنس أن النبي ﷺ قال: «إذا ذكر الرب فانتهوا»، وروي: «تفكروا في الخلق ولا تفكروا في الخالق، فإنه لا يحيط به الفكرة».

«وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى» قيل: فعل سبب الضحك والبكاء، كما يقال:

---

(١) ألا: أن لا، د، ك.
(٢) بشرط: فشرط، ك.
(٣) ولا: لا، ك.
(٤) فيه: -، ك.
(٥) منتهى: تنتهى، د.

أضحكني فلان، وأبكاني فلان، عن عطاء، والأصم، وأبي علي، فأضحك بما أعطى من اللذات والمسرات، وأبكى بالمصائب والأحزان، وقيل: أضحك أهل الجنة في الجنة[1]، وأبكى أهل النار في النار، عن مجاهد، وقيل: أضحك الأشجار بالأنوار، وأبكى السحاب بالأمطار، وقيل: أضحك المطيع بالرحمة، وأبكى العاصي بالسخطة، وقيل: أضحك المؤمن في الآخرة، وأبكاه في الدنيا، وقيل: هو هذا الضحك والبكاء، يعني أنه خلقهما، وهذا لا يصح؛ لأنه فعل العبد **«وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا»** قيل: هو القادر على أن يحيي ويميت، وقيل: أمات في الدنيا، وأحيا في القيامة، وقيل: أمات قومًا، وأحيا قومًا، وقيل: أمات الآباء، وأحيا الأبناء **«وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالأُنْثَى. مِنْ نُطْفَةٍ إِذَا تُمْنَى»** قيل: تخرج من الرجل وتنصب في الرحم، عن عطاء، والضحاك، وأبي علي، يقال: أَمْنَى إذا خرج مَنِيُّهُ، كما يقال: أنجى إذا[2] خرج منه النجو، وقيل: تُمْنَى تقدر منه الولد، عن جماعة.

ومتى قيل: فما الفائدة في ذكر النطفة؟

قلنا: إذا كان المقدور في الرحم ماء مهينًا، ثم يخرج منه بشرًا سويًّا حيًّا، فإنه يدل على صانع مختار، ولأنه إذا كان الماء واحدًا، والرحم واحدًا، والمخلوق به يختلف، فمن لحم، وعظم، وشعر[3]، وجلد، فدل أنه يتعلق بقادر، عالم، حي مختار.

«وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الأُخْرَى» أن عليه أن يبعث الناس أحياء يوم القيامة للجزاء.

ومتى قيل: أليس (على) كلمة إيجاب، فكيف يجب عليه؟

قلنا: إذا كلف وضمن الثواب، وآلَمَ وضمن العوض، ولم يعوض في الدنيا، وخلى بين المظلوم والظالم، فلا بد من دار أخرى يقع فيه الجزاء والانتصاف، ولأنه تعالى وعد به، فوجب أن يفي به.

---

(١) في الجنة: +، ك.
(٢) إذا: -، ك.
(٣) وشعر: وسحر، د.

۞ الأحكام

الآيات تدل على أحكام عقلية وأحكام شرعية:

أما العقليات:

فتدل على أنه لا يؤخذ أحد بذنب غيره، ولا ينتفع أحد بعمل غيره، فيبطل قول المجبرة من وجوه في مسائل:

أولها: قولهم: إن أطفال المشركين يعذبون بذنوب آبائهم.

وثانيها: قولهم: إنه يعذبهم على فِعْلٍ خلقه فيهم واضطرهم إليه.

وثالثها: قولهم: إنه يثيب المطيع بطاعة هو الفاعل والخالق[(١)] لها.

ورابعها: قولهم: إنه يحمل ذنوب بعض العباد على بعض، فيعذب الكفار بذنوب المؤمنين[(٢)]، ويثاب المؤمنون بأعمال الملائكة.

وخامسها: قول بعضهم: إنه يجوز أن يعذب الأنبياء، ويثيب الفراعنة.

وسادسها: قولهم: إن طاعات الظلمة تدفع إلى خصومهم، فإن بقي شيء حمل عليهم من ذنوب خصومهم.

وتدل أن جميع ذلك مكتوب في الصحف المتقدمة؛ لأن ما كان واجبًا، أو قبيحًا، أو حسنًا في العقل لا تختلف فيه الشرائع.

ومتى قيل: أليس روي عن ابن عباس أن الآية منسوخة، وأن الأبناء يدخلون الجنة بصلاح الآباء؟ وعن عكرمة: أن ذلك في ملة إبراهيم وموسى، وأما في ملتنا، فلهم ما سعوا، أو[(٣)] لهم ما سعى لهم غيرهم؟ أوليس النبي ﷺ «أمر الخثعمية أن تحج عن أبيها[(٤)]»، وحديث سعد قال: هل لأمي إن تطوعت عنها؟ قال: «نعم». وعن الربيع بن أنس: أن هذا في الكافر، فأما المؤمن فله ما سعى، وما سُعِي[(٥)] له؟

---

(١) الفاعل والخالق: الخالق والفاعل، ك.

(٢) المؤمنين: المسلمين، ك.

(٣) أو: وليس، ك.

(٤) أبيها: ابنها؛ د، أمها، ت، ك.

(٥) وما سعي: وأن ما سعى، ت، د، ك؛ وما أثبتناه من تفسير البغوي، ٧/٤١٦.

قلنا: ظاهر القرآن لا يترك لخبر واحد لا يعلم صحته، خصوصًا: إذا دل العقل على ما دل عليه القرآن؛ وذلك لأن[1] الثواب نعم[2] مع التعظيم، والتعظيم لا يجوز إلا للاستحقاق، والاستحقاق بفعله، والعقاب آلام يقبح به[3]: إذا فعل به لفعل غيره، وكما لا يقطع أحد إلا السارق، ولا يجلد إلا الزاني، كذلك لا يعاقب إلا من أذنب.

وتدل الآية على أنه تعالى يختص بالقدرة على الحياة والموت، والعقل يدل عليه أيضًا، وكذلك خلق الزوجين، والنشأة الأخرى.

أما[4] الأحكام الشرعية:

فتدل على أن من دخل عليه صلاة أو حج أو زكاة، ومات ولم يوص به، قال أصحابنا: إذا أوصى بالحج، فَحُجَّ عنه له أجر النفقة، ومنهم من قال: يلحقه الحج، وإذا أوصى فإنه يلحقه بالاتفاق؛ لأنه لما فعل بأمره كان كفعله[5] بنفسه، وأجمع أصحابنا أنه وإن أوصى لا يُصَلَّى عنه، ولا يصوم، ولكن يكفّر. وفي الحج يحج عنه كفعله بالاتفاق، وعن الشافعي: يصوم عنه وليه.

وأما الدعاء فهو بمنزلة الشفاعة، ولأنه لما علمه ورباه، أمر بالدعاء له، بقوله: ﴿رَّبِّ ٱرۡحَمۡهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٤] فهو بمنزلة ما لو أوصى به.

ومتى قيل: أليس إذا أحرم، ثم أغمي عليه، فإنهم[6] يوقفونه في المواقف، ويطاف به، وعند أبي حنيفة: إذا أغمي قبل الإحرام يحرم عنه رفقاؤه؟.

قلنا: وجد الأمر منه من طريق العادة، فصار كما لو وجد نطقا.

فأما قوله: ﴿أَضۡحَكَ وَأَبۡكَىٰ﴾ فحمله أبو علي على سببهما، وجعل الضحك والبكاء فعل العبد، وأما الحسن فحمل على نفس الضحك والبكاء على أنه خلق له تعالى.

---

(١) لأن: أن، ك.
(٢) نعم: تعم، د.
(٣) به: -، ك.
(٤) أما: فأما، ك.
(٥) كفعله: كقوله، د.
(٦) فإنهم: فإنه، ت، د، ك.

ومتى قيل بالأول فجوابنا أن الضحك فعل العبد، ولذلك يتعلق به التكليف والمدح والذم، وقد وردت أخبار في مدح الباكين، وذم الضحك، وقال تعالى: ﴿فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا﴾ [التوبة: ٨٢]. فأما البكاء فاسم لمجموع أمور: فالأنين وما يقف على قصد العبد فِعْلُهُ، وأما جريان الدموع فِعْلُ الله تعالى؛ لذلك لا يقف على اختياره، وقد يطلق على البكاء، وإن لم يكن ثَمَّ دمع، والصحيح ما قاله أبو علي.

ويدل قوله: ﴿وَأَنَّ عَلَيْهِ النَّشْأَةَ الْأُخْرَىٰ﴾ على وجوب البعثة لأهل الثواب والأعواض، لأن (على) كلمة إيجاب، فيبطل قول من قال: لا يجب عليه شيء.

وتدل على الفناء؛ لأن النشاة الثانية لا تكون إلا بعد إفناء، وما[1] يبقى لا ينتفي إلا بضد أو ما يجري مجرى الضد، فتدل أنه يفني الخلق ثم يعيده.

ومتى قيل: كيف الخلاف لهم؟

قلنا: منهم من يقول: الجواهر بعد وجودها لا تفنى، وينكرون الفناء، ومنهم من يقول: يعدمها الله، وهو قول أبي الحسين الخياط، ومنهم من يقول: لا يخلق فيه البقاء فتنتفي، عن أبي القاسم، ومنهم من يقول: يخلق فيها أكوانًا لا تفنى[2]، فإذا عدمت لا يخلق فيها الأكوان، فتنتفي الجواهر.

فأما الإعادة: فعندنا يوجدها الله تعالى لا بمعنى كما أوجدها أولاً، لا بمعنى، وعند بعضهم الموجود يوجد بإيجاد، والمعاد يعاد لعلة هي الإعادة. وقولهم يؤدي إلى تسلسل المعاني.

---

(١) وما: ما، ك.
(٢) تفنى: تبقى، ت، د، ك.

قوله تعالى:

﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾ وَثَمُودَا فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰٓ ﴿٥٦﴾ أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ فَٱسْجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعْبُدُواْ ﴿٦٢﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع في رواية[١]، وأبو عمرو، ويعقوب: «عَادَ لُّولَى» مدغمة غير منونة ولا مهموزة، وقرأ الباقون: «عَادًا الْأَولى» منونًا غير مدغم ولا مهموز، فالإظهار على الأصل، والإدغام فإنه ألقى حركة الهمزة على اللام، فانضمت ولقيتها النون فأدغمت في اللام، ونظيره قول العرب: قُم الآن[٢] عنا، يريدون قم الآن، وصم اثنين، أي: صم الإثنين.

وقرأ عاصم في رواية حفص وحمزة ويعقوب: «وثَمُودَ» بغير تنوين، واختلف عن أبي بكر عن عاصم. الباقون: بالتنوين، وقد بينا ذلك، قال الفراء: ﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ﴾ [الإسراء: ٥٩] ترك إجراؤها؛ لأنها ليس فيها ألف.

اللغة

القُنْيَةُ والقُنْيَانُ قال: يجعلهما أصلاً له، ويلزمه، وأصله: جعل الشيء للنفس على اللزوم، ويقال[٣]: قَنِيتُ الشيء أَقْناهُ إذا لزمته[٤]، ومنه القناة، ألفها واو،

(١) رواية: الرواية، د.
(٢) الآن: لان، د، ك؛ وما أثبتناه من تفسير التبيان للطوسي ٩/ ٤٣٧.
(٣) ويقال: يقال، ك.
(٤) لزمته: لزمت، د، ك، وما أثبتناه من الزاهر، ١/ ١٥٨.

وجمعها: قنوات؛ لأنها مما يقتنى، ومنه الأقنى، والقنى: أخذ تراب في الأنف، وقنى الشيء[1] واقتناه: إذا أمسكه لنفسه لا لتجارة للزومه له، والمَقْنُؤَةُ مهموزة وغير مهموزة.

والظل: الذي لا تصيبه الشمس، كأن الظل لازم له، وأحمر قان للزوم لونه، وأقنى: أعطى.

والشعرى: كوكب خلف الجوزاء يتبعه، وهما الشِّعْرَيَان: العبور، والغُمَيْصَاء.

ومن خرافات العرب أن سهيلاً والشعريين كانت مجتمعة، وسهيل صار يمانيًّا، فتبعته[2] الشعرى العبور وعبر المجرة، فسمي عبورًا، وأقامت الغميصا، فبكت لفقد سهيل، حتى غمضت عيناها فسميت الغميضاء.

والمؤتفكة: المنقلبة، وهو الذي يصير أسفلها أعلاها[3]، ائتفك ائتفاكًا، ومنه: الإفك؛ لأنه قلب المعنى عن وجهه، وأصله: صرف الشيء عن وجهه، ومنه: الإفك، وهو الكذب.

والمرية: الشك، امترى وتمارى شك.

والآزفة: الدانية، أزفت: دنت، وأزف الرحيل: دنا، والآزفة: القيامة لدنوها، قال الشاعر:

بَانَ الشَّبَابُ وَأَمْسَى الشَّيْبُ قَدْ أَزِفَا ... وَلاَ أَرَى لِشَبَابٍ ذَاهِبٍ خَلَفَا[4]

والكاشفة: من كشف يكشف: إذا زال الستر.

والسُّمودُ: اللهو، والسامد اللاهي، سَمَدَ يَسْمِدُ سُمودًا فهو سامد، ويقال للجارية: اسْمُدِي لنا، أي غَنِّي.

---

(١) الشيء: بالشيء، د، ك.

(٢) فتبعته: فتبعه، ك.

(٣) أعلاها: أعلى، د.

(٤) البيت قائله كعب بن زهير، أنظر ديوان كعب بن زهير، تحقيق درويش الجويدي، ص ٧٣، المكتبة العصرية، بيروت، ٢٠٠٨.

۞ الإعراب

نصب «ثمود[1]» بـ (أهلك)، ولا يجوز نصبه بقوله: «فَمَا أَبْقَىٰ» لأن (ما) لا يعمل ما بعدها في ما قبلها، لا يجوز: زيدًا ما ضربت؛ لأنها من الحروف التي لها صدر الكلام، وإنما قال: ﴿كَاشِفَةٌ﴾ قيل: أراد جماعة كاشفة، أو نفس كاشفة، ويجوز أن تكون مصدرًا، كالقافية، والعافية، والواقية، فتقديره: ليس لها كشف، وقيل: كاشفة بمعنى الإنكشاف، كقوله: ﴿لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة:٢]، ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ﴾ [المائدة: ١٣] أي: خيانة، وقيل: فيه حذف أي: آلهة كاشفة، وقيل: دخلت الهاء للمبالغة، كقولهم: عَلَّامة ونسابة.

۞ النزول

روي أنه لما نزل قوله: ﴿وَلَا تَبْكُونَ﴾ بكت أهل الصفة، فقال ﷺ: «لا يلج النار من بكى من خشية الله، ولا يدخل الجنة من بكى في معصية الله». وروي أنه لما نزلت هذه الآية: ما رؤي النبي ﷺ ضاحكًا.

۞ المعنى

ثم عدّ نعمه عليهم، وأوعدهم بعقابه إن كفروا، وحذرهم الغفلة، فقال سبحانه وتعالى: «وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى وَأَقْنَى» قيل: أغنى بالمال، وأقنى بأصول الأموال، عن أبي صالح، كأنه جعل ذلك قنية لهم؛ ليكون له ولنسله وعقبه. وقيل: أغنى بالأموال، وأقنى أخدم، عن الحسن، ومجاهد، وقتادة، وقيل: أغنى بالمال، وأقنى أرضى بما أعطى، عن ابن عباس، وقيل: أغنى أكثر، وأقنى: أقل، عن ابن زيد، وتلا: ﴿يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [الرعد: ٢٦، الإسراء: ٣٠، الروم: ٣٧، سبأ: ٣٦، الزمر: ٥٢، الشورى: ١٢]. وقيل: أغنى بالمال، فيتناول أصول النعم وفروعها، وقيل: أغنى واحدًا بالملك، وأقنى آخر بالقناعة، وقيل: أغنى واحدًا بأن أعطاه ما يكفيه، وأقنى آخر بأن

(١) في د: ثمودا.

زاد على قدر الكفاية، وقيل: أغنى بعد الفقر، وأقنى أفاد الأموال التي تقتنى، عن أبي علي. «وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعْرَى» أي: خالقه ومالكه، فلا ينبغي أن يعبد المربوب ويتخذ إلهًا، والشعرى نجم مضيء، وقيل: النجم الذي خلف الجوزاء، وكانوا يعبدونه في الجاهلية، عن مجاهد، وقتادة. وقيل: كانت خزاعة تعبدها، وبين ذلك لهم رجل يقال له: أبو كبشة. «وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الأُولَى» قيل: هو عاد بن إرم، وهم الذين أهلكوا ببغي بعضهم على بعض، فتفانوا بالقتل، عن ابن إسحاق، وقيل: هم قوم هود أهلكوا بالريح، والأُوْلَى الأسبق، وقيل: هم عادان، الأولى أهلكت بالصيحة، وهو صاحب إِرَم، والثانية أهلكت بالريح العقيم، وقيل: أولى لأنها أول الأمم هلاكًا بعد قوم نوح، وقيل: كان ثمود بقايا عاد، فكان عاد الأولى هم قوم هود، والثانية: ثمود «فَمَا أَبْقَى» أي: قوم صالح أهلكوا بالصيحة، فما أبقى منهم أحدًا، «وَقَوْمَ نُوحٍ» أي: أهلكنا قوم نوح «مِنْ قَبْلُ» أي: من قبل هؤلاء «إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَى» أي: أشد ظلمًا، وأشد بغيًا وتعديًا في حدود الله، وإنما وصفهم بذلك، قيل: لأنه طالت مدتهم، وكثرت دعوة الأنبياء لهم، فكثر تكذيبهم وردهم، فكانوا أظلم، وقيل: لم يكن قوم أطغى من قوم نوح، دعاهم نبي الله ألف سنة إلا خمسين عامًا، فكان آخرهم كأولهم، وقيل: كان الأب يوصي الابن بألا[1] يقبل منه[2]، فيتواصوا[3] لذلك.

واختلفوا في «أظلم» قيل: ظلموا أنفسهم بما فعلوا، وقيل: ظلموا رسولهم، وقيل: ظلموا الآيات بالجحود.

«وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَى» أي: المنقلبة أهوى ترابها في الهواء، وهي قريات قوم لوط، قيل: سدوم، رفعها جبريل إلى السماء ثم أهوى بها، عن مجاهد، وقتادة، وقيل: أربع قرى: صبوير، ودادوما، وعامورا، وسدوم «فَغَشَّاهَا مَا غَشَّى» قيل: غشاها

(١) بألا: بأن لا؛ ت، د، ك.
(٢) منه: +، ك.
(٣) فيتواصوا: فيتواصون؛ ت، د، ك.

الحجارة المسومة، وقيل: غشاها من العذاب ما غشى، وفيه تعظيم لذلك الأمر، وقيل: أهوى أهلك، وقيل: نزل من الهواء إلى الأرض، ولا يقال فيما نزل في درجة أو سلم: أهوى، وقيل: خسف بهم الأرض، عن أبي علي. «**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَتَمَارَى**» أي: بأي نعم ربك تَشُكُّ أيها الإنسان بنعم الدين، أو بنعم الدنيا، وقيل: بنعمه عليكم أنه لم يهلككم وأهلك الأمم قبلكم[١]، وأخبركم بها زجرًا لكم «**هَذَا نَذِيرٌ**» أي: مخوف لهم عن أفعال يستوجبون العذاب بها، وأنه ينزل بهم ما نزل بأولئك، وقيل: هذا كناية عن النبي ﷺ، عن قتادة، وقيل: عن القرآن، عن ابن مالك، وقيل: هذه الأخبار التي أخبر بها عن هلاك الأمم، عن أبي علي. «**مِنَ النُّذُرِ الْأُولَى**» من الأنبياء الذين خوفوا أممهم، قد أرسل إليكم كما أرسل إليهم، وقيل: هذا الذي في صحف موسى وإبراهيم. «**أَزِفَتِ الْآزِفَةُ**» أي: دنت الدانية، وهي القيامة؛ لأن محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء، ومجيئه من علامات الساعة «**لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ**» أي: لا أحد يظهرها ويعينها غير الله عز وجل، وقيل[٢]: ليس لها من دون الله راد[٣]، عن قتادة. «**أَفَمِنْ هَذَا الْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ**» خطاب للمشركين من قريش والعرب، يعني من حديث البعث والنشور والقيامة والجزاء، وقيل: من القرآن، وكونه معجزًا[٤]، عن أبي علي، وقيل: من ادعائه النبوة إنكارًا، «**وَتَضْحَكُونَ**» استهزاء، «**وَلَا تَبْكُونَ**» خوفًا، يعني: كان ينبغي لكم أن تبكوا خوفًا من ذلك «**وَأَنْتُمْ سَامِدُونَ**» قيل: لاهون معرضون[٥]، عن ابن عباس، وقيل: هو الغناء، وكانوا إذا سمعوا القرآن تغنوا، عن عكرمة، وقيل: أشرون بطرون، عن الضحاك، وقيل: معرضون عصبية، عن مجاهد، وقيل: السُّمُودُ: القيام بغير فائدة، ومنه حديث النبي ﷺ أنه خرج، والناس قيام ينتظرون الصلاة فقال: «ما لي أراكم سامدين».

---

(١) قبلكم: -، ك.
(٢) قيل: +، ك.
(٣) راد: راده، ت، د، ك.
(٤) معجزا: معجزة، د.
(٥) معرضون: لا تخبرون، ت، د، ك. وما أثبتناه من الطبرسي، ٩، ٢٧٧، الدر المنثور، ٩/ ٣٣٦.

ثم أمرهم بترك الغفلة والإقبال على العبادة، فقال سبحانه: «**فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَاعْبُدُوا**» قيل: أراد الصلاة وغيرها من عباداته التي أمر بها، عن أبي علي.

الأحكام

تدل الآية على وجوب الاعتراف بنعمه، وأداء شكره، وعظيم الإثم في الشك فيه، فلذلك قال: ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ﴾.

وتدل على أن القيامة تقوم على دابر[1] هذه الأمة، ولا نبي ولا شريعة بعد هذه الشريعة، وذلك معلوم من دين النبي ﷺ ضرورة.

وتدل على قبح الضحك خصوصًا فيما يرجع بالاستهزاء بالدين، فإن ذلك كفر.

وتدل على وجوب التمسك بالصلاة والعبادات، وترك الغفلة.

---

(١) دابر: رأس، ك.

سُورَةُ الْقَمَرِ

سورة (القمر) مكية فيما ذكره المفسرون، وهي خمس وخمسون آية.

وعن أبي، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ في كل غداة بعث يوم القيامة ووجهه على صورة القمر ليلة البدر، ومتى قرأ في كل ليلة جاء يوم القيامة ووجهه يسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة».

ولما ختم سورة (النجم) بذكر القيامة، افتتح هذه السورة باقترابها، وذكرِ علاماتها، وأنها ظهرت، وهو انشقاق القمر، ومجيء الرسول ﷺ.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّنَ ٱلْأَنۢبَآءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ حِكْمَةٌۢ بَٰلِغَةٌ ۖ فَمَا تُغْنِ ٱلنُّذُرُ ﴿٥﴾﴾.

القراءة

قراءة العامة: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾، قال ابن كيسان: تقديره[1]: انشق القمر واقتربت الساعة. وقرأ حذيفة: **(اقتربت الساعة وقد انشق القمر)**.

---

(١) تقديره: وتقديره، ك.

قراءة العامة: «مستقر» بكسر القاف ورفع الراء نعتًا لـ «كلّ»، وقرأ أبو جعفر بكسر الراء على أنه نعت للأمر، وحكى أبو حاتم عن شيبة ونافع: «مستقر» بفتح القاف، يعني لكل أمر مستقر، نحو قوله: ﴿لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٦٧] أي: غاية ونهاية ينتهي إليها، فيستقر فيها، وهاتان القراءتان مع أنهما شاذتان[1] ليس لهما وجه صحيح.

اللغة

اقتربت: «افتعل» من القرب، ومعناه: قرب، إلا أن في اقتربت[2] زيادة مبالغة؛ لأن أصل افتعل إعداد المعنى بالمبالغة، نحو: اشتوى: اتخذ شواء بالمبالغة، في إعداده، وكذلك اتخذ من أخذ.

والمستمر: فيه قولان، قيل: أخذ من الشدة من إمرار الحبل، وهو شدة فتله، ومنه: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦] أي: ذو قوة، وأمررت الحبل: فتلته، والمرة شدة الفتل، والأَمَرَّان: الهَرَم والمرض لشدتهما، وقيل: هو مأخوذ من مر يمر أي: مضى وذهب، عن الفراء.

والهوى: رقة القلب بميل الطبع كَرِقَّة، هواء الجو، هَوَى يَهْوَي هَوًى: إذا مال طبعه، وهوى هوى النفس مقصور، وهواء الجو ممدود، ويجمع: أهوية، وهَوَى يَهْوِي: إذا انحدر في الهواء، والمصدر الهُوِيّ، والاسم الهاوي.

والاستقرار: التمكن، استقر فهو مستقر.

والمُزْدَجَرُ: «مفتعل» من الزجر، إلا أن التاء أبدلت دالاً لتُؤاخِي الزاي[3] في الجهر، مع أن الدال من مخرج التاء، وكل ذلك لتعديل الحروف، ولكيلا تتنافر، والزجر مصدر زجرته أزجره زجرًا فانزجر، أي: نهيته، فانتهى.

---

(١) شاذتان: شاذ؛ د، ك.

(٢) اقتربت: اقترب، ك.

(٣) الزاي: الزاء، د.

۞ الإعراب

﴿وَكُلُّ أَمۡرٖ مُّسۡتَقِرّٞ﴾ استقر فهو مستقر.

«حكمة» رفع بتقدير: هي حكمة بالغة.

و(ما) في قوله: ﴿فَمَا[1] تُغۡنِ ٱلنُّذُرُ﴾ يجوز فيه وجهان: الجحد، وبمعنى: أي شيء.

۞ النزول

قيل: سأل جماعة قريش رسول الله ﷺ، فأراهم القمر شقين، حتى رأوا حراء بينهما، عن أنس.

وقيل: انشق القمر، فقالت قريش: هذا سحر، ابن أبي كبشة سحركم، فأسألوا السُّفَّارَ، فسألوهم، فقالوا: نعم رأينا، ففي ذلك نزلت الآية، وروي أنهم سألوا العوالي عن ذلك، فأقروا به.

۞ المعنى

«اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ» أي: قربت القيامة بخروج خاتم الأنبياء، وآخر الأمم، وهذا هو الأوجه، وعليه جماعة المفسرين. وقيل: اقتربت ساعتهم يوم بدر، فإنهم يهلكون بالسيف «وَانْشَقَّ الْقَمَرُ» قيل: انشق القمر بمكة فلقتين[2]، فلقة فوق الجبل، والأخرى أسفل من الجبل، فقال ﷺ: «اللهم فاشهد»، وقال أيضًا: «اشهدوا»، عن ابن مسعود، وروى انشقاق القمر ابن مسعود، وابن عمر، وأنس، وحذيفة، وابن عباس، وجبير بن مطعم، ومجاهد، وإبراهيم، وهو قول أبي علي وجماعة. وقيل: إنه ماض بمعنى المستقبل، أي: سينشق عند قرب الساعة، قالوا: ولو انشق لرآه كل أحد، ولاشتهر، عن الحسن، وعطاء، والأصم، وأبي القاسم، وهذا لا يصح؛ لأنه خلاف الظاهر، ولأنه اشتهرت الرواية فيه.

---

(١) فما: ما، د، ك.

(٢) فلقتين: فلقين؛ د، ك.

ومتى قيل: فهلا رآه أهل البلدان؟

قلنا: القمر قد ستره الغيم، وَرُئِي في موضع دون موضع، ولأنه كان بالليل وقت نوم وغفلة، فلم يشتهر، ولم يره كل أحد، ولأنه لم يلبث وقت الانشقاق؛ بل كانت ساعة؛ لذلك لم يشتهر، على أنه كان مشهورًا بينهم؛ لأنه ﷺ كان يقرأ عليهم هذه السورة ولا ينكره منكر، ولا يكذبه أحد مع كثرة الأعداء وحرصهم على تكذيبه، وقيل: انشق القمر، أي اتضح الأمر، وهكذا عادة العرب، إذا وصفوا الأمر بالظهور، قالوا: هو كالشمس، ولأنه قال: «وَإِنْ يَرَوْا» ولم يقل: رأوا، عن أبي مسلم، وهذا لا يصح؛ لأن ما ذكره مجاز، فلا يعدل عن الحقيقة ولا مانع من حمله عليها.

«وَإِنْ يَرَوْا» أي: من عاداتهم إذا رأوا، وقيل: معناه إذا رأوا «آيَةً» أخرى قالوا سحر كما قالوا في هذه «وَإِنْ يَرَوْا آيَةً» له أي: معجزة وحجة على صدقه «**يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ**» تمويه «مُسْتَمِرٌّ» قيل: ذاهب مضمحل ولا يبقى، عن مجاهد، وقتادة، والفراء، والكسائي، وقيل: مستمر محكم شديد قوي، عن أبي العالية، والضحاك، وقيل: غالب، عن قتادة، وقيل: نافذ ماض فيما يرويه، عن الربيع، وأبي علي، وقيل: باطل، عن أبي عبيدة، وقيل: يشبه بعضه بعضًا، وقيل: سحر مستمر من الأرض إلى السماء، وقيل: ثابت دال، عن الزجاج، وقيل: مُرّ. «وَكَذَّبُوا» يعني بآيات الله التي رأوها كانشقاق القمر وغيره، وقيل: بالقرآن، وقيل: بمحمد ﷺ «**وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ**» في التكذيب «**وَكُلُّ أَمْرٍ مُسْتَقِرٌّ**» قيل: أمر يثبت، فالحق يستقر ولا يبطل بتكذيبهم(1)، وقيل: من خير وشر مستقر، حتى يجازى به في الجنة أو في النار، عن قتادة، معناه: يستقر بأهل الخير الخير، وبأهل الشر الشر والعذاب، وقيل: لكل أمر منتهىً، عن مقاتل، أي: ينتهي إلى غايته وقراره، وقيل: لكل أمر حقيقة، وحقيقة التصديق والتكذيب يُعْلَمُ بالثواب والعقاب في الآخرة، عن أبي علي، وقيل: كل ما قُدّرَ كائن واقع لا محالة، لا يزول؛ بل يستقر قراره كما قدره تعالى «**وَلَقَدْ جَاءَهُمْ**» يعني أهل مكة ومن حولهم «**مِنَ الْأَنْبَاءِ**» قيل: من أخبار الأمم الذين أهلكوا بأنواع العذاب «**مَا فِيهِ**» كفاية في الزجر عن الكفر والمعاصي، وقيل: هي القرآن الذي

---

(1) بتكذيبهم: تكذيبهم، ك.

جاءكم، وفيه من الحكمة البالغة والعظة الباهرة، ما فيه كفاية، وما فيه «مُزْدَجَرٌ» متناهى، عن مجاهد، وقيل: زجر كافٍ «حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ» يعني القرآن تام لا نقص فيه «فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ» أي: أيّ شيء تنفع النذر مع تكذيبهم وإعراضهم، والنذر قيل: الزواجر المخوفة، وآيات الوعد والوعيد[1]، وقيل: النذر: الرسل.

۞ الأحكام

يدل أول الآيات على قرب الساعة، وهي القيامة، ولا حد يذكر في القرب؛ لأن العرب تستعمل لفظ القرب على سبيل الإضافة، فتختلف باختلاف مواضعها.

وتدل على أن القمر انشقّ[2] معجزة لنبينا ـ صلوات الله عليه ـ، وإليه ذهب شيخانا، خلاف ما يقوله جماعة: أنه لم يكن.

وتدل على ذم المعرض عن الأدلة، ووجوب التفكر.

وتدل أن اتباع الهوى في الدين مذموم، وليس بعده إلا اتباع الأدلة، وذلك يدل أن المعارف مكتسبة.

وتدل على أن الغرضَ من الزواجر والأنباء العظةُ، وإنما ينتفع به من يتفكر فيه، دون المعرض.

وتدل على أن قوله: ﴿سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ واتباع الهوى، والتكذيب فعلهم، ليس بخلق الله[3]؛ لاستحالة أن يخلق معجزة لرسوله، ثم يخلق في ألسنتهم أنها سحر، هذا ليس يفعله حكيم.

---

(١) الوعد والوعيد: الوعيد والوعد، ك.
(٢) أنشق: اشتق؛ د، ك.
(٣) الله: لله، ك.

قوله تعالى:

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانتَصِرْ ﴿١٠﴾﴾.

القراءة

قرأ ابن كثير والحسن: «نُكْر» مخففة الكاف، والباقون مثقلة، وهما لغتان.

وقرأ ابن عباس وابن عمر ويعقوب وحمزة والكسائي: «**خاشعًا أبصارهم**» بالألف وكسر الشين. الباقون: «**خُشَّعًا**» بغير ألف على الجمع، قال الفراء: إذا تأخرت الأسماء عن الأفعال والصفات فلك فيه التوحيد والجمع، والتذكير والتأنيث، ومنه قول الشاعر:

وشَبابٍ حَسَنٍ أَوجُهُهُم ... مِنْ إِيادِ بنِ نِزارِ بنِ مَعَدّ[1]

فمن وَحَّدَ فلأنه في معنى الجمع، ومن جَمَعَ فلأنه صفات أسماء، ومن أَنَّثَ فلتأنيث الجماعة.

اللغة

النُّكُرُ: الذي تأباه النفس، وهو المنكر، وأصله من الإنكار، وهو ضد الإقرار؛ لأن النفس لا تقر بقبوله، فلغلظه على النفس ونفور الطبع عنه سمي نكرًا، ونُكُر بضم الكاف، على وزن «فُعُل»، كقولهم: جُنُب، وأرض جُرُز، ونُكْر بسكون الكاف، نحو: رُشْد.

والخاشع: الخاضع، وهو الطالب حالة التواضع، خشع خشوعًا فهو خاشع، والجمع: خُشَّعٌ، وتخشع الرجل: تنسك.

---

(١) البيت قائله الحارث بن دوس الإيادي:
أنظر: اللسان (خشع)، تاج العروس (خشع).

والأجداث: جمع جدث، وهو القبر، وفيه لغتان: جدث بالثاء، وجدف بالفاء.

والإهطاع: الإسراع بالأمر، أهطع فهو مهطع.

۞ الإعراب

«**خاشعا**» نصب على الحال، والعامل فيه: «**يخرجون**»، وجواب الأمر في قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ[1] ٱلدَّاعِ﴾ تقديره: تول عنهم فإنهم يوم يدع الداعي، فحذف الفاء من جواب الأمر، وقيل: هو ابتداء وخبره: ﴿يَقُولُ﴾، يعني يدعو الداعي يقولون.

ورفع «**جراد**» لأنه خبر «**كَأَنَّ**»، وحذف الياء من الداعي تخفيفًا، ودلت كسرة العين على الياء.

﴿مُّهْطِعِينَ﴾ نصب على الحال.

«**كذبت**» أنث؛ لأنه ذهب به[2] مذهب القبيلة، تقديره: كذبت قبيلة نوح أو أسرته، وقيل: ذهب إلى أنه جمع، كقوله: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ﴾ [الحجرات: ١٤] تقديره: قالت جماعة نوح.

﴿قَبْلَهُمْ﴾ نصب على الظرف.

۞ المعنى

لما تقدم ظهور المعجزة وإعراضهم عنها أمره بالإعراض عنهم تهديدًا لهم وتسلية له، وعقبه بعظة نوح وغيره تأكيدًا، فقال ـ سبحانه ـ: «**فَتَوَلَّ عَنْهُمْ**» أي: أعرض عنهم «**يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ**» قيل: أعرض عنهم إذا تعرضوا لشفاعتك يوم يدع الداع، وهو يوم القيامة، فلا تشفع لهم، كما لم يقبلوا منك، وقيل: فتول عنهم، فإنهم يوم يدع الداعي صفتهم ما بَيَّنَ، وقيل: فتول عنهم، فإنهم يعلمون مصداق قولك يوم يدع الداعي، ولا خلاف أن اليوم يوم القيامة، واختلفوا في الداعي قيل: إسرافيل يدعو

(١) يدع: يدعوا، ك.

(٢) به: +، ك.

الناس إلى الحشر، وقيل: بل الداعي يدعوهم إلى النار «إِلَى شَيْءٍ نُكُرٍ» أي: منكر غير معتاد، ولا معروف؛ بل منكر فظيع، لم يروا مثله، فأنكروه استعظامًا، وقيل: هو النار، وقيل[1]: هو القيامة وأهوالها «خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ» أي: خاضعة، ووصف الأبصار بالخشوع؛ لأن ذلة الذليل وعزة العزيز تتبين في بصره «يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ» من القبور سراعًا إلى الحشر «كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنتَشِرٌ» منبث جار «مُهْطِعِينَ» مسرعين «إِلَى الدَّاعِ» يعني إلى إجابة الداعي، عن أبي عبيدة، وقيل: مقبلين إلى الداعي، عن قتادة. «يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ» أي: شديد، وقيل: ناظرين قبل الداعي قائلين: هذا يوم عسر، عن الفراء، وأبي علي، «كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ» أي: قبل أهل مكة «قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا» نوحًا «وَقَالُوا مَجْنُونٌ» أي: هو مجنون «وَازْدُجِرَ» قيل: زجر بالشتم والرمي بالقبيح[2]، عن ابن زيد، وقيل: زجر بالوعيد، وقيل: توعد بالقتل ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهِ يَٰنُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمَرْجُومِينَ﴾ [الشعراء: ١١٦]، «فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ» ضعيف، غلبني هؤلاء السفهاء «فَانْتَصِرْ» أي: فانتقم منهم بالنصرة.

❁ الأحكام

يدل قوله: ﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾ أنه ليس عليه إلا البلاغ، وليس عليه قبولهم، والجزاء[3] على الله، وقد قال بعضهم: نسختها آية القتال، وليس فيه ما يوجب النسخ؛ لأن معناه: أعرض عن مكافأتهم فالله يكافئهم، أو أعرض عنهم استخفافًا بهم، فيكون تهديدًا لهم.

ويدل قوله: ﴿يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ أن البعث يكون لهذه البنية؛ لأنها في الأجداث، فإذا أحياها الله تعالى تخرج، فيبطل قول من يقول: إن البعثة على الأرواح.

ويدل قوله: ﴿فَدَعَا﴾ أنه الواجب عند سماع القبيح من المبطل الانقطاع إلى الله ليكافئهم، وينتصر للمحق من المبطل.

وتدل أن التكذيب فعلهم.

---

(١) وقيل: +، ك.

(٢) بالقبيح: بالقبح، ك.

(٣) والجزاء: بالجزاء، د، ك.

قوله تعالى:

﴿فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر: «**فَفَتَّحْنا**» مشددة التاء على المبالغة. الباقون: «**فَفَتَحْنَا**» مخففة.

وقراءة العامة: ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾ على واحد، وأراد به الجنس، وقرأ عاصم والجحدري: «**فالتقى المآن**»، يعني ماء السماء، وماء الأرض. وقرأ الحسن: «**ماوان**» جعل إحدى الألفين واوًا.

وقراءة العامة: ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾، يعني نوحًا بضم الكاف وكسر الفاء. وقرأ مجاهد: «كَفَر» بفتح الكاف، أي: كان الغرق جزاء على كفرهم.

اللغة

الهَمْرة: صب الدمع والماء بشدة، والمنهمر: كثير الانصباب شديد، ورجل مِهْمَارٌ: كثير الكلام، هَمَرَ يَهْمِرُ، وانهمر انهمارًا، وهَمَرَ ما في الضرع: إذا حلبه أجمع.

والتفجر: تشقق الأرض عن الماء، ومنه: انفجر العرق، ومنه: ﴿وَفَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف: ٣٣]، ومنه: الفجر لانشقاق الظلمة عن الضياء، وأصله المفارقة، كأنه بالشق يفارق أحد الجانبين الآخر، والفاجر: المفارق لأمر الله.

والدَّسْرُ: مصدر دسرت السفينة أَدْسُرُها دسرًا: إذا شددتها بمسامير ونحوها، والدِّسَار: خيط من ليف يشد به ألواح السفينة، والجمع: دُسُرٌ، ويقال: الدسر

المسامير، والدَّسْرُ: الدفع الشديد، يقال: دسره بالرمح، وأصل الباب: الدفع، وسميت صدر السفينة دسرًا؛ لأنها تَدْسُرُ الماء، أي: تدفعه، ومنه الحديث في العنبر: «هو شيء دسره البحر».

والمدكر: «مفتعل» من الذكر، وأصله مُذْتَكِر، قلبت التاء دالاً لتؤاخي الدال بالميم، ثم أدغمت الدال فيها، فصار مُدِّكرًا.

والإنذار: التخويف، ومثله النذر، قال الفراء: وهما مصدران، تقول العرب: نذرت إنذارًا ونُذُرًا، وقيل: النُّذُر جمع نذير.

والتيسير: التسهيل.

۞ الإعراب

لم قال: ﴿فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ﴾[1] مع أن الالتقاء لا يكون إلا بين اثنين؟

قلنا[2]: لأنه اسم جنس.

و﴿ذَاتِ أَلْوَٰحٍ﴾ صفة لمحذوف، أي: سفينة ذات ألواح.

﴿وَدُسُرٍ﴾ عطف على الألواح.

﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أي: فعل ذلك، وهو مصدر وضع موضع الحال.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى كيف أجاب دعاء نوح وكيف أهلك قومه، فقال سبحانه: «**فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ**» أراد: جرى الماء من السماء كجريانه إذا فتح عليه باب كان له مانعًا، وذلك مما لا يقدر عليه غيره ـ سبحانه ـ «**بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ**» كثير شديد الانصباب لم يقلع، ولم ينقطع أربعين يومًا، عن ابن عباس، وقيل: سائل، عن الكسائي، وقيل: هائل،

---

(١) لم قال فالتقى الماء: لم يثن الماء، د.
(٢) قلنا: +، ك.

عن أبي عبيدة، وقيل: طبق بين السماء والأرض، عن القرظي، وكان ينصب كأفواه القرب «**وَفَجَّرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا**» أي: شققنا الأرض بالماء عيونًا، حتى جرى الماء على وجه الأرض «**فَالْتَقَى الْمَاءُ**» أي: ماء السماء وماء الأرض «**عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ**» قيل: قدر فيه هلاك القوم، أي: على أمر الله، قدره الله تعالى، وهو هلاكهم، وقيل: على أمر قدره الله تعالى، وعرف مقداره لا زيادة فيه، ولا نقصان، وقيل: «**قُدِرَ**» أي: ماء السماء وماء الأرض كله واحد، وقيل: على أمر قدر عليهم في اللوح المحفوظ «**وَحَمَلْنَاهُ**» أي: نوحًا، ولم يذكر القوم؛ لأنهم تبع له «**عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ**» أي: سفينة ذات ألواح «**وَدُسُرٍ**» قيل: المسامير التي شدت بها السفينة، عن ابن عباس، وقتادة، وابن زيد، والقرظي، وقيل: الدسر صدر السفينة يدسر به الماء، أي: يدفع، عن الحسن وجماعة، وقيل: الدسر أضلاع السفينة، عن مجاهد، وقيل: الدسر طرفاها وأصلها، والألواح جانباها، عن الضحاك. «**تَجْرِي**» يعني السفينة في الماء، قيل: كانت تجري بين ماء السماء، وماء الأرض، وقد كان غطاها على ما أمر الله به «**بِأَعْيُنِنَا**» قيل: بحفظنا وحراستنا، ومنه: عين الله عليك، عن مقاتل بن حيان، وقيل: بوحينا، عن مقاتل بن سليمان، وقيل: بأمرنا، عن سفيان، وقيل: برأي منا، وقيل: بأعين الماء التي أنبعناها، وقيل: تجري بأعين أوليائنا الموكلين بها من الملائكة، فأشار إلى أن النجاة لم تكن بالسفينة؛ لكن بحفظنا؛ حيث صرفنا عنه الأرواح، وحفظه عن الغرق وماء السماء «**جَزَاءً**» يعني فعلنا ذلك جزاء ثوابًا «**لِمَنْ كَانَ كُفِرَ**» قيل: لنوح، وتقديره: لمن جُحِدَ نبوته، وأُنْكِرَ حقه، وكفر بالله فيه، وتقديره: أغرقناهم بكفرهم بنوح، وقيل: كُفِرَ به، وهو الله تعالى، عن مجاهد، أي: عاقبناهم لله ولأجل كفرهم به، وقيل: (من) بمعنى (ما)، أي: جزاء بمَا[1] كان كفر من آيات الله، عن ابن زيد. «**وَلَقَدْ تَرَكْنَاهَا**» يعني السفينة، ونجاة من فيها، وهلاك الباقين، فقيل: السفينة حيث تجري في البحر؛ لأنه هيأ الماء على وجه تجري فيه السفينة، وهيأ السفينة على وجه تجري في الماء «**آيَةً**» أي: حجة وعظة «**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**» أي: متعظ وخائف أن ينزل به مثل ما نزل بأولئك «**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**» أي: إنذاري

(١) بما: لمن، د؛ لما، ك؛ وكتب فوقها؛ أظنه بما.

تعجيب منه، كيف رأيتم انتقامي منهم؟ «**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ**» أي: سهلناه[1] للذِّكْر لكي يُتَفَكَّرَ فيه ويتذكر به، وقيل: سهلناه للحفظ، حتى يقرأ ظاهرًا، ولا كتاب من كتب الله كذلك، عن سعيد بن جبير. «**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**» متعظ، وقيل: هل من طالب علم، فيعان عليه، عن قتادة، ومطر الوراق.

ومتى قيل: لماذا أعاد ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾؟

قلنا: أراد بالأول الاعتبار بأحوال المعذبين والناجين، وبالثاني التذكر[2] بمواعظ القرآن، فلم يكن تكرارًا.

الأحكام

تدل الآيات على الزجر والتخويف والتحذير أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك.

ويدل قوله: ﴿جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ أن العقاب قد يكون في الدنيا، وقد يكون عِقابُ واحدٍ ثوابًا للآخر.

ويدل قوله: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ﴾ أنه شافٍ كافٍ في التذكر، وأنه يمكن معرفة المراد به.

ويدل قوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ على وجوب التدبر، وأن التفكر فعلهم.

قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾﴾.

---

(١) سهلناه: سهلنا، د، ك.
(٢) التذكر: للتذكر، ك.

۞ القراءة

قراءة العامة: «نَحْسٍ» بسكون الحاء، وقرأ هارون الأعور بكسر الحاء، وهما لغتان، يقال: يوم نَحْس، ونَحِس: مشؤوم.

۞ اللغة

الريح الصرصر: الشديد الهبوب حتى يسمع صوتها، وهو مضاعف صر وصرصر، ونظيره: كَبَّ وكَبْكَبَ، ونَهَّ ونَهْنَهَ.

والمستمر: الجاري على طريقة واحدة استمرارًا.

والأعجاز: جمع عَجُزٍ، نحو: أعضاد وعَضُدٍ.

والمنقعر: المتقلع من أصله؛ لأن قعر الشيء قراره، فلذلك سمي المنقلع منقعرًا؛ لأنه اجتث من قعره، وانقعر(1) ينقعر انقعارًا، وقعره غيره تقعيرًا، وتقعر في كلامه مثل تعمَّق.

۞ الإعراب

يقال: لِم قال: ريح صرصر، وريح عاصف، ثم قال: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]؟

قلنا: قال المبرد: كل ما كان من هذا الباب فلك أن ترده إلى اللفظ تذكيرًا، ولك أن ترده إلى المعنى تأنيثًا.

وقوله: ﴿مُّنقَعِرٍ﴾ ولم يقل: منقعرة؛ لأن النخل تُذَكَّرُ وتؤنث.

۞ المعنى

ثم ذكر قصة عاد، فقال ـ سبحانه ـ: «**كَذَّبَتْ عَادٌ**» هم قوم هود كذبوا رسولهم هودا «**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**» أي: إنذاري «**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا**» أي: شديد الهبوب، وقيل: كانت باردة، عن ابن عباس، وقتادة، أخذ من الصر، وهو البرد، وقيل: شديدة، عن ابن زيد، وسفيان، وقيل: كانت باردة ذات صوت شديد

(١) وانقعر: انقعر، ك.

«**فِي يَوْمِ نَحْسٍ**» أي: يوم شؤم، عن قتادة، وقيل: نحس: بارد و"**مُسْتَمِرٌّ**» استمر بهم العذاب إلى نار جهنم، وقيل: مستمر من نعت اليوم، وقيل: من نعت الريح، أي: دام هبوبه، وقيل: استمرت بهم سبع ليال وثمانية أيام حتى أتت عليهم شيئًا بعد شيء «**تَنزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُنْقَعِرٍ**» قيل: تقتلع الناس، ثم ترمي بهم على رؤوسهم، فتدق رقابهم، وقيل: تنزع الناس من حفر حفروها ليمتنعوا بها من الريح، وقيل: تنزع الأرواح من الأجساد، وتتركهم صرعى هالكين كأنهم أعجاز نخل؛ لأن رؤوسهم سقطت عن أبدانهم، عن ابن زيد، والأعجاز: الأصول، عن ابن عباس، وشبههم بالنخل لطولهم «**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا**» سهلنا «**الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ**» أي: ليذكر من يتعظ به «**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**» أي: متعظ.

ومتى قيل: كيف يجمع بين قوله: ﴿يَوْمِ نَحْسٍ﴾ وبين قوله: ﴿أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت: ١٦] وبين قوله: ﴿سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَٰنِيَةَ أَيَّامٍ حُسُومًا﴾ [الحاقة: ٧]؟

قلنا: اليوم عبارة عن الوقت، ثم سائر الآيات تعبير له؛ لأن الوقت قد يقصر، وقد يطول.

۞ الأحكام

تدل الآيات أن التكذيب فعلهم، ليس بخلق الله حتى استوجبوا العقاب بذلك.

وتدل على أنه تعالى يفعل بِسَبَبٍ؛ لأنه أهلكهم بالريح، خلاف ما يقوله أبو علي.

وتدل على الحث على التفكر، وأنه فعل العبد.

قوله تعالى:

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓاْ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ إِنَّا مُرْسِلُواْ ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُواْ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾﴾.

۞ القراءة

قراءة العامة: ﴿أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥ﴾ بالنصب على أن الواحد نعت للبشر، وقرأ ابن السماك العدوي: «واحِدٌ» بالرفع. إنا إن فعلنا ذلك وتركنا دين آبائنا، ومعناه: وهو واحد منا إذن.

وقراءة العامة: «أشِر» بفتح الألف وكسر الشين، وعن مجاهد بفتح الألف وضم الشين، وهما لغتان، مثل: حَذِرٍ وحَذُرٍ، ويَقِظٍ ويَقُظٍ.

قرأ ابن عامر وحمزة والأعمش ويحيى بن وثاب: «ستعلمون» بالتاء على الخطاب. الباقون بالياء على الكناية، وهو[1] من قول الله لرسوله، فأما الأول فخطاب لهم إما من الله تعالى أو من صالح عليه السلام.

وقراءة العامة: «الأشر» بفتح الهمزة وكسر الشين، على أنها البطر، وقرأ أبو قلابة بفتح الشين وتشديد الراء على وزن «أَفْعَل» من الشر، قال أبو حاتم: لا تكاد العرب تتكلم بالأشر والأخير إلا في ضرورة الشعر، كقول رؤبة:

بِلالُ خَيْرُ النَّاسِ وَابْنُ الأَخْيَرِ[2]

وإنما يقولون: خير وشر، قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ [آل عمران: ١١٠] و﴿أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ [يوسف: ٧٧].

قرأ الحسن، وقتادة: «كهشيم المُحْتَظَر» بفتح الظاء، وأراد الحظيرة، وقرأ الباقون بكسر الظاء، وأرادوا صاحب الحظيرة.

۞ اللغة

السُّعُرُ: جمع سعير، وهو النار المسعر، والسَّاعُور: التنور، يقال: ناقة مسعورة: إذا كان بها جنون، واستعر فلان جنونًا: إذا اعتراه الجنون، وأصله: التهاب الشيء، وهو شدة انتشار الشر.

---

(١) وهو: فهو، ك.

(٢) البيت قائله رؤبة بن العجاج.

والأَشِرُ: الطالب الفخر وعظم الشأن من غير أن يستحقه، وقيل: هو البطر الذي لا يبالي ما قال، يقال: أَشْرَ يَأْشَرُ، وناقة مِئْشِيرٌ، ورجل أَشِر، وأَشُر بكسر الشين وضمها، لغتان، والأُشُرُ[1] بضم الألف والشين: حُسْنُ الأسنان في حدّةِ[2] أطرافها.

والاصطبار: «افتعال» من الصبر، وفيه زيادة مبالغة، والطاء فيه تاء، حولت طاء لأجل الصاد.

والشِّرْب بكسر الشين: حَظٌّ من الماء، والشُّرب بضم الشين: فعل الشارب، والشَّرب بفتح الشين المصدر، والشَّرْبُ أيضًا: القوم يشربون. والمَشْرَبَة: الموضع الذي يشرب منه الناس، وماء شَرُوْب وشَرِيبٌ: يصلح للشرب، والشريب: الذي يشاربك، وأُشْرِبَ فُلانٌ حُبَّ فلان: إذا خالط قلبه.

والتعاطي: التناول، تعاطيت الشيء: تناولته.

والصيحة: المرة من الصوت، صاح صيحة وصياحًا، وصايحه مصايحة.

والهشيم: أصله الكسر، هشم أنفه فهو هشيم، وهشم العظم، ومنه سميت الشجة: هاشمة، وهو الذي يكسر العظم.

محتضر: بالضاد من الحضور، أي: يحضرون حظهم من الماء، وتحضر الناقة حظها، حضره يحضره، والحَضَرُ: خلاف البدو، ورجل حَضِرٌ لا يصلح للسفر.

فأما المحتظر بالظاء فهو من: حظرت الشيء: حُزْتُهُ، والحِظَارُ: ما حظر على غنم وغيرها، والمُحْتَظِر: الذي يعمل الحظيرة، احتظر احتظارًا، وأصله المنع، ثم قد يكون بِسَدٍّ أو بناء أو باب[3] أو غيره.

الإعراب

«أبشرا» نصب بفعل مبهم، المعنى: أنتبع بشرًا منا واحدًا نتبعه في ضلال.

---

(١) والأشر: فالأشر، ك.

(٢) حدة: وحدة، د.

(٣) أو باب: أو اباب، ك.

«فتنة» نصب على الحال، يعني: إنا مرسلو الناقة في حال الفتنة، وأصله: إنا مرسلون، حذفت النون، ثم أضيف الاسم.

المعنى

ثم ذكر قصة ثمود، فقال تعالى: «كَذَّبَتْ ثَمُودُ» وهم قوم صالح، كذبوا صالحًا «بِالنُّذُرِ» قيل: بالرسل وهم صالح وغيره، والنذر: جمع نذير، وقيل: بآيات الله وأخبار أنبيائه، وإنذاره بالوعد والوعيد «فَقَالُوا أَبَشَرًا مِنَّا وَاحِدًا» أي: أبشرًا مثلنا، ومنا بالنسب، «واحدًا» ليس له أعوان، ولا معه مَنْ صَدَّقَهُ من ملك ولا غيره، ونحن جماعة كثيرة وأشراف، أمع هذا نتبعه؟ وهذا من شبههم[1] الركيكة؛ لأنهم تعلقوا بشيئين:

أحدهما: أنه[2] بشر، فَلِمَ خص بالنبوة دوننا؟

فجوابه: أنه يصلح للنبوة دونهم من حيث معرفته بربه، وقيامه بأداء رسالته، وسلامة ظاهره وباطنه، ولأنه تعلق به مصالح الخلق دونهم.

وثانيهما: أنه واحد ليس معه معين ولا مُصَدِّقٌ:

فجوابه: أن الحق لا يتعلق بالكثرة والقلة، وإنما يتعلق بالأدلة، فإذا ظهر عليه المعجز ثبت أنه رسول، ولأنه إذا كان واحدًا ثم علا أمره، وظهر دينه كان أبلغ في الإعجاز.

«إِنَّا إِذًا لَفِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ» يعني إن اتبعناه نكون في ضلال، أي: ذهاب عن الحق و[3]الصواب، وقيل: في ضلال عن الدين «وَسُعُرٍ» قيل: في عذاب، عن ابن عباس، والحسن، وقيل: في جنون، عن الزجاج، والفراء، وأبي علي، وقيل: في عناء، عن قتادة، وقيل: في هلاك كما يقال: فلان أحرق نفسه، وقيل: في أمر يسعرنا، أي: يلهينا، وقيل: هذا جواب منهم لقول صالح، فإنه دعاهم إلى الحق، وحكم عليهم

(١) شبههم: شبهتهمُ د.
(٢) أنه: لأنه، ك.
(٣) الحق و: -، ك.

بالضلال والنار إن لم يتبعوه، فقالوا: النار والضلال في اتباعك لا فيما نحن فيه، مبالغة في الرد عليه، وإنكارًا لما جاء به «**أَؤُلْقِيَ الذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنْ بَيْنِنَا**» يعني كيف ألقي الوحي إليه مع استوائنا في الأحوال، وقيل: كيف أوحي إليه مع فقره، وقلة جاهه وأتباعه، ونحن رؤساء متبوعون، ذوو مال وجاه، وقيل: المراد بالذِّكْرِ الوحي، وقيل: النبوة والبعث، وقيل: الكتاب. «**بَلْ هُوَ كَذَّابٌ**» قيل: مُكَذِّبٌ فيما يقوله من النبوة والبعث، وقالوا: كذاب مبالغة «**أَشِرٌ**» قيل: بَطِرٌ لا يبالي ما يقول، وقيل: متكبر يتعظم علينا بادعاء النبوة «**سَيَعْلَمُونَ غَدًا**» إذا نزل بهم العذاب، وإنما ذكر غدًا للتقريب على عادة الناس يذكرون الغد ويريدون به[١] العاقبة، يقولون: إن مع اليوم غدًا «**مَنِ الْكَذَّابُ**» أي: هو الكاذب أم هم، في تكذيب صالح، وهو «**الْأَشِرُ**» البطر أم هم؟ فذكر مثل لفظهم مبالغة في توبيخهم، جزاء على سوء أفعالهم «**إِنَّا مُرْسِلُو النَّاقَةِ**» أي: باعثوها بإنشائها على ما طلبوها معجزة لصالح، وقطعًا لعذرهم «**فِتْنَةً**» أي: امتحانًا واختبارًا، وفيه حذف، أي: طلبوا ناقة تخرج من صخرة صماء فقال: إنا مرسلوها كما سألوها، اختبارًا «**لَهُمْ**» وشدة في التعبد «**فَارْتَقِبْهُمْ**» أي: انتظر أمر الله فيهم، وقيل: ارتقبهم وما يصنعون «**وَاصْطَبِرْ**» أي[٢]: اصبر على أذاهم حتى يأتي أمر الله فيهم «**وَنَبِّئْهُمْ**» أي: أخبرهم «**أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ**» بين الناقة وبين قوم صالح، يوم لهم ويوم لها، وإنما قال: فنبئهم تقنينًا[٣] لبني آدم «**كُلُّ شِرْبٍ**» نصيب من الماء «**مُحْتَضَرٌ**» يحضره من كان يومه، ففي يوم الناقة تحضره الناقة، وفي يومهم يحضرون الماء إذا غابت الناقة، وقيل: في يوم الناقة يحضرون اللبن، عن مجاهد، فشق عليهم ذلك من وجوه:

منها: ترك ما ألفوه من دين آبائهم.

ومنها: النظر في معجزة صالح والقول بنبوته.

ومنها: ترك أصنامهم.

---

(١) به: -، ك.
(٢) أي: -، ك.
(٣) تقنينا: قضينا، ك.

ومنها: أنه كان يضيق عليهم الماء والمرعى بسبب الناقة.

ومنها: اتباع صالح مع أنهم أهل رياسة.

ومنها: ترك ما هم فيه من الرياسة والجاه.

فدبروا في أمر الناقة بالقتل، فقال ـ سبحانه ـ: «**فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ**» أي[١]: دعا أهل البلد واحدًا من شرارهم، وهو قدار بن سالف، أشقى ثمود، فابتدر لقتلها حتى قتلها، «**فَتَعَاطَى**» أي: تناول الناقة بسيفه فعقرها ولم يشاركه فيه غيره، وقيل: ابتدر لقتلها تسعة منهم قدار، عن أبي علي، فأهلكهم الله بالسيف، فقال ـ تعالى ـ: «**فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ**» لهم وإنذاري إياهم «**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً**» قيل: صاح بهم جبريل فماتوا عن آخرهم، وقيل: الصيحة العذاب، فلما ماتوا ومضت أيام «**فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ**» الهشيم: كل ما كان رطبًا فيبس، والمحْتَظِر بكسر الظاء: من جعل لغنمه حظيرة من الشوك والشجر، يعني كيابس الشجر في الحظيرة، مضت عليه الأيام فكسرت وتلاشت، عن ابن عباس، والضحاك، وقيل: كتراب الحظيرة، وقيل: كالعظام النخرة المتمزقة، عن ابن عباس، والضحاك. وقيل: كحشيش يابس يجمعه المحتظر لغنمه، فتأكله الغنم، وتحظيره: تجميعه، عن أبي علي، وقيل: كتراب يتناثر من الحائط، عن سعيد بن جبير، وقيل: كشجر بالٍ[٢] متفتت ذرته الريح، عن ابن زيد، وقيل: رمادًا محترقًا. «**وَلَقَدْ يَسَّرْنَا**» سهلنا «**الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**» متعظ.

۞ الأحكام

يدل حديث الناقة على معجزة لصالح.

وتدل على شدة عنادهم، والتحذير عن مثل حالهم.

وتدل أن الكفر بالآيات بعد الاقتراح يوجب عذاب الاستئصال على ما جرت به عادة الله ـ سبحانه ـ.

وتدل أن التكذيب والعقر فِعْلُهم.

---

(١) أي: +، ك.

(٢) بالٍ: بالي؛ د،ك.

قوله تعالى:
﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٤٠﴾﴾.

اللغة

الحاصب والحصباء والحَصَبُ: الحجر دون ملء الكف، ومن ذلك المُحَصَّبُ: الموضع الذي ترمى فيه الجمار، ومنه حديث عمر: (حصبوا المسجد) أي: صبوا فيه الحجارة، وريح حاصب: إذا أتت بالغبار والحجارة.

والبطش: الأخذ بشدة، ويد باطشة.

والتماري: التدافع بطريق الحِجَاج بالباطل، تمارى القوم تماريًا، وماراه مماراة وَمِرَاءً، يقال: مراه يمري: إذا استخرج ما عنده من العلم بالأمر.

والمراودة: المحاولة: الطالب أمرًا من غيره، وأصله من راد يرود: إذا طلب مرعى، وهو رائد، يقال: راده يروده، وارتاده يرتاده، وراوده يراوده، ومنه: ﴿وَرَاوَدَتْهُ﴾ [يوسف: ٢٣] فأما رويدًا رفقًا فهو تصغير يرد من رادت الريح ترود إذا تحركت حركة خفيفة.

الطمس: محو الأثر، طمس يَطْمِسُ طمسًا، وطَمَّسْتُ الكتاب تطميسًا، وطمست الريح آثار القوم: إذا دفنتها بإلقاء التراب عليها.

الإعراب

قال الأخفش: صرف «سحر»؛ لأنه نكرة، أي: سحر من الأسحار، ولو أراد سحرًا بعينه لقال: (سَحَرَ) غير مجرى، ونظيره: مِصْرُ ومِصْرٌ من[1] الأمصار.

(١) من: -، ك.

﴿إِلَّآ ءَالَ لُوطٍۖ﴾ استثناء.

«نعمة» قيل: نصب على المصدر، أي أنعمنا نعمة، وقيل: على الحال.

﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ﴾ العذاب: الفاعل، والبكرة ظرف.

﴿بِٱلنُّذُرِ﴾ أصله ونُذُرِي، حذفت الياء تخفيفًا، وتدل كسرة الراء عليها.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ قصة لوط وقومه، وكيف هلكوا، فقال ـ سبحانه ـ: «**كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ**» قيل: بالرسل، وهو الأصح لا خبر للإنذار[1] به حقيقة؛ لأنه حي قادر فاعل، وقيل: النذر الآيات المشتملة على الوعيد «**إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا**» قيل: ريحًا رمتهم بالحجارة، وقيل: سحابة رمتهم بالحجارة وحصبتهم بها، عن ابن عباس، وأبي علي، وقيل: الحاصب يعني الحصباء، أي: رميناهم بالحجارة، وقيل: الحجارة كانت لمن[2] خارج البلد، وأما أهل البلد فانقلبت المدينة عليهم، عن الحسن، وقيل: الملائكة رموهم[3] بالحجارة من السماء، ويحتمل أنهم رموا بالحجارة، ثم انقلبت «**إِلاَّ آلَ لُوطٍ**» من كان تبعًا له وعلى دينه «**نَجَّيْنَاهُمْ بِسَحَرٍ**» أي: وقت السحر، أمر الله تعالى جبريل فأخرجهم من تلك البلاد، وترك فيها امرأة لوط؛ لأنها كانت كافرة «**نِعْمَةً مِنْ عِنْدِنَا**» عليهم حيث نجيناهم، وأهلكنا أعداءهم «**كَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ شَكَرَ**» يعني كذلك نُكافِئُ من شكر بنعمتنا، وقابلها باعتقاد التوحيد والعدل، وأن النعم كلها منه، وبعبادته على الإخلاص وشكر النعمة أن تعرفه حق معرفته، ثم تعبده حق عبادته، بإيثار طاعته وتجنب معصيته «**وَلَقَدْ أَنْذَرَهُمْ بَطْشَتَنَا**» أي: خوف لوط قومه بأخذ الله إياهم أخذًا شديدًا، وهو العذاب إن لم يؤمنوا «**فَتَمَارَوْا بِالنُّذُرِ**» قيل: جادلوا بالباطل ليردوا الحق، كعادة العوام في دفع الحق بالباطل، وقيل: استهزأوا بالآيات والنذر،

---

(١) للإنذار: الإنذار، ك.

(٢) الحجارة كانت لمن: كانت الحجارة لمن كان، ك.

(٣) رموهم: يرمونهم، د.

وقيل: شَكُّوا فيه «وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ» أي: طالبوا لوطًا أن يخلي بينهم وبين ضيفه، وهم الملائكة النازلون بهم على صورة الغلمان؛ لما يريدونه من الفاحشة، وإنما ذكر الضيف؛ لأنهم أتوا لوطًا على هذه الصفة، إلى أن علم أنهم ملائكة «فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ» قيل: محونا، وقيل: عميت أبصارهم، عن الحسن، وقتادة، وقيل: إنهم دخلوا النذر على لوط، فلما لم يروهم سألوا عنهم، وانصرفوا، عن ابن عباس، وقيل: أزال التخطيط عن وجوههم حتى صارت ممسوحة لا ترى أثر عين، وقيل: مسح جبريل وجوههم، فأعماهم. عن جماعة من المفسرين. «فَذُوقُوا» أي: قيل لهم: ذوقوا «عَذَابِي وَنُذُرِ» أي: تخويفي، وما كنت أوعدكم به، قيل: الملائكة قالت لهم: ذوقوا عذاب الله، وقيل: الله تعالى قال لهم في تلك[1] الحال: ذوقوا، وهو الظاهر، «وَلَقَدْ صَبَّحَهُمْ بُكْرَةً» أي: نزل بهم صباحًا «عَذَابٌ» وهو الانقلاب والحجارة «مُسْتَقِرٌّ» قيل: استقر بهم العذاب إلى يوم القيامة، عن قتادة، وابن زيد، وقيل: استقر بهم حتى هلكوا «فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ» وقيل: لهم في تلك الحال: ذوقوا.

ومتى قيل: لِمَ كرر «ذوقوا»؟

فجوابنا أن الأول قيل عند الطمس، والثاني عند الانقلاب، لما تجدد العذاب تجدد التقريع.

«وَلَقَدْ يَسَّرْنَا» سهلنا «الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ» متعظ بذلك.

الأحكام

تدل الآيات على معجزات للوط، ونعمه عليه وعلى قومه بنجاتهم، وهلاك تلك العصاة العتاة[2] عن قومه.

وتدل على كيفية عذابهم.

(١) تلك: ذلك، ك.
(٢) العتاة: البغاة، د.

وتدل أنه كما نجى قومه ينجي كل شاكر، وقد بيَّنَّا مِنَ الشاكرُ.

وتدل أنه ينجي كل شاكر، ويعذب كل كافر، لا يجوز غير ذلك، خلاف قول المجبرة.

وتدل أن الطمسة كانت لطفًا لهم؛ ليتفكروا فيها، ويعلموا نبوة لوط، فيؤمنوا به، فلما أعرضوا صبحهم العذاب.

وتدل أن المراودة والتكذيب فعلهم.

وتدل أن القرآن كافٍ في معرفة الأحكام؛ لذلك قال: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ النُّذُرُ (٤١) كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَاهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُولَٰئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ (٤٣) أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ (٤٤) سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ (٤٥) بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ (٤٦)﴾.

القراءة

قرأ القراء: «سَيُهْزَمُ» بضم الياء وفتح الزاي ورفع الجمع على ما لم يسم فاعله، وهو أعظم وأفخم، وقرأ يعقوب: «سَنَهْزِمُ» بالنون وفتحها وكسر الزاي، والجمع[١] بالنصب، مضاف[٢] إليه تعالى أنه يهزمهم.

اللغة

الآل: خاصة الرجل الذين يضافون إليه، يكون ذلك لقرابة[٣]، ويكون لموافقة المذهب[٤] كقوله: ﴿آلَ فِرْعَوْنَ﴾ [القمر: ٤١] ومنه: آل القرآن هم آل الله؛ لأنه بمنزلة الآل في الخاصة.

---

(١) والجمع: الجمع، ك.
(٢) مضاف: مضافًا، د.
(٣) لقرابة: بقرابة، ك.
(٤) المذهب: مذهب، ك.

والإنذار: الإعلام بموضع المخافة ليتقى، والنذر: الإنذار، ومثله النكر والإنكار، والنذر أيضًا: جمع نذير، وهم الرسل.

والمُقْتَدِرُ: مُفْتَعِلٌ من القادر، والقادر والقدير والمقتدر بمعنى، إلا أن في قدير ومقتدر مبالغة، يقال: قدر يقدر قدرًا، وقدرة، ومقدرة، وقدرانًا، واقتدر اقتدارًا فهو مقتدر.

والزُّبُرُ: جمع زبور، وهو الكتاب ذو حكمة، يقال: زَبَرْتُ الكتاب أزبره: إذا أحكمته، وزبور: مكتوب.

والأدهى: الأعظم في الدهاء، والدهاء عظم سبب الضرر مع شدة إزعاج النفس، وهو من الداهية، والجمع: دَوَاهٍ.

والأَمَرُّ: الأشد في المرارة، فيكون من المُرِّ[1] الذي هو ضرب من الطعم، يقال: مر الشيء وأمر، والأَمَرُّ بمعنى المر، كالأثقل بمعنى الثقيل، وقيل: أمر من الأشد في استمرار البلاء من مررت الحبل: إذا أحكمت فتله.

۞ النزول

قيل: نزل ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ﴾ يوم بدر، عن ابن عباس، وقتادة، والربيع.

وعن مقاتل ضرب أبو جهل فرسه، فتقدم يوم بدر في الصف، وقال: ننصر اليوم من محمد وأصحابه.

وعن سعيد بن المسيب عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه[2]: لا أدري أي جمع يهزم، فلما كان يوم بدر رأيت النبي ﷺ يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ فعلمت أنه يوم بدر.

وقيل: بل نزلت في يوم الأحزاب، تفرقت جموع أبي سفيان، وظهر الإسلام،

(١) المرء: المراء، ك.
(٢) رضي الله عنه: -، ك.

وقيل: أراد جميع المواضع التي هزمهم رسول الله ﷺ، فأخر[1] ذلك يوم الفتح قُتِل مَنْ قُتِلَ، ودخل الباقون في الإسلام.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ قصة فرعون وهلاكه، ونجاة موسى، ترغيبًا وترهيبًا، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَلَقَدْ جَاءَ آلَ فِرْعَوْنَ**» أي: قومه الذين اتبعوه في دينه «**النُّذُرُ**» قيل: الآيات، وقيل: الرسل موسى وهارون عليهما السلام، «**كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كُلِّهَا**» قيل: بالآيات التسع التي جاء بها موسى، وقيل: بجميع الآيات؛ لأن التكذيب ببعضها تكذيب بكلها «**فَأَخَذْنَاهُمْ**» بالعذاب «**أَخْذَ عَزِيزٍ**» أي: قادر لا يمتنع عليه شيء مما يريد، وقيل: عزيز؛ أي: قادر لا يخاف ضررًا من أحد، عن أبي علي. «**مُقْتَدِرٍ**» على جميع ما يشاء.

ثم خَوَّفَ قومه ﷺ أن ينزل بهم مثل ما نزل بأولئك، فقال تعالى: «**أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِنْ أُولَئِكُمْ**» هو استفهام والمراد الإنكار، أي: ليس كفار قريش أفضل من هؤلاء الذين تقدم ذكرهم لا في القوة، ولا في الثروة، ولا في كثرة العدد والعدة، ولا في الدين؛ لأن الجميع كفار، فأراد[2] بالخير ما يتعلق بأسباب الدنيا لا بأسباب الدين، فإذا هلك أولئك فمن ذا الذي يؤمنكم أن ينزل بكم مثل ما نزل بهم «**أَمْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ فِي الزُّبُرِ**» أي: براءة من العذاب في الكتب السالفة، عن الضحاك، يعني تؤمنون بتلك البراءة، وهذا أيضًا إنكار أي: ليس لهم ذلك. «**أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُنْتَصِرٌ**» أي: كما ليسوا بخير من أولئك، ولا لهم براءة، كذلك لا جمع لهم يمنعهم[3] عذاب الله وينصرهم، فإن قالوا: نحن جماعة ينصر بعضنا بعضًا حتى لا نرام ولا نقصد بالحرب، ولا يطمع أحد بملتنا، ولا نقصد أحدًا إلا غلبناه، والمعنى: ينتصرون، فحذف لرؤوس الآي، وأراد الجنس. «**سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ**» يعني

(١) فأخر: فأخبر، ك.
(٢) فأراد: وأراد، ك.
(٣) يمنعهم: يمنع عنهم، ك.

وإن جمعوا الجموع فالله يهزمهم «**وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ**» قيل: يوم بدر، عن ابن عباس، وقتادة، والربيع، والدبر في موضع الأدبار؛ لكنه أراد الجنس، وقد أنجز الله وعده ونصر نبيه، وهزم الأحزاب وحده «**بَلِ السَّاعَةُ**» أي: القيامة «**مَوْعِدُهُمْ**» جميعًا «**والسَّاعَةُ**» سميت بذلك لسرعة مجيئها؛ إذ هي أعظم بلية، وأَمَرُّ: أشد مرارة من عذاب يوم بدر، قال أبو علي: لأن عذاب النار يدوم، ولا ينقطع، ولا يشوبه راحة، وعقاب الدنيا بخلاف ذلك.

الأحكام

تدل الآيات على معجزة لنبينا ﷺ؛ لأن السورة مكية، وكان يخبرهم أنه يهزمهم، ثم وجد الأمر كما أخبر.

وتدل على أنه لا أَمْنَ لأحد من العصاة.

وتدل على عظيم عقوبة الآخرة.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِى ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ إِنَّا كُلَّ شَىْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾.

القراءة

قراءة العامة: ﴿كُلَّ شَىْءٍ﴾ بنصب اللام على تقدير أنه مفعول، كقولهم: زيدًا ضربته. وقرأ أبو السماك العدوي: «كُلُّ» بالرفع على الابتداء.

قراءة العامة: «ونهَر» بفتح النون والهاء، وعن الأعرج بضم النون والهاء، جمع نهار، أي: لا ليل لهم، قال الفراء عن بعض العرب:

إِن تَـكُ لَـيْـلِـيًّـا فَـإِنِّـي نَـهِـرُ مَـتَـى أَتَـى الـصُّـبْـحُ فَـلاَ أَنْـتَـظِـرُ[1]

وقال آخر:

ثَـرِيُـد لَـيْـلٍ وثَـرِيـدٌ بـالـنُّـهُـرْ[2]

فأما قراءة العامة فيقال: نهْر ونهَر، والجمع: أنهار، والأجود ما ورد به القرآن.

اللغة

السُّعُرُ: جمع سعير، سَعَرْتُ النار: أججتها فهي مستعرة، والسُّعُرُ: الجنون، ناقة مسعورة.

والمس: مصدر مسست الشيء مسًّا، وقوله: ﴿مَسَّ سَقَرَ﴾ كقولهم: وجدت مس الحمى، وكيف ذقت طعم الضرب، وكل ذلك تَوَسُّعٌ واستعارات.

واللمح: خطف البصر.

والزبر: الكتب.

والمستطر[3]: «مُفْتَعِلٌ» من السطر، يقال: سطر واستطر، كقولهم: كتب واكتتب، وفرى وافترى.

والنهر: المجرى الواسع من مجاري الماء، وجمعه: أنهار، وأراد الأنهار إلا أنه

(١) أنتظر: بنتظر؛ د، ك.
أنظر: لسان العرب (نهر)، تاج العروس (نهر) وورد برواية أخرى:
إن تـك لـيـلـيًّـا فـإنـي نـهـر.

(٢) ثريد ليل وثريد بالنهر: يريد ليلا وتريد بالنهر؛ د، ك. أنظر تاج العروس (نهر) وصدر البيت:
لـولا الـثـريـدان لـمـتـنـا بـالـضـمـر

(٣) والمستطر: والمسيطر؛ د، ك.

أتى بلفظ الواحد، وأراد الجنس لأجل رؤوس الآي، وأصله من السعة، ومنه النهار، ومنه قول الشاعر:

مَلَكْتُ بِهَا كَفِّي فَأَنْهَرْتُ فَتْقَهَا ... يَرَى قَائِمًا مِنْ دُونِهَا مَا وَرَاءَهَا[1]

الإعراب

«سقر» لا ينصرف؛ لأنه اسم مؤنث على ثلاثة أحرف، أوسطها متحرك.

ويقال: لِم قال: «واحدة» وهو نعت للأمر؟

قلنا: هو على تقدير: ما أَمْرُنا أن يكون شيءٌ إلا مرة واحدة، يعني الساعة، قال أبو عبيدة: هو نعت للمعنى دون اللفظ.

النزول

عن أبي هريرة: جاءت مشركو قريش إلى رسول الله ﷺ يخاصمونه في القدر، فنزلت هذه الآية: ﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ إلى آخر السورة.

وقيل: نزلت في وفد نجران.

وقيل: في القدرية من هذه الأمة.

وعن كعب: (نجد في التوراة أن القدرية يسحبون في النار على وجوههم).

وعن حذيفة، عن النبي ﷺ: «لعنت القدرية والمرجئة على لسان سبعين نبيًا»، قيل: يا رسول الله، ومن القدرية؟ قال: «قوم يعملون المعاصي ويقولون[2]: الله قدرها عليهم»، قيل: ومن المرجئة؟ قال: «قوم يقولون: الإيمان قول بلا عمل».

وعن علي عليه السلام في حديث طويل بعد انصرافه من صفين في القضاء والقدر ما يزيل الإشكال.

(١) البيت قائله قيس بن الخطيم أنظر لسان العرب (نهر)، الصحاح (نهر) تاج العروس (نهر). أنظر ديوان قيس بن الخطيم.
(٢) ويقولون: يقولون، د، ك.

ولا شبهة أن اسم القدرية اسم ذم؛ ولذلك ذمهم رسول الله ﷺ، ولعنهم وشبههم بالمجوس، فقال: «القدرية مجوس هذه الأمة»؛ ولذلك نجد كل أحد ينفيه عن نفسه، فإذا ثبت أنه اسم ذم فلنا[١] أن ننظر من هم؟ ولماذا[٢] شبههم بالمجوس؟ وقد علمنا أن المجبرة هم القدرية لوجوه كثيرة ذكرها مشايخنا في كتبهم، وقد صنف الشيخ أبو علي في ذلك كتابًا، ونشير ههنا إلى جمل:

منها: ما ثبت أن أهل العدل والتوحيد الذين ينفون عن الله تعالى كل قبيح وتشبيه[٣] هم أهل الحق، فالذم مصروف إلى مخالفيهم.

ومنها: ما ثبت أنهم بيَّنُوا[٤] على الجملة المتفق عليها[٥] المعلوم من دين النبي ﷺ ضرورة، المنطوق بها[٦] في القرآن أنه تعالى واحد لا شبيه له، وأنه عدل حكيم لا يفعل القبيح، فلم يَنْقُضُوا هذه الجملة بتفصيل، بخلاف المجبرة والمشبهة؛ لأنه ما من مسألة خالفوا أهل العدل والتوحيد فيها إلا ونقضوا بذلك أصلاً مجمعًا عليه من أصول الدين، وتفصيل ذلك يطول، فإذا تفكرت فيه علمت ذلك.

ومنها: ما ورد من الأخبار عن النبي ﷺ وأصحابه وأهل بيته في تفسير القدرية، وأنهم المجبرة، وأنهم أعداء الرحمن، وشهود الشيطان.

ومنها: ما روي أن المشركين خاصموه في القدر، أو وفد نجران على ما روي في سبب النزول، حتى نزلت هذه الآيات، وقد حكى الله تعالى مذهب أولئك، وكيف جادلوا فقال ـ سبحانه ـ: ﴿سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] الآية إلى آخرها، وفي (النحل): ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِۦ مِن شَىْءٍ﴾ [النحل: ٣٥]، فخاصموا الرسول في مذهبهم، وهو مذهب المجبرة بعينه، وفي

(١) فلنا: فبنا؛ د، ك.
(٢) ولماذا: وبماذا؛ د، ك.
(٣) وتشبيه: وشبه، ك.
(٤) بينوا: ثبتوا، ك.
(٥) عليها: عليه، ك.
(٦) بها: به، د.

الآية أنهم كذبوا الرسل، فلا بد أن يكون مذهبه خلاف ما قالوا، وهو مذهب أهل العدل.

ومنها: أن أهل القبلة اختلفوا في الكفر، والمعاصي، والإلحاد، والزندقة، وعبادة الأصنام، وتكذيب الأنبياء وقتلهم، وادعاء الربوبية، ونفي الصانع، والقول بالاثنين، والتثليث، وغير ذلك من الأشياء المنكرة، هل هو فعل العبد، أو خلق الله فيهم؟ وهل أولئك استحقوا العقاب بفعلهم، أو بخلق الله تعالى؟ فالمجبرة أضافوا جميع ذلك إلى خلقه، وزعموا أنه الذي أوجدها وأحدثها، ولولا إيجاده لما وجدت، وقال أهل العدل والتوحيد[1]: الله تعالى بريء من ذلك؛ بل العبد يفعله حتى استحق العقاب، والاسم أبدًا يؤخذ من الإثبات، كما يقال: مَحَكِّمَة للخوارج، ومشبهة، ومجبرة، ورافضة ونحوها.

ومنها: أنهم لهجوا بإضافة جميع الأشياء حسنها وقبيحها[2] إلى قضاء الله تعالى وقدره، وجعلوا ذلك عذرًا لكل ملحد وكافر، ولإبليس وأتباعه، فسموا قدرية، كما يسمى من لهج بالتمر: تمري، ولهج باللبن: لبني.

ومنها: أنه شبههم بالمجوس من سائر الكفار، فلا بد أن يكون لمعنى، وذلك أن مذهب المجوس أن القادر على الخير لا يقدر على الشر، والقادر على الشر لا يقدر على الخير، ومع ذلك يصح الأمر والنهي والمدح والذم، وهذا بعينه مذهب المجبرة أن المؤمن لا يقدر على الكفر، والكافر لا يقدر على الإيمان، ومع ذلك يصح الأمر والنهي، والمدح والذم، وأهل العدل على الضد من مذاهبهم جميعًا؛ لأن عندهم مَنْ قَدَرَ على الخير لا بد أن يقدر على الشر، والقادر على الشر يقدر على الخير، محال أن[3] يقدر على أحدهما دون الآخر، وعندهم جميعًا محال أن يقدر عليهما.

ومنها: أن مذهب المجوس أن الخَيّر مطبوع على الخير، والشرير مطبوع على الشر، وهو مذهب الجبر، وعند أهل العدل أن العبد مُخَيَّرٌ.

(١) أهل العدل والتوحيد: أهل التوحيد والعدل، ك.
(٢) حسنها وقبيحها: قبيحها وحسنها، ك.
(٣) أن: لأن، د.

۞ المعنى

ثم بَيّنَ حال القيامة بذكر الوعد والوعيد، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ**» في ذهاب عن وجه النجاة، وطريق الجنة، عن أبي علي، وقيل: في هلاك، وقيل: في ذهاب عن الحق «**وَسُعُرٍ**» قيل: في نار مسعرة، عن الضحاك، وأبي علي، وقيل: هم في ضلال في الدنيا، وهلاك في الآخرة، وقيل: في جنون، وقيل: في عناء وعذاب، عن قتادة، وقيل: في أمر يسعرنا، أي: يلهينا، عن ابن عرفة «**يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ**» أي: يجرون استخفافًا بهم إلى النار، ويقال لهم: «**ذُوقُوا**» قيل: الخزان تقول ذلك «**مَسَّ سَقَرَ**» أي: عذاب النار، وقيل: إنما قال «**مس**» ليعلم أن مسه أذى عظيم، فكيف إذا تداخلت الأجزاء. والسقر: قيل: جهنم، وقيل: باب من أبوابها، وأصل السقر التلويح، يقال: سقرته الشمس إذا لوحته، ولذلك سميت سقر، وسَقَرَاتُ الشمس: حرورها «**إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ**» يعني كل شيء خلقناه على قدر معلوم، فخلق اللسان على مقدار يصلح للكلام، واليد على مقدار تصلح للبطش، والرجل للمشي، والعين للبصر، والأذن للسماع، والمعدة للطعام، ولو زاد أو نقص لما تم الغرض، فكذلك[1] كل شيء قدره كما ينبغي له في معنى قول الحسن، وقيل: إنا خلقنا العقاب لأهل النار على مقدار الاستحقاق على ما تقتضيه الحكمة، لا يزيد ولا ينقص على المستحق[2]، وكذلك كل شيء خلقه على مقدار ما يعرف من الصلاح فيه لم يخلق عبثًا ولا جزافًا، عن أبي علي، وقيل: هو كقوله: ﴿قَدْ جَعَلَ ٱللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣] أي: أجلاً لا يتقدم ولا يتأخر، عن الربيع، وقيل: جعلنا لكل شيء شكلاً يوافقه ويصلح له كالمرأة للرجل، والأتان للحمار، وثياب الرجال للرجال، وثياب النساء للنساء، عن ابن عباس، وقيل: خلق النار بمقدار الاستحقاق.

ومتى قيل: هلا حملتم ذلك على أفعال العباد، وأنه خلق فيهم الخير والشر والإيمان والكفر؟

---

(١) فكذلك: كذلك، ك.

(٢) لا يزيد ولا ينقص على المستحق: لا يزيد على المستحق ولا ينقص، ك.

قلنا: ليس في الظاهر ما يوجب حمل الآية عليه، ولأنه ثبت أن أفعالهم ليست بخلق الله تعالى، لأن فيه الكفر والظلم، وقتل الأنبياء، ولأنه تمدح بالآية، وليس في خلق الكفر والمعاصي تمدح، ولأنه تعالى احتج بالآية عليهم، ولو كان كما قالوا لكانت الآية حجة لهم عليه، ولأنه ذمهم ووبخهم، ولو كان خلقًا فيهم لما صح ذلك، ولأنه أمرهم بخلاف ذلك، وكيف يأمرهم بخلاف ما يخلق، ولأن في الآية: ﴿وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ﴾ وفيها: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ وعيدًا لهم، وفيها ذكر المتقين والوعد لهم، وكل ذلك يبطل قول المجبرة.

«**وَمَا أَمْرُنَا إِلاَّ وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ**» قيل: أراد قيام الساعة، عن ابن عباس، يعني إذا أردنا قيامها أعدنا السموات والأرض وجميع المخلوقات والحيوانات في قدر لمح البصر سرعة، وقيل: أراد إنْ أراد تكوين شيء كان كما أراد في سرعة من غير امتناع، عن أبي علي، وقيل: لا يحتاج في أفعاله إلى أن يفعل مرتين «**وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ**» قيل: من كان على دينكم مُعِينِينَ لكم، مجتمعين[1] على عداوة الرسول، فَقُتِلُوا وأهلكوا، عن أبي علي، وقيل: هو على الأمم السالفة، عن الحسن، وسموا أشياعهم لموافقتهم في الكفر والتكذيب للأنبياء، وقيل: أشباهكم في الكفر من الأمم «**فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ**» أي: من متعظ بهلاكهم ومصارعهم، وهذا تلطف في الاستدعاء أي: من كان متعظًا بشيء فليتعظ بهذا «**وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ**» أي: الأشياع من خير وشر «**فِي الزُّبُرِ**» قيل: في الكتب، عن الضحاك، وابن زيد، وقيل: الكتب التي كتبها الحفظة، إشارة[2] إلى أنهم غفلوا ولم يغفل عنهم، عن أبي علي، وقيل: في اللوح المحفوظ «**وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ**» من أفعالهم «**مُسْتَطَرٌ**» أي: مكتوب، عن ابن عباس وجماعة، قال أبو علي: أراد مكتوب محفوظ عليهم ليعلموا أنه لا يخفى عليه شيء. «**إِنَّ الْمُتَّقِينَ**» الذين اتقوا المعاصي «**فِي جَنَّاتٍ**» بساتين «**وَنَهَرٍ**» قيل: أنهار ومياه جارية، وقيل: أراد الأنهار، فذهب مذهب الجنس، وقيل: في نهار؛ أي: ضياء وسعة «**فِي مَقْعَدِ**» أي: في موضع قعود «**صِدْقٍ**» قيل: مجلس حق لا لغو فيه، وهو الجنة، وقيل: وصف

(١) مجتمعين: مجمعين، ك.
(٢) إشارة: أشار، د.

المكان بالصدق لكونه رقيقًا مضيئًا، وقيل: لأنه يدوم وغيره يزول «عِندَ مَلِيكٍ» قيل: في علم الله، صائرون إلى ذلك الموضع، عن أبي علي، وقيل: ذلك المقعد مقعد صدق عنده؛ لما هو عليه من دوام النعيم، وقيل: بالمكان الذي هيأه لأوليائه، والمليك: المالك، والمقتدر: القادر، عن أبي علي.

الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾ عقيب ما[1] تقدم أن الذي يخلقه من العقاب بحسب الاستحقاق، فلا حيف فيه، وهذا أليق بالآية ونظم الكلام.

ويدل قوله: ﴿وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ﴾ أن في الذنوب كبيرًا وصغيرًا، وأن جميع ذلك مكتوب محفوظ للجزاء، خلاف ما قاله قوم: إن الصغائر لا تثبت.

ومتى قيل: أليس الصغائر مغفورة؟

قلنا: لا صغير للكافر والفاسق، وإنما الصغائر للمؤمن، فتثبت الموازنة[2] أيضًا، وقد فسرت المشبهة الكاذبة على الله تعالى والمجبرة المفترية عليه هذه الآيات بتفاسير لا يشهد لها ظاهرها، ولا لهم عليها دليل في العقل والشرع.

أما المشبهة فذكروا في قوله: ﴿عِندَ مَلِيكٍ﴾ أنهم يحيون مع الجبار، وأنه يقعدهم معه على سريره، ورووا أن أهل الجنة يدخلون كل يوم مرتين على الجبار يؤثرون عليه القرآن، ثم ينصرفون[3] إلى رحالهم ناعمين، إلى غير ذلك من الصورة والأعضاء، والذهاب والمجيء، وأنه يحتجب أحيانًا، ويظهر أحيانًا بصورة ملك، تعالى الله عن ذلك، وقد ثبت أنه ليس بجسم، وأنه لا يجوز عليه المكان، ولا شيء من صفات الأجسام.

فأما المجبرة فقالوا في قوله: ﴿خَلَقْنَٰهُ بِقَدَرٍ﴾: أنه خلق أعمال العباد، وأي ظاهر يشهد لهم، ولأيِّ شيء حملوه عليه، لولا الهوى واتباع الإلف والتقليد، ونعوذ بالله من الجهل.

---

(١) ما: بما، ك.
(٢) الموازنة: للموازنة، ك.
(٣) ينصرفون: ينصرفوا، ك.

سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ

سورة (الرحمن)، ثمان وسبعون آية في الكوفي، وست في البصري، وهي مدنية، فيما يروى عن الحسن وقتادة، وأحد الروايتين عن ابن عباس، وعائشة، وعطاء، والضحاك.

وعن بعضهم: أنه توقف فيه.

وروى الصادق، عن أبيه، عن النبي ﷺ: «لكل شيء عروس، وعروس القرآن (الرحمن)».

وروى أبي عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الرحمن) رحم الله ضعفه، وأدى شكر ما أنعم الله عليه».

وعن جابر: قرأ علينا رسول الله ﷺ سورة (الرحمن) حتى ختمها، ثم قال: «ما لي أراكم سكوتاً، لَلجِنّ كانوا أحسن منكم ردًّا، ما قرأت عليهم هذه الآية مرة ﴿فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ إلا قالوا: ولا شيء من نعمك يا رب نُكَذِّبُ، فلك الحمد».

ولما ختم سورة (القمر) بذكر المليك المقتدر، افتتح هذه السورة مبينًا أنه الرحمن، وذكر من دلائل توحيده، وعقبه بالوعد والوعيد.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾
ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ
ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟
ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾
وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾.

القراءة

قرأ ابن عامر: «**والحَبَّ ذا العصفَ والريحان**» بالنصب فيهما جميعًا، على تقدير: خلق هذه الأشياء.

وقرأ حمزة والكسائي: «**والحبُّ ذو العصفِ**»، بالرفع: «**والرَّيحَانِ**» بالجر عطفًا على العصف، على تقدير: وذو الريحان.

وقرأ الباقون الجميع بالرفع، فالحب عطف على الفاكهة، «**والرَّيحانُ**» عطف على الحب، وقيل: الحب ابتداء.

قراءة العامة: «**تُخسِروا**» بضم التاء وكسر السين، وقرأ بلال بن أبي بردة بفتح التاء وكسر السين، وهما لغتان.

اللغة

الرحمن: معدول عن الرحمة للمبالغة.

والبيان: إظهار المعنى بما يبين، وأصله من البين، وهو الدلالة عند شيخينا[(١)] أبي علي وأبي هاشم، وعند شيخنا أبي عبد الله هو العِلْم الحادث.

(١) شيخينا: شيخنا، د.

وحُسْبان: فعلان(١): مصدر حَسَبْتُهُ أَحْسَبُهُ حُسْبَانًا، نحو: الشكران والكفران، وقيل: هو جمع حساب، كشهاب وشُهْبان.

والنجم: أصله الطلوع، ومنه: نَجَمَ القرن والسن إذا طَلَعًا، ونَجْمُ السماء سمي نجمًا لطلوعه، والنجم: النبت الطالع من الأرض.

والقسط: العدل.

والخسران: ذهاب رأس المال، خَسِرَ خُسْرًا وخسرانًا.

والأنام: الخلق، قيل: أصله من وَنَمَ الذُّبَابُ: إذا صوّت، فكل ما يصوّت من نفسه يسمى أنامًا، وقلبت الواو ونام(٢) همزة [كقولهم: أناة من وناة](٣). كلما(٤) فعل ضرباه.

والأكمام: جمع كُمٍّ، وهو كل ما غطي به شيء، وكل شجر يخرج ثمره مُكمم(٥) فهي ذات أكمام، وأكمام النخلة: ما غطى ثمارها من السعف والليف، وكِمُّ الطلعة: قشرها، ومنه: كم القميص؛ لأنه يغطي اليد.

والعصف: حطام النبت المنكسر منه، ومكان مُعْصِفٌ كثير العصف، وأعصفت الريح فهي عاصف: إذا هبت فحملت العصف، وناقة عصوف: سريعة، شبهت بالريح العاصف، والإعصاف: الإهلاك، قال ابن السكيت: والعصف والعصيفة ورق السنبل.

والريحان: الرزق، ومنه سمي الولد الريحان، ومنه حديث النبي ﷺ: «و[الحسن والحسين أبني] فاطمة فهما ريحانتاه(٦)»، والريحان: ما يشم، وهو معروف.

والآلاء: النعم، واحدها: (إِلىً)، نحو معا، و(أَلىً) مثل قفا، و(أَلىْ) نحو لَحْي.

---

(١) فعلان: فعيل؛ د، ك.

(٢) ونام: أنام؛ د، ك.

(٣) زيادة من التبيان للطوسي، ٩/٤٥٣.

(٤) كلما: كما، د، ك.

(٥) مكمم: مكممة، د، ك.

(٦) ريحانتاه: ريحاناه، ك.

۞ الإعراب

«الرحمن» رفع لأنه خبر ابتداء محذوف، تقديره: الله الرحمن، نحو: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَهَا﴾ [النور: ١] أي: هذه السورة أنزلناها، وقيل: هو ابتداء وخبره: ﴿عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ﴾، وإنما عد الرحمن؛ لأنه في معنى الجملة، على تقدير: الله الرحمن.

و﴿ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ قيل: تقديره: الشمس والقمر يجريان بحسبان، فهو ابتداء، ونصب (السماء) على تقدير: وخلق السماء.

﴿أَلَّا تَطْغَوْا﴾ تقديره: لئلا[1] تطغوا، أو لأجل ألا[2] تطغوا.

﴿وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ ذكر بلفظ التثنية؛ لأنه أراد ضربين.

۞ النزول

قيل: إن هذه السورة نزلت حين قالوا: وما الرحمن؟ فجوابه: الذي علم القرآن وخلق الإنسان.

وقيل: هو جواب لأهل مكة، حين قالوا: ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٌ﴾ [النحل: ١٠٣] فبين أن الذي يعلمه القرآن هو الرحمن.

۞ المعنى

«الرَّحْمَنُ» من أسماء الله تعالى، لا يسمى به غيره؛ لأن معناه: الذي وسعت رحمته كل شيء، فأما راحم ورحيم فيجوز في صفات العباد «عَلَّمَ الْقُرْآنَ» أي: من رحمته أن علمكم للقرآن، بأن أنزله على رسوله، فتأخذونه منه وتفهمونه «خَلَقَ الإِنسَانَ» قيل: الإنس كلهم، عن أبي علي، وقيل: الإنسان آدم، عن ابن عباس، وقتادة. «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» قيل: أراد اللغات، أي: علم اللغات، فكان يتكلم بسبعمائة ألف لغة، أفضلها العربية، وقيل: «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» أي: بين له الحلال والحرام، والخير

(١) لئلا: لأن لا؛ د، ك.
(٢) أن لا: ألا؛ د، ك.

والشر؛ ليحتج به على عباده، عن قتادة، وقيل: علمه الكلام الذي بين به عما يريد، عن أبي العالية، وابن زيد، وأبي علي، وقيل: النطق والتمييز، عن الحسن، أي: جعله مميزًا مبينًا، كقوله: ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ [يس: ٧٧]، وقيل: ما يقول وما يقال له، عن محمد بن كعب، وقيل: علم كل قوم بلسانهم التي يتكلمون بها، عن السدي، وقيل: الكتابة والحفظ، عن[١] ابن كيسان «خَلَقَ الإِنسَانَ» يعني محمدًا «عَلَّمَهُ الْبَيَانَ» يعني ما كان وما يكون «الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ» قيل: بحساب ومنازل يجريان فيها ولا يعدوانها، عن ابن عباس، وقتادة، وقيل: بحسب الأوقات والأعمار، وبالآجال، لولا الليل والنهار والشمس والقمر لم يَدْرِ أحد كيف يحسب شيئًا، وقيل: يجريان بقدر، عن الضحاك، وقيل: كحسبان الرحا يدوران في مثل قطب الرحا، وقيل: بمقدار لا يتفاوت، فالقمر يقطع بروج السماء في ثمانية وعشرين يومًا، والشمس تقطع البروج في ثلاثمائة وخمسة وستين يومًا وشَيْءٍ[٢]، عن أبي علي. «وَالنَّجْمُ» قيل: النبات الذي ليس له ساق، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وسفيان، وقيل: هو نجم السماء، عن قتادة، ومجاهد، والأول أولى لمصاحبة الشجر، وقيل: هو كل نبت؛ سمي بذلك لطلوعه من الأرض، عن السدي. «وَالشَّجَرُ» كل نبت له ساق، عن ابن عباس، وقتادة، وسعيد، وسفيان. «يَسْجُدَانِ» قيل: سجودهما ما فيهما من الآيات الدالة على حدثهما، وعلى أن لهما صانعًا أنشأهما [وما فيهما من الصفعة والقدرة][٣]، التي تدعو إلى السجود والخضوع لله تعالى المُحْدِثِ لهما، وقيل: تصرفهما على مراده من غير امتناع مما يريده تعالى، فجعل ذلك خضوعًا، والسجود الخضوع، قال الشاعر:

تَرَى الأُكْمَ فِيهَا سُجَّدًا لِلْحَوَافِرِ[٤]

---

(١) عن: قال، د، ك.

(٢) يعني وشيء من يوم؛ أي بضع ساعات.

(٣) +، الطبرسي، مجمع البيان، ٩/ ٢٩٩.

(٤) وتكملة البيت:

بخيل تضل البلق من حجراته ... ترى الأكم فيها سجدًا للحوافرِ

وفي رواية: بجمع تضل البلق؛ وفي رواية: بجشي مضل.

عن أبي علي.

وقيل: سجودهما ظلالهما بكرة وعشيًّا، عن مجاهد، وسعيد، ومعناه: أن ظلهما يقتصر للخضوع لله تعالى بما فيه من دلالة الحدث، وإثبات المُحْدِثِ المدبر، وقيل: هو الكوكب، وسجوده: طلوعه، عن مجاهد، وقتادة، وهذا يرجع إلى ما ذكرنا أن طلوعه ونَوْرَهُ وجريانه يدعو إلى السجود «**وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا**» أي: أمسكها مرتفعة لا على شيء «**وَوَضَعَ الْمِيزَانَ**» قيل: العدل، عن مجاهد، وقيل: الذي يوزن به ليوصل به إلى الإنصاف والانتصاف، عن الحسن، وقتادة، والضحاك، وأبي علي، وقيل: هو القرآن الذي هو أصل الدين، فكأنه تعالى بين أدلة العقل وأدلة السمع، والأولى قول أبي علي؛ لأنه حقيقة، فكأنه تعالى خلق الخلق وأمر بالعدل وأنزل آلته، وقيل: الميزان البروج، وليس بشيء، ولأنه تعالى قال: «**أَلاَّ تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ**» أي: لئلا تجاوزوا فيه الحق والعدل إلى الباطل والبخس «**وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ**» أي: بالعدل، معناه: لا تنقصوا إذا وزنتم، قال سفيان بن عيينة: الإقامة باليد والقسط بالقلب. «**وَلاَ تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ**» أي: لا تنقصوا مما تزنون.

ومتى قيل: لِمَ كرر ذكر الميزان؟

قلنا: ليكون كل واحد قائمًا بنفسه تأكيدًا.

وقيل: لأنه نزل في وقتين، عن أبي علي.

«**وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا**» قيل: خلقها مسكنًا ومتصرفًا، وقيل: بسطها، عن ابن عباس. «**لِلْأَنَامِ**» قيل: للخلق، عن قتادة، وقيل: للجن والإنس، عن الحسن، وقيل: لكل ذي روح، عن ابن عباس، والشعبي. «**فِيهَا**» في الأرض «**فَاكِهَةٌ**» يعني أنواع الفاكهة، قال ابن كيسان: ما يفكههم به من النعم التي لا تحصى، فكل النعم يتفكه بها «**وَالنَّخْلُ ذَاتُ الْأَكْمَامِ**» قيل: الأكمام ليف النخلة الذي يكم فيه، عن الحسن، وقيل: الأكمام الطلع الذي فيه ثمرة النخل قبل أن تنفتق، عن ابن زيد، وقيل: ذات الغلف، عن الضحاك. «**وَالْحَبُّ ذُو الْعَصْفِ**» قيل: هو التبن، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك؛ لأن الريح تعصفه، أي: تطيره، وقيل: هو ورق الزرع، عن مجاهد، قال أبو علي:

هو ورقه الأخضر في أول ما يرى من النبات، وروي نحوه عن ابن عباس، وقيل: هو ورق كل شيء، عن ابن كيسان. «وَالرَّيْحَانُ» قيل: هو الريحان الذي يشم، عن الحسن، وابن زيد، وقيل: الريحان الحب، عن ابن عباس، والضحاك، وقيل: هو الرزق، عن ابن عباس، ومجاهد، ومقاتل، وقيل: الريحان: الريح[1]، عن سعيد بن جبير، وابن عباس، وقيل: هو الطعام، عن الضحاك، فالعصف التبن، والريحان الثمرة، جعل الله تعالى الحب للإنس قوتًا[2]، والعصف قوتًا للبهائم. والريحان مشموم للإنس، نعمة منه وفضلاً «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» الخطاب للإنس والجن، أي: بأي نعم ربكما تكذبان أيها الثقلان، وهو قول ابن عباس، والحسن، وقتادة، والأصم وأبي علي، قال أبو علي: لأنهما مشتركان في التكليف، والوعد[3] والوعيد، وقيل: أراد به الإنس، وخاطب بخطاب التثنية على عادة العرب.

۞ الأحكام

تدل على عظيم[4] نعمه تعالى بالقرآن لما فيه من بيان الأحكام.

وتدل على عظيم نعمه بتعليم البيان.

وتدل على حدث القرآن؛ لأن القديم لا يصح فيه التعليم.

وتدل الآيات على إثبات صانع حكيم، وعلى صحة الحجاج في الدين.

وتدل على عظيم نعمه والحث على شكره.

وتدل على وجوب الإنصاف، والنهي عن البخس في حقوق الناس.

وتدل أن الطغيان والبخس في الميزان فِعْلُ العبد، فيصحح قولنا في المخلوق.

---

(١) الريح: الربع، د، ك؛ وما أثبتناه من تفسير الطبري ١١/ ٥٧٩.

(٢) للأنس قوتًا: قوتًا للإنس، ك.

(٣) والوعد: بالوعد، د، ك.

(٤) عظيم: عظم، ك.

قوله تعالى:

﴿خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِن صَلۡصَٰلٖ كَٱلۡفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ ٱلۡجَآنَّ مِن مَّارِجٖ مِّن نَّارٖ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ رَبُّ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ وَرَبُّ ٱلۡمَغۡرِبَيۡنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٣﴾ وَلَهُ ٱلۡجَوَارِ ٱلۡمُنشَـَٔاتُ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنۡ عَلَيۡهَا فَانٖ ﴿٢٦﴾ وَيَبۡقَىٰ وَجۡهُ رَبِّكَ ذُو ٱلۡجَلَٰلِ وَٱلۡإِكۡرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسۡـَٔلُهُۥ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ كُلَّ يَوۡمٍ هُوَ فِي شَأۡنٖ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وأبو عمرو ويعقوب: «**يُخْرَجُ منهما اللؤلؤ**» بضم الياء وفتح الراء على ما لم يسم فاعله، الباقون: «**يَخْرُجُ**» بفتح الياء وضم الراء إضافة الفعل إلى اللؤلؤ.

وقرأ أبو جعفر وأبو بكر عن عاصم، وشجاع عن أبي عمرو: «**اللولؤ**» بترك الهمزة الأولى في جميع القرآن، الباقون بالهمزة فيهما كل القرآن.

وقرأ حمزة وعاصم في بعض الروايات: «**المُنْشِئات**» على إضافة الفعل[1] إليها، يعني المقبلات المبتديات، الباقون بفتح الشين، أي: المخلوقات المرفوعات المسخرات.

قراءة العامة: «**ذو الجلال**» بالواو على أنه صفة الوجه، وعن عبد الله: ذي الجلال، على أنها نعت الرب.

(١) في ك كتب فوق كلمة: (الفعل) لفظة: (القول).

اللغة

الصلصال: الطين اليابس الذي يَصِلُّ، أي: يصوت من تيبسه: إذا نقرته، وحمار مصلصل في نهيقه، ويقال: هو صلصال ما لم تمسه النار، وإذا مسته النار فهو حينئذ فَخَّارٌ، وقيل: الصلصال المُنْتِنُ، من قولك: صل اللحم وصلل: إذا أنتن، ومنه قراءة من قرأ: ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠] بالصاد غير معجمة، أي: أَنْتَنَّا، ويقال: إنه من الصلة، وهي الأرض اليابسة.

والفَخَّار: الطين الذي طبخ بالنار.

والمارج: المضطرب المتحرك، وقيل: المختلط، يقال: أمرج الأمر: اختلط، ومرج الخاتم في يده: قلق واضطرب، ومرج الدين: فسد، وقلقت أسبابه، ومَرَجْتُ الدابة في المرعى: خليتها ترعى.

والمشرق: موضع شروق الشمس وهو طلوعها، شَرَقَتْ الشمس تَشْرُقُ شروقًا: طلعت، وأشرقت: أضاءت وصفت.

والمغرب: موضع الغروب.

والبرزخ: الحاجز بين الشيئين، ومنه البرزخ: الحاجز بين الدنيا والآخرة.

والجواري: جمع جارية، وهي السفينة، سميت بذلك لأنها تجري في الماء بإذن الله، ومنه: الجارية: المرأة الشابة؛ لأنها يجري فيها ماء الشباب.

والأعلام: الجبال، واحدها: علم، قالت الخنساء:

كَأَنَّهُ عَلَمٌ فِي رَأْسِهِ نَارُ(١)

والفَنَاءُ: انتفاء الجسم، فَنَى يَفْنَى فناءً، والفناء معنى يضاد الجواهر؛ وذلك لأن الجوهر باقٍ(٢) فلا ينتفي إلا بضد أو ما يجري مجرى الضد، وضده: الفناء.

---

(١) وتكملة البيت:

وإن صخرًا لتأتم الهداةُ به كأنه علم في رأسه نار.

أنظر ديوان الخنساء، ص ٤٩ دار صادر، بيروت.

(٢) باق: باقي، ك.

واختلف المتكلمون في إفناء العالم، فذهب بعضهم إلى أنه لا يفنى، والباقون إلى أنه يفنى، ثم اختلفوا قيل: يخلق الفناء معنى، عن أبي علي، وأبي هاشم، وقيل: بألاّ[1] يخلق فيه البقاء فينتفي، عن أبي القاسم، وقيل: بأن يعدمها، عن أبي الحسين الخياط، وقيل: بأن يخلق فيها كونًا لا يفنى[2]، فإذا فني الكون فنيت الجواهر.

واختلفوا في البقاء والفناء، فقيل: البقاء ليس بمعنى، والفناء معنى، عن أبي علي[3]، وقيل: البقاء معنى، والفناء ليس بمعنى، عن أبي القاسم، وقيل: كلاهما ليس بمعنى، فالباقي هو مستمر الوجود، والبقاء استمراره، والفناء إعدام الموجود، والفاني: الذي هو[4] عدم بعد الوجود، عن أبي الحسين الخياط، وقيل: هما بمعنىً، عن بعضهم.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ في اليهود، عن مقاتل.

المعنى

ثم بَيّنَ تعالى من أدلته على وحدانيته، ونعمه على خليقته، عطفًا على ما تقدم من ذلك، فقال ـ سبحانه ـ: «خَلَقَ الإِنسَانَ» قيل: آدم، وقيل: جميع البشر؛ لأن أصلهم آدم، وقد خلق من الطين «مِن صَلْصَالٍ» قيل: من طين يابس يسمع له صلصلة، عن قتادة، وقيل: الحمأ المنتن، وقيل: بحمله عليهما؛ لأنه كان حمأ ثم صار يابسًا «كَالْفَخَّارِ» كالآجر «وَخَلَقَ الْجَانَّ» قيل: أبو الجن، كما أن آدم أبو الإنس، عن الحسن، وقيل: هو إبليس، عن الضحاك، وقيل: الجان واحد الجن، عن أبي عبيدة. «مِن مَارِجٍ مِن نَارٍ» قيل: من نار مختلط، أحمر وأسود وأبيض، عن مجاهد، قال: لهب مختلط أحمر وأصفر وأخضر، وقيل: من لهب النار، عن قتادة، وقيل: هو

(١) بألا: بأن لا؛ ث، د،ك.
(٢) يفنى: يبقى؛ د، ك.
(٣) عن أبي علي: عن شيخنا، ك.
(٤) هو: -، ك.

لهب خالص صافٍ[1] لا دخان فيه، والأولى أنه اللهب المختلط «فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» أي: بأي نعمه تكذبان أيها الثقلان.

ومتى قيل: لِمَ كرر هذه الآية؟

قيل: لأنه عدّ[2] نعماءه نعمة [نعمةً]، فذكر عقيب كل نعمة ما ينبه على الشكر، وترك التكذيب.

«رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ» قيل: مشرق الشتاء ومشرق الصيف، وكذلك مغربهما، عن قتادة، ومجاهد. «فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ. بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ» قيل: اختلط طرفاهما عند التقائهما من غير أن يختلط جملتهما، وقيل: مَرْجُهُما إرسالهما، عن ابن عباس، وقيل: اضطرابهما بالرياح العواصف، واختلفوا في البحرين، قيل: بحر فارس والروم، عن الحسن، وقتادة، وقيل: بحر السماء والأرض «يَلْتَقِيَانِ» في كل عام، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: البحران الملح والعذب «بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ» حاجز حائل من قدرة الله وحكمته أن يغلب الملح العذب والعذب الملح، عن قتادة، وقيل: حاجز من الجزائر «لاَ يَبْغِيَانِ» قيل: لا يختلطان، ولا يبغي أحدهما على صاحبه، عن مجاهد، وقيل: لا يطغيان على الناس بالغرق، عن قتادة. «فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يَخْرُجُ مِنْهُمَا» العذب والملح يلتقيان، فيكون العذب كاللقاح للملح، كما يقال: يخرج الولد من الذكر والأنثى، وإنما[3] تلده الأنثى، وعن ابن عباس: إذا جاء القطر من السماء فتحت الأصداف في البحر، فكان من ذلك اللؤلؤ، وهذا على قوله: إن البحرين: بحر الأرض، وبحر السماء، وقيل: إنه يخرج من أحدهما، ومثل ذلك جائز، كقوله: ﴿يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ﴾ [الأنعام: ١٣٠] والرسل من الإنس، والأوجه هو الأول؛ لأنه لا مانع من حمله على حقيقته، وقد ذكر عن الغواصين أن ذلك لا يوجد إلا في المواضع الذي يلتقي العذب والمالح، وهو قول أبي علي. «اللُّؤْلُؤُ وَالْمَرْجَانُ» قيل: اللؤلؤ: كبار

---

(١) صافٍ: صافي؛ د، ك.

(٢) عد: عدد، ك.

(٣) وإنما: فإنما، د، ك؛ وما أثبتناه من الجصاص، أحكام القرآن ٥/ ٢٩٩؛ الطوسي، التبيان، ٩/ ٤٥٨.

الدر، والمرجان: صغاره، وقيل: المرجان: الخرز الأحمر، عن أبي مالك، وقيل: هو البُسَّذُ، عن عطاء الخراساني، وقيل: المرجان: حجر، عن ابن مسعود، وقيل: المرجان: اللؤلؤ الكبار، عن أبي علي، وابن عباس[(١)]، والأولى أن يحمل على ما يخرج من البحر، وقد روي عن سلمان، وسعيد بن جبير، وسفيان الثوري، في الآية معنى لا يدل عليه الظاهر، ولا دل دليل أنه المراد بالآية، قالوا: مرج اختلط، البحران علي وفاطمة ﴿بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ﴾ محمد ﷺ[(٢)] ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ﴾ الحسن والحسين، فإن كان هذا مسموعًا من النبي ﷺ فذاك، وإلا فالظاهر لا يدل عليه، فلا يجوز حمله عليه، ولأنه فتح باب أقوال الباطنية، وكذلك ما قيل: البحران: القرآن والدنيا، وما قيل: بحر الدنيا والعقبى، والبرزخ: القبر، وغير ذلك مما لا ينبغي أن يشتغل بمثله؛ إذ لا مانع من حمل الكلام على ظاهره، وحقيقته حمله عليه، وقد روي عن بعضهم أن البحرين[(٣)]: الحجة والشبهة، والبرزخ: النظر، والمرجان واللؤلؤ: الحق والدين، وهذا كالأول في أنه خلاف الظاهر، وفيه تعسف شديد «**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. وَلَهُ الْجَوَارِي الْمُنشَآتُ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ**» قيل: السفن المرفوعات، وقيل: المخلوقات «**كَالْأَعْلَامِ**» كالجبال العظام «**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ، كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ**» أي: كل من على الأرض فان «**وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ**» قيل: يبقى ربك، فذكر الوجه تأكيدًا، كما يقال: وجه الرأي، وليس ثَمَّ جارحة، والمراد حقيقته وصوابه، وقيل: يبقى ما فعل لوجه الله، أي: لرضاه «**ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ**» قيل: ذي العظمة والإعظام، يعني أهل بأن يعظم ويبجل، وذلك بأن يوصف بما يليق به، ويعبد حق عبادته «**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**» أي: بأي نعمه تكذبان، ببقائه وصفاته في التمجيد، أم بفنائكم لتصلوا إلى الثواب.

ومتى قيل: أي نعمة في الفناء؟

---

(١) هكذا في المخطوطات، د، ك، ولعله: عن ابن عباس وأبي علي. كما هي طريقة المؤلف في تقديم الصحابي على غير الصحابي.

(٢) صلى الله عليه وآله وسلم: +، ك.

(٣) البحرين: البحران، ك.

قلنا: فيه نعم:

منها: أنه لطف للمكلف؛ لأنه لو عجل الثواب لصار مُلْجئًا إلى العمل، ولما استحق الثواب، فجعل بينهما فاصلة؛ لتفعل الطاعة لحسنها، فتستحق الثواب.

ومنها: أنه وصله إلى الثواب، وتنبيه على أن الدنيا لا تدوم.

ومنها: أنه لطف للمكلفين من قدرته تعالى على الإفناء والإعادة.

«**يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**» يعني تسأله الملائكة والجن والإنس[1] وغيرهم حوائجهم منه لا غيره يأخذون منه «**كُلَّ يَوْمٍ**» كل وقت «**هُوَ فِي شَأْنٍ**» قيل: اليوم يومان، يوم هو الدنيا، ويوم هو الآخرة، وفي الدنيا يخلق وينشر، ويميت ويحي، ويرزق الأحياء، ويأمر وينهى، ويغني ويفقر إلى غير ذلك من تدبير الله تعالى في خلقه، وفي الآخرة الثواب والأعواض، والتفضيل والعقاب، عن سفيان بن عيينة، وقيل: الشأن ما يفعله كل ساعة من موت وحياة، وصحة وسقم، وشباب وشيب، ونجاة وهلاك، وغنى وفقر، وعز وذل، وخصب وجدب، وسعة وقحط، وصيف وشتاء، وتغير أحوال في الدنيا، وعن النبي ﷺ وقد سئل عن هذه الآية وما ذاك الشأن؟ فقال: «يغفر ذنبًا، ويفرج كربًا، ويرفع قومًا، ويضع آخرين»، وقيل: شأنه أن يجيب داعيًا، ويعطي سائلاً، ويفك عانيًا، ويشفي سقيمًا، ويغفر ذنبًا، ويفوت على قوم، عن مجاهد، وعبيد بن عمير، وقيل: يخلق خلقًا، ويميت خلقًا، ويرزق خلقًا، عن الربيع بن أنس، وقيل: شأنه إيصال المنافع إليك، ودفع المضار عنك، عن أبي سليمان الداراني، فلا تغفل عن طاعته، ولا تغفل عن ترك معصيته «**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**».

الأحكام

تدل الآيات على عظيم قدرته في خلق آدم وذريته، والجان؛ لأن مَنْ خَلَق من طين حيًّا خصيمًا مبينًا ذا أعضاء وجوارح وحواس وجميع ما ركب الله تعالى في

(١) والجن والأنس: والإنس والجن، ك.

الإنسان من عجائب التركيب، وخلق من لهب النار خلقًا عجيبًا، وحيوانًا لم يكن إلا قادرًا على الكمال عالمًا.

وتدل على نعمه في اللؤلؤ، والمشرق والمغرب، ثم فيه لطف للمكلفين؛ لأن من تحمل المشاق العظيمة حتى غاص، واستخرج اللؤلؤ من قعر البحر، فَلأَنْ يجتهد في طلب النعمة التي لا نهاية لها وهي نعيم الجنة أولى.

وتدل على أن الخلق يفنى على ما نقوله، وإذا كان الفناء ضدًّا للجواهر فلا اختصاص[1] ببعض الجواهر دون بعض، فيفني الجميع، خلاف ما قاله أبو علي: إنه يختص بجهة؛ إذ لو اختص بجهة لكان مثلاً للجوهر لاشتراكهما في التحيز، وقد شنع على شيخنا أبي هاشم قوم من الجهلة بهذه المسألة، وقالوا عنده: إنه تعالى لو أراد أن يفني بعض الجواهر دون بعض لا يقدر عليه، وهذا جهل؛ لأنه تعالى لا يريد ذلك، فإما أن يريد فناء الجميع، أو لا يريد، وفناء[2] بعضه دون بعض ليس[3] بمقدور، ثم يقال للقوم: لو خلق الله تعالى عشرة أجزاء من البياض في محل، فلو خلق فيه جزءًا من السواد ينفي الجميع، فلو قيل: فلو أراد فناء بعضها دون بعض كيف، كان يكون؟ فكل جواب لهم فهو جوابنا.

ولا يقال: السواد لا يبقى؛ لأنا نصوبه في منع الوجود، أو نقدر البقاء، أو نقول: إذا كان عندهم الأعيان بالفاعل، فلو جعل الله تعالى الأعراض باقية، وجب أن يجوز.

ومتى قيل: فما الفناء؟

قلنا: عرض لا يقدر عليه غيره تعالى، ومن حقه ألا يبقى، وهل هو مدرك؟ منهم من قال: بلى، ومنهم من قال: لا، وتوقف فيه القاضي، ويضاد الجواهر على الوجود، وليس بمتحيز، ولا يكون في جهة.

(١) فلا اختصاص: فلا إخصاص، د، ك.
(٢) وفناء: فناء، ك.
(٣) +، بعض ليس: بعض لأنه ليس، ك.

وتدل على أنه تعالى كل وقت يجري الأشياء على ما هو المصلحة من غير تقديم وتأخير، قال أبو علي: وهذا تَوَسُّعٌ، لأنه لا يقال: هو في شأن إلا وهو مشغول به عن غيره، ويتعالى[1] الله عن ذلك، فالمراد أنه تعالى يفعل أفعالاً في أوقاتها.

قوله تعالى:
﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ
ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ ۚ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ
رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ
ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾﴾.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «سَيَفْرُغُ» بالياء وفتحها وضم الراء، واختاره أبو عبيد وخلف اعتبارًا بقوله تعالى: «يسأله» فأتبع الخبر الخبر، تقديره: سيفرغ الله لكم.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وعاصم وابن عامر وأبو عمرو: «سَنَفْرُغُ» بالنون وفتحها وضم الراء، وهو اختيار أبي حاتم، على نون الكبرياء والعظمة، وروي في ذلك قراءة شاذة، فعن عبد الله، وأبي: «سنفرغ إليكم»، وعن الأعمش: بضم الياء وفتح الراء، على ما لم يسم فاعله، وعن الأعرج بفتح النون والراء، قال الكسائي: هي لغة تميم.

---

(١) ويتعالى: وتعالى، ك.

قرأ ابن كثير، وابن أبي إسحاق: «شِوَاظٌ» بكسر الشين، الباقون بضمها، وهما لغتان: نحو: صُوار وصِوار للجماعة من البقر.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: «نُحَاسٍ» بكسر السين عطفًا على النار، واختاره أبو حاتم، والباقون برفع السين عطفًا على الشواظ[1]، واختاره أبو عبيد.

اللغة

الفراغ في اللغة على وجهين: أحدهما: الفراغ من شغل، والثاني: القصد إلى الشيء، وأصل الفراغ منه: أن ينقطع عنه بعد ملامسة، والفراغ له: هو التوفر عليه، والفراغ والشغل لا يجوز حقيقتهما على الله تعالى؛ لأن ذلك من صفات الأجسام التي تحلها الأضداد، فهو في صفته تعالى توسع بمعنى القصد أو التهديد على ما نذكره.

والثقلان: أصله من الثِّقَل، وكل شيء له وزن وقدر فهو ثقل، ومنه قيل لبيض النعام: ثقل، قال الشاعر:

فَتَذَاكَّرا[2] ثِقَلاً رَثِيدًا بَعْدَ مَا ... أَلقَتْ ذُكَاءُ يَمِينَهَا فِي كَافِرِ[3]

فسميت الإنس والجن ثقلين[4] لثقلهما على الأرض حيًا وميتًا، ومنه: ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة: ٢]، وقيل: شبه بالثقل.

والقُطْر: الناحية، والأقطار: الجوانب، يقال: طعنه فَقَطَّرَهُ، أي: ألقاه على أحد شقيه وقُطْرَيْهِ، وهما جانباه.

والشواظ: اللهب الذي لا دخان فيه، قال رؤبة:

وَنَارَ حَرْبٍ تُسْعِرُ الشُّوَاظَا[5]

---

(١) الشواظ: الشواذ؛ د، ك.

(٢) فتذكرا: فتناقلا، ك.

(٣) البيت ينسب لثعلبة بن صُعير المازني: أنظر لسان العرب (رثد)، تاج العروس (رثد)، الصحاح (رثد)

(٤) ثقلين: ثقلان؛ د، ك.

(٥) البيت قائله رؤبة بن العجاج وتكملته:

إن لهم من وقعنا أقياظا

أنظر ديوان رؤبة بن العجاج.

والنحاس: الدخان، قال الشاعر:

يُضِيءُ كَضَوْءِ السِّرَاجِ السَّلِيـ ـطِ لَمْ يَجْعَلِ الله فُيهِ نُحَاسا[1]

أي: دخانا.

والوردة: واحدة الورد، وهو معروف بورقه ولونه، يقال: للفَرَسِ[2] وَرْدٌ، وللأسد: وَرْدٌ.

والدِّهَان: جمع دهن.

والسِّيمَاءُ: العلامة.

والناصية: شعر مقدم الرأس، سمي بذلك لاتصالها بالرأس.

والحميم: الماء الحار.

والآنُ: الذي بلغ النهاية في الحر، أَنَيَ يَأْنِي أَنًا، فهو آنٍ.

المعنى

ثم ذكر الوعيد وأحوال القيامة بعد ذكر الفناء والإعادة، فقال سبحانه: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ قيل: هو تهديد كقول القائل: لأتفرغن لكم وما به شُغْلٌ، عن ابن عباس، والضحاك، وأبي علي، وقيل: سنقصدكم بعد الترك والإمهال، ونأخذ في أمركم، عن القتيبي، والكسائي، وقيل: لما قال: ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ﴾ وانقضت شؤون الدنيا، بقيت شؤون الآخرة، فقال: «سَنَفْرُغُ لَكُمْ» أي: سنجزيكم ما وعدناكم، نوصل كُلًّا إلى ما وعدناه، فنتم[3] ذلك، ويقع الفراغ، عن الحسن، ومقاتل، وابن زيد، وقيل: نتوفر على شأنكم حتى يتم كما نريد، عن ابن كيسان. «أَيُّهَا الثَّقَلَانِ» قيل: الجن

---

(١) البيت قائله النابغة الجعدي في قصيدة مطلعها:

لبيت أناسا فأفنيتهم وأفنيت بعد أُناسٍ أُناسا

أنظر ديوان النابغة الجعدي، جمع عبد العزيز رباح، ص ٧٨، المكتب الإسلامي، ١٩٦٤.

(٢) للفرس: الفرس، د.

(٣) فنتم: فيتم، ك.

والإنس، وذكرهما بعد(١) هذا(٢) اللفظ تفخيمًا لشأنهما، وروي عن النبي ﷺ: «إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله، وعترتي» فجعلهما ثقلين إعظامًا لحقهما «**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**» بالوعد أم بالوعيد.

ومتى قيل: كيف عد الوعيد نعمة؟

قلنا: لأنه زجر عن المعصية، ولطف في التكليف.

«**يَامَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنفُذُوا**» أي: إن قدرتم، ولم يقل: استطعتما؛ لأنهم جماعة «**أَنْ تَنفُذُوا**» أي: تجوزون هاربين من العذاب، طالبين للنجاة، شبههم بالمخوفين «**مِنْ أَقْطَارِ**» أطراف «**السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَانفُذُوا لاَ تَنفُذُونَ**» أي: لا تجوزون ولا تنجون من العذاب، وقيل: أراد إن استطعتم أن تعجزوا الله فافعلوا، فجعلهم عَجَزَةً عن تحصيل النجاة لهم.

ومتى يقال هذا؟ قيل: يوم القيامة، عن أكثر المفسرين، وقيل: في الدنيا إن قدرتم أن تخرجوا من الأرض، وقيل: هاربين من الموت، عن الضحاك، فأخبر أنه لا نجاة لهم من الموت بوجه «**إِلاَّ بِسُلْطَانٍ**» أي: حجة، وقيل: معناه إن استطعتم أن تعلموا ما في السموات والأرض فاعلموا، ولن تعلموه إلا بسلطان أي: حجة، وقيل: معناه: إن استطعتم فببيّنة(٣) من الله تعالى، عن ابن عباس، والسلطان: قيل: الحجة، عن أكثر المفسرين، وقيل: لا تخرجون عن سلطاني، عن عطاء، وقيل: إلا إلى سلطان، كقوله: ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾ [يوسف: ١٠٠] أي: إليّ، وروي أنه يحاط على الخلق بالملائكة والنار، ثم ينادون بهذا يوم القيامة. «**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**» أي: بأي نعمه تكذبان، بإخباره تعجيزكم(٤)؛ لتحتالوا لدفعه بعمل الطاعة واجتناب المعصية، أو إخباره إياكم أنكم لا تنفذون إلا بحجة لتستعدوا لذلك اليوم «**يُرْسَلُ**

(١) بعد: -، ك.
(٢) هنا: بهذا، ك.
(٣) فَببيِّنة: بينة، د، ك.
(٤) تعجيزكم: بتخيركم، ك.

﴿عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِنْ نَارٍ﴾ قيل: لهب النار، عن ابن عباس، وقتادة، وهو اللهب الذي لا دخان فيه، وقيل: هو اللهب الأخضر المنقطع عن النار، عن مجاهد، وقيل: هو الدخان[1] الذي يخرج من اللهب، ليس بدخان الحطب، عن الضحاك، والنحاس: قيل: الصُّفْرُ المذاب للعذاب، عن ابن عباس، ومجاهد، وسفيان، وقتادة، وقيل: النحاس: الدخان، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقيل: النحاس: المُهْلُ، عن ابن مسعود، وقيل: القِطْرُ، عن الربيع، وقيل: دُرْدِيُّ الزيت، عن الضحاك، وقيل: هو الذي له ريح شديد، عن الكسائي، وقيل: هي خمسة أنهار من صفر ذوائب تصب على رؤوسهم، عن مقاتل، وقيل: يمطر عليهم بالصفر المذاب. واختلفوا فقيل: هذا يفعل بهم في النار، وقيل: بل قبل دخول النار، وقيل: الدخان يحشرهم إلى المحشر ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ بأي نعمه؟ بإخباركم بهذه الحالة لتحترزوا أم بغيره من النعم؟ ﴿فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ﴾ قيل: تقطعت وانفرجت ﴿فَكَانَتْ وَرْدَةً﴾ أي: صارت حمراء كالورد الأحمر، تتلون بلون الورد، وقيل: متغيرة، قال قتادة: إنها اليوم خضراء، وسيكون لها يومئذ لون آخر هي الحمرة، وقيل: الوردة هي المهرة تنقلب حمراء بعد أن كانت صفراء ﴿كَالدِّهَانِ﴾ أي: كالدهن، عن مجاهد، وأبي العالية، وقتادة، والدهن ألوان، شبه السماء بألوانه. وقيل: كالدهان الذي يصب بعضه على بعض بألوان مختلفة، عن الحسن، وقيل: كعكر الزيت يتلون ألوانًا، عن عطاء بن أبي رباح، وقيل: يرون السماء كالدهن، وذلك حين يصيبها حر جهنم، وقيل: كدهن الورد الصافي، عن مقاتل، وقيل: كالأديم الأحمر، وجمعه: أدهنة، عن الكلبي، قيل: كلون الفرس الورد يتغير، عن الضحاك، والربيع، وقيل: إذا فرغ من المحاسبة وبرزت الجحيم، فتؤثر في السماء، فتصير محمرة، ثم تذوب، فتسيل كالدهن، وتسود وجوه العصاة، وتأخذهم الملائكة يعرفون بسيماهم، وروي أن سماء الدنيا من الحديد ﴿فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ أي: بأي نعمه وبإخباره بأحوال القيامة، لتستعدوا

(١) الدخان: للدخان، د.

لها أم بغيره «فَيَوْمَئِذٍ» أي: يوم القيامة «لاَ يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ» قيل: في ذلك الموطن لا يسأل لما يلحقه من الدهش، وإن كان يسأل في غيره من المواطن، ويقال: ﴿وَقِفُوهُمْ إِنَّهُم مَّسْئُولُونَ﴾ [الصافات: ٢٤] وقيل: تكون المسألة، ثم يختم على الأفواه عند لزوم الحجة، وتنطق الجوارح، عن قتادة، وقيل: لا يسألون؛ لأنه تعالى عالم بذلك، وكذلك الحفظة من الملائكة، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، وقيل: لا تسألهم الملائكة؛ لأنهم يعرفونهم بسيماهم، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: لا يسألون سؤال تعريف هل عملتم[(١)]؟ لكن يسألون سؤال توبيخ: لِم فعلتم؟ عن الزجاج، وقيل: هناك مواطن يسأل في بعضها، ولا يسأل في بعض، وقيل: لا يسألون سؤال استفهام لكن سؤال توبيخ وتقريع، عن ابن عباس. وقيل: لا يسأل غير المجرم عن ذنب المجرم «إِنسٌ وَلاَ جَانٌّ»، عن أبي العالية، أي: لا يسأل عن ذنب المجرم غيره من الجن والإنس «فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَاهُمْ» بعلاماتهم، وهي سواد الوجوه، وزرق العيون، عن الحسن، وقتادة، وقيل: أمارات الخزي «فَيُؤْخَذُ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ» قيل: تأخذهم الزبانية، فتجمع بين نواصيهم وأقدامهم بالغُلِّ، ثم يسحبون ويقذفون فيها، عن الحسن. «فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بتميز أهل الثواب من أهل[(٢)] العقاب، أوبإخباره إياكم عن تلك المقامات لتستعدوا لها «هَذِهِ جَهَنَّمُ» يعني ويقال: لهم هذه جهنم «الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ. يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ» يعني بين عذاب جهنم، وبين حميم آن، قد انتهى حره، عن ابن عباس، والضحاك، والحسن[(٣)]، وقتادة، وسفيان، وقيل: هو وادٍ من أودية جهنم، يجتمع فيه صديد أهل النار، فينطلق بهم وهم في الأغلال، فيغمسون في ذلك الوادي حتى تنخلع أوصالهم، ثم يخرجون منها وقد جدد الله خلقهم، فيلقون في النار، عن كعب، وقيل: مرة يعذبون بالنار، ومرة بتجرع هذا الماء والصب عليهم، عن

(١) عملتم: علمتهم؛ د، ك، والتصحيح من د كتب فوقها: صوابه: عملتم.
(٢) أهل: +، ك.
(٣) والضحاك والحسن: والحسن والضحاك، ك.

أبي علي، وقيل: إنهم يستغيثون من العطش، فيحملون إلى الحميم، ويستغيثون من الحميم، فيحملون إلى النار، فلا راحة لهم. «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بإخباره إياكم بهذه الأحوال، فتنزجروا عن المعاصي، فهو لطف لكم، أم بغيره من النعم؟.

الأحكام

يدل قوله: ﴿إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ أن أحدًا لا يستطيع أن يخلص نفسه من العذاب، ولا يندفع إلا بحجة.

قال أبو علي: يدل قوله: ﴿كَٱلدِّهَانِ﴾ أن السماء من الحديد كما روي فتذوب بِحَرِّ النار.

ويدل قوله: «يعرف» أن لكل أحد علامة يعرف بها.

قوله تعالى:

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾﴾.

القراءة

قرأ نافع وعاصم ويعقوب في بعض الروايات عنهم: «مِنِ اسْتَبْرق» بكسر نون (من) ووصل الألف، وقرأ الباقون بقطع الألف.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة ويعقوب:

«لم يَطْمِثْهن» بكسر الميم في الحرفين، وهو اختيار أبي حاتم، وأبي عبيد، وقرأ أبو حيوة الشامي وطلحة بن مصرف بالضم فيهما، وكان الكسائي يكسر إحداهما ويضم[١] الأخرى، يخير في ذلك، وهي قراءة أبي إسحاق السبيعي، قال أبو إسحاق: كنت أصلي خلف أصحاب علي، فأسمعهم يقرؤون[٢] بضم الميم، وكنت أصلي خلف أصحاب عبد الله، وكنت أسمعهم يقرؤون[٣] بكسر الميم، وكان الكسائي يقرأ واحدة بالضم، وواحدة بالكسر، اقتداء بهما، وهما لغتان.

اللغة

المَقَام بفتح الميم: موضع القيام، وبضمها: الموضع المهيأ للإقامة فيه.

والأفنان: جمع فَنَنٍ، وهو الغصن الغض الورق، ومنه قولهم: فنون، وهذا فَنٌّ آخر، أي نوع آخر، ويجوز أن يكون جمع فَنٍّ.

والاتكاء: الاستناد للتكرمة، اتَّكَأَ فهو مُتَكِّئٌ، وأصله من وكأت السقاء: إذا شددته، ومنه: «العَيْنُ وِكاءُ السَّهِ»، فالاتكاء شد بالتقوية للإكرام.

والجَنَى: الثمرة التي قد أدركت، وحان أي تجتنى، قال الشاعر:

هَـذَا جَـنَـايَ وخِـيَـارُهُ فـيـه ... إِذْ كُـلُّ جـانٍ يَـدُهُ إلـى فِـيـهِ[٤]

والقاصر: المانع من ذهاب الشيء في سمته، فالحور قاصرات الطرف عن غير أزواجهن، وامرأة مقصورة: محبوسة مخدرة، لا تخرج، وقصيرة وقَصُورَةٌ، قال الشاعر:

وَأَنْـتِ الـتـي[٥] حَـبَّـبْـتِ كُـلَّ قَـصِـيَـرةٍ[٦]

---

(١) ويضم: وضم؛ د،ك.
(٢) يقرؤون: يقرأون؛ د، ك.
(٣) يقرؤون: يقرأون؛ د، ك.
(٤) البيت ينسب إلى عمرو بن عدي اللخمي؛ انظر، أبو الفضل الميداني، مجمع الأمثال، لسان العرب، جني.
(٥) التي: الذي، د، ك.
(٦) البيت قائله كثيّر عزة وتمامه:

وأنت التي حببت كل قصيرة ... إليّ وما يدري بذاك القصائر

انظر ديوان كثير عزة، دار صادر، بيروت.

وقَصَرَ يَقْصُرُ قصرًا فهو قاصر، ومنه: قصر الصلاة، وأصل الباب: القِصَرُ خلاف الطُّولِ.

والطرف: جفن العين؛ لأنه طرف لها، ينطبق تارة، وينفتح تارة[(١)] أخرى[(٢)].

والطمث: أصله الدم، طَمِثَتْ المرأة: حاضت، وطَمَثَتْ: إذا دميت بالافتضاض، وبعير لم يطمث، أي: لم يمسه حَبْلٌ ولا رجل، قال الفرزدق:

دُفِعْنَ إِلَيَّ لَمْ يُطْمَثْنَ قَبْلِي ... وَهُنَّ أَصَحُّ مِنْ بَيْضِ النَّعَامِ

يقال: طمث يطمث بكسر الميم وضمها لغتان.

۞ الإعراب

«متكئين» نصب على الحال.

«فيهن» الكناية قيل: تعود على الفرش لتقدم ذكرها، وقيل: إلى الجنان، وصرف الإستبرق؛ لأنه يحسن فيه دخول الألف واللام، تقول: الإستبرق.

(وجنا) محله رفع على الابتداء[(٣)]، وخبره: «دان».

۞ المعنى

ثم عقب تعالى بالوعد على العادة الجارية في القرآن في الجمع بين الوعد والوعيد ترغيبًا وترهيبًا، فقال ـ سبحانه ـ: «وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ» أي: مقامه للجزاء والمحاسبة، وأضاف إليه تعالى: لأنه يقيمه، وقيل: مقام ربه قيامه عليه بالعلم، كقوله: ﴿أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْۗ﴾ [الرعد: ٣٣]، وقيل: أراد مقام الذل والفضيحة، وقيل: أراد بالمقام ما يذكر من مواقع الأفعال، كقولهم: مقام أبي بكر عظيم في أمر الزهادة، فمقامه تعالى ما يفعله من الثواب والعقاب المستحقين، ولهذا يسمى مواضع الزهاد عند الملوك مقامًا، وعن إبراهيم، ومجاهد: هو الرجل يهم بالمعصية فيذكر الله، فيدعها مخافة الله. «جَنَّتَانِ» هو بستان فيه شجر تَجُنُّهُ، أي:

(١) تارة: +، ك.
(٢) أخرى: ـ، ك.
(٣) الابتداء: البتداء؛ د، ك.

تستره، وفي الجنتين دورُهُ[1] وقصوره، وقصور أزواجه وحرمه، عن أبي علي، وقيل: جنة من ذهب، وجنة من فضة، وقيل: من الياقوت الأحمر والزبرجد الأخضر، ترابها الكافور والعنبر، وقيل: كل بستان مسيرة مائة سنة، في وسط كل بستان دَارٌ من نور، وقيل: هما جنة عدن، وجنة النعيم، عن مقاتل. «**ذَوَاتَا أَفْنَانٍ**» قيل: ذواتا ألوان من النعم من الفواكه، عن الضحاك، وقيل: ذواتا أغصان، عن مجاهد، وأبي علي، وقيل: ذواتا تفضل بهما على ما سواهما[2]، عن قتادة، وقيل: ذواتا ظلال، عن الحسن، وقيل: ذواتا أصول، عن ابن كيسان. «**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ**» بهذه الجنتان[3] أم بغيرهما[4] «**فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ**» قيل: بالكرامة على أهل الجنة، عن ابن عباس، وقيل: تجريان بالماء الزلال، أحدهما التسنيم[5]، والأخرى[6] السلسبيل، عن الحسن، وقيل: إحداهما من ماء غير آسن، والأخرى[7] من خمر لذة للشاربين، عن عطية العوفي. «**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ**» أي: صنفان، وقيل: ضربان: ضرب معروف، وضرب من شكله غريب، قيل: قال ابن عباس: ما في الدنيا ثمرة إلا وهي في الجنة «**فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مُتَّكِئِينَ**» أي: قاعدين كالملوك «**عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا**» جمع بِطَانَةٍ، وهو خلاف الظهارة، وقيل: بطائنها: ظواهرها، كما يقال: هذا ظهر السماء وبطن السماء، عن الفراء، والمؤرج[8]، والظاهر أن البطانة ما بطن، والظهارة ما ظهر، فلا يعدل عن الظاهر، وقيل: ﴿مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ فُرُشٍ﴾ إشارة إلى الأمن «**مِنْ إِسْتَبْرَقٍ**» قيل: غليظ الديباج، عن عكرمة، والفراء، وجماعة، وقيل: الظواهر من سندس، وقيل: هو الرقيق من الديباج، والبطائن من إستبرق، وهو الديباج الغليظ، عن أبي علي، وقيل: الإستبرق: الحرير الصيني، وهو من الغليظ والرقيق، قال ابن مسعود وأبو هريرة: هذه البطانة فما

(١) دوره: دور؛ د، ك.
(٢) ما سواهما: ما سواها، ك.
(٣) الجنتان: الجنان، ك.
(٤) بغيرهما: بغيرها، ك.
(٥) التسنيم: النسيم، ك.
(٦) والأخرى: والآخر، ك.
(٧) والأخرى: والآخر، ك.
(٨) المؤرج: المؤرخ؛ د، ك.

ظنكم بالظواهر، وقيل: لسعيد بن جبير: ما الظواهر؟ فقال: هذا مما قال الله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ [السجدة: ١٧]، وروي عنه: بطائنها من إستبرق وظواهرها من نور جامد. «وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ» أي: ثمرهما قريبة تنالها أيدي القائم والقاعد، وقيل: يوجد[١] في كل وقت، خلاف ثمار الدنيا، وقيل: أشجارها وإن كانت باسقة، فإنها تدنو ممن يريدها «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بما وعد من هذه النعم أم بغيره «فِيهِنَّ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ» أي: نسوة غاضة الأعين، قصرن طرفهن على أزواجهن، لا ينظرن إلى غيرهم، قال ابن زيد: تقول لزوجها: وعزة ربي ما أرى في الجنة شيئًا أحسن منك، فالحمد لله الذي جعلك زوجي وجعلني زوجك، وقيل: بلغ من محبتهن لأزواجهن ألا[٢] ينظرن بطرفهن إلى غيرهم، وهن منزهات عما يشينهن، وقيل: هن المؤمنات يعيدهن الله تعالى، وقيل: هن الحور المنشئات «لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ» قيل: لم يمسسهن بجماع، عن مجاهد، وعكرمة، وابن زيد، من قولهم: بَعِيرٌ لم يطمث، وقيل: لم يذقهن بنكاح، عن ابن عباس. من قولهم: امرأة طامث، كأنه قيل: هن أبكار، لم يفتضهن أحد «إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ» وإنما ذكر الجان؛ لأن للجن أزواجًا من الجن، وسئل ضمرة بن حبيب: هل للجن ثواب؟ فقال: نعم، وقرأ هذه الآية، قال: فالإنسيات للإنس، والجنيات للجن «كَأَنَّهُنَّ الْيَاقُوتُ وَالْمَرْجَانُ» قيل: هُنَّ[٣] على صفات الياقوت في بياض المرجان، عن الحسن، وقتادة، وقيل: الياقوت في الحسن والصفاء، والمرجان في النور، وهو أشد اللؤلؤ بياضًا، وهو صغاره، عن الحسن، وقيل: أبيض كالمرجان، وأحمر كالياقوت، وروي عن النبي ﷺ «أن المرأة من أهل الجنة يرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة من حرير»، قال ابن مسعود: كما ترى السكك من وراء الياقوت «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بهذه الجواري وصفتهن وخدمتهن، أم بغيرها من النعم «هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلاَّ الْإِحْسَانُ» (هل) يستعمل على أربعة أوجه:

أولها: بمعنى (قد)، كقوله: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١].

---

(١) يوجد: يحصد، ك.
(٢) ألا: أن لا؛ د، ك.
(٣) هن: هي؛ د، ك.

وثانيها: بمعنى الاستفهام، كقوله: ﴿فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا﴾ [الأعراف: ٤٤].

وثالثها: بمعنى التقرير والأمر، كقوله: ﴿فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] أي: انتهوا.

ورابعها: بمعنى الجحد، كقوله: ﴿فَهَلْ عَلَى ٱلرُّسُلِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ﴾ [النحل: ٣٥] أي[1]: ما عليهم إلا البلاغ، وهو ههنا تقرير، أي: هل جزاء مَنْ أحسن العمل في الدنيا إلا الإحسان إليه بالثواب في الجنة؛ عن ابن عباس، وأبي علي، وجماعة من المفسرين.

وروي عن النبي ﷺ: «هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة».

وعن ابن الحنفية والحسن: هي مسجلة للبر والفاجر. وقيل: هل جزاء من أحسن إليكم بهذه النعم إلا أن تحسنوا في شكره وعبادته «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بنعم الدين أم بالثواب الجزيل؟

الأحكام

تدل الآيات على أن الجنتين للخائف، وعلامة الخائف من ترك معصيته.

وتدل على وصف الجنة وعظيم نعمها.

وتدل على أن الأعمال جزاء، وأن للعبد عملاً حتى يجازى به، خلاف قول المجبرة.

قوله تعالى:

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾ مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾﴾.

---

(١) أي: +، ك.

القراءة

قرأ ابن عامر: «**ذو الجلال**» وهي كذلك في مصاحف أهل الشام، على أنه نعت للاسم، الباقون بالياء على أنه نعت للرب، وكذلك في مصاحفهم.

قراءة العامة: «**خيرات**» بسكون الياء والتخفيف، وعن أبي رجاء العطاردي: «**خيّرات**» بكسر الياء والتشديد، وهما لغتان مثل: هَيْن وهَيِّن، ولَيْن ولَيِّن.

والقراءة المجمع عليها: «**رفرف**»، وروى أبو بكر عن النبي ﷺ أنه قرأ: «**رفارف**» على الجمع، «**وعباقري**» بالألف، ولا يصح هذا عن رسول الله ﷺ، ولا تجوز القراءة به، والقراءات لا تثبت إلا بالنقل المستفيض، وقد ذكر أهل العربية أن من قرأ: (**عباقري**) فقد غلط؛ لأنه لا يكون بعد ألف الجمع[(١)] أربعة أحرف ولا ثلاثة إلا أن يكون الثاني[(٢)] حرف لين، نحو: قناديل.

اللغة

الدُّهْمَةُ: السواد[(٣)]، وادْهَامَّ[(٤)] الزرع: إذا علاه السواد رِيًّا، ومنه الدهماء: الداهية، سميت بذلك لظلامها، وتصغيره: الدُّهَيْماء، ومنه: الدهماء: القدر.

والنضخ أكثر من النضح، وهو رش الماء على الشيء، وغيث نضَّاخ[(٥)]: غزير، وعين نضاخة: كثيرة الماء، نضخ يَنْضَخُ نضخًا فهو ناضخ.

وقال الزجاج: أصل خَيْرات: خَيِّرات، وقال أبو عبيدة[(٦)]: امرأة خَيِّرَةٌ، ورجل خَيِّرٌ، والجمع: خيرات، والرجال أخيار وخيار.

والرمان: معروف، وأصله رم يرم رمًّا؛ لأن من شأنه أن يرم الفؤاد.

---

(١) بعد ألف الجمع: هذا الألف الجمع، ك: هذا للألف، د، وما أثبتناه من تفسير التبيان للطوسي، ٩/ ٤٨٤.

(٢) الثالث: الثاني، د، ك؛ وكتب في هامش د، أظنه الثالث.

(٣) في د: للسواد.

(٤) وادهام: وادهام، د.

(٥) نضاخ: نضاح، د، ك.

(٦) أبو عبيدة: أبو عبيد، ك.

والرفرف: الروضة، وأصله من رَفَّ النبت يَرِفُّ: إذا صار غضًّا نَضِرًا.

المعنى

ثم بَيَّنَ أن لَهم جنتين أُخْرَيَيْن[1]، فقال ـ سبحانه ـ: «وَمِنْ دُونِهِمَا» قيل: دونهما في الدرجة، عن ابن عباس، وقيل: دونهما في الفضل، عن ابن زيد، وقيل: من دونهما، أي: أقرب إلى قصره ومجالسه؛ لينتقل من مجلس إلى مجلس، وجنة إلى جنة، فيتضاعف السرور، وقيل: أمامها، عن الكسائي، وقيل: غيرهما «جَنَّتَانِ» أي: بستانان، قيل: الأربع للخائف مقام ربه، عن ابن عباس، وقيل: هي أربع جنات للسابقين، وجنتان للتابعين، عن الحسن، وابن جريج، وقيل: الأوليان[2] من ذهب وفضة، والآخريان[3] من ياقوت وزمرد، وهما أفضل من الأوليان[4]«فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مُدْهَامَّتَانِ» قيل: خضراوان من الرِّيِّ، عن ابن عباس، وقتادة، وعطية، يعني من شدة خضرتهما تضرب إلى السواد، ففي الجنتين الأوليين[5] أشجار ذوات أفنان، وفي هاتين أنواع الخضراوات، وفي حافاتهما[6] النخل والرمان «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ» بأي نعم، بهذه أم بغيرها؟ «فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ» قيل: فوارتان بالماء، ينبع من أصلهما، ثم يجريان، عن الحسن، وقيل: ينضخان على أولياء الله بالمسك والكافور، عن ابن عباس، وقيل: ينضخان بأنواع الخيرات «فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ» قيل: أفرد النخل والرمان بالذكر فضيلة لهما، كقوله: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبۡرِيلَ وَمِيكَىٰلَ﴾ [البقرة: ٩٨]، وقيل: لأنهما ليسا من الفاكهة «فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. فِيهِنَّ» قيل: في الجنتين، وقيل: في الأربع، عن الكسائي «خَيْرَاتٌ حِسَانٌ» روت أم سلمة أنها سألت رسول الله ﷺ عن ذلك، فقال: «خيرات

(١) أخريين: أخرتين، ك؛ أخراوين، د.
(٢) الأوليان: الأولتان؛ د، ك.
(٣) الأخرتان: الأخريان؛ د، ك.
(٤) الأوليان: الأولتين؛ د، ك.
(٥) الأوليين: الأولتين؛ د، ك.
(٦) حافاتهما: حافاتها، د، ك.

الأخلاق، حسان الوجوه»، وقيل: خيرات فاضلات، عن الحسن، وقيل: يقال: رجل خَيْرٌ وامرأة خَيْرَةٌ: فاضل في الصلاح والجمال، وقيل: مختارات، عن جرير ابن عبد الله، وقيل: خيرة بمعنى خَيْرَةٌ، فخفف كميْت وميّت «**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. حُورٌ**» قيل: بيض، عن ابن عباس، ومجاهد. «**مَقْصُورَاتٌ**» أي: قصرن على أزواجهن، فلا يردن بدلاً بهم، عن مجاهد، والربيع، وقيل: محبوسات في الحجاب، مستورات، عن ابن عباس، وقيل: لَسْنَ بطوافات في الطرق، عن الحسن. «**فِي الْخِيَامِ**» قيل: الخيمة درة مجوفة، فرسخ في فرسخ، لها أربعة آلاف مصراع من ذهب. وروي عن النبي ﷺ: «الخيمة درة، طولها في السماء ستون ميلاً، في كل زاوية منها أهل المؤمنين، لا يراهم الآخرون». وقيل: المراد بيت والعرب تسمي البيت خيمة «**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلاَ جَانٌّ**» أي: لم يمسهن بجماع «**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. مُتَّكِئِينَ**» جالسين جلوس الملوك، من النعمة والأمن «**عَلَى رَفْرَفٍ خُضْرٍ**» قيل: هو رياض الجنة، عن سعيد بن جبير، والواحد رفرفة، والجمع رفرف، والرفارف جمع الجمع، وقيل: هي المجالس، عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وقيل: المرافق، عن الحسن، أي: الوسائد، وقيل: فرش مختلفة الألوان، عن أبي علي، وقيل: نوع فراش، يكرم الله به أهل الجنة «**وَعَبْقَرِيٍّ حِسَانٍ**» قيل: زرابي حسان، عن ابن عباس، وسعيد بن جبير، وقتادة، وهي الطنافس، قال ابن زيد: هو الطنافس، وقيل: العبقري: الديباج، عن مجاهد، وقيل: البسط، عن الحسن، قيل: عبقر اسم بلد ينسج به ضرب من الوشي الحسن، واحدها: عبقرية، عن أبي عبيدة، قال قطرب: ليس بمنسوب، وقال القتيبي: كل ثوب مُوَشًّى فهو عبقري «**فَبِأَيِّ آلاَءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ. تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ**» قيل: تبارك: ثبت(١) [اسم] ربك(٢) [ودام]، وقيل: البركة منه واسمه «**ذِي الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ**» أي: ذي العظمة والكبرياء، وقيل: الاسم صلة، والمعنى تبارك ربك، وقيل: اسمه منزه عن كل سوء، أي: له الأسماء الحسنى، وقيل: افتتح السورة باسم لا يجوز إلا له،

(١) ثبت: +، د.
(٢) ربك: +، ك، وما أثبتناه من الواحدي، الوجيز، ١/ ٦٠١.

وختمها بصفات لا تليق إلا به «تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالإِكْرَامِ»، وعن النبي ﷺ: «أَلِظُّوا بياذا الجلال والإكرام» أي: داوموا عليه.

۞ الأحكام

تدل الآيات على ما أعد الله تعالى للمؤمن من الجنة وصفاتها، وما يحتاج إليه من المسكن، ومرافقها، وفرشها، وعيون الماء، والفواكه، والحور، والأزواج، فذكر كل واحد على أحسن ما يكون ترغيبًا.

وتدل على تنزيهه عن كل سوء؛ لأنه لو فعل القبيح لجرى عليه اسم لا يليق به.

سورة الواقعة

سورة (الواقعة) مكية، ست(١) وتسعون آية.

وعن ابن مسعود عن مسروق: (من أراد أن يعلم نبأ الأولين والآخرين، ونبأ أهل الجنة، ونبأ أهل النار، ونبأ الآخرة، فليقرأ سورة الواقعة).

ولما ختم سورة (الرحمن) بالوعد، وصفة الجنة، افتتح هذه السورة بصفة القيامة والجنة، ورتب فيها درجات الناس.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾﴾.

القراءة

قراءة العامة: «هباء مُنْبَثًّا» بالثاء من البث، وهو التفريق. وقرأ إبراهيم النخعي بالتاء، أي: منقطعًا، من قولهم: بَتَتُّ(٢) الحبل: قَطَعْتُهُ.

---

(١) ست: ستة، د، ك.

(٢) بتت: بت، د.

اللغة

الوقع: ظهور الشيء بالحدوث، كظهور الساقط بحضرة الرائي، وقع يقع وقوعًا، وهو واقع، والأنثى واقعة.

والرجرجة: الاضطراب، كجارية رجراجة، والرَّجُّ: تحريك الشيء، يقال: رَجَجْتُ الحائط، وارتج البحر: اضطرب، وارتج السهم عند خروجه من القوس.

والبَسُّ: مصدر بسست الحنطة أبسها، إذا دستها[(١)]، وهي البسة، ويقال: البسيسة السويق أو الدقيق يلت ويتخذ زادًا، وأصله: الخلط، قال نصر بن غطفان:

لا تَـخْـبَـزَا خُـبْـزًا وبُـسَّـا بَـسَّـا[(٢)]

والهباء: غبار كالشعاع في الرقة.

والانبثاث: افتراق الأجزاء الكثيرة في الجهات المختلفة.

الإعراب

العامل في «إذا» محذوف، تقديره: اذكر إذا وقعت الواقعة.

«كاذبة» نعت لمحذوف[(٣)]، أي: ليس قضية كاذبة فيها، ويجوز: ليس لها تعيين كاذبة في الخبر بها، وقيل: الكاذبة مصدر، كما يقال: لاغية، أي: لغو، وخائنة، أي: خيانة عن الكسائي، تقديره: ليس في وقعتها كذِبٌ، بل هو صِدْقٌ.

﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ خبر ابتداء محذوف، أي: هي خافضة، والهاء فيهما للمبالغة، كما يقال: علّامة ونسابة، قال الفراء: هو اسم كالعافية.

﴿هَبَآءً﴾ نصب بنزع الخافضة، أي: كالهباء، وقيل: إنه خبر (كان).

﴿فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ﴾ خبره محذوف كأنه قيل: أيُّ شيء هم.

---

(١) دستها: بسها، ك؛ أذابها، د.

(٢) وتكملة البيت:

لا تـخـبـزا خـبـزا وبـسّـا بـسّـا ... ولا تُـطـيـلا بُـمـنـاخ حَـبـسـا

تاج العروس (بسس)؛ لسان العرب (بسس).

(٣) لمحذوف: لمحذوفها، ك.

﴿وَٱلسَّٰبِقُونَ﴾ رفع على الابتداء، والثاني: يصلح أن يكون خبرًا للأول، كأنه قيل: السابقون في كذا هم السابقون في الخير، وقيل: خبره: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ﴾.

۞ المعنى

«إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ» الواقعة[1] القيامة، قيل: سميت بها؛ لأنها كائنة لا محالة، فهي كالواقعة، عن الأصم، وقيل: أراد بالوقوع الوجوب، أي: واجب قيامها، وقيل: سميت واقعة لصوتها، أي: نزلت صيحة القيامة، وتلك النفخة الآخرة، وقيل: معناه دنت القيامة «لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ» أي: ليس في كونها تكذيب «خَافِضَةٌ رَافِعَةٌ» قيل: تخفض أقوامًا إلى النار، وترفع أقوامًا إلى الجنة، عن الحسن، وأبي علي، وقيل: خفضت بالصوت[2] فأسمعت القريب، ورفعت فأسمعت البعيد، عن عكرمة، والسدي، ومقاتل، وقيل: رفعت أقوامًا إلى عليين، كانوا أذلاء في الدنيا، وخفضت أقوامًا إلى أسفل السافلين، كانوا مرتفعين في الدنيا، وقيل: رفعت قومًا بالفضل، وخفضت قومًا بالعدل «إِذَا رُجَّتِ الأَرْضُ رَجًّا» قيل: زلزلت زلزالاً شديدًا، عن ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والزلزلة: الحركة باضطراب، وقيل: تُرَجُّ كما يرج[3] الصبي في المهد، فينهدم كل بناء عليها «وَبُسَّتِ الْجِبَالُ بَسًّا» قيل: تبث بثًا[4]، عن ابن عباس، ومجاهد، والسدي، أي: فُرِّقَتْ فصارت كالسويق، وقيل: أذهبت إذهابًا، عن عطاء، وقيل: كسرت كسرًا، عن سعيد بن المسيب، وقيل: سيرت عن وجه الأرض تسييرًا، عن الكلبي، وقيل: قلعت من أصلها، فذهبت بعدما كانت صخرة صماء، عن الحسن، وقيل: بسطت بسطًا، كالرمل والتراب، عن عطية، وقيل: جعلت كثيبًا مهيلاً، عن ابن كيسان. «فَكَانَتْ هَبَاءً مُنْبَثًّا» قيل: هو الغبار يدخل في الكوة مع الشعاع، عن الحسن، وقيل: رَهَجُ الدواب، عن علي، وقيل: ما تطاير من

---

(١) الواقعة: +، د، ك.
(٢) بالصوت: للصوت، د، ك.
(٣) ترج كما يرج: يرج يرج، ك.
(٤) تبث بثا: بتت بتًا، ك.

شرر النار، عن عطية، وقيل: حطام الشجر، عن قتادة. «**مُنبَثًّا**» متفرقًا «**وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً**» أي: أصنافًا.

ثم بَيَّنَ الأصناف، فقال ـ سبحانه ـ: «**فَأَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**» قيل: الذي يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقيل: هم الذين يعطون كتبهم بأيمانهم، عن الضحاك، وأبي علي، وقيل: هم الذين كانوا ميامين مباركين على نفوسهم، وكانت أعمارهم في طاعة الله، وهم التابعون بإحسان، عن الحسن، والربيع.

ثم عَجَّبَ رسوله من حالهم تفخيمًا لشأنهم، فقال ـ سبحانه ـ: «**مَا أَصْحَابُ الْمَيْمَنَةِ**» كما يقال: زيد ما زيد «**وَأَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ**» قيل: الذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار، وقيل: يعطون كتبهم بشمائلهم، عن الضحاك، وأبي علي، وقيل: هم المشائيم على أنفسهم، فكانت أعمارهم في معصية الله، عن الحسن. ثم عجب من حالهم لعظيم شأنهم في العذاب، فقال: «**مَا أَصْحَابُ الْمَشْأَمَةِ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ**» قيل: هم الذين صَلُّوا إلى القبلتين، عن ابن سيرين، وقيل: السابقون إلى اتباع الأنبياء، فصاروا أئمة في الهدى، فهم السابقون إلى جزيل الثواب عند الله، عن أبي علي، وقيل: السابقون إلى طاعة الله: السابقون إلى رحمته، وقيل: السابقون أولهم رواحًا إلى المساجد، وأولهم خروجًا في سبيل الله، وقيل(١): السابقون إلى الهجرة(٢)، وهم السابقون إلى الجنة، عن ابن عباس. وقيل: إلى الصلوات(٣) الخمس، عن علي عليه السلام، وقيل: إلى الإسلام، عن عكرمة. وقيل: إلى الجهاد، عن الضحاك، وقيل: إلى كل خير، عن القرظي، وقيل: إلى التوبة وأعمال البر، يعني يسارعون إليها، عن سعيد بن جبير، وقيل: السابقون إلى ما دعا(٤) الله إليه، عن ابن كيسان، وهذا هو الأوجه؛ لأن الكلام عام، فيحمل على جميع ما تقدم، وكان المراد من عظم محله في العلم والعمل، يسبق إلى التوحيد والعدل، وتصديق

---

(١) وقيل: فقيل، ك.
(٢) في ك كتب فوق لفظة: (الهجرة). لفظة: (الخيرة).
(٣) الصلوات: الصلاة، د، ك.
(٤) ما دعا: ما دعي، ك.

الأنبياء إلى كل ما أمر الله بها، وقيل: الناس ثلاثة: رجل ابتكر الخير[١] في حداثة سنه وداوم عليه حتى خرج من الدنيا، فهو السابق، ورجل ابتكر عمره بالذنوب، ثم تاب فهو صاحب يمين، ورجل ابتكر الشر في حداثة سنه، وداوم عليه حتى خرج من الدنيا، وهذا صاحب شمال.

ومتى قيل: لم كان السابق إلى الإيمان أفضل؟

قلنا: لوجوه:

أحدها: أنه أسلم لله، ولحسن الإسلام، وبعده قد يكون لرغبة ورهبة.

وثانيها: أن إسلامه قد يكون لطفًا لغيره، فإذا رآه أسلم.

وثالثها: أنه ربما يدعو غيره كما كان يفعله أبو بكر.

ورابعها: أنه يكون قدوة يُقْتَدَى به.

وخامسها: أنه سَنَّ سُنَّةً حسنة.

«**أُوْلَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ**» من رحمته وكرامته «**فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**» أي: يكرمهم في الجنة.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: وقوع القيامة لا محالة، وأنه لا تكذيب في كونها[٢].

ومنها: ما يختص به من رَفْعِ قوم، وخَفْضِ قوم.

ومنها: ما في الخبر به من اللطف للمكلفين.

ومنها: ما يدل[٣] على أشراط الساعة، من اضطراب الأرض، وتفريق الجبال.

---

(١) الخير: +، ك.

(٢) كونها: كونه، د، ك.

(٣) يدل: تدل، ك.

ومنها: بيان أحوال الناس ودرجاتهم.

ومنها: تفضيل السابقين ترغيبًا في مثل حالهم، وقد مكن منه، وأزيح علله، فإذا فاتته تلك المنزلة فمن جهته، وكان شيخنا أبو علي كثيرًا ما ينشد:

السِّبَاقَ السِّبَاقَ سِرًّا وَجَهْرًا   حَذَرَ النَّفْسِ حَسْرَةَ الْمَسْبُوقِ[1]

قوله تعالى:

﴿ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾ كَأَمْثَـٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَـٰمًا سَلَـٰمًا ﴿٢٦﴾﴾.

القراءة

قرأ عاصم وحمزة والكسائي: «يُنْزِفُونَ» بكسر الزاي، يعني لا يفنى خمرهم، يقال: أَنْزَفَ الرجل: إذا فني خمره، وفي الحديث: زمزم لا تنزف ولا تذم أي: لا يفنى ماؤها. وقرأ الباقون بفتح الزاي، ومعناه: لا يسكرون، يقال: نُزِفَ الرجل ينزف: إذا ذهب عقله من السكر، والأصل فيهما واحد، وهو نفاذ الشيء وذهابه، يقال: نزف دمه: إذا خرج كلُّه، والسكران: نزيف إذا نزف، عقله، والنزف: نزوح ماء البئر كله، شيئًا بعد شيء، ونزف الرجل في الخصومة: إذا انقطعت حجته، وأنزف القوم: نفذ شرابهم.

قرأ أبو جعفر وحمزة والكسائي: «وحورٍ عينٍ» بالكسر في الحرفين، وقرأ إبراهيم النخعي، وأشهب العقيلي: «وحورًا عينا» بالنصب، وقرأ نافع وابن كثير وعاصم، وابن عامر وأبو عمرو، ويعقوب: «حور عين» بالرفع، أما الكسر: فللعطف على ما

---

(١) في رواية أخرى للبيت:

السباق السباق قولا وفعلا   حذر النفس حسرة المسبوق

تقدم؛ ليتشاكل الكلام، من غير إخلال بالمعنى، تقديره: «وحور عين»، فأتبعه لأجل اللفظ، وإن اختلفا في المعنى؛ لأن الحور لا يطاف بهن، كقول الشاعر:

إِذَا مَـا الْـغَـانِـيَـاتُ بَـرَزْنَ يَـوْمًـا ... وزَجَّـجْـنَ الْـحَـواجِـبَ والْـعُـيُـونَـا

تقديره: وكَحَلْنَ العيون، فرده على «زَجَّجْنَ» للعطف، وقال آخر:

وَرأَيْـتُ زَوْجَـكِ فِـي الْـوَغَـى ... مُـتَـقَـلِّـدًا سَـيْـفًـا وَرُمْـحًـا

ونظائره يكثر، قال الله ـ سبحانه ـ: ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِي رَحْمَتِهِۦ وَٱلظَّٰلِمُونَ[1]﴾ [الشورى: ٩].

وأما النصب فعلى تقدير: يعطون حورًا عينا، أو يزوجن حورًا.

أما الرفع، على العطف على ﴿وِلْدَٰنٌ﴾ تقديره: ويطوف حور عين، وقيل: إنه صفة، أي لهم حور عين، عن الأخفش، وقيل: هو ابتداء، وخبره فيما بعده.

اللغة

الثُّلَّةُ: الجماعة من الناس، وأصله القطع، قال الزجاج: الثَّلُّ القطع، والثلة: الفرقة، ومنه: الثلة من الناس القطعة، ومنه: الثَّلَلَ: الهلاك، كأنه قطع بإهلاكه، ومنه: ثُلَّ عَرْشُهُ: إذا قطع ملكه بهدم سريره، والثَّلَّةُ بفتح الثاء: الجماعة من الغنم، كأنها قطعت عن الباقين، والجمع ثِلَلٌ، نحو: بَدْرَةٍ وبِدَرٍ، وثللت البيت: هدمته، وأثللته: أمرت بإصلاحه.

والوَضْنُ: نسج السرير وأشباهه، فهو موضون، والسرر الموضونة: المنسوجة بالدر، كما تُوضَنُ حِلَقُ الدرع[2]، وكل شيء وضعت بعضه على بعض فهو موضون، وفي حديث ابن عمر:

إِلَـيْـكَ تَـعْـدُو قَـلِـقًـا[3] وضِـيـنُـهـا

(١) والظٰلمون: والظالمين، د.

(٢) الدرع: الدروع، ك.

(٣) قلقا: قلسها؛ د، ك؛ وتكملة البيت: مخالفا دين النصارى دينها.
أنظر لسان العرب (قلق)، تاج العروس (قلق).

قال القتيبي: الوضين هو بطان من السُّيور[١] منسوج بعضها على بعض، قال الشاعر:

وَمِـنْ نَـسْـجِ دَاوُدَ مَـوْضُـونَـة تُـسَـاقُ مَـعَ الْـحَـيِّ عَـيْـرًا فَـعِـيَـرا[٢]

وإنما كان موضونًا لإدخال الحلق بعضها على بعض.

والمعين: الماء الجاري الظاهر، ومنه سميت عين الماء؛ لأن الماء يعين منه، أي: يظهر للعيون جاريًا، قال ثعلب: عَانَ الماء يَعِينُ إذا ظهر جاريًا، فمعين على هذا مفعول على العين، على مثال مبيع ومكيل، وقال الفراء: ويجوز أن يكون فعيلا من الماعون الذي هو المعروف، وقال غيره: هو من الماعون الذي هو الماء، يقال: معن الماء وأمعن إذا سال.

والمكنون: المصون بما يحفظه عما يلحقه تغيير، قال الشاعر:

وَهْـيَ زَهْـرَاءُ[٣] مِـثْـلُ لُـؤْلُـؤَةِ الْـغَـوَّا صِ مـيـزَتْ مِـنْ جَـوْهَـرٍ مَـكْـنُـونِ[٤]

الإعراب

رفع «ثلة» على تقدير: هم ثلة.

«متكئين» نصب على الحال.

«جزاء» نصب على المصدر، وقيل: لأنه مفعول، أي: يفعل ذلك بهم جزاء.

وفي نصب قوله: «سلامًا» وجوه: قيل: ويقولون سلامًا، وقيل: لوقوع الفعل عليه، تقديره: بل يسمعون سلامًا، وقيل: ينتصب بـ «قيلا»، وقيل: تقديره: سلمك الله سلامًا بدوام النعيم.

---

(١) السيور: الثوب، د، ك.

(٢) البيت قائله الأعشى قصيدة مطلعها:

عـشـيـت لـلـيـلـى بـلـيـل خـدور وطـالـبـتـهـا ونـذرت الـنـذور

أنظر ديوان الأعشى، دار صادر، بيروت.

(٣) زهراء: زهرة؛ د، ك.

(٤) البيت قائله أبي دهبل الجمحي.

أنظر: الأصفهاني، الأغاني ح٧، ص ١٣٧، دار الفكر، بيروت.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ حال السابقين، فقال ـ سبحانه ـ: «**ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ**» جماعة كثيرة من الأمم الماضية «**وَقَلِيلٌ مِنَ الآخِرِينَ**» من أمة محمد ﷺ. وروي عنه أنه قال: «السابقون أربعة: أنا سابق العرب، وسلمان سابق فارس، وبلال سابق الحبشة، وصهيب سابق الروم»، وقيل: جماعة من أوائل هذه الأمة وهم الصحابة، وقليل من أواخرهم ممن قرب حالهم من حال أولئك، «**عَلَى سُرُرٍ**» جمع سرير «**مَوْضُونَةٍ**» قيل: مشبكة بالذهب والجوهر، وقيل: مملوءة بالذهب، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: بالدر مشبكة والياقوت، عن عكرمة، وقيل: مصفوفة، عن ابن عباس، والضحاك، وقيل: طول كل سرير ثلاثمائة ذراع، فإذا أراد العبد أن يجلس عليها تواضعت، فإذا جلس عليها ارتفعت «**مُتَّكِئِينَ**» أي: مستندين جالسين جلوس الملوك من النعمة والأمن «**مُتَقَابِلِينَ**» أي: يقابل بعضهم بعضًا للزيارة، ولا يرى بعضهم قفا بعض، وقيل: تقابل المرأة زوجها، وبعضهم بعضًا للأنس إتمامًا للسرور، عن أبي علي. «**يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ**» قيل: باقون، لا يموتون، عن مجاهد، وقيل: مخلدون على حال واحد، لا يهرمون، عن الحسن، وقيل: مُقَرَّطُون، عن سعيد بن جبير، والفراء. قال المؤرج: يقال للقرط: الخلد، قال الشاعر:

ومُخَلَّدَاتٍ بِاللُّجَيْنِ كَأَنَّمَا[1]

واختلفوا في الولدان، فقيل: هم أولاد الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا؛ لأن الجنة لا ولادة فيها، عن علي عليه السلام، والحسن، وروي عن النبي ﷺ أنه سئل عن أطفال المشركين، فقال: «هم خدم أهل الجنة»، فعلى هذا يحمل قول علي والحسن، لأن أطفال المؤمنين مع آبائهم، وقيل: بل هم من خدم

(١) وتكملة البيت: أعجازهن أقاوز الكثبانِ
أنظر لسان العرب (قوز)، تاج العروس (قوز).

الجنة على صورة[1] الولدان خلقوا لخدمة أهل الجنة. «بِأَكْوَابٍ» جمع كوب، وهي أباريق واسعة الرؤوس، لا خراطيم لها، عن قتادة. «وَأَبَارِيقَ» جمع إبريق، وهي التي لها عرى وخراطيم، سمي بذلك إبريق له. «وَكَأْسٍ مِنْ مَعِينٍ» أي: كأس خمر معين، ظاهرة للعيون، جارية «لاَ يُصَدَّعُونَ عَنْهَا» أي: لا تصدع رؤوسهم من شربها، وإن أكثروا «وَلاَ يُنزِفُونَ» قد بينا اختلاف القراء، ومعنى كل واحد، وبحمله عليها، فإنها لا تنفد، ولا تسكر زيادة في سرورهم ونشاطهم «وَفَاكِهَةٍ مِمَّا يَتَخَيَّرُونَ» أي: يختارون ويشتهون، وتقديره: يختارونها أسقط الهاء لرؤوس الآي «وَلَحْمِ طَيْرٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ» وعن النبي ﷺ: «إن في الجنة لطيرًا كالبُخَاتي»، فقال أبو بكر: يا رسول الله: إنها لناعمة؟ فقال ﷺ: «من أكل منها أنعم منها، وإني لأرجو أن تاكل منها يا أبا بكر». «وَحُورٌ» قيل: بيض، عن الحسن، وروي مرفوعًا. «عِينٌ» قيل: واسعات العيون، وقيل: وجوارٍ[2] تحور فيها العيون، عن مجاهد. «كَأَمْثَالِ» أشباه «اللُّؤْلُؤِ الْمَكْنُونِ» المخزون في الصدف، لم تمسه الأيدي «جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» أي: يعطون ذلك جزاء على أعمالهم في الدنيا «لاَ يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا» أي: لا يتكلم بشيء لا فائدة فيه، واللغو: كل كلام يجب أن يلغى «وَلاَ تَأْثِيمًا» كلامًا يأثم به قائله، وقيل: اللغو: المزاح، والتأثيم: الذي فيه أذى، أو بشيء غيره كالشتم ونحوه «إِلاَّ قِيلاً سَلاَمًا سَلاَمًا» قيل: لكن يسلم بعضهم على بعض، وقيل: الملائكة تسلم عليهم.

۞ الأحكام

تدل الآيات على وصف نعيم الجنة المعدة للسابقين.

ويدل قوله: ﴿لَا يَسْمَعُونَ﴾ أن بعضهم لا يؤذي بعضًا.

ويدل قوله: ﴿يَتَخَيَّرُونَ﴾ أنهم يختارون، وليس لأن فيها[3] ما ليس بمختار، لكن يقدم

(١) جوارٍ: جواري؛ د، ك.
(٢) صورة: مودة، د، ك.
(٣) فيها: فيه؛ د، ك.

بعضها على بعض، على ما يوجبه الترتيب، كما في أطعمة الدنيا، وكذلك قوله: ﴿يَشۡتَهُونَ﴾ لأن نعيم الجنة كله مشتهى، لكن الشهوة تتعلق بنوع ثم بنوع، على ترتيب وتدريج.

ويدل قوله: ﴿جَزَآءَۢ﴾ أن ذلك جزاء على الأعمال، وأن ذلك العمل فعلهم، فيبطل قول المجبرة في المسألتين.

ومتى قيل: كيف يكون الثواب مع عِظَمِهِ مستحقًا على الطاعة مع قِلَّتِها؟

قلنا: العمل لا يعظم بنفسه، وإنما يعظم بقرائنه، إذا فعل معظمًا لربه مخلصًا فيه، على ما تعبد به عالمًا بما يفعله استحق الثواب العظيم، وعلى هذا إذا عصى مستخفًا بالمنعم مع عظيم نعمه استحق عقابًا عظيمًا، ومن رحمته أن يعطي الثواب الجزيل على العمل القليل.

قوله تعالى:

﴿وَأَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ مَآ أَصۡحَٰبُ ٱلۡيَمِينِ ٢٧ فِي سِدۡرٖ مَّخۡضُودٖ ٢٨ وَطَلۡحٖ مَّنضُودٖ ٢٩ وَظِلّٖ مَّمۡدُودٖ ٣٠ وَمَآءٖ مَّسۡكُوبٖ ٣١ وَفَٰكِهَةٖ كَثِيرَةٖ ٣٢ لَّا مَقۡطُوعَةٖ وَلَا مَمۡنُوعَةٖ ٣٣ وَفُرُشٖ مَّرۡفُوعَةٍ ٣٤ إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ ٣٥ فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا ٣٦ عُرُبًا أَتۡرَابٗا ٣٧ لِّأَصۡحَٰبِ ٱلۡيَمِينِ ٣٨ ثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٩ وَثُلَّةٞ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ٤٠﴾.

❁ القراءة

قراءة العامة: «طلح» بالحاء، وعن علي: طلع بالعين، رواه عنه ابنه الحسن عليه السلام، وعن قيس بن سعد، قال: قرأ رجل عند علي: وطلح منضود، فقال علي: ما شأن الطلح، إنما هو: «وطلع»، ثم قرأ و﴿طَلۡعُهَا هَضِيمٞ﴾ [الشعراء: ١٤٨] فقلت: إنها لفي[١] المصحف بالحاء، أفلا نُحَوِّلها؟ فقال: إن القرآن اليوم لا يهاج ولا يحول[٢]، وهذه أخبار آحاد لا يصح بمثلها إثبات القرآن، وكيف يقول عليٌّ هذا،

---

(١) لفي: في. ك.

(٢) لا يهاج ولا يحول: لا يهاج اليوم ولا يحول، ك.

وجميع المصاحف على الحاء، ومصحف عليٍّ بالحاء[(١)]، وعليه إجماع القراء في الآية، فنقطع أنه لا يصح عن الحسن وعلي عليهما السلام، وعلى بُعْدٍ يمكن أن يُتَأَوَّلَ أنه بَيَّنَ جوازه لو قرئ.

قرأ نافع وعاصم في بعض الروايات عنهما: «عُرْبا» ساكنة الراء، الباقون: بضم الراء، وهما لغتان، والعُرُبُ جمع عروب[(٢)]، وهي اللعوب مع زوجها الشابة تحبه، كما يأنس العربي بكلام العربي، والعَرَبُ: النشاط، وامرأة عَرُوبٌ: ضاحكة، طيبة النفس.

اللغة

الخَضْدُ: مصدر خضدت الشجرة: إذا كسرت شوكها، ونبات خضيد، والخَضَدُ: كل ما قطع من عود أو رطب، الخضد: العود الخضاد إذا تثنى من غير كسر، وأصل الباب: عطف العود اللين، فمن ههنا قالوا في التفسير: المخضود: الذي لا شوك له؛ لأن الغالب أن الرطب اللين لا شوك فيه.

والطلح: شجر حسن اللون لخضرته رقيق، وله نَوْرٌ[(٣)] طيب الرائحة، وقال أهل التفسير: هو الموز.

والنضد: مصدر نضدت الشيء بعضه على بعض منسقًا أو من فوق، والنضيد والمنضود والمنضد: السرير ينضد عليه المتاع، وانضاد الجبال: جنادل بعضها فوق بعض، والنَّضَدُ بفتح الضاد: الشرف لاجتماع خصال الشرف، وفي حديث مسروق: (وشجر الجنة نضيد من أصلها إلى فرعها) أي: ليس لها سوق بارزة، لكنها منضودة بالورق والثمار من أسفلها إلى أعلاها.

والفراش: المهاد المهيأ للاضطجاع، وجمعه فرش، فرش فرشًا، فهو فارش، والشيء مفروش، وأصله أن يفرش أي: يبسط، والفَرْشُ: مصدر فرشت، والفَرْشُ

---

(١) ومصحف علي بالحاء: +، ك.
(٢) عروب: عرب، ك.
(٣) نور: لون، ك.

من الأنعام ما لا يصلح إلا للذبح، والفراش: النساء، وقيل: في قوله: «الولد للفراش» أنه أراد به الزوج، وأنشد قول جرير:

باتت تعانقه[١] وبات فراشها[٢]

كأنه استعير للزوج اسم المرأة لما اشتركا في اللباس والزوجية، وشيء مفروش: مبسوط.

والإنشاء والاختراع والابتداع نظائر، وهو: إحداث المعدوم من غير احتذاء على مثال.

والبكر: المرأة على حالتها الأولى قبل الافتضاض، وأصله الأول، ومنه بكرة: أول النهار، ومنه الباكورة: أول ما يأتي من الفواكه، والبَكْرُ: الفتي من الإبل.

والأتراب: جمع ترب، وهي اللِّدَةُ الذي ينشأ مع مثله في حال الصبا، مأخوذ من لعب الصبيان بالتراب، أي: هم كالصبيان على شيء واحد، قال عمرو بن ربيعة:

أَبْرَزُوهَا مِثْلَ الْمَهَاةِ تَهَادَى ... بَيْنَ عَشْرٍ كَوَاعِبٍ أَتْرَابِ
ثُمَّ قَالُوا تُحِبُّهَا قُلْتُ بَهْرًا ... عَدَدَ الرَّمْلِ وَالْحَصَى والتُّرابِ[٣]

فالمهاة البكور، وقيل: النجم، وقوله: بَهْرًا قيل: معناه بهرا لكم، دعاء عليهم، وقيل: معناه حبا[٤] غلب وبهر، وقيل: معناه قلت ذلك معلنًا غير كاتم، ومنه: ابتهر فلان بفلانة: استهتر بها، والقمر الباهر: الظاهر.

---

(١) تعانقه: تعارضه؛ د، ك.

(٢) البيت قائله جرير وتكملته:

خلق العباءة في الدماء قتيلا

أنظر ديوان جرير. دار صادر.

(٣) الأبيات لعمر بن أبي ربيعة وفي رواية أبرزها:

مثل المهاة تهادى ... بين خمس كواعب أتراب
ثم قالوا تحبها قلت بهراً ... عدد النجم والحصى والترابِ

أنظر ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق فايز محمد، دار الكتاب، بيروت ١٩٩٦.

(٤) حبا: حيا، د.

النزول

قيل: نظر المسلمون إلى وادي محصب بالطائف، فأعجبهم سدرها، فقالوا[(١)]: يا ليت لنا مثل هذا، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن أبي العالية، والضحاك.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما لأصحاب اليمين، فقال سبحانه: «وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ» قيل: الذين يأخذون كتبهم بأيمانهم، عن أبي علي، وقيل: يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة، وقيل: أصحاب اليمن والبركة «مَا أَصْحَابُ الْيَمِينِ» تعظيم لشأنهم، وقيل: هم الذين يملكون أنفسهم، ينصرفون عن الشهوات، ومنه ملك اليمين «فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ[(٢)]» قيل: شجر، وقيل: شجر[(٣)] النبق، وقيل: ذكر السدر، ليعلم بعد حال أصحاب اليمين، من حال السابقين كبعد الفواكه من السدر، عن الأصم، وقيل: السدر شجرة خضرة، ولها رائحة طيبة «مَخْضُودٍ» لا شوك فيه، كأنه خضد شوكه، أي: قطع، عن ابن عباس، وعكرمة، وأبي علي، وقتادة، والحسن، وقيل: الموقر حملاً، عن الضحاك، ومجاهد، ومقاتل، وقيل: ثمرها أعظم من القلال[(٤)]، عن سعيد بن جبير، وقيل: هو الذي لا أذى فيه، عن ابن كيسان، كأنه قطع عنه كل ما يؤذي، وكل شجر الجنة مأكول ومشموم «وَطَلْحٍ» قيل: شجر الموز، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وعطاء، وابن زيد، ولا يبعد أن يكون العرب عرفتها فتمنوا مثلها، فَأُعْطُوا خيرًا منها، وقيل: الطلح كل شجر عظيم كثير الشوك، عن أبي عبيدة، والفراء، وقيل: هو شجرة أم غيلان، عن الزجاج، وقيل: ليس هو الموز؛ لكنها شجرة لها ظل بارد طيب، عن الحسن، وقيل: شجرة تشبه الطلح يأكل منها المؤمنون في الجنة «مَنْضُودٍ» قيل: ثمرها متراكم، نضد بعضه على بعض، عن ابن عباس، وقيل: نضد من أوله إلى آخره،

---

(١) فقالوا: قالوا، ك.
(٢) مخضود: -، ك.
(٣) شجر: الشجر، ك.
(٤) القلال: العدل، د، ك.

ليس هو بسوق بارزة، وأشار إلى كثرة ثمرها، وقيل: أشجار الجنة من عروقها إلى أفنانها ثمر كله «وَظِلٍّ مَمْدُودٍ» قيل: دائم لا تنسخه الشمس، وقيل: بل الظل الممدود، ثم اختلفوا فقيل: هو ظل العرش، عن الربيع، وقيل: ظل الأشجار، وفي خبر مرفوع: «إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة سنة لا يقطعها»، وقيل: ظل [ممدود] مسيرة[1] سبعين ألف سنة، عن عمرو بن ميمون. «وَمَاءٍ مَسْكُوبٍ» مصبوب يجري دائمًا في غير أخدود، لا ينقطع، عن سفيان، وجماعة، وقيل: مصبوب على الخمر ليشرب بالمزاج، وقيل: مسكوب ليشرب على ما يرى من صفائه وحسنه «وَفَاكِهَةٍ كَثِيرَةٍ».

ومتى قيل: لم ذكر أولاً أنها تتخير، وذكرها هنا بأنها كثيرة «لاَ مَقْطُوعَةٍ وَلاَ مَمْنُوعَةٍ» أي: مع كثرتها تتصل في كل وقت بخلاف فواكه الدنيا، وقيل: لا ينقطع ثمرها[2] إذا جنيت؛ بل يحدث مكانها مثلها روي مرفوعًا «وَلاَ مَمْنُوعَةٍ» قيل: لا تمنع عن أحد، وقيل: لا يحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا، عن القتيبي، وقيل: لا تمتنع على متناولها لِبُعْدٍ أو شوك يؤذي كما في الدنيا «وَفُرُشٍ مَرْفُوعَةٍ» قيل: الفرش: البُسُط، والمرفوعة: قيل: عالية كما يقال: بناء مرفوع، وقيل: مرفوعة القدر، وقيل: مرفوعة بعضها فوق بعض، عن الفراء وهو أوجه، وقيل: الفرش النساء، عن أبي علي وجماعة، يقال لامرأة الرجل هي فراشه، ولذلك قال عقيبه: «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً» «مرفوعة»: قيل: مرتفعات القدر في كمالهن وجمالهن «إِنَّا أَنشَأْنَاهُنَّ إِنشَاءً» أي: خلقناهن واخترعناهن اختراعًا «فَجَعَلْنَاهُنَّ أَبْكَارًا» قيل: عذارى، عن الضحاك. «عُرُبًا» قيل: العواشق لأزواجهن، عن ابن عباس، والحسن، وقتادة، ومجاهد[3]، وسعيد بن جبير، وقيل: حسنات الكلام، عن أسامة بن زيد، وقيل: غَنِجَةٌ، عن عكرمة، وقيل: حسنة التبعل[4]، وقيل: ظريفة[5] المداعبة «أَتْرَابًا» مستويات على سن واحد، عن

(١) مسيرة: سيرة؛ د، ك.
(٢) ثمرها: الثمرة؛ د، ك.
(٣) وقتادة ومجاهد: مجاهد وقتادة، ك.
(٤) التبعل: التبعل عن، ك.
(٥) ظريفة: طريفة، ك.

ابن عباس، وقتادة، ومجاهد، والضحاك، واختلفوا في هؤلاء على قولين: فقيل: نساء أهل الدنيا أنشأهن الله بالإعادة بعد الفناء، وروي في خبر مرفوع: «كن عجائز رمصا عمشًا جمعهن الله أبكارًا أترابًا على ميلاد واحد»، وعن النبي ﷺ: «يدخل أهل الجنة الجنة جردًا مردًا مكحلين، أبناء ثلاث وثلاثين، على خلق آدم، طوله ستون ذراعًا في سبعة أذرع».

وعن ابن مسعود: (إذا دخل الجنة نساء الدنيا فضلن على الحور العين بصلاتهن في الدنيا)، وقيل: هن الحور العين لأهل اليمين، أي: أنشأهن لهم، أو كل ذلك معد لهم «**ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ**» قيل: ثلة جماعة من الأمم الماضية، وجماعة من أمة محمد ﷺ، عن ابن عباس، والحسن، وأبي علي، وجماعة، وفي خبر مرفوع: «إني لأرجو أن تكون أمتي شطر أهل الجنة»، ثم تلا: «**ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ. وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ**» قال الحسن: سابق من مضى أكثر من سابقنا؛ لذلك قال: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ﴾ وفي التابعين «**وَثُلَّةٌ مِنَ الآخِرِينَ**»، وقيل: «**ثُلَّةٌ مِنَ الأَوَّلِينَ**» من سابقي هذه الأمة، وثلة من آخر هذه الأمة، عن أبي العالية، ومجاهد، وعطاء، والضحاك، وعن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في هذه الآية قال: قال رسول الله ﷺ: «هما جميعًا من أمتي».

۞ الأحكام

تدل الآيات على صفة ما أعد الله لأصحاب اليمين، ولا شبهة أن درجتهم دون درجة السابقين.

وتدل على عظيم منزلة القرآن في الإعجاز، وبلوغه في الفصاحة مبلغًا عجز عن مثله البشر؛ لأن من تأمل هذه الآيات علم أنه ليس في مقدور أحد مثله.

وتدل على دوام الجنة، فيبطل قول جهم، وتدل على أنها لم تخلق بعد؛ إذ لو كانت مخلوقة وقد ثبت أن الموجودات كلها تفنى لانقطعت، وذلك بخلاف الآية، وقد قال تعالى: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا﴾ [الرعد: ٣٥].

قوله تعالى:

﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ أَوَ ءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ لَءَاكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر ونافع وعاصم وحمزة: «شُرْبَ» بضم الشين، الباقون بفتحها، شربًا، وقرئ بكسر الشين أيضًا، قيل: بالنصب، اسم للمشروب، وبالضم اسم لفعل الشرب، كقولهم: وُضُوء، وَوَضُوءٌ، فأما قوله: «**أئذا كنا ترابا... ائنا**» فقد مضى اختلاف القراء فيه، وأن أبا جعفر ونافع[1] والكسائي ويعقوب قرؤوا الأول باستفهام، والثاني بكسر الألف غير مستفهم، ثم اختلفوا، فأبو جعفر، وقالون عن نافع، وزيد عن يعقوب بهمزة واحدة مطولة، ونافع ويعقوب بهمزة واحدة غير مطولة، والكسائي بهمزتين.

والثاني: قرأ ابن كثير يستفهم فيهما بهمزة واحدة غير ممدودة.

والثالث: قرأ أبو عمرو بالاستفهام فيهما بهمزة واحدة ممدودة.

والرابع: قراءة عاصم وابن عامر وحمزة بالاستفهام فيهما بهمزتين، وابن عامر لا يجمع بين استفهامين إلا ههنا.

اللغة

السموم: الريح الحارة التي تدخل في مسام البدن، وهي خروقه، ومنه أخذ السُّمُّ؛ لأنه يسري في المسام.

(١) ونافع: ونافعًا، ك.

والحميم: الماء الحار الشديد الحرارة.

واليحموم: الأسود الشديد السواد، تقول العرب: أشد اليحموم شديد السواد، وهو مفعول من الحم، وهو الشحم المسود باحتراق النار، يقال: حَمَمْتُ الرجل: سَخَمْتُ وجهه بالفحم، والأحم: الذي فيه سواد، والحميم: الأسود.

والتَّرَفُّهُ: النعمة، والمترف: الممتنع من أداء الواجبات طلبًا للترفه، وهي الرفاهية والنعمة.

والإصرار: الإقامة للأمر بالعزم عليه، والإصرار على الذنب: الإدامة عليه، وهو نقيض التوبة منه.

والحنث: نقض[1] العقد المؤكد بالحلف، حنث في يمينه، نقيض: بَرَّ.

والزقوم: ما يبتلع بِتَصَعُّبٍ، تَزَقَّمَ تَزَقُّمًا: إذا ابتلعه بتصعب.

والهيم: الإبل العطاش التي[2] لا تروى من الماء؛ لما يصيبها من الداء، الواحد: هَيَمَى، والأنثى: هَيْمَاءُ. ومن العرب من يقول: هائم وهائمة، ويجمع على هيم، والداء هو الهيام.

والنُّزُل: الأمر الذي ينزل عليه صاحبه، ومنه المنزل الجاري للإنسان من الحر.

۞ الإعراب

الشجر يذكر ويؤنث؛ فلذلك قال: ﴿فَمَالِئُونَ مِنۡهَا﴾، و(**شاربون عليه**)، وقيل: التذكير والتوحيد على اللفظ، والتأنيث والجمع على المعنى، وقيل: التذكير على الجنس، والتأنيث على المبالغة، وكذلك الثمر، يُذَكَّرُ ويؤنث.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال أصحاب الشمال، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَأَصۡحَابُ الشِّمَالِ مَا**

(١) نقض: نقيض، د.
(٢) التي: الذي؛ د، ك.

أَصْحَابُ الشِّمَالِ» قيل: من يأخذ كتابه بشماله، وقيل: الذين يؤخذ بهم طريق الشمال إلى النار، وقيل: هم الذين تلزمهم حال الشؤم والنكد، وكل ذلك هو من أوصافهم، فيحمل على الجميع «**فِي سَمُومٍ**» ريح حارة، وهي سموم جهنم، وقيل: حر النار، وما يصيبهم من لهبها، عن أبي علي. «**وَحَمِيمٍ**» ماء حار «**وَظِلٍّ مِنْ يَحْمُومٍ**» قيل: دخان شديد السواد، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد، وقيل: اليحموم جبل في جهنم، يستغيث أهل النار إلى ظله، عن ابن زيد[1]، وقيل: اليحموم اسم جهنم، عن الأصم، وقيل: النار سوداء، وأهلها سود، وكل شيء فيها أسود، عن الضحاك. «**لاَ بَارِدٍ**» يستراح إليه، بل هو حار؛ لأنه دخان جهنم[2] «**وَلاَ كَرِيمٍ**» فيشتهى مثله، وقيل: ولا عذب[3]، عن الضحاك، قيل: ولا حسن، عن سعيد بن المسيب، وقيل: ولا طيب، عن مقاتل، وقيل: لا بارد المنزل، ولا كريم المنظر، عن قتادة. «**إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَلِكَ**» يعني في الدنيا «**مُتْرَفِينَ**» قيل: منعمين، عن ابن عباس، وقيل: هو المتنعم في خلاف ما أحل الله له، أي: ما كان قصدهم الحلال، لكن التمتع، فلا يبالون من أي وجه حصل من الظلم والحرام، وإنما يخص تنعم من لا يفكر في العواقب، عن مجاهد، وقتادة، وقيل: على الشرك، عن الحسن، والضحاك، وابن زيد، وقيل: إصرارهم على الحنث، إنهم كانوا يقسمون بالله جهد أيمانهم لا يبعث الله من يموت، وأن الأصنام أنداد لله، عن الأصم. «**وَكَانُوا يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا**» بعد الموت «**أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ**» أحياء، قالوه على وجه التعجب والإنكار «**أَوَ آبَاؤُنَا الأَوَّلُونَ**» لأنهم صاروا رميمًا «**قُلْ**» يا محمد جوابًا لهم «**إِنَّ الأَوَّلِينَ**» الذين ماتوا في أول الدهر «**وَالآخِرِينَ**» الذين ماتوا في آخر الدهر، عن أبي علي، وأراد جميع الخلق «**لَمَجْمُوعُونَ إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ**» وهو يوم القيامة، والميقات: مصير الوقت «**ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا الضَّالُّونَ**» عن الدين «**الْمُكَذِّبُونَ**»

---

(١) زيد: بريدة، د.
(٢) جهنم: حميم، د.
(٣) ولا عذاب: ولا عذر، ك.

بالآيات «لَآكِلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُّومٍ» قيل: شجر في جهنم، وقيل[١]: هو شيء موحش كريه يأخذ بالحلق[٢]، عن أبي علي. «فَمَالِئُونَ مِنْهَا الْبُطُونَ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ» على الأكل، وقيل: على الشجر «مِنَ الْحَمِيمِ» الماء الحار «فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهِيمِ» الإبل العطاش التي لا تروى، عن ابن عباس، وقيل: يراد بالهيام[٣] [داء يصيب الإبل][٤] فلا تروى معه[٥]، ولا تزال تشرب حتى تهلك، عن عكرمة، وقتادة، وقيل: الهيم الأرض السهلة ذات الرمل، عن الضحاك، وابن عيينة. «هَذَا نُزُلُهُمْ» أي: رزقهم، وما أعد لهم «يَوْمَ الدِّينِ» أي: يوم الجزاء، وقيل: اليوم الذي ينفع فيه الدين.

الأحكام

تدل الآيات على صفة ما أعد الله تعالى للكفار وأهل النار.

وتدل على أنهم استحقوا ذلك بأعمالهم، فدل أن العذاب يستحق على العمل، بخلاف[٦] قول المجبرة.

وتدل أن الحنث من الكبائر؛ لذلك أوعد عليه، وقرنه بإنكار البعث.

وتدل على[٧] أن جميع الخلق يبعثون، والعقل يُجَوِّزُ ألا[٨] يبعث إلا من له حق، فثبت بالسمع بَعْثُ الجميع.

---

(١) وقيل: فقيل، د.
(٢) بالحلق: بحلقه، ك.
(٣) يراد بالهيام: من يرد الهيام، د، ك.
(٤) +، تفسير البغوي، ٨/ ١٩.
(٥) معه: معها، د، ك.
(٦) بخلاف: خلاف، ك.
(٧) على: -، ك.
(٨) ألا: أن لا؛ د، ك.

قوله تعالى:

﴿نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ
ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ
وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَفَرَءَيْتُم
مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ
تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلْمَآءَ ٱلَّذِى تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾
ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ ٱلْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَآءُ جَعَلْنَٰهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ
﴿٧٠﴾ أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ﴿٧١﴾ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ
جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾﴾.

القراءة

قرأ ابن كثير: «قَدَرْنا» خفيفة الدال، الباقون مشددة، وهما لغتان[1] بمعنى، يقال: قَدَرَ، وقَدَّرَ.

وقرأ عاصم في رواية أبي بكر: «أئنا لمغرمون» بهمزتين على الاستفهام، والآخرون (إنا) بكسر الألف على الخبر.

قراءة العامة: «تُمْنُونَ» بضم التاء، وقرأ أبو السماك العدوي بفتح التاء، وهما لغتان.

قراءة العامة: «فَظَلْتُمْ» بفتح الظاء، وعن ابن مسعود بكسر الظاء، والأصل في ظلتم ظللتم، فحذف إحدى اللامين تخفيفًا، فمن فتحه فعلى الأصل، ومن كسره نقل حركة اللام المحذوفة إلى الظاء.

(١) لغتان: -، ك.

اللغة

المني: النطفة التي خلق منها الحيوان بالتقدير الصحيح، وأصله القَدَرُ، منى أمنى[1] فهو مانٍ[2] إذا قدر أمرًا، ومنه: المَنَا الذي يوزن به؛ لأنه مقدار لذلك، قال الشاعر:

لاَ تَـأْمَـنَّـنَ وإِنْ أَمْـسِـيَـتْ فِـي حَـرَمٍ   حَتَّى تُـلاقِـيَ ما يَـمْـنَـى لَـكَ الـمَـانِـي[3]

أي: يقدر لك المقدر، ويقال: مَنَّ الله عليك حتى أتمنا تمنيًا؛ ومنه المنيّة؛ لأنها مقدرة تأتي على مقدار؛ ومنه سميت مِنَى؛ لأن الدماء تراق ثم بمقدار، وأمنى الرجل يمني، ومنى يمني، بمعنى إنزال المني، وكذلك أمذى ومذى، عن الفراء، والاستمناء: الخضخضة.

والتقدير: ترتيب الأمر على مقدار، فالموت يجري بين العباد على مقدار ما تقتضي الحكمة.

والنشأة: المرة من الإنشاء، كالضربة من الضرب، والإنشاء: إيجاد الشيء ابتداء، ونظيره: الاختراع.

والحرث: أصله الجمع، وبه سمي الرجل حارثًا، ومنه الحديث: «احرث لدنياك كأنك تعيش أبدًا، واحرث لآخرتك كأنك تموت غدًا» يعني: تعجل في أمر الآخرة، ويتأنى في أمر الدنيا، والحرث: الزرع، ومنه الحراث، والمرأة حرث الزوج.

والحطيم: الهشيم الذي لا ينتفع به في مطعم ولا غذاء، وأصل الحَطْمِ الكسر، يقال: حَطَمْتُ الشيء: كسرته، والحطم الكسر، والحطيم: المتكسر في نفسه، والحُطَمُ السواق[4] بعنف يحطم[5] بعضها على بعض، قال الشاعر:

قَـدْ لَـفَّـهـا الـلَّـيْـلُ بِـسَـوَّاقٍ حُـطَـمْ[6]

(١) أمنى: يمني، ك.
(٢) مانٍ: ماني؛ د، ك.
(٣) البيت قائله سويد بن عامر المصطلقي، أنظر لسان العرب (ملا).
(٤) السواق: السوق، ك.
(٥) يحطم: تحطم، د، ك.
(٦) البيت نسبه أبو تمام إلى رشيد بن رميض، وكذلك نسب إلى شريح بن ضبعة من بني قيس بن ثعلبة، وقيل إنه لأبي رغبة الخزرجي:

هـذا أوان الـشـد فـاسـتـدري زنـيـم   قـد لـفـهـا الـلـيـل بـسـواق حـطـم
لـسـت بـراعـي أبـل ولا غـنـم   ولا بـجـزار عـلـى ظـهـر وضـم

أنظر لسان العرب (وضم، حطم)، تاج العروس (وضم).

والحطمة: السنة الشديدة كأنها تكسر الناس، ومنه: الحطمة، اسم من أسماء جهنم؛ لأنها تحطم كل شيء.

والتفكه: أصله تناول ضروب الفواكه للأكل، والفاكهة والفكاه: المزاح، ومنه حديث زيد: «كان من أفكه الناس إذا خلا مع أهله»، والفاكه: المازح، ورجل فكِهٌ: طيب النفس، والفَكِهُ: الأشر البطر، والفكه: المعجب.

والمغرم: الذي ذهب ماله بغير عوض، كأنه لزمه، وأصل الباب: اللزوم، ومنه الغارم الذي لزمه الدين، ومنه: ﴿كَانَ غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] أي: دائمًا ملحًا كإلحاح الغريم، وفلان مغرم بكذا أي: مولع للزومه، والغرم: أداء شيء يلزمه.

والمحروم: الممنوع الرزق، يقال: رجل محروم و[رجل] مرزوق، وأصل الباب: المنع، ومنه: الحرام، والحَرَمُ والإحرام.

والأُجَاجُ: الملح المر الكريه المحرق للحلق، ومنه: ماء أجاج، وأَجَّجْتُ النار: سعرتها.

والإِيرَاءُ: إظهار النار، أَوْرَى يُورِي إيراء، ووريت بك زنادي، أي: أصابك[1] أمري كما يضيء القدح بالزناد[2]، يقال: قدح فأورى: إذا أظهر النار، فإذا لم يُورِ قيل: قدح فَأَكْبَا، ومنه الحديث: «إذا أراد السفر أورى بغيره» أي: سَيَّره[3] وعرض بغيره.

والمُقْوِي: النازل بأرض قفر ليس بها أحد، أقوى الرجل: إذا نزل بالقَوَى [أي]: الأرض، والمُقْوِي: الذي لا زاد معه، والمقوي: الذي أصحابه وإبله أقوياء، والقَوَاءُ: الأرض [التي] لا أهل لها[4]، وأقوت الدار: خلت من أهلها، وأقوى القوم: صاروا بالقَوَى.

(١) أصابك: اضأتك، د، ك.
(٢) بالزناد: بالزنادة، د.
(٣) سيره: نستره، ك.
(٤) لا أهل لها: لأهلها، ك.

الإعراب

﴿نَّحْنُ[١] خَلَقْنَٰكُمْ﴾ ابتداء وخبره في ما هذه.

﴿فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ﴾ أي: هلا تصدقون أنكم تبعثون. وقيل: هلا تصدقون بذلك، يعني بأنا خلقناكم، عن أبي علي.

المعنى

لما تقدم الوعد بالبعث، عقبه بذكر الأدلة الدالة[٢] على صحة ذلك وقدرته تعالى عليه، فقال ـ سبحانه ـ: «**نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ**» أي: اخترعناكم لا من شيء مقدرًا على حسب ما أردنا «**فَلَوْلاَ تُصَدِّقُونَ**» أي: هلا تصدقون، قيل: بالبعث؛ لأن مَنْ قَدَرَ على الابتداء قدر على الإعادة، وقيل: بأنا خلقناكم «**أَفَرَأَيْتُم مَا تُمْنُونَ**» أي: تصبُّون في الأرحام من النطف، فيصير ولدًا «**أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ**» ولدًا «**أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ**» لذلك، فإذا لم تقدروا أنتم وأمثالكم على ذلك، فاعلموا أن لذلك خالقًا مخالفًا لكم وهو الله ـ تعالى ـ.

ثم بَيَّنَ أنه[٣] تعالى كما بدأ[٤] الخلق هو الذي يميتهم، فقال سبحانه: «**نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ**» أي: رتبنا [الأمر] على مقدار كما تقتضيه[٥] المصلحة، فمنهم من يموت صبيًّا، ومنهم من يموت شابًّا، ومنهم من يصير هرمًا، وقيل: قدرنا أي: كتبنا آجال الموت، فلا يزاد فيه ولا ينقص، وقيل: قدرنا الموت لتتنازل القرون، فيمضي قرن، ويجيء قرن، إلى أن يزول التكليف، وقيل: تقدير الموت بالتقديم والتأخير، عن قتادة. «**وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ**» قيل: لا يسبق أحد، فيميتكم قبل [أن] أميتكم، وقيل: الوقت الذي قدرت لموتكم، عن أبي علي، وقيل: «**وَمَا نَحْنُ**

---

(١) نحن: ثم، ك.
(٢) الدالة: والدلالة، ك.
(٣) أنه: +، ك.
(٤) بدأ: أبدا، د، ك.
(٥) تقتضيه: فيه، د، ك.

﴿بِمَسْبُوقِينَ﴾ في تدبيرنا، فيخرج عنه بفوتنا، وقيل: عاجزين عن إهلاككم[1]، وقيل: على أن نبلغكم من حال إلى حال، من نطفة وعلقة ومضغة **﴿عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ﴾** أي: نهلككم وننشئ قومًا آخرين مثلكم، وقيل: (على) بمعنى اللام، أي: قدرنا الموت لنبدل أمثالكم، عن أبي علي، وحروف الصفات تتبادل **﴿وَنُنْشِئَكُمْ﴾** نخلقكم **﴿فِي مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾** قيل: في النشأة الثانية من حيث لا تعلمون كيف كان، وإن علمتم النشأة الأولى كيف كانت، وقيل: من الهيئات والصور؛ لأن المؤمن يعاد في أحسن الصور، والكافر في أقبح الصور، وقيل: ننشئكم بصورة القردة والخنازير، عن الحسن، وقيل: نستأصلكم بالعذاب، وننشئكم في الآخرة على وجه آخر سوى ذلك، ولكن لا تعلمون، عن السدي، وقيل: ننشئكم فيما لا تعلمون من التنقل من حال إلى حال، نحو كونه نطفة، ثم علقة، ثم مضغة[2]، وقيل: في أي خلق شاء، عن مجاهد. **﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الأُولَى﴾** يعني الخلقة الأولى، وهي خلقه الأشياء عن عدم **﴿فَلَوْلاَ تَذَكَّرُونَ﴾** أي: هلا تذكرون أنه قادر على إعادتكم، كما قدر على إيجادكم ابتداء **﴿أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ﴾** أي: تثيرون الأرض، وتلقون البذر **﴿أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ﴾** تنبتونه **﴿أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ﴾** المنبتون، فإذا عجزتم عن ذلك فاعلموا أنه تعالى ينبته، وأطلق اسم الزرع على الإنبات توسعًا، وقيل: تزرعونه تجعلونه زرعًا **﴿لَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَاهُ حُطَامًا﴾** أي: هشيمًا متكسرًا، لا ينتفع به، وقيل: تبنًا[3] لا حَبَّ فيه **﴿فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ﴾** قيل: تعجبون، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وقيل: تندمون على ما سلف منكم من معصية الله التي أوجبت عقابكم بما نالكم، وقيل: تندمون على نفقاتكم، عن يمان، وقيل: تلاومون، عن عكرمة، وقيل: تحزنون، عن ابن كيسان، قال: وهو من الأضداد، تقول العرب: تفكهت: تنعمت، وتفكهت: حزنت، وقيل: فيه تقديم وتأخير، والتفكه: النشاط والمرح، تقديره: أفرأيتم ما تحرثون، وظلتم به تفرحون وتمرحون، أنتم جعلتموه زرعًا، فأشار إلى

(١) إهلاككم: بإهلاكهم، ك.
(٢) ثم مضغة: -، ك.
(٣) تبنًا: نبتًا، ك.

أنه إذا قدر على تنقل الخلق من حال إلى حال قدر على الإعادة، وإذا استقام الكلام من غير تقديم وتأخير لم يصح حمله عليه «إِنَّا لَمُغْرَمُونَ» أي: وتقولون: إنا لمغرمون وهو الذي ذهب ماله، عن أبي علي، وقيل: غرمنا النفقة التي أنفقناها عليها، عن الضحاك، وابن كيسان، وقيل: لمؤلم لنا، عن مجاهد، وعكرمة، وقيل: معذبون، عن ابن عباس، وقتادة، والغرام العذاب، وقيل: لمهلكون، عن مقاتل، وقيل: محاسبون، عن مرة الهمداني، وقيل: محرمون(1) من الحظ، عن مجاهد. «بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ» ممنوعون من الرزق والخير، وقيل: حرمنا المنفعة بما أنفقنا وعملنا «أَفَرَأَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ. أَأَنْتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ» قيل: من السحاب، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. «أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ» فإذا لم تقدروا على إنزاله فاعلموا أن له منزلاً غيركم «لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا» قيل: شديد الملوحة، عن ابن عباس، وقيل: مُرًّا شديد المرارة، عن الحسن، والزجاج، «فَلَوْلاَ تَشْكُرُونَ» أي: هلا تشكرون على إنزاله عذبًا تلتذون بشربه «أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ» تقدحون وتستخرجونها من زندكم، أي: تظهرونها بالإيراء «أَأَنْتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا» أي: أنتم خلقتم الشجرة التي تأجج بها النار وتوقد، عن أبي علي، وقيل: هو خشب يحك بعضه ببعض، فيخرج منه النار، عن الزجاج، وقيل: هو المَرْخَ والعَفارُ، ومنه الحديث: «كل شجر نار، واستمجد المرخ والعفار»، «أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ» المخترعون «نَحْنُ جَعَلْنَاهَا» يعني نار الدنيا «تَذْكِرَةً» للنار الكبرى نار جهنم، عن مجاهد، وقتادة، وأبي علي. وقيل: تذكرة لنعمه وقدرته على ما يشاء «وَمَتَاعًا» بُلْغَةً ومنفعة «لِلْمُقْوِينَ» قيل: للمسافرين، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، والضحاك، يعني النازلين بالأرض المقفرة(2)، وقيل: منفعة للناس(3)، كلهم يستضيء بها(4)، ويصطلي ويطبخ بها(5)، ويتذكر [بها] نار جهنم، عن

(1) محرمون: مجددون، د.
(2) المقفرة: القفر، ك.
(3) للناس: الناس، د، ك.
(4) بها: به، د، ك.
(5) بها: به، د، ك.

مجاهد، وقيل: منفعة الذين لا زناد[1] معهم، فتوقدون وتخبزون، عن الربيع، وقيل: للخائفين، عن ابن زيد. «فَسَبِّحْ» أي: نزه «بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ» الذي خلق هذه الأشياء، ولا تَقُلْ في أسمائه وصفاته ما لا يليق به، وقيل: فَصَلِّ[2].

الأحكام

الآيات تدل على صحة الإعادة، وذلك أنه تعالى ذكر أربعة أشياء دل بها عليها: منها: خلق الإنسان، ثم تنقله في الأحوال حتى يخرج صورة عجيبة، وتنقل الزرع من حال إلى حال حتى يخرج الحب، وينزل الماء من المزن، ويخرج النار من الخشب، فهو قادر على الإعادة؛ لأن مثل هذه الأشياء لا يقدر عليها إلا القادر لذاته، والقادر لذاته يقدر على إعادة مقدوره بعد العدم إذا صح عليه البقاء، والجواهر والتأليف، والحياة مما يبقى، فجاز أن يعاد، فتدل على أنه قادر لذاته، عالم لذاته حتى يميز بين الأجزاء.

وتدل على صحة الحجاج في الدين.

وتدل على نعمه بهذه الأشياء.

وتدل على أن المعارف مكتسبة.

وتدل على وجوب تنزيهه، وأن التنزيه يجب أن يكون عن علم؛ لذلك قدم الدلالة، ثم أمر بالتنزيه.

قوله تعالى:

﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾.

---

(١) الذين لا زناد: الذي أراد، د، ك.

(٢) فصل: فصله، د.

القراءة

قرأ حمزة والكسائي: «بموقع النجوم» بغير ألف على الواحد، وأراد الجنس. وقرأ الباقون: «بمواقع» على الجمع.

قراءة العامة: «فلا أقسم» وعن عيسى بن عمرو: «فلأُقْسِمُ» على تحقيق القسم.

اللغة

القسم: اليمين، أخذ من القسامة.

والموقع: موضع الوقع، يقال: وقع في الشر وقوعًا، ووقع في الرجل وقيعة، وَوَقَعْتُ الحديدة وقعًا: إذا حددتها، والواقعة: القيامة، وقيل: لكل شيء آتٍ، كان يتوقع: قد وقع.

والكريم: الذي من شأنه أن يكرم.

والتنزيل: مصدر نَزَّلَهُ تنزيلاً، وإذا وصف المنزل به فقد وضع به المصدر موضعه.

والكلام: عرض لا يبقى، وإنما[1] ينزل من محله أو محل أمارته.

والمُدْهِنُ: الذي يجري في الباطل على خلاف الظاهر، كالدهن في سهولة ذلك والإسراع فيه، أدهن يدهن إدهانًا، وداهنه مداهنة، مثل نافعه.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ﴾ في الاستسقاء، عن ابن عباس.

وقيل: بل[2] هو في عَبْدٍ كذَّب بالقرآن. قال الحسن: خسر عبد لا يكون حظه من كتاب الله إلا التكذيب به.

وعن ابن عباس: مطر الناس على عهد رسول الله فقال: «أصبح من الناس شاكر

(١) وإنما: فإنما، ك.
(٢) بل: +، ك.

ومنهم كافر»، قال بعضهم: هذه رحمة وضعها الله تعالى، وقال بعضهم: صدق نوء كذا، فنزلت الآية: ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ﴾ إلى قوله: ﴿تُكَذِّبُونَ﴾.

وروي أن النبي ﷺ كان في سفر فضاق الماء، وشكوا العطش إلى رسول الله ﷺ، فقال: «أما معكم شيء من الماء»؟ قالوا: شيء يسير، فأتوه، فتوضأ به، قال: «أرأيتم إن دعوت الله فيسقيكم لعلكم تقولون: سقينا بنوء كذا»؟ فقالوا: ما هذا بحين الأنواء، فصلى ركعتين، ودعا الله تعالى، فسقوا، ثم ركب، فمر برجل يغترف، ويقول: مطرنا بنوء كذا، فنزل: ﴿وَتَجۡعَلُونَ رِزۡقَكُمۡ﴾ الآية.

المعنى

ثم أكد ما تقدم ذكره، فقال ـ سبحانه ـ: «**فَلَا أُقْسِمُ**» اختلفوا فيه على ثلاثة أقوال:

الأول: معناه أقسم، و(لا) صلة، عن سعيد بن جبير، وقيل: (لا) تزاد قبل القسم، كقوله: لا والله لا أفعل كذا، عن أبي علي.

الثاني: هي نفي، أي: ليس الأمر كما تقولون، ثم يستأنف القسم، عن الفراء.

الثالث: هو مثبت في المعنى، يعني لا أقسم على هذه الأشياء فإن أمرها أظهر وآكد من أن يحتاج فيه إلى اليمين، عن أبي مسلم، قال: لأن القسم في المشتبه، لا في الجلي.

«**بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ**» قيل: نجوم القرآن التي أنزلت على رسول الله ﷺ؛ لأنه أنزل نجومًا، عن ابن عباس، ومجاهد، وقيل: بمساقط النجوم ومطالعها، عن مجاهد، وقتادة، وأبي علي، وقيل: انتثارها وانكدارها يوم القيامة، عن الحسن، وقيل: منازلها، عن عطاء بن أبي رباح، واختلفوا فقيل: القسم برب النجوم، عن أبي علي، وقيل: بهذه الأشياء، عن أبي بكر أحمد بن علي. «**وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**» وإنما كان عظيمًا لعظم المقسم به، وهو رب النجوم، وقيل: هو القرآن «**لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ**» وإنما كان عظيمًا لعظم المقسم به، وهو لو تعلمون، أي: لو علمتم عظمته، وقيل: لو علمتم لانتفعتم به «**إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ**» هذا جواب القسم، ومعناه: هذا الكتاب قرآن

كريم، وقيل: بل هو بدل من قوله: ﴿وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ﴾ والقسم وقع به، والكريم في صفة القرآن معناه: عزيز من حقه أن يعظم، لعظم محله من الدين؛ لأنه[1] كلام رب العزة، ولأنه محفوظ من التغيير والتبديل، ولأنه معجز، ولأنه يشتمل على الأحكام والمواعظ، وقيل: كريم على الملائكة والنبيين، وكل جليل خطير عزيز فهو كريم، وقيل: لأنه أكرم من كل كتاب «فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ» أي: محفوظ مصون، قيل: هو اللوح المحفوظ «لاَ يَمَسُّهُ» الهاء في «يمسه» فيها قولان:

أولهما: ترجع[2] إلى الكتاب الذي في السماء، وهو اللوح المحفوظ، عن ابن عباس، والحسن، والأصم، وأبي علي.

وثانيهما: أنه كناية عن القرآن، عن عمر، وسعد، وسلمان، وقتادة.

«إِلاَّ الْمُطَهَّرُونَ» قيل: لا يمسه إلا الملائكة المطهرون من الذنب، عن ابن عباس، والحسن، وسعيد بن جبير، وأنس، وجابر بن زيد، ومجاهد، وقيل: لا يمسه إلا الملائكة والأنبياء، عن أبي العالية، وهذا على أنه كتاب في السماء، فأما من قال: إنه القرآن قيل: لا يمسه ولا يقرؤه إلا المطهرون، يعني من الجنابة، وقيل: لا يمسه عند الله إلا المطهرون، فأما في الدنيا فيمسه المشرك، وقيل: المطهرون من الشرك، عن ابن عباس، وقيل: الموحدون، فلا يُمَكَّنُ اليهود والنصارى منه، عن عكرمة، وقيل: لا يمسه بالعمل إلا المطهرون، وهم المؤمنون، قيل: لا يعرف تفسيره ومعانيه إلا المؤمنون والراسخون في العلم، وقيل: سمي المصحف قرآنًا؛ لأن فيه القرآن، عن أبي علي، وقيل: لأن فيه أمارات حروفه، عن أبي هاشم. «تَنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ» أي: منزل من جهته، فسمي المنزل تنزيلاً، كما يقال: هذا ضَرْبُ الأمير، أي: مضروبه «أَفَبِهَذَا الْحَدِيثِ» قيل: القرآن، وقيل: الإعادة، وقيل: حديث النبوة «أَنْتُمْ مُدْهِنُونَ» قيل: مكذبون، عن ابن عباس، وقيل: كافرون، عن مقاتل، وقيل: المدهن الذي لا يفعل ما يجب عليه ويدفعه بالعلل، وقيل: المدهن المنافق، وقيل: يريدون أن يمالوهم فيه، ويركنوا إليهم، عن مجاهد. «وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ

(١) لأنه: ولأنه، ك.
(٢) ترجع: رجع، ك.

تُكَذِّبُونَ» قيل: تجعلون حظكم من الخير الذي هو رزقكم أنكم تكذبون به، قيل: تجعلون شكر رزقكم التكذيب، عن ابن عباس، وأبي علي، وقيل: حظكم من القرآن الذي رزقكم الله التكذيب به، عن الحسن، وقيل: أراد بالرزق الشكر، وروي أن النبي ﷺ وسلم قال: «وتجعلون شكركم أنكم تكذبون» وقيل: إنه لغة أزد شنوءة، وقيل: تكفرون بالمنعم، وترون النعم من النجوم «**فَلَوْلاَ إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ**» يعني هلاّ[1] إذا بلغت الروح وهي النفس عند خروجها من الجسد في حال النزع، وقيل: فهلا إذا بلغت النفس التي زعمتم أن الله لا يبعثها الحلقوم، عن الحسن، وحذف النفس لدلالة الكلام عليه، قال الشاعر:

أَمَاوِيَّ مَا يُغْنِي الثَّرَاءُ عَنِ الفَتَى إِذَا حَشْرَجَتْ يومًا وَضَاقَ بِهَا الصَّدْرُ[2]

«**وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ**» قيل[3]: الخطاب للمريض، أي: تنظرون في حال النزع حيارى لا تقدرون على دفع ما نزل بكم، ولا تلافي ما فات عنكم، وقيل: تنظرون إلى أمري وسلطاني وتعلمون ضرورة بطلان ما قلتم، وقيل: الخطاب لمن حضر الميت من أهله، عن ابن عباس، وأبي علي. «**تَنظُرُونَ**» إلى ما نزل بالمريض في النزع، فلا تقدرون على دفع شيء منه، ولا تبصرون من حضره من[4] الملائكة، وقيل: تنظرون إلى ما نزل به، ومتى تخرج نفسه، وقيل: تنظرون إلى أهليكم وأموالكم، وتعلمون أنها زائلة، ولكن لا تعلمون في الحال «**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ**» قيل: بالقدرة بالدفع عنه، وقيل: بالقدرة عن قبض روحه وإماتته، وقيل: أراد رسلنا أقرب إليه منكم «**وَلَكِن لاَ تُبْصِرُونَ**» ما به، أي: لا تعلمون.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: عظم حال القرآن وموقعه من الدين، والدلالة والإعجاز.

---

(١) هلاّ: هذا، ك.

(٢) البيت ينسب لحاتم الطائي في قصيدته أماوي، أنظر ديوان حاتم الطائي، دار صادر، بيروت، ١٩٨١.

(٣) قيل: وقيل، د، ك.

(٤) من: -، ك.

ويدل قوله: «**لا يمسه**» أنه لا يجوز مس المصحف إلا للطاهر، ولا خلاف أن الجنب لا يجوز أن يمس المصحف، ولا يقرأ القرآن، فأما المُحْدِثُ فلا يمس، ولكن يقرأ، وحكم الحائض والنفساء حكم الجنب في ذلك، وعلى هذا إجماع الفقهاء، وهو مروي عن علي وسعد، وإنما خالف فيه الحكم وداود، فقالا: يجوز لكل أحد حمل المصحف، فأما مع الغلاف المنفصل فيجوز حمله عند أبي حنيفة، قال الشافعي: لا يجوز، فأما كتابة القرآن للجنب فقيل[١]: لا يجوز، ومنهم من قال: يجوز من غير مسٍّ.

وتدل على حدث القرآن؛ لأنه وصفه[٢] بأنه حديث وتنزيل، وكتاب مكنون، ولا يمسه، وكل ذلك لا يليق بالقديم، لا حقيقة ولا مجازًا، و«**لا**» في قوله: «**لا يمسه**» نهي، وليس بنفي.

ومنها: ذم المدهن في الدين.

ومنها: عظيم ما نزل بالعبد عند النزع، وأنه يعلم ذلك.

قوله تعالى:

﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ تَرْجِعُونَهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾﴾.

۞ القراءة

قرأ الحسن ويعقوب وقتادة: «فَرُوحٌ» بضم الراء على معنى أن روحه تخرج في الريحان، قاله الحسن، وقال قتادة: الروح الرحمة، قيل: معناه فحياة، فيقال لهم،

---

(١) فقيل: قيل، ك.
(٢) وصفة: بصفة، ك.

وعن عائشة عن النبي ﷺ «أنه قرأ: «فَرُوحٌ» بضم الراء»، والقراء بأسرهم على الفتح: «فَرَوْحٌ»، وخبر عائشة من الآحاد التي لا يثبت بمثلها القرآن.

۞ اللغة

الدِّينُ: الجزاء، والدين: الحساب، والدين: العادة، والدين: ما يدان به، وفي المثل: كما تدين تدان، أي: كما تفعل تجازى به، وقيل: أهذا[١] دِينُهُ أبدًا ودِينِي

أي: عادته وعادتي.

والرجع: جعل الشيء على صفة كان عليها قبل[٢].

والريحان: ما يشم بحاسة الأنف، وأصله روحان[٣]؛ لأنه من الواو إلا أنه خفف، وأهمل التثقيل للزيادة التي لحقته من[٤] الألف والنون، عن الزجاج.

والتصلية: تفعيل من الاصطلاء بالنار[٥]، وهو الإدخال فيها ليحترق، وأصله من اللزوم، صَلَّاهُ الله النار تصلية: إذا ألزمه الإحراق بها.

۞ الإعراب

يقال: أين جواب (لولا)؟

قلنا: في قوله: «ترجعونها» وهو جواب (لولا) الأول، والثاني: أجيبا بجواب واحد، لأن كل واحد منهما في معنى الآخر، ونظيره: ﴿فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ﴾ [البقرة: ٣٨] وقيل: فيه تقديم وتأخير، تقديره: فهلا إن كنتم غير مدينين ترجعون نفسه إلى بدنه إذا بلغت الحلقوم وأنتم تنظرون.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى عجزهم عن رَدِّ ما نزل بهم، وبين ترتيب المكلفين، فقال سبحانه:

---

(١) أهذا: هذا، ك.
(٢) قبل: +، ك.
(٣) روحان: ريحان؛ د، ك.
(٤) من: في، د، ك.
(٥) بالنار: للنار، د، ك.

«فَلَوْلاَ إِنْ كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ» أي: غير محاربين؛ وقيل: غير مملوكين؛ لأن العبد تحت جزاء مولاه «تَرْجِعُونَهَا» أي: هلا رددتم الأرواح إلى الأنفس إن كان على ما زعمتم، وكنتم صادقين أن لا صانع ولا بعث، فإذا لم تقدروا عليه، فاعلموا أن ذلك تقدير مدبر حكيم «فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ. فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ» قيل: الروح: الراحة، عن ابن عباس، ومجاهد، يعني من تكاليف الدنيا ومشاقها، والريحان: الرزق، عن سعيد بن جبير، ومجاهد، وأبي علي، ونعيم الجنة، وقيل: الرَّوْح النسيم الذي تستريح إليه النفس، وقيل: الروح الفرح، عن سعيد بن جبير، وقيل: الريحان المشموم، وكل نبات طيب الريح فهو ريحان، عن الحسن، وقتادة، وقيل: يبشر بالروح والريحان، والخلد في الجنة، وقيل: «فروح» أي: بشارة بالحياة الطويلة، عن الحسن، وقيل: الريحان صفة كل نباهة وشرف، وقيل: الروح الرحمة، وقيل: لا يفارق أحد من المقربين الدنيا حتى يؤتى بغصن من ريحان الجنة فيشمه ثم يقبض، وقيل: الروح: النجاة[1] من النار، والريحان: دخول دار القرار ونعيم الجنة، وقيل: روح في القبر، وريحان في الجنة، وقيل: روح في القبر، وريحان في القيامة «وَجَنَّةُ نَعِيمٍ» يدخلونها «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ. فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ» قيل: معناه سلامة لك يا محمد منهم، فلا تهتم بشأنهم، فإنهم سلموا من العذاب، وهو كقولك: حسبك به كرمًا، أي: لا تطلب زيادة على حاله، وقيل: فسلام لك أنك من أصحاب اليمين، فحذفت[2] «أنك»، وذلك أن الملائكة يسلمون عليه عند النزع، ويبشرونه، فَكَأَنَّهُ قيل: وسلام[3] عليك لأنك من أصحاب اليمين؛ عن الفراء، وقيل: معناه سلام عليك من أصحاب اليمين؛ لأنهم كانوا يسلمون عليه، وإذا كانوا كذلك فهم مؤمنون، عن أبي علي، وقيل: فسلام لك أيها الإنسان الذي أنت من أصحاب اليمين من عذاب الله، وتسلم[4] عليه الملائكة، عن قتادة، وقيل: سلمت

(١) النجاة: المنجاة، ك.
(٢) فحذفت: فحذف، ك.
(٣) وسلام: سلام، ك.
(٤) وتسلم: وسلم، د، ك.

مما تكره؛ لأنك من أصحاب اليمين، وقيل: سلام لك، أي: ترى فيهم ما تحب من السلامة، عن الزجاج. «وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ» بالدين، و«الضَّالِّينَ» عن الحق «فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ» أي: نزله الذي يقام له، ورزقه المعد له الحميم، قيل: هو الماء الحار، وقيل: ما يجتمع من صديد أهل النار «وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ» الحار النار [أي] وألزموها دائمًا، «إِنَّ هَذَا» ما تقدم من الوعد والوعيد، وقيل: هذا القرآن، عن قتادة، وقال: ما من أحد إلا ويعلم أن القرآن حق، أما المؤمن في الدنيا، وأما الكافر في القيامة حين لا ينفعه، «لَهُوَ[1] حَقُّ الْيَقِينِ» قيل: حق الأمر اليقين، وقيل: معناه الحق اليقين، وليس على حقيقة[2] الإضافة، إنما هو إضافة في اللفظ جعل بدلاً من الصفة «فَسَبِّحْ» أي: نزه اسمه عما لا يليق به، فلا تضيف إليه صفة أو فعلاً قبيحًا، وقيل: «فسبح» فَصَلِّ بذكره، وقيل: نَزِّهْ الله من الشرك، وعظمه بحسن الثناء عليه.

۞ الأحكام

تدل الآية على عجز الناس وضعفهم؛ ليستدلوا بذلك أن لهم مدبرًا.

وتدل على أن الناس ثلاث طبقات، على ما بَيَّنَ في أول السورة تفصيله.

وتدل على وجوب تنزيه الله عما لا يليق به، ولا يسمى باسم لا يجوز عليه، ولا يقال: جسم ولا صورة، وينفى عنه الظلم، والكذب، وكل قبيح.

---

(١) لهو: فهو، د، ك.

(٢) حقيقة: الحقيقة، ك.

سورة الحديد

سورة (الحديد) مدنية، و[هي] تسع وعشرون آية.

عن أبي بن كعب[1]، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الحديد) كتب من الذين آمنوا بالله ورسوله».

وعن العِرْباضِ بن سارية أن النبي ﷺ كان يقرأ بالمسبحات قبل أن يرقد، ويقول: «إن فيهن آية أفضل من ألف آية» يعني بالمسبحات، سبح (الحديد)، و(الحشر)، و(الجمعة)، و(الصف)، و(التغابن).

ولما ختم (الواقعة) بالأمر بالتسبيح، افتتح هذه السورة بالتسبيح، وعقبه بالدلائل الموجبة للتسبيح.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ لَّهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۚ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾﴾.

---

(١) بن كعب: -، ث، ز، د.

اللغة

التسبيح: التنزيه، وهو البراءة من السوء، والتسبيح قد يكون بالقول، ويكون بدلالة الصنع، على أن له صانعًا، يجب أن ينزه.

والحياة والموت: عَرَضَانِ لا يقدر عليهما غيره تعالى، والحياة تصيير الأجزاء في حكم الشيء الواحد، فيكون قادرًا واحدًا، عالمًا واحدًا، فاعلاً واحدًا.

والأول: السابق المنفرد الذي لا شريك له(١) غيره.

والآخِر: من تأخر عن غيره.

والولوج: الدخول، وَلَجَ يَلِجُ: إذا دخل، وأولج: أدخل، والولج: ما دَخَلْتَ فيه من كهف أو شِعْبٍ.

والعروج: الصعود، يقال: عرج يَعْرُجُ بضم الراء، نحو: نَصَرَ ينصُر، عُرُوجًا: إذا صعد، والمعارج: الدَّرْج، وعَرِجَ بكسر الراء يَعْرَجُ بفتحها: إذا صار أعرج.

المعنى

«سَبَّحَ لِلَّهِ» نزهه وأثنى عليه بما هو أهله، وأبرأه من كل سوء «مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» أما الملائكة والمؤمنون، فيسبحونه قولاً واعتقادًا، وأما ما لا يعقل فتسبيحه على وجهين.

أحدهما: : بما فيه من الدلالة على تنزيهه.

والثاني: دلالة انقياده له، فيصرفه كيف شاء هو.

«وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ» أي: القادر الذي لا يمتنع عليه شيء، ومع ذلك حكيم: محكم لأفعاله، لا يفعل إلا الحسن، وقيل: الحكيم العليم بكل شيء، لا يفعل إلا الخير والحسن «لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» قيل: له اختراعهما وتصريفهما كما يشاء، وقيل: له خزائنهما من مطر ونبات ورزق، وإحياء وإماتة، وإيجاد وإعادة

(١) لا شريك له: لا شرك معه، ك.

«يُحْيِي وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» فقدرته على المعدومات بالإيجاد، وعلى الموجودات بالتغيير والإفناء، وعلى أفعال العباد ومقدوراتهم بالإقدار عليه وسلب القدرة «هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ» قيل: الموجود أولاً قبل كل موجود، والآخر بعد فناء كل شيء، يعني أنه قديمٌ باقٍ، وقيل: أراد أن الأشياء كلها به ومنه، وهو الخالق لجميعها، كما يقال: فلان أول هذا الأمر وآخره، «وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ» قيل: الظاهر بأدلته، الباطن عن[1] إحساس خلقه، وقيل: الظاهر على كل شيء بالقدرة، كقوله: ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ﴾ [الصف: ١٤] والباطن: العالم بكل شيء، عن ابن عباس، يقال: فلان من بطانته إذا كان من خواصه، يعلم باطن أموره، وقيل: العالم بما ظهر وبطن، وقيل: الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والظاهر والباطن بلا احتجاب، وقيل: الأول ببره إذ هداك، والآخر بجوده إذ قَبِلَ التوبة، والظاهر بإحسانه وتوفيقه، والباطن بستره: إذا عصيته، عن السدي، وقيل: الأول بالخلق، والآخر بالرزق، والظاهر بالإحياء، والباطن بالإماتة، عن ابن عمر، [وسأل عمر كعبًا][2] عن هذه[3] الآية فقال: علمه بالأول كعلمه بالآخر، وعلمه بالظاهر كعلمه بالباطن، «وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ» موجودًا كان أو معدومًا «هُوَ الَّذِي خَلَقَ» أي: أنشأ على تقدير «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ» في مقدار ستة أيام لاعتبار الملائكة، فإنه يظهر شيئًا بعد شيء، وقيل: في الإخبار عنه لطف لعباده، وحث على التأني في الأمور «ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ» قيل: العرش هو العرش المعروف في السماء، وقيل: العرش الملك، وقيل: العرش البناء، فمن قال العرش المعروف جماعة منهم أبو علي، اختلفوا في معنى الآية، قيل: الاستواءِ عليه، كونه قادرًا عليه، وخَلْقِهِ وإفنائه وتصريفه، قال البعيث:

قَدِ اسْتَوَى بِشْرٌ عَلَى الْعِرَاقِ ... مِنْ غَيْرِ سَيْفٍ ودمٍ مُهَرَاقِ[4]

وقال آخر:

---

(١) عن: على، د.

(٢) +، تفسير الخازن، ٦/٤٨؛ الثعلبي، الكشف والبيان، ١٣/١٢٧؛ البغوي، ٨/٢٩.

(٣) عن: في د، ك.

(٤) البيت ينسب للأخطل في مدح بشر بن مروان. انظر: ديوان الأخطل، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨٦.

فَـلَـمَّـا عَـلَـوْنَـا واسْـتَـوَيْـنَـا عَـلَـيْـهِـمُ تَـرَكْـنَـاهُـمُ صَـرْعَـى لِـنَـسْـرٍ وكَـاسِـرِ[1]

أي: استولى، والمعنى: ثم رفع العرش إلى السماء وهو مُسْتَوْلٍ[2] عليه، أي: قادر، مالك، عن أبي علي، وقيل: (على) بمعنى (إلى)، يعني لما خلق السمواتوالأرض استوى إلى العرش فخلقه، والاستواء بمعنى القصد، كقوله: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾ [فصلت: ١١].

وأما من قال: العرش الملك، قال: يقال: ثُلَّ عرشه، أي: ملكه، والمعنى: أنه بعد خلق الأشياء قادر عليها[3] يصرفها كما يشاء، مالكًا لجميعها خلاف قول المجوس، عن أبي القاسم.

وأما من قال: العرش البناء، قال: ومنه: ﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْرِشُونَ﴾ [الأعراف:١٣٧] أي: يبنون، والمعنى: ثم قدر على بناء ما خلق كما أراد، عن أبي مسلم، ولا يجوز حمله على أنه استقر على العرش؛ لأن ذلك من صفات الأجسام.

«**يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ**» أي: [ما] يدخل في الأرض من الحيوانات والأموات والكنوز والمياه «**وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا**» من أنواع النبات والجواهر والمياه «**وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ**» من الملائكة والأمطار «**وَمَا يَعْرُجُ**» يصعد «**فِيهَا**[4]» من أعمال العباد حتى لا يخفى عليه شيء من ذلك «**وَهُوَ**[5] **مَعَكُمْ**» بالعلم والقدرة لا بالذات، وقيل: بالحفظ والحراسة «**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ**» سرًا وجهرًا عليم، «**لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**» لا مالك سواه، والأمور: أفعال عباده، الحسن والقبيح فيجازي بهما، وقيل: إليه يرجع الأمر كله في الآخرة؛ لأن في الدنيا يلي الناس أمورًا «**يُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ**» أي: يدخل ما

---

(١) لم يعرف قائله، وفي رواية:

تـركـنـاهـم مـرعـى لـنـسـرٍ وطـائـرِ

(٢) مستول: مستولي، ث، ك.

(٣) عليها: عليهما، ث، د، ز، ك.

(٤) فيها: منها، ك.

(٥) وهو: فهو، ز، ك.

نقص من الليل في النهار، ويزيده، وما نقص من النهار في الليل، عن عكرمة، وإبراهيم. «وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ» أي: بما يكون في القلوب من الإرادات والكراهات، والاعتقادات، والظنون، والنظر، والندم، والعزم، والخوف، والحزن، إلى غير ذلك، وحذر بذلك عن المعاصي سرًّا وجهرًا.

الأحكام

يدل أول السورة على تنزيهه عن كل سوء، فوجب أن ينفى عنه خلق الكفر، والظلم والقبائح، وينفى عنه الضد والند، فيصح مذهب العدل والتوحيد، ومنها: أنه يكون موجودًا بَعْدُ ولا موجود سواه، فيكون آخرًا، ولا يكون كذلك إلا على قولنا: إنه تعالى يفني الأشياء ثم يعيدها، ويديم الثواب والعقاب.

ومتى قيل: كيف يكون آخرًا، وعندكم أن الأجسام تفنى بفناء؟

قلنا: قال مشايخنا: الفناء لا يبقى إلا وقتًا واحدًا، فتنتفي[1] الأجسام والفناء.

ومنها: أنه إذا كان أولاً وجب ألا يكون معه قديم آخر، فيبطل قول الكلابية، وجميع الصفاتية، ولا شبهة أنه يوصف بأنه أول إذ أوجد المحدثات، فأما وجوده قبل وجود الأشياء اختلف الشيوخ فيه، فمنهم من قال: يوصف بذلك، إذا كان المعلوم أنه سيوجد المحدثات بعده، ومنهم من قال: يوصف بذلك توسعًا؛ لأن حقيقته تقتضي أنه وجد قبل وجود غيره.

ويدل قوله: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ﴾ أنه ليس على العرش، وفيه زجر عن المعاصي، وكذلك قوله: ﴿وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾

ويدل ما عَدَّ من أفعاله على أنه قادر، عالم، حي على الكمال؛ لاستحالة صحتها ممن ليس هذا حاله.

(١) فتنفى: فتنفي، د.

قوله تعالى:

﴿ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُواْ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسۡتَخۡلَفِينَ فِيهِۖ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَأَنفَقُواْ لَهُمۡ أَجۡرٞ كَبِيرٞ ٧ وَمَا لَكُمۡ لَا تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدۡعُوكُمۡ لِتُؤۡمِنُواْ بِرَبِّكُمۡ وَقَدۡ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمۡ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ ٨ هُوَ ٱلَّذِي يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبۡدِهِۦٓ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖ لِّيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمۡ لَرَءُوفٞ رَّحِيمٞ ٩ وَمَا لَكُمۡ أَلَّا تُنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَا يَسۡتَوِي مِنكُم مَّنۡ أَنفَقَ مِن قَبۡلِ ٱلۡفَتۡحِ وَقَٰتَلَۚ أُوْلَٰٓئِكَ أَعۡظَمُ دَرَجَةٗ مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَقَٰتَلُواْۚ وَكُلّٗا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ١٠﴾.

القراءة

قرأ أبو عمرو: «**أُخذ**» بضم الهمزة «**ميثاقُكم**» بضم القاف على ما لم يسم فاعله، وقرأ الباقون بفتح الهمزة والقاف، يعني أخذ الله ميثاقكم، والرسول أخذ ميثاقكم.

وقرأ ابن عامر: «**وكُلٌّ وعد الله**» برفع اللام وكذلك هي في مصاحف الشام على الاستئناف، وقرأ الباقون بالنصب، وهو الوجه.

اللغة

الاستخلاف: استدعاء القادر إلى أن يقوم بالأمر بدلاً عن[1] غيره[2]، و(**مستخلفين**) أي: مجعولين بالتمكين ليقوموا بالإنفاق مقام غيرهم، وأصله من الخلف فإن الآخر يخلف الأول، كما يكون سابقًا له.

والإنفاق: إخراج المال في النفقة، وأصله النفاد، ومنه: ﴿خَشۡيَةَ ٱلۡإِنفَاقِۚ﴾ [الإسراء: ١٠٠] أي: خشية النفاد، يقال: نَفِقَ الزاد يَنْفَقُ: إذا نفد، وأنفقه صاحبه: أنفده، وأنفق القوم في دارهم.

الميثاق: العهد المؤكد باليمين، وأصله: من أوثقت الشيء: أحكمته.

---

(١) عن: من، ك.

(٢) من غيره: -، ز.

۞ النزول

عن أبي سعيد الخدري أن قوله: ﴿قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ نزل يوم الحديبية.

وقيل: قوله: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ﴾ في أبي بكر الصديق، عن الكلبي؛ وذلك لأنه من السابقين إلى الإنفاق، فأسلم[1] أولاً، وأظهر الإسلام، ودعا إليه، وقاتل على الإسلام، وأول من أنفق ماله في سبيل الله، فقدم إيمانه، ودامت صحبته، وكثر في باب الدين تأثيره حتى أقر القوم بالتقدم والسبق، وقدمه رسول الله ﷺ في الصلاة، وصاهره على أم المؤمنين، وقدمه على أصحابه، وجعله وزيره وصاحب سره، وأنيسه سفرًا وحضرًا، ومدحه في مقاماته، وشكر له سعيه في الإسلام.

۞ المعنى

ولما تقدم الأدلة على التوحيد عقّبه بالأمر بالإيمان وشكر النعمة[2]، فقال ـ سبحانه ـ: «**آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ**» أي: صدقوا الله فيما أوحى، وصدقوا رسوله فيما أدّى «**وَأَنْفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُمْ مُسْتَخْلَفِينَ فِيهِ**» أي: أنفقوا في سبيل الله في المال الذي خلفتم فيه غيركم بأن أورثكم إياه عمن كان قبلكم، عن الحسن. وقيل: ملككم ذلك المال «**فَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ**» بالله ورسوله «**وَأَنْفَقُوا**» في سبيله «**لَهُمْ أَجْرٌ**» أي: جزاء وثواب «**كَبِيرٌ**» أي: عظيم دائم لا يشوبه ما ينغصه «**وَمَا لَكُمْ لاَ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُوا بِرَبِّكُمْ**» معناه: أيُّ عذر لكم يا أهل مكة في ترك الإيمان مع دعاء الرسول وظهور المعجزات؟ أي: لا عذر «**وَقَدْ أَخَذَ مِيثَاقَكُمْ**» قيل: بما ركب في العقول وأقام من الحجج الداعية إلى الإيمان، فكأنه أخذ العهد والميثاق، وقيل: الفطرة الدالة على الصانع كالميثاق الموثق أي: ما لكم لا تؤمنون بالله[3] والرسول يدعوكم إلى ما ركب الله في عقولكم من معرفة الصانع وصفاته، عن الأصم. وقيل: المراد به الشرعيات؛

---

(١) فأسلم: واسلم، ت، د.

(٢) النعمة: المنعم، ز؛ النعم، ك.

(٣) بالله: -، ز، ك.

لأنه علق الذم بترك الإيمان بعد دعاء الرسول، وذلك يختص بالشرعيات[1] «إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ» قيل: إن كنتم ممن يرغب في الإيمان، عن أبي علي. وقيل: إن كنتم بحيث لو اتضحت الأدلة آمنتم، وقيل: إن كنتم تؤمنون يومًا من الأيام فآمنوا اليوم مع ظهور المعجز، وقيل: إن كنتم تؤمنون بحق، فبهذا فقد ظهرت أعلامه، ووضح برهانه «هُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ عَلَى عَبْدِهِ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لِيُخْرِجَكُمْ» قيل: ليخرجكم بالقرآن والأدلة والألطاف، وقيل: ليخركم الرسول بالدعوة، وقيل: ليخرجكم المنزل، والأول أوجه، «مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ» قيل: من الضلال إلى الهدى، عن مجاهد. «وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ» أي: لرأفته ورحمته يريد بكم طريق الفوز والنجاة، والرأفة النعمة على المضرور، والرحمة النعمة على المحتاج. «وَمَا لَكُمْ أَلاَّ تُنْفِقُوا[2]» يعني: أي شيء يمنعكم من الإنفاق في سبيل البر المقربة إلى الله تعالى «وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» يفنى الخلق، ويبقى هو.

ومتى قيل: كيف يتصل هذا بالإنفاق، وما معناه؟

قلنا: فيه وجوه:

أولها: كيف لا تنفقون وقد علمتم أنكم تتركون هذه الأموال عن قريب، ويرثها الله، وتبقى لا مالك لها إلا هو.

وثانيها: إشارة إلى أن الصدقة في سبيله إيثار للنفس، وفي إمساكه وتخليفه إيثار للغير.

وثالثها: أنه إشارة إلى أنه مالك الأشياء، فيخلف عليكم جزاء ما أنفقتم.

ورابعها: أنه إشارة إلى أن هذه الأموال تزول عنكم ويبقى لكم الخلف والمدح والذم.

«لاَ يَسْتَوِي مِنْكُمْ» في الفضل والثواب «مَنْ أَنْفَقَ» في سبيل الله «مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ» قبل فتح مكة، عن الحسن، وقتادة، وزيد بن أسلم، وأبي علي، والأصم، واختاره

---

(١) بالشرعيات: الشرعيات؛ ث، د، ز، ك.

(٢) لا تنفقوا: لا تنفقون، د.

القاضي؛ لأنه المفهوم عند الإطلاق، وأكثر المفسرين عليه. وقيل: فتح الحديبية، عن عامر الشعبي، قيل: يا رسول الله، أفتحٌ هو؟ قال: «نعم عظيم»، وقد بيَّنَّا ذلك. «وَقَاتَلَ» الكفار تحت راية رسول الله ﷺ «**أُوْلَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ**» أي: من بعد الفتح «**وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى**» قيل: الجنة، عن أبي علي. وقيل: الخلف، وقيل: الجزاء «**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ**» أي: عالم فيجازيكم بها[1].

الأحكام

يدل قوله: ﴿مُّسْتَخْلَفِينَ﴾ على أن هذه الأموال كانت لقوم، ثم صارت لغيرهم، فنبه على فناء الدنيا، وأن الأملاك تنتقل.

ويدل قوله: ﴿ءَايَٰتٍ بَيِّنَٰتٍ﴾ على حدث القرآن حيث وصفه بالإنزال، وأنه دلالة، وأنه مستقل بنفسه.

ويدل قوله: ﴿لِّيُخْرِجَكُم﴾ أنه أراد بإنزال القرآن الإيمان به؛ لأن قوله: ﴿لِّيُخْرِجَكُم﴾ أي: لكي يخرجكم، ولام «كي» تدل على الإرادة.

ويدل قوله: ﴿لَا يَسْتَوِي﴾ على فضل الإيمان والنفقة قبل الفتح؛ لأن ثَمَّ الدواعي أقل، وبعد الفتح انتشر الإسلام، واختلف الدواعي؛ ولأن[2] المشقة كانت قبل الفتح أكثر، ولأنه كان لا يفعل إلا لله تعالى.

ومتى قيل: أيدل هذا[3] على أنه أعظم في الدرجة في جميع الأحوال؟

قلنا: لا، بل يدل على أن لهذا العمل مزية ومرتبة ليس لغيره، ولفاعله رتبة إذا لم يحبطه؛ ولذلك صح في كثير منهم أنهم أحبطوا ذلك.

وتدل على فضل المهاجرين والأنصار.

ويدل: ﴿وَكُلًّا﴾ أنه تعالى يثيب الجميع بحسب عمله.

وتدل على أن الإنفاق والإيمان والقتال فِعْلُهُمْ حتى استحقوا الثواب.

---

(١) بها: +، ز، ك.

(٢) ولأن: لأن، ث، ز.

(٣) هذا: وهذا، ك.

قوله تعالى:

﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ وَلَهُۥٓ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١١﴾ يَوْمَ تَرَى
ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا
ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ
بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا۟ بَلَىٰ
وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَٱرْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ ٱلْأَمَانِىُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمْرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿١٤﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ۚ مَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُۖ هِىَ
مَوْلَىٰكُمْۖ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر: «يضعّفُهُ» بالرفع والتشديد من غير ألف، وقرأ ابن عامر: «يضعّفَهُ» بالنصب والتشديد، وقرأ عاصم بالألف والنصب، وقرأ نافع وأبو عمرو وحمزة والكسائي بالرفع والألف، وقد مضى بيانه في سورة (البقرة).

قرأ حمزة: «أَنْظِرُونا» بقطع الألف وفتحها وكسر الظاء، أي: أمهلونا، وهو قراءة الأعمش ويحيى بن وثاب، وقرأ الباقون بوصل الألف وضم الظاء، أي: انتظرونا.

وقرأ أبو جعفر وابن عامر ويعقوب: «لا تؤخذ منكم» بالتاء، وهو قراءة الحسن لتأنيث الفدية، وقرأ الباقون بالياء لتقدمها على الفدية.

قراءة العامة: ﴿وَبِأَيْمَٰنِهِم﴾ بفتح الهمزة من اليمين التي هي الجارحة، وقرأ سهل السعدي بكسر الهمزة من الإيمان.

قراءة العامة: ﴿ٱلْغَرُورُ﴾ بفتح الغين يعني الشيطان، وعن سماك بن حرب بضمها يعني الأباطيل.

اللغة

القرض: ما تعطيه غيرك ليقضيك، وأصله القطع، يقال: قرضت الشيء: قطعته، ومنه: المقراض، والقريض: الشعر، كأنه يقطعه من الكلام، والقرض: قطع مال عن ملكه بإذنه على ضمان ردِّ مثله، والعرب تقول: لي عندك قَرْضُ صِدْقٍ وقرضُ سوءٍ: إذا فعل به خيرًا أو شرًّا، قال الشنفرى:

سَنَجْزِي سَلَامَانَ بْنَ مُفْرِجَ قَرْضَهَا ... بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِم وأَزَلَّتِ[1]

والنظر: نظر العين، وهو تقليب الحدقة نحو المرئي التماسًا لرؤيته مع سلامة الحاسة، هذا أصله، ثم يستعمل في أشياء، يقال: نَظَرَتِ الأرْضُ: إذا أَرَتِ العينَ نباتَها حتى تنظر إليها، وحَيٌّ نَظَرٌ: متجاورون: ينظر بعضهم إلى بعض، والنظير: المثل، كأنه إذا نظر إليه وإلى نظيره كانا سواء، ونظرت بمعنى انتظرت، يقال: نظرته وأنظرته: إذا انتظرته، ومنه قوله: انتظرنا، كأنه ينظر إليه انتظار ترقب ورجاء، والإنظار: التأخير، وكذلك النظرة، ومنه: ﴿أَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ [الأعراف: ١٤]، ويقال: أخرته، ومنه: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍۚ﴾ [البقرة: ٢٨٠] كأنه ينظر إليه ذلك الوقت، قال عمرو بن كلثوم:

أَبَا هِنْدٍ فَلاَ تَعْجَلْ عَلَيْنَا ... وأَنْظِرْنَا نُخْبِرْكَ اليَقِينَا[2]

والنظر: التفكر بالقلب ليؤدي إلى العلم؛ لأنه إذا تفكر، كأنه ينظر إليه، ويسمى العِلْمُ نظرًا.

والقبس: الجذوة من النار في طرف عود، والاقتباس: أَخْذُ النار، يقال: قبسته نارًا واقتبسته علمًا.

---

(١) وأزلت: وأدلت؛ ث، ز، ك. البيت قائله الشنفري وفي رواية:
جزينا سلاكات بن مفرج قرضها
ديوان الشنفري، تحقيق إميل بديع يعقوب، ص ٣٧، دار الكتاب العربي، بيروت ١٩٩٦.

(٢) انظر ديوان عمرو بن كلثوم، المعلقة.

والتربص: الانتظار والترقب، وهو التوقف بالأمر إلى مدة، يقال: لي في هذا الأمر رُبْصَةٌ، أي: تربص.

الغُرور بالضم المصدر، وبالفتح: الشيطان.

والفتنة: أصله الاختبار.

والارتياب: الشك مع تهمة. والمصير: المرجع.

الإعراب

(يوم) نصب على الظرف، والعامل فيه: ﴿وَلَهُۥ[1] أَجۡرٞ كَرِيمٞ﴾.

﴿يَوۡمَ يَقُولُ﴾ عطف على ﴿يَوۡمَ تَرَى﴾.

﴿ٱنظُرُونَا﴾ انظرونا إليه، و﴿نَقۡتَبِسۡ﴾ جزم؛ لأنه جواب الأمر.

﴿لَّهُۥ بَابُۢ بَاطِنُهُۥ﴾ ابتداء و﴿فِيهِ ٱلرَّحۡمَةُ﴾ جوابه.

المعنى

لما تقدم ذكر الإنفاق وما أعد للمؤمنين حث على الإنفاق وذكر الجزاء عليه يوم القيامة، ووصف أحوال القيامة، فقال ـ سبحانه ـ: «**مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا**» أي: ينفق في سبيل الله إنفاقًا فيجازيه الله تعالى عليه، فيكون كالقرض، وقيل: ما[2] وصل إلى الفقراء بأمره كأنه وصل إليه ووعد الجزاء عليه فأضافه إلى نفسه وسماه قرضًا؛ لأنه يجازي عليه، وقيل: أطلق اسم القرض على الصدقة ليعلم أنه تكفل بالجزاء؛ لأن القرض يقتضي القضاء، فلما لم يقضه الفقير[3] علم أنه تعالى تكفل بالقضاء، وقيل: أزال المنة عن الفقير حيث تضمن الجزاء، وسماه قرضًا كما لا بد منه للمقرض في أخذ القرض، وقيل: ليعلم أنه المتصدق على الفقير دون المعطي كمن يقول لغيره: أعط زيدًا حمولتهم، وعليّ لك مثلها، فالمعطي هو الآمر دون المأمور،

---

(١) وله: فله، د، ك.

(٢) ما/ وما؛ ث، د، ز، ك.

(٣) الفقير: الفقراء، ك.

وقوله: «**قَرْضًا حَسَنًا**» قيل: في وجوه البر، وقيل: من الحلال، وقيل: يفعله لله مخلصًا، وقيل: يفعله لله من غير منّة ولا أذى «**فَيُضَاعِفَهُ لَهُ**» قيل: يضاعف له الجزاء بين سبع إلى سبعين إلى سبعمائة، وقيل: يجمع بين القرض والثواب، وقيل: لأن الإنفاق منقطع والجزاء دائم «**وَلَهُ أَجْرٌ**» جزاء[1] «**كَرِيمٌ**» خالص، لا تشوبه صفة نقص.

ثم بَيَّنَ من يستحقه، فقال ـ سبحانه ـ: «**يَوْمَ تَرَى**» يا محمد «**الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**» في المحشر «**يَسْعَى نُورُهُمْ**» قيل: الضياء الذي يمرون فيه، عن قتادة. وقيل: نورهم من هداهم، عن الضحاك. وقيل: لكل مؤمن نور على قدر عمله، عن قتادة. واختلفوا، قيل: هذا النور يكون في المحشر، وقيل: على الصراط، وقيل: فيهما، ولا مانع منه[2] «**نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ**» قيل[3]: أراد جميع جوانبهم فعبر عنها بالبعض إيجازًا على طريقة العرب، وقيل: وبأيمانهم: كتبهم، عن الضحاك. وقيل: (بأيمانهم) معناه عن أيمانهم، وقيل: في أيمانهم، «**بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ**» أي: يجري الماء من تحت أبنيتها وأشجارها «**خَالِدِينَ فِيهَا**» إشارة إلى دوامهم ودوام النعيم «**ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ**» أي: الظفر بالمطلوب فلا ظفر مثله «**يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا**» يعني إذا رأى المنافقون نور المؤمنين يقولون لهم «**انْظُرُونَا**» بصلة الهمزة وضم الظاء معناه انتظرونا، يعني اصبروا لنا، فأما بكسر الظاء وقطع الألف: أمهلونا، قال الفراء: والعرب تقول: أنظرني[4] أي: انتظرني، واستدل ببيت عمرو بن كلثوم وقد مر، «**نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ**» [أي: نستضيء بنوركم][5] ونبصر الطريق فنتخلص[6] من هذه الظلمات، وقيل: إذا خرجوا من القبور اختلطوا فيسعون في نور المؤمنين، فإذا ميزوا وبقوا[7] في الظلمة[8]

---

(١) جزاء: -، ك.
(٢) منه: -، ك.
(٣) قيل: وقيل، ث، د، ز، ك.
(٤) انظرني: أنظروني، ك.
(٥) +، الطبرسي، مجمع البيان، ٩/ ٣٥٣.
(٦) فنتخلص: نتخلص، د، ز، ث.
(٧) وبقوا: وابقوا، د..
(٨) الظلمة: الظلمات، د، ز.

فيستغيثون، ويقولون هذا، «قِيلَ» للمنافقين «ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ» أي: من حيث جئتم، يعني إلى دار التكليف واعملوا صالحًا ليكون لكم نورًا «فَالْتَمِسُوا نُورًا» بالأعمال الصالحة[1] وهم يعلمون أنه لا سبيل إليه، وإنما قالوه توبيخًا وتقريعًا أي: هلاَّ عملتم في الدنيا ما عملنا حتى يحصل لكم النور، وقيل: نور كل أحد بقدر ثوابه «فَضُرِبَ بَيْنَهُمْ بِسُورٍ» الباء صلة، وهو حاجز بين الجنة والنار، وقيل: هو سور على الحقيقة، وقيل: يكون ذلك بالشام وبيت المقدس، عن ابن عباس، وعبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمر، وكعب، وقيل: الظلمة الشديدة تمنعهم عن المشي معهم «لَهُ بَابٌ» في الحقيقة، وقيل: هو مَثَلٌ «بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ» يعني داخل السور الجنة وخارجه جهنم، وقيل: أراد بالعذاب والرحمة النور والظلمة، فيقول المنافقون عند ذلك للمؤمنين «يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُنْ مَعَكُمْ» في الدنيا نصلي ونصوم ونوافقكم في الدين ويجري بينهما التوارث والتناكح «قَالُوا» يعني المؤمنين المجيبين لهم «بَلَى[2]» كنتم معنا في الظاهر «وَلَكِنَّكُمْ فَتَنْتُمْ أَنْفُسَكُمْ» وتعرضتم[3] للفتنة بالكفر والمعاصي والرجوع عن الإسلام، وقيل: أهلكتم أنفسكم بالنفاق، وقيل: فتنتم أي: شددتم الأمر على أنفسكم بالنفاق «وَتَرَبَّصْتُمْ» قيل: انتظرتم بالرسول والمؤمنين الدوائر، وقلتم: يوشك أن يهلك محمد، فنستريح منه، عن مقاتل. وقيل: تربصتم بالإيمان والتوبة «وَارْتَبْتُمْ» شككتم في الدين «وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ» أي: غركم ما كنتم تمنون من الأباطيل حتى طمعتم في غير مطمع، وقيل: غركم طول الأمل، عن أبي بكر الوراق. وقيل: الأماني الكاذبة في الخلاص من الرسول بهلاكه وإبطال دينه «حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ» أي: كنتم على ذلك مُصِّرِّين حتى جاء الموت «وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ» الشيطان، وقيل: كانوا على خدعة من الشيطان حتى ألقوا في النار، عن قتادة. وقيل: الغرور: الدنيا، وقيل: رؤساء الضلالة وعلماء السوء حيث جَرَّؤُوهُمْ على المعاصي «فَالْيَوْمَ لاَ يُؤْخَذُ مِنْكُمْ» أيها المنافقون «فِدْيَةٌ» أي: بَدَلٌ وعوض «وَلاَ مِنَ

---

(١) الصالحة: الصالحات، ك.
(٢) بلى: بل، د، ك.
(٣) تعرضتم: وتعرضتم، ث، د، ز، ك.

«الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ» أي: مصيركم ومستقركم «هِيَ[١] مَوْلَاكُمْ» قيل: صاحبتكم وأولى بكم ومسكن لكم؛ لأنكم المستحقون لها بأعمالكم «وَبِئْسَ الْمَصِيرُ» أي: بئس موضعًا صاروا إليه.

ومتى قيل: لم جمع بينهم وبين الكفار؟

قلنا: لأنهم بسببهم نافقوا، فَبَيَّنَ أنهم جميعًا في العذاب مشتركون.

ومتى قيل: أليس هم أيضًا كفارا[٢]؟

قلنا: نعم، ولكن لهم اسم خاص؛ فلذلك جمع بين النفاق والكفر.

الأحكام

يدل قوله: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ﴾ على عظم موقع[٣] الإنفاق في سبيل الله وأعمال البر، واختلفوا، قيل: هو التطوع، عن الحسن. وقيل: الفرض.

ويدل قوله: ﴿يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ الآيات على أشياء:

منها: أن اسم الإيمان اسم مدح، وأنه يفيد استحقاق الثواب على ما نقوله.

ومنها: أن المؤمن يبشر بالنعيم.

ومنها: أن الفاسق ليس بمؤمن، وإلا كان مبشرًا.

ومنها: أن في القيامة نورًا وظلمة.

ومنها: أن المنافق يستغيث بالمؤمن ليستضيء منه بنوره، فلا يجيبه إلى ذلك.

ومنها: أن ذلك النور يحصل بالأعمال الصالحة، فلذلك قال: ﴿ٱرْجِعُواْ وَرَآءَكُمْ﴾ خلاف ما تقوله المجبرة: أنه يحصل على غير[٤] سبب.

وتدل على أن الغُرور يحصل من الشيطان، فيبطل قول المجبرة: إن الله تعالى هو الذي يخلق الغرور.

---

(١) هي: هو، د.
(٢) كفارا: كفار؛ ث، ز، د، ك.
(٣) موقع: موضع، ك.
(٤) غير: بغير، ك.

وتدل على أن «المولى» يستعمل بمعنى «الأَوْلَى»، وقد قال لبيد:

فَغَدَتْ[1] كِلاَ الفَرْجَيْنِ تحسبُ أنه ... مولى المخافةِ خلفُها وأمامُها[2]

أي: يحسب أن كليهما[3] أَوْلَى بالمخافة.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّ ٱلْمُصَّدِّقِينَ وَٱلْمُصَّدِّقَٰتِ وَأَقْرَضُواْ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصِّدِّيقُونَ ۖ وَٱلشُّهَدَآءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٩﴾ ٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾﴾.

القراءة

قرأ نافع وحفص عن عاصم: «**وما نَزَلَ**» خفيفة الزاي من نَزَلَ يَنْزِلُ، الباقون: «**نزّل**» مشددة الزاي من نَزَّلَ تنزيلًا.

قرأ يعقوب: «**ولا تكونوا**» على الخطاب والنهي، والقراء بالياء.

قرأ ابن كثير وأبو بكر عن عاصم: «**المُصَدِقِينَ والمُصَدِقاتِ**» بتخفيف الصاد من

---

(١) فغدت: فعدت؛ ث، د، ز، ك.

(٢) البيت قائله لبيد بن ربيعة في معلقته، ديوان لبيد بن ربيعة، دار صادر، بيروت؛ أنظر لسان العرب (كلا).

(٣) كليهما؛ كلاهما؛ ث، د، ز، ك.

التصديق؛ يعني الذين صدقوا الله ورسوله، ومعناه: إن المؤمنين والمؤمنات، الباقون بتشديدهما من التصدق وأصله: المتصدقين والمتصدقات، فأدغمت التاء في الصاد كـ(المزَّمِّل) و(المَّدثِّر)، واختاره أبو عبيد وأبو حاتم، قالا في قراءة أبي: **(إن المتصدقين والمتصدقات)**.

قراءة العامة: «**يُضَاعَفُ**» من غير هاء في آخره، وعن الأعمش: «**يُضَاعِفُهُ**» بكسر العين وزيادة هاء، ثم اختلفوا، فقرأ ابن كثير وأبو جعفر وابن عامر: «**يَضَعَّفُ**» بغير ألف، الباقون بالألف.

اللغة

ألم يأن: ألم يَحِنْ[1]، أَنِى يَأْنَى إِنًا: إذا حان، ومنه: ﴿غَيْرَ نَظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] أي: منتهاه.

والخشوع والخضوع: لين القلب: للحق، وضده القسوة وهو غلظ القلب عن قبول الحق، قَسَا يَقْسُو قسوة فهو قاسٍ.

والأمد: الوقت الممتد، وقيل: هو الغاية، والأمد والمدة واحد.

والتفاخر: ما يجري بين اثنين بذكر الفضائل والتكاثر بذكر كثرة المال والولد والعشيرة ونحوها، يقال: تكاثروا فكثرهم فلان؛ أي: غلبهم، والمغلوب مَكْثُورٌ.

والكُفَّار: الزُّرَّاع وأصله الستر، ومنه: الكافر؛ لأنه يستر نعمة الله تعالى، ومنه: الكَفَّارَةُ؛ لأنها تمحو الجريمة، والكافر: الزُّرَّاع؛ لأنهم يغطون[2] البذر بالتراب، وفي الحديث: «ألا، لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم بعضًا» قيل: لابسين السلاح، وقيل: بل يكّفر بعضكم بعضًا.

والهَيْجُ[3]: جفاف، فيصفر بعد الخضرة، هاج الزرع يهيج هيجًا.

والحطام: المنكسر، وأصله الحَطْمِ: الكسر.

---

(١) في د: يجي.
(٢) لأنهم يغطون: لأنه يغطي؛ ث، د، ز، ك.
(٣) الهيج: الهج، ك.

الإعراب

﴿وَلَا يَكُونُواْ﴾ محله نصب بتقدير: ولئلا يكونوا[1]، وقيل: محله جزم بالنهي، عن الأخفش.

﴿وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلۡحَقِّ﴾[2] أي: ولما نزل عطفًا على قوله: ﴿لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾.

﴿وَأَقۡرَضُواْ﴾ فعل، و﴿ٱلۡمُصَّدِّقِينَ﴾ اسم، فعطف الفعل على الاسم؛ لأنه في معنى الفعل، وتقديره: الذين تصدقوا وأقرضوا.

﴿وَٱلشُّهَدَآءُ﴾ رفع، قيل على الابتداء، وهو متصل بما قبله، وخبره في قوله: ﴿عِندَ رَبِّهِمۡ﴾، عن ابن عباس، ومسروق، والضحاك. وقيل: هو عطف على قوله: ﴿ٱلصِّدِّيقُونَۖ﴾؛ لأن كل مؤمن شهيد فيما رواه البراء عن النبي ﷺ.

وعن عبد الله ومجاهد (ما) في قوله: ﴿ٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا﴾ صلة، وتقديره: اعلموا أن الحياة.

﴿حُطَٰمٗاۖ﴾ نصب؛ لأنه خبر «كان»، تقديره: ثم يكون النبت حطامًا.

النزول

في نزول قوله: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ﴾ قولان:

قيل: نزلت في المنافقين الذين أظهروا الإيمان وأسروا الكفر، عن ابن عباس. فعلى هذا تقديره: ألم يأن للذين آمنوا ظاهرًا بلسانهم أن يؤمنوا على الحقيقة، وتخشع قلوبهم لما سمعوا هذا القرآن، وما فيه من أدلة التوحيد والوعد والوعيد والمواعظ والأمثال؟

وقيل: نزلت في المنافقين بعد الهجرة بسنة، وذلك أنهم سألوا سلمان عما في التوراة فنزل: ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾ [يوسف: ٣] فكفوا مدة، ثم سألوه عن ذلك، فنزل: ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ﴾ عن الكلبي، ومقاتل.

---

(١) ولئلا يكونوا: يكون، د، ز.
(٢) من الحق: +، ك.

وقيل: نزلت في المؤمنين، عن ابن مسعود، قالوا: لما سألوا أن يحدثهم وكرروا نزلت هذه الآية، قال ابن مسعود: ما كان بين إسلامنا وبين أنْ عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين.

وعن ابن عباس أنه تعالى عاتبهم بهذه الآية على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن.

وقيل: نزل في قوم من المسلمين أولعوا باللعب لَمَّا اتسع عليهم المال بعد الفتح، وحصلوا في الأمن والخصب[1] وتركوا آداب الإسلام، وأخذوا في المزاح والكلام فيما لا يعنيهم، عن مجاهد.

المعنى

ثم دعاهم تعالى إلى طاعته بألطف دعاء، فقال ـ سبحانه ـ: «**أَلَمْ يَأْنِ**» ألم يَحِنْ «**لِلَّذِينَ آمَنُوا**» قيل: بلسانهم دون قلوبهم، وقيل: صدقوا بالقلب واللسان وتركوا الأفعال «**أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ**» قيل: القرآن، وقيل: المواعظ والزواجر، وقيل: ذكر أدلة التوحيد والعدل وذكر قدرته على البعث والجزاء «**وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ**» قيل: القرآن «**وَلاَ يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ**» يعني اليهود والنصارى «**فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ**» أي: الزمان والدهر، قيل: طال عليهم أمد الجزاء، وقيل: الأمد ما بين زمانهم وزمان نبيهم[2] موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقيل: زمان أنبيائهم، وقيل: أمد الآخرة، وقيل: لما تردد الوعيد في مسامعهم قست قلوبهم، عن أبي علي. وقيل: لما طال عليهم الأمد وكان التوراة تحول بينهم وبين شهواتهم اخترعوا كتابًا وعرضوه على بني إسرائيل فقبلوه، وقيل: أراد أن مؤمني أهل الكتاب قبل البعثة طال عليهم الأمد في خروج النبي ﷺ «**فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ**» وروي أن وفدًا من اليمن قدموا، فسمعوا القرآن فبكوا، فقال أبو بكر: هكذا كنا حتى قست القلوب، أشار إلى أن قلوب المشايخ أقسى لكثرة ترداد الذكر عليه «**وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**» وهم الذين كفروا بعيسى ومحمد عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وقيل: الذين ابتدعوا الرهبانية، وقيل: الذين حرفوا الكتاب، وإنما لم يعمهم بالفسق؛ لأن

(١) في الأمن والخصب: في الخصب والأمن، ك.
(٢) نبيهم: +، ز، ك.

منهم من آمن بعيسى، وآمن بمحمد لما بعث، ولعل فيهم من لا يبلغه خبر محمد فآمن بعيسى، عن أبي علي.

ثم دل على البعث الموجب لخشوع القلب، فقال ـ سبحانه ـ: «**اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِ الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا**» أي: يحييها بالنبات بعد اليبس والجدوبة[١]، وكلاهما تشبيه وتَوَسُّعٌ في الكلام، أي: كذلك يحيي الموتى عند البعث، وقيل: يحيي الكافر بالهدى والإيمان بعد موته بالضلال «**قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ**» الحجج على إثبات الصانع وصحة الإعادة منه «**لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ**» قيل: لتعقلوا أي: لتعلموا ذلك، قيل: لتستعملوا عقولكم «**إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ**» بَيَّنَا اختلاف القراءتين، ومعناهما. «**وَأَقْرَضُوا اللَّهَ**» أي: أنفقوا في سبيله «**قَرْضًا حَسَنًا**» قال الحسن: كل ما في القرآن من القرض[٢] الحسن فهو التطوع، وقيل: المراد به الفرائض «**يُضَاعَفُ لَهُمْ**» في الثواب لأنه دائم، والعمل منقطع، وقيل: بالعوض والثواب، وقيل: بزيادة التفضل في كل وقت «**وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ**» لا يشوبه ما ينغصه وهو الجنة «**وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ**» الكثير والصدق، واحدهم: صدّيق، وهو اسم مدح وتعظيم، وقيل: الكثير التصديق، وقيل: هم ثمانية نفر سبقوا إلى الإسلام: أبو بكر، وعلي، وزيد، وعثمان، وطلحة، وسعد، وحمزة، وثامنهم عمر، عن الضحاك. وقيل: بل هو عام[٣] «**وَالشُّهَدَاءُ**» قيل: هذا مستأنف، عن ابن عباس، ومسروق. وقيل: بل معطوف على ما تقدم، ثم اختلفوا، فقيل: نزلت في قوم مخصوصين كانوا شهداء، عن الضحاك. وقيل: نزلت[٤] في المؤمنين المخاطبين[٥] وكلهم شهداء، عن ابن مسعود، ومجاهد، وروي مرفوعًا، قال ابن مسعود: كل مؤمن صِدِّيقٌ شهيد، ثم قرأ هذه الآية. وقيل: أراد بالشهداء الأنبياء الخاصة، عن ابن عباس. وقيل: العلماء، وقيل: من يشهد على غيره،

(١) الجدوبة: الجدبة؛ د، ز، ك.
(٢) القرض: الفرض، ز، ك.
(٣) وقيل بل هو عام: +، ز، ك.
(٤) نزلت: نزل، ز، ك.
(٥) المخاطبين: المخاطب، ز.

عن أبي علي. أي: شهداء يوم[1] القيامة، وقيل: هم من يشهد أن لا[2] إله إلا الله «لَهُمْ أَجْرُهُمْ» جزاؤهم «وَنُورُهُمْ» في ظلمة القبر والقيامة «وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ» أي: الملازمون النار، إشارة إلى دوام العقاب «اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا» كاللعب في الزوال والفناء «لَعِبٌ وَلَهْوٌ» فرح في الحال وينقضي، ويكون حسرة بعد التقضي «وَزِينَةٌ» منظر يتزينون به، وقيل: لأنه يتحلى في أعين الناظرين، ثم يتلاشى «وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ» يفخر بعضكم مع بعض «وَتَكَاثُرٌ فِي الأَمْوَالِ وَالأَوْلادِ» يعني قسمتم هممكم بين لعب ولهو وزينة وهو طلب الملاذ وتفاخر، وتكاثر، وهو طلب المال، فكل ذلك إلى زوال، وإنفاق العمر في مثل ذلك جَهْلٌ وضلال.

ثم بَيَّنَ المثل، فقال ـ سبحانه ـ: «كَمَثَلِ غَيْثٍ» أي: سحاب، وقيل: مطر، عن أبي علي. وقيل: كمثل نبات أصابه غيث «أَعْجَبَ الْكُفَّارَ» الزراع «نَبَاتُهُ» من حسنه[3]، وقيل: بل المراد به الكفار؛ لأن مثلهم يركنون إلى الدنيا ويعجبهم حسنها، ولا يرون زينة الآخرة بخلاف المؤمن فإنه لا ينظر إلى زينتها، ويؤثر الآخرة عليها «ثُمَّ يَهِيجُ» أي: ييبس «فَتَرَاهُ مُصْفَرًا» من يبسه بعد خضرته «ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا» منكسرًا متفتتًا بحيث تكرهه الأبصار بعدما أعجبها «وَفِي الآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ» لِلْمُصِرِّين «وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ» للمؤمنين والتائبين «وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلاَّ مَتَاعُ الْغُرُورِ»؛ لأنه يغتر بها لما يرى من حسن ظاهرها إذا لم يتفكر في عاقبتها، وخلاف باطنها لظاهرها، ومعنى: ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ﴾ أي: أعمالهم في جمعها وتحصيلها.

الأحكام

يدل قوله: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ الآية على لزوم الحجة وإزاحة العلة، فيبطل قول المجبرة في المخلوق والاستطاعة والإرادة، وكيف يصح أن يقال: ألم يأن أن يفعل، والفعل موقوف على خلقه وإرادته.

---

(١) يوم: +، ك.

(٢) أن لا: ألا، د.

(٣) حسنه: حسنها، ك.

وتدل على التحذير من مثل حال من كان قبلنا في قسوة القلب، وقد روي أن سبب توبة الفضيل بن عياض وعبد الله بن المبارك كان هذه الآية.

أما الفضيل فكان يقطع الطريق، فسمع ليلة قارئًا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ فقال: بلى قد آن، وتاب.

وعبد الله كان في بستان يشرب، ويضرب بالعود، فسمع قارئًا يقرأ: ﴿أَلَمْ يَأْنِ﴾ فتاب.

ويدل قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ أن المراد من الجميع أن يعلم، خلاف قول المجبرة، عن أبي علي.

ويدل ضرب المثل على سرعة فناء الدنيا وبقاء الآخرة؛ حثًّا على العمل لما يبقى بعد ما يفنى.

قوله تعالى:

﴿سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِۖ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو عمرو: «**ولا تفرحوا بما أتاكم**» مقصورة الألف، واختاره أبو عبيد، أي: جاءكم، جعل الفعل له ليكون على نسق واحد، وقرأ الباقون: «**آتاكم**» بالمد من الإيتاء وهو الإعطاء.

قرأ حمزة والكسائي: «**بالبَخَل**» بفتح الباء والخاء، الباقون بضم الباء وسكون الخاء، وهما لغتان.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر: «**فإن الله الغني الحميد**» بإسقاط «**هو**»، وكذلك في مصاحفهم، الباقون بإثباته، وكذلك في مصاحفهم.

۞ اللغة

المسابقة: طلب التقدم على غيره.

والبَرْءُ: مصدر بَرَأَ الله الخلق أي: خلقهم، والبَرِيَّةُ: الخَلْقُ.

والأسى: الحزن، والتآسي: تخفيف الحزن بالمشاركة في حاله.

والفرح: خلاف الحزن، ورجل مِفْرَاحٌ: نقيض مِحْزَانٍ.

والفخور: كثير الفخر بغير حق.

۞ الإعراب

﴿نَّبۡرَأَهَآ﴾ الهاء محلها نصب؛ لأنه مفعول، وقيل: هو كناية عن المصائب التي هي الأمراض والآلام من جهته تعالى، وقيل: كناية عن الأنفس.

﴿ٱلَّذِينَ يَبۡخَلُونَ﴾ محله كسر على[1] نعت المحتال، وقيل: محله رفع بالابتداء، وخبره فيما بعده.

﴿ٱلۡغَنِيُّ﴾ رفع لأنه خبر (إن). ونصب ﴿وَلِيَعۡلَمَ﴾ عطفًا على ﴿لِيَقُومَ﴾ تقديره: ليقوم الناس بالقسط، وليعلمه الله.

(لا تفرحوا) نصب بتقدير: لكيلا تفرحوا.

۞ المعنى

لما أخبر عن أحوال أهل الدنيا من مسابقتهم في طلبها رغب في المسابقة في

(١) على: +، ك.

طلب الجنة، فقال ـ سبحانه ـ: «سَابِقُوا» أي: بادروا «إِلَى مَغْفِرَةٍ» أي: الأعمال الموجبة للمغفرة من الإيمان والطاعات، وقيل: إلى التوبة، وقيل: إلى التكبيرة[1] الأولى «وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ» إن وصل بعضها ببعض.

ومتى قيل: لم ذكر العرض دون الطول؟

قلنا: لوجوه:

منها: أن عظم العرض يدل على عظم الطول، وعظم الطول لا يدل على عظم العرض.

ومنها: أنه قد يكون طولاً لا عرض له ولا يكون عرض لا طول له، وقيل: العرض مثل السموات والأرض، فأما الطول فالله أعلم به.

واختلفوا في هذه الجنة:

قيل: جنة الخلد، ولم تخلق بعد؛ لأنها لو خلقت لما صح فيها هذا الوصف، ومعنى «أُعِدَّتْ» ستعد، ماض يراد به الاستقبال كقوله: ﴿وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٤٤] يدل عليه: ﴿أُكُلُهَا دَآئِمٌ﴾ [الرعد: ٣٥] ولو كانت مخلوقة لفنيت، عن أبي علي، وأبي هاشم. وقيل: بل مخلوقة يفنيها، ثم يعيدها الله تعالى يوم القيامة ويزيد فيها طولاً وعرضًا، عن الحسن. وقيل: أراد جنة واحدة من الجنان أُعِدَّتْ، عن ابن كيسان.

«أُعِدَّتْ» هُيِّئَتْ «لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ» أي: يعطيه من يشاء.

ومتى قيل: إذا كانت مستحقة فَلِمَ سماه تفضلاً؟ ولِمَ علقه بالمشيئة؟

قلنا: فيه وجوه:

(١) في ك: التبصرة.

أحدها: أنه عرض المكلف للثواب تفضلاً، فالتكليف تفضل وهو السبب، ثم أعطى على القليل كثيرًا؛ لأن العمل قليل منقطع والثواب دائم لا ينقطع، هذا كمن اشترى خبزًا بدرهم أعطاه غيره فإنه يكون متفضلاً بالخبز، هذا على قول البصريين.

وقال أبو القاسم: لو اقتصر الله بعباده في طاعتهم على مجرد إحسانه السابق[١] إليهم كان عدلاً، فلهذا جعل الجنة فضلاً، وهذا لا يصح؛ لأن من أنعم على غيره تفضلاً فإلزامه الشاق من غير حاجة لا يحسن، ولا يعد جودًا بل ظلمًا ولُؤمًا.

وقيل: تفضل بالأسباب التي بها يفعل الطاعة التي يستحق عليها الثواب، كالتمكين والألطاف وكمال العقل وغير ذلك، وكل ذلك تَفَضُّلٌ.

وقيل: لأن فيه غير المكلف، ومعنى ﴿يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ﴾ مشروط في المكلفين بالاستحقاق، ولولا ذلك لما علقه بالمسابقة، ولما كان للأمر به معنى.

«مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي أَنْفُسِكُمْ» قيل: المصيبة في الأرض القحط وقلة الزرع والضرع والآفاتُ في الأموال[٢]، والمصيبة في النفس: الأمراض والعلل والموت ونحوها، وقيل: ما أصاب من خير أو شر من قبل[٣] كل أحد، فعلى الأول الضمير في «نبرأها» يعود على المصيبة، وفي[٤] الثاني يجوز أن يعود على الأرض، ويجوز أن يعود على الأنفس «إِلاَّ فِي كِتَابٍ» إلا وهو مكتوب في كتاب معلوم لله[٥] تعالى، والكتاب هو اللوح المحفوظ كتب أن هذا العبد يمتحن بكذا وقت كذا، وتزول المحنة وقت كذا، ويحيا إلى كذا، ويموت وقت كذا.

ومتى قيل: ما فائدة ذلك؟

قلنا: لطف للملائكة إذا علموا ذلك، ولطف للعباد على الحث في طلب الآخرة

(١) السابق: السابقة، د، ز.
(٢) الأموال: الأحوال، د.
(٣) قبل: +، ك.
(٤) وفي: وعلى، ز، ك.
(٥) لله: الله، ك.

إذا علم تغير أحوال الدنيا، فلا يطمئن إليها، ولأنه إذا علم أن ذلك من جهة الله ـ تعالى ـ كان أقرب إلى التسلي والصبر، ولأنه يتواضع لله، ولأنه لا يفاخر بالنعم، ولا يحزن بالمحن إذا علم أن كل واحد إلى زوال.

«مِنْ قَبْلِ[(١)] أَنْ نَبْرَأَهَا» نخلقها، قيل: الأرض، وقيل: الأنفس، وقيل: المصيبة «إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ» أي: سهل، قيل: كتابته يسيرة؛ لأنه عالم لذاته يعلم الأشياء بحقائقها، فإذا كتبه كان صفة جلال، وقيل: خَلْقُ المصائب يَسِيرٌ؛ لأنه[(٢)] يعلم[(٣)] ما فيه من المصلحة ونحن لا نعلم، فهو يسير عنده شاق علينا «لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلاَ تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ» أي: فعلنا ذلك لتعلموا فلا تحزنوا على ما يفوتكم من نعم الدنيا، ولا تفرحوا بما أعطيتم من نعيمها؛ لأن شيئًا منها لا يبقى، فوجب أن نهتم لأمر الآخرة فإنها دائمة، وقيل: لأن ما فات ضمن الله تعالى العوض عليه في الآخرة، فلا ينبغي أن نحزن، وما ناله[(٤)] [منها] كَلَّفَهُ الشكر [عليه] والحقوق الواجبة [فيه]، فوجب أن يستوي عنده الحالان، وقيل: إنه تعالى أشار إلى أربعة أشياء:

أولها: حسن الخلق؛ لأن من استوى عنده وجود الدنيا وعدمها لا يحسد ولا يعادي[(٥)]، ولا يشاحّ[(٦)]، فإن سوء الخلق من نتائج حب الدنيا.

وثانيها: الاستخفاف بالدنيا وأهلها، فيستوي عنده الحجر والمدر، لا يفرح بوجوده، ولا يحزن بعدمه.

وثالثها: تعظيم الآخرة؛ لينال الثواب الدائم الخالص من الشوائب.

ورابعها: الافتخار بالله دون أسباب الدنيا.

«وَاللَّهُ لاَ يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ» أي: متكبر بما أوتي، فخور على الناس بالدنيا «الَّذِينَ يَبْخَلُونَ» بمنع الواجبات «وَيَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبُخْلِ وَمَنْ يَتَوَلَّ» أي: أعرض عما

---

(١) قبل: وقبل، ك.
(٢) لأنه: لأن، ك.
(٣) يعلم: -، ك.
(٤) ناله: نالها، د، ز، ك.
(٥) يعادي: يغادر، ث، د، ز، ك.
(٦) ولا يشاحّ: ولا يشاج، ت، د، ز.

دعاه الله إليه «**فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ**» عنه وعن صدقته وطاعته، وإنما أمرهم لنفعهم «**الْحَمِيدُ**» في جميع أفعاله «**لَقَدْ**[1] **أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ**» أي: بالحجج «**وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ**» قيل: هو الميزان الذي يوزن به، عن ابن زيد، وأبي علي. وقيل: هو آلة الإنصاف والانتصاف؛ فلذلك ذكره، وقيل: المراد به العدل، عن مجاهد. «**وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ**» قيل: أراد بالإنزال خلقه في المعادن، أي: خلقهم، ثم علمهم ما يصنع منها، وقيل: أنزل مع آدم من الحديد السندان والكلبتان والمطرقة، عن ابن عباس. وقيل: جعل ذلك نزلاً لهم، عن قطرب. نظيره: ﴿وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ [الزمر: ٦]، «**فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ**» قوة شديدة، يعني السلاح والكراع «**وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ**» هو ما يستعملونها في مصالحهم إذ هو آلة كل صنعة، وقد قيل في الآية وجه آخر: ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ يعني محمدًا ﷺ و(**الكتاب**) القرآن، و(**الميزان**) ما أمر الله به من الأحكام و(**الحديد**) هو ذو الفقار، و(**البأس الشديد**) ما كان به في الحروب، و(**المنافع**) منافع الدين والدنيا «**وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ من ينصره**[2]» أي: ليظهر المعلوم من نصره على الناس «**وَلِيَعْلَمَ اللهُ**» قيل: تقديره: ليرى الله من ينصره، وقيل: ليعلم الله وجود النصرة منهم في الحال ويظهر المعلوم ﴿مَن يَنصُرُهُۥ﴾ أي: ينصر دينه وأولياءه، وقيل: لينصروا دينه ونبيه وهو يعلم ذلك منهم موجودًا.

ثم بَيَّنَ تعالى أن الدعاء إلى النصر ليس لضعف، ولا حاجة؛ لأنه غني، ولكن لمصلحتهم أَمَرَهُمْ، ومنفعته تعود عليهم، فقال سبحانه: «**إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**[3]» أي: قادر «**عَزِيزٌ**» لا يغالب.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿سَابِقُوٓاْ﴾ على وجوب المسارعة إلى التوبة والطاعة الموجبة للمغفرة.

ويدل قوله: ﴿وَجَنَّةٍ﴾ أن الجنة لم تخلق بعد، عن أبي علي.

---

(١) لقد: ولقد، ك.

(٢) ينصره: سينصره، د، ز.

(٣) عزيز: +، ك.

ويدل قوله: ﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ أن جميع ما ينال العبد مكتوب مقدر، فإذا علم العبد ذلك استسلم وهان عليه الأمر.

وتدل على أنه لا ينبغي أن يتأسف على فائت، ولا يفرح بموجود لسرعة زوالها.

وعن الصادق: (يابن آدم، مالك تأسف على مفقود ولا يُرَدُّ إليك، وما لك تفرح بموجود لا يترك في يدك): وهذه الآية تدل على وجوب الرضا بالقضاء.

وتدل على ذم التكبر والخيلاء والبخل والافتخار على الناس بأسباب الدنيا.

ويدل قوله: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا﴾ أنه تعالى أنعم على عباده بنعم الدين والدنيا، وبَيَّنَ في هذه الآية وجوهًا:

أولها: إرسال الرسول ليهدي الخلق إلى مصالح دينهم، ويُبيّن الشرائع، وبهم يتم أمر الدارين.

وثانيها: إنزال الكتاب مع أنه معجز، ومتضمن للأحكام، وبه تتم النبوة.

وثالثها: الميزان وهو آلة العدل والإنصاف والانتصاف.

ورابعها: الحديد، وبه تتم جميع مصالح الدنيا والصناعات، وبه يتم الجهاد.

ويدل قوله: ﴿لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ﴾ أنه أراد من الجميع القسط.

وتدل أن المسابقة والقسط والخيلاء فعل العبد.

ومتى قيل: كيف اتصل ذكر الحديد بما تقدم، وما تأخر؟

قلنا: قيل[١]: لأنه لما ذكر النصرة، ومن الحديد تتخذ آلة الحرب.

وقيل: لأنه عَدَّ منافعه دينًا ودنيا، فعد الحديد؛ لأنه من أعظم النعم[٢] لما فيه من المنافع.

---

(١) قيل: +، ك.

(٢) النعم: المنافع، د.

قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ ۖ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٦) ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰ آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الْإِنجِيلَ ۖ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا ۖ فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ (٢٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (٢٨) لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ اللَّهِ ۙ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ ۚ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ (٢٩)﴾.

القراءة

قراءة العامة: ﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ وعن سعيد بن جبير: (**لكيلا يعلم**)، وهذا محمول على أنه فسر به، لا أنه قراءة.

اللغة

القفو: الاتباع، قَفَوْتُ أثره: اتبعته، ويقال: قَفَوْتُهُ أَقْفُوهُ وأقفته أَقُوفُهُ، وقفته: أقوفه، وقفيته: إذا اتبعت أثره، ومنه سميت القافية لتتبعهم الآثار، ومنه: ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ﴾ [الإسراء: ٣٦] أي: لا تتبع، وقفا كل شيء وقافيته[1]: آخره، ومنه الحديث: «أنا المُقَفِّي»، قيل: معناه[2] آخر الأنبياء، وقيل: المتبع للنبيين، والتقفية جعل الشيء في إثر غيره، وقافية الشيء قيل: آخره، وقيل: لأنها تتلو سائر الكلام.

(١) وقافيته: وقفافيته، ك.
(٢) معناه: جعلناه، د، ز.

الرهبانية: الخصلة من العبادة التي يظهرونها مع الرهبة، ومنه: الرهبان، وقيل: إنه جمع، وقيل: واحد، وجمعه: رهابين ورهبانية، ومنه الحديث: «لا رهبانية في الإسلام» كالخصى ونحوها مما ابتدعه الكفار، وأصل الباب: الرهبة، وهو الخوف.

والابتداع: إحداث الشيء ابتداءً[1]، وهو مذموم في الدين، ومنه المبتدعة، الذين أحدثوا في الإسلام مذاهب تخالف التوحيد والعدل؛ كالتشبيه والجبر والخارجية والرفض.

والكِفْلُ: النصيب، ومنه: ﴿لَّهُۥ كِفْلٌ مِّنْهَا﴾ [النساء: ٨٥] أي: نصيب.

الإعراب

(مُهْتَدٍ) رفع؛ إلا أنه من بنات الياء، فلا يستبين[2] فيه الرفع كقولنا: قاضٍ.

﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ﴾ قيل: ليعلم، ﴿أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ﴾ رفع، على [تقدير:] أنهم لا «يقدرون»، فلما أضمر الهاء رفع.

النزول

قيل: فخر مؤمنو أهل الكتاب على قوم من الصحابة، وقيل: بل قوم من اليمن آمنوا فوعدوا الأجر مرتين، ففخروا على الصحابة بأن لنا أجرين، ولكم أجرًا[3]، فنزل في ذلك قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ ۙ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ﴾[4].

وعن قتادة: حسد أهل الكتاب المسلمين، فنزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾.

---

(١) ابتداءً: ابتداع، ث، ز، د، ك.
(٢) يستبين: يستبن؛ ث، ز، ك.
(٣) أجرا: أجر؛ ث، د، ز، ك.
(٤) +، إلى أخر السورة، ث، د، ز، ك.

وقال مجاهد: قالت اليهود: يوشك أن يخرج منا من يقطع الأيدي والأرجل، فلما خرج من العرب كفروا، فنزل: ﴿لِّئَلَّا يَعۡلَمَ﴾ الآية.

۞ المعنى

ثم عطف على ما تقدم من ذكر الأنبياء بقصة إبراهيم ونوح، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ**» قيل: خصهما بالذكر لفضلهما، وقيل: لأنهما أبوا الأنبياء «**وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ**» أي: في أولادهما[1] «**وَالْكِتَابَ فَمِنْهُمْ**» أي: من الذرية «**مُهْتَدٍ**» أي: اتبع الحق «**وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ**» من الذرية «**فَاسِقُونَ**» والفاسق غير من جعل فيهم النبوة والكتاب، «**ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ**» أي: أتبعنا بالإرسال «**عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم**» أي: آثار الأنبياء «**بِرُسُلِنَا**» [أي]: أرسلنا[2] رسولاً بعد رسول «**وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ**» أي: أرسلناه بعدهم «**وَآتَيْنَاهُ**» أعطيناه «**الْإِنْجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً**» أي: اتبعوا عيسى في دينه، والرأفة أشد الرحمة.

ومتى قيل: لم أضاف الرحمة والرأفة إلى نفسه؟

قلنا: فيه ثلاثة أوجه:

أولها: بالأمر والترغيب وَوَعْدِ الثواب عليه؛ لأنه أمرهم بالتراحم فأطاعوه.

وثانيها: باللطف الذي قوى دواعيهم، فصارت قلوبهم بهذه الصفة.

وثالثها: بالأخبار والتعريف كما يقال: فلان عدّله القاضي وزكّاهُ[3]، إذا أخبر عن عدالته.

«**وَرَهْبَانِيَّةً**» خصالاً في الدين تكلفوها «**ابْتَدَعُوهَا**» أحدثوها «**مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ**» أي: ما فرضناها عليهم، قيل: تلك الرهبانية: رَفْضُ النساء واتخاذ الصوامع، عن قتادة. وقيل: لحاقهم بالبراري والجبال، في خبر مرفوع، وقيل: الانقطاع والانفراد بالعبادة

---

(١) أي في أولادهما: +، ك.

(٢) أرسلنا: وأرسلنا، ث، د، ز، ك.

(٣) وزكّاهُ: رعاه، ث، د، ز.

«**إِلاَّ ابْتِغَاءَ رِضْوَانِ اللَّهِ**» قيل: معناه ما كتبناها عليهم ألبتة لكن كتبنا[1] عليهم ابتغاء رضوان الله، عن مجاهد. وقيل: ابتغوا بابتداع تلك الرهبانية رضوان الله، عن أبي علي. وقيل: ما كتبناها عليهم، ولكن لما دخلوا فيها أوجبنا ذلك ابتغاء رضوان الله، عن الحسن.

ومتى قيل: كيف يتصل قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ و﴿إِلَّا ٱبْتِغَآءَ﴾ بما قبله؟

قلنا: قيل: تم الكلام عند قوله: ﴿وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا﴾ ما كتبنا ذلك عليهم، لكن كتبنا عليهم ابتغاء رضوان الله، فبدلوا ولم يفعلوا ما أمروا به، فعلى هذا «**ابتدعوها**» ذَمٌّ لهم.

وقيل: (رهبانية) يتصل بما قبله أي أن فيهم رأفة ورحمة ورهبانية من عند أنفسهم لم يكتب الله ذلك عليهم؛ لكن لما دخلوا فيها وجب عليهم إتمامها ابتغاء رضوان الله، فلم يفعلوا، فعلى هذا «**ابتدعوها**» تكون مدحًا، والذم في قوله: «**فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا**» فيه قولان:

إذا حملت الآية على أنه لم يكتب الرهبانية عليهم لكن كتب عليهم اتباع الملة فما رعوها يعني[2] ما كتب عليهم من أمر الدين والملة، فتكون كناية عن غير مذكور، عن مجاهد.

وإذا حملت على أن الرهبانية طاعة فما رعوها تلك الرهبانية، يعني ما حفظوا ذلك، عن أبي علي.

وقيل: فما[3] رعوا الملة حق رعايتها، لكن كفروا بعيسى، وتهودوا، وتنصروا، وشربوا الخمر، وأكلوا الخنزير.

وقيل: «**فما رعوها**» أي: لتكذيبهم محمدًا ﷺ، فإن من آمن به فقد رعاها حق رعايتها، ومن لم يؤمن به فأولئك هم الهالكون، في خبر[4] مرفوع.

(١) كتبنا: كتبناها، ك.
(٢) يعني: +، ك.
(٣) فما: ما، ك.
(٤) خبر: حديث، ز، ك.

وقيل: اتخذوا الترهب والتزهد سوقًا ومكيدة، ولم يبتغوا بها رضا الله كمتزهدة زماننا هذا.

وقيل: أحدثوا التثليث والكفر، وقيل: غيروا دينهم وشرائعهم.

«**فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ**» أي: أعطيناهم الثواب جزاء أعمالهم «**وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ**» قيل: كافرون، وقيل: عاصون «**يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ**» قيل: آمنوا بعيسى وموسى اتقوا عذاب الله، وآمنوا بمحمد ﷺ، وقيل: يا أيها الذين آمنوا ظاهرًا اتقوا[1] باطنًا، وقيل: آمَنُوا بالأنبياء آمِنُوا بمحمد ﷺ «**يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ**» أي: يعطيكم نصيبين «**مِنْ رَحْمَتِهِ**» نصيبًا لإيمانهم بِمَنْ تقدم من الأنبياء، ونصيبًا لإيمانهم بمحمد ﷺ، عن ابن عباس. «**وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ**» قيل: النور القرآن، عن ابن عباس. وقيل: هو الهدى والبيان، عن مجاهد. وقيل: هو النور الذي يمشون به في القيامة وعلى الصراط «**وَيَغْفِرْ لَكُمْ**» ذنوبكم «**وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**» يغفر الذنوب بالتوبة، ويرحم بقبول التوبة، ويدخل الجنة «**لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ**» في قوله: (لا») قولان:

منهم من قال: هي صلة، ثم اختلفوا، فقيل: ليعلم أهل الكتاب الذين حسدوا المؤمنين على ما وُعِدُوا أنهم لا يقدرون على شيء من فضل الله، وقيل: هو يتصل بما قبله في قوله: ﴿أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا﴾ أي: يعلم أهل الكتاب أنهم لا يقدرون على فضل الله الذين يصرفون النبوة عن محمد إلى بني إسرائيل، وقيل: أهل الكتاب الذين يتشبهون بالمؤمنين أن لا يقدرون على شيء من فضل الله الذي هو ثوابه الذي يفعله على وجه الاستحقاق لمن يستحق، عن ابن عباس. فعلى هذه الوجوه (لا) صلة محذوفة، وقيل: (لا) إنما تدخل صلة في كلام دخل في أواخره جحد كقوله: ﴿وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [الأنعام: ١٠٩].

والثاني: منهم من قال (لا) ثابت المعنى، ثم اختلفوا فقيل: لئلا يعلم أهل الكتاب ألا يقدرُ الرسول والمؤمنون على شيء من فضل الله؛ لأن من لا يعلم أنه لا

---

(١) اتقوا: آمنوا، ك.

يقدر يعلم أنه لا يقدر، وقيل: ليعلموا أنهم يقدرون إن أسلموا، فيحوزون الفضل؛ لأنهم إذا لم يعلموا أنهم لا يقدرون على الإيمان علموا أنهم يقدرون على ذلك.

ومتى قيل: لم سمى الثواب فضلاً، وهو مستحق؟

قلنا: لأنه بالتكليف والتمكين عرضه للثواب، فكأنه منه.

وقيل: لأنه يحصل بالإيمان، وذلك يحصل بتمكينه ولطفه وهدايته، فكأنه منه، هذا على قول مشايخنا.

وقيل: لأن العبادات مُسْتَغْرَقَةٌ في شكر نعمه، وكان الثواب تفضلاً، عن أبي القاسم.

وقيل: طاعاتنا قليلة، وثوابه دائم.

وقيل: خدمة العبد لمولاه مستحق، فإذا ضمن الثواب عليها كان فضلاً، والأوجه هو الأول.

«وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ» أي: هو القادر على ذلك **«يُؤْتِيهِ»** يعطيه[1] **«لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ»**.

الأحكام

الآية تدل على أن الأنبياء من ذرية نوح وإبراهيم، وأن من ذريتهما مهتديًا وفاسقًا.

وتدل أن الفاسق ليس بمهتدٍ.

ويدل قوله: ﴿وَرَهْبَانِيَّةً﴾ أن من دخل في عبادة وجب عليه إتمامها على ما يقوله أبو حنيفة وأصحابه في الصوم والصلاة والحج، وقد وافقهم الشافعي في الحج، وخالفهم في الصوم والصلاة، والآية تدل عليه؛ لأنه ذمهم حيث لم يتموا ما ابتدأوا، الحج[2] بحجة؛ لأن الصوم عبادة تلزم بالبدن، فتلزم بالشروع كالحج.

وتدل أن تلك الرهبانية فعلهم، ليس بخلق الله تعالى.

ويدل قوله: ﴿مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ﴾ أن الثواب مستحق على الأعمال.

(١) يعطيه: -، ك.
(٢) الحج: والحج، ث، د، ز، ك.

سورة المجادلة

سورة (المجادلة) وهي اثنتان[1] وعشرون آية، وهي مدنية.

وعن أبي، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (المجادلة) كتب من حزب الله يوم القيامة».

ولما ختم السورة بذكر فضله مع عباده افتتح هذه السورة بذلك، وبيّن أن من فضله إجابة الدعوات، وبيان أحكام الشرع، كما أجاب دعاء[2] تلك المرأة، وبين حكم حالها[3].

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِى تُجَٰدِلُكَ فِى زَوْجِهَا وَتَشْتَكِىٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ ۖ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ ۚ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا۟ فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۚ ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ۖ فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ۚ ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ۗ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُوا۟ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ وَقَدْ أَنزَلْنَآ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾﴾.

---

(١) اثنتان: اثنان، ك.

(٢) دعاء: +، ك.

(٣) حالها: حالهما، د.

القراءة

قرأ أبو جعفر وابن عامر وحمزة والكسائي: «يَظَّاهَرُون» بالياء وفتحها والألف وتشديد[1] الظاء، وقرأ نافع وابن كثير وأبو عمرو ويعقوب: «يَظَّهَّرُون» بغير ألف وتشديد الظاء والهاء، وقرأ عاصم: «يُظَاهِرُون» بضم الياء وإثبات الألف وتخفيف وكسر الهاء، وكلها لغات صحيحة، يقال: ظاهر من امرأته ويَظَّهَرُ ويُظَاهِرُ[2]، ومن قرأ بالتشديد فلإدغام التاء في الظاء.

قراءة العامة: «ما هن أمهاتِهم» بكسر التاء، وقرأ المفضل بضم التاء، والظهار: أن يقول لامرأته: أنت عليّ كَظَهْرِ أمي.

اللغة

المجادلة: المحاجة والجدال الخصومة، وهو تقابل الكلام عند النزاع، وسمي بذلك[3] لشدته، وأصل الجدال: الفتل، وقيل: أصله الجدالة؛ وهي الأرض، كأن كل واحد يريد إلقاء خصمه على الأرض، وجَدَلْتُ الحبل: فَتَلْتُهُ، والجديل: الزمام. والتحاور: تراجع الكلام، حاور محاورة، والحوار أصله الرجوع، ومنه: ﴿ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الإنشقاق: ١٤]، قال عنترة:

لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الْمُحَاوَرَةُ اشْتَكَى ... ولَكَانَ لَوْ عَلِمَ الْكَلَامَ مُكَلِّمِي[4]

والظهار: مأخوذ من الظَّهْر، وكان طلاقًا في الجاهلية، ظاهر من امرأته يُظَاهِرُ ظهارًا.

والمحادة[5]: المخالفة ومنع ما يجب عليه، وأصل الحد: المنع، ومنه: الحد: الحاجز بين الشيئين، ومنه قيل للبواب حَدادٌ، حددته أي منعته، قال النابغة:

---

(١) وتشديد: بتشديد، د، ز.
(٢) ويظهر ويظاهر: ويظاهر فيظهر، ك.
(٣) بذلك: ذلك، د، ز.
(٤) البيت قائله عنترة بن شداد في معلقته.
(٥) والمحادة: المجادلة، ك.

قُمْ في الْبَرِيَّةِ فَاحْدُدْهَا عَنِ الفند[1]

ومنه: الحديد؛ لأنه يمنع، ومنه: حدود الله؛ لأنه تمنع من المعاصي، ومنه: الحِدَادُ؛ لأنه مَنْعٌ من الزينة.

والكبت: مصدر كبت الله العدو: صرفه وأذله، وكبته: إذا صرعه، والكبت: الغيظ، والكبت: الحزن أيضًا، وقيل: أصله الكيد، أي بلغ همه الكيد، فقلبت الدال تاء لقرب مخرجها، كما يقال: سدر[2] رأسه وستره.

الإعراب

التاء في «**ما هن أمهاتهم**» مكسورة على خبر (ما)، ومحله نصب كقوله: ﴿مَا هَٰذَا[3] بَشَرًا﴾ [يوسف: ٣١]، وقيل: بالباء على تقدير بأمهاتهم.

و«**يظاهرون**» أصله يتظاهرون فأدغم.

«**منكرًا**» نصب؛ لأنه نعت لمحذوف، أي: قولاً منكرًا.

﴿فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ﴾ رفع على الابتداء، وهذه فاء المجازاة وما بعد فاء المجازاة ابتداءٌ.

النزول

قيل: الآيات نزلت في رجل من الأنصار وامرأته، ثم اختلفوا في اسميهما:

أما الرجل فقيل: نزلت في شأن سلمة بن صخر لما ظاهر امرأته، وأكثر المفسرين على أنها في أوس بن الصامت لما ظاهر امرأته.

---

(١) الفند: القدر؛ ث، د، ك.
البيت قائله النابغة الذبياني في معلقته وصدر البيت:
إلا سليمان إذ قال الإله له ... قم في البرية فاحددها عن الفند
أنظر ديوان النابغة الذبياني، دار صادر. لسان العرب، (حدد).

(٢) سدر: شد، ك.

(٣) ما هذا: ما هذان، ك.

وأما المرأة: فاختلفوا في اسمها ونسبها، قيل: خولة بنت خويلد، عن ابن عباس.

وقيل: خويلة بنت ثعلبة، عن قتادة، ومقاتل.

وقيل: جميلة، وكانت[1] حسنة، وزوجها أوس، عن عائشة.

واتفقوا أنها من الخزرج.

وقيل: أول من ظاهر في الإسلام أوس، وكانت[2] تحته بنت عم له، عن ابن عباس.

ولما ظهر منها ندم، وراودها، وظنت أنها حرمت عليه، وأبت حتى تسأل رسول الله ﷺ، فجاءت وقالت: إن أوس بن الصامت تزوجني شابة ذات أهل ومال، حتى إذا كبرت وتفرق مالي وأهلي ظاهر مني وقد ندم، فهل من شيء يجمعني وإياه؟ واختلفت الرواية فيما أجابها، فقيل: قال رسول الله ﷺ: «هو كما قال»، وقيل: قال: «حرمت عليه»، وقيل: قال: «لم ينزل عليّ فيه شيء».

واختلفوا فيما قالت بعد ذلك، فقيل[3]: رفعت طرفها إلى السماء وقالت: إلى الله أشكو حاجتي، وقيل: قالت: اللهم [ظاهر] مني[4] [زوجي حين] كبر سني وتفرق عظمي، وقيل: قالت: فلي[5] منه أولاد صغار إن ضممتهم إليّ جاعوا، وإن ضممتهم إليه ضاعوا، وعن عائشة قالت: بكت وبكّت من في الدار رحمة لها.

وروي أنها قالت: إن جرى عليّ هذا الحكم هلكت، فنزلت الآيات في قصتها، عن عائشة.

فلما نزلت دعا زوجَها وتلاها عليه، وقال: «ما حملك على ما صنعت»؟ قال: الشيطان، فقال له: «أتستطيع العتق»؟ قال: لا، قال: «هل تستطيع صوم شهرين

(١) وكانت: فكان، د.
(٢) وكانت: فكان، د.
(٣) فقيل: وقيل، ك.
(٤) مني: من، د، ز، ك.
(٥) فلي: لي، د، ز.

متتابعين»؟ فقال: يا رسول الله، إن لم آكل في اليوم ثلاث مرات كَلَّ بَصَرِي وظننت أني سأموت، قال: «فهل تستطيع أن تطعم ستين مسكينا»؟ قال: لا والله، قال: «إني معينك» وأعطاه خمسة عشر صاعًا يطعم ستين مسكينًا.

المعنى

«قَدْ» تأكيد للكلام «**سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا**» مجادلتها إياه: مراجعتها في أمر زوجها، عن أبي العالية. «**وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ**» أي: تظهر شكواها، وتبين حالها متضرعة إليه «**وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا**» أي: مراجعة كلامكما في أمرها «**إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ**» أي: يسمع المسموعات ويرى المرئيات، والسميع[١]: من هو على حالة يسمع المسموعات إذا وجدت، والبصير: من هو على حالة يرى المرئي إذا وجد، ولهذا يقال: إنه سميع بصير لم يزل، وليس هذا حالة زائدة على كونه حيًّا لا آفة به، فأما السامع والمبصر فحالتان متجددتان عند إدراك المدرك.

ثم بَيَّنَ حالهما، فقال ـ سبحانه ـ: «**الَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنكُمْ مِنْ نِسَائِهِمْ**» أي: يقول لها: أَنْتِ عَلَيَّ كَظَهْرِ أُمِي «**مَا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ**» أي: ليس هذه المرأة بأم الزوج «**إِنْ أُمَّهَاتُهُمْ إِلاَّ اللاَّئِي وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَزُورًا**» أي: قولاً ينكره العقل والشرع ولا يعرف صحته «**وَزُورًا**» كذبًا؛ لأنهم يقولون للمرأة أُمٌّ وللحلال حرام «**وَإِنَّ**[٢] **اللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ**» حيث لم يعاجلهم بالعقوبة، غَفُورٌ حيث تجاوز عنهم وأمرهم بالكفارة «**وَالَّذِينَ يُظَاهِرُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا**» الظهار أن يقول: أنت عليّ كظهر أمي، واختلفوا في العود، فقيل: هو العزم على الوطء، عن قتادة، وأبي حنيفة، ومالك. وقيل: هو إمساكها عقيب الظهار مدة يتمكن أن يطلقها، عن الشافعي. وقيل: هو أن يكرر لفظ الظهار[٣]، عن أصحاب الظاهر، وأبي العالية. وقيل: أن يظاهر في الجاهلية، ثم يعود فيظاهر في الإسلام، عن طاووس. وقيل: أن يجامعها، عن الحسن. «**فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ**» أي: عتق مملوك، يعني إذا ظاهر، ثم عاد في ذلك فعليه

---

(١) والسميع: والسميع والبصير، د، ز، ك.

(٢) إن: +، ك.

(٣) أن يكرر لفظ الظهار: أن يلفظ بالظهار، ك.

تحرير رقبة «مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا» أي: يجامعها «ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ» أي: تؤمرون به، قيل: تؤمرون به أي في القرآن، وقيل: بالتكفير «وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ» أي: عالم بأعمالكم يجازيكم بها «فَمَن لَّمْ يَجِدْ» يعني الرقبة ولا ثمنها «فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ» لا يتخللهما فطر، أي: فعليه صيام شهرين، «فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ» الصوم لعلة أو كِبَرٍ «فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا» فقراء «ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» أي: لتظهروا إيمانكم بفعل الكفارة، وقيل: لتقروا بأن الله يتعبدكم بما يشاء من أحكامه، وقيل: لتؤمنوا بالله وما شرع لكم من الدين، وقيل: لتتركوا عادات الجاهلية وتعملوا بالشريعة «وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ» شرائعه وأحكامه «وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ» موجع «إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ» أي: يخالفون أمره ويعادون(١) رسوله «كُبِتُوا» قيل: أهلكوا، وقيل: أذلوا وأخذوا «كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ» من الكفار «وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ» حجج واضحة «وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ» أي: يذلهم وهو عذاب النار.

الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: أنه سميع بصير مدرك للمدركات خلاف قول البغدادية.

ومنها: أحكام الظهار على ما نبينه.

ومنها: أن الظهار منكر من القول.

ومنها: أن الظهار محرم(٢)، وأنه زور، وأنه تتعلق به أحكام في شريعتنا.

ومنها: وجوب الكفارة بالظهار والعود؛ لأنه علق وجوبها بالأمرين.

ومنها: كيفية الكفارة، وترتيبها، وأنها قَبْلَ المَسِّ.

ومنها: أن فعل(٣) الكفارة يتكامل به الإيمان.

---

(١) يعادون: يحادون، د، ز.
(٢) محرم: يحرم، ك.
(٣) فعل: يفعل، د.

ومنها: أن من يحاد أولياء الله كان بمنزلة من يحاد الله، فأضاف إلى نفسه تفخيمًا.

ومنها: دلالتها[1] على بطلان قول المجبرة في قوله: «**تجادلك**»، وقوله: ﴿تَحَاوُرَكُمَآۚ﴾، وقوله: ﴿يُظَٰهِرُونَ﴾، وقوله: ﴿وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًاۚ﴾، وقوله: ﴿ثُمَّ يَعُودُونَ﴾، وقوله: ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّاۚ﴾، وقوله: ﴿لِتُؤْمِنُوا بِٱللَّهِ﴾ وقوله: ﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾، وكل ذلك يدل على أن ذلك فعل العبد، وليس بخلق الله.

۞ أحكام الظهار

الكلام في الظهار ينقسم إلى عشرة فصول:

أولها: معنى الظهار.

وثانيها: ألفاظ الظهار.

وثالثها: من يصح ظهاره.

ورابعها: صفة المرأة المظاهر منها.

وخامسها: المشبه بها.

وسادسها: ما يحرم بالظهار.

وسابعها: الكلام في العود.

وثامنها: وجوب الكفارة ووقتها.

وتاسعها: صفة الكفارة.

وعاشرها: حكم المسيس بين الكفارات.

۞ [معنى الظهار]

أما الفصل الأول: فالظهار كان طلاقًا في الجاهلية نُقِلَ بالشرع إلى تحريم يرتفع بالكفارة.

(١) دلالتها: دلالتهما، ك.

وحقيقة الظهار: أن يشبه زوجته أو عضوًا منها يعبر به عن جميع البدن أو جزءًا شائعًا بما[(١)] لا يحل له النظر إليه من امرأة يحرم نكاحها على التأبيد، وهذه الشرائط بعضها متفق عليه[(٢)]، وبعضها مختلف فيه[(٣)]، ولا يعرفها أهل اللغة، والاسم شرعي فيه معنى اللغة، والأصل في الظهار هذه الآيات، وقد ورد مجملاً فلا بد من عادة متقدمة عرفوا الظهار بها إذا قرن بها بيان[(٤)] كيفية الظهار.

وأما[(٥)] الفصل الثاني [ألفاظ الظهار]: إذا قال: أنتِ عليّ كظهر أمي، فهذا صريح في الظهار نوى أو لم ينوِ، فإن نوى به الطلاق دين فيما بينه وبين الله تعالى دون القضاء عند أبي يوسف ومحمد والهادي، وقال أبو حنيفة والشافعي: لا يدين؛ لأنه لا يجوز أن يكون كناية عن الطلاق.

وإذا أضاف الظهار إلى عضو، فإن كان يعبر به عن جميع البدن كالرأس والرقبة والفرج صار مظاهرًا، وإن أضاف إلى اليد والرجل لا يصير، وهذا قول أبي حنيفة وأصحابه، وقال الشافعي: يصير مظاهرًا، وهو قول الهادي، وعلى هذا الخلاف في الطلاق والعتق، ولو قال: حرمتك أو أنا منك مظاهر فهو ظهار، فإن قال: أنتِ عليّ كأمي، ونوى الظهار كان ظهارًا، وإن[(٦)] نوى الكراهة[(٧)] أو لم ينوِ [الظهار] فليس بظهار، وقال محمد: هو ظهار، فإن ظاهر وَوَقَّتَ بوقت جاز، وبتوقيت الظهار[(٨)] قال الشافعي.

[من يصح ظهاره]

فأما الفصل الثالث: فكل زوج صح طلاقه، وكان من أهل الكفارة[(٩)] صح ظهاره

---

(١) بما: +، ك.
(٢) عليه: -، ك.
(٣) فيه: -، ك.
(٤) بيان: -، ك.
(٥) وأما: فأما، ك.
(٦) وإن: فإن: ك.
(٧) الكراهة: الكرامة، د، ك.
(٨) الظهار: +، ك.
(٩) فإن: +، ك.

وإلا فلا يصح ظهار الصبي والمجنون، وظهار الذمي لا يصح عند أبي حنيفة والهادي، وقال الشافعي: يصح، وظهار[1] العبد يصح، وعند مالك لا يصح، وظهار غير المدخول بها يصح، وعن بعضهم لا يصح، فإن طلقها رجعية ثم ظاهر صح، وقال المزني: لا يصح، وإن كان الطلاق بائنًا لا يصح الظهار.

وإذا ظاهر ثم ارتد ثم أسلم عاد الظهار، وهو قول أبي حنيفة والهادي، وقال الشافعي: لا يعود، وهو قول أبي يوسف ومحمد.

فإن ظاهر ثم طلق رجعية ثم عاد لم يسقط الظهار عند الفقهاء، وقال الحسن: إن عادت إليه بعد انقضاء العدة يسقط الظهار.

۞ [صفة المرأة المظاهر منها]

فأما الفصل الرابع: فيصح ظهار الزوجة، ولا يصح ظهار الأَمَةِ والمُدَبَّرَةِ وأم الولد والمبتوتة، وقال مالك: يصح الظهار من أَمَتِهِ، ولا تكون المرأة مظاهرة من زوجها، روي أن محمد بن الحسن سئل عن المرأة تقول لزوجها: أنتَ عليّ كظهر أمي؟ فقال: ليس بشيء، فسئل أبو يوسف فقال: عليها كفارة الظهار، فسئل الحسن بن زياد فقال: هما شيخا الفقه أَخْطآ، عليها كفارة يمين.

۞ [المشبه بها]

فأما الفصل الخامس: فقال أبو حنيفة وسائر الفقهاء: إذا شبهها بالأم صار مظاهرا، فإذا شبهها بغير الأم من ذوي المحارم فعنده يصير مظاهرًا؛ لأن العلة في الأم أنها[2] محرمة على التأبيد، كذلك الأخت والعمة والخالة، وكذلك المحرمة من الرضاعة كأخته وأمه من الرضاعة، أو بالصهر كأم امرأته، وامرأة ابنه.

ولو شبهها بمن لا تحرم على التأبيد كالمرتدة أو المجوسية لم يكن ظهارًا، وقال الهادي: لا يصح الظهار إلا بالأم من النسب دون غيرها، وللشافعي قولان.

(١) وظهار: بظهار، ك.
(٢) أنها: لأنها، د، ك.

[ما يحرم بالظهار]

فأما[١] الفصل السادس: فلا خلاف أنه يحرم عليه وطؤها[٢] سواء ملك وَطْأها[٣] بالنكاح أو بملك اليمين حتى يُكَفِّرَ، وكذلك لو عادت إليه[٤] بعد الطلاق والتزويج لم يحل.

فأما ما سوى الجماع كالقبلة واللمس للشهوة وسائر ما يتلذذ من مسٍّ أو نظر إلى فرج فإنه يحرم عند أبي حنيفة والهادي.

[الكلام في العود]

فأما الفصل السابع: وهو الكلام في العود، فعند أبي حنيفة أنه العزم على الجماع، وهو قول مالك، وعند الشافعي أن يتركها عقيب[٥] الظهار، ولا يطلقها، وعند أصحاب الظاهر أن يكرر اللفظ، وعند طاووس أن يعود إلى الظهار في الإسلام بعد أن ظاهر في الجاهلية، وحكى إسماعيل بن إسحاق عن الحسن والزهري هو الجماع.

[وجوب الكفارة ووقتها]

فأما الفصل الثامن: فلا شبهة أن الكفارة واجبة، ثم اختلفوا، فالأكثر أنها تجب بالظهار والعود، وعن طاووس أنها تجب بالظهار فقط، وظاهر الكتاب يحجه، وعن الحسن أنها تجب للمضارة.

وإذا ظاهر من أربع نسوة وجب لكل واحدة كفارة عند أبي حنيفة والهادي، وقال الشافعي: إذا ظاهر بكلمة واحدة تكفيه كفارة واحدة، فإن ظاهر من امرأة مرارًا في مجلس أو مجالس فعليه لكل قول كفارة واحدة، إلا أن يعني الأول[٦] وهو قول

---

(١) وأما: د.
(٢) وطؤها: وطيها؛ د، ك.
(٣) وطأها: وطيها؛ د، ك.
(٤) لو عادت إليه: لو عاد بسببه، د.
(٥) في ك: لحق.
(٦) إلا أن يعني الأول: فإن ظاهر إلى أن، د.

أبي حنيفة، وقال الهادي: تكفيه كفارة واحدة ما لم يُكَفِّرْ، وروي عن علي عليه السلام: إن كان في مجالس فكفارات، وإن كان في مجلس فكفارة واحدة، وروي مثل قول الهادي عن الحسن وعطاء وطاووس والشعبي وإبراهيم والزهري، فإن ماتت فلا كفارة، وقال الحسن: يكفِّر ثم يرث.

[صفة الكفارة]

فأما الفصل التاسع: صفة الكفارة، فهي عتق رقبة، فإن أعتق كافرة يجوز عند أبي حنيفة، ولم يجز عند الشافعي، وهو قول الهادي.

فإن أعتق رقبة عمياء أو مقطوعة اليدين أو الرجلين لم يجز عند أبي حنيفة والشافعي، قال الهادي: يجوز، وبه قال داوود.

فأما إذا كانت مقطوعة إحدى يديها أو إحدى رجليها جاز عند أبي حنيفة ولا يجوز عند الشافعي.

فأما الخرساء لم تجز عند أبي حنيفة، وقال الهادي: يجوز.

فأما المُدَبّر فلا يجوز عند أبي حنيفة، وقال الهادي: يجوز.

فأما المُكَاتَبُ إذا لم يؤد شيئًا وأعتقه(١) جاز عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: لا يجوز، وهو قول الهادي.

فأما العبد المشترك فلا يجوز عند أبي حنيفة، ويجوز عند أبي يوسف ومحمد إذا كان موسرًا وضمنه شريكه، وهو قول الهادي.

فإن اشترى أباه بنية الكفارة جاز عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: لا يجزيه، وبه قال الهادي.

فإن لم يجد رقبة ولا ثمنها إلا أن عنده رقبة يحتاج إلى خدمتها لا يجوز له الصوم عند أبي حنيفة والهادي، وقال الشافعي: يجوز.

---

(١) وأعتقه: فأعتقه، ك.

فإن صام شهرين متتابعين فجامع بالنهار ناسيًا أو بالليل عامدًا استأنف عند أبي حنيفة والهادي، وقال أبو يوسف: لا يستأنف، وهو قول الشافعي.

وإذا[١] أفطر لمرض لم يلزمه الاستئناف عند الشافعي والهادي، وقال أبو حنيفة: يلزمه.

فإن لم يستطع الصوم فإطعام ستين مسكينًا، لكل مسكين نصف صاع من بُرٍّ أو دقيق أو صاعٌ من تمر أو شعير عند أبي حنيفة والهادي، وعند الشافعي مُدٌّ من البر ومدان من شعير.

ويجوز أن تكون الكفارة على مسكين واحد عند أبي حنيفة[٢]، وقال الشافعي: لا تجوز، وبه قال الهادي. التمليك ليس بشرط عند أبي حنيفة والهادي، وقال الشافعي: شرط.

۞ [حكم المسيس بين الكفارات]

فأما الفصل العاشر: فليس للمظاهر أن يطأ حتى يكفِّر عند[٣] الأكثر، وعن بعضهم يجوز.

فإن وطئ قبل أن يكفر ينبغي أن يتوب، ولا يعود حتى يكفر.

فإن وطئ في الشهرين فقد بَيَّنَّا الخلاف فيه، وروي عن الحسن والشعبي وسعيد بن المسيب أنه لا يقطع التتابع، وأجمعوا أن الحيض لا يقطع التتابع.

فإن كانت كفارته الإطعام لم يجز له المسيس قبل التكفير، وقال مالك: يجوز.

فإن لم يجد شيئًا من الكفارات فالتحريم بحاله.

---

(١) وإذا: إذا، ك.
(٢) وعند الشافعي مد.. أبي حنيفة: -، ك.
(٣) عند: +، ك.

قوله تعالى:

﴿يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓاْ ۚ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ
شَهِيدٌ ﴿٦﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۖ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ
إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ
أَيْنَ مَا كَانُواْ ۖ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُواْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ
نُهُواْ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُواْ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا
جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ ۚ حَسْبُهُمْ
جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا ۖ فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ فَلَا تَتَنَٰجَوْاْ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْاْ
بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر: «**ما تكون من نجوى**» بالتاء، الباقون بالياء، أما التاء فلأجل تأنيث النجوى، وأما الياء فللحائل بينه وبين النجوى.

وقراءة العامة: «**ولا أكثرَ**» بالنصب في محل الخفض عطفًا على ما تقدم، وقرأ يعقوب وأبو حاتم بالرفع عطفًا على محل الكلام قبل دخول (مِنْ)[(١)].

قراءة العامة: «**أكثر**» بالثاء من الكثرة، وقرأ الزهري بالباء من الكبر.

قرأ حمزة ويعقوب والأعمش ويحيى بن وثاب: «**وينتجون بالإثم**» بالنون والتاء وفتح الجيم من غير ألف على وزن يفعلون، الباقون: «**ويَتَنَاجَوْنَ**» بالتاء.

وقرأ يعقوب وحده: «**فلا تنتجُوا**» بالنون والتاء وضم الجيم من غير ألف من الانتجاء، والباقون: «**فلا تتناجَوا**» بالتاء والنون والألف وفتح الجيم.

(١) الكلام قبل دخول من: قبل دخول من، د.

قراءة العامة: «ومعصية الرسول» على واحدة، وعن الضحاك: «معصيات» على الجمع.

۞ اللغة

النجوى: إسرار ما يوقع كل واحد إلى آخر، وأصله: النجو؛ وهو الارتفاع من الأرض، ومنه: النجاء الارتفاع في السير، والنجاة الارتفاع من البلاء، نجوت فأنا ناج[(١)]، والنَّجِيُّ مصدر كالصهيل والنهيق يقع على الواحد والجماعة، ومنه: ﴿خَلَصُواْ نَجِيًّاۖ﴾ [يوسف: ٨٠]، وقيل: نجيا جمع أنجية، وقيل: جمع ناجٍ[(٢)] نحو: نادٍ[(٣)] ونَوادٍ[(٤)] وحاج وحجيج.

و(تتناجوا) يجوز فيه ثلاثة أوجه في العربية: الإظهار، والإدغام، وحذف إحدى التاءين.

والتحية: التكرمة بما يُنْبِئُ عن الإعظام، يقال: حياه وبَيَّاهُ وحياك الله، ومنه: التحيات.

۞ الإعراب

(يوم) نصب على الظرف وهو يتصل بما قبله، أي: لهم عذاب مهين يوم يبعثهم، ويجوز فيه ثلاثة: الجر بإضافة «النجوى» إليها، ويجوز بأنها صفة «النجوى»، ويجوز النصب بأنها خبر «يكون».

و(خمسة) عطف على ما تقدم، أي: من خمسة.

﴿لَوۡلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ﴾أي: هلا يعذبنا الله[(٥)].

---

(١) ناج: ناجي؛ د، ز، ك.
(٢) ناج: ناجي؛ د، ز، ك.
(٣) نادٍ: نادي؛ د، ز، ك.
(٤) نوادٍ: ندى؛ د، ز، ك.
(٥) الله: -، ك.

۞ النزول

قال ابن عباس في قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ﴾: إنها نزلت في اليهود والمنافقين، وكانوا يتناجون بين المؤمنين، وينظرون إلى المؤمنين ويتغامزون بأعينهم، فيظن المؤمنون أنه بلغهم عن أقربائهم وإخوانهم الذين خرجوا في السرايا قَتْلٌ أو موت أو مصيبة أو هزيمة، فيحزنون بذلك، فلما طال ذلك شكوا إلى رسول الله ﷺ، فنهاهم عن النجوى دون المسلمين فلم ينتهوا، فنزلت الآية.

وقال مقاتل بن سليمان: نزلت في اليهود، وكان بينهم وبين النبي ﷺ موادعة، فإذا مر بهم رجل من أصحابهم جلسوا يتناجون، فيظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله أو بما يكره، فيترك الطريق عليهم مخافة، وبلغ ذلك رسول الله ﷺ، فنهاهم عن ذلك فلم ينتهوا، فنزلت الآية.

قال ابن زيد: كان الرجل يأتي رسول الله ﷺ فيسأله الحاجة، فيرى الناس أنه قد ناجى رسول الله ﷺ، وكان لا يمنعهم، والأرض يومئذ حرب على أهل هذا الباب، فكان إبليس يأتي القوم ويقول: إنما يتناجون في حرب قد حضّرت[1]، أو جمع جمع لكم، أو أمر وقع، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وقال أبو علي: كان اليهود لا يتناجون إلا في مساءة المسلمين والرسول، فنهوا عن ذلك.

وأما قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ﴾ قيل: نزلت في اليهود لما[2] قالوا: السَّامُ عليكم، فقطبت عائشة وجهها وقالت: عليكم السام والذَّامُ، والذام: اللعنة، فقال رسول الله ﷺ: «يا عائشة، إن الله تعالى يحب الرفق، ولا يحب الفحش والتفحش»، فقالت: ألم تسمع ما قالوا؟ قال: «ألم تسمعي ما رددت عليهم»، فنزلت فيهم هذه الآية، فقال ﷺ: «إذا سلم أهل الكتاب فقولوا: وعليكم».

(١) قد حضّرت: خضراء؛ ت، ز، د، ك.
(٢) لما: إذا أتوا، ك.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى وقت العذاب، فقال ـ سبحانه ـ: «يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا» أي: يبعثهم أحياء من القبور وهو يوم القيامة يحشر الخلق للجزاء «فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» أي: يجزيهم بما عملوا من الخير والشر إلزامًا للحجة، وقيل: معناه يجازيهم فيكون كالإخبار «أَلَمْ تَرَ» قيل: ألم تعلم، وهذا استفهام والمراد التقرير، وقيل: ألم تر إلى الدلالات مما ترى من صنعه[1]، الدالة على أنه العالم بجميع المعلومات «أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ» يعني جميع المعلومات «مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلاَّ هُوَ رَابِعُهُمْ» بالعلم والحفظ والتدبير والسماع، يسمع نجواهم ويعلم ضمائرهم، ولا يحمل على أنه معهم في المكان؛ لأن ذلك من صفات الأجسام، تعالى الله عن ذلك. «وَلاَ خَمْسَةٍ إِلاَّ هُوَ سَادِسُهُمْ وَلاَ أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ» بأن يكونا اثنين «وَلاَ أَكْثَرَ» بأن يزيد على الخمسة «إِلاَّ هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا» أي: يخبرهم بأعمالهم توبيخًا وتقريعًا، وقيل: يجازيهم «إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ».

«[أَلَمْ تَرَ]» ألم تعلم، استفهام والمراد التقرير، حال المنافقين ووعيد لهم «إِلَى الَّذِينَ نُهُوا عَنِ النَّجْوَى» أي: المناجاة وإسرار الكلام بينهم دون المسلمين مما يغم المسلمين ويحزنهم، وهم اليهود والمنافقون «ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا عَنْهُ» أي: يرجعون إلى المناجاة بعد النهي، ومعنى «لِمَا نُهُوا» أي: إلى ما نهوا «وَيَتَنَاجَوْنَ بِالإِثْمِ» بالكذب الذي يأثمون به «وَالْعُدْوَانِ» بالظلم «وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ وَإِذَا جَاءُوكَ» أي: حضروا مجلسك يا محمد «حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ اللَّهُ»؛ لأنهم يقولون: السام عليك، والله تعالى أمر أن يقال: السلام عليكم، ويا رسول الله، ويا نبي الله «وَيَقُولُونَ [فِي أَنْفُسِهِمْ] لَوْلاَ يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ» لو كان نبيًا، والله تعالى يقول: هو نبي، والمعني به اليهود و«حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ» أي: يكفيهم عذاب جهنم «يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمَصِيرُ» أي: المرجع «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَنَاجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَاجَوْا بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَمَعْصِيَةِ الرَّسُولِ» أي: لا تفعلوا كفعل اليهود والمنافقين، ولا تتناجوا بما يوجب العذاب «وَتَنَاجَوْا بِالْبِرِّ وَالتَّقْوَى» أي:

---

(١) صنعه: صنعته، ك.

الطاعة، والتقوى اتقاء معاصي الله «**وَاتَّقُوا اللَّهَ**» أي: عذابه فلا تعصوه «**الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**» أي: تجمعون إلى الموضع الذي يحكم بينكم «**إِنَّمَا النَّجْوَى**» الألف واللام للمعهود، يعني الأسرار التي يسر بها اليهود والمنافقون من توليد الأراجيف وما يسوء به المسلمين «**مِنَ الشَّيْطَانِ**» أي: من وساوسه[1]، وقيل: شياطين الجن، وقيل: شياطين الإنس «**لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا**» أي: نجواهم لا يضرهم شيئًا، وقيل: الشيطان لا يضرهم شيئًا «**إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ**» قيل: بعلمه، وقيل: بأمره؛ لأن سببه يكون بأمره؛ لأنهم تلحقهم الأمراض والآلام عقيب ذلك، وقيل: بتخلية الله بينهم بشرط الإنصاف والانتصاف، وقيل: إلا أن يفعل الغم والحزن في قلوبهم؛ لأن الشيطان لا يقدر على فعل ذلك «**وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ**» يعني المؤمن لا يبالي بمناجاتهم، فليتوكل على ربه، فيكفيه كلامهم.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿أَحۡصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُۚ﴾ أن أعمال العباد فعلهم، وأنها محفوظة مكتوبة[2] للجزاء.

ويدل قوله: ﴿يَعۡلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي[3] ٱلۡأَرۡضِۖ﴾ أن معلوماته لا تنحصر؛ لأنه عالم لذاته.

وتدل على أنه عالم، قادر، حي، حيث خلق هذه الأشياء.

وتدل على كراهة النجوى فيما يؤذي مسلمًا، وقد روي في خبر مرفوع: «إذا كنتم ثلاثة فلا يتناجى اثنان دون صاحبهما، فإن ذلك يحزنه» فكيف لمن يغتابه[4] ويتقول عليه؟

(١) وساوسه: وسواسه، ك.
(٢) محفوظة مكتوبة: مكتوبة محفوظة، د.
(٣) وما في: وفي، ك.
(٤) يغتابه: ساءه، ك.

ويدل قوله: ﴿وَإِذَا جَآءُوكَ﴾ الآية أن الشرع ورد بتحية وهو السلام.

ويدل قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ على أشياء:

منها: أن وسوسة الشيطان فِعْلُهُ ليس بخلق الله.

ومنها: أن إضافة النجوى إلى الشيطان حسنٌ من الله لمّا حصل[1] بوسوسته، فلو كان النجوى خلقًا له لكان أولى بالإضافة إليه.

ومنها: أن الشيطان لا يقدر من الإنسان على ما سوى الوسوسة.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلْمَجَٰلِسِ فَٱفْسَحُواْ يَفْسَحِ ٱللَّهُ لَكُمْۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١١﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيْتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَةًۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَأَطْهَرُۚ فَإِن لَّمْ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَٰتٍۚ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُواْ وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۚ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾﴾.

القراءة

قرأ الحسن والسلمي وعاصم: «**تفسحوا في المجالس**» بالألف على الجمع، وقرأ الباقون: «**في المَجْلِسِ**» على واحد، وهو اختيار أبي حاتم؛ لأن المراد مجلس النبي ﷺ.

وقرأ أبو جعفر ونافع وابن عامر وعاصم: «**وإذا قيل انشُزوا فانشُزوا**» بضم الشين في الحرفين، الباقون بكسرهما، وهما لغتان نحو: يعرُشون ويعرِشون، ويعكِفون ويعكُفون.

(١) حسن من الله لما حصل: حيث إنه جعل، ك.

۞ اللغة

التفسح: الاتساع في المكان، تفسح تَفَسُّحًا، وبيت فسيح عليه، فسيح ما بين المنكبين، أي: بعيد ما بينهما لسعة صلبه.

والإشفاق: الخوف ورقة القلب، والشفقة أصلها الرقة، ومنه الشفق: الحمرة والبياض، ومنه: شَفَقٌ أي رَدِيءٌ.

النشوز: الارتفاع، والنَّشْزُ: ما ارتفع من الأرض، ويقال: نَشَزَ الرجل يَنْشُزُ ويَنْشِزُ[1] إذا كان قاعدًا فنهض، ونشوز المرأة: عصيانها للزوج.

۞ الإعراب

«**انشزو**» و«**تفسحوا**» جزم على الأمر.

والواو في قوله: «**وتاب**» صلة تقديره: فإن لم تفعلوا تاب الله عليكم، قيل: معناه: فإن لم تفعلوا، فرخص الله لكم في ذلك، فأقيموا الصلاة.

۞ النزول

أما قوله: ﴿تَفَسَّحُواْ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾:

قيل: نزلت في قوم كانوا يتنافسون في مجلس رسول الله ﷺ، وإذا رأوا من جاءهم ضيقوا مجلسهم، فأبوا أن يفسح بعضهم لبعض، عن قتادة.

وقيل: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم في الصُّفَّةِ يوم الجمعة وفي المكان ضيق، فجاء أناس من أهل بدر فيهم ثابت بن قيس بن شماس، وكان النبي ﷺ يكرم أهل بدر، فسلموا[2] وقاموا ينتظرون أن يُوَسَّعَ لهم فلم يفعلوا، فشق عليهم، فأقام رسول الله ﷺ جماعة وأقعدهم، فكرهوا ذلك وشق[3] عليهم، وقال المنافقون:

---

(١) وفي تفسير التبيان ٩/ ٥٤٩، نشز ينشز نشوزًا ونشزًا.

(٢) فسلموا: وسلموا، د.

(٣) وشق: فشق، ك، ز.

ألستم تقولون: إنه يَعْدِلُ، ما عَدَلَ على هؤلاء حيث أقامهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، عن مقاتل.

وقيل: نزلت في ثابت بن قيس بن شماس، وكان في أذنه ثقل، وكانوا يفسحون له حتى يقرب من النبي ﷺ، فضايقه بعضهم، وجرى بينهما كلام، وقد ذكرنا قصته في سورة الحجرات، عن الكلبي.

وقيل: نزلت في مجلس الحرب، عن أبي العالية، والحسن، والقرظي. وكانوا يتشاحون على الصف الأول حرصًا على الجهاد، ويقول بعضهم لبعض: توسعوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

فأما قوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ﴾:

قيل: نزلت في المجلس.

وقيل: في الجهاد.

وقيل: في الصلاة، وكان قوم يتثاقل عنها إذا نودي، عن الضحاك.

فأما قوله: ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾:

قيل: سألوا رسول الله ﷺ فأكثروا، فشق عليه، فَأُمِرُوا بتقديم صدقة، عن ابن عباس.

وقيل: نزلت في الأغنياء كانوا يناجون النبي ﷺ، ويغلبون الفقراء، ويكثرون الجلوس، فكره رسول الله ﷺ ذلك، فأمروا بتقديم صدقة قبل المناجاة، فانتهوا عن مناجاته، وشق ذلك عليهم، فنزلت الرخصة، عن مقاتل.

قال قتادة: لما نهوا عن مناجاته حتى يتصدقوا، لم يناجه إلا علي بن أبي طالب عليه السلام، قدم دينارًا فتصدق به، ثم نزلت الرخصة.

وعن علي: إن في كتاب الله لآية ما عمل بها أحد قبلي ولا يعمل بها أحد بعدي: ﴿إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ﴾ الآية، ثم نسخت.

وعن ابن عمر: كان لعلي ثلاث لو كانت لي واحدة منها كانت أحب إليّ من حُمْرِ النعم: تزويجه فاطمة، وإعطاؤه الراية يوم خيبر، وآية النجوى.

۞ المعنى

لما تقدم النهي عن النجوى لما فيه من إيذاء المؤمنين عقبه بالأمر بالتفسح تركًا لإيذائهم أيضًا، فقال ـ سبحانه ـ: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ**[١]» أي: يوسع بعضكم لبعض في مجلس رسول الله ﷺ، عن ابن عباس، وقتادة، ومقاتل، وجماعة. وقيل: في مجالس الحرب والجهاد، عن محمد بن كعب، وأبي العالية، والحسن. «**فَافْسَحُوا**» أي: وسعوا «**يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ**» أي: يوسع عليكم في الجنة «**وَإِذَا قِيلَ انشُزُوا فَانشُزُوا**» قيل[٢]: معناه إذا قيل لكم: ارتفعوا وتحركوا وفرقوا ووسعوا على إخوانكم، وقيل: إذا قيل: ارتفعوا فافعلوا، وكان[٣] رسول الله ﷺ يرفع أهل العلم في مجلسه، عن أبي علي. وقيل: إذا قيل انهضوا إلى الصلاة وعمل الخير والجهاد فانشزوا ولا تقصروا، وقيل: إذا نودي إلى الصلاة فقوموا إليها، وذلك أن قومًا تثاقلوا عن الصلاة فنهوا عن ذلك، وقيل: هذا في بيت رسول الله ﷺ، وكان كل أحد يحب أن يكون آخِرَ خارجٍ فيطيل المكث، فنهوا عن ذلك، عن ابن زيد. وقيل: كانوا يتناجون على القرب منه، ويكره أن يضيق عليه مجلسه، فأمروا بالتوسعة، وكان فيهم أهل ثروة يكرهون قرب الفقراء، وكانوا يحبون ملازمته، فإذا قيل لهم: انشزوا لم يفارقوا، فأمروا بذلك، والنشوز: المفارقة، عن الأصم. «**يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ**» أي: لكي يرفعهم، قيل: بطاعتهم لرسول الله ﷺ «**وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ**» بفضل علمهم وسابقتهم «**دَرَجَاتٍ**» وقيل: يرفع الله الذين آمنوا الرحمة، والذين أوتوا العلم درجات، وقيل: أراد أن ما عامل به أهل بدر مستحقون لذلك لسابقتهم[٤] وعلمهم، وقيل: المراد بالدرجات الثواب في الجنة، وقيل: هو رفعة المجلس والترتيب فيه، وقال ﷺ: «لِيَلِيَنِي منكم أولو الأحلام والنهى».

(١) المجالس: المجلس، د، ك.
(٢) قيل: +، د.
(٣) وكان: فكان، ك، ز.
(٤) لسابقتهم: لمسابقتهم، ك، ز.

ومتى قيل: كيف أمروا بالتفسح والنشوز؟

قلنا: هما في حالين، إن كان في الموضع سعة تفسحوا، وإن كان ضيق فانشزوا كي يتسع المكان.

«**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ**» من ذلك «**خَبِيرٌ**» أي: عليم، فيجازيكم بها «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ**» أي: أعلمتموه[(١)] سرًا «**فَقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَةً**» أي: تصدقوا قبل المناجاة صدقة، وفيه تعظيم النبي ﷺ، تقليل[(٢)] النجوى معه تخفيفًا عليه، ونفع للفقير، وثواب يحصل للمعطي، ورفع للأذية[(٣)] عن المسلمين لجواز أن يظن ظان أن مناجاته لأمر يقتضي شغل القلب «**ذَلِكَ خَيْرٌ**» لأن فيه أداء واجب، وتحصيل ثواب مع المنافع التي قدمنا «**وَأَطْهَرُ**» لكم «**فَإِن لَّمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**» لمن لا يجد.

ومتى قيل: هل[(٤)] كان ذلك واجبًا؟

قلنا: نعم، ثم نسخ بالآية التي بعدها، عن الحسن، وقتادة. وتلك الآية وإن اتصلت بهذه في التلاوة فيجوز أن تكون متأخرة بزمان في النزول، وروي أنه بقي زمانًا ثم نسخ، عن مقاتل. وقيل: بل كانت ساعة ثم نسخ، عن الكلبي. وقيل: عمل بها علي بن أبي طالب فقط، وقيل: بل عمل بها أفاضل الصحابة، وقيل: كان المنافقون يستثقلونه، عن أبي علي.

«**أَأَشْفَقْتُمْ**» أي: خفتم الفاقة فبخلتم بالصدقة «**أَن تُقَدِّمُوا**[(٥)] **بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ**» قيل: معناه: إذا كنتم تائبين، وأقمتم الصلاة، وآتيتم الزكاة كفاكم ذلك، وقيل: إذا لم تفعلوا ذلك وشق عليكم ذلك نسخ، فجعل

---

(١) أعلمتموه: عالمتموه، د.
(٢) وتقليل: وقليل، د.
(٣) للأذية: الأذية، ك.
(٤) هل: هلا، د.
(٥) أن تقدموا: +، ك.

ترك مؤاخذتهم بالنسخ توبة عليهم، وقيل: إذا لم تفعلوا ذلك[١] قبل توبتكم، وقيل[٢]: لطف لكم حتى تبتم «**فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**» أي: عليم بأعمالكم فيجازيكم[٣] بها.

الأحكام

تدل الآيات على وجوب التوسعة في المجلس، وهذه التوسعة تجب على من حضر أولاً لِمَنْ يحضر آخرًا، وكانوا يحضرون مجلسه لِتَعَلُّمِ الدين، فأمروا بالتوسعة للمتأخرين ليتمكَّن من سماع كلامه.

وتدل على وجوب ذلك في مجالس العلم والدين؛ لأن الآية عامة، ولأن العلة ما ذكرنا.

وتدل على أن للعالم درجات في الفضل على غيره، روي عن النبي ﷺ أنه قال: «فضل العالم على الناس كفضلي على أدناكم».

وتدل على وجوب صدقة بين يدي نجواكم مع الرسول ـ صلى الله عليه وآله وسلم.

ويدل قوله: ﴿فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا﴾ على تقصير من جهة بعضهم.

ويدل قوله: ﴿فَإِن لَّمْ تَجِدُوا﴾ على تعذر[٤] ذلك على بعضهم، ولا خلاف أنها كانت واجبة، وأنها نسخت.

ومتى قيل: كيف نسخ عنهم قبل الفعل؟

قلنا: مُكِّنُوا، ففعل من فعل، فجاز[٥].

(١) إذا لم تفعلوا ذلك: +، ز، د.
(٢) قبل توبتكم وقيل: +، ك.
(٣) فيجازيكم: يجازيكم، ك.
(٤) تعذر: بعد، د.
(٥) فجاز: فجائز، د.

ويدل قوله: ﴿وَأَطِيعُواْ﴾ أن طاعة الرسول كطاعة الله، وذلك يدل أن قوله وفعله حجة، وأنه معصوم لا يجوز عليه الكذب والخطأ، لذلك أوجب طاعته مطلقًا من غير تخصيص.

قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٱتَّخَذُوٓاْ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾﴾.

القراءة

قراءة العامة: «اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ» بفتح الألف من اليمين وهم المنافقون كانوا يحلفون أنهم مؤمنون ليسلموا، وقرأ الحسن: «إِيمَانَهُمْ» بكسر الألف من الإيمان أي: جعلوا ظاهر الإيمان جُنَّةً لهم[1]، وإلا فهم كفار في الحقيقة.

اللغة

الْجُنّة: السترة التي تقي البلية، وأصله: الستر، ومنه: المِجَنُّ: التُّرْسُ، ومنه: الجن لاستتارهم عن أعين الناس، والجنان والجنون والجنة من ذلك.

والاستحواذ: الاستيلاء على الشيء بالاقتطاع له، وأصله من حازه يحوزه حوزًا.

والحزب: الجماعة، وجمعه: الأحزاب.

---

(١) لهم: +، ك.

۞ النزول

قيل: نزلت الآيات في المنافقين تولوا اليهود، ونقلوا إليهم أسرار المؤمنين، عن قتادة، وابن زيد.

وقيل: نزلت في عبد الله بن أُبيٍّ المنافق، وكان يحضر مجلس رسول الله ﷺ، ويرفع حديثه إلى اليهود، فإذا قيل له في ذلك حلف وحلف أصحابه، عن السدي، ومقاتل.

وقيل: إن قوله: ﴿وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ ۚ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ نزلت في القدرية، عن ابن عباس، قال: والله هم القدريون، هم القدريون.

وعن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «ينادي منادٍ[1] يوم القيامة: أين خصم الله، فتقوم القدرية مسودة وجوههم يقولون: ما عبدنا شيئًا دونك»، قال ابن عباس: صدقوا، ولكن أتاهم الشرك من حيث لا يعلمون.

وقد بينا في سورة (القمر) أن القدرية هم المجبرة الذين يجعلون كل القبائح بقدره[2]. وروينا عن النبي ﷺ ما يدل عليه، وبيّنا الوجوه في ذلك، وذكرنا أن عليًّا عليه السلام بيّن بيانًا شافيًا، وفي هذا الخبر ما يدل على ذلك؛ لأن خصماء الرحمن من يضيف جميع الظلم والمعاصي إليه لا من يدرأ عنه، وينزهه عن كل قبيح، وخصماؤه من يشهد لإبليس بالبراءة، ويضيف جميع ما أتى به إلى ربه.

وعن الحسن في قوله: ﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠] قال: «يقام[3] إبليس فيقال له: لماذا لم تسجد لآدم؟ ولم كفرت؟ ولِمَ أبيت؟ فقال: إنما أتيت في ذلك من قبله تعالى، ولم يكن لي فيه ذنب، بل منعت عن السجود، وخُلق فيّ الإباء، فيقال: كذبت، فيقول: لي شهود، فينادى: أين شهود الشيطان وخصماء الرحمن، فيقوم ناس من هذه الأمة فيشهدون، فيخرج من أجوافهم دخان أسود يسود وجوههم، ويبعث بهم معه إلى النار».

(١) ينادي مناد: منادي ينادي، د.
(٢) بقدره: بقدرته، د، ز.
(٣) يقام: فقام، ك.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى أحوال المنافقين، فقال ـ سبحانه ـ: «**أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا**» يعني المنافقين تولوا اليهود «**غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ**» أيها المؤمنون «**وَلاَ مِنْهُمْ**» يعني اليهود، ولأنهم كانوا يظهرون الإسلام، ويوالون اليهود «**وَيَحْلِفُونَ عَلَى الْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ**» قيل: يحلفون للنبي والمؤمنين أنهم منهم، وهم يعلمون كذبهم، وفعل القبيح مع العلم بقبحه أعظم، وقيل: يحلفون لليهود أنهم إنما أسلموا خوفًا من المسلمين لا تحقيقًا في الدين، لاجرم «**أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا**» قيل: هو عذاب النار، وقيل: عذاب القبر في الدنيا، عن أبي علي. وقيل: أحد العذابين في القبر، والآخر[1] عذاب جهنم «**إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**» أي: بئس العمل عملهم وهو النفاق، وموالاة أعداء الله، وقيل: بئس ما عملوا إذا حلفوا كذبًا، وقيل: هو يتصل بما قبله أي: ساء ما يعملون «**اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ**» الكاذبة «**جُنَّةً**» أي: وقاية لهم[2] عن السبي والقتل «**فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**» قيل: أعرضوا عن الدين، وقيل: صدوا غيرهم بإلقاء الشبه «**فَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ**» يهينهم ويذلهم، وقد بينا ما قيل في العذابين المذكورين «**لَنْ تُغْنِيَ عَنْهُمْ**[3]» يوم القيامة من عذاب الله شيء من «**أَمْوَالُهُمْ وَلاَ أَوْلاَدُهُمْ**» الذين عصوا لأجلهم ولسببهم لن ينفعهم ذلك «**أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ**» الملازمون لها «**هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ**» دائمون «**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا**» من القبور أحياء «**فَيَحْلِفُونَ لَهُ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ**» قيل: يحلفون أنهم لم يكونوا كفارًا عند أنفسهم؛ لأن دار الآخرة لا يمكنون فيها من الكذب، عن أبي علي، وجماعة من مشايخنا. وقيل: يجوز أن يحلفوا في الآخرة كذبًا ككذب الصبي للدهش الذي يلحقهم، عن أبي بكر أحمد بن علي. وقيل: يحلفون في الآخرة أنهم كانوا في الدنيا من المؤمنين، وظنوا أن ذلك يجوز ثم كما في الدنيا، عن الحسن، والأصم. «**وَيَحْسَبُونَ**» يظنون «**أَنَّهُمْ عَلَى شَيْءٍ**» قيل: يحسبون في

(١) +، والأخر: وفي الآخر، ك.
(٢) لهم: +، ك.
(٣) لن تغنى عنهم: أن لن تغني عنهم، ك.

الدنيا أنهم على شيء فكشف الله سرهم، عن أبي علي. وقيل: يحسبون في الآخرة، عن الحسن، والأصم. «**أَلاَ إِنَّهُمْ هُمُ الْكَاذِبُونَ**» في أيمانهم وأقوالهم في الدنيا «**اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ**» أي: غلب واستولى حتى تبعوه وتركوا أمر الله ورسوله، وما دل عليه العقل والشرع، والقياس أن يقال: استحاذ؛ لأنه «استفعل»، نحو: استغاث واستقال، قلبت الواو ألفًا إلا أن هذا الحرف مفارق لأخواتها، فأخرجوا الواو كما قالوا: حيوه، «**فَأَنسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ**» قيل: عرضهم لترك ذكر الله فتركوا، ولذلك ذمهم عليه، وقيل شغلهم بوسوسته حتى نسوا ذكر الله، نسب النسيان إليه من حيث سبب إلى ذلك «**أُوْلَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ**» يعني قرناءه وأتباعه «**أَلاَ إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ**» قيل: خسروا رضوان الله ورحمته، عن أبي علي. وقيل: خسروا أنفسهم حيث أوبقوها.

۞ الأحكام

الآية تدل على المنع من موالاة[1] الكفار والظَّلَمَةِ.

وتدل على عظيم حال اليمين الكاذبة.

ويدل قوله: ﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾ أن أفعال العباد حادثة من جهتهم وليست بمخلوقة لله ـ تعالى ـ، وكيف يكون الشيطان مستحوذًا والله خالق ذلك الاستيلاء، ولأنه جعل الخلق صنفين: حزب الله وحزب الشيطان، وهو الخالق لما يظهر من الفريقين، فكيف يصح ذلك؟

وتدل على معجزة لنبينا ﷺ، حيث أخبر عن أسرارهم التي لا يطلع عليها إلا الله، فلم يُعْلم ذلك إلا بوحي.

---

(١) موالاة: مولاة، د.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُوْلَٰٓئِكَ فِي ٱلۡأَذَلِّينَ ۝٢٠ كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغۡلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٞ ۝٢١ لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٖ مِّنۡهُۖ وَيُدۡخِلُهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَاۚ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُۚ أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٢٢﴾.

القراءة

قرأ أبو بكر عن عاصم: «عَشِيَراتِهِمْ» بالألف وكسر التاء على الجمع، الباقون: «عَشِيَرتَهُمْ» بغير ألف وفتح التاء على واحد، وهو رواية حفص عن عاصم، ورواية عن أبي[1] بكر عن عاصم.

قراءة القراء: «كَتب» بفتح الكاف، «الإيمانَ» بفتح النون يعني كتب الله الإيمان اعتبارًا بقوله: ﴿وَأَيَّدَهُم﴾، ﴿وَيُدۡخِلُهُمۡ﴾ وهو الوجه في نسق[2] الكلام، وروى المفضل[3] عن عاصم: «كُتب» بضم الكاف «الإيمانُ» بالرفع على ما لم يسم فاعله.

اللغة

المحادة: المخالفة، وأصل الحد: المنع، ومنه: الحدّ؛ لأنه يمنع من المعاصي، وقيل: سميت المخالفة محادة؛ لأنه يصير في حد غير حد صاحبه، عن أبي علي.

والغلبة: قهر المنازع حتى يصير في حكم الذليل.

والقوة: القدرة، والقوي: القادر.

(١) أبي: -، ك.
(٢) نسق: ونسق، ك.
(٣) المفضل: الفضل، ك.

والموادّة: الموالاة بالنصرة[1] والمحبة.

والأَيْدُ: القوة، وأيّده: قوّاه، ومنه: ﴿ذَا ٱلْأَيْدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

۞ الإعراب

(آباءهم، وأبناءهم، وإخوانهم، وعشيرتهم) نصب كلها على خبر (كان)، والأسماء مضمرة في الواو في قوله: **(كانوا)**.

۞ النزول

قيل: نزل[2] قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ﴾ في قصة جرت بين عبد الله بن أُبَيٍّ وبين المؤمنين، وذلك أنهم قالوا: إن فتح الله لنا مكة وخيبر وما حولها ونرجو أن يظفرنا الله على فارس والروم، فقال عبد الله بن أبيّ: أتظنون فارس والروم كبعض القرى التي غلبتم عليها، لهم أكثر عددًا، وأشد بطشًا من ذلك، فأنزل الله تعالى: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِيٓۚ﴾.

فأما قوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ الآية، قيل: نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى أهل مكة ينذرهم بمجيء رسول الله ﷺ[3] على حريمهم، وأعلم الله تعالى نبيه ﷺ، فقال ابنه[4]: أبق فضلة[5] من شرابك أَسقِها[6] أبي لعل الله يطهر قلبه، فأتى بها[7] أباه فقال: ما هذا؟ قال: بقية شراب رسول الله ﷺ[8]، جئتك بها لتشربها لعل الله يطهر قلبك، فقال: هلا جئتني ببول أمك، فرجع إلى النبي ﷺ وقال: ائذن لي في قتله، فقال: «بل ترفق به»، عن السدي.

---

(١) بالنصرة: لأنه بالنصرة، د، ك.
(٢) نزل: نزلت، د، ك.
(٣) صلى الله عليه: -، ك.
(٤) ابنه: -، ك.
(٥) فضلة: وصلة، د.
(٦) أسقها: أسقيها، ث، د، ك.
(٧) بها: +، ك.
(٨) صلى الله عليه: -، ك.

وقيل: نزلت في أبي بكر وأبيه أبي قحافة، فإن أبا قحافة سبّ رسول الله ﷺ، فصكه أبو بكر صكّة سقط منها، ثم ذكر ذلك للنبي ﷺ، وقال: لو كان معي سيف لقتلته، وفيه نزلت الآية، عن ابن جريج.

وقيل: نزلت في جماعة من الصحابة ﴿وَلَوْ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمْ﴾ يعني أبا عبيدة بن الجراح قتل أباه يوم أحد، ﴿أَوْ أَبْنَآءَهُمْ﴾ يعني أبا بكر دعا ابنه إلى البراز يوم بدر، فنهاه رسول الله ﷺ، وقال: «أما تعلم أنك عندي بمنزلة سمعي وبصري»، ﴿إِخْوَٰنَهُمْ﴾ مصعب بن عمير قتل أخاه عبيد بن عمير يوم أحد، ﴿أَوْ عَشِيرَتَهُمْۚ﴾ عمر[1] قتل خاله[2] العاص بن هشام بن المغيرة يوم بدر.

❁ المعنى

لما تقدم ذكر حزب الشيطان وبَيَّنَ حالهم، عقبه بذكر حزب الله وأن الغلبة لهم، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ**» قيل: يشاقون، عن مجاهد. أي: يخالفونه وكانوا من حزب الشيطان وهم المنافقون «**أُوْلَئِكَ فِي الأَذَلِّينَ**» في الجملة[3] المتناهين في الذل والخزي، فهم أذل خلق الله «**كَتَبَ اللَّهُ**» قيل: قضى ووعد، وقيل: كتب في اللوح المحفوظ وما كتب ووعد لا بد من كونه كما أخبر، قال قتادة: إن الله كتب كتابًا فأمضاه. «**لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ**» قادر، أي: قادر على نصر أوليائه، عزيز في الانتقام من أعدائه، لا يمتنع عليه شيء من ذلك «**لاَّ تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ يُوَادُّونَ**» أي: يوالون «**مَنْ حَادَّ اللَّهَ**» أي: خالفه وخالف رسوله، قيل: لا تجتمع موالاة الكفار مع الإيمان، وإنما أراد الموالاة في الدين فقط، لا يوالي المؤمن في الدين كافرًا، وقيل: موالاته تحبط إيمانه فلا يجتمع معه، و"**لاَّ تَجِدُ**» نفي وليس بنهي «**وَلَوْ**[4] **كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ**» أي: وإن قربت قراباتهم منه، فلا يوالونهم إذا خالفوهم في الدين.

(١) عمر: عمرو، ث، د.
(٢) خاله: أخاه، ث، د، ظ.
(٣) في الجملة: -، ك.
(٤) ولو: وإن، د.

ومتى قيل: أيجوز معاشرتهم؟

قلنا: نعم، المراد بالآية ما ذكرنا.

«**أُوْلَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الإِيمَانَ**» قيل: جعل بحكمه كأنه مكتوب فيه، وتقديره: حكم لهم بالإيمان، وقيل: كتب بأن جعل لهم سمة تدل من عاينها أنهم من أهل الإيمان، وقيل: ثبته في قلوبهم بلطفه، عن الحسن. وقيل: كتب للملائكة[1] في اللوح المحفوظ أن قلوبهم بصفة الإخلاص «**وَأَيَّدَهُمْ**» قواهم «**بِرُوحٍ مِنْهُ**» قيل: بنصر منه، عن الحسن. وقيل: بالإيمان، عن السدي. وقيل: بالقرآن، عن الربيع. وقيل: بنور وهدى وبرهان، عن ابن جرير. وقيل: برحمة، وقيل: بجبريل في كثير من المواطن «**وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ**» لما أطاعوه وعبدوه «**وَرَضُوا عَنْهُ**» بما أتاهم به «**أُوْلَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ**» قيل: جنده، وقيل: حزب الله الجَمْعُ الذين اصطفى الله، عن الزجاج. وقيل: أتباع أوامره «**أَلاَ إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**» الظافرون بالمطالب.

۞ الأحكام

يدل قوله: ﴿كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ أن الغلبة للمؤمن، وقد يكون ذلك بالحجة وبالقهر وبالثواب.

ويدل قوله: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا﴾ أن صفة المؤمن ألاَّ يوالي أعداء الله.

وتدل أن شفاعة الرسول لا تكون للفساق؛ لأنهم أعداء الله، وفي الشفاعة لهم موالاة لهم.

---

(١) للملائكة: الملائكة، ك.

تكملة الحديث الثعلبي، الكشف والبيان، ١٣/ ١٨١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ٩/ ٣٨٣.

سُورَةُ الحَشْرِ

سورة (الحشر)، مدنية، وهي أربع وعشرون آية.

وعن ابن عباس، عن النبي ﷺ: «من قرأ سورة (الحشر) لم يبق [جنّة ولا نار ولا عرش ولا كرسي ولا حجاب ولا السموات السبع ولا الأرضون السبع والهوام والرياح والطير والشجر والدواب والجبال والشمس والقمر والملائكة] إلا صلّوا عليه [واستغفروا له]، فإن مات من يومه أو ليلته مات شهيدًا»[1].

ولما ختم سورة (المجادلة) بأن الناس طائفتان: طائفة حزب الله وهم الغالبون، وطائفة حزب الشيطان، افتتح هذه السورة بذكر ما نصر به[2] حزبه، وقهر حزب الشيطان، وما نالهم من الجلاء والخزي، وما نال المسلمين[3] من النصر والفتح.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ① هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخْرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمْ لِأَوَّلِ ٱلْحَشْرِۚ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَۚ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِي ٱلْأَبْصَٰرِ ② وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِي ٱلدُّنْيَاۖ وَلَهُمْ فِي ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ③ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ④ مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ ⑤﴾.

---

(1) تكملة الحديث الثعلبي، الكشف والبيان ١٣/ ١٨١؛ الطبرسي، مجمع البيان، ٩/ ٣٨٣.

(2) به: -، ك.

(3) المسلمين: المؤمنين، ك.

۞ القراءة

قرأ أبو عمرو: «يُخَرِّبُون» بالتشديد من التخريب، وهي قراءة الحسن، وأبي عبد الرحمن السلمي، وقرأ الباقون: «يُخْرِبُونَ» بالتخفيف من أَخْرَبَ يُخْرِبُ، قيل: هما بمعنى، وقيل: التخفيف بمعنى ينتقلون عنها، ويعطلونها، وبالتشديد: يهدمون، قال أبو عمرو: وإنما[1] اخترت التشديد؛ لأن الإخراب: تَرْكُ الشيء خرابًا من غير ساكن، وأن بني النضير لم يتركوا منازلهم عند الارتحال عنها، ولكن هدموها، وخربوها.

قراءة العامة: «ومن يشاقّ» بقاف واحدة مشددة على الإدغام، وعن طلحة بن مصرف بقافين على الإظهار، كالتي في (الأنفال).

۞ اللغة

التسبيح: التنزيه والبراءة من السوء.

والحشر: الجمع مع سَوْقٍ، ومنه: ﴿وَحَشَرْنَٰهُمْ﴾ [الكهف: ٤٧] وكلُّ جَمْعٍ حَشْرٌ.

والحصن: البناء العالي المنيع، وجمعه: حصون، وتحصن فلان: أمتنع بدخوله الحصن.

والاعتبار: النظر في الشيء، والمعنى: اعتبروا لتستدلوا بما شاهدتم على ما غاب عنكم.

والعابر: الناظر في الشيء، ومنه: تعبير الرؤيا؛ لأنه ينظر ويعتبر، فيخبر[2] بما يؤول إليه أمره، والعِبْرَةُ: الدليل.

والجلاء: الخروج عن المنازل، جلا القوم عن مواضعهم جلاء، وأجليته إجلاءً.

واللين: جمع لِيَنةٍ، وهي النخل، وأصله: اللون، قلبت الواو ياء لسكونها، وانكسار ما قبلها.

---

(١) وإنما: إنما، ك.

(٢) فيخبر: فينظر، ك.

❁ الإعراب

(يشاق) كسر القاف[1] لاجتماع الساكنين.

(ديارهم) وأصله: دِوَارِهِمْ؛ لأنه من الدور، إلا أن الواو صارت بين كسرة وألف، فقلبت ياء كالحِياض والسِّيَاط.

❁ النزول

قيل: نزلت السورة في إجلاء بني النضير من اليهود، فمنهم من خرج إلى خيبر، ومنهم من خرج إلى الشام، عن مجاهد، وقتادة. وذلك أن بني النضير صالحوا رسول الله ﷺ، وعاهدوه، فلما كان يوم أُحُدٍ، ونال المسلمين ما نال، نقضوا العهد، وأتى رئيسهم كعب بن الأشرف مع أربعين فارسًا مكة، وعاقدوا مع أبي سفيان على أن يكونوا يدًا واحدة على محمد، وخرج رسول الله ﷺ إليهم ليستعين بهم في دية الرجلين اللذين قتلهما عمرو بن أمية الضمري، فأجابوه وأجلسوه وهَمُّوا به[2]، فأخبره جبريل، فانصرف عنهم، وأمر بقتل كعب بن الأشرف، فقتله محمد بن مسلمة وكان أخاه من الرضاعة، فلما أصبح أمر الناس بالمشي إلى بني النضير، وحاصرهم وحاربهم، وبعث إليهم عبد الله بن أبي والمنافقون أنهم ينصرونهم، فحاربوا رسول الله، فحاصرهم إحدى وعشرين ليلة، وألقى الله في قلوبهم الرعب، فسألوا أن يصالحهم على أن يحمل كل أهل ثلاثة بيوت على بعير ما شاؤوا، عن ابن عباس. وقيل: كل ثلاثة بعيرًا، عن الضحاك، وأخذوا يخربون بيوتهم، ثم خرجوا إلى الشام إلا آل حيي[3] بن أخطب، وآل أبي الحقيق[4]، فإنهم خرجوا إلى خيبر، وما بقي من أموالهم كان لرسول الله ﷺ، ففيهم نزلت هذه السورة.

---

(١) كسر القاف: كرر الراء، ك.

(٢) به: له، ك.

(٣) آل حيي: آل جرير، د.

(٤) في د: الحيق؛ ك: إلا ابن الحقيق.

المعنى

«سَبَّحَ لِلَّهِ» أي: نَزَّهَهُ كل شيء بأن دل على توحيده وعدله، فكأنه ينطق بتنزيهه «مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ» القادر الذي لا يمتنع عليه شيء «الْحَكِيمُ» العالم بالأشياء، وقيل: المحكم لأفعاله «هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعني بني النضير، كانوا بقرب المدينة «مِنْ دِيَارِهِمْ» حصونهم وأوطانهم، قال ابن إسحاق: كان إجلاء بني النضير حين[١] رجع رسول الله ﷺ من أُحُدٍ، وفتح قريظة منصرفه من الأحزاب، وبينهما سنتان «لِأَوَّلِ الْحَشْرِ» أي: لأول الجمع للإخراج، قيل: أول حشر اليهود إلى أرض الشام، وثاني الحشر حشر الناس يوم القيامة إلى الشام أيضًا، عن ابن عباس، والزهري، وأبي علي، وجماعة. قال ابن عباس: قيل لهم: اخرجوا، قالوا: إلى أين؟ قيل: إلى أرض المحشر، وقيل: إنما قال (أول الحشر)؛ لأنهم أول من حشر من أهل الكتاب، ونفوا من الحجاز، ثم تبعهم إخوانهم من يهود خيبر وغيرهم، يعني أول من أخرج من بلاد العرب، ثم يخرج الباقون لئلا يجتمع في جزيرة العرب دينان، وقيل: هو أول الحشر من المدينة، والثاني من خيبر، وجمع جزيرة العرب في أيام عمر، عن مرة الهمداني. وقيل: هو أول الحشر إلى الشام، والثاني من المشرق إلى المغرب، وإنما ذكر الحشر؛ لأن الإخراج قد يكون مجتمعًا، وقد يكون متفرقًا، فهؤلاء[٢] جمعوا، وأخرجوا «مَا ظَنَنْتُمْ» أيها المؤمنون أنهم يخرجون من ديارهم لشدتهم وشوكتهم وحصونهم «وَظَنُّوا» توهموا أنهم يقدرون على الامتناع بحصونهم، وأن حصونهم منعتهم من الله ورسوله[٣] حيث حصنوها وهيئوا الآلات للحرب «فَأَتَاهُمُ اللَّهُ» يعني أتى اليهود أمر الله وعذابه «مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا» وقيل: خذلان الله أتاهم، فألقى الرعب في قلوبهم، وقيل: أراد به المسلمين، أي[٤]: أتاهم نصر الله من حيث لم

(١) حين: +، ك.
(٢) متفرقًا هؤلاء: مفترقا فهو، د.
(٣) ورسوله: ورسول الله، ك.
(٤) أراد به المسلمين أي: أراد بالمسلمين أو، ك.

يحتسبوا، وقيل: أتى العجيب[١] من أمر الله، وهو ما لحقهم من الخوف[٢]، فعميت عليهم المذاهب، فخربوا بيوتهم، وذلك من إعزاز الأنبياء: أن يخرب بيته بِفَنْيٍ أو مَوْتٍ[٣]، عن أبي مسلم. «**وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ**»، يعني اليهود «**الرُّعْبَ**» يعني الخوف، قيل: بقتالهم، وقيل: بقتل كعب بن الأشرف سيدهم، وقيل: بإلقاء الرعب في قلوبهم كما يفعل بجميع الكفار، وعن النبي ﷺ: «نصرت بالرعب»، «**يُخْرِبُونَ**» يهدمون «**بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ**» قيل: كانوا يخربون كل ما[٤] يمكنهم، وكل ما استحسنوا؛ حسدًا أن يأخذه[٥] المسلمون، عن ابن زيد، والضحاك. وقيل: كان المسلمون يهدمون[٦] بيوتهم لتتسع لهم المَقَاتِلُ، وهم يخربون في داخلها، عن ابن عباس. وقيل: كان المسلمون يخربون ما يليهم، وهم يخربون داخلها، وإنما أضاف تخريب المسلمين إليهم قيل: لأنه بسبب[٧] كفرهم[٨]، وقيل: لأنهم مكَّنوهم منها بترك القتل، وقيل: استعانوا[٩] بقوم من المسلمين بينهم حلف، فخربوا وأظهروا المباعدة، وقصدوا التقرب إلى الله تعالى، عن أبي مسلم. «**فَاعْتَبِرُوا**» بهذا لتعلموا كيف فتح الله عليهم تلك الحصون، وكيف خربوا[١٠]، وقيل: اعتبروا، ولتعلموا أن النصر من عند الله، وأن القلة لا تَضُرُّ، عن أبي مسلم. وقيل: استدلوا به على صدق الرسول؛ إذ كان أخبر بذلك، فوجد مخبره بحسب خبره، وقيل: اعتبروا لتعلموا عواقب الغدر والجحود، وقيل: اتعظوا، فلا تفعلوا مثل أفعالهم «**وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَاءَ**» قيل: الانفصال[١١] من الأوطان «**لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا**» قيل: بالقتل

(١) العجيب: العجب، ك.
(٢) الخوف: الحرب، ك.
(٣) بفني أو موت: بفني ومات؛ د، ك.
(٤) كل ما: ما، د.
(٥) يأخذه: يأكل خيرها، د، يأخذها، ك.
(٦) يهدمون: يخربون يهدمون، د.
(٧) بسبب: لسبب، د.
(٨) لأنه بسبب كفرهم: -، ز.
(٩) استعانوا: استغاثوا، ز.
(١٠) خربوا: أخربوا، ك.
(١١) الانفصال: الانتقال، ز، ك.

والأَسْر[١]، وقيل: بعذاب الاستئصال، وكان الجلاء أصلح في التدبير، وكان أحدهما[٢] كالآخر في الصلاح «وَلَهُمْ فِي الآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ» قيل: لأن أحدًا منهم لم يؤمن[٣]، وقيل: بشرط الإصرار وترك التوبة «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ» يعني الجلاء منهم «شَاقُّوا اللَّهَ» أي: خالفوه وصاروا في شق بعيد من شق المؤمنين «وَمَنْ يُشَاقِّ اللَّهَ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ. مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ» قيل: أمر رسول الله ـ صلى الله عليه ـ بقطع نخيلهم، فقالت اليهود: زعمت يا محمد أنك تريد الصلاح، أفمن الصلاح قطع النخيل؟ واختلف المسلمون، فقطعوا بعضًا، وتركوا بعضًا، فصوَّبهم في الفعلين، وقيل: قالوا: دَعُوهُ فإنه لمن غلب، فتركه بعضهم. «مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ» قيل: كل نخلة سوى العجوة، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: هو أنواع النخل، عن مجاهد، وابن زيد، وأبي مسلم. وقيل: كرام النخل، عن سفيان. وقيل: هو النخل سمي بذلك للين ثمرتها، وقيل: ضرب من النخل، عن مقاتل. «أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أُصُولِهَا» سوقها فلم تقطعوها، ولم تقلعوها «فَبِإِذْنِ اللَّهِ» أي: بأمره «وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ» أي: يذلهم، فإن تفريق مال الأعداء، وتخريب بيوتهم يذلهم ويوهن أمرهم.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أن خروجهم لم يكن لقلة، ولكن بنصر الله[٤]، وإلقاء الرعب في قلوبهم.

وتدل أن ما فعله عمر بن الخطاب ﷺ من إجلاء أهل الكتاب من جزيرة العرب هو الذي يقتضيه الشرع والكتاب والسنة، فقد قال ﷺ: «لا يجمع في جزيرة العرب دينان».

(١) والأسر: الشد، د، ك، وللأسر، ز.
(٢) وكان أحدهما: وكان كل واحد، ك.
(٣) يؤمن؛ يؤمنوا؛ ث، د، ز، ك.
(٤) لم يكن لقلة ولكن بنصر الله: لم يكن من قلة، ولكن لنصره الله، ز؛ ولم يكن عن قلة، ولكن لينصره الله، ك.

ويدل قوله: «**فاعتبروا**» على الحث على الاستدلال والنبوة، والتمسك به، والإيمان الموجب للنصرة، وترك المخافة الموجبة للنقمة.

واستدل أبو العباس بن شريح بالآية على صحة القياس، إلا أن ما تقدم وما تأخر لا يليق بذلك.

ويدل قوله: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّواْ ٱللَّهَ[1]﴾ أي: ما فعل بهم[2] جزاء على أعمالهم.

وتدل أن الجزاء يستحق بالعمل.

وتدل أن الشقاق حادث من جهتهم، فيبطل قول المجبرة في جزاء الأعمال والمخلوق.

ويدل قوله: «**ما قطعتم**» الآية أن جميع ما فعلوه كان بأمره تعالى.

وتدل أن قطع الشجر وتخريب البيوت مضارة للكفار مما يجوز في الشرع، وروي «أن النبي ﷺ كان يأمر بقطع النخل إلا العجوة»، وعن جابر: العجوة من الجنة، وقال بعضهم: لذلك لم يقطع[3]، وقال بعضهم: لم يقطع لمصلحة رآها، وهو أوجه.

وتدل على أنه يجوز أن يجتهد اثنان، فيؤدي اجتهادهما إلى أمرين مختلفين، ويكون كل واحد منهما حقًا وصوابًا؛ ألا ترى أن بعضهم اجتهد فقطع وذهب إلى أنه يوهن أمر الكفار ويغيظهم ويضارهم، فكان هذا وجهًا في الاجتهاد، واجتهد بعضهم فلم يقطع ظنًا أنه يصير للمؤمنين في الحال أو في الثاني، فنزلت الآية بتصويب القولين؛ ليدل على أن كل مجتهد مصيب.

وذكر أبو مسلم قال: روي أن رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ[4] كان أحدهما

---

(١) الله: -، ك.

(٢) ما فعل بهم: ما فعلتم، ز؛ ما جعلتهم، ك.

(٣) وقال بعضهم لذلك لم يقطع: -، ك.

(٤) صلى الله عليه وآله وسلم: -، ك.

يقطع العجوة، والآخر يقطع سائر النخيل سوى العجوة، فَسُئِلاَ عن ذلك، فقال الأول: أغيظ الكفار، وقال الآخر: بقيته[1] للنبي ﷺ والمؤمنين، فنزلت الآية بتصويبهما.

قوله تعالى:

﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡهُمۡ فَمَآ أَوۡجَفۡتُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ خَيۡلٖ وَلَا رِكَابٖ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٦ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ مِنكُمۡۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ۝٧ لِلۡفُقَرَآءِ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأَمۡوَٰلِهِمۡ يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ۝٨ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ مِن قَبۡلِهِمۡ يُحِبُّونَ مَنۡ هَاجَرَ إِلَيۡهِمۡ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمۡ حَاجَةٗ مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤۡثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ وَلَوۡ كَانَ بِهِمۡ خَصَاصَةٞۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفۡسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ۝٩ وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ ۝١٠﴾.

القراءة

قرأ أبو جعفر: «**كيلا تكون**» بالتاء «**دولةٌ**» بالرفع على تقدير: كيلا تكون الغنيمةُ دولةً، «فدولة» اسم (كان)، و(كان)[2] بمعنى: وَقَعَ ووجب، والقراء كلهم بالياء، «**دولةً**» بالنصب، أي: كيلا يكون الفيء دولة بالفيء، وقرأ السلمي بفتح الدال، قال عيسى بن

---

(١) بقيته: بقية، ز؛ أبقيه، ك.

(٢) وكان: فكان، ز، ك.

عمر: هما لغتان بمعنى واحد، وقال غيره: بينهما فَرْقٌ، والدَّوْلَةُ بالفتح: الظفر والغلبة في الحرب وهي مصدر، والدُّولة بالضم: اسم الشيء يتداوله الناس بينهم مثل العارية، وقيل: بالفتح: المرة من الاستيلاء، وبالضم: نقل النعمة من قوم إلى قوم.

اللغة

الفيء: أصله الرجوع، فالفيء ما يرجع[١] من مال الكفار إلى المسلمين، فاء يفيء فيئًا: إذا رجع، ومنه: فاء الظِلّ[٢] [وهو] الرجوع من المشرق إلى المغرب.

والإِيجَافُ: الإزعاج[٣] في السير، وهو سَيْرٌ مع سرعة، وَجَفَ يَجِفُ وجِيفًا: إذا تحرك باضطراب، ومنه: قلب واجف، أي: مضطرب، والوَجِيفُ[٤]: سرعة السير، وأوجفها راكبها إيجَافًا[٥]، ومنه: ﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ﴾ [النازعات: ٨] أي: تضطرب من هول يوم القيامة.

بوأته منزلاً: إذا أسكنته إياه، وقيل: المباءة المنزل.

والخصاصة: الإملاق، وكل ثُلْمَةٍ خصاصة، وأصله الاختصاص، وهو الانفراد بالأمر كأنه انفرد عما يحتاج إليه، ومنه: الاختصاص، والخاصة انفراد المعنى، وقيل: الخصاصة والخَلَّةُ سواء، وأصله الفرجة، يقال للقمر: بدا من خَصَاصَةِ الغيم أي: فرجته، ومنه سمي الخُصُّ، وهو البيت من القصب؛ لما فيه من الفرجة، والخَصَاصُ: الفُرَجُ بين الأَثَافِيّ.

والشح والبخل واللُّؤْم نظائر، والشح: بُخْلٌ مع حرص، وتَشَاحَّ القومُ على الأمر، ورجل شحيح، وقوم أَشِحَّةٌ، وزَنْدٌ شَحَاحٌ: لا يُورِي، والشح في الشرع: مَنْعُ الواجب.

---

(١) ما يرجع: ما رجع، ز، ك.
(٢) فاء الظل: الفي لظل، د، ز، ث، ك.
(٣) الإزعاج: الإنزعاج، ك.
(٤) والوجيف: الوجيف، ك.
(٥) إيجافًا: إرجافًا، د.

الإعراب

«يوق» جزم؛ لأنه مجازاة، وعلامة الجزم ذهاب الألف؛ لأن الأصل[1] يُوقَى.

ونصب «شح» لأنه قام مقام المفعول.

و«الذين» يقوم مقام الفاعل المضمر.

النزول

قيل: لما خرج بنو النضير من ديارهم، سأل[2] المسلمون قسمة أموالهم، فنزلت الآية، وجعل ذلك لرسول الله ﷺ، يحكم فيها ما شاء.

وقيل: لما فتح رسول الله ﷺ بني النضير جمع الأنصار، فاعتذر إليهم بحسن فعالهم مع المهاجرين، ثم قال: «إن شئتم قسمت بينكم والمهاجرون في بيوتكم كما كانوا، وإن شئتم خصصتهم بها ويخرجون من بيوتكم»، فنادوا[3] كلهم من كل جانب أن تقسمها بينهم ويكونون في بيوتنا ودورنا كما كانوا، فأعطاهم الفيء، فآثروا به المهاجرين، فنزل فيهم: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾[4] الآية.

وقيل: نزلت في أهل بيت من الأنصار كان لهم رأس غنم مشوي، فأهدوا إلى غيرهم، وقالوا: إنه أَجْوَعُ، فبعث الثاني إلى الثالث، والثالث إلى رابع حتى تداول بين سبعة أنفس، عن أنس بن مالك.

وقيل: نزلت في سبعة عطشوا يوم أحد، فجاء بماء يكفي لأحدهم، فقال أحدهم[5]: ناول فلانًا، حتى طِيفَ على سبعتهم، وماتوا، ولم يشرب أحد، فأثنى الله عليهم.

---

(١) الأصل: أصله، ز، ك.
(٢) سأل: فنال، ك.
(٣) فنادوا: فبادروا، د.
(٤) ولو كان بهم خصاصة، -، ك.
(٥) أحدهم: واحد، ز، ك.

وقيل: نزلت في قصة رجل جاء إلى رسول الله ﷺ فقال[١]: أطعمني فإني جائع، فبعث إلى أهله، ولم يكن عنده شيء، فقال: «من يضيفه هذه الليلة»؟ فأضافه رجل من الأنصار، وأتى به إلى[٢] منزله[٣] ولم يكن عنده إلا قوت صبية له، فأتوا به إليه، وأطفئ[٤] السراج، وأخذ هو وامرأته يلوكان[٥] نبتًا، وأناما الصبية جياعًا، [وجعلا] يمضغان[٦] [ألسنتهما] بِعَلَكٍ لكي[٧] يسمع الضيف، ففيهم نزلت الآية.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال أموال بني النضير وحال الفيء وكيف[٨] يقسم، فقال سبحانه: «**وَمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أَوْجَفْتُمْ**[٩]» أي: مما يرجع إليهم[١٠] من مال بني النضير «**فَمَا أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ**» أي: وضعتم «**مِنْ خَيْلٍ وَلاَ رِكَابٍ**» الخيل: الفرس، والركاب: الإبل التي[١١] تركبها الرجالة، يعني لم يكن بقتال ولا بتكلف مشقة ولا مؤنة، وإنما صار للمسلمين بما أوقع الله في قلوبهم من الرعب فخرجوا وتركوا أموالهم، وقيل: مَشْوا[١٢] إليها، ولم يركب أحد سوى رسول الله ﷺ، وقيل: لم يحاربوا؛ ولكن فتحها رسول الله ﷺ صلحًا وإجلاءً لهم[١٣]، وأخرب أموالهم «**وَلَكِنَّ اللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ**» ففتحها بغير قتال «**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. مَا أَفَاءَ**

(١) فقال: وقال، ز، ك.
(٢) إلى: +، ز.
(٣) منزلة: بمنزله، د.
(٤) وأطفئ: وأطفئت؛ ث، ز، د، ك.
(٥) يلوكان: يتلوكان، د.
(٦) يمضغان: يسوغ، ث، ز، د، ك.
(٧) لكي: لا، ث، د، ز، ك.
(٨) وكيف: كيفية؛ ز، ك.
(٩) فما أوجفتم: -، ك.
(١٠) أي مما يرجع إليهم: أي ما رجع إليه، ك.
(١١) التي: الذي؛ ث، ز، د، ك.
(١٢) مشوا: يحبوا، ز، د.
(١٣) وإجلاءً لهم: وإجلاءهم، ك.

اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى» واختلفوا في الفيء في الآيتين، فقيل: المراد بالأول ما فتح صلحًا، وبالثانية خمس الغنائم، عن أبي علي. وقيل: بل المراد بالأول الفيء، فبين في الآية الأولى أن حكم ذلك إلى الرسول يقسم كما يشاء؛ ولذلك كان ينفق على نفسه وعياله ووجوه البر والكراع وغير ذلك، ثم بَيَّنَ في هذه الآية مصرف الفيء، ومن يجوز صرفه إليه، ومن دَفْعُهُ إليهم لا يجوز، والمراد بالآيتين ما فتحه صلحًا وصار فتح المسلمين بغير قتال، وقيل: المراد بالآية الأولى الفيء، وهو ما فَتَحْتَ صلحًا، وبالآية الثانية المراد به الغنيمة، وهو ما صار إلينا عنوة، وكانت في صدر الإسلام لهؤلاء الأصناف، ثم نسخت بالآية في سورة (الأنفال) بالخمس، والباقي للمحاربين، عن قتادة. والصحيح أن الأول هو الفيء، والثاني خمس الغنيمة على ما قاله أبو علي؛ لأن فيه تكثير الفائدة من غير نسخ «**فَلِلَّهِ**[1]» قيل: جميع الأشياء لله، فلا يختص بسهم، وذكر اسمه إما للتبرك والاستفتاح باسمه، أو لأن حكمها إليه يحكم فيها كما شاء، وقيل: بل السهم المضاف إليه يصرف إلى أعمال البر «**وَلِلرَّسُولِ**» قيل: أضاف إليه؛ لأن تدبيرها إليه، وقيل: كان له سهمٌ سقط بموته، وقيل: بل يصرف إلى الخليفة، وقيل: إلى مصالح المسلمين «**وَلِذِي الْقُرْبَى**» يعني قرابة النبي ﷺ، ولا خلاف أنه كان له سهم، ثم اختلفوا، فقيل: لهم سهم ثابت استحقاقه بالفقر، عن أبي حنيفة. وقيل: كان لهم سهم في أيام الرسول لاهتمامه بشأنهم، سقط بموته، وقيل: كان استحقاقه بالنصرة في أيامه وبعده بالفقر، عن أبي بكر الرازي. وقيل: استحقاقه بالاسم يقسم كما تقسم المواريث، عن الشافعي. وقيل: يدفع إليهم، يستوي فيه الغني والفقير من كان منهم على نصرة الحق، عن الهادي عليه السلام. وإلى هذا أشار رسول الله ﷺ لما أعطى بني هاشم وبني المطلب، ولم يعط بني أمية وبني نوفل، فجاء جبير بن مطعم وعثمان بن عفان، وقالا: لا ننكر نحن فضل بني هاشم لمكانك منهم، ولكن نحن وبنو المطلب كهاتين، فلم أعطيتهم وحرمتنا؟ فقال ﷺ:

(١) فلله: والله، ك.

«لأنهم لم يفارقوني في جاهلية ولا إسلام»، وقيل: «إنه أعطى العباس وكان غنيًا»، وقيل: «أعطاه ليقسم على فقراء بني هاشم»، «**وَالْيَتَامَى**» وهم أهل الحاجة من المسلمين ممن لا أبًا له «**وَالْمَسَاكِينِ**» المحتاج الذي لا شيء له، وقيل: الفقير[(١)] الذي له بُلْغَةٌ «**وَابْنِ السَّبِيلِ**» المنقطع عن ملكه[(٢)] من المسافرين «**كَيْ لاَ يَكُونَ**» الفيء «**دُولَةً بَيْنَ الأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ**» أي: تتداولها أيديهم، فيستبدوا به، ويغلبوا الفقراء عليه، كما كان في الجاهلية يأخذ الرئيس ما شاء «**وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ**» من الغلول وغيره «**فَانْتَهُوا**»، عن الحسن. وقيل: الشرع إليه تبليغه «**وَمَا آتَاكُمُ**»: أَمَرَكُمْ فأطيعوه، «**وَمَا نَهَاكُمْ**» فانتهوا، وقيل: التدبير إليه فما[(٣)] أمركم فأطيعوه، وما نهاكم عنه فانتهوا، وفي هذا إشارة إلى أن التدبير إلى الأئمة، ولهذا قسم رسول الله ﷺ خيبر، ومَنَّ على أهل مكة، وميّز[(٤)] عمرُ على أهل السواد[(٥)]، ووظف عليهم الخراج، ولم يقسمها لما رأى من المصلحة فيه، ولما علم أن التدبير إلى الأئمة، ولهذا وافقه الصحابة على ذلك، ولهذا سوى أبو بكر القسمة، وفضل عمر أهل السوابق، ومنّ رسول الله على أهل خيبر في رقابهم، وأجلى بني النضير وبني قينقاع وأعطاهم شيئًا من المال. «**وَاتَّقُوا اللَّهَ**» أي: اتقوا عذابه بمخالفة أمره وأمر رسوله «**إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**» لمن خالف، «**لِلْفُقَرَاءِ**» يعني الفيء الذي يمنع أن يكون دولة بين الأغنياء إنما هو لهؤلاء المذكورين.

ثم بدأ بالمهاجرين، فقال سبحانه: «**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ**» وهم الذين هاجروا إلى المدينة من مكة، وبَيَّنَ ما نالهم في الدين، فقال ـ سبحانه ـ: «**الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ**» وفارقوا، فبقوا في المدينة غرباء[(٦)] فقراء «**يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ**

(١) الفقير: للفقير، د.
(٢) ملكه: ماله، ك.
(٣) فما: فيما، ز، د.
(٤) وميز: ومن، ك.
(٥) السواد: والسوابق، د.
(٦) غرباء: عزابا و، ك.

وَرِضْوَانًا» أي: يطلبون بما فعلوا فضل الله ورضاه، قيل: الفضل: ما يتعلق بالدين من الطاعة، وبالدنيا من الظفر والغنيمة، وقيل: بل هو الثواب في الجنة **«وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ»** أي: دين الله **«وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ»** في إيمانهم.

ثم ثَنَّى بالأنصار، فقال ـ سبحانه ـ وتعالى ـ: **«وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ»** قيل: فَرَّغُوا ديارهم للنبي ﷺ وأصحابه، وقيل: تمكنوا وسكنوا في الدار يعني المدينة؛ لأنهم أسلموا قبل مجيء رسول الله ﷺ إلى المدينة، فصارت المدينة دار إيمان، ودار هجرة، وأثبتوا المساجد، عن أكثر المفسرين. وقيل: المراد به المهاجرون أيضًا أي: تبوءوا دار الهجرة، وسكنوها قبل خروج النبي ﷺ إلى المدينة، عن الأصم. والأَوْلى أنهم الأنصار لقوله: **«يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ»**، **«مِنْ قَبْلِهِمْ**(١)**»** أي: من قبل قدوم المهاجرين عليهم، وقيل: قبل هجرتهم، وقيل: قبل إيمان المهاجرين، وكانوا أصحاب ليلة العقبة، وهم سبعون رجلًا بايعوا رسول الله ﷺ على حرب الأحمر والأبيض، وواسوا المهاجرين، وأسكنوهم دورهم **«يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ»** يعني لم يكن ذلك مواساة عن كره، ولكن(٢) كانوا يحبونهم **«وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا»** قيل: لا يجدون في قلوبهم حسدًا مما أعطي المهاجرون من الفيء، عن الحسن. وذلك أن رسول الله ﷺ قسم مال بني النضير بين المهاجرين وبين الأنصار إلا ثلاثة نفر منهم، وقيل: بما أعطوا من الغنيمة لا يطلبون(٣) زيادة؛ بل يرغبون بما يعطيهم رسول الله ﷺ، وقيل: في نفقة ما أوتوا من المال من المهاجرين حتى يظهر على حالهم، ولا يجدون في قلوبهم ضيقًا، وقيل: لا تكون لهم حاجة تمنعهم عن النفقة عليهم **«وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ»** أي: يختارون المهاجرين على أنفسهم **«وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ»** أي: فقر أو حاجة إلى الشيء الذي يؤثرون به؛ وذلك لأنهم قاسموا المهاجرين مالهم وديارهم **«وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ»** أي: بُخْلَ نفسه **«فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»** وقيل: من يُوقَ هوى(٤) نفسه في ترك الإيمان.

(١) من قبلهم: من قبل، د.
(٢) ولكن: لكن، ك.
(٣) لا يطلبون: لا يطلبوه، ك.
(٤) هوى: هي، د.

ثم ثَلَّثَ بالتابعين، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ**» قيل: من أسلم في أيام الرسول، وقيل: هم التابعون بإحسان إلى يوم القيامة، عن الحسن. وعليه تأوله عُمر لما وضع الخراج على السواد ولم يقسمها، وقال: إذا قسمت بينكم فماذا يكون لمن بعدكم؟

ثم وصفهم، فقال ـ سبحانه ـ: «**يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا**» قيل: غشًا للبعض، وقيل: خيانة، سألوا الله أن يزيل ذلك بلطفه، وقيل: بل هو استعاذة من الشيطان؛ لكي لا يوسوس، فيضعف قلوبهم على السلف، كما فعل بالخوارج والروافض، «**ربنا إنك رؤوف رحيم**»[(١)].

الأحكام

الكلام في هذه الآية على ثلاثة أوجه:

أولها: دلالات الآية.

وثانيها: حكم الفيء والغنيمة.

وثالثها: كيف يقسم ذلك.

أما الأول: فتدل على أشياء:

منها: أن ما رجع على[(٢)] رسول الله ﷺ من دون محاربة من[(٣)] بني نضير وغيرهم يختص به الرسول لذلك قال: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾، وقال: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾، والمروي عن عمر أن أموال بني النضير كانت مما أفاء الله على رسوله، وكانت له خاصة، ينفق منها على أهله، وما بقي يجعله في الكراع والسلاح، وذكر الزهري أيضًا أن ذلك كان لرسول الله ﷺ، وذكر أن فَدَكَ كانت خاصة له، وكان تجري على ما قدمنا، ولما ادّعت فاطمة أنها نِحْلَةٌ، ولم يكن بينة، أجراها أبو بكر وعمر على ما كان يجري في زمن النبي ﷺ.

---

(١) ربنا إنك رؤوف رحيم: +، ك.
(٢) على: +، ك.
(٣) من: +، ك.

ويدل قوله: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ﴾ على مصرف[1] الفيء، وقد روي عن عمر في ذلك بيانٌ شافٍ[2]، وهو ما روي أنه قرأ: ﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم﴾ [الأنفال: ٤١] وقال: هذه لهؤلاء وقرأ: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠] وقال: هذه لهؤلاء، وقرأ: ﴿وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾[3] إلى قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾ قال: فاستوعبت هذه الآية الناس، فلم يبق أحد من المسلمين إلا له فيها حق، فإن عشت ليأتين كل مسلم حقه.

وتدل على أنه لا يجوز صرف الفيء إلى الأغنياء، لذلك قال: ﴿كَيۡ لَا يَكُونَ دُولَةَۢ بَيۡنَ ٱلۡأَغۡنِيَآءِ﴾.

وتدل أن للمهاجرين والأنصار والتابعين[4] فيها حقًّا.

وتدل على عظم محل المهاجرين والأنصار من حيث مدحهم، وأثنى عليهم.

وتدل على أن المؤمن لا يكون في قلبه منهم غِلٌّ[5]، فيبطل قول الرافضة والخوارج.

وتدل على أن الدعاء للصحابة مرغَّبٌ فيه، وذلك أنه كما أنعم الله علينا بالوحي والإرسال ومن الرسول بالإبلاغ والبيان والهداية، فقد أمر أصحابه بحفظ الشرع ونقله والدعاء إليه، وكذلك التابعين؛ لأنهم بذلوا الجهد في إظهار الدين والذب عنه، فساروا سادات الإسلام، والسابقين بالخيرات.

وتدل على فضل الصحابة وعظم محلهم في الإسلام، وأن الواجب موالاتهم، والاقتداء بهم وبطريقتهم، وأن البراءة منهم من أعظم الكبائر، وذكر الحسن قال: أدركت ثلاثمائة من أصحاب رسول الله ﷺ منهم سبعون بدريًّا كلهم حدثوني أن رسول الله ﷺ قال: «من فارق الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه»،

---

(١) يصرف، ك، بدون نقاط.
(٢) بيان شاف: بيانًا شافيًا، د، ز، ك.
(٣) على رسوله: -، ك.
(٤) للمهاجرين والأنصار والتابعين: للمهاجرين والتابعين والأنصار، د.
(٥) غل: بخل، ك.

والجماعة ألاّ تسبوا الصحابة، ولا تماروا في دين الله، ولا تُكَفِّرُوا أحدًا من أهل التوحيد بذنب، قال عبد الله بن يزيد: فلقيت أبا أمامة وأبا الدرداء وواثلة وأنس فكلهم حدثوني عن رسول الله ﷺ مثل حديث الحسن.

وعن عائشة أن النبي ﷺ قال: «لا تذهب هذه الأمة حتى يلعن آخرها أولها».

وعن مالك بن مغول عن الشعبي قال: يا مالك تفاضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلة، سئلت اليهود: ومن خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى، وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى، وسئلت[1] الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد، أمروا بالاستغفار لهم فَسَبُّوهم، والسيف عليهم مسلول إلى يوم القيامة، لا تقوم لهم راية، ولا تثبت لهم قدم، ولا تجتمع لهم كلمة، كلما أوقدوا نارًا للحرب أطفأها الله.

أما الفصل الثاني: فقد بَيَّنَّا أن منهم من قال: الفيء هو الغنيمة، وإن بيان مصرفها في سورة (الأنفال)، ومنهم من قال: بل نسخ بآية (الأنفال)، عن قتادة.

ومنهم من قال: الفيء ما وصل إلينا من غير قتال كالخراج والجزية ونحوها، والغنيمة ما وصل بقتال، وهو أوجه، وهو قول أبي حنيفة وأصحابه. ومنهم من قال: كل ما وصل إلينا من جهة الكفار فهو فيء.

واختلفوا، فقيل: المراد بهذه الآية الأراضي، وأن للإمام أن يقسم ما افتتح بين المسلمين نحو رقاب المشركين وأموالهم، وأن له أن يقر ذلك في أيديهم بالخراج كما فعل عمر بالسواد ومصر بحضرة الصحابة من غير نكير، كما له الخيار في الرقاب: بين المنّ والرق والقتل، وفتح رسول الله ﷺ مكة فلم يقسم بين الغانمين، وقسم بعضَ خيبر، فليس لأحد أن يقول: ما فعله عمر مخالفٌ للشرع.

ومنهم من قال: هو عام في جميع الأموال، واختلفوا كيف أقر عمر ذلك في أيديهم؟ فمنهم من قال: ملكًا، عن أبي حنيفة وأصحابه؛ ولذلك يجوز البيع

(١) وسئلت: وسئل، د.

والشراء والهبة ونحوها وتجرى فيها الأرزاق، ومنهم من قال: وقفًا، عن مالك[1]، ومنهم من قال: إجازة، عن الشافعي، والصحيح هو الأول، وهو قول أبي علي، وأبي هاشم.

فأما قسمة الفيء فقد بَيَّنَّا ما قيل في كل سهم مذكور، وأن منهم من قال: تقسم على رؤوسهم، وعند أبي حنيفة على ثلاثة أسهم، والأموال التي للإمام فيها يد ثلاثةٌ:

[أولها]: الزكاة وحقوقها تنقسم إلى رُبع عُشر، كزكاة الذهب والفضة وزكاة سائمة، وعشر ونصف عشر في الغلة، ومصرفُ الجميعِ[2] مبيَّنٌ في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ﴾ [التوبة: ٦٠].

وثانيها: الغنائم، وهو المأخوذ من الكفار بقتال، فأربعة أخماسه للغانمين، وخمسه مقسوم على ما ذكرنا من الخلاف فيه.

وثالثها: الفيء، وهو ما رجع إلينا من الكفار بغير قتال؛ كَمَالِ الصلح والجزية، والخراج والأعشار، وهذا كله في المتفق؛ لأن كله متفق عليه.

فأما الضياع والعقار فقد بَيَّنَّا أن الإمام مخير فيه، وبَيَّنَّا أن ما فعل عمر[3] كان حقًّا، وبيّنا أن المتروك في يدهم، كيف حالته، ثم عند الشافعي يعتبر رضا الغانمين، وعند أبي حنيفة ومالك هو للإمام[4]، ولا يعتبر رضا الغانمين.

(١) عن مالك: غير ملك، د.
(٢) ومصرف الجميع: وما دون الجمع، ك.
(٣) عمر: عثمان، ك.
(٤) للإمام: هو إلى الإمام، د، ك.

قوله تعالى:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ (١١) لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ (١٢) لَأَنْتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ (١٣) لَا يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ (١٤) كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ (١٥)﴾.

القراءة

قرأ ابن عباس ومجاهد وابن كثير وأبو عمرو: «جِدَارٍ» بالألف على واحد، وعن بعض أهل مكة: «جَدْرٍ» بفتح الجيم وسكون الدال بغير ألف، وهو لغة في الجدار، وقرأ يحيى بن وثاب: «جُدْرٍ» بضم الجيم وسكون الدال بغير ألف، وقرأ الباقون: «جُدُرٍ» بضم الجيم والدال على الجمع.

اللغة

النفاق: إظهار الإسلام، وإبطان الكفر، وهو مأخوذ في الأصل من نافقاء اليربوع، وهو أن يكون له جُحْرٌ له بابان: إذا أخذ من واحد خرج من الآخر، فشبه المنافق به لأنه يدخل في الإيمان ظاهرًا ويخرج باطنًا، وهو اسم شرعي لم يكن يعرفه أهل اللغة، والمنافق كافر؛ لاجتماعهما على الكفر.

والرهبة: الخوف.

والبأس: الشدة في الحرب.

والوبال: ثقل الشيء المكروه، وماء وبيل وطعام وبيل: إذا كانا غير مريين، ومنه: ﴿أَخْذًا وَبِيلًا﴾ [المزمل: ١٦] أي: شديدًا ثقيلاً.

۞ الإعراب

نصب (وبال) بالذوق، و(قريبًا) نصب على الظرف.

۞ النزول

قيل: بعث عبد الله بن أبيٍّ جماعة[1] من المنافقين إلى بني النضير أن يحصنوا حصنهم، ويحاربوا فإنا ننصركم، فأخبر الله تعالى نبيه ﷺ بذلك، وبيّن أنهم لا يفعلون ذلك، عن ابن عباس، ومجاهد.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما جرى من أسرار المنافقين مع الكفار من بني نضير، فقال ـ سبحانه ـ: «أَلَمْ تَرَ» تعجيب لرسوله من حالهم[2] «إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» يعني بني النضير الذين غلبوا رسول الله ﷺ وحاربوه، وبني قريظة «لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ» من دياركم «لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ» يعني لئن أخرجكم محمد عن دياركم بالغلبة لنخرجن معكم، أروهم بذلك أنهم يوافقونهم في حرب رسول الله ﷺ «وَلاَ نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا» أي: لا نطيع رسول الله ولا المؤمنين إن أمرونا بخذلانكم «وَإِنْ قُوتِلْتُمْ» أي: قاتلكم محمد «لَنَنْصُرَنَّكُمْ» عليه «وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ» يعني المنافقين «لَكَاذِبُونَ» في هذا «لَئِنْ أُخْرِجُوا لاَ يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لاَ يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنْصَرُونَ. لأَنْتُمْ» يا معشر المسلمين «أَشَدُّ رَهْبَةً» أي: خوفًا «فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ» قيل: هذا تعجيب من حالهم حيث خافوا المؤمنين، ولم يخافوا الله، وقيل: بل هو تذكير للنعمة عليهم بما ألقى في قلوبهم من الرعب من المسلمين، وقيل: لا يخافون عقاب الله ويخافون شوكة المسلمين «ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَفْقَهُونَ» أي: لا يعلمون عظمة الله وشدة عقابه، وقيل: لا يعلمون أنه ألقى الرعب في قلوبهم نصرة للمؤمنين «لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ» يعني اليهود لا يقاتلون المسلمين «إِلاَّ فِي قُرَى

---

(١) جماعة: وجماعة، ك.
(٢) حالهم: حاله، ك.

مُحَصَّنَةٍ أَوْ مِنْ وَرَاءِ جُدُرٍ» قيل: لاختلاف قلوبهم، ولتشتت كلمتهم لا يجرؤون للبروز للحرب، فيقاتلون في مواضع حصينة وخلف جُدُرٍ «**بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ**» قيل: عداوة بعضهم لبعض شديدة، وقيل: شوكتهم وحربهم شديدة إذا هم في الحصون، فإذا خرجوا فهم أجبن خلق الله «**تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى**» أي: يحسب الناظر أنهم مجتمعون، وقلوبهم متفرقة، وقيل: بأسهم شديد ولكن قلوبهم متفرقة، وقيل: أهل الكتاب لمعاداة بعضهم بعضًا لا ينصرون الرسل، وقيل: قلوبهم شتى، أي: قلوب المنافقين وأهل الكتاب، عن مجاهد. وقيل: أهل الباطل مختلفة أهواؤهم مختلفة أعمالهم، وهم مجمعون على عداوة أهل الحق «**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَ يَعْقِلُونَ**» أَمْرَ الله ووعده ووعيده ولا الحق «**كَمَثَلِ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا**» قيل[1]: مشركو مكة «**ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ**» جزاء قتلهم يوم بدر، عن مجاهد. وقيل: الذين من قبلهم بني قينقاع، عن ابن عباس. وذلك أن بني قينقاع نقضوا العهد فأمرهم رسول الله ﷺ رَجْعَهُ من بدر أن يخرجوا، وقال عبد الله بن أبيّ: لا تخرجوا إلا أدخل معكم الحصن أو آتي النبي فأكلمه فيكم، وكان هؤلاء أيضًا في إرسال عبد الله إليهم ومخالفته وترك النصرة كأولئك، وقيل: مثل بني قريظة كمثل بني نضير، وكان بينهما سنتان، وليس بصحيح؛ لأنهم قتلوا، وقيل: أراد لمن ملك من الأمم السوالف، وليس بالوجه؛ لأنه قال: «**قريبًا**» والأقرب أنه بني قينقاع؛ لأنه قبل بني النضير بقريب، ولأنهم كانوا يهودًا مثلهم، ومعنى «**قريبًا**» أي[2]: أنه لم يمهلهم بل أهلكهم عن قرب[3]، عن أبي علي. فـ"**ذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ**» أي: وخيم عاقبة فعلهم من العقاب «**وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ**».

۞ الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: على معجزة لرسول الله ﷺ من حيث أخبرهم عن ضمائرهم وأسرارهم.

---

(١) قيل: وقيل، ث، د، ك.

(٢) أي: +، ك.

(٣) قرب: قريب، ك.

ومنها: أن المنافق والكافر خَوْفُهُمْ من الناس أكثر، وذلك لقلة معرفتهم بالله ووعده ووعيده.

ومنها: خذلان الله لهم، وإلقاء الرعب في قلوبهم.

ومنها: دلالة قوله: «وَبَالَ أَمْرِهِمْ» أن ذلك الأمر فعلهم، واستحقوا جزاءه، خلاف قول المجبرة.

قوله تعالى:

﴿كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيٓءٌ مِّنكَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِي ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَاۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُاْ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ نَسُواْ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِيٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِۚ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

اللغة

المَثَلُ: كلام يشبه فيه حال الثاني بحال الأول.

والبراءة: قطع العلقة بما يقتضي العداوة.

والنسيان: ضد الحفظ، والنسيان: الترك.

والفوز: النجاة والظفر بالخير، وسميت المفازة تفاؤلاً بالسلامة والفوز، وقيل: بل أخذ من قولهم فازَ(١) إذا هلك.

---

(١) فاز: فوز، ث، د.

۞ الإعراب

(خالدين) نصب على الحال.

۞ المعنى

ثم ضرب الله مثلاً للمنافق، فقال ـ سبحانه ـ: «**كَمَثَلِ الشَّيطَانِ**» قيل: مثل المنافقين في وعدهم لبني النضير مثل الشيطان في وعده الإنسان بالغرور، فلما احتاج إليه أسلمه للهلاك، وقيل: كمثل الشيطان يوم بدر دعا إلى حرب رسول الله، فلما رأى الملائكة رجع القهقرى فقال: إني أخاف الله، ولا بد من محذوف، كأنه قيل: فلما كفروا استنصره قال: إني بريء منك، وقيل: أراد بالشيطان والإنسان الجنس لا المعهود، وإنه عام، فإنه أبدًا يدعوه إلى الكفر، ثم تبرأ منه عند الحاجة، عن مجاهد. وقيل: إنه في إنسان بعينه كان من الرهبان اسمه بَرْصِيصَا، فأغواه الشيطان بأن ينجيه من بَلِيَّةٍ وقع فيها، فقال له: اسجد لي سجدة واحدة، ففعل، ثم لما احتاج إليه أسلمه حتى قتل، عن ابن مسعود، وابن عباس. وفيه قصة طويلة لا يصح أكثرها، فتركت ذكرها؛ لأن فيه أن الشيطان غير الصور، وأزال العقل، وحمل إليه امرأة تداويه في كثير من الترهات، والذي لا نمنع من جوازه ما روي أن الراهب زنا بامرأة ثم قتلها، وظهر ذلك، فأخذوه وصلبوه. «**إِذْ قَالَ لِلْإِنسَانِ اكْفُرْ**» للموحد: التوحيد[1] ليس بشيء، والنبوة مخرقة، فيقبل منه، «**فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ**»

ومتى قيل: كيف يقول: أخاف الله، وهو يدعوهم إلى الكفر؟

قلنا: قيل: إنه يقولها تصنعًا وعلقًا لا تحقيقًا.

وقيل: يقولها يوم القيامة.

وقيل: قاله يوم بدر حين رأى الملائكة.

(١) التوحيد: فالتوحيد، ك.

«**فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا**» يعني عاقبة الشيطان والإنسان «**أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ**» أي: اتقوا عذابه بأداء الواجبات، واجتناب المعاصي «**وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ**» قيل: ليوم القيامة، عن قتادة، والضحاك، وابن زيد. «**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ**» فيجازيكم بها، وكرر الأمر بالتقوى في المستقبل، والثاني بالتوبة عما سلف في الماضي، وقيل: تأكيدًا، وقيل: (اتقوا) عام لجميع المكلفين، (ولتنظر) أمر خاص بأن ينظر في أمره فيتدارك الفائت، وقيل: الأمر بالنظر: أَمْرٌ بمحاسبة نفسه، وما الذي قدم ليوم حشره، وقيل: لغدٍ إشارة إلى قرب القيامة وما يأتي[1] يقرب [الساعة] حتى جعلها لغد، عن قتادة. «**وَلاَ تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ**» قيل: تركوا ذكر الله فأنساهم بأن خذلهم حتى صاروا كالمنسي في حال استحقاق الثواب، وقيل: نسوا الله بترك ذكره، فأنساهم أنفسهم بالعذاب الذي ينسى[2] بعضهم بعضًا لأجله، عن أبي علي. كقوله: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النور:٦١]، وقيل: لا تكونوا كالذين نسوا علوم الله حتى أنساه ذلك نفسه، فلم يتفكر في مصائره، وشر عواقبه، وإنما يتفكر في ملاذه وشهواته، وقيل: أنفسهم: حظ أنفسهم أن يقدموا لها، يعني لم يذكرهم بألطاف، بل خذلهم «**أُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ**».

«**لاَ يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ**» أي: لا سواء حالهما، فأحدهما[3] في النعيم، والآخر في الجحيم «**أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ**» الظافرون بطلبتهم.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن الشيطان يوسوس بالغرور، ثم يتبرأ[4] منه، فتدل على أن تلك الوسوسة والغرور ليس بخلق الله.

وتدل على وجوب التفكر في أمره، ومحاسبة نفسه، والاستعداد ليوم حشره.

---

(١) يأتي: يأت، ك.

(٢) ينسى: نسي، د، ك.

(٣) فأحدهما: فإحداهما، ك.

(٤) يتبرأ: تبرأ، ث، د، ك.

وتدل على أن اسم[1] الفسق اسم ذم، ولا يجمع مع[2] اسم الإيمان، فيصحح قولنا في المنزلة بين المنزلتين.

وتدل على أن الفوز للمتقين، وأن الفاسق ليس بفائز، فيبطل قول المرجئة.

قوله تعالى:

﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ ۖ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾.

اللغة

الإنزال: إرسال الشيء من علو إلى سفل، أنزله إنزالاً ونَزَّلَهُ تنزيلاً.

والتصدع: التفرق بعد التلاؤم، ونظيره: التفكك، صَدَعَ يَصْدَعُ صَدْعًا، وهو مصدوع[3]، ومنه: الصداع في الرأس، وتصدع تصدعًا، وانصدع انصداعًا.

القدس: الطهارة، والتقديس: التطهير، والقدُّوس والسبُّوح روي أنهما من تسبيح الملائكة، وهما كلمتان لم يأت في العربية على بنائهما غيرهما، ومعنى السُّبُّوحُ: الذي يجب له التسبيح، والقدوس: الذي يجب له التطهير.

والمهيمن: «مُفَيْعِلٌ» من الأمانة، وأصله: مؤتمن، قلبت الهمزة هاء وفخمت اللفظ به لتفخيم المعنى، قال أبو عبيد: (خمسة) أحرف في كلام العرب على هذا

---

(١) اسم: +، ك.
(٢) مع: +، ك.
(٣) مصدوع: مصدر، د.

الوزن: المهيمن، والمسيطر، والمُبَيْطِر، والمُنيقِر[1]: الذاهب في الأرض، [المُجتَمِر: اسم عيل][2].

والحسنى: اسم تفضيل[3]، [بمعنى أحسن الأسماء].

والجَبَّارُ: العالي الفائت الذي لا تناله الأيدي، وهو من التعظيم، وجبروت الله: عظمته، وقيل: هو من الجبر الذي هو الإصلاح، جبرت العظمَ أَجْبُرُهُ: إذا[4] أصلحته بعد الكسر، وجبرت الأمر فانجبر، وجبرته فَجُبِرَ، وهو لازم ومتعدٍّ.

والكبر: العظمة، وكذلك الكبرياء، والكبر: معظم الشيء.

والخلق: الإبداع على تقدير لا ينقص عن مراده، ولا يزيد، وقيل: الخلق أن يفعل لا بآلة، وقيل: هو الاختراع، والبَرْءُ والخلق من النظائر، بَرَأ الله الخَلْقَ، أي: خلقهم.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى عظم حال القرآن، وقسوة قلوب الكفار في جحدهم ذلك، فقال ـ سبحانه ـ: «**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ**» مع شدته وقسوته «**لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا**» متشققًا «**مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ**» قيل: معناه: لو أحيينا الجبل، وركَّبْنَا فيه العقل لرأيته خاشعًا، وقيل: لو كان الجبل يتصدع من شيء لعظمته لتصدع من هذا القرآن لعظم ذلك، وهذا هو الأوجه. وقيل: لو أنزل هذا القرآن على جبل مع صلابته لكان ينبغي أن يتصدع، فينبغي للإنسان مع ضعفه أن يكون عند تلاوته خاشعًا متصدعًا، عن أبي علي. «**وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**» في ذلك، فيتعظون ويتركون العصيان «**هُوَ اللَّهُ الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ**»

ومتى قيل: كيف يتصل هذا بما قبله؟

(١) المنيقر: المبيقن؛ ث، د، ز، ك.
(٢) انظر: الثعلبي، الكشف والبيان، ١٣/ ٢١٤.
(٣) تفضيل: بياض في ث ؛ ز، د، ك: صل.
(٤) إذا: -، ك.

قلنا: قيل: افتتح السورة بالتسبيح، وختم به وبأسمائه الحسنى.

وقيل: لما بين حال الكفار والمنافقين في سوء اعتقادهم في التوحيد بَيَّنَ ما يجب أن يعتقد فيه وفي[1] أسمائه؛ لأن هذه الأسماء فيها بيان التوحيد والعدل، والأدلة على ما نبينه.

«عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ» قيل: ما شاهد العبد، وما غاب عنه، وقيل: ما لا يقع عليه الحس كالمعدومات، وما لا يُرى من الموجودات، والشهادة ما تقع عليه الحواس. وقيل: ما غاب عن علم الخلق وما علموه، وقيل: معناه السر والعلانية، عن الحسن. «هُوَ الرَّحْمَنُ» المنعم على كل حي و«الرَّحِيمُ» على المؤمنين بالثواب، والرحمن الرحيم من الرحمة وهي[2] النعمة «هُوَ اللَّهُ» الذي تحق له العبادة «الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» لا خالق إلا هو ولا تحق العبادة لغيره «الْمَلِكُ» قيل: المالك لجميع الأشياء، لا تخرج عن ملكه، عن أبي مسلم. وقيل: القادر على اختراع الأجسام والأعراض «الْقُدُّوسُ» الطاهر من كل ما لا يليق به، المنزه عن كل نقص من حقه ألاَّ تضاف إليه الفحشاء، ولا يوصف[3] بصفات الأجسام، وقيل: المتطهر[4] عن الشريك والولد وفعل القبيح، وقيل: المُمَجَّدُ، عن ابن كيسان. «السَّلاَمُ» قيل: الذي يسلم عباده، وقيل: المسلم من جميع الآفات والقبائح، لا صفة له توجب نقصًا، وقيل: الذي مِنْ عِنْدِهِ ترجى السلامة، عن أبي علي. «الْمُؤْمِنُ» قيل: المصدق لرسله بالمعجزات، وقيل: يصدق المؤمنين ما وعدهم من الثواب، والكافرين ما أوعدهم من العقاب، وقيل: الذي أمن الناس من ظلمه، وأَمِنَ مَنْ آمن به من عذابه، عن أبي علي. وقيل: هو من الإيمان الذي هو ضد التخويف، عن ابن عباس، ومقاتل. ومنه: ﴿وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٤]، وقيل: الداعي إلى الإيمان، الآمر به، الموجب لأهله اسمه، عن أبي مسلم. وقيل: أمن مَنْ وحَّدَهُ وعبده، وقيل: هو المجير[5]، عن القرظي. «الْمُهَيْمِنُ» قيل: المأمون على خلقه لا يريد بهم سوءًا بل يريد بهم الخير، عن

(١) وفي: في، د.
(٢) وهي: وهو، ك.
(٣) ولا يوصف: ولا توصف، ك.
(٤) المتطهر: المطهر، ث، ك.
(٥) المجير: المجبر، ث، ك.

أبي مسلم، وعطاء. وقيل: هو الشاهد، عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة. كأنه شهيد على أمان من آمن به، وقيل: هو الأمين، عن ابن عباس، والضحاك، وأبي علي. حتى لا يضيع عنده حق، وقيل: هو اسم من أسمائه في الكتب، الله أعلم بمعناه، عن ابن كيسان. وهذا لا يصح؛ لأن أهل اللغة وأهل التفسير تكلموا في معانيه، وقيل: هو الرقيب، عن الخليل. وقيل: القاضي، عن سعيد بن المسيب. وقيل: معناه المؤمن إلا أنه أشد مبالغة «**الْعَزِيزُ**» القادر الذي لا يرام ولا يمنع[1] عليه مراد «**الْجَبَّارُ**» قيل: العظيم، عن ابن عباس. وقيل: العالي الذي لا تناله يد أحد، عن أبي مسلم. وقيل: القاهر، عن السدي. وقيل: الذي يجبر خلقه على ما يريد، فيصرفهم كما يشاء، عن محمد بن كعب. «**الْمُتَكَبِّرُ**» المتعالي[2] عن صفات المُحْدَثِين، المستحق لصفات التعظيم، المتعظم عما لا يليق به، وأصله الامتناع، وقيل: الذي يكبر عن كل شيء، عن قتادة. «**سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ**» أي: تنزيهًا له عن إضافة الشريك والفحشاء إليه «**هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ**» المُحْدِثُ للأشياء، المبتدع لها على ما أراد، المتصرف الأحوال بالتدبير على حسب إرادته، وقيل: المقدر لأفعاله بحسب المصالح، وذلك أنه إنما يتأتى[3] ممن يعلم تفاصيل الأشياء ولا يفعل القبيح «**الْبَارِئُ**» المخترع للأجسام والأعراض «**الْمُصَوِّرُ**» الذي يصور الخلق على ما يريد، فيجعلهم على صور يتبين بعضها[4] من بعض «**لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى**» أسماؤه على ضربين، وكل ذلك يتضمن معنى مفيدًا؛ لأن الألقاب لا تجوز عليه، فمنها ما يفيد صفة في ذاته كقوله: قادر، وعالم، وحي، وقديم، وسميع، وبصير، ومدرك، ومالك، وقاهر ونحوها، وكل ذلك يقتضي تعظيمًا، والثاني يفيد صفة ترجع إلى فعله كقولنا: خالق، ورازق، وحكيم، وعدل، ويدخل في الأول نفي صفة عنه، كقولنا: واحد، ويدخل في الثاني نفي فعل عنه كقولنا: حليم، وغفور ونحوها. «**يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ**» أي: ينزهه «**وَهُوَ الْعَزِيزُ**» القادر «**الْحَكِيمُ**» قيل: العليم، وقيل: المحكم لآياته وأفعاله.

---

(١) ولا يمنع: ولا يمتنع، ك.

(٢) المتعالي: العالي، د.

(٣) يتأتى: يتأد، د.

(٤) بعضها: بعضًا، ك.

۞ في فضل هذه الآيات

روى أنس عن النبي ﷺ: «من قرأ آخر سورة (الحشر) غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر».

وروي عن النبي ﷺ أنه قال: «من قرأ آخر سورة (الحشر): «**لو أنزلنا**...»إلى آخره فمات من ليلته[1] مات شهيدًا».

وعن أبي أمامة: «من قرأ خواتيم (الحشر) من ليل أو نهار فقبض في ذلك اليوم أو الليلة فقد أوجب الجنة».

وعن أبي هريرة قال: سألت رسول الله ﷺ عن اسم الله الأعظم؟ فقال: «عليك بآخر سورة (الحشر) فأكثر قراءتها».

۞ الأحكام

تدل الآيات على عظم حال القرآن، وموقعه في الدين، ووجوب الخشوع عند قراءته، والعمل به، والتفكر فيه والاتعاظ بمواعظه.

وتدل أنه يعلم، لولاه لما صح ذلك.

وتدل على أسمائه الحسنى.

وتدل على توحيده وعدله وتنزيهه عن القبائح؛ إذ لو خَلَقَ الظلم لَوِصُفَ بأنه ظالم، ولو خلق القبائح لاشتق له منها اسم، فكان أسماؤه لا تكون حسنة، وفي ذلك بطلان قول المجبرة.

---

(١) ليلته: ليله، ث، د، ك.

سُورَةُ المُمتَحَنَة

سورة (الممتحنة) مدنية، وهي ثلاث عشرة آية.

وعن أُبيّ بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة (الممتحنة) كان المؤمنون والمؤمنات له شفعاء يوم القيامة».

ولما كان سورة (الحشر) في ذكر الكفار والمنافقين، ابتدأ هذه السورة بتحريم موالاتهم، ووجوب معاداتهم، ثم بَيَّنَ تعالى مَنْ يجوز بِرُّه، ومَنْ لا يجوز، وذكر قصة إبراهيم وأبيه.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِي سَبِيلِي وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِي تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾ إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِٱلسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ٱلْعَدَٰوَةُ وَٱلْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٤﴾ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ وَٱغْفِرْ لَنَا رَبَّنَآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٥﴾﴾.

القراءة

اختلف القراء في قوله: ﴿يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ﴾، فقرأ[1] عاصم ويعقوب وأبو حاتم: «يَفْصِل» بفتح الياء وسكون الفاء وكسر الصاد مخففًا، وقرأ حمزة والكسائي بضم الياء وبفتح[2] الفاء وكسر الصاد مشددة، وقرأ ابن عامر والأعرج بضم الياء وفتح الفاء والصاد مشددة، وقرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو بضم الياء وسكون الفاء وفتح الصاد مخففًا من الفصل، وقرأ النخعي وطلحة بن مصرف بالنون وضمها وفتح الفاء وكسر الصاد والتشديد من «فصّل يفصّل»، وقرأ أبو حيوة: «يُفْصِل» بضم الياء وسكون الفاء وكسر الصاد مخففة من «أَفْصَل يُفْصِلُ».

وأجمعت القراء في قوله: «بُرَءاء» على وزن «فُعَلَاء» على مثال برعاج جمع بَرِيءٍ غير متحرك، نحو: فقيه وفقهاء، وقرأ عيسى بن عمر: «بِرَاء» على وزن «فِعَال» بالإجزاء[3] وكسر الباء نحو: قصير وقِصَار، وطويل وطوال.

اللغة

الولي: خلاف العدو، والولايةُ نقيضُ العداوةِ.

والمحبة والمودة من النظائر.

والمرضاة: الرضا، وهو خلاف الغضب.

يثقفوكم: يصادفوكم ويجدوكم، يقال: ثَقِفْتُهُ أَثْقَفُهُ ثَقْفًا وأنا ثاقف، ومنه: ثقيف، ومنه: المثاقفة طلب مصادفة في المسافة.

والأسوة: القدوة، ولي فيه أسوة، وهو أن يفعل مثل فعله متأسيًا به، وتأسى به: أي اقتدى.

الإعراب

﴿تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ موضعه موضع الحال، كأنه قيل: لا تتخذوهم أولياء تعلمونهم سرًّا أنكم على مودتهم.

(١) فقرأ: وقرأ، ك.
(٢) وبفتح: وفتح، د.
(٣) بالإجزاء: بالأمر، ك.

والباء في قوله: «**بالمودة**» زائدة، والواو في قوله: ﴿وَقَدْ كَفَرُوا۟﴾ واو الحال.

وقوله: ﴿يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُوا۟﴾ تقديره: يخرجون الرسول، ويخرجونكم؛ لئن[1] آمنتم بالله.

﴿قَوْلَ[2] إِبْرَٰهِيمَ﴾ نصب لأنه مستثنى من جميع الأشياء.

۞ النزول

نزلت الآيات في حاطب بن أبي بلتعة لما كتب إلى قريش يخبرهم ببعض أمر رسول الله ﷺ وقدومه مكة؛ ليتخذ عندهم يدًا، وكان ممن شهد بدرًا، فاعتذر إلى رسول الله[3] ﷺ فَصَدَّقَهُ، وقَبِلَ عذره، وقال: «لا تقولوا له إلا خيرًا»، عن ابن عباس، ومجاهد، وسفيان.

وقيل: المخاطب بـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ المهاجرون والمراد بقوله: «**عَدُوِّي**» مشركو مكة، عن أبي مسلم.

وقيل: إن امرأة من مكة يقال لها سارة أتت رسول الله ﷺ تستمنحه[4] بعد بدر بسنين وكساها، وكان يجهز لفتح مكة، فكتب حاطب كتابًا إلى أهل مكة ودفع إليها، وأعطاها عشرة دنانير، عن ابن عباس. وقيل: عشرة دراهم، عن مقاتل. وفي الكتاب: (أن رسول الله ﷺ يريدكم فخذوا حذركم)، وخرجت المرأة، ونزل جبريل وأخبر النبي صلى الله عليهما[5]، فبعث خلفها عليًا وعمر وعمارًا ومقدادًا والزبير وطلحة وأبا مرثد، وكانوا فرسانًا، وقال لهم: «انطلقوا إلى مكان كذا، فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوا الكتاب وخلوا سبيلها، فإن لم تدفعه إليكم فاضربوا عنقها»،

---

(١) لئن: لأن، ك.

(٢) قول: -، ك.

(٣) رسول الله: النبي، ك.

(٤) تستمنحه: تستمحه، د، ك.

(٥) عليهما: عليه، ك.

فخرجوا، وأدركوها بالمكان الذي قال رسول الله ﷺ، فقالوا: أين الكتاب، فحلفت ما معها كتاب، وفتشوا متاعها فلم يجدوا، فهموا بالرجوع، فقال علي بن أبي طالب: والله ما كذبنا ولا كذبنا، وسَلَّ سيفه وقال: أخرجي الكتاب، وإلا ضربت عنقك، فأخرجت من ذؤابتها كتابًا، فخلوا سبيلها، ورجعوا إلى رسول الله ﷺ، فدعا حاطبًا وقال: «ما حملك على ما صنعت»؟ فقال: والله ما كفرت، أردت أن أتخذ عندهم يدًا؛ لأن أهلي بين أظهرهم، وعلمت أن الله ينزل بهم بأسه، وأن كتابي لا يغني عنهم[1]، فَقَبِلَ عذره، فقام عمر، وقال: دعني أضربْ عنقه فإنه قد نافق، فقال ﷺ: «ما يدريك يا عمر، لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»، فأنزل الله تعالى في شأن حاطب: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

فأما ما روي من الخبر، فلا بد من تأويل؛ لأنه لو حمل على ظاهره كان إغراء بالمعصية، وكيف يغفر جميع ما يأتيه أهل بدر، وهو تعالى يقول لرسوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥] فالمراد تعظيم أهل بدر، أو أراد هذا الواحد، وأخبر بذلك لعلمه أنكم لا تفعلون[2] كبيرة، أو يحمل على أنه لو غفر جميع الذنوبِ لأَحَدٍ لغفر لهم، أو علم من حالهم الموافاة بالتوبة على أنه خبر واحد، فإن صح فالمعنى ما ذكرنا.

المعنى

«**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ**» قيل: عدوي بمخالفته لأمري، وقيل: عدو أوليائي، وهذه الموالاة المنهي عنها، وهو الموالاة في الدين والتناصر إن طلبوا النصر والحياطة، عن أبي علي. «**تُلْقُونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**» المراد: لا تحابوهم، وقيل: الباء زائدة، تقديره: تلقون إليهم المودةَ، كقولهم: أريد أن أذهب، وأريد بأن أذهب، وقيل: تلقون إليهم ما يريدون بالمودة «**وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ**» يعني القرآن والإسلام «**يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ**» عن مكة «**وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ**» أي:

(١) عنهم: شيئًا، د.
(٢) لا تفعلون: لا تركبون، ك.

لأجل إيمانكم بالله[١] «**لإِنْ كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي**» يعني إن كان غرضكم في خروجكم وهجرتكم الإيمان، وطلب رضا الله، فلا تتخذوهم أولياء «**تُسِرُّونَ إِلَيْهِمْ بِالْمَوَدَّةِ**» أي: تخفون مودتهم؛ لئلا يطلع عليها أحد «**وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ وَمَا أَعْلَنتُمْ**» أي: سركم وعلانيتكم سواء عند الله وفي علمه «**وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ**» ما نهيتكم عنه «**فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ**» أي: مَنْ وَالَى أعداء الله فقد ضل، ذهب عن الدين المستقيم، وقيل: ضل عن الطريق المؤدي إلى ثوابه؛ لأنه ترك أمر الله وطاعته في أعداء الدين.

ثم أخبرهم عن سرائرهم، فقال ـ سبحانه ـ: «**إِن يَثْقَفُوكُمْ**» أي: إن يظهروا عليكم، ويمكنوا منكم، ويصادفوكم مقهورين لكم «**يَكُونُوا لَكُمْ**[٢] **أَعْدَاءً وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوءِ**» قيل: أيديهم بالقتل، وألسنتهم بالشتم، يعني لا يتركون ممكنًا[٣] في إلحاق السوء بكم باليد واللسان «**وَوَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ**» أي: يحبون أن ترجعوا عن دينكم، فلا تناصحوهم «**لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ**» يعني إن واليتم أعداء الله لأجل الرحم أو لأجل الأولاد، فذلك لا ينفعكم «**يَوْمَ الْقِيَامَةِ**» ولا يغني عن عذاب الله «**يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ**» قيل: يفرق بينكم، فَيُدْخِلُ المطيعين الجنة والعاصين في النار، وقيل: يقضي بينكم من فصل القضاء، وقيل: لا يكون فيهم شفاعة ولا استئناس ولا تراحم كما يكون بين الأقرباء، فيكون وجودها وعدمها بمنزلة، وقيل: تبرأ كل واحد من صاحبه، فكأنه قطعه، وإلا فالقرابة تكون بحالها «**وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**» أي: عليم بأعمالكم يجازيكم بها.

ثم بَيَّنَ قصة إبراهيم مع أبيه، فقال ـ سبحانه ـ: «**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ**» أي: قدوة «**حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ**» ممن آمن واتبعه، وقيل: الذين معه الأنبياء، عن ابن زيد[٤] «**إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ**» الكفار «**إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ**» أي: بقطع الأرحام والعلاقات بيننا

(١) بالله: -، ك.
(٢) لكم: لهم، ك.
(٣) ممكنا: لأنه، د.
(٤) وقيل الذين معه الأنبياء عن ابن زيد: +، ك.

في الله لَمَّا خالفتمونا في الدين «وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» يعني الأوثان لا تعبدوها[1] ولا تواصلوها «كَفَرْنَا بِكُمْ» أي: جحدنا دينكم وأنكرنا معبودكم «وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ» أي: ظهرت العداوة بيننا إلا أن تؤمنوا فتسقط العداوة ﴿إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ ٱللَّهِ مِن شَيْءٍ﴾ قيل: يعني الاستثناء ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ في كل أموره إلا في قوله لأبيه: «لأستغفرن لك وما أملك لك من الله من شيء»، فنهوا أن يقتدوا به في هذا خاصة، عن مجاهد، وقتادة، وابن زيد. وقيل: نهوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين، وبيّن قصة إبراهيم، وقيل: كان آزر أبو إبراهيم ينافق إبراهيم ويُرِيه أنه مسلم، وَيَعِدُهُ الجهر[2] للإسلام، فيستغفر له، فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه، عن الحسن، وأبي علي. وقيل: قوله: ﴿لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ هو قوله: ﴿إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ﴾ [التوبة: ١١٤] يعني وعد إبراهيم أباه أن يستغفر له «وَمَا أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ» أي: لا أقدر على دفع العذاب عنك إن عذبك «رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا» في أمور ديننا ودنيانا، والتوكل تفويض الأمر إليه، والثقة بحسن تدبيره، والرضى بقضائه[3] وأمره «وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا» أي: رجعنا إليك بالطاعة والعبادة، وقيل: تبنا من ذنوبنا «وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ» أي: إلى حكمك المرجع، وإلى الموضع الذي لا حاكم فيه سواك «رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا» قيل: بإظهارهم علينا ليروا أنهم على دين[4] فيفتتنوا بنا، عن قتادة. وقيل: لا تسلطهم علينا فيفتنونا عن الدين، وقيل: الْطُفْ بنا حتى نصبر على أذاهم، ولا نتبع الكفار فنصير فتنة للذين كفروا، وقيل: اصرف عنا شدائد الدنيا والأمراض والمحن؛ لئلا يظنوا أن ذلك الضيق[5] بسوء حالنا عندك، فيستمروا على كذبهم، فإن العامة يعظمون الأغنياء، فإذا رأوا المسلمين في ضيق ومحنة اعتقدوا أنهم على

(١) لا تعبدوها: لا تعبدها، ك.
(٢) الجهر: إظهار، د، ث.
(٣) بقضائه: بفعله، ك.
(٤) دين: حق، د، ك.
(٥) الضيق: ضيقنا، د؛ وفي هامش ك: يصيبنا.

ضلال؛ لذلك إذا كانت[1] وجوههم [مصفرة] وأيديهم مصفرة[2] فيفتنون، والفتنة التشديد في التعبد «وَاغْفِرْ لَنَا» ما سلف من ذنوبنا «إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ» القادر على ما تشاء «الْحَكِيمُ» الذي لا يفعل إلا لحكمة.

۞ الأحكام

تدل الآيات على وجوب معاداة أعداء الله وتحريم موالاتهم، وأن العلة في ذلك كفرهم.

وتدل على أنها واردة في أهل مكة؛ لذلك قال: ﴿يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ﴾.

وتدل على تحريم التقرب إلى الكفار؛ لذلك قال: ﴿تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِالْمَوَدَّةِ﴾ وهذا عام، ولأنه عَلَّلَ ذلك بالكفر، فيستوي فيه كل كافر.

ومتى قيل: فما فعله حاطب، هل كان كفرًا أو فسقًا؟

قلنا: فعله، وهو مخلص في الدين محاماة على أهله، وظَنُّهُ أنه لا يضر في الدين، فلم يكن كفرًا، ولذلك لم ينسبه رسول الله ﷺ، ولما ظن عمر أنه كفر نسبه إلى النفاق حيث تقرب إلى الكفار، وهمّ بقتله، فنهاه[3] رسول الله ﷺ.

فأما كونه فسقًا، فيجوز أن يكون فسقًا، ويحتمل أنه وقع صغيرًا في جنب ما حصل له من الثواب في قصة بدر.

وتدل على أن طريقة إبراهيم وسائر الأنبياء معاداة الكفار؛ لذلك أمر بالاقتداء به، واستدل بعضهم بالآية على أنا متعبدون بشريعته، ومن خالفهم يقول: إنما أمرهم بذلك في شيء خاص، وهو ترك موالاة الكفار، وإظهار معاداتهم.

وتدل على أن الكفر فعلهم، وكذلك الموالاة والمعاداة، وكذلك إخراج الرسول، وإسرار المودة، وبسط اليد واللسان، فيبطل مذهب المجبرة.

(١) لذلك إذا كانت: لذلك إذ كانت، د؛ لذلك كانت، ك.

(٢) مصفرة: صفرة، د، ك.

(٣) فنهاه: نهاه، د.

قوله تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ ۚ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ
الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً ۚ وَاللَّهُ قَدِيرٌ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ
﴿٧﴾ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا
إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ ۚ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾﴾.

القراءة

قرأ عاصم: «أُسْوَةٌ حسنة» بضم الألف، والباقون بكسرها، وهما لغتان، وهو القدوة، يقال: تأسى به أي: اتبع فعله، واقتدى به، والتأسية: التعزية، وهو أن يقال: إن فلانًا قد أصابه ما أصابك فصبر[1]: فتأسَّ به واقتدِ.

اللغة

البِرُّ: الإحسان إلى المعسر، والبر: الصدق أيضًا، وأصل الباب: السعة، فالبر: الاتساع في الإحسان، ومنه: أبر على صاحبه في كذا، أي: زاد، ومنه: البَرُّ لاتساعه، وكذلك البَرِيَّةُ، والبُرُّ: الحنطة لسعتها، وقيل: البِرُّ اسم جامع لكل خير.

المظاهرة: المعاونة.

النزول

قيل: لما نزلت الآيات المتقدمة عادى المؤمنون أقرباءهم، وأظهروا العداوة، فأنزل الله تعالى: ﴿عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم﴾ يعني كفار مكة بأن يسلموا، فيصيروا أولياء وإخوانًا لكم.

---

(١) فصبر: قصد، د.

فأما قوله: ﴿لَا يَنْهَىٰكُمُ﴾ الآية:

قيل: نزلت في قوم من خزاعة عاهدوا رسول الله ﷺ ألاّ يقاتلوا، ولا يعينوا عليه عدوًا.

وقيل: نزلت في أسماء بنت أبي بكر قدمت أمها[1] قتيلة بنت عبد العزى المدينة، وهي مشركة، ومعها هدية أهدت إلى أسماء، فأبتْ أسماءُ قبولَها، وأن تدخل بيتها، فسألت عائشة عن ذلك رسول الله، فأنزلت الآية، فأذنت لها في الدخول، وقبلت هديتها، عن عبد الله بن الزبير.

وقيل: نزلت في قوم من بني هاشم، منهم العباس، عن عطية العوفي.

۞ المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى ما يجوز فعله بالكفار وما لا يجوز، فقال ـ سبحانه ـ: «**لَقَدْ كَانَ لَكُمْ**» أيها المسلمون «**فِيهِمْ**» أي: في إبراهيم والأنبياء والمؤمنين على ما تقدم «**أُسْوَةٌ**» قدوة «**حَسَنَةٌ**» قيل: حسنة من حيث توجب الثواب، وقيل: لأنها موعظة في نهاية الصلاح.

ومتى قيل: لِمَ كرر «**ذلك**»؟

قلنا: في الأول أمر بالاقتداء به في البراءة من الكفار، وفي الثاني أمر بالاقتداء به في التوكل عليه، فلم يكن تكرارًا.

وقيل: تأكيدًا لقطع المعتاد من موالاة الأقارب.

وقيل: الأول في المعاداة، والثاني في رجاء ثواب الله.

وقيل[2]: أَمْرٌ بعد أمر في وقتين، فلا يكون تكرارًا؛ لأن التكرار ما[3] يكون في وقت واحد، عن أبي علي.

«**لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ**» أي: يرجو ثوابه ورحمته، ويرجو الثواب[4] في الدار الآخرة، وقيل: يؤمن بالله واليوم الآخر، وإنما خص هؤلاء؛ لأنهم يتحملون

---

(١) قدمت أمها: قد قيل بها، د.

(٢) وقيل: وهو، ك.

(٣) ما: +، ك.

(٤) الثواب: الجزء، ك.

المشاق في التكليف ويقطعون العلائق بين الأقرباء «وَمَن يَتَوَلَّ» أي: يعرض عن طاعة الله، وقيل: يعرض عن الله، فلا يرجوه «فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ» لا يحتاج إلى شيء، الحميد: المنعم على من يطيعه ويعصيه، وقيل: المحمود في جميع[1] أفعاله «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً» قيل: ليجعل، و«عسى» من الله واجب، وقيل: كونوا على رجاء من ذلك، وطمع فيه، وقيل: تلطف حتى يسلموا، وتحصل بينكم المودة أيها المؤمنون، وبين الذين عاديتم من[2] أهل مكة مودة بالإسلام، وكان ذلك حين[3] أسلم كثير منهم، وقيل: صار بينه وبينهم وصلة، فتزوج رسول الله ﷺ بأم حبيبة، وصاروا مَوَالِيَ له، عن ابن عباس. وقيل: زوجها[4] منه النجاشي، وأمهرها أربعمائة دينار، وساق إليها مهرها «وَاللَّهُ قَدِيرٌ» أن يعاقبكم إن واليتم، وقيل: قدير بأن يلطف حتى يظهر المودة «وَاللَّهُ غَفُورٌ» يغفر الذنوب إذا تابوا ويدخلهم الجنة.

«لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ» قيل: من أهل مكة، عن مجاهد. وقيل: هي عامة في كل من كان بهذه الصفة «أَنْ تَبَرُّوهُمْ» أي: تحسنوا إليهم بالأموال والعشرة «وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ» أموالهم أي: تعدلوا فيهم، وفي معاملتهم، وقيل: القسط النصيب الذي تعطونهم قسطًا وحظًا من مالكم وطعامكم «إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ» قيل: العادلين، وقيل: يحب الذين يعطون جيرانهم والمحتاجين حظًا من مالهم، عن أبي علي. «إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ» أي: ينهاكم عن موالاة من قاتلكم لأجل الدين، ومخالفته إياكم في التوحيد والعدل «وَأَخْرَجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ» أي: آذوا المسلمين، وبلغوا في ذلك الغاية حتى أخرجوهم من ديارهم؛ أي: أخرجوهم من ديارهم الخروج، فخرجوا «وَظَاهَرُوا عَلَى إِخْرَاجِكُمْ» أي: عاونوا، وهم العوام والأتباع عاونوا الرؤساء على الباطل وعلى أذى المسلمين «أَنْ تَوَلَّوْهُمْ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ» أي: يواليهم ولا يقطع العلائق «فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» قيل:

(١) جميع: +، ك.
(٢) من: منهم، ك.
(٣) حين: حتى، ك.
(٤) زوجها: دفعها، د.

الكافرون، عن أبي مسلم. وقيل: الواضعون الولاية في غير موضعها، وقيل: الظالمون لأنفسهم؛ حيث أوجبوا لها النار.

الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: وجوب الاقتداء بمن تقدم ذكرهم، وقد بَيَّنَّا أنه في شيء خاص، فلا تعلق للقوم بذلك.

ومنها: أن في أهل مكة من يؤمن، وعلم ذلك من حالهم؛ لذلك قال: ﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً﴾.

ومنها: على معجزة لرسول الله ﷺ، حيث أخبر عن شيء لا يعلمه إلا الله، فكان كما أخبر.

ومنها: أن الإحسان إلى الكفار يجوز إذا لم يكن حديثًا، والنهي عن ذلك في المقاتلين.

وذكر علي بن موسى القمي أنها تدل على جواز صلة الرحم في الكفار.

وتدل على أن المأخوذ من الكافر(١) الحربي لا يجوز المنّ عليه، وردّه إلى دار الحرب؛ لأنه من البر الذي نهى عنه، واستدل بالآية على جواز دفع صدقة الفطر إلى أهل الذمة.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ مُهَـٰجِرَٰتٍ فَٱمْتَحِنُوهُنَّ ۖ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَـٰنِهِنَّ ۖ فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَـٰتٍ فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ ۖ لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ ۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ ۚ وَلَا تُمْسِكُوا۟ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ وَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقْتُمْ وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ حُكْمُ ٱللَّهِ ۖ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ وَإِن فَاتَكُمْ شَىْءٌ مِّنْ أَزْوَٰجِكُمْ إِلَى ٱلْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَـَٔاتُوا۟ ٱلَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَٰجُهُم مِّثْلَ مَآ أَنفَقُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ أَنتُم بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾﴾.

---

(١) الكافر: الكفار، د.

القراءة

قرأ الحسن وأبو عمرو ويعقوب وأبو حاتم «ولا تُمَسِّكُوا» بالتشديد من التمسك، يقال: مَسَّكْتُ الشيء، وتمسكت به، وقرأ الباقون بالتخفيف من الإمساك، وتكون الباء صلة، وتقديره: ولا تمسكوا عصم الكوافر.

قراءة العامة: «فَعَاقَبْتُمْ» بالألف، وقرأ إبراهيم وحميد والأعرج: «فعقّبتم» مشددة بغير ألف، وقرأ مجاهد: «فأعقبتم» على وزن أفعلتم، قال: صنعتم بهم كما صنعوا بكم، وقرأ الزهري: «فعقبتم» خفيفة بغير ألف، وقرأ مسروق: «فعقِبتم» بكسر القاف خفيفة، وكلها لغات، يعني قال: عاقب وعقّب وعَقَب وعَقِبَ وأعقب وتعقب واعتقب وتعاقب: إذا غنم، والتعقيب: أن يعمل عملاً ثم يعود فيه، وإذا غزا ثم ثنى من سنته[1] فقد عَقَّبَ، وأصله أن تكون العقبى والغلبة لهم حتى يقيموا، وقيل: معنى **(عاقبتم)** أمسكتموهم في القتال حتى غنمتم، وأصل المعاقبة تصيير[2] كل واحد من الشيئين مكان الآخر عقيب ذهابه، وأصله: العقب، وهو كون الشيء بعد الأخير، ومنه: العقاب، ومنه: العاقبة: الخاتمة.

اللغة

الهجر: ضد الوصل وهو الأصل في الباب، قال الأزهري: المهاجرة عند العرب خروج البدوي من البادية إلى المدن: إذا أقام بها، وهاجر القوم من دار إلى دار تركوا الأولى للثانية، وتَهَجَّرَ: إذا تشبه بالمهاجرين، وفي الحديث: «هاجروا ولا تَهَجَّرُوا» قاله عمر، والهَجْرُ: الهذيان، والهُجْرُ: الفحش في المنطق؛ لأنه هجر الصواب.

والامتحان: الاختبار، يقال: امْتَحَنْتُ الذهب والفضة: إذا أذبتها لتختبرها[3] حتى خلصت الذهب والفضة، وأصله من المحنة.

---

(١) سنته: سفنه، ك.
(٢) تصيير: تصير، ك.
(٣) لتختبرها: لتخبرها، د.

والعصمة: سبب به يمنع من المكروه، وجمعه: عِصَمٌ، والاعتصام: التمسك بالشيء، واعتصم به: امتنع به، وكلما يتمسك به فهو معصم، وأصل الباب: المنع، ومنه: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]، ﴿لَا عَاصِمَ ٱلۡيَوۡمَ مِنۡ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [هود:٤٣]، والعصمة: العقدة، يقال: عصمة[١] المرأة بيد الرجل.

الكوافر: قيل: جمع كافرة كقابلة وقوابل، وزانية وزوانٍ[٢]، فعلى هذا كوافر: جمع النساء، وقيل: هي على تقدير: فرقة كافرة، وفرق كوافر، ويقع على الرجال والنساء، وقيل: كوافر جمع كافر، وقد يجمع «فاعل» على «فواعل»: إذا كان اسمًا، كفارس وفوارس، وخالد وخوالد، قال جرير:

أَخَالِدَ قَدْ عَلِقْتُكِ بَعْدَ هِنْدٍ فَشَيَّبَنِي[٣] الْخَوَالِدُ وَالْهُنُودُ[٤]

وقيل: «فواعل» جمع «فاعل» إذا جرى بها مجرى الاسم، وإذا جرى بها مجرى الصفة فهي جمع «فاعلة»، وكافر أجري مجرى الاسم، قال ـ تعالى ـ: ﴿فَمِنكُمۡ كَافِرٞ﴾ [التغابن: ٢] ولم يقل: رجل كافر.

۞ الإعراب

قيل: ﴿ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ﴾ نصب على الحال، أي: في حال الهجرة.

۞ النزول

قيل: لما أقبل رسول الله معتمرًا حتى كان بالحديبية وصده المشركون عن دخول مكة، وآل الأمر إلى المصالحة، واختلفوا كيف وقع الصلح، قال ابن عباس: صالحوه على أن من أتاه من أهل مكة رده إليهم، ومن أتى أهل مكة من أصحاب رسول الله ﷺ فهو لهم، ولم يردوه عليه[٥]، وكتب بذلك كتابًا، فجاءت سبيعة بنت الحارث

(١) عصمة: عصمت، د.
(٢) زوان: زواني؛ د، ز، ك.
(٣) فشييني: فتنسيني؛ د، ز، ك.
(٤) البيت قائله جرير، أنظر لسان العرب (هند)، تاج العروس (هند).
(٥) عليه: عليهم، د.

الأسلمية مسلمة بعد الفراغ من الكتاب، والنبي ﷺ بالحديبية، وأقبل زوجها مسافر من بني مخزوم وكان كافرًا، عن ابن عباس، وقيل: اسمه صَيْفي[١]، عن مقاتل، في طلبها، والتمس من رسول الله ﷺ ردها، وقال: إنك يا محمد شرطت أن تردَّ علينا مَنْ أتاك مِنّا، وكتبت الكتاب لم يجف بعد، فأنزل الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾.

قال ابن عباس: امتحانهن أن يستحلفهن ما خرجت من بغض زوج، ولا رغبة من أرض إلى أرض، ولا التماس الدنيا، ولا خرجت إلا حبًّا لله ورسوله، فاستحلفها ما خرجت إلا رغبة في الإسلام، فحلفت، وأعطى رسول الله زوجها مهرها وما أنفق عليها ولم يردها، فتزوجها عمر، وكان رسول الله ﷺ يرد من جاءه من الرجال، ويحبس من جاءه من النساء: إذا امتحن، ويعطي أزواجهن مهورهن.

وعن عروة بن الزبير[٢] أن النبي ﷺ صالح على أن يرد عليهم من جاء بغير إذن وليِّه، فلما هاجرت النساء أبا الله أن تُرَدَّ إلى المشركين، أمر بِرَدِّ صداقهن، فأمسك النبي ﷺ النساء، ورَدَّ الرجال.

وذكر علي بن موسى القمي عن ابن عباس أن الصلح وقع على أن من أسلم من[٣] نسائهم تتعرف، فإن خرجت رغبة في الإسلام أمسكها ورَدَّ على زوجها ما أنفق، وإن خرجت هربًا من زوجها رُدَّتْ، فعلى هذا تكون الآية ناسخة لِرَدِّ النساء.

وذكر شيخنا أبو علي ـ رحمه الله ـ إنه لم يدخل في شرط الحديبية إلا رد الرجال دون النساء، ولم يَجِرْ للنساء ذكرٌ، وأن أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط جاءت مسلمة مهاجرة من مكة، فجاء أخواها إلى المدينة، وسألا رَدَّهَا عليهما[٤]، فقال ﷺ: «إن الشرط بيننا في الرجال، لا في النساء»، فلم يردها عليهم، قال أبو علي: وإنما لم يجز هذا الشرط في النساء؛ لأنها إذا أسلمت لا تحل لزوجها الكافر، فكيف تُرَدُّ عليه، وقد وقعت الفرقة بينهما؟

(١) صيفي: صفي، ك.
(٢) الزبير: الزينم، د.
(٣) في هامش ك: أهل مكة، فهو رد عليهم، ونزلت الآية بعد الصلح فكان من أسلم من.
(٤) عليهما: عليهم، ك.

۞ المعنى

لما قطع الموالاة بين المسلمين والكفار حكم بين المهاجرة وَزَوْجِها، فقال سبحانه وتعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمُ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ» من دَار الكفر إلى دار الإسلام «فَامْتَحِنُوهُنَّ» أي: اختبروهن، وقيل: كان امتحانها أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا عبده ورسوله، عن ابن عباس بخلاف. وقيل: امتحانها أن تحلف ما خرجت بغضًا لزوجها، ولا اختيار أرض، ولا لرغبة في الدنيا، وما خرجت إلا رغبة في الإسلام، وحبًّا للدين، ولله ولرسوله، عن ابن عباس، وقتادة. وقيل: تحلف ما جاءتك تخشى أحدًا منّا ولا هربًا[١] من زوجها[٢]، عن عكرمة[٣]. وقيل: يختبر أحوالهن، فيحكم فيهن بما يغلب على الظن من أحوالهن.

ومتى قيل: كيف جاز رد المسلم على الكافر مع شدة أذاه له؟

قلنا: يجوز أن يكون رده مدة القهر مصلحة ومنعه مفسدة، والله أعلم بتفاصيل المصالح.

وقيل: يجوز أن يكون تشديدًا في التعبد لمن تأخر هجرته وإسلامه.

ومتى قيل: كيف يمتحن، ولا يعلم باطنه؟

قلنا: أراد على الظاهر، ولذلك قال: «اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ» باطنًا.

«فَإِنْ عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ» في الظاهر لما يظهر من الشهادتين وإقامة حدود الإسلام، والعمل بموجب الشرع، مع غلبة الظن بأنها صادقة، وقيل: بأن تحلف أنها جاءت رغبة في الإسلام «فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ» أي: لا تردوهن إليهم «لَا هُنَّ حِلٌّ لَهُمْ وَلَا هُمْ يَحِلُّونَ لَهُنَّ» لوقوع الفرقة بينهما بمباينة الدين والدار، وقيل: فرق بينهما الإسلام وإن لم يطلق المشرك، عن ابن زيد، وجماعة. «وَآتُوهُمْ» أعطوهم «مَا أَنفَقُوا»[٤] على الزوجات إذا جاءت مسلمة مهاجرة، و«ما أنفقوا» قيل: الصداق، عن

(١) ولا هربًا: هرب؛ ك.

(٢) زوجها: زوجك؛ ث، د، ك.

(٣) وقيل قلق ما . . . عكرمة: +، ك.

(٤) في هامش ك: قيل: لما كان العهد بالحديبية بترك الإضرار أمر برد المهور على الأزواج وما أنفقوا.

ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، وابن زيد. قال الزهري: لولا الهدنة لم نرد على المشركين صداقًا كما كان يفعل قبلُ، وقيل: كان يرد مهرهن من الغنيمة قبل القسمة، فكان ذلك من المصالح التي تتعلق بمال بيت المال «**وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ**» أي: لا حرج أيها المؤمنون «**أَنْ تَنكِحُوهُنَّ**» يعني تزوجوا النساء المهاجرات، وإن كان لهن أزواج في دار الكفر؛ لأن الإسلام فَرَّقَ بينهما، واختلفوا في وقت التزويج، فقيل: بعد الهجرة، ولا عدة عليهن، عن إبراهيم، وهو قول أبي حنيفة، وقيل: بعد انقضاء عدتهن، وهو مذهب أبي يوسف ومحمد. «**إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ**» أعطيتموهن «**أُجُورَهُنَّ**» يعني مهورهن «**وَلاَ تُمْسِكُوا بِعِصَمِ الْكَوَافِرِ**» أي: بعقد الكوافر، اختلفوا في معناه، وقيل: لا تمسكوا بعقدة النساء الكوافر، فمن كانت له امرأة كافرة بمكة فقد انقطعت عصمتها عنه وليست له بامرأة، وإن جاءت امرأة مسلمة، ولها بمكة زوج كافر فلا تعتد به[1] فقد انقطعت عصمتها، عن ابن عباس. كأنه بَيَّنْ حال مَنْ هاجر إلينا مِنْ نسائهم وزوجها كافر، ثم بَيَّنَ حال مَنْ هاجر من الرجال، وبقيت المرأة مشركة، فعلى هذا الكوافر يتناول الرجال والنساء، وقيل: معناه: ولا ترغبوا في نكاح النساء الكوافر، وأُمِرُوا بطلاق النساء الكوافر، قال الزهري: فطلق عمر امرأتين له بمكة «قريبة[2]، وأم كلثوم»، وطلق طلحة امرأة له بمكة «أروى»، وكذلك جماعة طلّقُوا نساءهم، قال مجاهد: أمر الله تعالى بطلاق نسائهم الكوافر، وقيل: لا تزوجوا الكافرات، والتمسك بالعصم الأخذ بالأيدي، وذلك عبارة عن التزويج، عن أبي علي. وقيل: إذا جاءت مهاجرة، وهي كافرة، أو ارتدت، أو أسلم الزوج، وهي كافرة على حالها ردت على زوجها، وقيل: لا تعتصموا بالنكاح الذي كان في الجاهلية، ولا تأخذوهن بالعدة منهم إذا جاءت مهاجرة، فعلى هذا الكوافر يتناول الرجال، كأنه[3] يقول: انقطع النكاح ولا عدة، وقيل: ينقطع النكاح بالتطليق، وقيل: يفرق بينهما الإسلام، وإن لم يطلق، عن ابن زيد. وقيل: إنه يتصل بما قبله يعني جاز لكم تزويج المهاجرة، وإن كان لها زوج في دار الحرب، لا تمتنعوا عن ذلك، ولا تمسكوا بعقد الرجال الكفار الكوافر؛ لأن

(١) فلا تعتد به: ولا تعتد به، ك؛ فلا يعتد به، د.
(٢) في هامش ك: أروى.
(٣) كأنه: +، هامش ك.

ذلك العقد قد انحل، وانقطعت العصمة «**وَاسْأَلُوا**» خطاب للمؤمنين، أي: اسألوا أيها المؤمنون الذين ذهبت أزواجهم، ولحقت بالمشركين «**مَا أَنفَقْتُمْ**» عليهن من الصداق من الذي بينكم وبينهم[1] عهد، وقيل: فسلوهم أن يعطوكم كما يأخذون منكم ما أعطوا نساءهم، من المهر إذا صرن إليكم، وإلا فطالبوهم[2] رد المرأة إليكم «**وَلْيَسْأَلُوا**» يعني يسأل الكفار الذين هاجرت نساؤهم وتحقق لكم أنهن مؤمنات «**مَا أَنفَقُوا**» ما أعطوهن من الصداق، وهذا هو العدل والمحافظة على العهد، ومن أين[3] يُعْطَى؟ قيل: يعطى ذلك قبل القسمة من الغنيمة، وقيل: بل ممن[4] يتزوج بها، فأما الكافر فمن يتزوج بها.

ومتى قيل: كيف خاطب الكفار بالشرائع حتى[5] قال: «**وليسألوا**»؟

قلنا: هم عندنا مخاطبون بالشرائع، ومن قال: لا يخاطبون يقول: هو خطاب للمؤمنين بدفعه إليهم، ولا يعتقدون[6] أنه لا يحل دفعه إليهم.

«**ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ**» يقوم بينكم وبينهم، وقيل: أي ما تقدم حكمه فلا تجاوزه «**وَاللَّهُ عَلِيمٌ**» بالمصالح «**حَكِيمٌ**» فيما يفعله ويأمره «**وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ**» قيل: لما بَيَّنَ الله تعالى الحكم الذي تقدم وأبى المشركون أن يقروا به، وأن يردوا الصداق أنزل الله تعالى هذه الآية، وقيل: بل هذا فيمن لحق بقوم لا عهد معهم يعني[7] إذا لحقت امرأة منكم بالكفار الذين لا عهد بينكم وبينهم، وقيل: المراد: إذا لحقوا بقوم بينكم وبينهم عهد، وقيل: إذا ارتدت امرأة منكم من الإسلام «**فَعَاقَبْتُمْ**» قيل: ظفرتم بالمرتدة، وقتلتم[8] عقوبة، وقيل: عاقبتم أي عزمتم وأصبتم الغنيمة

(١) وبينهم: بين، د، ك.
(٢) فطالبوهم: فظاهرهم، د.
(٣) ومن أين يعطى، +، هامش ك.
(٤) ممن: من، ك؛ -، د.
(٥) حتى: حين، ك.
(٦) ولا يعتقدون: يعتقدوا؛ د، ز، ك.
(٧) يعني: +، ك.
(٨) وقتلتم: وفعلتم، ك.

«فَآتُوا» أعطوا «الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنفَقُوا» من المهر[(١)]، عن أبي مسلم، قال: لما لم يكن للمرتدة من يرد المهر بعد القتل كما كان للكافرة والمهاجرة أمر بِرَدِّها من الغنيمة، وقيل: معناه فغنمتم بعد ذلك شيئًا من مال هؤلاء الكفار الذين ذهبت أزواجكم إليهم فأعطوا الذين ذهبت أزواجهم من تلك الغنيمة مثل مهور نسائهم، عن ابن عباس، وهو قول أبي علي. وقيل: من مال الفيء، عن الزهري. وقيل: من كلها، وقيل: «فعاقبتم» أي: خلفتم من بعدهم، وصار الأمر إليكم، قال الزهري: فكان جميع ما لحق بالمشركين من نساء المسلمين ست نسوة: أم الحكم بنت أبي سفيان كانت تحت عياض بن شداد الفهري، وفاطمة بنت[(٢)] أبي أمية أخت أم سلمة كانت تحت عمر، وبروع بنت عقبة كانت تحت شماس بن عثمان، وعبدة بنت عبد العزى زوجها عمرو بن عبد ود، وهند بنت أبي جهل كانت تحت هشام بن العاص، وأم كلثوم امرأة عمر، فأعطاهم رسول الله ﷺ مهور نسائهم من الغنيمة. «وَاتَّقُوا اللَّهَ» فلا تجاوزوا أمره[(٣)] «الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ».

الأحكام

الآية تشتمل على أحكام ثابتة، وأحكام منسوخة، ودلالات يدل الظاهر عليها.

فأما الأحكام الثابتة:

فمنها: قوله: ﴿فَلَا[(٤)] تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ تدل الآية أنه لا يحل رد المؤمنات إلى دار الحرب إذا هاجرن وأسلمن.

ومنها: قوله: ﴿فَٱمْتَحِنُوهُنَّ﴾ أنه يجب الامتحان؛ لأنها ربما جاءت لمكر[(٥)] وغدر وتجسس لأحوال المسلمين، فيجب البحث عن حالها احتياطًا.

---

(١) +، في هامش ك: قيل: إذا قتلتم المرتدة فأعطوا زوجها ما أنفق من المهر.
(٢) بنت: ابنت، د.
(٣) أمره: الأمر، د.
(٤) فلا: لا، د، ك.
(٥) لمكر: لمنكر، د.

ومنها: أن المعتبر بما يعلم من ظاهر أمرها دون الباطن؛ لذلك قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ﴾

ومنها: أنه بالهجرة قد حرمن على أزواجهن؛ لذلك قال: ﴿لَا هُنَّ حِلٌّ لَّهُمۡ﴾.

ومنها: جواز نكاحهن عقيب الهجرة، فتدل على وقوع التفرقة بنفس الهجرة، ولأنه لا عدة لهن، وهو قول أبي حنيفة، وقال أبو يوسف ومحمد: عليها العدة، وهو قول الهادي، وقال الشافعي: عليها العدة، وقال: لا تقع التفرقة حتى تنقضي العدة.

ومنها: جواز نكاحهن بشرط الأجر، فتدل على ثبوت المهر في النكاح.

ومنها: أن التفرقة محرمة كالخلع لا تحل له إلا بعقد جديد؛ لذلك حل الثاني.

وذكر علي بن موسى القمي أن الحربية في هذا تخالف الكتابية، فإنها إذا أسلمت، ثم أسلم الزوج فهما على نكاحهما، وروي عن علي نحوه.

وعن عمر، وعطاء، وطاووس، ومجاهد في النصرانية إذا أسلمت، ولم يسلم زوجها يفرق بينهما، وروي عن جماعة إذا أسلم في العدة فهي امرأته، عن سعيد بن المسيب وهو مذهب الشافعي، وعن إبراهيم يعرض عليه الإسلام، فإن أسلم فهما على نكاحهما، وإن أَبَى فَرَّقَ بينهما، وهو مذهب أبي حنيفة وأصحابه.

وقال الهادي: إذا أسلم أحد الذميين لا تقع التفرقة إلا بانقضاء العدة، أو بعرض الإسلام على الآخر، فيأباه.

فأما الْمَسْبِيَّةَ: فإن[1] سُبِي أَحَدُهُمَا وقعت الفرقة، وإن سبيا فلا تقع الفرقة عند أبي حنيفة، وقال الشافعي: تقع[2].

فأما الفصل الثاني وهو الأحكام المنسوخة في الآية:

---

(١) فإن: بأن، ك.

(٢) +، في هامش ك: فأما الردة إذا ارتد أحدهما وقعت الفرقة، فإن ارتدا معًا لا تقع، وهو قول أبي حنيفة والهادي (عليه السلام)، وقال الشافعي: تقع.

فمنها: رد المسلمة[1] على الكافر إذا وقع عليه الصلح، فإن ذلك منسوخ في الرجال والنساء، وقال أبو حنيفة: إذا جاءت امرأة مهاجرة، وجاء زوجها وقد وقع الصلح على الرد لا ترد المرأة، ولا مهرها، وهو قول الهادي، وقال الشافعي: يُرَدُّ مَهْرُهَا.

ومنها: رد المهر كان يجب، ثم نسخ، وكذلك قوله: ﴿وَلْيَسْـَٔلُوا۟ مَآ أَنفَقُوا۟﴾ فرد المهر من الجانبين منسوخ.

ومنها: قوله: ﴿وَإِن فَاتَكُمْ﴾ كان الواجب رد الصداق على الزوج من الغنيمة على ما ذكرنا فنسخ ذلك، وقيل: ليس بشيء من ذلك نسخ[2]؛ لأنها أحكام كانت مصلحة لهم في وقت موادعة وعهد بين النبي ﷺ والمشركين إلى مدة.

فأما دلالات الآيات فقد دخلت فيما ذكرناه.

قوله تعالى:

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَـٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَـٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَـٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ ۙ فَبَايِعْهُنَّ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُنَّ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَتَوَلَّوْا۟ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا۟ مِنَ ٱلْـَٔاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾﴾.

اللغة

البهتان: الباطل.

والافتراء والاختلاق بمعنى، وهو الكذب.

والمعروف: ما يعرف صحته عقلاً أو شرعًا، وضده المنكر.

---

(١) المسلمة: المسلم، د؛ الإسلام، ك؛ وما أثبتناه من هامش ك.

(٢) نسخ: نسخًا، د، ز، ك.

والتولي: أخذ بعضهم بعضًا[1] وليًّا.

واليأس: ضد الرجاء، وهو قطع الطمع على اليقين.

النزول

قيل: كان ناس من فقراء المؤمنين يخبرون اليهود بأخبار المسلمين ليصيبوا من خيرهم، فنهوا عن ذلك، ونزل قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوۡاْ﴾ الآية.

المعنى

ثم بَيَّنَ تعالى حال النساء في البيعة، فقال ـ سبحانه ـ: «**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ**» قيل: إذا جاءك من تريد إظهار الإيمان، وقيل: من صدقك بالشهادتين، وقيل[2]: إذا جاءك من تريد أن تكون مؤمنة، تشرط عليهن ذلك في المستقبل «**يُبَايِعْنَكَ**».

ومتى قيل: ما وجه بيعتهن، فلسن من أهل النصرة؟

قلنا: أخذ العهد عليهن بما يصلح لشأنهن في الدين والأنفس والأزواج، وقد تكون قوة، وكل ذلك في صدر الإسلام، دليلاً ينفتق بهن فتق، وهذه البيعة كانت يوم فتح مكة لما فرغ من بيعة الرجال، وهو على الصفا، وعمر أسفل منه يبايع النساء بأمره، وقيل: كان عمر بحضرته، وقيل: بل كان بايع بالكلام، ما مس يدُه يدَ امرأة إلا امرأته، وقيل: كان[3] يبايع بيده ،وعليها ثوب، عن الشعبي. وقيل: كان عنده قدح ماء غمس[4] يده فيه ،ثم غَمَسْن أيديهن، عن عبد الله بن عمرو بن العاص. وقيل: كان هو يشرط[5] على النساء ،وعمر يصافحهن، عن الكلبي. وقيل: حضرت مجلس رسول الله ﷺ للبيعة، وفيهن هند بنت عتبة امرأة أبي سفيان متنقبة متنكرة[6]

---

(١) بعضا: +، ك.
(٢) إذا جاءك ما تريد إظهار . . . .وقيل: +، هامش ك.
(٣) بحضرته وقيل. . . . كان: +، هامش ك.
(٤) غمس: يغمس، ك.
(٥) يشرط: شرط، ك.
(٦) متنكرة: منكرة، د.

خوفًا من رسول الله ﷺ، فلما قال: «على ألا يشركن بالله شيئًا» قالت هند: إنك لتأخذ علينا أمرًا ما أخذته على الرجال، وكان يبايع الرجال على الإسلام والجهاد، فلما قال: «وعلى ألا يسرقن» قالت هند: إن أبا سفيان رجل شح، وإني أصبت من ماله، فقال أبو سفيان: جعلتك في حِلٍّ، فعرفها رسول الله ﷺ وتبسم، وقال: «إنك لَهِنْد[١]»، فقالت: نعم، فاعف عما سلف، فلما قال: «ولا يزنين» قالت: أتزني حرة؟ قال: فلما قال: «ولا يقتلن أولادهن» قالت: ربيناهم صغارًا وقتلتَهُمْ[٢] كبارًا فأنتم وهم أعلم، وكان ابنها حنظلة بن أبي سفيان قتل يوم بدر، فضحك عمر، وتبسم رسول الله ﷺ، فلما قال: «ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن» قالت: إن البهتان يقبح، وما أمرتنا إلا بمكارم الأخلاق. وذكر الأصم أنها قالت: أما إن لي ضرة فلا أدع البيت، فقال أبو سفيان: لا أتزوج عليها، فلما قال[٣]: ولا يعصينك في معروف، قالت: ما جلسنا مجلسنا هذا، وفي أنفسنا أن نعصيك في شيء، فأقر النسوة بما أخذ عليهن «**عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا**» يعني لا يصفن الله بالشريك ولا يعبدن غيره معه «**وَلاَ يَسْرِقْنَ**» هو أخذ مال الغير في خفية «**وَلاَ يَزْنِينَ**» هو الوطء من غير عقد «**وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ**» قيل: هو ما كانت العرب عليه من دفن البنات وهي الموءودة، وقيل: لا يمنعن الرضاع والحضائن في وقت الحاجة، وقيل: هو قتل الأولاد في الأرحام «**وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ**» يعني لا يأتين بكذب في مولود وجد بين أيديهن وأرجلهن، قال ابن عباس: لا يلحقن بأزواجهن غير أولادهن، وقيل: هو السِّحْر، وهو السعي بالنميمة[٤] فذلك بين أرجلهن وما يعمل باليد مما يوهم، عن أبي مسلم. وقيل: كانت المرأة تلتقط الولد، وتقول لزوجها: هذا ولدي منك، فذلك البهتان المفتَرى، عن الفراء. وقيل: المراد لا يقذف بعضهن بعضًا، وقيل: أراد بالبهتان ما نهى عنه من جميع ما يتعلق به من إلحاق ولد بالزوج ليس منه، أو سعي بالنميمة، أو قذف المحصنات، والكذب على الناس، وقيل: الخيانة للزوج

(١) لهند: الهند، ك.

(٢) وقتلتهم: قتلناهم، د، ك؛ وكتب فوق د: قتلتهم.

(٣) أما إن لي ضرة... قال: +، هامش ك؛ قال: قالت، هامش ك.

(٤) النميمة: البغي، ك.

في المال والنفس من خلفه، والرمي بالعظائم بين يديه، وقيل: البهتان والافتراء واحد، ومعناه أن تأتي ببهتان عظيم من زنا أو غيره ثم تفتري بذلك على غيرها[1]، فتكون هي الفاعلة[2] لذلك، وترمي به غيرها[3] «وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ» أي: لا يعصينك في جميع ما تأمرهن؛ لأنه أمر[4] بمعروف، وقيل: مما شرط، وقيل: مما[5] شرط عليهن ترك النوح، عن ابن عباس. وقيل: أخذ عليهن ألا يظلمن، ولا يشققن جيبًا[6]، ولا يدعون بالويل والثبور كفعل أهل الجاهلية، عن زيد بن أسلم. وقيل: التبرج إلى غير مَحْرَمٍ، والوجه ما ذكرنا أولاً؛ لأن جميع ذلك داخل فيه؛ لأنه من المعروف، وقيل: سئل ما ذلك المعروف فقال: «ألا تسافر المرأة سفرًا فوق ثلاث إلا مع زوج أو محرم، وألا يَنُحْنَ، ولا يخمشن وجوههن، ولا ينتفن شعورهن، ويقررن في بيوتهن»، وعن النبي ﷺ: «لعن الله النائحة، والمستمعة، والحالقة، والواشمة» فالحالقة هي التي تحلق شعرها عند المصائب، وجميع ذلك يرجع إلى أربعة أشياء: اعتقاد التوحيد، وحفظ اللسان، واجتناب المعاصي، وطاعة الرسول. «فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ» بشرط قبول هذه الأشياء «إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ».

«يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ» قيل: اليهود، وقيل: الكفار أجمع، أي: لا تتخذوا كافرًا وليًا «قَدْ يَئِسُوا مِنَ الْآخِرَةِ» قيل: يئسوا من ثواب الآخرة «كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ» من النشأة الثانية، عن ابن عباس. وقيل: يئسوا من ثواب الآخرة كما يئس منه أصحاب القبور؛ لأنهم أيقنوا بعذاب الله، عن مجاهد. وقيل: قد يئسوا من الآخرة اليهود، كما يئس كفار العرب أن يحيا أهل القبور، عن الحسن. وقيل: هم أعداء المؤمنين من قريش يئسوا من خير الآخرة كما يئس سائر[7] الكفار «مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ» من حظ الآخرة، وقيل: كما يئس الكفار أن ينال الموتى في القبور

(١) غيرها: غيره، د.
(٢) هي الفاعلة: هو الفاعل، د.
(٣) غيرها: غيره، د، ز، ك.
(٤) لأنه أمر: لا يأمر، ك.
(٥) مما: بما، د.
(٦) ولا يشققن جيبًا: ولا يسفعن صبيًا، د.
(٧) سائر: +، ك.

جزاء، وقيل: كما يئس الكفار من لقاء أقاربهم وأصدقائهم[(١)] الموتى بخلاف المؤمنين، وقيل: كما يئسوا أن ينالهم خير[(٢)] من أصحاب القبور، وختم السورة بقطع الموالاة للكفار كما افتتح به.

۞ الأحكام

تدل الآية على أن النبي ﷺ كان لا يقبل من النساء إسلامهن إلا بقبول هذه الأشياء[(٣)] لذلك بدأ به.

وتدل أن الاستغفار لا يقع[(٤)] إلا بهذه الشرائط، فيبطل قول المرجئة في الشفاعة.

ويدل قوله: ﴿لَا تَتَوَلَّوْا﴾ على النهي من موالاة الكفار على ما قدمناه.

(١) الكفار من لقاء أقاربهم وأصدقائهم: الكافر من لقاء أقاربه وأصدقائه، ك.
(٢) خير: خيرًا، ز، د.
(٣) +، هامش ك: في جميع العقليات والشرعيات تدخل فيها، وتدل أن هذه الأشياء.
(٤) لا يقع: لا يصح، ك.

سُورَةُ الصَّفِّ

سورة (الصف)، وتسمى سورة (الحواريين)، وهي مدنية فيما نقل، وذكر بعضهم أنها مكية، وهي أربع عشرة آية.

وعن زِرِّ بن حُبَيْشٍ، عن أبي بن كعب، أن النبي ﷺ قال: «من قرأ سورة (الصف) استغفر له عيسى في الدنيا ويوم القيامة، وهو يكون رفيقه».

ولما ختم السورة بقطع الموالاة، افتتح هذه السورة بأن ذلك يجب أن يكون ظاهرًا وباطنًا، ثم أمر بالجهاد.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى:

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۖ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ (٢) كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ أَن تَقُولُوا مَا لَا
تَفْعَلُونَ (٣) إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ
مَّرْصُوصٌ (٤) وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يَا قَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ
اللَّهِ إِلَيْكُمْ ۖ فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ۚ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ (٥)﴾.

اللغة

المَقْتُ: البغض، وهو ضد الحُبِّ، والمَقْتُ والمَقَاتَةُ مصدران، ورجل ممقوت ومَقِيتٌ: إذا لم يحبه الناس.

والرص: إحكام البناء، رصصت البناء: أحكمته حتى لا خلل فيه، وأصله من الرصاص، ومنه: «تراصوا في الصفوف لا يتخللكم الشيطان».

والزيغ: الميل عن الحق، وزاغ: مال، وأزاغه: أماله.

الإعراب

«**لم تقولون**» هو «لِمَا»، أي: لأي شيء، حذفت الألف فرقًا بين الاستفهام والخبر.

«**مقتًا**» نصب على الحال، وقيل: على التمييز، وقيل: العامل مضمر فيه، تقديره: كبر المقت مقتًا، وقوله: «**مقتًا**» تفسير له، كقولهم: نعم الرجل زيد، أي: نعم الرجل رجلاً زيدٌ.

«**أن تقولوا**» قال الكسائي: هو في موضع رفع؛ لأن «كَبُرَ» [فعل][1] في منزلة قولك: بئس رجلاً أخوك.

«**صفًّا**» نصب على المصدر، جاء الفعل من غير لفظه، تقديره: الذين يُصَفُّون صفًّا.

النزول

قيل: نزل قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾ في قوم قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لتسارعنا إليه، فلما نزل فرض الجهاد تثاقلوا فيه، عن ابن عباس، ومجاهد.

وقيل: بل نزل في قوم كانوا يقولون: جاهدنا، وقاتلنا، وأنفقنا، وأبلينا، وفعلنا، ولم يفعلوا، وهم كَذَبَةٌ[2]، عن قتادة، والأصم.

وقيل: كان رجل آذى المسلمين يوم بدر فقتله صهيب، فقال رجل: أنا قتلت فلانًا، ففرح رسول الله ﷺ، فقال عمر وعبد الرحمن[3]: يا رسول الله إنما قتله صهيب، فنزلت الآية، عن سعيد بن المسيب.

---

(١) فعل: +، القرطبي، الجامع لأحكام، ١٨/ ٧٣.

(٢) وهم كذبة: وهم أدنى كل كذبة، د.

(٣) +، هامش ك: لصهيب أخبر النبي أنك قتلته، قال فلان ينتحله فقال صهيب: أنا قتلته ببدر، فقال عمر وعبد الرحمن.

وقيل: نزلت في المنافقين، وسماهم بالإيمان على ظاهر الإقرار، ومثله يجوز في التوبيخ، عن الحسن[١].

وقيل: نزلت في المنافقين وَعَدُوا[٢] المؤمنين بالنصر[٣] وكذبوا، عن ابن زيد.

وقيل: نزلت في قوم قالوا: لو علمنا أحب الأعمال إلى الله لبذلنا فيها أنفسنا وأموالنا، فأمروا بالجهاد وابتلوا يوم أحد حتى شج وجه رسول الله ﷺ وكسرت رباعيته، ففيهم نزلت الآية، عن مقاتل، والكلبي.

وقيل: لما أخبر الله تعالى رسوله بثواب شهداء الله ببدر[٤]، قالت الصحابة: لئن[٥] لقينا بعده قتالاً لَنُفْرِغَنَّ فيه وُسْعَنَا، ثم فروا يوم أحد، فعيرّهم الله بهذه الآية، عن محمد بن كعب.

۞ المعنى

«سَبَّحَ لِلَّهِ» أي: نزه إما قولاً واعتقادًا، وإما دلالة «مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ» يدل بجميع ذلك على وحدانيته وكونه قادرًا، عالمًا، حيًا، سميعًا، بصيرًا، حكيمًا، عدلاً، فلا شيء يُنْظَرُ إليه إلا ويعرف به، عن أبي علي، وأبي مسلم. وقيل: التسبيح من[٦] المكلفين: تنزيهه عما لا يليق به، ومن الجماد على وجهين:

أحدهما: الدلالة على تنزيهه.

والثاني: إذعانها لما يريد إنفاذه فيها، وخضوع كل شيء لقدرته.

ومتى قيل: التسبيح الأول حقيقة، والثاني مجاز، فكيف يراد بلفظ واحد؟

قلنا: أما عند شيخنا أبي علي والقاضي، فيجوز؛ لأنه لا تنافي بينهما، وبين

---

(١) عن الحسن: +، هامش ك.
(٢) وعدوا: ووعدوا، د.
(٣) بالنصر: النصر، د.
(٤) ببدر: بدر، د.
(٥) لئن: إن، د.
(٦) من: عن، ك.

إرادتهما، وأما عند أبي هاشم وأبي عبد الله فلا يجوز أن إرادتهما[1] بلفظ واحد، ولكن إذا ثبت أن كل واحد منهما مراد فلا بد أن يتكلم[2] به مرتين، أراد في كل مرة واحدًا.

«**وَهُوَ الْعَزِيزُ**» القادر لا يمتنع عليه شيء «**الْحَكِيمُ**» قيل: العالم، وقيل: المحكم لفعله، وهو أن كله حسن. «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لاَ تَفْعَلُونَ**» قيل: الخطاب للمنافقين تقريعًا بأنهم يظهرون الإيمان، ولا يبطنونه، وقيل: الخطاب للمؤمنين وتنفير لهم أن يقولوا شيئًا لا يفعلونه، وقد بينا ما قيل فيه، والأقرب أنه في باب الجهاد، قال أبو علي: هذا على ضربين، لو قال: سأفعل، ومن عزمه ألا يفعل فهذا قبيح مذموم، وإن قال: سأفعل، ومن عزمه أن يفعله والمعلوم أنه لا يفعله، فإنه قبيح؛ لأنه لا يدري أيفعل أم لا؟ وينبغي في مثل هذا أن يقترن بلفظة: إن شاء الله «**كَبُرَ مَقْتًا**» أي: عظم بُغْضُ الله لمن يقول شيئًا لا يفعله، وهذا في الواجبات دون النفل إلا أن يكون نذره فحينئذ يجب.

ومتى قيل: هل يدل قوله: «**كَبُرَ مَقْتًا**» أن ما حصل منهم كبير؟

قلنا: لا؛ لأن المقت يستحق على الكبير والصغير، ثم الصغيرة[3] تكفرها طاعة أعظم منها، والكبيرة تكفرها[4] التوبة.

ومتى قيل: لماذا قبح؟

قلنا: لأنه كذب، إما في الماضي، وإما[5] في المستقبل.

«**إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا**» أي: في طريق دينه صفًّا «**كَأَنَّهُمْ بُنيَانٌ مَرْصُوصٌ**» مُحْكَمٌ لا خلل فيه، ولا يمكن نقضها، كأنه رصَّ بعضَها إلى بعض، وشَدَّ، وقيل: المرصوص المبني من الرصاص، والمراد الثبات في الحرب؛ لأن مَنْ كان صاحب نية وعزيمة لا يزول في الحرب، كما لا يزول البنيان المحكم.

---

(١) إرادتهما: إرادتيهما، ك.
(٢) أن يتكلم: أنه تكلم، ك.
(٣) الصغيرة: الصغير، د.
(٤) تكفرها: تكفره، د.
(٥) وإما: أو؛ د، ز، ك.

ثم ذكر حديث موسى في صدق نيته وعزيمته، وتسلية للنبي ﷺ في تكذيبهم إياه، فقال ـ سبحانه ـ: «**وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي**» قيل: الإيذاء هو تلونهم في الأحوال، وقيل: رَمْيُهُ بالأُدْرَةِ، وقيل: رميه بقتل هارون «**وَقَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ**»؛ لأن الإيذاء مع العلم بكونه رسولاً أعظم «**فَلَمَّا زَاغُوا**» أي: مالوا عن الحق والاستقامة «**أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**» قيل: جازاهم على زيغهم بالغرق والعذاب، فسمى عقوبة الزيغ زيغًا، وهذا هو الأوجه؛ لأنه حذرهم[1] عن مثل الذين نزل فيهم، وقيل: خلاهم وسوء اختيارهم، ومنعهم الألطاف التي بها يهدي قلوب المؤمنين كقوله: ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ﴾ [التغابن: ١١]، عن أبي مسلم. وقيل: أزاغ الله قلوبهم بالحكم بأنها زائغة، عن الحسن. وقيل: أزاغ قلوبهم[2] عن ثواب الإيمان، عن أبي علي. وهذا يقرب من الأول، وقيل: قلوبهم قلوب الخوارج، عن أبي أمامة. ولا يحمل على أنه أزاغ قلوبهم عن الدين؛ لأنه تعالى لا يفعل ذلك، ولأنه فعل ذلك جزاء على زيغهم، ولأنه أمر بالإيمان فلا يمنع منه «**وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ**» قيل: لا يهديهم إلى جنته ورحمته، عن أبي علي. وقيل: لا يحكم بهدايتهم[3]، وقيل: يخليهم واختيارهم ولا يفعل بهم الألطاف، كما يفعل بالمؤمنين، عن أبي مسلم.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: ذم من يقول ولا يفعل.

ومنها: وجوب الوفاء بالنذر.

ومنها: أنه يريد جهاد الأعداء؛ لأنه يحثهم بجهادهم، فلا بد أن يجب جهادهم، فيبطل قول المجبرة: أنه يريد من بعضهم القعود وترك الجهاد.

---

(١) حذرهم: خبرهم، د، ك.

(٢) +، هامش ك: عن الحبور إلى ما يكرهون، وقيل: لما زاغوا عن الإيمان أزاغ الله قلوبهم.

(٣) بهدايتهم: بهدايتكم، ك.

ومنها: تعليم لعباده أن يكونوا في طاعته على كلمة واحدة.

ومنها: أن أذية الرسول مع العلم بنبوته تعظم، وقد يكون كفرًا.

ومنها: قوله: ﴿زَاغُوٓاْ﴾ يدل على أن الزيغ فعلهم.

ومنها: أن الهداية قد تكون بمعنى الثواب[1] والكرامة، وقد روي عن الحسن أن قوله: ﴿لِمَ تَقُولُونَ﴾ خطاب للمنافقين، والأقرب أنه خطاب للمؤمنين؛ لذلك قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، ولأن ما بعده وما قبله يدل عليه.

وتدل على أن قولنا فاسق اسم ذم، فلا يجتمع مع اسم الإيمان الذي هو مَدْحٌ، فيصحح قولنا في المنزلة بين المنزلتين.

قوله تعالى:

﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنۢ بَعْدِي ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔواْ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾﴾.

۞ القراءة

قرأ ابن كثير وحمزة والكسائي وحفص عن عاصم: «مُتِمُّ» بغير تنوين، «نُورِهِ» بالجر على الإضافة، وقرأ الباقون: «مُتِمٌّ» بالتنوين «نُورَهُ» بالفتح على أنه مفعول.

قرأ حمزة والكسائي: «سَاحِرٌ» كناية عن عيسى، والباقون: «سِحْرٌ» بغير ألف يعني ما جاء به.

فتح أهل الحجاز والبصرة، وأبو بكر الياء «من بعديَ اسمه»، ولم يفتحه الباقون.

---

(١) +، هامش ك: لأنه هدى الفاسقين بالأدلة والبيان فالمنع غير ذلك، وإنما هو الثواب.

۞ اللغة

السحر: حيلة توهم أمرًا ليس له حقيقة كإيهام انقلاب الحبل حية.

والمبين: البين[1] لما التبس[2]، قال الشاعر:

حَمِيدَ البَلَاءِ مِتِينَ القُوَى[3] مُبِينَ البَرَاءَةِ مِنْ كُلِّ دَاءِ[4]

والثاني: أن يكون بَيِّنَ اللسان معربًا عن مراده، كقوله: «إن من البيان لسحرًا»، عن أبي مسلم.

۞ الإعراب

الواو في قوله: «وَهُوَ يُدْعَى» قيل: واو العطف، وقيل[5]: واو الحال، يعني لا ظلم أشد ممن يكذب على الله في حال ما يُدعى إلى توحيده وعدله ونبوة نبيه والعمل بشرائعه.

«مُبَشِّرًا» عطف على (مُصَدِّقًا)، والكلام تم عند قوله: «رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ».

۞ المعنى

ثم عطف بقصة عيسى على قصة موسى عليهما السلام[6] تسلية للنبي ﷺ فيما كذبه قومه وإيذائهم إياه، فقال ـ سبحانه ـ: «وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ» قيل: اذكر إذ قال عيسى بن مريم، وقيل: هو عطف على قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى﴾ «يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ» وإنما قال «بين يدي» لأن التوراة متقدمة[7]

(١) في هامش ك: الظاهر ووصفهم السحر بأنه مبين يحتمل وجهين: أحدهما ظهور السحر، والخروج في ذلك الوقت عن الشك إلى.

(٢) في د: التبيان.

(٣) في د: القرى.

(٤) البيت قائله المرار القعفسي، أنظر أبو تمام حبيب بن أوس الطائي، الوحشيات وهو الحماسة الصغرى، تحقيق عبد العزيز الميمني الراجكوني، ص٥٥، دار المعارف، القاهرة.

(٥) واو العطف وقيل: +، ك.

(٦) عليهما السلام: +، ك.

(٧) وإنما قال بين يدي... متقدمة: +، هامش ك.

«وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ» قيل: كان رسول الله يسمى أحمد ومحمد، قال حسان:

فذُو العَرْشِ مَحْمُودٌ وهذا مُحَمَّدُ[(١)]

وقال آخر:

صَلَّى الإلهُ ومَنْ يَحُفُّ بِعَرْشِهِ[(٢)] والطَّيِّبُونَ على المباركِ أَحْمَدِ[(٣)]

عن أبي علي.

«فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ» يعني جاء عيسى بالمعجزات والحجج الدالة على نبوته، كإحياء الميت، وإبراء الأكمه والأبرص «قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ» أي: حِيَلٌ وتمويهات «مُبِينٌ» أي: ظاهر في ذلك، وقيل: فلما جاءهم أحمد بالبينات قالوا: هذا سحر. «وَمَنْ أَظْلَمُ» أي: مَنْ أَشَدُّ ظلمًا «مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ» أي: يختلق الكذب عليه ويقول للمعجز: إنه سِحْرٌ وللرسول: إنه كاذب «وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الإِسْلَامِ» الذي فيه نجاته، قيل: المراد به قوم المسيح، وقيل: بل المراد قوم رسول الله، وقيل: المراد به المجبرة؛ لأنهم يدعون إلى الإسلام والطاعة فيقولون: الله لم يرد منا الإسلام ولا خلق فينا ولا أعطانا قدرة الإسلام، ولو فعل ذلك لآمنا «وَاللَّهُ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ» قيل: لا يحكم بهداية من ظلم بالكذب على الله، وقيل: لا[(٤)] يثيبه، ولا يهديه إلى جنته، عن أبي علي. وقيل: لا يلطف لهم كما يلطف بالمؤمنين ليهتدوا

---

(١) البيت قائله حسان بن ثابت وتكملته:

وضم الإله اسم النبي إلى اسمه ... إذا قال في الخمس المؤذن أشهدُ
وشق له من اسمه ليجله ... فذو العرش محمودٌ وهذا محمدُ

أنظر ديوان حسان بن ثابت، تحقيق وليد عرفات، دار صادر، سنة ٢٠٠٦.

(٢) في د: نحو عرشه.

(٣) جاء في هامش ك: عن أبي مسلم وجماعة. وقيل: معناه من جميع الخلق من الأنبياء وغيرهم وإن كانوا، وقيل: الأنبياء محمودون، وهو أكثر مناقب وفضائل، فقيل: الله سماه أحمد.
البيت قائله حسان بن ثابت في قصيدة: (ما بال عينيك لا تنام كأنما)، أنظر ديوان حسان بت ثابت، دار صادر، ٢٠٠٦.

(٤) وقيل لا: مطموس في د.

عنده؛ لأنه لا لطف لهم، عن أبي مسلم. **«يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا»** اللام في **«لِيُطْفِئُوا»** لام (كي)، أو بمعنى (أن)، تقديره: يريدون أن يطفئوا **«نُورَ اللَّهِ»** يعني هؤلاء الكفار يريدون أن يبطلوا أدلة الله وحججه بقولهم، ونوره: أدلته، وإطفاؤه: إبطالُهُ، وقيل: هم كمن أراد إطفاء نور الشمس بِفِيِهِ، فكما لا يتم له ذلك كذلك من أراد أن يبطل دينه، عن أبي علي. **«بِأَفْوَاهِهِمْ»** قيل: بما يقولون ويفترون، وقيل: يرومون ذلك، يعني حجة، فهو كلام يخرج من فيهم لا معنى له **«وَاللَّهُ»** عزيز لا يُغَالَبُ **«مُتِمُّ نُورِهِ»** أي: مظهر كلمته ومؤيد نبيه ومعلن دينه **«وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ»** وذلك إشارة إلى[(١)] تكفله[(٢)] بنصرة الحق، فلا يصل أحد إلى نقضه **«هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ»** قيل: الهدى: الإيمان، ودين الحق: الشرائع، وقيل: الهدى: الدلالات[(٣)]، ودين الحق: الإسلام، عن أبي علي. **«لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ»** قيل: ليظهر الرسول الدين وليحكم به دون سائر الأديان؛ وقيل: ليظهر الله الدين على سائر الأديان، أي: يوليه حتى يغلب الكل، وأراد جنس الأديان؛ لذلك أدخل الألف واللام، وقيل: أراد بالظهور الغلبة بالحجة، ولهذا نهض المسلمون على سائر الأديان، فأبطلوها، فأما الغلبة فقد تكون لنا، وقد تكون لهم، وقيل: أراد بالظهور للاستعلاء والغلبة، وهم وإن غلبوا أحيانًا فالعاقبة للمسلمين؛ ولذلك تواتر فتوحهم وظهر دينهم، وقيل: الظهور يكون بثلاثة أشياء: بالحُجَّةِ، والغلبة، أو عند نزول عيسى عليه السلام، وقيل: الأديان المشهورة: اليهودية، والنصرانية، والمجوسية، وعباد الأصنام، والمسلمون غلبوا على جميعهم، وقيل: سيظهر حتى لا يبقى أحد إلا أن يسلم أو يقبل الجزية **«وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ»** ظهور الإسلام، والمشرك اسم عام، يقع على كل كافر.

❁ الأحكام

تدل الآيات على أن عيسى عليه السلام صَدَّقَ التوراة كما صَدَّقَ نبينا، وذلك لوجهين:

---

(١) إلى: أو، ك؛ أن، د.

(٢) تكفله: تكلفه، د.

(٣) في هامش ك: ودين الحق الإسلام، وقيل: الهدى القرآن، سماه هدى لأنه يدل على الحق.

أحدهما: أن يأتي كما[1] في التوراة.

والثاني: أن يصدقه بأنه حق، والمحرف ليس بتوراة، فلا يعترض به على ما قلناه.

وتدل على أنه عليه السلام بَشَّرَ بنبينا صلى الله عليه وسلم.

ومتى قيل: فالنصارى كيف يجوز عليهم إنكار ما أعلمهم به نبيهم عليه السلام في أمر النبي صلى الله عليه وسلم وكتمانه مع كثرتهم، وإذا جاز ذلك عليهم جاز إنكار النص الذي تدعيه الإمامية على أمير المؤمنين وكتمانه؟

قلنا: النصارى لا ينكرون بعثة نبي اسمه أحمد، إنما يقولون: ليس هو نبينا، ولكن يكون من بني إسرائيل، ولأنه يجوز أن يكون قاله لبعضهم ممن يجوز عليه الكتمان، فمن أين لكم أنه قاله لسائرهم، ولأن النصارى ليس لهم سلف كثير؛ لأنهم كثروا بعد عيسى بزمان.

فأما ما تدَّعيه الإمامية من النص الذي علموه ضرورة، فإنه لو جاز كتمان مثله لجاز لليهود ادعاء معارضة القرآن وكتموه، ولجاز في كثير من الشرائع، وفي هذا هدم للإسلام، وأيضًا فإن عندهم هذا النص كان أمرًا أعلنه وأظهره حتى اضطروا إلى معرفته، وهذا لا يجوز أن ينكتم كما لا يجوز أن يقال: بين بغداد والكوفة بلد أعظم منهما لم ينقل، وأيضًا فإن الداعي[2] إلى نقله كان عظيمًا؛ لحاجة الناس إلى الإمام، وما جرى في موطن بعد موطن من ذكر البيعة، ثم لم ينقل أحد منهم النص، ولا قالوا عند الاختلاف أين أنتم عن هذا النص؟

وتدل أن (أحمد) كان من أسمائه صلى الله عليه وسلم.

وتدل أنه لا ظلم أعظم من الكذب على الله، فلهذا قلنا: أعظم الذنوب التشبيه والجبر.

---

(١) كما: بما، ك.

(٢) الداعي: الدواعي، د.

وتدل أن الكفر لا يختص أفعال القلب على ما قاله بعضهم؛ لأن الافتراء يكون باللسان[1].

وتدل على أنه لا ينبغي أن يقابل دعاء من يدعو إلى الله بالرد.

وتدل على عظيم ذنب من طعن في الدين، ورام إطفاء نوره.

وتدل أنه تعالى تضمن[2] إتمام دينه، وإظهار حجته.

وتدل على معجزة لنبينا حيث أخبر بظهور الإسلام، فكان كما أخبر.

ومتى قيل: كيف قال ذلك، ودينه ظهر بعد موته؟

قلنا: وعده إظهار دينه، ولم يُوَقِّتْ، وبعد وفاته [أظهره]، وأظهره في أيامه أيضًا بالحجة، وعلى العرب.

قوله تعالى:

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا ۖ نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّۦنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ﴿١٤﴾﴾.

القراءة

قرأ ابن عامر: «تُنَجِّيكُم» بفتح النون وتشديد الجيم من نَجّى يُنَجِّي تَنْجِيَةً، الباقون بسكون النون خفيفة الجيم من الإنجاء.

---

(١) وتدل أن الكفر.. باللسان: +، هامش ك.

(٢) تضمن: ضمن، ك.

قرأ أبو جعفر ونافع وابن كثير وأبو عمرو: «**أنصارًا**» منونة «**لله**» باللام بغير ألف، الباقون: «**أَنصَارَ**» بغير تنوين «**الله**» بالألف على الإضافة، وهو اختيار أبي عبيد وأبي حاتم، لقوله: ﴿ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ﴾، ولم يقل: نحن أنصار لله، وكلاهما قراءتان صحيحتان ظاهرتان.

وفتح أبو جعفر ونافع الياء من «**أَنصَارِيَ**»، ولم يفتحها الآخرون.

۞ اللغة

الدلالة: العلامة التي يعرف بها الحق من الباطل، وفاعلها دالٌّ، وقيل: الدليل هو الدلالة، وقيل: هو الدال من أصله[1] الدلالة، وقد يستعمل في الوجهين، وفي الدعاء: يا دليل المتحيرين.

والتجارة: طلب الربح بالشراء والبيع، ثم يشبه به[2] طالب الربح بعمل الطاعة فبذلك سمي[3] تجارة.

والفوز: النجاة من الهلاك إلى النعيم، فاز يفوز فوزًا: نال طِلْبَتَهُ[4].

والتأييد: التقوية، وأصله من الأيد، وهو القوة، قال عبد المطلب:

الْحَمْدُ لِلهِ الأَجَلِّ الأَعْظَمِ ... أَيَّدَنا يَوْمَ زحُوفِ الأَشْرَمِ

۞ الإعراب

«**يغفر**» جزم؛ لأنه جواب الاستفهام، وقيل: هو جواب الأمر، ولا يجوز أن يكون جواب (**هل**)؛ لأن مجرد الدلالة لا تستحق المغفرة فهو جواب (**يؤمنون**)؛ لأنه في معنى وآمِنوا، وذكر الفراء أنه جواب (**هل**) وروي عن ابن عمر: «**يغفر لكم**» بإدغام الراء في اللام، ولا يجوز ذلك عند الخليل وسيبويه؛ لأن في الراء تكريرًا.

---

(١) من أصله: وأصله، ك؛ وفي هامشها: واضح.
(٢) به: -، ك.
(٣) فبذلك سمي: وذلك ليس، د؛ وفي هامش ك: بذلك فيسمى.
(٤) طلبته: فالطلبة، د.

«وأخرى» قيل: في محل الكسر، على تقدير: وتجارةٍ أخرى، قاله نحاة البصرة، وقيل: محله رفع، تقديرها: ولكم[1] أخرى في العاجل ،مع ثواب الآجل، عن الكوفيين (نَصْرٌ) تقديره: وأخرى تحبونها، أي: وأخرى هي نصر من الله تحبونها.

المعنى

لما تقدم ذكر الرسول، دعا إلى قبوله والعمل بشرائعه بأحسن بيان وألطف استدعاء، فقال ـ سبحانه ـ: «**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا**» قيل: خطاب عام للمؤمنين، وقيل: خطاب لمن تقدم ذكره في أول السورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾، «**هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُمْ**» تخلصكم «**مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ**» موجع وهو عذاب النار.

ثم بَيَّنَ تلك التجارة، فقال ـ سبحانه ـ: «**تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ**» يدخل فيه جميع أنواع الجهاد، فَجَاهَدَ مع الكفار بالحجة أولاً وبالسيف أخرى، وجهاد المبتدعة بالحجة والمنع، وجهاد النفس بالصبر على الطاعة، وتحمل مشاق التكليف، وبذل الجهد في طلب رضا الله بهذا العلم والعمل من العبد، وهي منقطعة كالمثمن[2]، ومن الله تعالى بالجنة، وبالنجاة من النار، وهي دائمة، وهو كالثمن، فلا تجارة أعظم من هذا، وقيل: «تؤمنون» خبر، والمراد الأمر، وقيل: (هل) تضمر فيه، أي: هل تؤمنون، وهل تجاهدون.

ومتى قيل: كيف قال أولاً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ ثم قال: ﴿تُؤْمِنُونَ﴾.

قلنا: قيل: خطاب للمنافقين، كأنه قيل: يا من آمَن ظاهرًا آمنوا باطنًا ليصح إيمانكم.

وقيل: إنها خطاب للمؤمنين، أي كما آمنتم في الماضي آمنوا في المستقبل، واثبتوا على الإيمان.

---

(١) ولكم: ولكنه، د.

(٢) كالمثمن: كالثمن، د.

وقيل: يا أيها الذين آمنوا بسائر الأنبياء آمنوا بمحمد ﷺ وعليهم، والوجه فيه أنه أمر بالثبات على الإيمان[1] والجهاد.

«خَيْرٌ» أي: أنفع «إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ» الخير والشر والنفع والضر، عن أبي مسلم. وقيل: بذل الجهد في الطاعة خير لكم، عن أبي علي. وقيل: ما أمرتكم خيرٌ لكم من دفعه عنكم؛ لأنه يؤدي إلى الثواب الدائم «يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ» إذا تبتم «وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ» أي: يجري الماء في الأنهار تحت أشجارها وأبنيتها «وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً» أي: مواضع لتسكنونها[2] طيبة من طيبها ﴿لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا﴾ [الكهف: ١٠٨] عوجًا، وسأل الحسن عمران بن الحصين وأبا هريرة عن تفسير: «وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً» فقالا: على الخبير سقطت، سألنا رسول الله ﷺ عن ذلك فقال: «قصر من لؤلؤة في الجنة، في ذلك القصر سبعون دارًا من ياقوتة حمراء، في كل دار سبعون بيتًا من زمردة خضراء، في كل بيت سبعون سريرًا، على كل سرير سبعون فراشًا من كل لون، على كل فراش امرأة من الحور العين، وفي كل بيت سبعون مائدة من أنواع الطعام». "«فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ» أي: إقامة لا ظعن عنها «ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ» أي: الظفر بالمطلوب «وَأُخْرَى» أي: ولكم خصلة أخرى مع الثواب الدائم، وقيل: تجارة[3] أخرى «تُحِبُّونَهَا» الهاء كناية عن محذوف ،أي: تحبون تلك الخصلة إنْ تلك التجارة أو النصرة[4] أو الفتح، وفي الآجل الجنة والنعيم الدائم، وقيل: فتح قريب هو فتح مكة، وقيل: بل هو عام، وقد توالت فتوح الإسلام، ومعنى «قَرِيبٌ» قيل: قريب كونه، وقيل: دنت[5] منكم بقرب الرجوع منها إلى الأوطان.

ثم حثهم على الجهاد، فقال ـ سبحانه ـ: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ» قيل: (أنصار الله) أي: أعوان لله[6]، فأضاف إلى نفسه تشريفًا، كقولهم للكعبة: بيت

---

(١) جاء في هامش ك ما لفظه: ذلكم خير لكم، قيل: إيمانكم بالله خير لكم من تضييعه، وقيل: الإيمان.

(٢) لتكسنونها: يسكنونها؛ لتسينونها؛ ث، ر، ز.

(٣) وتجارة: بتجارة، د.

(٤) جاء في هامش ك ما لفظه: نصر من الله على أعدائكم، وفتح قريب بفتح بلاده لكم، وبشر المؤمنين بأن لهم ذلك في العاجل النصر.

(٥) دنت: قريب، ك.

(٦) +، هامش ك: أي: أعوان دينه.

الله، ولحمزة[1]: أسد الله، وقيل: أنصارُ اللهِ: أولياؤهُ[2] ونبيه «**كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ**» لينصر بثباتهم، وقيل: كانوا صيادين السمك، عن ابن عباس. وقيل: كانوا قصارين، عن الضحاك. وقيل: الحواري خاصة الأنبياء[3]؛ لأنهم خلصوا من كل عيب، عن الزجّاج[4]. «**مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ**» قيل[5]: مع الله، عن الحسن. كأنه قيل: إلى نصر الله، كقولهم: «الذَّوْدُ إلى الذود إِبِلٌ»؛ أي مع الذود، وقيل: معناه من يضيف نصرته إلى نصرة الله، وقيل: من أنصاري إلى الله على ما يبلغني إليه، وإلى مرضاته، تقديره: إلى طلب رضا الله، وقيل: (إلى) بمعنى اللام، أي[6]: من أنصاري لوجه الله، وإعزاز دينه، وقيل: أراد أن يكونوا يدًا واحدة يتناصرون، «**قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا**» أي: قوينا وأعنا «**الَّذِينَ آمَنُوا عَلَى عَدُوِّهِمْ**» وهم الكفار «**فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ**» أي: غالبين قاهرين، قيل: أيدنا محمدًا ومن تبعه فأصبحوا ظاهرين، وقيل: بل[7] أيدنا من كان في زمانهم على مَنْ كَفَرَ بعيسى، عن مجاهد.

۞ الأحكام

تدل الآيات على أشياء:

منها: أن أهم الأمور الإيمان.

ومنها: عظم محل الجهاد.

ومنها: أن الغفران يحصل بهذه الخصال، خلاف قول المرجئة.

ومنها: أن الإيمان والجهاد فِعْلُ العبد، وكذلك الكفر.

ومنها: أنه يجمع للمؤمنين بين النصر والفتح والثواب الدائم، فيحصل لهم المسرة في الدارين، وفي ذلك حث على الطاعات.

---

(١) ولحمزة: وحمزة، ك.
(٢) أولياؤه: أوليائه، ك.
(٣) الأنبياء: للأنبياء، د.
(٤) الزجّاج: معاني القرآن، ٥/ ١٣٠.
(٥) قيل: وقيل؛ د، ك.
(٦) أي: +، ك.
(٧) أي: +، ك.

الفهرس

سورة فصلت ٦١٦٥

سورة الشورى ٦٢١٥

سورة الزخرف ٦٢٧٧

سورة الدخان ٦٣٤١

سورة الجاثية ٦٣٦٩

سورة الأحقاف ٦٣٩٥

سورة محمد ٦٤٣٥

سورة الفتح ٦٤٧٥

سورة الحجرات ٦٥١٧

سورة ق ٦٥٤٥

سورة الذاريات ٦٥٧٩

سورة الطور ٦٦٠٩

سورة النجم ٦٦٣٣

سورة القمر ٦٦٧٣

سورة الرحمن ٦٧٠٧
سورة الواقعة ٦٧٣٧
سورة الحديد ٦٧٧٣
سورة المجادلة ٦٨٠٧
سورة الحشر ٦٨٣٩
سورة الممتحنة ٦٨٦٩
سورة الصف ٦٨٩٣